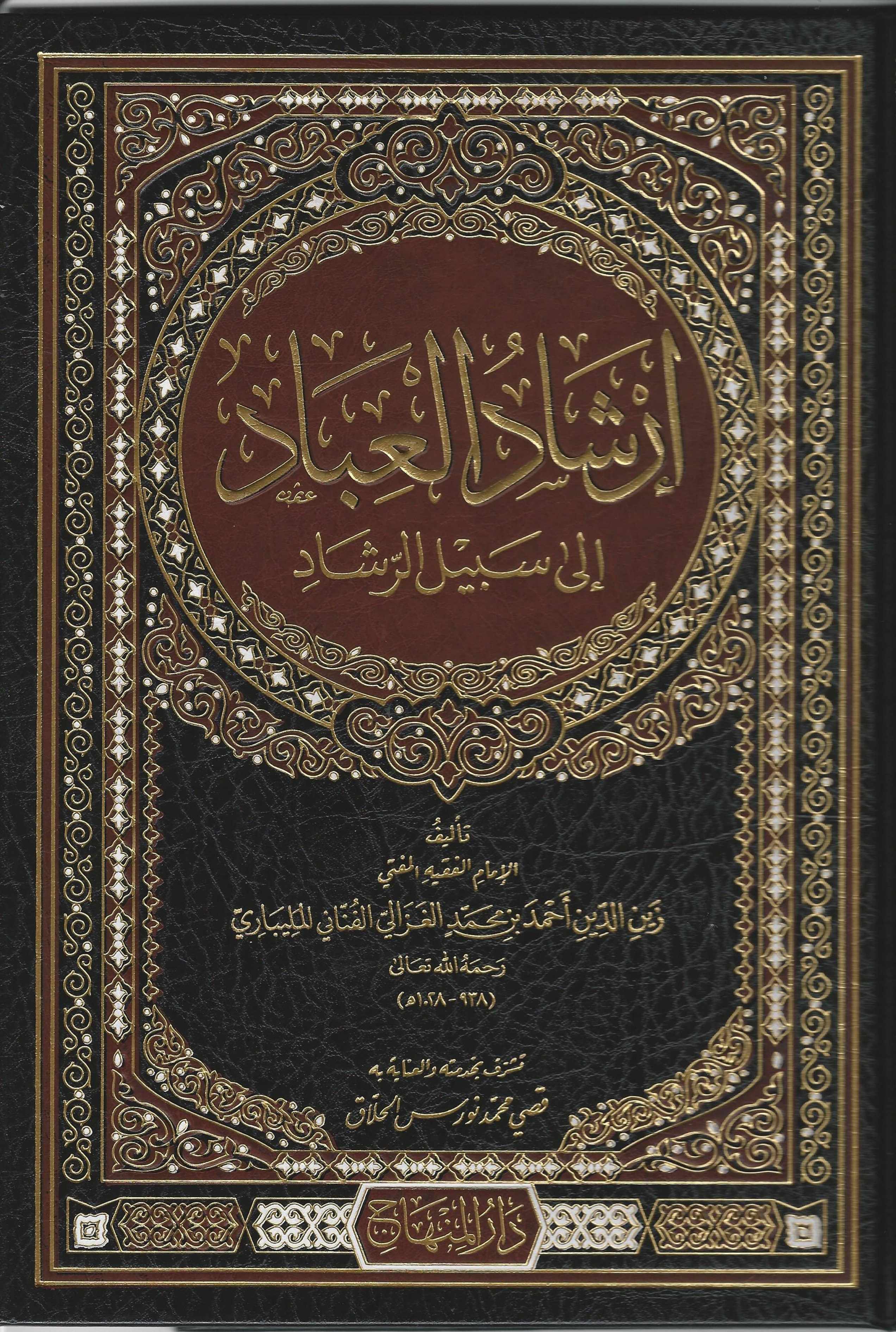
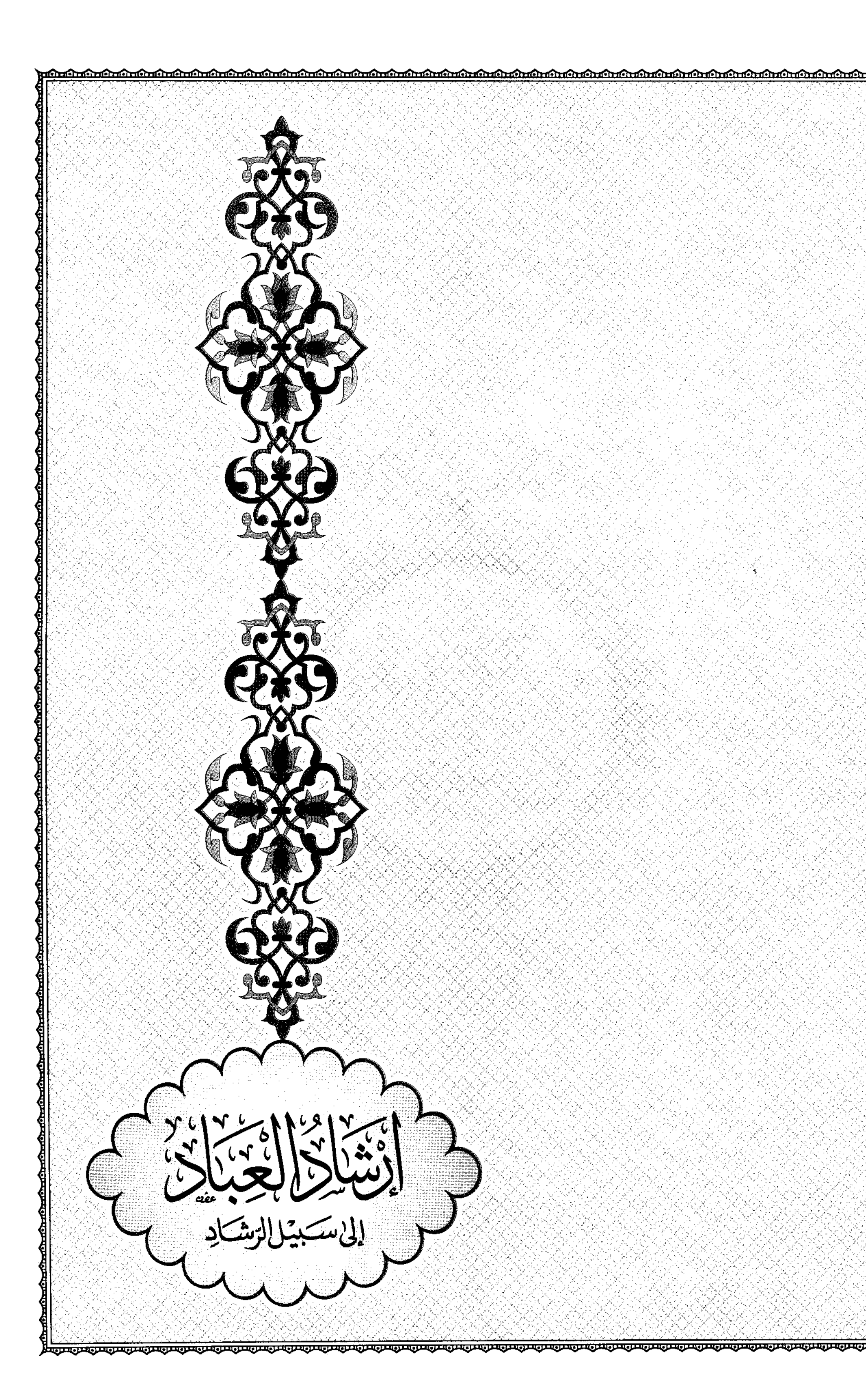
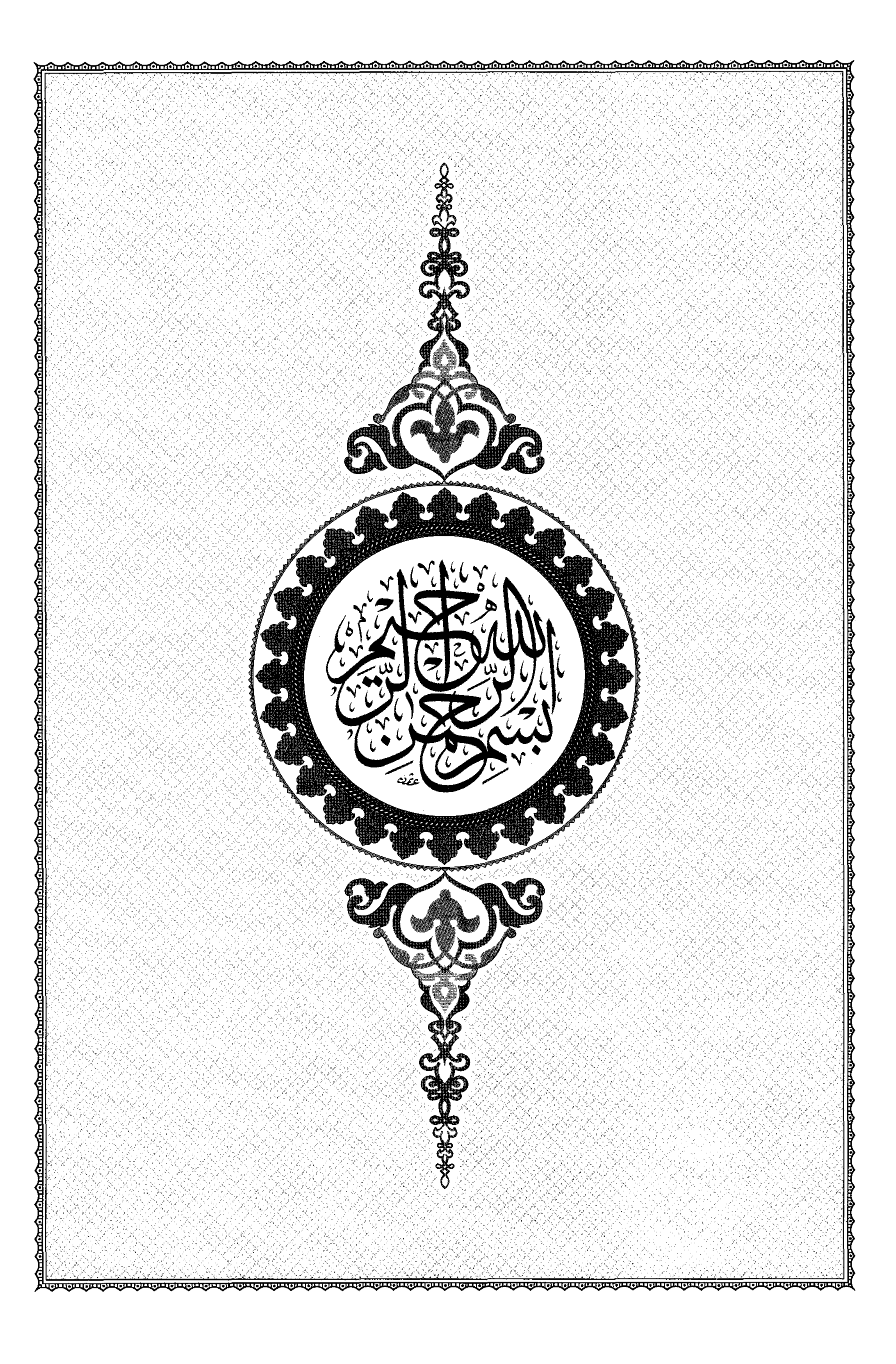

إرشاد العباد
إلى سبيل الرشاد
تأليف
الإمام الفقيه المفتي
زين الدين أحمد بن محمد الغزالي الفناني المليباري
رحمه الله تعالى
(٩٣٨ - ١٠٢٨ هـ)
تشرف بخدمته والعناية به
قصي محمد نورس الحلاق
دار المنهاج


إرشاد العباد
إلى سبيل الرشاد


بسم الله الرحمن الرحيم

إرشاد العباد

إلى سبيل الرشاد

تأليف

الإمام الفقيه المفتي

زين الدين أحمد بن محمد الغزالي ابن زين الدين المخدوم الكبير

الفناني الهندي الشافعي

زين الدين المليباري

رحمه الله تعالى

(٩٣٨ - ١٠٢٨هـ)

تشرف بخدمته والعناية به

قصي محمد نورس الحلاق

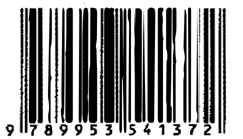


الطّبعة الأولى
١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م

اسم الكتاب : إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد
المؤلف : العلامة المليباري (ت ١٠٢٨ هـ)
الإعداد : مركز دار المنهاج للدراسات
موضوع الكتاب : أخلاق وتزكية
مقاس الكتاب : (٢٥ سم)
تصنيف ديوي الموضوعي : (٢١٨)

عدد الأجزاء : (١)
عدد المجلدات : (١)
نوع الورق : شاموا فاخر
نوع التجليد : فني
عدد الصفحات : (٧٠٤ صفحة)
عدد ألوان الطباعة : لونان

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني

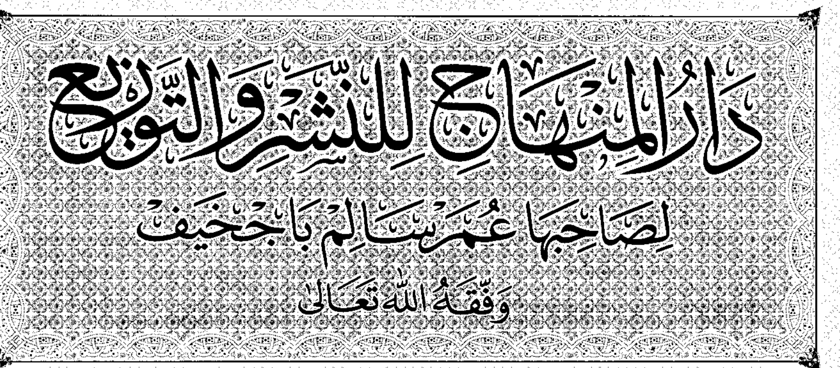


الرقم المعياري الدولي
ISBN : 978 - 9953 - 541 - 37 - 2



لبنان ـ بيروت

هاتف : 806906 05 ـ فاكس : 813906 05



المملكة العربية السعودية ـ جدة

حي الكندرة ـ شارع الملك فهد ـ جانب البنك الفرنسي

هاتف رئيسي 6326666 12 00966

المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392

ص . ب 22943 ـ جدة 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب

عضو في إدارة جمعية الناشرين السعوديين

عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

الموزعون المعتمدون داخل المملكة العربية السعودية

جدة

مكتبة دار كنوز المعرفة
هاتف 6510421 . 6570628

مكة المكرمة

مكتبة الأسدي
هاتف 5273037 . 5570506

مكة المكرمة

مكتبة نزار الباز
هاتف 5473838 . فاكس 5473939

المدينة المنورة

دار البدوي
هاتف 0503000240

المدينة المنورة

مكتبة الزمان
هاتف 8366666 . فاكس 8383226

الرياض

مكتبة جرير
وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها
هاتف 4626000 . فاكس 4656363

الرياض

مكتبة العبيكان
وجميع فروعها داخل المملكة
هاتف 4654424 . فاكس 2011913

الرياض

دار التدمرية
هاتف 4924706 . فاكس 4937130

الدمام

مكتبة المتنبي
هاتف 8344946 . فاكس 8432794

الطائف

مكتبة أم هاني
هاتف 7320809

عرعر

مكتبة المتنبي العلمية
هاتف 6628586

الموزعون المعتمدون خارج المملكة العربية السعودية

الجمهورية اليمنية

مكتبة تريم الحديثة ـ حضرموت

هاتف 417130 ـ فاكس 418130

دولة قطر

مكتبة الثقافة ـ الدوحة

هاتف 44421132 ـ فاكس 44421131

جمهورية مصر العربية

دار السلام ـ القاهرة

هاتف 22741578 ـ فاكس 22741750

مكتبة نزار الباز ـ القاهرة

هاتف 25060822 ـ جوال 0122107253

الإمارات العربية المتحدة

حروف للنشر والتوزيع ـ أبو ظبي

هاتف 5593007 ـ فاكس 5593027

مكتبة الإمام البخاري ـ دبي

هاتف 2977766 ـ فاكس 2975556

دولة الكويت

مكتبة دار البيان ـ حَوَلي

تلفاكس 22616490 ـ جوال 99521001

دار الضياء للنشر والتوزيع ـ حَوَلي

هاتف 22658180 ـ فاكس 22658180

المملكة المغربية

دار الأمان ـ الرباط

هاتف 0537723276 ـ فاكس 0537200055

الدار العالمية ـ الدار البيضاء

هاتف 052282882 ـ فاكس 052283354

مملكة البحرين

مكتبة الفاروق ـ المنامة

هاتف 17272204 ـ فاكس 17256936

مكتبة الريان ـ المنامة

هاتف 0097339247759

الجمهورية اللبنانية

الدار العربية للعلوم ـ بيروت

هاتف 785107 ـ فاكس 786230

مكتبة التمام ـ بيروت

هاتف 707039 ـ جوال 03662783

المملكة الأردنية الهاشمية

دار محمد دنديس ـ عمّان

هاتف 4653390 ـ فاكس 4653380

الجمهورية العربية السورية

مكتبة المنهاج القويم ـ دمشق

هاتف 2235402 ـ فاكس 2242340

جمهورية العراق

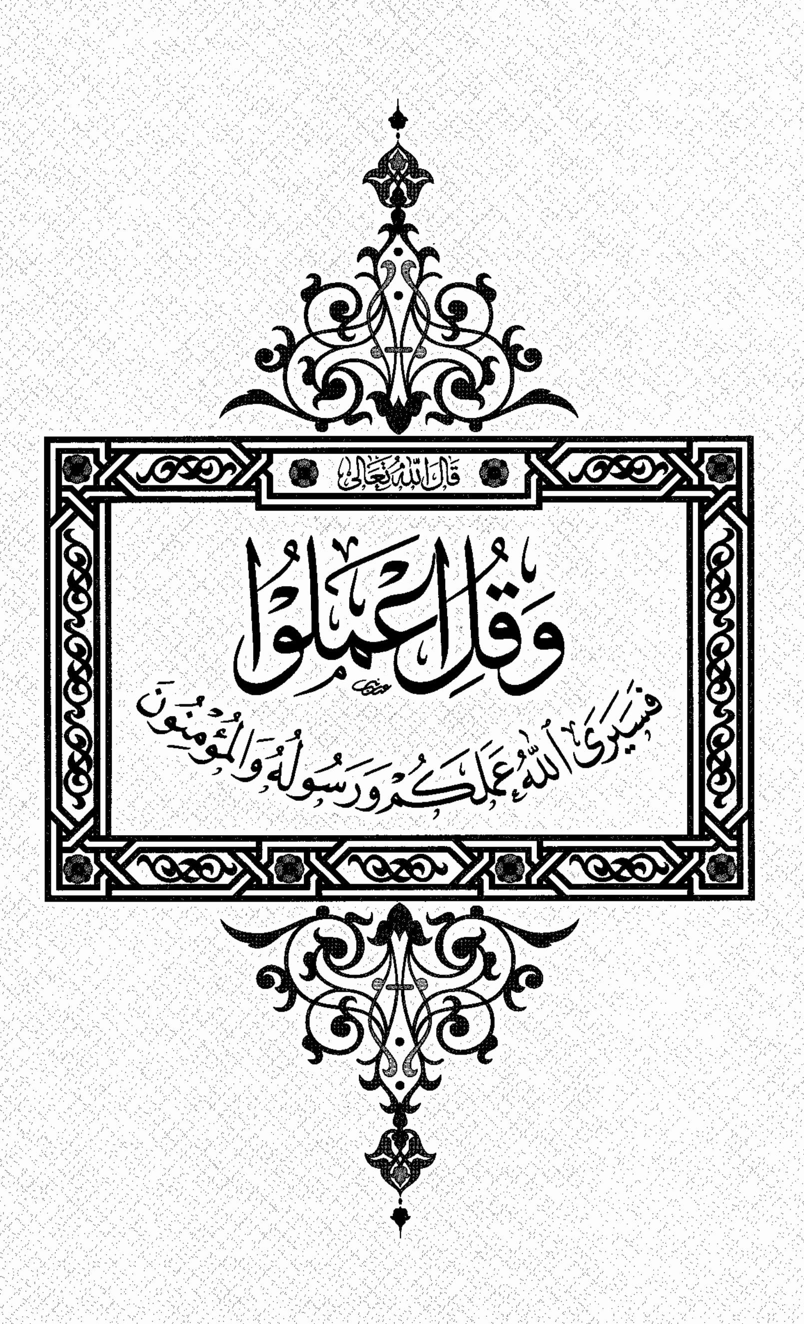
مكتبة دار الميثاق ـ الموصل

هاتف 7704116177 ـ فاكس 7481732016

جمهورية الجزائر

دار البصائر ـ الجزائر

هاتف 021773627 ـ فاكس 021773625


قال الله تعالى
وقل اعملوا
فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

والعِلمُ هوَ الصَّدقةُ الجاريةُ بعدَ المماتِ ، والكتابُ ولدُكَ المُخلَّدُ ؛ ولهٰذا كثُرَتِ التَّصانيفُ ، وترَكَ لنا السابقونَ إرثاً غالياً بعدَهُم يَحتاجُ إلىٰ هممٍ كالجبالِ ؛ لتُميطَ عنهُ اللِّثامَ .

❁ ❁ ❁

وكتابُنا اليومَ هديَّةٌ هنديَّةٌ أرسلَها مُؤلِّفُها المَليباريُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ نُصحاً للأُمَّةِ ، وكشفاً للغُمَّةِ ، بعدَ رحلتِهِ إلى البلادِ العربيَّةِ عامَّةً وللحجازِ خاصَّةً ، وعنوانُ الكتابِ ينبئُ عنْ مضمونِهِ ، ويكشفُ السِّرَّ عنْ مكنونِهِ .

جمعَ المُؤلِّفُ زينُ الدِّينِ المَليباريُّ كتابَهُ مِنْ مصدرَينِ أساسَينِ :

كتابِ شيخِهِ العلَّامةِ المُحقِّقِ ، شيخِ الشافعيَّةِ في عصرِهِ ابنِ حجرٍ الهيتميِّ رحمَهُ اللهُ تعالى ، المُسمَّى : « الزَّواجرَ عنِ اقترافِ الكبائرِ » .

وكتابِ جدِّهِ الإمامِ زينِ الدِّينِ المخدومِ الكبيرِ « مُرشدِ الطُّلَّابِ » ، وزادَ علىٰ ذٰلكَ أحاديثَ نبويَّةً ، ومسائلَ فقهيَّةً ، ومواعظَ وحكاياتٍ إرشاديَّةً ، تُرقِّقُ القلوبَ ، وتُدمِعُ العيونَ ، وتُذكِّرُ بيومِ المعادِ .

فغدا هٰذا السِّفرُ كأنَّهُ روضةٌ غنَّاءُ تُؤْتي أُكلَها كلَّ حينٍ بإذنِ ربِّها ، لا تَمَلُّ النفسُ مِنْ مطالعتِهِ ، فلقد وُفِّقَ المُؤلِّفُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ إلىٰ تنويعِ أبوابِهِ وفصولِهِ ؛ دفعاً للمَلالِ ، وحثّاً على التمسُّكِ بأحسنِ الخصالِ ، والحكمةُ ضالَّةُ المؤمنِ ، أينَما وجدَها . . التقطَها ، والمواعظُ سِياطُ القلوبِ ، وبذكرِ الصالحينَ تَتنزَّلُ الرَّحماتُ ، وفي مطالعةِ سيرِهِم شحذٌ للهممِ ، والنفوسُ لا بدَّ لها أن تُراضَ ، قالَ الإمامُ البوصيريُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : (من البسيط)

وَٱلنَّفْسُ كَٱلطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَىٰ ... حُبِّ ٱلرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ
فَٱصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ ... إِنَّ ٱلْهَوَىٰ مَا تَوَلَّىٰ يُصْمِ أَوْ يَصِمِ

بين يدي الكتاب

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ حمدَ الشاكرينَ ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ سيِّدِ المرسلينَ ، المبعوثِ رحمةً للعالمينَ ، وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ الغُرِّ الميامينِ ، ومَنْ تبعَهُم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّينِ .

وبعدُ : فإنَّ المِنَّةَ العُظمىٰ مِنَ المولىٰ سبحانَهُ علينا . . أن هدانا للإسلامِ ، وخصَّنا بسيِّدِ الأنامِ وسراجِ الظلامِ ؛ سيِّدِنا محمدٍ المخصوصِ بالمَقامِ المحمودِ ، واللواءِ المعقودِ ، والحوضِ المورودِ ، والشرفِ المشهودِ .

فجاءَنا بكتابٍ كالشمسِ وضُحاها ، وبسنَّةٍ كالقمرِ إذا تلاها ؛ فمَنْ حقَّق ما فيهما من أمرٍ ونهيٍ . . فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

علَّمَنا المنهجَ القويمَ ، وأنارَ لنا الصِّراطَ المستقيمَ ، وحذَّرَنا مِنْ نارِ الجحيمِ ، وحثَّنا علىٰ أن نكونَ عنهُ مبلِّغينَ عليهِ أفضلُ الصَّلاةِ وأتمُّ التسليمِ ، فقالَ لنا مُكلِّفاً ومُشرِّفاً ومُخفِّفاً : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً »(1) ، وقالَ أيضاً : « فَوَٱللهِ ؛ لَأَنْ يَهْدِيَ ٱللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً . . خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ » ، وفي روايةٍ عندَ الحاكمِ وغيرِهِ : « خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ ٱلشَّمْسُ » .

فتسابقَ الأوَّلونَ والآخِرونَ إلىٰ إرشادِ العبادِ لسبيلِ الرَّشادِ ، وأرادوا أن يضربوا بسهمٍ ويغنموا الأجرَ يومَ التنادِ ، فتعدَّدتِ الأساليبُ واتَّحدَ المرادُ ؛ فمِنْ مُحدِّثٍ مُتقِنٍ ، إلىٰ كاتبٍ حصيفٍ وخطيبٍ بليغٍ وواعظٍ مؤثِّرٍ .

---

(1) **بلِّغوا** : تكليفٌ منه صلى الله عليه وسلم لنا أجمعين ، **وعنِّي** : تشريفٌ لنا أن نكون رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **ولو آية** : تخفيفٌ ورأفة منه بنا صلى الله عليه وسلم .

وَرَاعِهَا وَهْيَ فِي ٱلْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ وَإِنْ هِيَ ٱسْتَحْلَتِ ٱلْمَرْعَىٰ فَلَا تُسِمِ

وكانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يتخوَّلُ أصحابَهُ بالموعظةِ ؛ مخافةَ السَّآمةِ عليهِم ، وما أحوجَنا اليومَ لِيقِفَ كلٌّ مِنَّا معَ نفسِهِ ، يعظُها قبلَ موعظةِ الناسِ ؛ لنُنقِذَ أنفسَنا مِنْ نارٍ وَقودُها النَّاسُ والحجارةُ !! فالبِدارَ البِدارَ ، والمسارعةَ المسارعةَ قبلَ فواتِ الأوانِ .

وقالَ المولىٰ سبحانَهُ : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[1] ، قالَ بعضُ المُفسِّرينَ : (معناهُ : كونوا عاملينَ بمَا كنتُم تُعلِّمونَ الناسَ مِنَ الكتابِ) .

وقالَ أيضاً عزَّ وجلَّ : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] ، وقالَ سيدُنا أبو الدَّرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ : (تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قيامِ ليلةٍ)[3] .



حُكِيَ : أنَّ بعضَ الزُّهَّادِ وقفَ علىٰ جمعٍ فنادىٰ بأعلىٰ صوتِهِ : (يا معشرَ الأغنياءِ ؛ لكُم أقولُ : استكثروا مِنَ الحسناتِ ؛ فإنَّ ذنوبَكُم كثيرةٌ ، ويا معشرَ الفقراءِ ؛ لكُم أقولُ : أقِلُّوا مِنَ الذُّنوبِ ؛ فإنَّ حسناتِكُم قليلةٌ) .

ومَا مِنْ يومٍ مِنْ أيَّامِ الدُّنيا إلَّا وهوَ ينادي : أنا خلقٌ جديدٌ ، وعلىٰ عملِكُم شهيدٌ ، فتزوَّدوا منِّي ؛ فإنِّي إذا ذهبتُ . . لا أرجعُ إلىٰ يومِ القيامةِ ، قالَ بكرُ بنُ عبدِ اللهِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : (رحمَ اللهُ امرأً كانَ قويّاً فأعملَ قوَّتَهُ في طاعةِ اللهِ تعالىٰ ، أو كانَ ضعيفاً فكفَّ عن معصيةِ اللهِ تعالىٰ) .

---

(١) سورة آل عمران : (٧٩) .

(٢) سورة الذاريات : (٥٥) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٥٧٢٨) ، وأحمد في « الزهد » (٧٤٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/٢٠٨) .

قالَ عبدُ الأعلى بنُ عبدِ اللهِ الشاميُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : (من الكامل)

اَلْعُمْرُ يَنْقُصُ وَٱلذُّنُوبُ تَزِيدُ وَيُقَالُ عَثْرَتَهُ ٱلْفَتَىٰ فَيَعُودُ
هَلْ يَسْتَطِيعُ جُحُودَ ذَنْبٍ وَاحِدٍ رَجُلٌ جَوَارِحُهُ عَلَيْهِ شُهُودُ
وَٱلْمَرْءُ يُسْأَلُ عَنْ سِنِيهِ فَيَشْتَهِي تَنْقِيصَهَا وَعَنِ ٱلْمَمَاتِ يَحِيدُ

وقالَ سيِّدُنا عيسىٰ عليهِ السلامُ : « ٱلدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ : فَٱعْبُرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا » ، وقيلَ : الدُّنيا منازلُ ؛ فراحلٌ ونازلٌ !!

قيلَ لمحمدِ بنِ واسعٍ : أَلَا تَتَّكِئُ ؟! فقالَ : (تلكَ جِلسةُ الآمنينَ) .

وقالَ سيِّدُنا أبو الدَّرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ : (أضحكَني ثلاثٌ ، وأبكاني ثلاثٌ : أضحكَني مُؤَمِّلُ الدُّنيا والموتُ يطلُبُهُ ، وغافِلٌ وليسَ بمَغفولٍ عنهُ ، وضاحكٌ وليسَ يدري : أراضٍ اللهُ عنهُ أم ساخِطٌ عليهِ .

وأبكاني فِراقُ الأحبَّةِ محمدٍ وحزبِهِ ، وهَولُ المُطَّلَعِ ، والوقوفُ بينَ يديِ اللهِ عزَّ وجلَّ يومَ تبدو السرائرُ ، ثمَّ لا أدري : إلىٰ جنَّةٍ أم إلىٰ نارٍ) .

والخشيةُ مِنَ اللهِ تَدُلُّ علىٰ كلِّ خيرٍ ، وتُبعِدُ عن كلِّ شرٍّ ، ومَنْ خافَ . . أدلجَ ، ومَنْ أدلجَ . . بلغَ المنزلَ ، ولا يلجُ النارَ مَنْ بكىٰ مِنْ خشيةِ اللهِ تعالىٰ ، قالَ كعبُ الأحبارِ : (والذي نفسي بيدِهِ ؛ لأن أبكيَ مِنْ خشيةِ اللهِ حتىٰ تسيلَ دموعي علىٰ وجنتي . . أحبُّ إليَّ مِنْ أن أتصدَّقَ بجبلٍ مِنْ ذهبٍ) .

وكانَ محمدُ بنُ المُنكدِرِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ إذا بكىٰ . . مسحَ وجهَهُ ولحيتَهُ بدموعِهِ ، وقالَ : (بلغَني : أنَّ النَّارَ لا تأكلُ موضعاً مسَّتْهُ الدموعُ) .

❀ ❀ ❀

فاملِكْ عليكَ لسانَكَ ، وابكِ على خطيئتِكَ ، وعليكَ بخُوَيصَّةِ نفسِكَ ؛ فإن أردتَ النجاةَ يومَ المعادِ . . فعليكَ بـ « **إرشاد العباد** » ، يدلُّكَ على الطريقِ القويمِ ، والصِّراطِ المستقيمِ ، الذي مَنْ سلكَهُ . . نجا ، ومَنْ حادَ عنهُ . . خابَ وخسرَ ، نسألُ اللهَ السلامةَ والاستقامةَ .

ودارُ المنهاجِ كعادتِها تُتحِفُ قرَّاءَها بكلِّ مفيدٍ وجديدٍ ، وها هيَ تُقدِّمُ لهُم هٰذهِ الدُّرَّةَ الثمينةَ ، والجوهرةَ اليتيمةَ ، تَرْفُلُ بحُلَلِ الجمالِ ، بخدمةٍ تليقُ بمقامِ هٰذا الكتابِ ومُؤلِّفِهِ ؛ ليدومَ الوصالُ والاتصالُ ، والحمدُ لذي الفضلِ والجلالِ .



ترجمة
الإمام الفقيه المفتي
زين الدّين أحمد بن محمّد الغزاليّ ابن زين الدّين المخدوم الكبير
الفُنَّانيّ الهنديّ الشّافعيّ
زين الدّين المليباريّ
رحمه الله تعالى [1]

(٩٣٨ - ١٠٢٨ هـ)

اسمه ونسبه

هوَ الإمامُ الفقيهُ ، العلَّامةُ الشيخُ أحمدُ زينُ الدِّينِ ابنُ القاضي محمدٍ الغزاليِّ [2] ابنِ الشيخِ الإمامِ زينِ الدِّينِ المخدومِ الكبيرِ ابنِ الشيخِ القاضي

---

(١) مصادر ترجمته : « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » (٣٤١/٤) والمسمىٰ أيضاً : « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » للعلامة المؤرخ عبد الحي الحسني ، و« الأعلام » (٦٤/٣) للزركلي ، و« معجم المؤلفين » (٧٤١/١) ، و« تراجم علماء الشافعية في الديار الهندية » لفضيلة الدكتور عبد النصير أحمد المليباري الشافعي ، وجلُّ هٰذه الترجمة من كتابه ؛ فأهل مكة أدرىٰ بشعابها ، فجزاه الله خيراً .

(٢) كذا أثبت المؤلف اسمه في أول كتابه « الأجوبة العجيبة عن الأسئلة الغريبة » (ص ٢) ، وفي هٰذا أدل دليل علىٰ تصويب خطأ شاع ؛ وهو أن كثيراً من العلماء يذكر أن اسم أبيه (عبد العزيز) وليس بصواب ، وقد جرىٰ عليه بعض محشي كتاب « فتح المعين » ، وأصحاب المطابع المصرية وغيرها ، بل جرىٰ علىٰ ذٰلك كثير من العلماء ؛ كعبد الحي الحسني في « نزهة الخواطر » (٣٤١/٤) ، وأما الشيخ عبد العزيز . . فهو عمه لا والده ، وكان عالماً جليلاً ومؤلفاً قديراً . انظر « تراجم علماء الشافعية في الديار الهندية » (ص ٧٠) .

عليّ بنِ الشيخِ العلَّامةِ القاضي أحمدَ ، المعبريُّ الفُنَّانيُّ المَلِيباريُّ الهنديُّ الشافعيُّ الأشعريُّ .

وُلِدَ الشيخُ زينُ الدِّينِ ببلدةِ (جوبانَ) بالقربِ مِنْ (ماهي) مِنْ مديريَّةِ (كنَّنُورَ) وهيَ مِنْ منطقةِ (فُنَّان / بنَّاني) مِنْ إقليمِ مَلِيبارَ في القارَّةِ الهنديَّةِ .

أسرة آل المخدوم

وكانَ جدُّهُ شيخُ الإسلامِ زينُ الدِّينِ المخدومُ الكبيرُ المعبريُّ الفُنَّانيُّ المَلِيباريُّ . . انتقلَ مِنْ منطقةِ (المعبرِ) عن طريقِ (كيراكرا) و(كايل بتنم) في ولايةِ (تامل نادو) الهنديَّةِ إلىٰ (كوشن) ، ثمَّ انتقلَ إلىٰ (فُنَّان) حيثُ أقامَ هناكَ مُشتغِلاً بالخدماتِ الدعويَّةِ والتربويَّةِ .

اشتَهرَتْ هٰذهِ الأسرةُ الكريمةُ بـ (آلِ المخدومِ) ، وارتقَتْ بعلمِها وأخلاقِها حتىٰ أصبحَتْ عمدةَ تلكَ البلادِ (مَلِيبارَ) بأكملِها ، يُرجَعُ إليهِم في المُعضِلاتِ ، ويُلَاذُ بهِم في المُهمَّاتِ ، ويُلجَأُ إليهِم في المُلِمَّاتِ ، سواءٌ في ذٰلكَ المسلمُ وغيرُ المسلمِ .

كانَ الجَدُّ سخيَّ النَّفسِ كريمَ الطِّباعِ ، نشرَ العدلَ والمحبةَ فيما بينَ النَّاسِ ، فأحبُّوهُ وأقبلوا عليهِ ينهلونَ مِنْ مَعينِهِ .

أَحْسِنْ إِلَى ٱلنَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ   لَطَالَمَا ٱسْتَعْبَدَ ٱلْإِنْسَانَ إِحْسَانُ

وُلِدَ الجَدُّ زينُ الدِّينِ الكبيرُ سنةَ (٨٧٣ هـ) على الأشهرِ ، ونشأَ وترعرعَ وأخذَ العلمَ عن عمِّهِ الشيخِ زينِ الدِّينِ إبراهيمَ المَلِيباريِّ ، ولازمَ القاضيَ أبا بكرٍ فخرَ الدِّينِ بنَ القاضي رمضانَ الشالياتيَّ المَلِيباريَّ سبعَ سنينَ ، ثمَّ سافرَ إلىٰ مكةَ المكرَّمةِ وأقامَ فيها سنواتٍ عدَّةً ، ثمَّ توجَّهَ إلى الأزهرِ

الشريفِ[1] ، وتلقَّى العلومَ عن علماءِ عصرِهِ ؛ مثلِ العلَّامةِ المَكُّوديِّ والحافظِ السخاويِّ والإمامِ السيوطيِّ والسيِّدِ السَّمْهُوديِّ والقاضي المُزَجَّدِ اليمنيِّ والشيخِ بامخرمةَ وغيرِهِم ، رحمةُ اللهِ عليهِم أجمعينَ .

ثمَّ رجعَ بعدَ رحلتِهِ العلميَّةِ الطويلةِ إلىٰ بلدتِهِ (فُنَّان) وجعلَ يدعو النَّاسَ ، فأسلمَ علىٰ يدَيهِ خلائقُ لا يُحصَونَ كثرةً ، وبدأَ بإصلاحِ المجتمعِ ، وشرعَ في بناءِ المسجدِ الكبيرِ ، وجعلَهُ مركزاً علميّاً كبيراً ، وجعلَ تصميمَهُ ملائماً لإقامةِ عِدَّةِ دروسٍ وحلقاتٍ في آنٍ واحدٍ ، يُحاكي في ذٰلكَ المراكزَ الكبرىٰ ؛ كالجامعِ الأزهرِ ، ومسجدِ بني أميَّةَ ، وجامعِ الفاتحِ ، وأخذَ الطلَّابُ يتوافدونَ زَرافاتٍ ووُحْداناً علىٰ (فُنَّان) مِنْ إندونيسيا وماليزيا .

فأصبحَت (فُنَّان) شهيرةً بمكَّةِ مَلِيبارَ ، ومرجعاً للخَواصِّ والعَوامِّ ، ومناراً للعلمِ والهدىٰ بفضلِ هٰذا العَلَمِ الإمامِ .

وكانَ للجَدِّ زينِ الدِّينِ المَلِيباريِّ ثلاثةُ بنينَ وبنتانِ ؛ **فيحيىٰ أكبرُهُم** وقدِ انتقلَ إلىٰ رحمةِ اللهِ تعالىٰ في صغرِهِ ، **والثاني** : محمدٌ الغزاليُّ والدُ المُترجَمِ لهُ ، كانَ عالِماً كبيراً ورعاً مشهوراً ، **والثالثُ** : عبدُ العزيزِ المخدومُ ، وكانَ عالماً ماهراً في جميعِ الفنونِ والعلومِ ، ولهُ الفضلُ الكبيرُ في إحياءِ الفقهِ الشافعيِّ في الهندِ بتصانيفِهِ وتلاميذِهِ .

نشأته وشيوخه

فالمُترجَمُ لهُ هوَ حفيدُ شيخِ الإسلامِ زينِ الدِّينِ المخدومِ الكبيرِ ، نشأَ

---

(١) قال الأستاذ عبد النصير أحمد المليباري في « تراجم علماء الشافعية في الديار الهندية » (ص ٦٢) : (فأصبح هو الوافد الأول ـ في حدود معرفتي ـ من مليبار إلى الأزهر الشريف ، والتقىٰ مع العلماء العرب وأئمة الفنون) .

في أسرةِ علمٍ وفضلٍ ؛ فقرأَ علىٰ والدِهِ الكريمِ الشيخِ محمدٍ الغزاليِّ ، ثمَّ علىٰ عمِّهِ الشيخِ عبدِ العزيزِ وقد وَهِمَ الكثيرُ في نسبةِ المُؤلِّفِ إليهِ ، والصوابُ ـ كما نبهنا ـ : أنَّهُ عمُّهُ لا والدُهُ .

ارتحلَ الشيخُ زينُ الدِّينِ أحمدُ المخدومُ الصغيرُ إلىٰ بيتِ اللهِ الحرامِ ، **وجاورَ هناكَ** ، وأخذَ العلومَ عَنْ أئمَّةِ عصرِهِ ؛ **وممَّنْ أخذَ عنهُم** :

شيخُ الإسلامِ والمسلمينَ وخاتمةُ المُحقِّقينَ العلَّامةُ شهابُ الدِّينِ أحمدُ ابنُ حجرٍ الهيتميُّ المكيُّ ، لازمَهُ وتأثَّرَ بِهِ ، وقد ذكرَ غيرُ واحدٍ مِنْ مؤرِّخي مَلِيبارَ : أنَّ الشيخَ ابنَ حجرٍ قد زارَها وجلسَ في جامعِ (فُنَّان) الذي بناهُ جَدُّ المُترجَمِ لهُ ، ولا تزالُ في هـٰذا الجامعِ المباركِ تلكَ القاعدةُ الحجريَّةُ ، التي كانَ يُوضَعُ عليها المصباحُ أيامَ جلوسِهِ للتدريسِ .

وبُعيدَ رحيلِهِ مِنَ الهندِ : كانَ كبارُ طلبةِ العلمِ عندَ الانتهاءِ مِنْ مرحلةِ التَّحصيلِ العلميِّ يجلسونَ حولَها ؛ تبرُّكاً وإيذاناً بتخرُّجِهِمُ العلميِّ ، وهـٰذا كلُّهُ معروفٌ لأهلِ مَلِيبارَ وإن لم يُسجِّلْهُ أحدٌ مِنْ مؤرِّخي العربِ ؛ كما ذكرَهُ صاحبُ « تراجمِ علماءِ الشافعيَّةِ في الدِّيارِ الهنديَّةِ » .

ويقولُ البعضُ : إنَّ الإمامَ ابنَ حجرٍ صنَّفَ هناكَ بعضَ فتاواهُ ، وربَّما تكونُ النسخةُ القلميَّةُ مِنْ فتاوى ابنِ حجرٍ الموجودةُ في مكتبةِ المولويِّ شهابِ الدِّينِ أحمدَ كويا الشالياتيِّ المَلِيباريِّ بكاليكوتَ . . هيَ تلكَ التي أَلَّفَها ابنُ حجرٍ أثناءَ إقامتِهِ بفُنَّان[1] .

ومِنْ شيوخِهِ أيضاً : شيخُ الإسلامِ ومُفتي الأنامِ عزُّ الدِّينِ عبدُ العزيزِ الزمزميُّ المكِّيُّ الشافعيُّ ، المُحدِّثُ الفقيهُ الشاعرُ ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

---

(١) انظر « تراجم علماء الشافعية في الديار الهندية » (ص ١٢ ـ ١٣) .

ومنهُم أيضاً : الإمامُ الفقيهُ وجيهُ الدِّينِ عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ زيادٍ مفتي الحجازِ واليمنِ ، اليمنيُّ الشافعيُّ ، أحدُ أعيانِ فقهاءِ الشافعيَّةِ .

ومنهُمُ : الإمامُ العارفُ الكبيرُ زينُ العابدينَ أبو المَكارمِ محمدُ بنُ أبي الحسنِ الصدِّيقيُّ البكريُّ ، تاجُ العارفينَ .

ومنهُمُ : الإمامُ الشَّمسُ الرمليُّ الشافعيُّ والإمامُ الخطيبُ الشِّربينيُّ ، والإمامُ العلَّامةُ المُحقِّقُ عبدُ اللهِ بامخرمةَ ، والعلَّامةُ عبدُ الرَّؤوفِ بنُ يحيى الواعظُ المكيُّ الشافعيُّ ؛ وهوَ مِنْ كبارِ طلَّابِ المُحقِّقِ ابنِ حجرٍ الهيتميِّ وجامعُ فتاواهُ .

وقد جمعَ المُؤلِّفُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ كتاباً مُهمّاً نافعاً ، سمَّاهُ : « الأجوبةَ العجيبةَ عنِ الأسئلةِ الغريبةِ » جمعَ فيه أجوبةً لمشايخِهِ السابقِ ذكرُهُم ، وضمَّ في هـٰذا الكتابِ مسائلَ مهمَّةً مِنْ وقائعَ واستفتاءاتٍ وردَتْ على المُصنِّفِ ، فأحالَها علىٰ هـٰؤلاءِ العلماءِ الذينَ عزَّ نظيرُهُم في آنٍ واحدٍ[1] ، وهـٰذا ممَّا يدلُّ علىٰ حرصِ المُؤلِّفِ وورعِهِ وتثبُّتِهِ ، فأتحفَنا بهـٰذا الكتابِ النادرةِ .

تلامذته

رجعَ الشيخُ إلىٰ بلادِهِ بعدَ رحلتِهِ وأَخْذِهِ عن علماءِ عصرِهِ ؛ لأداءِ المُهمَّةِ في نشرِ الدِّينِ وتعاليمِهِ ، واستكمالِ مسيرةِ والدِهِ وجَدِّهِ ، فقامَ بتدريسِ العلومِ الشرعيَّةِ مدةً طويلةً ، ونشرَ مذهبَ السادةِ الشافعيَّةِ[2] ، ودرَّسَ في

---

(١) وقد جمع كتابه هـٰذا وأرَّخه كما ذكر في خاتمته (ص ١٠٧) : (تمت الأجوبة الصادرة من الأئمة العشرة قبل السنة السابعة والسبعين وتسع مئة من الهجرة) .

(٢) ومن المستغرب جدّاً كما أشار صاحب « تراجم علماء الشافعية في الديار الهندية » ←

المسجدِ الكبيرِ الفُنَّانيّ (مسجدِ جَدِّهِ) ثلاثاً وستِّينَ سنةً ، ولهُ آلافٌ مِنَ التلاميذِ الكبارِ الأجلَّاءِ ، في شتىٰ تلكَ البلادِ والأنحاءِ .

مِنْ أشهرِهِم : الشيخُ الإمامُ العلَّامةُ المرحومُ عبدُ الرَّحمـٰنِ المخدومُ الكبيرُ الفُنَّانيُّ .

ومنهُمُ : القاضي جمالُ الدِّينِ بنُ الشيخِ عثمانَ المعبريُّ الفُنَّانيُّ .

ومنهُمُ : العلَّامةُ القاضي سليمانُ القاهريُّ .

ومنهُمُ : العلَّامةُ القاضي عثمانُ لبَّا القاهريُّ ، وغيرُهُم كثيرٌ ، وهـٰذا غيضٌ مِنْ فيضِ بحرِ هـٰذا الإمامِ الهمامِ .

وقد تزوَّجَ رحمَهُ اللهُ تعالى امرأةً مِنْ أسرةِ مخاديمِ الفُنَّانيِّ ، وأنجبَ منها ثلاثةَ أبناءٍ : محمدٌ وعبدُ العزيزِ وأبو بكرٍ ، ولهُ بنتٌ واحدةٌ هيَ فاطمةُ ، رحمَ اللهُ الجميعَ .

مؤلفاته

لقد حملَ المُترجَمُ لهُ علىٰ كاهلِهِ الدعوةَ الإسلاميَّةَ إلىٰ بلادِهِ في القارَّةِ الهنديَّةِ ، وحازَ قَصَبَ السَّبْقِ في العلومِ ، فغدا منهلاً للواردينَ ، وملاذاً للمستفتينَ ، وحِصناً منيعاً للمسلمينَ ، وأدلُّ دليلٍ علىٰ ذٰلكَ : ما خلَّفَهُ مِنْ تُراثٍ يشهدُ بمكانتِهِ العلميَّةِ ، **وهـٰذا ذكرٌ لِما وصلَنا مِنْ أسماءِ مُؤلَّفاتِهِ** :

ـ الأجوبةُ العجيبةُ عنِ الأسئلةِ الغريبةِ ، وقد تكلَّمنا عليهِ قريباً .

← (ص ٧٣) : أن بروكلمان جعله حنفيّاً ؛ حيث أورد كتابه « قرة العين » تحت قائمة فقه الأحناف في الهند ، وهـٰذا الذي أوقع صاحب « معجم المؤلفين » في الخطأ نفسه . انظر « معجم المؤلفين » (١/٧٤١) .

ـ قُرَّةُ العينِ بمُهمَّاتِ الدِّينِ ، وهوَ مختصرٌ في فقهِ السادةِ الشافعيَّةِ [١] .

ـ فتحُ المُعينِ بشرحِ قُرَّةِ العينِ بمُهمَّاتِ الدِّينِ ، وهوَ شرحٌ للمتنِ السابقِ ، وقد كتبَ اللهُ القَبولَ والانتشارَ لهٰذا الكتابِ ، قالَ السيِّدُ البكريُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ في خاتمةِ حاشيتِهِ « إعانةِ الطالبينَ » في الكلامِ علىٰ دعاءِ المُؤلِّفِ أن يقبلَ اللهُ كتابَهُ ويعُمَّ النفعُ بهِ : (وقد أجابَ اللهُ المُؤلِّفَ بعينِ ما طلبَ ؛ فعمَّ النفعُ بالشرحِ المذكورِ شرقاً وغرباً ، وشاماً ويمناً ؛ وذٰلكَ لأنَّهُ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ مِنْ أكابرِ الصوفيَّةِ ، **وكانَ مُجابَ الدَّعوةِ** رضيَ اللهُ عنهُ ، ونفعَنا بترابِ أقدامِهِ ، آمينَ) [٢] .

وقدِ اهتمَّ العلماءُ بهٰذا الكتابِ ، وانتشرَ بينَ الطلَّابِ ، ونفعَ اللهُ بهِ وبشروحِهِ وحواشيهِ ، وممَّا يُشيرُ لأهمِّيتِهِ : أنَّ عدداً مِنْ علماءِ العربِ وغيرِ العربِ وضعوا عليهِ حواشيَ كثيرةً وشروحاً عديدةً [٣] .

ـ **إرشادُ العبادِ إلىٰ سبيلِ الرَّشادِ** ، وقد أشارَ المُؤلِّفُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ في كتابِهِ « فتحِ المُعينِ » عندَ الحديثِ على الذِّكرِ بعدَ الصَّلاةِ والدُّعاءِ فقالَ : (ووردَ فيهِما أحاديثُ كثيرةٌ ، وذكرتُ جملةً منها في كتابي « **إرشادِ العبادِ** » فاطلُبْهُ فإنَّه مُهِمٌّ) [٤] ، **وهوَ هٰذا الكتابُ الذي**

---

(١) ولكتاب « قرة العين » حاشية ألفها العلامة الشهير محمد نووي الجاوي ثم المكي ، وسماها : « نهاية الزين علىٰ قرة العين » .

(٢) إعانة الطالبين (٤/٣٤٣) .

(٣) من حواشي « فتح المعين » : « إعانة المستعين » للعلامة الفقيه باصبرين ، و« ترشيح المستفيدين » للسيد علوي السقاف رحمه الله تعالىٰ ، و« إعانة الطالبين » للسيد أبي بكر شطا الدمياطي ، و« حاشية الشيخ الشيرازي » للعلامة أحمد الشيرازي المليباري في ثلاثة أجزاء وغير ذٰلك من الشروح والحواشي .

(٤) فتح المعين (ص ١٢٧) .

أكرمَنا اللهُ بخدمتِهِ ، وشرَّفَنا بتحقيقِهِ ونشرِهِ ، نسألُ اللهَ قَبولَهُ والنفعَ بهِ .

- إحكامُ أحكامِ النِّكاحِ .

- المنهجُ الواضحُ شرحُ أحكامِ النِّكاحِ .

- الجواهرُ في عقوبةِ أهلِ الكبائرِ .

- مختصرُ « شرحِ الصدورِ في أحوالِ الموتىٰ وأهلِ القبورِ » للحافظِ السيوطيِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

- الفتاوى الهنديَّةُ .

- تحفةُ المجاهدينَ في بعضِ أخبارِ البرتغاليينَ ، وهوَ كتابٌ مُهِمٌّ ، ومَرجِعٌ أساسيٌّ للوصولِ إلىٰ معرفةِ تاريخِ مَلِيبارَ القديمِ ، ومعرفةِ أحوالِ الدياناتِ الوثنيَّةِ ، وكيفَ كانَ بدءُ دخولِ الإسلامِ وظهورِهِ ودخولِ العربِ المسلمينَ إليها ، ولذا احتلَّ الكتابُ مكانَ الصدارةِ ، وتُرجِمَ إلىٰ لغاتٍ عِدَّةٍ ، ونالَ اهتمامَ الباحثينَ .

وفاته

بعدَ حياةٍ مليئةٍ بالسفرِ والتَّسيارِ ، والتعلُّمِ والتعليمِ ، والتأليفِ والتصنيفِ ، والدَّعوةِ إلى اللهِ سبحانَهُ والإصلاحِ بينَ النَّاسِ . . لا بدَّ أن يلبِّيَ داعيَ المولىٰ سبحانَهُ .

وقدِ اختُلِفَ في تاريخِ وفاتِهِ كثيراً ، واضطربَتْ أقوالُ المؤرِّخينَ في ذٰلكَ ؛ كما بيَّنَ ذٰلكَ مُؤلِّفُ كتابِ « تراجمِ علماءِ الشافعيَّةِ في الدِّيارِ الهنديَّةِ » فقد نقلَ عنِ العلَّامةِ الشالياتيِّ في كتابِهِ « أسماءِ المؤلفينَ في

ديارِ مَلِيبارَ » في ترجمةِ الشيخِ زينِ الدِّينِ : (**ولم يتحرَّرْ سنةُ وفاتِهِ**) .

وهٰذا جرجي زيدان وبروكلمان والزركليُّ ـ ولعلَّ الأخيرَينِ متابعانِ للأوَّلِ ـ يقولونَ بأنَّهُ تُوفِّيَ سنةَ (٩٨٧ هـ) **وهوَ خطأٌ** ، **لا صحةَ لهُ أصلاً** ؛ لأنَّ المُترجَمَ لهُ تحدَّثَ في آخرِ كتابِهِ « تحفةِ المجاهدينَ » عن حوادثِ سنةِ (٩٩١ هـ) .

وهٰذا الأمرُ جعلَ الدكتورَ النمرَ المِصريَّ يقولُ بأنَّ وفاتَهُ سنةَ (٩٩١ هـ) ، كما ينقلُ الشيخُ محمد علي مسليار القولَ عينَهُ عن شمسِ اللهِ القادريِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

قالَ الشيخُ عبدُ النصيرِ المَلِيباريُّ في « تراجمِ علماءِ الشافعيَّةِ في الدِّيارِ الهنديَّةِ » : (والذي أراهُ صحيحاً فيما يتعلَّقُ بوفاةِ الشيخِ رحمَهُ اللهُ . . هوَ ما ذكرَهُ مُؤرِّخُ الهندِ الكبيرُ الشيخُ **محمد علي مسليار النَّلِّكوتيُّ** في كتابِهِ الجليلِ « تحفةِ الأخيارِ في تاريخِ علماءِ مَلِيبارَ » مِنْ أنَّهُ تُوفِّيَ عامَ « ١٠٢٨ هـ » فيكونُ قد عاشَ قرابةَ تسعينَ عاماً)[١] .

ثـمَّ عَلَّقَ علىٰ ذٰلكَ فقالَ : (وقدِ اعتمدتُ علىٰ قولِهِ ؛ لِمَا عهدتُ منهُ مِنْ خِبرةٍ دقيقةٍ فائقةٍ في « تاريخِ علماءِ مَلِيبارَ » ، ولكونِهِ منتمياً إلىٰ آلِ مخدومٍ ، فيكونُ أدرىٰ بحالِهِم مِنْ غيرِهِ ، واللهُ أعلمُ)[٢] .

ودُفِنَ هٰذا الإمامُ الكبيرُ ، والفقيهُ الشهيرُ ، والعَلَمُ النِّحريرُ . . بجوارِ المسجدِ الجامعِ بـ (كنجي فلي) في مِنطقةِ (شومبال) ، وقبرُ زوجتِهِ موجودٌ قربَ قبرِهِ ، وهوَ مشهورٌ بتلكَ البلادِ ، يُزارُ ويُتبرَّكُ بهِ .

---

(١) تراجم علماء الشافعية في الديار الهندية (ص ٨٠ ـ ٨١) .

(٢) المصدر السابق بالهامش .

رحـمَـهُ اللهُ تعـالىٰ رحـمـةَ الأبـرارِ ، وأنـزلَ علىٰ قبـرِهِ شآبيبَ الرَّحـمـةِ والرِّضوانِ ، وجعلَهُ مِنْ أهلِ الجِنانِ ، بجوارِ سيِّدِ ولدِ عدنانَ ، عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ ، وأحسنَ اللهُ خاتمتَنا وعاقبتَنا .

إنّه سميعٌ مجيب

وصف النسخ المعتمدة

اعتمدنا في إخراج هٰذا الكتاب المبارك علىٰ خمسٍ نسخ خطية ، ومطبوعة عتيقة ، هٰذا وصفها :

النسخةُ الأولىٰ : وهي نسخة مكتبة الأحقاف بتريم حضرموت اليمن ، ذات الرقم (١٥١٣) .

تتألف هٰذه النسخة من (٢١٢) ورقة ، وتتألف الورقة الواحدة من (١٩) سطراً ، ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد (١٠) كلمات تقريباً ، وخطها : نسخي معتاد .

وهي نسخة تامة كاملة ، مقابلة وعليها بعض الاستدراكات والهوامش ، جعل الناسخ الأبواب والفصول وبعض رؤوس الفقرات بالحمرة ، وأثبت عنوان الكتاب ، وأخطأ في اسم المؤلف ، فقال : (كتاب « إرشاد العباد إلىٰ سبيل الرشاد » ، للشيخ العلامة مخدوم عبد العزيز بن زين الدين المليباري[١] ، تغمده الله برحمته آمين ، آمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين) .

وجاء في خاتمتها : (قد وقع الفراغ من كتابته بوقت العصر ، من شهر جمادى الأولىٰ ، « ٢١ » في الشهر ، سنة « ١٢٥٧ » عام ألف ومئتين وسبع وخمسين ، علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والتسليم ، بخط أضعف عباد الله أجمعين : محمد بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن شهاب الدين ،

---

(١) وهو عمه كما سبق التنبيه عليه في ترجمة المؤلف (ص ١٦) .

العلوي نسباً ، والشافعي مذهباً ، والتريمي وطناً ، غفر الله لمؤجر هٰذا الكتاب وكاتبه ؛ آمين ، آمين) .

وعلىٰ ورقة العنوان تملك ووقف : (دخل في ملك الفقير إلى الله الغني به : حسين بن عبد الرحمٰن بن سهل عفا الله عنه ، من وقف السيد حسين بن سهل علىٰ تريم ونواحيها سنة « ١٢٧٥ ») .

ورمزنا لهٰذه النسخة بـ (أ) .

❋ ❋ ❋

النسخة الثانية : نسخة خزانة جامع بومباي بالهند ، رقم (٢٧٣) .

تتألف هٰذه النسخة من (١٩٠) ورقة ، وتتألف الورقة الواحدة من (١٥) سطراً ، ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد (١٢) كلمة تقريباً ، وخطها : نسخي جميل .

وهي نسخة كاملة ومقابلة ، وعليها فوائد وتفسير لبعض الكلمات ، وبعض الفوائد باللغة الفارسية ، وبآخرها فتوىٰ باللغة الفارسية ، زين الناسخ العناوين بالحمرة ، ووضع فوق الآية خطاً أحمر لتمييزها .

جاء في خاتمتها : (قد وقع الفراغ من كتابة هٰذا الكتاب ، بكرم الملك الوهاب ، المسمىٰ بـ « إرشاد العباد » بوقت العشاء ، من ليلة الاثنين ، من شهر محرم الحرام ، محرره خمسة عشر ، بسنة ألف [ومئتين] وثمان وخمسين [للهجرة] النبوية [(١)] ، [عليه] أفضل الصلاة وأزكى التحيات) .

---

(١) في النسخة الخطية : (ومئتان وثمان وخمسين هجرية النبوية) ، ولعله سبق قلم .

ورمزنا لهٰذه النسخة بـ (ب) .

❁ ❁ ❁

النسخة الثالثة : وهي نسخة مكتبة الأحقاف بتريم حضرموت اليمن ، ذات الرقم (١٥١١) .

تتألف هٰذه النسخة من (١٩٨) ورقة ، وتتألف الورقة الواحدة من (١٧) سطراً ، ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد (١٠) كلمات تقريباً ، وخطها : نسخي .

وهي نسخة كاملة ، أثبت الناسخ في أولها عنوان الكتاب ، وأخطأ في اسم المؤلف ، فنسبه لعبد العزيز المليباري ، وهو عم المؤلف رحمهما الله تعالىٰ ، وجعل العناوين بالحمرة .

وجاء في آخرها : (تم الكتاب بعون الملك الوهاب ، يوم الأحد « ٨ » شهر شعبان سنة « ١٢٧٢ » من هجرة المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم) .

وفي آخرها أيضاً تملُّكٌ تعرَّضَ للطمس .

ورمزنا لهٰذه النسخة بـ (ج) .

❁ ❁ ❁

النسخة الرابعة : وهي نسخة مكتبة الأحقاف أيضاً ، ذات الرقم (١٥١٠) .

وهي نسخة غير تامة ، بُترت من آخرها بعد أن تكلم عن (فصل في فضل مكة) ، ومع ذٰلك فهي نسخة مقابلة ومصححة ، ومشكولة الكلمات ، وخطها : نسخي ، وجعل الناسخ العناوين بالحمرة .

تتألف هٰذه النسخة من (١٤٣) ورقة ، وتتألف الورقة من (١٦) سطراً ، ومتوسط عدد كلمات السطر (٦) كلمات ، وخطها : نسخي معتاد .

أثبت الناسخ عنوان الكتاب فقال : (كتاب « إرشاد العباد إلىٰ سبيل الرشاد » تأليف الشيخ الإمام عبد العزيز بن مخدوم بن زين الدين بن علي اليعبري[1] المليباري ، نفعنا الله به وبعلومه وبركاته ، وأسراره وأنواره في الدارين ، ووالدينا وجميع المسلمين ، آمين ، آمين ، آمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم) .

ورمزنا لهٰذه النسخة بـ (د) .

❀ ❀ ❀

النسخةُ الخامسةُ : وهيَ نسخةُ مكتبةِ الأحقافِ بتريم حضرموت اليمن ، ذاتُ الرقمِ (١٥١٢) .

تتألفُ هٰذهِ النسخةُ مِنْ (١٢٠) ورقة ، وتتألفُ الورقةُ مِنْ (٢٣) سطراً ، ومتوسطُ عددِ كلماتِ السطرِ الواحدِ (١٢) كلمةً تقريباً ، وخطُّها : نسخيٌّ جيدٌ .

وهيَ نسخةٌ جيدةٌ ، لٰكنَّها ناقصةُ الآخرِ بعدةِ ورقاتٍ ، وأثبتَ الناسخُ عنوانَ الكتابِ وأخطأَ في اسمِ المؤلِّفِ كسابقيهِ ، وجعلَ العناوينَ بالحمرةِ .

وعلىٰ طرَّةِ المخطوطِ فوائدُ ونفائسُ ذكرنا المهم منها .

---

(١) كذا في المخطوط ، ولعله سبق قلم عن : (المعبري) .

ورمزنا لهٰذهِ النسخةِ بـ (هـ) .

❁ ❁ ❁

النسخة السادسة : وهي نسخة مطبوعة عتيقة ، طبعت في المطبعة الوهبية سنة (١٢٩٦ هـ) وبهامشها كُتيِّبٌ لطيف مختصر يتضمن أحاديث وآثاراً ومواعظ تتعلق بالموت وما بعده للمؤلف أيضاً .

وجعل عنوان الكتاب « إرشاد العباد إلىٰ سُبُل الهدىٰ والرشاد » للإمام الفاضل ، والهمام الواصل ، الشيخ زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين المليباري نفع الله به ، آمين .

والصواب : أن عبد العزيز عمه كما أسلفنا .

تتألف هٰذه النسخة من (١٨٤) صفحة .

وجاء في خاتمتها : (بحول الله وقوته طُبع الكتاب المستجاد ، المسمىٰ بـ « إرشاد العباد إلىٰ سُبُل الرشاد » الجامع لمهمات الدين ، الموضح لمسالك المهتدين ، فلله درُّ مؤلفه المُؤلِّف لشَمْل السنة الغرَّاء ، في حسن صنيعه علىٰ منوال « الإحياء » ، فتراه قد بيَّن الرشد من الغي ، وأُوتي في هٰذا الصنيع من كل شي ، واقتطف من أزهار حكايات السلف ، وكرع من أنهار من اقتفىٰ آثارهم ممَّن خلف .

وبالجملة : فهو كتاب نافع في الدين والدنيا ، حافل بمحاسن الآداب ؛ التي من استمسك بها . . تناول الثريا ، وقد سهل إليه الوصول ، ولاحت عليه بطبعه مخايل القَبول .

وقد التزم طبعه بالمطبعة الوهبية حضرة ذوي الشيم المرضية ، من إليهما

المجد يُسنَدُ : الحاج أبو طالب الميمني والحاج فدا محمد ، وقد صححتُهُ مشاركاً لجليسي ، الشيخ محمد البلبيسي .

وكان الفراغ من طبعه الحسن النظام ، في مستهل ذي القعدة سنة « ١٢٩٦ » من هجرته ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، آمين) .

❋ ❋ ❋

منهج العمل في الكتاب

كانت مراحل إخراج هـٰذا الكتاب النافع باتباع الخطوات التالية :

ـ نسخنا الكتاب وقابلناه على النسخ الثلاث ، واستعنا بالنسخة الرابعة وبالمطبوعة العتيقة ، وأثبتنا مغايرات النسخ التي لها أهمية أو فائدة ، أو تعطي معنىً آخر للعبارة .

ـ جعلنا الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾ ، وأثبتناها برسم المصحف الشريف من قراءة حفص عن عاصم رحمهما الله تعالىٰ ، وذكرنا اسم السورة ورقم الآية في الهامش .

ـ أحلنا الأحاديث النبوية الشريفة والأخبار والآثار إلىٰ ما عزاه إليه المؤلف دون الاستفاضة ، وكثيراً ما اعتمد المؤلف عبارة الكتابين اللذين جعلهما أساسَ كتابه ؛ وهما : « الزواجر عن اقتراف الكبائر » ، و« مرشد الطلاب » .

ـ خرَّجنا معظم نقولات المؤلف من مظانها ، وأكثر القصص والحكايات منقولة من « روض الرياحين » للإمام اليافعي رحمه الله تعالىٰ ، ومن « الرسالة القشيرية » ، أو « تنبيه الغافلين » للسمرقندي ، أو « مرشدِ الطلابِ » وهوَ مخطوطٌ لجدِّ المؤلفِ .

ـ أضفنا ما رأيناه مناسباً ليستقيم النص ، معتمدين علىٰ مصادر المؤلف والنسخة المطبوعة العتيقة ، وميزناه بـ [ ] .

ـ وشَّينا النص بعلامات الترقيم المناسبة ، وضبطناه بالحركات الإعرابية ؛ خدمة للقارئ وتليينًا للنص .

وفي الختام :

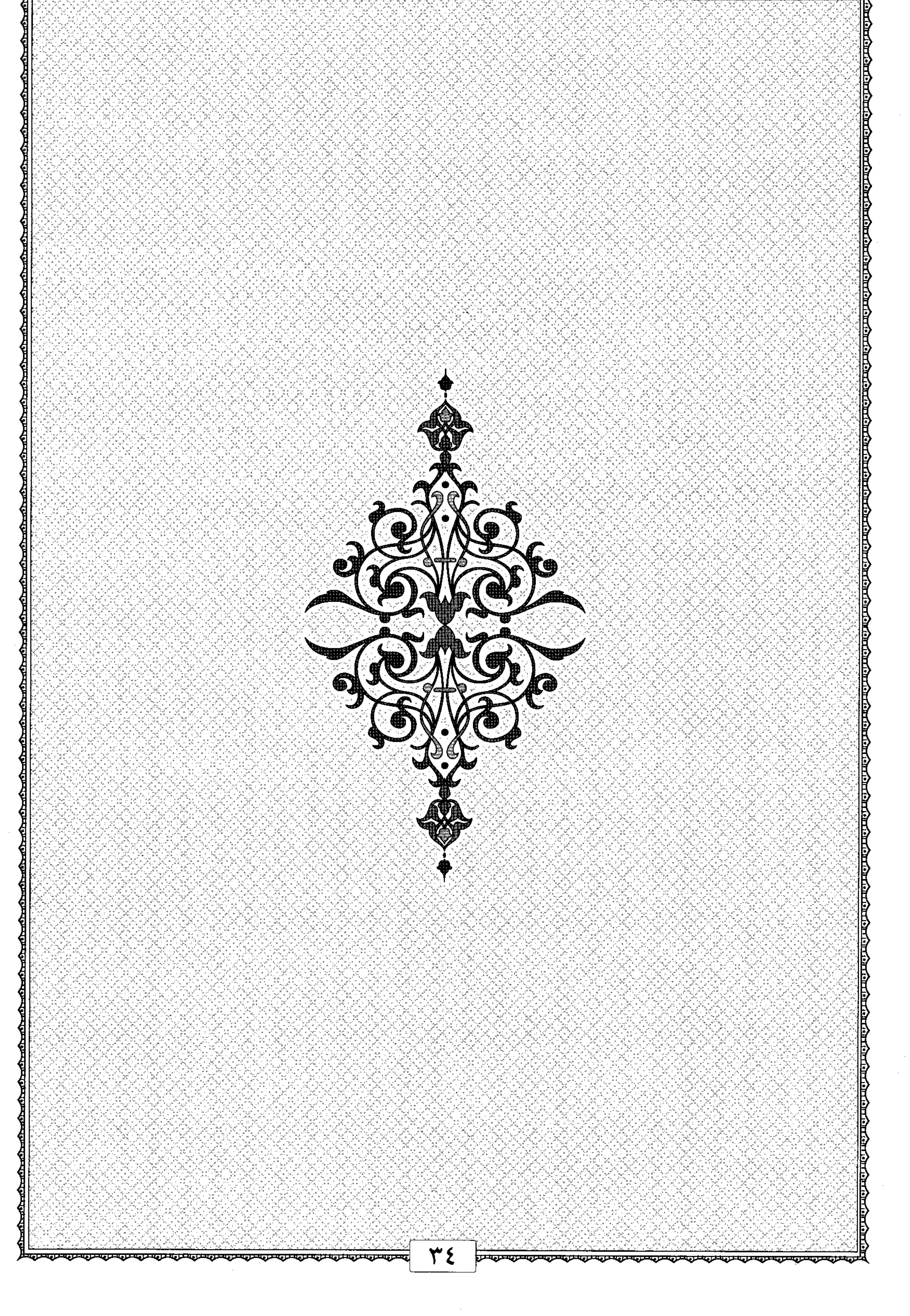
هٰذا جهد المقل ؛ فإن أحسنَّا . . فبفضل من الله ، وإن أسأنا . . فمن أنفسنا ونستغفر الله ، ونسأل الله القبول والنفع بهٰذا الكتاب وجميع ما يجريه سبحانه علىٰ أيدينا ، وأن يقيمنا فيما يحب ويرضىٰ .

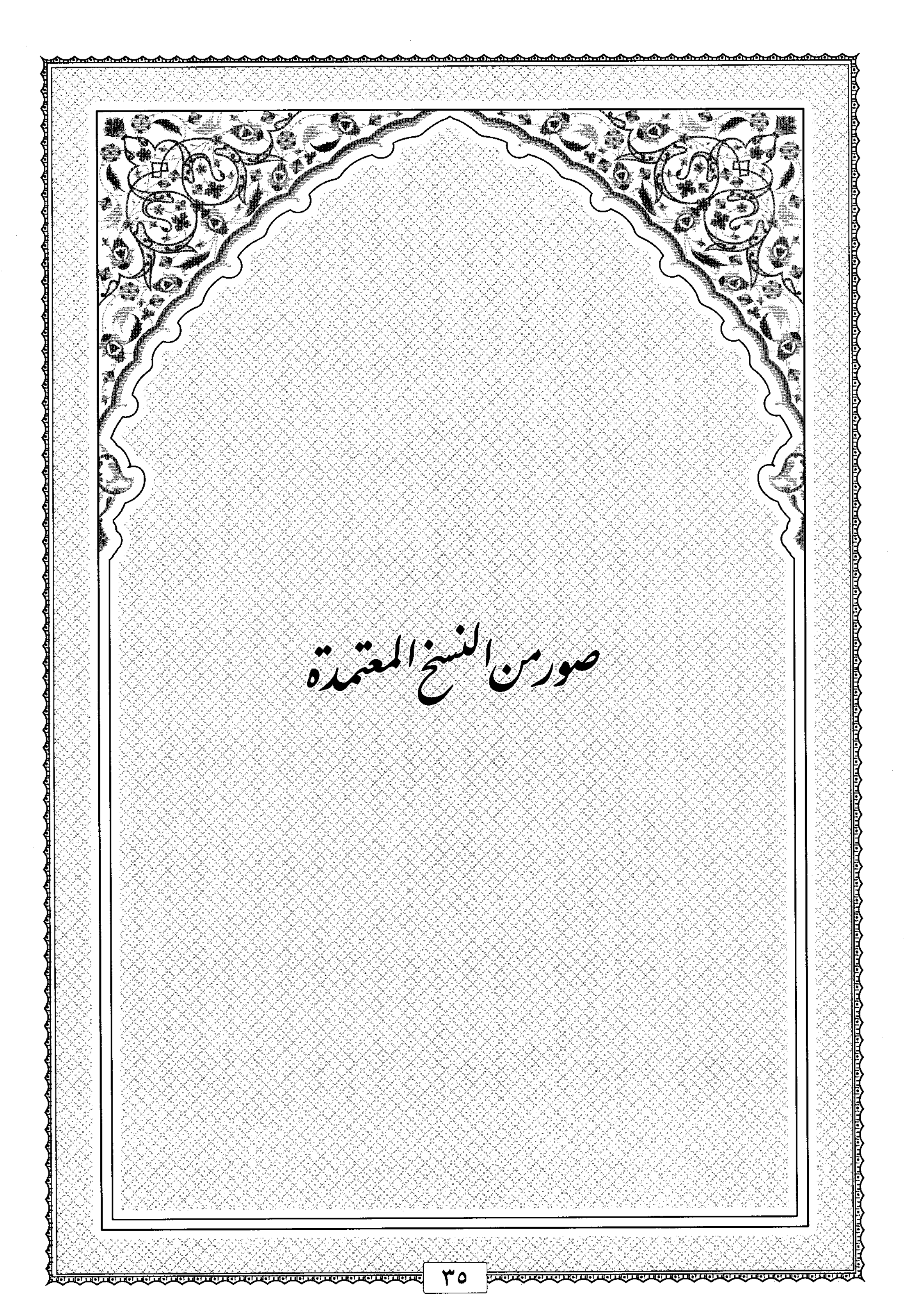
والحمد لله رب العالمين

وكتبه

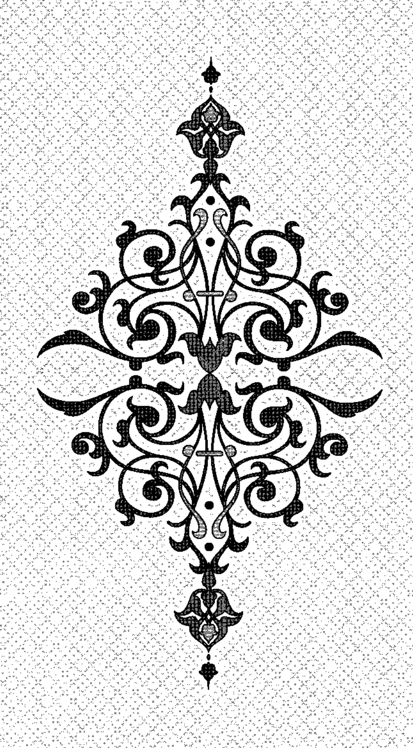
قصي محمد نورس الحلاق

(٤) جمادى الأولىٰ (١٤٣٩ هـ)





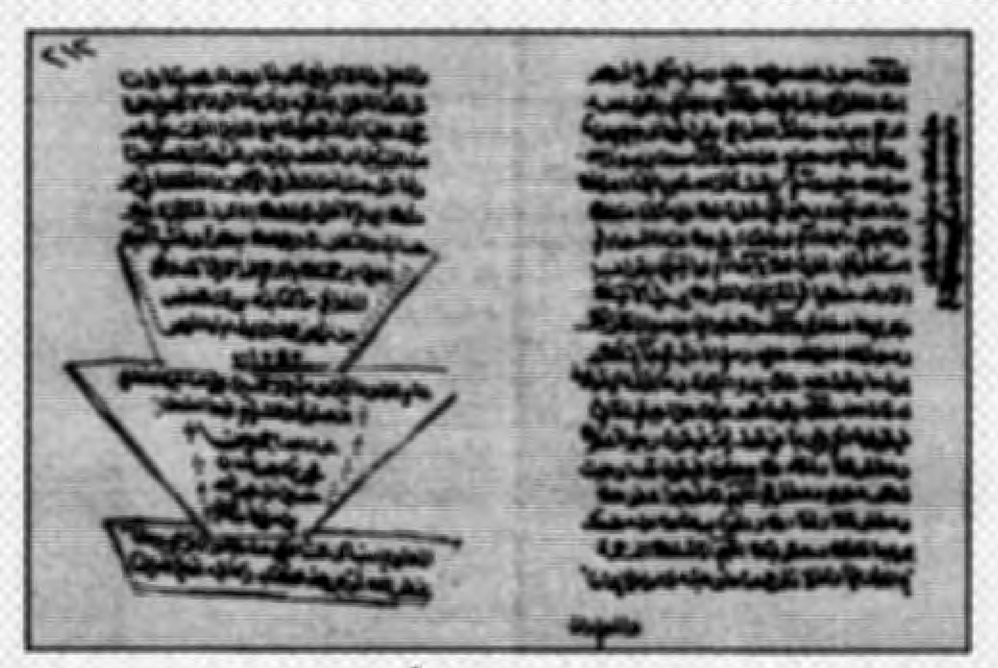
صور من النسخ المعتمدة



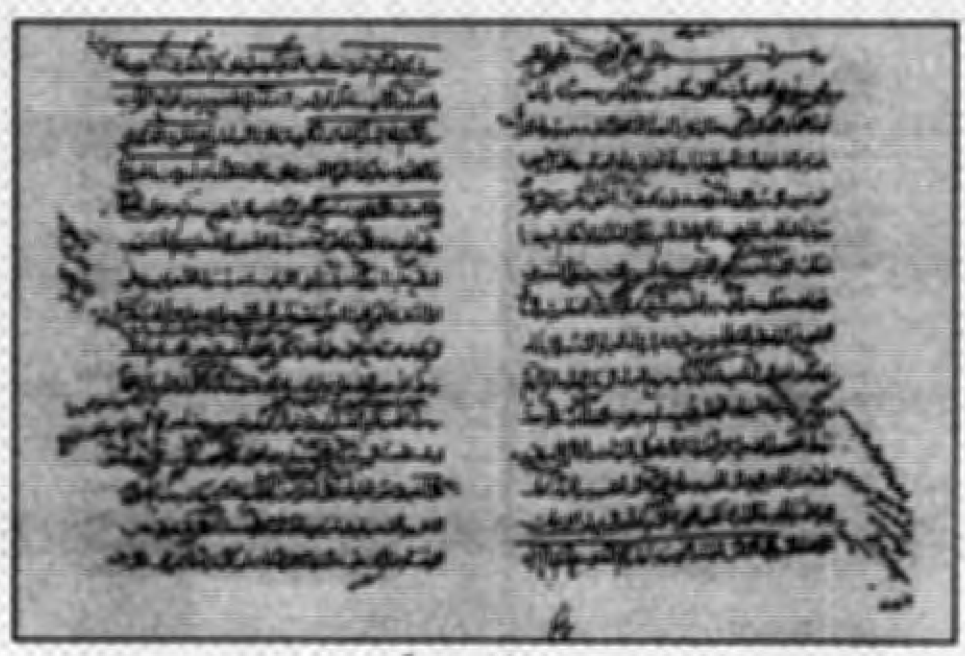


راموز ورقة العنوان للنسخة (أ)

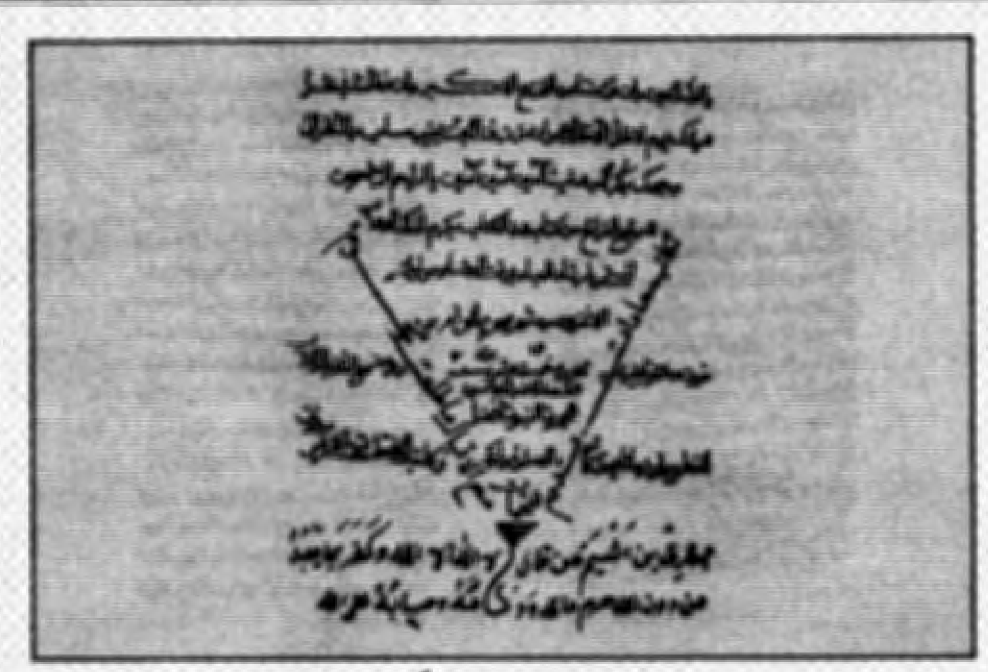
راموز الورقة الأولى للنسخة (أ)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة (أ)



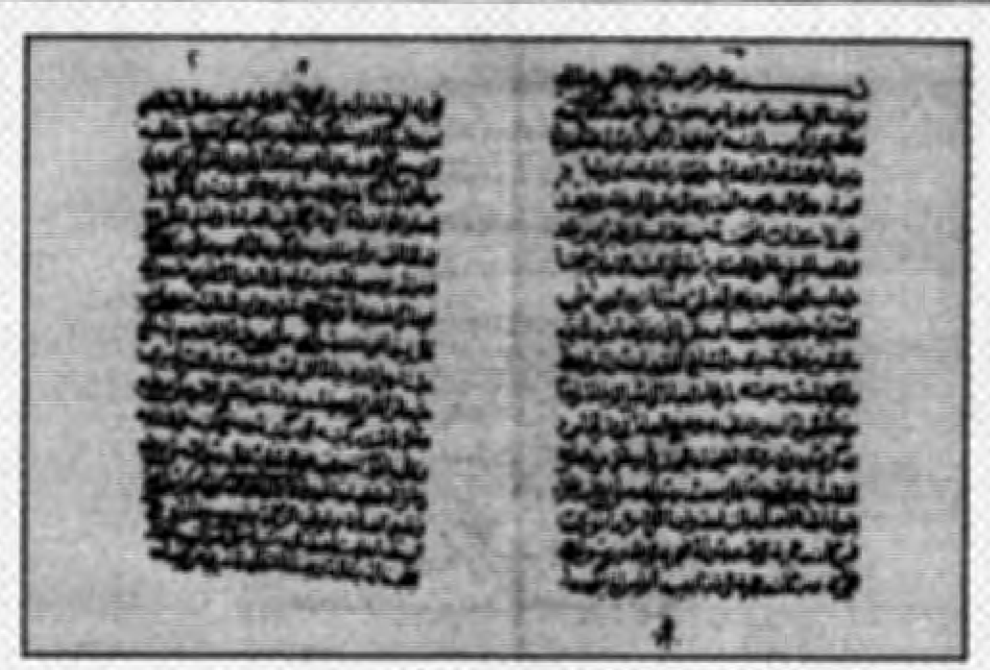
راموز الورقة الأولى للنسخة (ب)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ب)



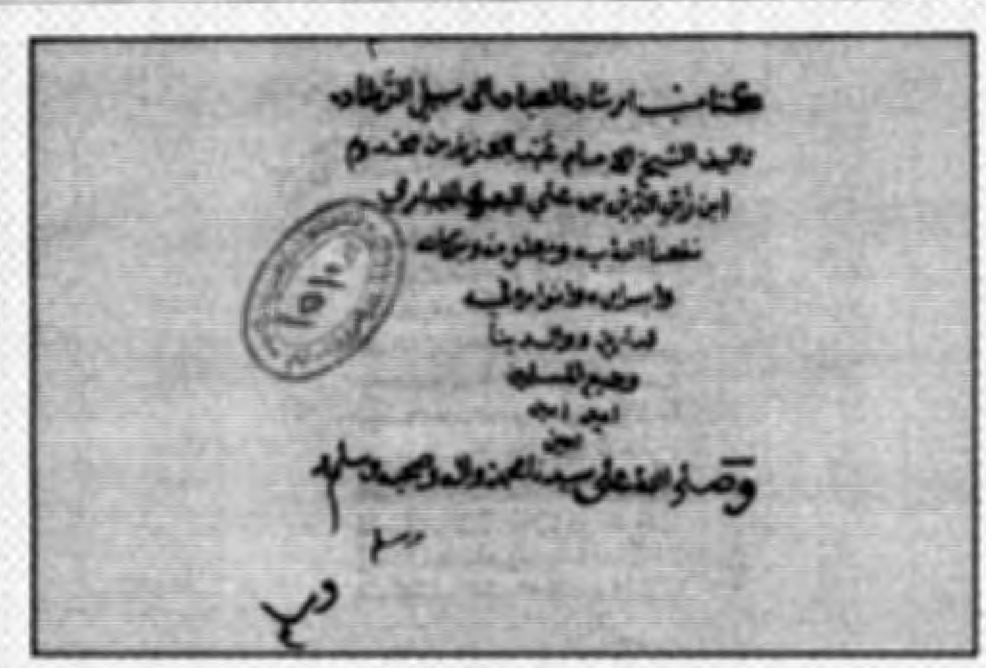
راموز ورقة العنوان للنسخة (ج)



راموز الورقة الأولى للنسخة (ج)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ج)


كتاب إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

راموز ورقة العنوان للنسخة (د)

راموز الورقة الأولى للنسخة (د)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة (د)



راموز ورقة العنوان للنسخة (هـ)

راموز الورقة الأولى للنسخة (هـ)

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (هـ)

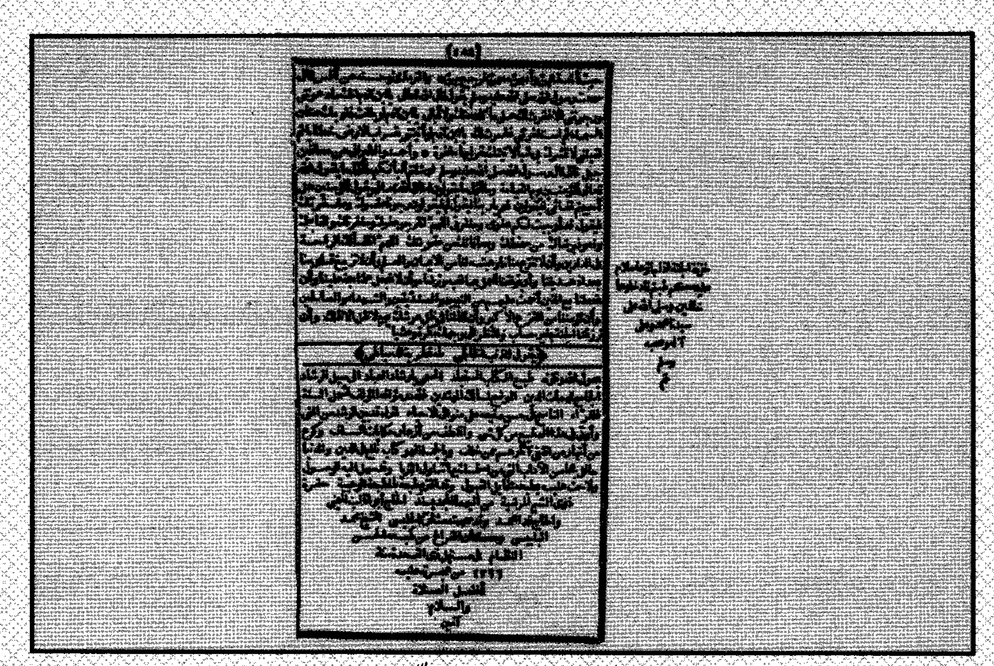
إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد للإمام الفاضل
والهمام الواصل الشيخ زين الدين
ابن عبد العزيز بن زين الدين
المليباري نفع
الله به
آمين

وبهامشه مختصر جليل يتضمن أحاديث
وآثارا ومواعظ تتعلق بالموت وما بعده
لمؤلفه رحمه الله تعالى آمين

راموز ورقة العنوان للنسخة المطبوعة

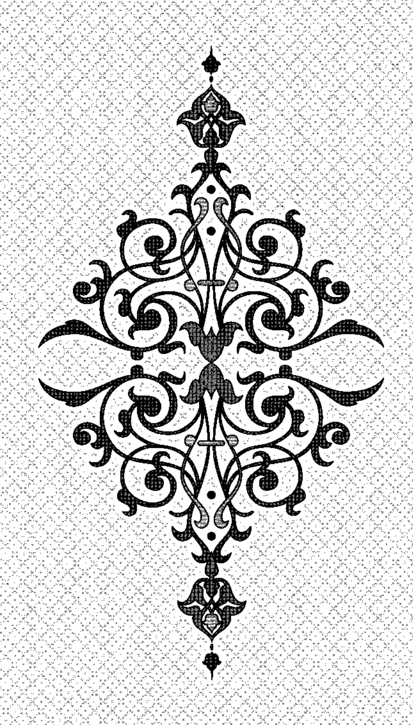


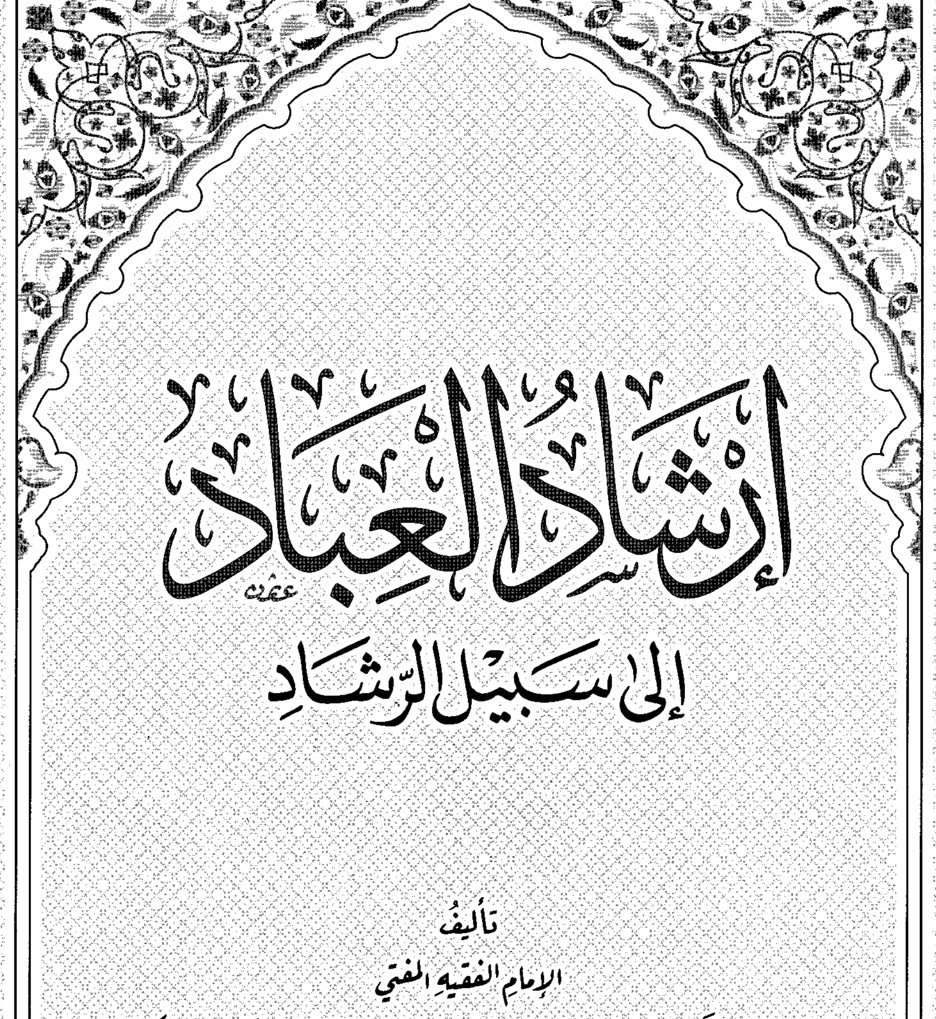
راموز الورقة الأولى للنسخة المطبوعة



راموز الورقة الأخيرة للنّسخة المطبوعة

* * *





إرشاد العباد

إلى سبيل الرشاد

تأليف

الإمام الفقيه المفتي

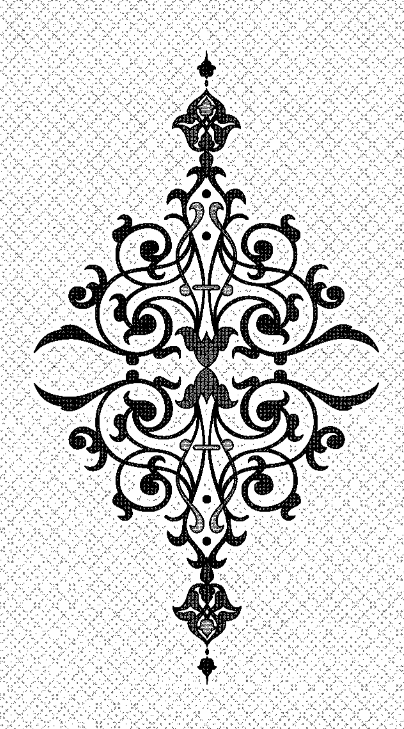
زين الدين أحمد بن محمد الغزالي ابن زين الدين المخدوم الكبير

الفناني الهنديّ الشّافعيّ

زين الدين المليباريّ

رحمه الله تعالى

(٩٣٨ - ١٠٢٨هـ)



مقدّمة الكتاب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ [1]

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

الحمدُ للهِ الذي أرشدَنا إلىٰ طاعتِهِ ، وزجرَنا عن معصيتِهِ ، وأشهدُ أن لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ إقراراً بوحدانيَّتِهِ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ [2] اعترافاً بنبوَّتِهِ .

والصَّلاةُ والسلامُ علىٰ مَنْ أرسلَهُ اللهُ لإرشادِ العبادِ ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ المهتدينَ الهادينَ إلىٰ سبيلِ الرَّشادِ [3] .

وبعد :

فهـٰذا كتابٌ انتخبتُهُ مِنْ كتابَي : « الزَّواجرِ » و« مرشدِ الطلَّابِ » لشيخَيْ مشايخِ الإسلامِ ، مَلِكَيِ العلماءِ الأعلامِ ؛ شيخِنا شهابِ الدِّينِ أحمدَ ابنِ حجرٍ الهيتميِّ ، وجَدِّنا زينِ الدِّينِ بنِ عليٍّ المَعْبَريِّ ، رضيَ اللهُ عنهُما ، وحشرَنا في زمرتِهِما ، وزدتُ فيهِ ما تيسَّرَ مِنَ الأحاديثِ والمسائلِ الفقهيَّاتِ ، والمواعظِ والحكاياتِ ، وسمَّيتُهُ بـ :

« إرشاد العباد إلىٰ سبيل الرَّشاد » [4]

---

(١) زاد في (ب) على البسملة : (ربِّ يسِّر وتمِّم بالخير) .

(٢) في (ج ، د ، هـ) : (وأشهد أن محمداً رسول الله) .

(٣) في (أ ، ب ، هـ) : (إلىٰ سُبُل الرشاد) .

(٤) في (ب ، ط ، هـ) : (إلىٰ سُبل الرشاد) .

راجياً مِنَ اللهِ الجوادِ ، أن يرشدَني بهِ وجميعَ العبادِ ، إلىٰ دارِ الخلودِ ؛ إنَّهُ كريمٌ ودودٌ .

❁ ❁ ❁

روى الشيخانِ البخاريُّ ومسلمٌ عن عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِنَّمَا ٱلْأَعْمَالُ بِٱلنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مَا نَوَىٰ ؛ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ . . فَهِجْرَتُهُ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ ٱمْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا . . فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ »[1] .

❁ ❁ ❁

---

(١) صحيح البخاري (١) ، وصحيح مسلم (١٩٠٧) ، وفي (ب) : (لدنيا يصيبها) وهي موافقة لرواية مسلم .

باب الإيمان

قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ ﴾ أي : وحِّدوا ﴿ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ عقابَهُ ، ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ ﴾ أي : خلقَ ﴿ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا ﴾ أي : بساطاً يُفترَشُ ، ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ ﴾ أي : سقفاً ، ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ﴾ أنواعِ ﴿ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا ﴾ أي : شركاءَ في العبادةِ ، ﴿ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (١) : أنَّهُ الخالقُ ولا يَخلُقونَ ، ولا يكونُ إلـٰهاً إلَّا مَنْ يَخلُقُ .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ﴾ (٢) ؛ أي : ناراً شديدةً .

[مراتبُ الدِّينِ : الإسلامُ والإيمانُ والإحسانُ]

وأخرجَ مسلمٌ عن عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : بينَما نحنُ عندَ رسولِ اللهِ (٣) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذاتَ يومٍ . . إذ طلعَ علينا رجلٌ ، شديدُ بياضِ الثيابِ ، شديدُ سوادِ الشَّعرِ ، لا يُرىٰ عليهِ أثرُ السفرِ ، ولا يعرفُهُ منَّا أحدٌ ، حتىٰ جلسَ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأسندَ ركبتَيهِ إلىٰ ركبتَيهِ ، ووضعَ كفَّيهِ علىٰ فخذَيهِ ، وقالَ : يا محمدُ ؛ أخبِرْني عنِ الإسلامِ ؟

---

(١) سورة البقرة : (٢١ ـ ٢٢) .

(٢) سورة الفتح : (١٣) .

(٣) في النسخة المطبوعة زيادة : (نحن جلوس) وليست في النسخ الخطية ، ولا في « صحيح مسلم » ولا في « الأربعين النووية » ، فليتنبه لذٰلك .

فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْإِسْلَامُ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللهِ ، وَتُقِيمَ ٱلصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ ٱلزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ ٱلْبَيْتَ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً » قالَ : صدقتَ ، قالَ : فعجبنا لهُ يسألُهُ ويُصدِّقُهُ !!

قالَ : فأخبِرْني عنِ الإيمانِ ؟ قالَ : « أَنْ تُؤْمِنَ بِٱللهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ، وَبِٱلْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » قالَ : صدقتَ .

قالَ : فأخبِرْني عنِ الإحسانِ ؟ قالَ : « أَنْ تَعْبُدَ ٱللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ . . فَإِنَّهُ يَرَاكَ » .

قالَ : فأخبِرْني عنِ الساعةِ ـ أي : عن زمنِ وجودِ يومِ القيامةِ ـ قالَ : « مَا ٱلْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ ٱلسَّائِلِ » .

قالَ : فأخبِرْني عن أماراتِها ؟[1] قالَ : « أَنْ تَلِدَ ٱلْأَمَةُ رَبَّتَهَا ـ أي : سيّدتَها ، يعني : يكثرُ عقوقُ الأولادِ لأمَّهاتِهم ، فيعاملونَهُنَّ معاملةَ السيّدِ أمتَهُ ؛ مِنَ الإهانةِ والسبِّ ـ وَأَنْ تَرَى ٱلْحُفَاةَ ٱلْعُرَاةَ ٱلْعَالَةَ رِعَاءَ ٱلشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي ٱلْبُنْيَانِ » يعني : يصيرُ الأسافِلُ كالملوكِ .

ثـمَّ انطلقَ فلبثتُ مليّاً ـ أي : زماناً كثيراً[2] ـ ثـمَّ قالَ : « يَا عُمَرُ ؛ أَتَدْرِي مَنِ ٱلسَّائِلُ ؟ » قلتُ : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ ، قالَ : « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ ؛ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ »[3] .



---

(١) في (أ) : (عن أمارتها) ، وهي رواية الإمام مسلم .

(٢) وكان ذلك ثلاثة أيام ، هـٰكذا جاء مبيناً في رواية أبي داوود (٤٦٦٢) ، والترمذي (٢٦١٠) وغيرهما .

(٣) صحيح مسلم (٨) .

قالَ التاجُ السُّبكيُّ : (**الإسلامُ** : أعمالُ الجوارحِ ، ولا يُعتبَرُ إلَّا معَ الإيمانِ ، **والإيمانُ** : تصديقُ القلبِ ، ولا يُعتبَرُ إلَّا معَ التلفُّظِ بالشهادتَينِ)[1] .

ونقلَ النوويُّ في « شرحِ مسلمٍ » اتفاقَ أهلِ السنَّةِ مِنَ المُحدِّثينَ والفقهاءِ والمُتكلِّمينَ علىٰ : أنَّ مَنْ آمنَ بقلبِهِ ولم ينطقْ بلسانِهِ معَ قُدرتِهِ . . كانَ مُخلَّداً في النَّارِ . انتهىٰ[2] .

[ما يُشترَطُ لإسلامِ الكافرِ]

واعلمْ : أنَّهُ يُشترَطُ في إسلامِ كلِّ كافرٍ التلفظُ بالشهادتَينِ ، لا إتيانُ لفظِ (أشهدُ) ، فالأظهرُ : الاكتفاءُ بـ (لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ، محمدٌ رسولُ اللهِ) وهوَ مقتضىٰ كلامِ « الرَّوضةِ »[3] ، لـٰكنِ الذي اعتمدَهُ بعضُ المُتأخِّرينَ اشتراطَهُ ، وهوَ مقتضىٰ كلامِ « العُبابِ »[4] :

فعليهِ : لو قالَ : (أعلمُ) أو أسقطَهُما فقالَ : (لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ، محمدٌ رسولُ اللهِ) . . لم يكنْ مسلماً .

ولبعضِ أئمَّتِنا رأيٌ ثالثٌ ؛ وهوَ : اشتراطُ (أشهدُ) أو مرادفِها كـ (أعلمُ) ، فينبغي لكلِّ مَنْ يُسلِمُ الاحتياطُ ؛ بأن يقولَ : (أشهدُ أن لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ) .

ومعنىٰ (أشهدُ) : أعلمُ وأُبيِّنُ .

ويُشترَطُ ترتيبُهُما ؛ فلا يصحُّ الإيمانُ بالنبيِّ قبلَ الإيمانِ باللهِ ، لا

---

(١) انظر « جمع الجوامع » (ص ٧٠) .

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (١٤٩/١) بنحوه .

(٣) روضة الطالبين (٥٠٩/٦) ، وذكر فيها مسائل وصوراً كثيرة .

(٤) العباب المحيط (ص ١٣٩٥) .

الموالاةُ بينَهُما ، ولا العربيةُ وإن أحسنَها ، لٰكنْ يُشترَطُ فهمُ معنىٰ ما تَلفَّظَ بهِ ؛ وهوَ : أنَّهُ لا معبودَ بحقٍّ في الوجودِ إلَّا اللهُ المُتفرِّدُ بالأُلوهيَّةِ .

ويُشترَطُ أن يزيدَ المُشرِكُ : كفرتُ بما كنتُ أشركتُ بهِ ، [وأنا بريءٌ مِنْ كلِّ دينٍ يخالفُ دينَ الإسلامِ ؛ فلا يصيرُ المُشرِكُ مؤمناً حتىٰ يضمَّ إلى الشهادتَينِ ذٰلكَ ؛ كما في « الرَّوضةِ » و« العُبابِ »[1] ، وقيلَ : لا يجبُ زيادةُ ذٰلكَ][2] .

[معنى الإيمانِ باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ]

واعلمْ : أنَّ الإيمانَ باللهِ : اعتقادُ أنَّهُ واحدٌ لا نظيرَ لهُ في ذاتِهِ وصفاتِهِ ، ولا شريكَ لهُ في الألوهيَّةِ ـ وهيَ استحقاقُ العبادةِ ـ وأنَّهُ قديمٌ لا ابتداءَ لوجودِهِ ، وباقٍ لا انتهاءَ لأبديَّتِهِ .

وبالملائكةِ : اعتقادُ أنَّهم مُكرَمونَ ، لا يعصونَ اللهَ ما أمرَهُم ويفعلونَ ما يُؤمرونَ ، صادقونَ فيما أخبروا بهِ .

وبالكتبِ : اعتقادُ أنَّها كلامُ اللهِ الأزليُّ ، القائمُ بذاتِهِ ، المُنزَّهُ عنِ الحروفِ والصوتِ ، وأنَّ كلَّ ما تضمَّنَتْهُ حقٌّ ، وأنَّ اللهَ تعالىٰ أنزلَها علىٰ بعضِ رُسلِهِ بألفاظٍ حادثةٍ في ألواحٍ ، أو علىٰ لسانِ المَلَكِ .

وبالرُّسلِ : اعتقادُ أنَّ اللهَ أرسلَهُم إلى الخَلقِ ، ونزَّهَهُم عن كلِّ وصمةٍ ونقصٍ ؛ فهُم معصومونَ مِنَ الصغائرِ والكبائرِ ، قبلَ النبوَّةِ وبعدَها .

وباليومِ الآخِرِ ـ وهوَ مِنَ الموتِ إلىٰ آخِرِ ما يقعُ ـ : اعتقادُ وجودِهِ ، وما

---

(١) انظر « روضة الطالبين » (٦/٥٠٩) وما بعدها ، و« العباب المحيط » (ص ١٣٩٦) .

(٢) ما بين معقوفين زيادة من المطبوع .

اشتملَ عليهِ ؛ مِنْ سؤالِ المَلكَينِ ، ونعيمِ القبرِ وعذابِهِ ، والبعثِ والجزاءِ ، والحسابِ والميزانِ والصراطِ ، والجنَّةِ والنَّارِ .

وبالقَدَرِ : اعتقادُ أنَّ ما قدَّرَهُ اللهُ تعالىٰ في الأزلِ . . لا بدَّ مِنْ وقوعِهِ ، وما لم يُقدِّرْهُ . . يستحيلُ وقوعُهُ ، وأنَّهُ تعالىٰ قدَّرَ الخيرَ والشرَّ قبلَ خلقِ الخَلقِ ، وأنَّ جميعَ الكائناتِ بقضائِهِ وقَدَرِهِ .

[مِنْ فضائلِ التهليلِ]

وأخرجَ أحمدُ والحاكمُ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ » قيلَ : وكيفَ نُجدِّدُ إيمانَنا يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ »[1] .

والشيخانِ عن [عِتْبانَ] بنِ مالكٍ[2] : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ قَدْ حَرَّمَ عَلَى ٱلنَّارِ مَنْ قَالَ : (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ) يَبْتَغِي بِذَٰلِكَ وَجْهَ ٱللهِ »[3] .

وابنُ عساكرَ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « حَدَّثَنِي جِبْرِيلُ قَالَ : يَقُولُ ٱللهُ تَعَالَىٰ : (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ) حِصْنِي ؛ فَمَنْ دَخَلَهُ . . أَمِنَ مِنْ عَذَابِي »[4] .

والطبرانيُّ عن أبي الدَّرداءِ : « لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ : (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ) مِئَةَ مَرَّةٍ . . إِلَّا بَعَثَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ كَٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ ،

---

(١) أخرجه الحاكم (٢٥٦/٤) ، وأحمد (٣٥٩/٢) .

(٢) في النسخ كلها : (عثمان بن مالك) ، والمثبت من « الصحيحين » .

(٣) صحيح البخاري (٤٢٥) ، وصحيح مسلم (٢٦٣/٣٣) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة ، بعد الحديث (٦٥٧) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١١٥/٧) .

وَلَمْ يُرْفَعْ لِأَحَدٍ يَوْمَئِذٍ عَمَلٌ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِهِ ، إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ أَوْ زَادَ »[1] .

وابنُ ماجه عن أمِّ هانئٍ رضيَ اللهُ عنها : « لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ . . لَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ ، وَلَا تَتْرُكُ ذَنْباً »[2] .

والترمذيُّ والنَّسائيُّ عن جابرٍ : « أَفْضَلُ ٱلذِّكْرِ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَأَفْضَلُ ٱلدُّعَاءِ : ٱلْحَمْدُ لِلهِ »[3] .

[عِظمُ كِفَّةِ الميزانِ وأجرِ مَنْ وحَّدَ الرَّحمـٰنَ]

والنَّسائيُّ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « قَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : يَا رَبِّ ؛ عَلِّمْنِي شَيْئاً أَذْكُرُكَ بِهِ ، فَقَالَ : قُلْ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ ؛ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَـٰذَا !! إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئاً تَخُصُّنِي بِهِ .

فَقَالَ : يَا مُوسَىٰ ؛ لَوْ أَنَّ ٱلسَّمَاوَاتِ ٱلسَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَٱلْأَرَضِينَ ٱلسَّبْعَ جُعِلْنَ فِي كِفَّةٍ ، وَلَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ فِي كِفَّةٍ . . لَمَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ »[4] .

وأبو يعلىٰ عن أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ وعن ذُرِّيَّتِهِ : « عَلَيْكُمْ بِـ (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ) وَٱلِٱسْتِغْفَارِ ، وَأَكْثِرُوا مِنْهُمَا ؛ فَإِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ : أَهْلَكْتُ ٱلنَّاسَ بِٱلذُّنُوبِ ، وَأَهْلَكُونِي بِـ (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ) وَٱلِٱسْتِغْفَارِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ

---

(١) أخرجه الطبراني في « مسند الشاميين » (٩٩٤) .

(٢) سنن ابن ماجه (٣٩٥١) .

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (١٠٥٩٩) .

(٤) سنن النسائي الكبرىٰ (١٠٦٠٢) .

ذَٰلِكَ . . أَهْلَكْتُهُمْ بِٱلْأَهْوَاءِ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ »[1] .

وابنُ أبي الدُّنيا والبيهقيُّ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « حَضَرَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ رَجُلاً يَمُوتُ ، فَشَقَّ أَعْضَاءَهُ ، فَلَمْ يَجِدْهُ عَمِلَ خَيْراً ، ثُمَّ شَقَّ قَلْبَهُ ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ خَيْراً ، فَفَكَّ لَحْيَيْهِ ، فَوَجَدَ طَرَفَ لِسَانِهِ لَاصِقاً بِحَنَكِهِ يَقُولُ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، فَغُفِرَ لَهُ بِكَلِمَةِ ٱلْإِخْلَاصِ »[2] .

وأبو داوودَ وأحمدُ عن معاذٍ : « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ . . دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ »[3] .

نسألُ اللهَ الكريمَ الودودَ أن يَختِمَ كلامَنا بكلمةِ التوحيدِ .

[حكايةٌ عجيبةٌ في إسلامِ أُسْقُفِّ النصارىٰ]

وحكىٰ إمامُنا محمدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (رأيتُ بمكةَ نصرانياً يُدعىٰ بالأُسْقُفِّ وهوَ يطوفُ بالكعبةِ ، فقلتُ لهُ : ما الذي رغبَ بكَ عن دينِ آبائِكَ ؟ فقالَ : بُدِّلتُ خيراً منهُ ، فقلتُ : كيفَ كانَ ذٰلكَ ؟

فحكىٰ لي : أنَّهُ ركبَ البحرَ ، قالَ : فلمَّا توسَّطْنا فيهِ . . انكسرَ المَركَبُ ، فسَلِمتُ علىٰ لوحٍ ، فما زالتِ الأمواجُ تُدافِعُني حتىٰ رمَتْني في جزيرةٍ مِنْ جزائرِ البحرِ ، فيها أشجارٌ كثيرةٌ ، ولها أثمارٌ أحلىٰ مِنَ الشَّهْدِ ، وألينُ مِنَ الزُّبْدِ ، وفيها نهرٌ جارٍ عذبٌ .

---

(١) مسند أبي يعلىٰ (١٣٦) .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٩٨٤) ، وابن أبي الدنيا في « المحتضرين » (٩) .

(٣) سنن أبي داوود (٣١٠٧) ، ومسند أحمد (٥/٢٣٣) .

قالَ : فقلتُ : الحمدُ للهِ علىٰ ذٰلكَ ؛ آكلُ مِنْ هـٰذا الثمرِ ، وأشربُ مِنْ هـٰذا النهرِ حتىٰ يأتيَ اللهُ تعالىٰ بالفرَجِ .

فلمَّا ذهبَ النهارُ وجاءَ اللَّيلُ . . خِفْتُ علىٰ نفسي مِنَ الدَّوابِّ ، فعلَوتُ شجرةً ونمتُ علىٰ غصنٍ ؛ فلمَّا كانَ في وَسَطِ اللَّيلِ . . فإذا بدابَّةٍ علىٰ وجهِ الماءِ ، تُسبِّحُ اللهَ تعالىٰ بلسانٍ فصيحٍ : لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ الغفَّارُ ، محمدٌ رسولُ اللهِ النبيُّ المختارُ[1] .

فلمَّا وصلَتِ الدَّابَّةُ إلى البَرِّ . . إذا رأسُها رأسُ نعامةٍ ، ووجهُها وجهُ إنسانٍ ، وقوائمُها قوائمُ بعيرٍ ، وذَنَبُها ذَنَبُ سمكةٍ ، فخِفْتُ علىٰ نفسي الهَلَكَةَ ، فنزلتُ مِنَ الشجرةِ وولَّيتُ منها هارباً .

فالتفتَتْ إليَّ وقالَتْ : قفْ وإلَّا . . هلكتَ ، فوقفتُ ، فقالَتْ لي : ما دينُكَ ؟ فقلتُ : النصرانيَّةُ .

فقالَتْ : ويحَكَ يا خاسرُ !! ارجعْ إلى الحنيفيَّةِ ؛ فإنَّكَ قد حللتَ بفِناءِ قومٍ مِنْ مؤمني الجِنِّ ، لا ينجو منهُم إلَّا مسلمٌ .

فقلتُ : وكيفَ الإسلامُ ؟ قالَتْ : تشهدُ أن لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ ، فقلتُها .

ثم قالَتِ الدَّابَّةُ : تريدُ المُقامَ هنا أمِ الرجوعَ إلىٰ أهلِكَ ؟ فقلتُ : الرجوعَ إلىٰ أهلي .

---

(١) في « بستان الواعظين » زيادة : (أبو بكر الصديق صاحبه في الغار ، عمر الفاروق مفتاح الأمصار ، عثمان القتيل في الدار ، علي سيف الله على الكفار ، فعلىٰ مبغضهم لعنة الجبار ، ومأواهم جهنم وبئس القرار ، فلم تزل تكرر هـٰذه الكلمات حتىٰ إذا طلع الفجر . . قالت : لا إلـٰه إلا الله الصادق الوعد والوعيد . . .) .

فقالَتْ : امكُثْ مكانَكَ حتىٰ يجتازَ بكَ مَركَبٌ ، فمكثتُ مكاني ونزلَتِ الدَّابَّةُ في البحرِ ، فما غابَتْ عن عيني حتىٰ مَرَّ مَركَبٌ ورُكَّابٌ ، فأشرتُ إليهِم فحملوني ؛ فإذا في المَركَبِ اثنا عشرَ رجلاً كلُّهُم نصارىٰ ، فأخبرتُهُم خبري ، وقصصتُ عليهِم قِصَّتي ، فأسلموا كلُّهُم)[1] .

[قصَّةُ مَلِكٍ تابَ بعدَ تمرُّدِهِ علىٰ ربِّهِ]

وحكى الشيخُ عبدُ اللهِ اليافعيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ في كتابِهِ « روضِ الرَّياحينِ » : (أنَّهُ كانَ في الأممِ الماضيةِ مَلِكٌ تَمرَّدَ علىٰ ربِّهِ ، فغزاهُ المسلمونَ ، فأخذوهُ أسيراً ، فقالوا : بأيِّ قِتْلةٍ نقتلُهُ ؟ فاجتمعَ رأيُهُم علىٰ أن يجعلوا لَهُ قُمْقُماً عظيماً ، ويجعلوهُ فيهِ[2] ، ويُوقَدَ تحتَهُ النارُ ، ولا يقتلوهُ حتىٰ يُذيقوهُ طعمَ العذابِ ، ففعلوا ذٰلكَ بهِ .

فجعلَ يدعو آلهتَهُ واحداً بعدَ واحدٍ : يا فلانُ ؛ إنَّما كنتُ أعبدُكَ ، أنقذْني ممَّا أنا فيهِ .

فلمَّا رأى الآلهةَ لا تُغني عنهُ شيئاً . . رفعَ رأسَهُ إلى السماءِ وقالَ : لا إلٰهَ إلَّا اللهُ ، ودعا مُخلِصاً ، فصبَّ اللهُ عليهِ مَثْعَبَ ماءٍ مِنَ السماءِ[3] ، فأطفأَ تلكَ النَّارَ ، وجاءَتْ ريحٌ فاحتملَتْ ذٰلكَ القُمْقُمَ وجعلَتْ تدورُ بهِ بينَ السماءِ والأرضِ ؛ وهوَ يقولُ : لا إلٰهَ إلَّا اللهُ ، فقذفَتْهُ إلىٰ قومٍ لا يعبدونَ اللهَ عزَّ وجلَّ ؛ وهوَ يقولُ : لا إلٰهَ إلَّا اللهُ .

---

(١) ذكر القصة الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ في « بستان الواعظين » (ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧) .

(٢) القمقم : إناء من نحاس يُسخَّن فيه الماء ، ويكون ضيق الرأس .

(٣) مثعب ماء ؛ أي : مسيل ماء كالميزاب ونحوه ، وفي (أ ، ج) : (شعب ماء) وفي (د) : (شعبة ماء) .

فاستخرجوهُ وقالوا : ويحَكَ ؛ ما لكَ ؟! فقالَ : أنا مَلِكُ بني فلانٍ ، كانَ مِنْ أمري وخبري كيتَ وكيتَ . . . وقصَّ عليهِمُ القصَّةَ ، فآمنوا)[1] .

[الفِداءُ مِنَ النَّارِ بسبعينَ ألفاً من كلمة التوحيد]

وحكىٰ أيضاً فيهِ : عنِ الشيخِ أبي يزيدَ القرطبيِّ قالَ[2] : (سمعتُ في بعضِ الآثارِ : مَنْ قالَ : « لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ » سبعينَ ألفَ مرةٍ . . كانَتْ لهُ فداءً مِنَ النَّارِ ، فعملتُ علىٰ ذٰلكَ رجاءَ بركةِ الوعدِ ، فعملتُ منها لأهلي ، وعملتُ منها أعمالاً ادَّخرتُها لنفسي .

وكانَ إذ ذاكَ يبيتُ معَنا شابٌّ يُقالُ : إنَّه يُكاشَفُ في بعضِ الأوقاتِ بالجنَّةِ والنَّارِ ، وكانَتِ الجماعةُ ترىٰ لهُ فضلاً علىٰ صِغَرِ سِنِّهِ ، وكانَ في قلبي منهُ شيءٌ .

فاتفقَ أنِ استدعانا بعضُ الإخوانِ إلىٰ منزلِهِ ، فنحنُ نتناولُ الطعامَ والشابُّ معَنا ؛ إذ صاحَ صيحةً مُنكَرةً ، واجتمعَ في نفسِهِ وهوَ يقولُ : يا عمِّ ؛ هـٰذهِ أمِّي في النَّارِ !! وهوَ يصيحُ بصياحٍ عظيمٍ ، لا يشكُّ مَنْ يسمعُهُ أنَّهُ عن أمرٍ .

فلمَّا رأيتُ ما بهِ مِنَ الانزعاجِ . . قلتُ في نفسي : اليومَ أُجرِّبُ صدقَهُ ، فألهمَني اللهُ السبعينَ ألفاً ، ولم يَطَّلِعْ علىٰ ذٰلكَ أحدٌ إلَّا اللهُ ، فقلتُ في نفسي : الأثرُ حقٌّ ، والذينَ رَوَوهُ صادقونَ ، اللهمَّ ؛ إنَّ هـٰذهِ السبعينَ الألفَ فداءُ هـٰذهِ المرأةِ أمِّ هـٰذا الشابِّ ، فما استتممتُ الخاطرَ في

---

(١) روض الرياحين في حكايات الصالحين (ص ٢٢٥) رقم الحكاية (٢١٠) .

(٢) في (ب ، ج ، هـ) : (عن الشيخ أبي زيد . . .) وهو موافق لما ذكره الإمام اليافعي في « الإرشاد والتطريز » (ص ٢٦٩) ، والمثبت موافق لما في « روض الرياحين » .

نفسي . . إلَّا أن قالَ : يا عمّ ؛ ها هيَ أُخرِجَتْ مِنَ النَّارِ ، الحمدُ للهِ)[1] .

فَصْلٌ

في الرِّدَّةِ

هيَ أفحشُ أنواعِ الكفرِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[2] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[3] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[4] .

وأخرجَ ابنُ ماجه والبيهقيُّ عن أبي الدَّرداءِ قالَ : أوصاني خليلي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَنْ لَا تُشْرِكْ بِٱللهِ شَيْئاً وَإِنْ قُطِّعْتَ وَحُرِّقْتَ ، وَلَا تَتْرُكْ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّداً ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّداً . . فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ٱلذِّمَّةُ ، وَلَا تَشْرَبِ ٱلْخَمْرَ ؛ فَإِنَّهُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ »[5] .

والطبرانيُّ : « مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ . . فَٱقْتُلُوهُ ، وَلَا يَقْبَلُ ٱللهُ تَوْبَةَ عَبْدٍ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ »[6] ؛ أي : ما دامَ مُصِرّاً علىٰ كفرِهِ .

---

(١) روض الرياحين (ص ٣٣٥) رقم الحكاية (٣٤٨) ، ثم قال : (فحصلت لي الفائدتان : إيماني بصدق الأثر ، وسلامتي من الشاب وعلمي بصدقه ، رضي الله عنهما) .

(٢) سور النساء : (١١٦) .

(٣) سورة المائدة : (٧٢) .

(٤) سورة البقرة : (٢١٧) .

(٥) أخرجه ابن ماجه (٤١٩٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٢٠٠) .

(٦) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٤١٩/١٩) عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .

والشافعيُّ والبيهقيُّ : « مَنْ غَيَّرَ دِينَهُ . . فَٱضْرِبُوا عُنُقَهُ »[1] ، أعاذَنا اللهُ منها بمنِّهِ وكرمِهِ .

[مِنْ أنواعِ الرِّدَّةِ]

واعلمْ أنَّ مِنْ أنواعِها : أن يَعزِمَ مُكلَّفٌ مختارٌ على الكفرِ في زمنٍ قريبٍ أو بعيدٍ ، أو يتردَّدَ فيهِ ، أو يُعلِّقَهُ باللِّسانِ أوِ القلبِ علىٰ شيءٍ ولو محالاً عقليّاً . . فيكفرَ حالاً .

أو يعتقدَ ما يوجبُهُ ، أو يفعلَ أو يتلفَّظَ بما يدلُّ عليهِ معَ اعتقادٍ أو عنادٍ أوِ استهزاءٍ ؛ كأن يعتقدَ قِدَمَ العالَمِ أوِ الرُّوحِ ، أو حُدوثَ الصانعِ .

أو ينفيَ ما هوَ ثابتٌ للهِ تعالىٰ بالإجماعِ ؛ كالعلمِ والقدرةِ ، أو يُثبِتَ ما هو منفيٌّ عنهُ بالإجماعِ كاللَّونِ .

❁ ❁ ❁

أو يعتقدَ وجوبَ غيرِ واجبٍ ؛ كصلاةٍ سادسةٍ وصومِ غيرِ رمضانَ ، أو يَشُكَّ في تكفيرِ اليهودِ والنصارىٰ .

أو كأن يسجدَ لمخلوقٍ ؛ كصنمٍ وشمسٍ ، أو يمشيَ إلى الكنائسِ معَ أهلِها بزيِّهم مِنَ الزَّنانيرِ وغيرِها ، أو يُلقيَ ورقةً فيها شيءٌ مِنَ القرآنِ ، أوِ العلمِ الشرعيِّ ، أوِ اسمِ اللهِ تعالىٰ ، أوِ اسمِ نبيٍّ أو مَلَكٍ . . في مُستقذَرٍ ولو طاهراً ؛ كبزاقٍ أو مخاطٍ ، أو يُلطِّخَ ذٰلكَ أو مسجداً بنجَسٍ ولو معفوّاً عنهُ .



---

(١) أخرجه مالك في « الموطأ » (٢/٧٣٦) ، والشافعي من طريقه في « مسنده » (١١٣٥) ، والبيهقي من طريقهما (٨/١٩٥) برقم (١٦٩٠٢) عن زيد بن أسلم رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

أو كأن يُنكِرَ نبوَّةَ نبيٍّ أُجمِعَ عليها ، أو إنزالَ كتابٍ كذٰلكَ ؛ كالتوراةِ والإنجيلِ وزبورِ داوودَ وصحفِ إبراهيمَ ، أو آيةً مِنَ القرآنِ مُجمَعاً عليها ؛ كـ (المُعوِّذتَينِ) .

أو يُنكِرَ وجوبَ واجبٍ أو نَدْبَ مندوبٍ ، أو تحريمَ حرامٍ ، أو تحليلَ حلالٍ أُجمِعَ عليها وعُلِمَ مِنَ الدِّينِ ضرورةً ؛ كركعةٍ مِنْ إحدى المكتوباتِ وصومِ رمضانَ ، وكالرَّواتبِ وصلاةِ العيدِ ، وكشربِ الخمرِ ، والزِّنا واللِّواطِ ، ووطءِ الحائضِ ، وإيذاءِ مسلمٍ ، وأخذِ مَكْسٍ ورباً ورِشوةٍ ، وصلاةٍ بلا وضوءٍ ، وكالبيعِ والنكاحِ[1] .

أو يُنكِرَ إعجازَ القرآنِ ، أو صحبةَ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، أوِ البعثَ أوِ الجنَّةَ أوِ النَّارَ .

أو كأن يُكذِّبَ نبيّاً أو يستخِفَّ بهِ أو بمَلَكٍ ، أو يسبَّهُما ولو تعريضاً ، أو يقذفَ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها ، أو يدَّعيَ النبوَّةَ ، أو يُصدِّقَ مُدَّعيَها .

أو كأن يرضىٰ بالكفرِ ؛ كإكراهِ مسلمٍ عليهِ ، أو إشارتِهِ عليهِ بهِ[2] ، أو إشارتِهِ علىٰ كافرٍ بألَّا يُسلِمَ وإن لم يَسْتشِرْهُ ، وكمنعِ تلقينِ كافرٍ كلمةَ الإسلامِ إذا طلبَهُ ، أوِ استمهالِهِ منهُ ولو ساعةً ، بخلافِ الدُّعاءِ بنحو : (لا رزقَهُ اللهُ الإيمانَ) ، أو : (سلبَهُ عن فلانٍ المسلمِ) إن أرادَ تشديدَ الأمرِ ، لا الرضا بهِ .



(١) هٰذا مثال لقوله : (أو تحليل حلال) كالبيع والنكاح ؛ أي : أن ينكر تحليل حلال .

(٢) في (د) : (أو إشارته عليه أو به) .

أو كأن يُفَضِّلَ الوليَّ على النبيِّ ، أو يُجوِّزَ بعثةَ نبيٍّ بعدَ نبيِّنا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

أو كأن يقولَ : (إنَّهُ رأى اللهَ عِياناً في الدُّنيا ، أو كلَّمَهُ شِفاهاً) ، أو : (إنَّ اللهَ يَحُلُّ في صورةٍ حسنةٍ) ، أو : (إنَّهُ يُطعِمُهُ ويَسقيهِ) ، أو أسقطَ عنهُ التمييزَ بينَ الحلالِ والحرامِ ، أو : (إنَّ العبدَ يصلُ إلى اللهِ مِنْ غيرِ طريقِ العُبوديَّةِ) ، أو : (إنَّهُ وصلَ رتبةً سقطَ بها عنهُ التكليفُ) كالصَّلاةِ والصَّومِ وغيرِهِما .

❁ ❁ ❁

وكذا يكفرُ مَنْ سَخِرَ باسمٍ مِنْ أسماءِ اللهِ تعالىٰ أو نبيِّهِ ، أو بأمرِهِ أو نهيِهِ ، أو بوعدِهِ أو وعيدِهِ ، أو صَغَّرَ اسمَ اللهِ تعالىٰ أو وَصْفَهُ ؛ كـ (اللهُ مُلَيكٌ) .

أو غيَّرَ شيئاً مِنَ القرآنِ ، أو زادَ كلمةً فيهِ مُعتقِداً أنَّها منهُ ، أو بسملَ عندَ شُربِ خمرٍ أو زناً ؛ استخفافاً باسمِ اللهِ تعالىٰ .

❁ ❁ ❁

أو قالَ : (لو أمرَني اللهُ ورسولُهُ بكذا . . لم أفعلْهُ) ، أو : (إنَّهُ لو أعطاني الجنَّةَ . . ما دخلتُها) استخفافاً أو عِناداً ، أو : (لو آخذَني بتركِ الصَّلاةِ معَ ما بي مِنَ الشدَّةِ والمرضِ . . ظلمَني) ، أو : (لو شهدَ عندي نبيٌّ أو مَلَكٌ . . ما صدَّقتُهُ) .

أو قالَ : (المُؤذِّنُ يَكذِبُ) ، أو : (صوتُهُ كالجرسِ) وأرادَ تشبيهَهُ بناقوسِ الكفرةِ ، أوِ الاستخفافَ بالأذانِ .



أو قالَ مُستخِفّاً : (شبعتُ مِنَ القرآنِ ، أوِ الصَّلاةِ ، أوِ الذِّكرِ) ، أو : (لا أخافُ القيامةَ) ، أو : (أيُّ شيءٍ المحشرُ ، أو جهنَّمُ ؟!) ، أو : (أيَّ شيءٍ عملتُ ؟!) وقدِ ارتكبَ معصيةً ، أو : (أيَّ شيءٍ أعملُ بمجلسِ العلمِ) وقد أُمِرَ بحضورِهِ ، أو : (قَصْعةُ ثريدٍ خيرٌ مِنَ العلمِ) ، أو : (لعنةُ اللهِ علىٰ كلِّ عالِمٍ) إن لم يُرِدْ بهِ الاستغراقَ ، وإلَّا . . لم يُشترَطِ الاستخفافُ ؛ لشمولِهِ الأنبياءَ والملائكةَ .

أو تَشبَّهَ بالعلماءِ أوِ الوُعَّاظِ أوِ المُعلِّمينَ علىٰ هيئةٍ مُزْريةٍ بحضرةِ جماعةٍ حتىٰ يضحكوا أو يلعبوا ؛ استخفافاً ، أو ألقىٰ فتوىٰ عالِمٍ .

أو قالَ : (أيُّ شيءٍ هٰذا الشرعُ ؟!) إن قصدَ الاستخفافَ .

❀ ❀ ❀

أو تمنَّىٰ كفراً ثمَّ إسلاماً ؛ حتىٰ يُعطىٰ دراهمَ مثلاً ، أو : ألَّا يُحرِّمَ اللهُ ما لم يكنْ حلالاً في زمنٍ قطُّ ؛ كالزِّنا والظلمِ والقتلِ ، أو نَسَبَ اللهَ إلى الجَورِ في التحريمِ ، أو قالَ في المَكْسِ ونحوِهِ : (إنَّهُ حقُّ السلطانِ) مُعتقِداً أنَّهُ حقٌّ .

ومَنْ لبسَ زِيَّ كافرٍ ميلاً لدينِهِ ، أو ضَلَّلَ الأمَّةَ ، أو سبَّ الشيخَينِ ، أو الختنَينِ (١) .



(١) في (أ) : (أو سب الشيخين ، أو الحسن أو الحسين) ، وفي (ج) : (أو سب الشيخين أو الختنين ، أو الحسن والحسين) ، وفي (د) : (الشيخين : أبا بكر وعمر ، أو الحسن والحسين ، أو عثمان وعلياً) ، وقال العلامة ابن حجر رحمه الله تعالىٰ في « الإعلام بقواطع الإسلام » (ص ١٢٣) وهو يتكلم عن « تعليقة القاضي حسين » : (وصوابها ـ أي : النسخة ـ : الختنين ؛ بمعجمة ففوقية فنون ؛ يعني : عثمان وعلياً رضي الله تعالىٰ عنهما) .

ومَنْ قيلَ لهُ : (ما الإيمانُ ؟) فقالَ : (لا أدري) استخفافاً ، أو : (ألستَ مسلماً ؟) فقالَ : (لا) عمداً ، أو : (لِمَ لا تأمرُ بالمعروفِ ، ولِمَ لا تنهىٰ عنِ المنكرِ ؟) فقالَ : (ما لي بهٰذا الفضولِ) ، أو : (قَلِّمْ أظفارَكَ ؛ فهوَ سُنَّةٌ) ، فقالَ استهزاءً بها : (لا أفعلُ وإن كانَ سُنَّةً) .

❋ ❋ ❋

ومَنْ قالَ لمُحَوقِلٍ : (الحَوقَلَةُ لا تُغني مِنْ جوعٍ) ، أو لِمَنْ شَمَّتَ كبيراً[1] بـ « يرحمُكَ اللهُ » : (لا تقلْ هٰكذا) قاصداً أنَّهُ غنيٌّ عنِ الرَّحمةِ ، أو : (أنتَ أجلُّ مِنْ أن يُقالَ لهُ ذٰلكَ) .

أو لِمَنْ فعلَ قبيحاً شرعاً ؛ كقتلِ السارقِ وضربِ المسلمِ ظلماً : (أحسنتَ)[2] ، أو لزوجتِهِ : (أنتِ أحبُّ إليَّ مِنَ اللهِ ورسولِهِ) ، وأرادَ محبَّةَ التعظيمِ لا الميلِ .

أو لمسلمٍ : (يا كافرُ) بلا تأويلٍ ، أو قالَ لهُ : (دَعِ العباداتِ الظاهرةَ ؛ الشأنُ في عملِ الأسرارِ) .

❋ ❋ ❋

ومَنْ قالَ : (إنَّهُ يُوحَىٰ إليهِ) وإن لم يَدَّعِ نبوَّةً ، أو : (إنَّهُ يدخلُ الجنَّةَ ويأكلُ مِنْ ثمارِها ويُعانِقُ الحورَ قبلَ موتِهِ) ، أو : (إنَّ النبوَّةَ مُكتسَبةٌ) ، أو : (إنَّ مرتبتَها تُنالُ بصفاءِ القلبِ) ، أو : (إن صدقَ الأنبياءُ فيما قالوهُ . . نجَونا) ، أوِ : (اللهُ يعلمُ أنِّي فعلتُ كذا)

---

(١) في (أ ، هـ) : (لمن شمت كثيراً) .

(٢) أي : كأن قال لمن قتل السارق بعد أن سرق : أحسنت ؛ لأن فرضه قطع اليد فقط ، أو قال ذٰلك لمن أهان مسلماً بالضرب ظلماً .

وهوَ كاذبٌ فيهِ ، أو : (مُطِرْنا بنجمِ كذا) مريداً أنَّ للنَّجمِ تأثيراً فيهِ .

❁ ❁ ❁

ومَنْ قالَ : (إنَّ نبيَّنا محمداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ أسودَ ، أو ليسَ بقرشيٍّ ، أو عربيٍّ ، أو إنسيٍّ) ، أو : (لا أدري أهوَ الذي بُعِثَ بمكةَ ، أو ماتَ بالمدينةِ) .

أعاذَنا اللهُ مِنَ الكفرِ ، وحمانا ممَّا يجرُّ إليهِ .

[غلامٌ يُعلِّمُ النَّاسَ العقيدةَ]

وروىٰ مسلمٌ عن صهيبٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ ، فَلَمَّا كَبِرَ . . قَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي قَدْ كَبِرتُ ، فَٱبْعَثْ إِلَيَّ غُلَاماً أُعلِّمْهُ ٱلسِّحْرَ .

فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَاماً يُعَلِّمُهُ ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ ، فَأَعْجَبَهُ ، وَكَانَ إِذَا أَتَى ٱلسَّاحِرَ . . مَرَّ بِٱلرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا أَتَى ٱلسَّاحِرَ . . ضَرَبَهُ ، فَشَكَا ذَٰلِكَ إِلَى ٱلرَّاهِبِ ، فَقَالَ : إِذَا خَشِيتَ ٱلسَّاحِرَ . . فَقُلْ : حَبَسَنِي أَهْلِي ، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ . . فَقُلْ : حَبَسَنِي ٱلسَّاحِرُ .

فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ . . إِذْ أَتَىٰ عَلَىٰ دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ ، قَدْ حَبَسَتِ ٱلنَّاسَ ، فَقَالَ : ٱلْيَوْمَ أَعْلَمُ ٱلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ ٱلرَّاهِبُ أَفْضَلُ ؟ فَأَخَذَ حَجَراً فَقَالَ : ٱللَّهُمَّ ؛ إِنْ كَانَ أَمْرُ ٱلرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ ٱلسَّاحِرِ . . فَٱقْتُلْ هَٰذِهِ ٱلدَّابَّةَ حَتَّىٰ يَمْضِيَ ٱلنَّاسُ ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا ، وَمَضَى ٱلنَّاسُ .

فَأَتَى ٱلرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ ٱلرَّاهِبُ : أَيْ بُنَيَّ ؛ أَنْتَ ٱلْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي ، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَىٰ ، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَىٰ ، فَإِنِ ٱبْتُلِيتَ . . فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ .

وَكَانَ ٱلْغُلَامُ يُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ ، وَيُدَاوِي ٱلنَّاسَ [مِنْ] سَائِرِ ٱلْأَدْوَاءِ ، فَسَمِعَ جَلِيسُ ٱلْمَلِكِ وَكَانَ قَدْ عَمِيَ ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ : هِيَ لَكَ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَداً ؛ إِنَّمَا يَشْفِي ٱللهُ ، فَإِنْ آمَنْتَ بِٱللهِ . . دَعَوْتُ ٱللهَ فَشَفَاكَ ، فَآمَنَ بِٱللهِ ، فَشَفَاهُ ٱللهُ .

فَأَتَى ٱلْمَلِكَ ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ ، فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ : مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ ؟ قَالَ : رَبِّي .

قَالَ : وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي ؟! قَالَ : رَبِّي وَرَبُّكَ ٱللهُ ، فَأَخَذَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَى ٱلْغُلَامِ .

فَجِيءَ بِٱلْغُلَامِ ، فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ : أَيْ بُنَيَّ ؛ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ ؟!

فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَداً ؛ إِنَّمَا يَشْفِي ٱللهُ ، فَأَخَذَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَى ٱلرَّاهِبِ .

فَجِيءَ بِٱلرَّاهِبِ ، فَقِيلَ لَهُ : ٱرْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَىٰ ، فَدَعَا بِٱلْمِنْشَارِ ، فَوَضَعَ ٱلْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ .

ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ ٱلْمَلِكِ ، فَقِيلَ لَهُ : ٱرْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَىٰ ، فَوَضَعَ ٱلْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ .

ثُمَّ جِيءَ بِٱلْغُلَامِ ، فَقِيلَ لَهُ : ٱرْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَىٰ ، فَدَفَعَهُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ

أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : ٱذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ جَبَلِ كَذَا وَكَذَا ، فَٱصْعَدُوا بِهِ ٱلْجَبَلَ ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ ؛ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ ، وَإِلَّا . . فَٱطْرَحُوهُ .

فَذَهَبُوا بِهِ ، فَصَعِدُوا بِهِ ٱلْجَبَلَ ، فَقَالَ : ٱللَّهُمَّ ؛ ٱكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَرَجَفَ بِهِمُ ٱلْجَبَلُ فَسَقَطُوا ، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى ٱلْمَلِكِ .

فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ : كَفَانِيهِمُ ٱللهُ .

فَدَفَعَهُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : ٱذْهَبُوا بِهِ ، فَٱحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ ـ مَرْكَبٍ صَغِيرٍ ـ وَتَوَسَّطُوا بِهِ ٱلْبَحْرَ ؛ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ ، وَإِلَّا . . فَٱقْذِفُوهُ .

فَذَهَبُوا بِهِ ، فَقَالَ : ٱللَّهُمَّ ؛ ٱكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَٱنْكَفَأَتْ بِهِمُ ٱلسَّفِينَةُ ، فَغَرِقُوا ، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى ٱلْمَلِكِ .

فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ : كَفَانِيهِمُ ٱللهُ .

فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّىٰ تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ ، قَالَ : مَا هُوَ ؟

قَالَ : تَجْمَعُ ٱلنَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، وَتَصْلِبُنِي عَلَىٰ جِذْعٍ ، ثُمَّ خُذْ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِي ، ثُمَّ ضَعِ ٱلسَّهْمَ فِي كَبِدِ ٱلْقَوْسِ ، ثُمَّ قُلْ : بِٱسْمِ ٱللهِ رَبِّ ٱلْغُلَامِ ، ثُمَّ ٱرْمِ ؛ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَٰلِكَ . . قَتَلْتَنِي .

فَجَمَعَ ٱلنَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، وَصَلَبَهُ عَلَىٰ جِذْعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ ٱلسَّهْمَ فِي كَبِدِ ٱلْقَوْسِ ، ثُمَّ قَالَ : بِٱسْمِ ٱللهِ رَبِّ ٱلْغُلَامِ ، ثُمَّ رَمَاهُ ، فَوَقَعَ ٱلسَّهْمُ فِي صُدْغِهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ صُدْغِهِ فَمَاتَ ، فَقَالَ ٱلنَّاسُ : آمَنَّا بِرَبِّ ٱلْغُلَامِ (ثلاثاً) .

فَأُتِيَ ٱلْمَلِكُ ، فَقِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُهُ ؟ قَدْ ـ وَٱللهِ ـ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ ؛ قَدْ آمَنَ ٱلنَّاسُ ، فَأَمَرَ بِٱلْأُخْدُودِ بِأَفْوَاهِ ٱلسِّكَكِ فَخُدَّتْ ، وَأُضْرِمَ

فِيهَا ٱلنِّيرَانُ ، وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ . . فَأَقْحِمُوهُ فِيهَا ـ أَوْ قِيلَ لَهُ : ٱقْتَحِمْ ـ فَفَعَلُوا ، حَتَّىٰ جَاءَتِ ٱمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا ، فَتَقَاعَسَتْ [أَنْ تَقَعَ فِيهَا] ، فَقَالَ لَهَا ٱلْغُلَامُ : يَا أُمَّهِ ؛ ٱصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى ٱلْحَقِّ »[1] .

[حكايةُ الإخوةِ الثلاثةِ معَ ملِكِ الرُّومِ]

وحكى ابنُ الجوزيِّ عن أبي عليٍّ البربريِّ قالَ : (إنَّ ثلاثةَ إخوةٍ مِنَ الشامِ كانوا يغزونَ ، وكانوا فرساناً شجعاناً ، فأسرَهُمُ الرُّومُ مرةً ، فقالَ المَلِكُ : إنِّي أجعلُ فيكُمُ المُلْكَ ، وأُزوِّجُكُم بناتي ، وتدخلونَ في النصرانيَّةِ ؟ فأَبَوا وقالوا : يا محمداهُ !!

فأمرَ بثلاثِ قدورٍ [فنُصِبَتْ] ، فَصُبَّ فيها الزَّيتُ ، ثمَّ أُوقِدَ تحتَها النَّارُ ثلاثةَ أيَّامٍ ، يُعرَضونَ في كلِّ يومٍ علىٰ تلكَ القدورِ ، ويُدعَونَ إلى النصرانيَّةِ ، فيأبَونَ ، فأُلقيَ الأكبرُ في القِدْرِ ، ثمَّ الثاني ، ثم أُدْنيَ الأصغرُ ، فجعلَ يَفْتِنُهُ عن دينِهِ بكلِّ أمرٍ .

فقامَ إليهِ عِلْجٌ فقالَ : أيُّها الملِكُ ؛ أنا أفتنُهُ عن دينِهِ ، قالَ : بماذا ؟ قالَ : قد علمتَ أنَّ العربَ أسرعُ شيءٍ إلى النِّساءِ ، وليسَ في الرُّومِ أجملُ مِنِ ابنتي ، فادفعْهُ إليَّ حتىٰ أُخلِّيَهُ معَها ؛ فإنَّها ستفتنُهُ ، فضربَ لهُ أجلاً أربعينَ يوماً ، ودفعَهُ إليهِ .

فجاءَ بِهِ فأدخلَهُ معَ ابنتِهِ ، وأخبرَها بالأمرِ ، فقالَتْ لهُ : دعْهُ ؛ فقد كفيتُكَ أمرَهُ ، فأقامَ معَها : نهارُه صائمٌ ، وليلُهُ قائمٌ ، حتىٰ مضىٰ أكثرُ الأجلِ .

فقالَ العِلْجُ لابنتِهِ : ما صنعتِ ؟ قالَتْ : ما صنعتُ شيئاً ، هٰذا رجلٌ

---

(١) صحيح مسلم (٣٠٠٥) ، وما بين معقوفين زيادة منه ومن النسخة المطبوعة .

فَقَدَ أخوَيهِ في هـٰذهِ البلدةِ ، فأخافُ أن يكونَ امتناعُهُ مِنْ أجلِهِما ؛ كلَّما رأىٰ آثارَهُما ، ولـٰكنِ استزِدِ الملِكَ في الأجلِ ، وانقلْني وإيَّاهُ إلىٰ بلدٍ غيرِ هـٰذا ، فزادَهُ أيَّاماً ، فأخرجَهُما إلىٰ قريةٍ أخرىٰ ، فمكثَ علىٰ ذٰلكَ أيَّاماً صائمَ النهارِ قائمَ اللَّيلِ ، حتىٰ إذا بقيَ مِنَ الأجلِ أيَّامٌ . . قالَتْ لهُ الجاريةُ ليلةً : يا هـٰذا ؛ إنِّي أراكَ تُقدِّسُ ربّاً عظيماً ، وإنِّي قد دخلتُ معَكَ في دينِكَ وتركتُ دينَ آبائي .

قالَ لها : فكيفَ الحيلةُ في الهربِ ؟ قالَتْ : أنا أحتالُ لكَ ، وجاءَتْهُ بدابَّةٍ فركبا ، وكانا يسيرانِ اللَّيلَ ويكمُنانِ النَّهارَ .

فبينَما هما يسيرانِ ليلةً . . إذ سمعا وَقْعَ خيلٍ ؛ فإذا بأخوَيهِ ومعَهُما ملائكةٌ أُرسلوا إليهِ ، فسلَّمَ عليهِما ، وسألَهُما عن حالِهِما ، فقالا : ما كانَتْ إلَّا الغطسةُ التي رأيتَ حتىٰ خرجنا في الفردوسِ ، وإنَّ اللهَ تعالىٰ أرسلَنا إليكَ ؛ لنشهدَ تزويجَكَ بهـٰذهِ الفتاةِ ، فزوَّجوهُ إيَّاها ورجعوا ، وخرجَ إلىٰ بلادِ الشامِ فأقامَ معَها)[1] .

ثبَّتَنا اللهُ بالقولِ الثابتِ ، وحمانا مِنَ الكفرِ والنفاقِ .

تنبيهات

أحدُها

[هلْ يحبَطُ عملُ مَنِ ارتكبَ مُكفِّراً ؟]

إنَّ مَنِ ارتكبَ مُكفِّراً . . يحبَطُ جميعُ أعمالِهِ ، ويجبُ عليهِ قضاءُ الواجبِ منها ، وينفسخُ النكاحُ حالاً ولو بعدَ دخولٍ عندَ جماعةٍ مِنَ الأئمَّةِ ؛ كأبي

(١) انظر « عيون الحكايات » (ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠) في الحكاية رقم (١٩٠) .

حنيفةَ وغيرِهِ ، بل عندَ إمامِنا الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُما : أنَّ ثوابَ العملِ يَحبَطُ [1] ، لـٰكنْ لا يَحبَطُ نفسُ العملِ ؛ أي : مِنْ حيثُ هوَ ، وأنَّهُ لا يجبُ القضاءُ ، وأنَّ النكاحَ ينفسخُ حالاً إن كان قبلَ دخولٍ ، وبعدَ العِدَّةِ إن كانَ بعدَهُ [2] .

وثانيها

[وجوبُ استتابةِ المُرتدِّ على الإمامِ فوراً]

إنَّهُ يجبُ على الإمامِ أو نائبِهِ استتابتُهُ فوراً ، ويَحرُمُ إمهالُهُ ؛ فإن تابَ . . قُبِلَ منهُ على الأصحِّ ، وإلَّا . . فيقتلُهُ بضربِ عنقِهِ ، لا بنحوِ إحراقٍ ، ولا يُدفَنُ في مَقبَرةِ المسلمينَ .

وثالثُها

[فيما يُشتَرطُ لصحةِ توبتِهِ]

إنَّهُ يُشترَطُ في صحَّةِ توبتِهِ النطقُ بالشهادتَينِ ؛ فلا يحصلُ إسلامُهُ ـ ككافرٍ أصليٍّ ـ إلَّا بذٰلكَ .

ويزيدُ حتماً مَنْ كفرَ بإنكارِ معلومٍ مِنَ الدِّينِ بالضرورةِ . . اعترافَهُ بما كفرَ بإنكارِهِ ، وندباً كلُّ مُرتدٍّ الاستغفارَ .

اللهمَّ ؛ إنَّا نستغفرُكَ ، ونسألُكَ رحمتَكَ .

* * *

---

(١) انظر « الأم » (٧/٣٩٤) .

(٢) انظر تفصيل العلامة ابن حجر الهيتمي في « الإعلام بقواطع الإسلام » (ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤) ، وقال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في « منهاج الطالبين » (ص ٣٨٦) : (ولو ارتد زوجان أو أحدهما قبل دخولٍ . . تنجَّزت الفرقة ، أو بعده . . وُقِفت ؛ فإن جمعهما الإسلام في العدة . . دام النكاح ، وإلا . . فالفرقة من الردة) .

بابُ العلم

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [1] أي : ويرفعْ درجاتِ العلماءِ منهُم خاصَّةً .

وقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [2] أي : لا يستويانِ .

[فضلُ طلبِ العلمِ]

وأخرجَ ابنُ عبدِ البرّ عن أنسٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱطْلُبُوا ٱلْعِلْمَ وَلَوْ بِٱلصِّينِ ؛ فَإِنَّ طَلَبَ ٱلْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَإِنَّ ٱلْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ ٱلْعِلْمِ ؛ رِضاً بِمَا يَطْلُبُ » [3] .

والديلميُّ عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : « طَلَبُ ٱلْعِلْمِ سَاعَةً . . خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ ، وَطَلَبُ ٱلْعِلْمِ يَوْماً . . خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ » [4] .

والترمذيُّ عن سَخْبَرَةَ : « مَنْ طَلَبَ ٱلْعِلْمَ . . كَانَ كَفَّارَةً لِمَا مَضَىٰ » [5] .

والشّيرازيُّ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : « مَنِ ٱنْتَقَلَ لِيَتَعَلَّمَ عِلْماً . . غُفِرَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْطُوَ » [6] .

---

(١) سورة المجادلة : (١١) .

(٢) سورة الزمر : (٩) .

(٣) أخرجه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢٣) ، وانظر « كشف الخفا » (١٣٨/١) .

(٤) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٣٩١٧) .

(٥) سنن الترمذي (٢٦٤٨) .

(٦) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٨٨١٦) وعزاه للشيرازي ، وأخرجه ابن شاهين في « فضائل الأعمال » (٢٢٠) .

وابنُ عساكرَ والديلميُّ عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما : « خُيِّرَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بَيْنَ ٱلْمَالِ وَٱلْمِلْكِ وَٱلْعِلْمِ ، فَٱخْتَارَ ٱلْعِلْمَ ، فَأُعْطِيَ ٱلْمِلْكَ وَٱلْمَالَ ؛ لِٱخْتِيَارِهِ ٱلْعِلْمَ »[1] .

والطبرانيُّ عن أبي أُمامةَ : « أَيُّمَا نَاشِئٍ نَشَأَ فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْعِبَادَةِ حَتَّىٰ يَكْبَرَ . . أَعْطَاهُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ثَوَابَ ٱثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ صِدِّيقاً »[2] .

[فضلُ العلماءِ وأجرُهُم]

وابنُ النجَّارِ[3] عن أنسٍ : « ٱلْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، يُحِبُّهُمْ أَهْلُ ٱلسَّمَاءِ ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمُ ٱلْحِيتَانُ فِي ٱلْبَحْرِ إِذَا مَاتُوا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ »[4] .

والبخاريُّ عن معاويةَ : « مَنْ يُرِدِ ٱللهُ بِهِ خَيْراً . . يُفَقِّهْهُ فِي ٱلدِّينِ »[5] .

والطبرانيُّ والبيهقيُّ عن أبي هريرةَ : « مَا عُبِدَ ٱللهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ ٱلْفِقْهِ فِي ٱلدِّينِ ، وَلَفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى ٱلشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ ، وَعِمَادُ هَـٰذَا ٱلدِّينِ ٱلْفِقْهُ »[6] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٧٤/٢٢ ـ ٢٧٥) ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٢٩٥٧) .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٢٩/٨) .

(٣) في النسخ إلا (هـ ، ط) : (وابن البخاري) ، والمثبت منهما ، وهو الصواب ؛ لأن من أورد الحديث عزاه لابن النجار .

(٤) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٨٦٧٩) وعزاه لابن النجار ، وأخرجه الواحدي بإسناده في « الوسيط في تفسير القرآن المجيد » (٤٦/١) ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٤٢٠٩) كلاهما عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما .

(٥) صحيح البخاري (٧١) .

(٦) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦١٦٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٥٨٤) .

وابنُ النجّارِ[1] عن محمدِ بنِ عليٍّ : « رَكْعَتَانِ مِنْ عَالِمٍ . . أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً مِنْ غَيْرِ عَالِمٍ »[2] .

وأبو نُعيمٍ والخطيبُ عن أبي هريرةَ : « خِيَارُ أُمَّتِي عُلَمَاؤُهَا ، وَخَيْرُ عُلَمَائِهَا رُحَمَاؤُهَا ، أَلَا وَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ لَيَغْفِرُ لِلْعَالِمِ أَرْبَعِينَ ذَنْباً قَبْلَ أَنْ يَغْفِرَ لِلْجَاهِلِ ذَنْباً وَاحِداً ، أَلَا وَإِنَّ ٱلْعَالِمَ ٱلرَّحِيمَ يَجِيءُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَإِنَّ نُورَهُ قَدْ أَضَاءَ ؛ يَمْشِي فِيهِ مَا بَيْنَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ كَمَا يُضِيءُ ٱلْكَوْكَبُ ٱلدُّرِّيُّ »[3] .

والديلميُّ عنِ ابنِ عباسٍ : « إِذَا مَاتَ ٱلْعَالِمُ . . صَوَّرَ ٱللهُ عِلْمَهُ فِي قَبْرِهِ ؛ يُؤْنِسُهُ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ، وَيَدْرَأُ عَنْهُ هَوَامَّ ٱلْأَرْضِ »[4] .

[شفاعةُ العلماءِ وتفضيلُهُم على العُبَّادِ]

وأبو الشيخِ والديلميُّ عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : « إِذَا ٱجْتَمَعَ ٱلْعَالِمُ وَٱلْعَابِدُ عَلَى ٱلصِّرَاطِ . . قِيلَ لِلْعَابِدِ : ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ وَتَنَعَّمْ بِعِبَادَتِكَ ، وَقِيلَ لِلْعَالِمِ : قِفْ هُنَا فَٱشْفَعْ لِمَنْ أَحْبَبْتَ ؛ فَإِنَّكَ لَا تَشْفَعُ لِأَحَدٍ . . إِلَّا شُفِّعْتَ ، فَقَامَ مَقَامَ ٱلْأَنْبِيَاءِ »[5] .

والخطيبُ عن عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ : « أَوَّلُ مَنْ يَشْفَعُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ : ٱلْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ ٱلْعُلَمَاءُ ، ثُمَّ ٱلشُّهَدَاءُ »[6] .

---

(١) في النسخ إلا (هـ ، ط) : (وابن البخاري) .
(٢) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٨٧٨٧) وعزاه لابن النجار مرسلاً .
(٣) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٨٨/٨) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٥٣/١) .
(٤) أورده السيوطي في « شرح الصدور » (ص ٣١٦) وعزاه للديلمي .
(٥) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (١٢٩٣) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٨٦٨٨) وعزاه لأبي الشيخ في « الثواب » وللديلمي .
(٦) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١١/١٧٧ ـ ١٧٨) .

وهوَ عن أنسٍ : « فَضْلُ ٱلْعَالِمِ عَلَىٰ غَيْرِهِ كَفَضْلِ ٱلنَّبِيِّ عَلَىٰ أُمَّتِهِ »[1] .

وهوَ أيضاً عن جابرٍ : « أَكْرِمُوا ٱلْعُلَمَاءَ ؛ فَإِنَّهُمْ وَرَثَةُ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، فَمَنْ أَكْرَمَهُمْ . . فَقَدْ أَكْرَمَ ٱللهَ وَرَسُولَهُ »[2] .

[أجرُ مَنْ بلَّغَ علماً ووِزْرُ مَنْ كتمَهُ]

وابنُ عساكرَ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ : « مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ ٱللهِ أَوْ بَاباً مِنْ عِلْمٍ . . أَنْمَى ٱللهُ أَجْرَهُ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ »[3] .

وابنُ ماجه عن معاذِ بنِ أنسٍ : « مَنْ عَلَّمَ عِلْماً . . فَلَهُ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهِ ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ ٱلْعَامِلِ »[4] .

وأحمدُ عن معاذٍ : « لَأَنْ يَهْدِيَ ٱللهُ بِكَ رَجُلاً . . خَيْرٌ لَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا »[5] .

وابنُ النجَّارِ عنِ ابنِ عباسٍ : « ٱلْغُدُوُّ وَٱلرَّوَاحُ إِلَى ٱلْمَسَاجِدِ فِي تَعْلِيمِ ٱلْعِلْمِ . . أَفْضَلُ عِنْدَ ٱللهِ مِنَ ٱلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ »[6] .

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٠٧/٨) .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٠٤/٥) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٩٠/٥٩) .

(٤) سنن ابن ماجه (٢٥٢) .

(٥) أخرجه أحمد (٢٣٨/٥) بنحوه ، وابن المبارك في « الزهد » (١٣٧٥) بلفظه ، وأصله في « الصحيحين » .

(٦) أخرجه أحمد (٢٦٨/٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٧٧/٨ ـ ١٧٨) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه ، وعزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٠٢٤٠) لأبي مسعود الأصبهاني في « معجمه » ، ولابن النجار وللديلمي عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

والطبرانيُّ عنِ ابنِ مسعودٍ : « أَيُّمَا رَجُلٍ آتَاهُ ٱللهُ عِلْماً فَكَتَمَهُ . . أَلْجَمَهُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ »(١) .

[إخلاصُ النِّيَّةِ في طلبِ العلمِ]

وابنُ ماجه عن أبي هريرةَ : « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ ٱللهِ ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ ٱلدُّنْيَا . . لَمْ يَجِدْ عَرْفَ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ » يعني : ريحَها(٢) .

وابنُ ماجه عن أبي هريرةَ : « مَنْ تَعَلَّمَ ٱلْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ ٱلْعُلَمَاءَ ، أَوْ يُمَارِيَ بِهِ ٱلسُّفَهَاءَ ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِ . . أَدْخَلَهُ ٱللهُ جَهَنَّمَ »(٣) .

والديلميُّ : « مَنِ ٱزْدَادَ عِلْماً وَلَمْ يَزْدَدْ هُدىً . . لَمْ يَزْدَدْ مِنَ ٱللهِ إِلَّا بُعْداً »(٤) .

وابنُ حِبَّانَ : « مَنِ ٱزْدَادَ عِلْماً ثُمَّ ٱزْدَادَ عَلَى ٱلدُّنْيَا حِرْصاً . . لَمْ يَزْدَدْ مِنَ ٱللهِ إِلَّا بُعْداً » ، وفي روايةٍ : « ٱزْدَادَ ٱللهُ عَلَيْهِ غَضَباً »(٥) .

وابنُ أبي الدنيا والبيهقيُّ عنِ الحسنِ مرسلاً : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَخْطُبُ خُطْبَةً . . إِلَّا ٱللهُ سَائِلُهُ عَنْهَا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مَا أَرَادَ بِهَا »(٦) .

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/١٢٨) .

(٢) سنن ابن ماجه (٢٦٦) .

(٣) سنن ابن ماجه (٢٧٧) .

(٤) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٥٨٨٧) عن سيدنا علي رضي الله عنه ، وفيه : (ولم يزدد زهداً) بدل (هدىً) .

(٥) أورده المناوي في « فيض القدير » (٦/٥٢) وعزاه لابن حبان في « روضة العقلاء » موقوفاً عن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وعزا الرواية للأزدي في « الضعفاء » عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في « ذم الكذب » (٤٦) بلفظ : (ما أردت بها) وهي في (ب) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٦٤٩) .

قالَ [جعفرُ بنُ سليمانَ][1] : فكانَ مالكُ بنُ دينارٍ إذا حدَّثَ بهـٰذا . . بكىٰ [حتىٰ ينقطعَ] ، ثمَّ يقولُ : (أتحسبونَ أنَّ عيني تقرُّ بكلامي عليكم ؛ وأنا أعلمُ أنَّ اللهَ سائلي عنهُ يومَ القيامةِ ؟!

قالَ اللهُ : ما أردتَ بهِ ؟ فأقولُ : أنتَ الشهيدُ علىٰ قلبي ، لو لم أعلمْ أنَّهُ أحبُّ إليكَ . . لم أقرأْ على اثنينِ أبداً)[2] .

[وصيَّةُ الشيخِ البكريِّ للمُؤلِّفِ]

وقالَ شيخُنا شيخُ مشايخِ الإسلامِ والمسلمينَ ، قطبُ الزمانِ ، شمسُ دائرةِ العرفانِ ، لسانُ الملكوتِ القُدْسيِّ في عالمِ التمكينِ ؛ زينُ العابدينَ أبو بكرٍ محمدُ بنُ محمدِ بنِ أبي الحسنِ البكريُّ الصِّدِّيقيُّ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ فيما أوصاني بهِ : (اجعلِ الإخلاصَ فيما تفيدُهُ وتستفيدُهُ شعارَكَ ، والأدبَ معَ اللهِ تعالىٰ فيما تُعلِّمُهُ وتَتعلَّمُهُ دِثَارَكَ ، ولا تبخلْ علىٰ طالبِ العلمِ بتعليمِ ما علمتَهُ مُتحرِّياً فيهِ تحرِّيَ مَنْ يعلمُ أنَّ اللهَ يراهُ) انتهىٰ .

رزقَنا اللهُ الإخلاصَ في طلبِ العلمِ ونشرِهِ ، وفي جميعِ الطاعاتِ .

وفي « الغايةِ والكفايةِ » للحِصْنيِّ : (قالَ السيِّدُ الجليلُ ضرارُ بنُ عمرو : إنَّ قوماً تركوا العلمَ ومجالسةَ أهلِ العلمِ ، واتخذوا محاريبَ وصلَّوا وصاموا ، حتىٰ يبسَ جِلدُ أحدِهِم علىٰ عظمِهِ ، خالفوا فهلكوا ، والذي لا

---

(١) في (أ ، ج ، د) : (قال الحسن) ، والمثبت من « شعب الإيمان » وهو أحد رجال إسناد هـٰذا الحديث ، وهو يروي عن مالك بن دينار رحمهما الله تعالىٰ .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « ذم الكذب » (٤٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » بعد الحديث السابق (١٦٤٩) ، وأخرجه أيضاً أحمد في « الزهد » (١٨٨٩) .

إلـهَ غيرُهُ ؛ ما عَمِلَ عاملٌ علىٰ جهلٍ . . إلَّا كانَ ما يُفسِدُهُ أكثرَ ممَّا يُصلِحُ)
ووصفَهُم بالهلاكِ [1] .

تَنْبِيهٌ

[في أوَّلِ ما يجبُ تعليمُهُ للصغارِ]

إنَّ أوَّلَ واجبٍ على الآباءِ للأولادِ تعليمُهُم أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بُعِثَ بمكَّةَ ، وماتَ ودُفِنَ بالمدينةِ .

[أوَّلُ ما يلزمُ المُكلَّفَ تعلُّمُهُ]

واعلمْ : أنَّ أوَّلَ ما يلزمُ المُكلَّفَ تعلُّمُ الشهادتَينِ ومعناهُما ، وجَزْمُ اعتقادِهِ ، ثمَّ تعلُّمُ ظواهرِ علمِ التَّوحيدِ وصفاتِ اللهِ تعالىٰ وإن لم يكنْ عنِ الدَّليلِ ، ثمَّ ما يَحتاجُ إليهِ لإقامةِ فرائضِ الدِّينِ ؛ كأركانِ الصَّلاةِ والصَّومِ وشروطِهما ، والزَّكاةِ إن ملكَ مالاً [2] ولو كانَ هناكَ ساعٍ ، والحجِّ إن كانَ مُستطيعاً لهُ ، ثمَّ تعلُّمُ الأحكامِ التي يكثرُ وقوعُها إن أرادَ أن يُباشِرَ عقداً ؛ بيعاً كانَ أو غيرَهُ كالأركانِ والشروطِ ، لا سيَّما في الرِّبويَّاتِ لِمَنْ خاضَ فيها ، وكواجباتِ القَسْمِ بينَ الزَّوجاتِ ، والقيامِ بالمماليكِ .

❁ ❁ ❁

ويجبُ أيضاً تعلُّمُ دواءِ أمراضِ القلبِ ؛ كالحسدِ والرِّياءِ والعُجْبِ والكِبْرِ [3] ، واعتقادُ ما وردَ بهِ الكتابُ والسنَّةُ .

---

(١) انظر « كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار » (ص ١٩٨) ، والخبر أخرجه ابن عبد البر في « الاستذكار » (٤٣٤/٢٧) .

(٢) أي : واجتمعت بقية شروط الزكاة فيه .

(٣) انظر « تحفة المحتاج » (٢١٤/٩) .

بابُ الوضوء

أخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا يَقْبَلُ ٱللهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ .. حَتَّىٰ يَتَوَضَّأَ »[1] .

[عاقبةُ من يصلِّي محدثاً]

وأبو الشيخِ عنِ ابنِ مسعودٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أُمِرَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ ٱللهِ تَعَالَىٰ [أَنْ] يُضْرَبَ فِي قَبْرِهِ مِئَةَ جَلْدَةٍ ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُ وَيَدْعُو حَتَّىٰ صَارَتْ جَلْدَةً وَاحِدَةً ، فَٱمْتَلَأَ قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَاراً ، فَلَمَّا ٱرْتَفَعَ عَنْهُ .. قَالَ : عَلَامَ جَلَدْتُمُونِي ؟ قَالُوا : إِنَّكَ صَلَّيْتَ صَلَاةً بِغَيْرِ طَهُورٍ ، وَمَرَرْتَ بِمَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ »[2] .

[الوضوءُ مُكفِّرٌ للذُّنوبِ]

والبيهقيُّ عن سلمانَ : « إِذَا تَوَضَّأَ ٱلْعَبْدُ .. تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ »[3] .

ومسلمٌ عن أبي هريرةَ : « إِذَا تَوَضَّأَ ٱلْعَبْدُ ٱلْمُسْلِمُ ـ أَوِ ٱلْمُؤْمِنُ ـ فَغَسَلَ وَجْهَهُ .. خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِهِ مَعَ ٱلْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ ٱلْمَاءِ ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ .. خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ ٱلْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ ٱلْمَاءِ ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ .. خَرَجَ مِنْ رِجْلَيْهِ كُلُّ

---

(١) صحيح البخاري (٦٩٥٤) ، وصحيح مسلم (٢٢٥) .

(٢) أخرجه الطحاوي في « شرح مشكل الآثار » (٣١٨٥) ، وابن سمعون في « أماليه » (٢١٢) .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٤٨٢) .

خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ ٱلْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ ٱلْمَاءِ ؛ حَتَّىٰ يَخْرُجَ نَقِيّاً مِنَ ٱلذُّنُوبِ »[1] .

وأبـو داوودَ عـنِ ابنِ عـمرَ : « مَـنْ تَـوَضَّـأَ عَلَىٰ طُـهْـرٍ . . كُـتِبَ لَـهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ »[2] .

[حكايةٌ في عقابِ مَنْ صلَّىٰ بلا وضوءٍ]

وحكى الغزاليُّ : (أَنَّهُ رُئِيَ بعضُ الموتىٰ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : كيفَ حالُكَ ؟ فقالَ : صلَّيتُ يوماً بلا وضوءٍ ، فوُكِّلَ عليَّ ذئبٌ يَرُوعُني في قبري ، فحالي معَهُ في أسوأ حالٍ)[3] .

[أنا أرمدُ وأنتَ الطبيبُ]

وحُكِيَ : (أنَّه رَمِدَتْ عينا الجنيدِ مرَّةً ، فقالَ لهُ الطبيبُ : إن تُرِدْ شفاءَ عينَيكَ . . فلا تُوصِلْ إليهما ماءً ، فلمَّا ذهبَ الطبيبُ . . توضَّأَ وصلَّىٰ ونامَ ، فبَرِئَتْ عينُهُ ، فسمعَ هاتفاً يقولُ : « تركَ الجنيدُ عينَيهِ في رضائي ، فلو طلبَ منِّي الجهنَّميُّونَ بذٰلكَ العزمِ . . لأجبتُ » .

فلمَّا جاءَ الطبيبُ ورأى العينَ صحيحةً . . قالَ : ما فعلتَ ؟ قالَ : توضَّأتُ وصلَّيتُ ، وكانَ الطبيبُ نصرانيّاً ، فآمنَ في الحالِ ، وقالَ : هٰذا علاجُ الخالقِ لا المخلوقِ ، وكنتُ أنا أرمدَ وكنتَ أنتَ الطبيبَ !!)[4] .

---

(١) صحيح مسلم (٢٤٤) .

(٢) سنن أبي داوود (٦٣) .

(٣) ذكر المؤلف هٰذه القصة في « الاستعداد للموت » (ص ٤١) وهو مطبوع بهامش « إرشاد العباد » الطبعة العتيقة .

(٤) أوردها جد المؤلف في « مرشد الطلاب » (ق/٢٤) مخطوط .

[كرامةٌ لسهلِ بنِ عبدِ اللهِ]

وحكى اليافعيُّ عن سهلِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ : (أوَّلُ ما رأيتُ مِنَ العجائبِ والكراماتِ : أنِّي خرجتُ يوماً إلىٰ موضعٍ خالٍ ، فطابَ ليَ المُقامُ فيهِ ، ووجدتُ مِنْ قلبي قرباً إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، وحضرَتِ الصَّلاةُ وأردتُ الوضوءَ ، وكانَتْ عادتي مِنْ صبايَ تجديدَ الوضوءِ لكلِّ صلاةٍ ، فكأنِّي اغتممتُ لفقدِ الماءِ ، فبينَما أنا كذٰلكَ ؛ وإذا دُبٌّ يمشي علىٰ رجليهِ كأنَّهُ إنسانٌ ، معَهُ جَرَّةٌ خضراءُ قد أمسكَ بيدِهِ عليها ، فلمَّا رأيتُهُ مِنْ بعيدٍ . . توهَّمتُ أنَّهُ آدميٌّ ، حتىٰ دنا منِّي وسلَّمَ عليَّ ، ووضعَ الجَرَّةَ بينَ يديَّ ، فجاءَني اعتراضُ العلمِ ، فقلتُ : الجَرَّةُ والماءُ مِنْ أينَ هُما ؟

فنطقَ الدُّبُّ وقالَ : يا سهلُ ؛ إنَّا قومٌ مِنَ الوحوشِ قدِ انقطعنا إلى اللهِ تعالىٰ بعزمِ المحبَّةِ والتوكُّلِ ، فبينَما نحنُ نتكلَّمُ معَ أصحابِنا في مسألةٍ . . إذ نُودينا : ألا إنَّ سهلاً يُريدُ ماءً لتجديدِ الوضوءِ ، فوُضِعَتْ هٰذهِ الجَرَّةُ بينَ يديَّ ، وإذا بجنبي ملَكانِ ، فدنوتُ منهُما ، وصبَّا فيها هٰذا الماءَ مِنَ الهواءِ وأنا أسمعُ خريرَ الماءِ .

قال سهلٌ : فغُشِيَ عليَّ ، فلمَّا أفقتُ . . إذا بالجَرَّةِ موضوعةٌ ، ولا أعلمُ بالدُّبِّ أينَ ذهبَ ، وأنا مُتحسِّرٌ إذ لم أُكلِّمْهُ ، فتوضَّأتُ ، فلمَّا فرغتُ . . أردتُ أن أشربَ منها ، فنُوديتُ مِنَ الوادي : يا سهلُ ؛ لم يُؤذَنْ لكَ شربُ هٰذا الماءِ بعدُ ، فبقيَتِ الجَرَّةُ تضطربُ وأنا أنظرُ إليها ، فلا أدري أينَ ذهبَتْ)[١] .

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ٢١٨) رقم الحكاية (١٩٨) .

فَصْلٌ

في أحكامِ الوضوءِ

شروطُهُ : ماءٌ مُطلَقٌ ، وظنٌّ أنَّهُ مُطلَقٌ ، وإسلامٌ ، وتمييزٌ ، وعلمٌ بفرضيَّتِهِ ، وعدمُ ظنِّ فرضٍ نفلاً ، وعدمُ حائلٍ ، ولا مُغيِّرٍ للماءِ على العُضوِ ؛ كوسخٍ تحتَ ظُفُرٍ ، وكزعفرانٍ وصَنْدلٍ ، وجَرْيُ الماءِ عليهِ ، ودخولُ وقتٍ لدائمِ حَدَثٍ .

وفروضُهُ : نيَّةُ رفعِ حدثٍ أو أداءِ فرضِ الوضوءِ أوِ الطهارةِ لاستباحةِ الصَّلاةِ عندَ غَسلِ أوَّلِ جزءٍ مِنَ الوجهِ ، وغَسلُ الوجهِ ، وغَسلُ اليدَينِ معَ المِرفقَينِ ، ومسحُ بعضِ الرَّأسِ ، وغَسلُ الرِّجلَينِ معَ الكعبَينِ ، والترتيبُ كما ذكرناهُ .

فَرْعٌ

[في حكمِ الشَّكِ قبلَ الفراغِ مِنَ الوضوءِ وبعدَهُ]

لو شَكَّ في تطهيرِ عُضوٍ قبلَ الفراغِ مِنَ الوضوءِ . . طهَّرَهُ وما بعدَهُ ، أو بعدَ الفراغِ . . لم يُؤثِّرْ .

[سننُ الوضوءِ]

وسننُهُ : التَّسميةُ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ ٱسْمَ ٱللهِ عَلَيْهِ » رواهُ أحمدُ وأبو داوودَ (١) .

---

(١) سنن أبي داوود (١٠٢) ، ومسند أحمد (٤١٨/٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

ثـمَّ غَسلُ الكفَّين ، ثـمَّ السِّواكُ بكلِّ خَشِنٍ إلَّا للصَّائمِ بعدَ الزَّوالِ ؛ قالَ رسـولُ اللهِ صـلَّى اللهُ عليهِ وسلَّـمَ : « لَـوْلَا أَنْ أَشُـقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي . . لَأَمَرْتُهُـمْ بِٱلسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ » رواهُ مالكٌ والشافعيُّ (١) .

ثـمَّ المضمضةُ ، والاستنشاقُ ، والمبالغةُ فيهما لمفطرٍ ، وجمعُهُما بثلاثِ غَرَفاتٍ ، والاستنثارُ .

ومسحُ كلِّ الرَّأسِ والأُذنَين ظاهراً وباطناً ، وتخليلُ شعرٍ كثيفٍ ؛ مِنْ لِحيةٍ وعارضٍ ، وأصابعِ اليدَينِ بالتشبيكِ ، والرِّجلَينِ مِنْ أسفلَ بخِنْصِرِ يدِهِ اليسرىٰ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ : إِذَا تَوَضَّأْتَ . . فَخَلِّلْ لِحْيَتَكَ » رواهُ ابنُ أبي شيبةَ (٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خَلِّلُوا بَيْنَ أَصَابِعِكُمْ ؛ لَا يُخَلِّلُ ٱللهُ بَيْنَهَا بِٱلنَّارِ ، وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ ٱلنَّارِ » رواهُ الدارقطنيُّ (٣) .

ودلكُ الأعضاءِ (ثلاثاً) ، وأن يقولَ (ثلاثاً) (٤) آخِرَهُ ، مُستقبِلاً إلى القِبلةِ ، رافعاً يدَيهِ وبصرَهُ إلى السماءِ ولو أعمىٰ : أشهدُ أن لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، اللهمَّ ؛ اجعلْني مِنَ التوَّابينَ ، واجعلْني مِنَ المُتطهِّرينَ (٥) ، سبحانَكَ اللهمَّ وبحمدِكَ ، أشهدُ أن لا إلـٰهَ إلَّا أنتَ ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ ، وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدِنا محمدٍ وعلىٰ آلِ سيِّدِنا محمدٍ وسلَّمَ .

---

(١) موطأ الإمام مالك (١/٦٦) ، وأخرجه البيهقي في « معرفة السنن والآثار » (٥٧٢) من طريق الشافعي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١١٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) سنن الدارقطني (١/٩٥) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٤) أخرج رواية التثليث ابن ماجه (٥١٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٥) زاد في (ج ، هـ) : (واجعلني من عبادك الصالحين) .

وأن يقرأَ (إنَّا أنزلناهُ) بعدَهُ كذٰلكَ[1] ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ ٱلْوُضُوءَ ، ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ[2] . . فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ ٱلْجَنَّةِ ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » رواهُ مسلمٌ[3] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ بَعْدَ فَرَاغِهِ : سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ . . . » إلىٰ « وَأَتُوبُ إِلَيْكَ . . كُتِبَ فِي رَقٍّ ، ثُمَّ جُعِلَ فِي طَابَعٍ ، فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ » رواهُ الحاكمُ[4] .

وقالَ : « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) فِي إِثْرِ وُضُوئِهِ مَرَّةً . . كَانَ مِنَ ٱلصِّدِّيقِينَ ، وَمَنْ قَرَأَهَا مَرَّتَيْنِ . . كُتِبَ فِي دِيوَانِ ٱلشُّهَدَاءِ ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثاً . . حَشَرَهُ ٱللهُ مَعَ ٱلْأَنْبِيَاءِ » رواهُ الديلميُّ[5] .

وتثليثُ كلٍّ ، والتوجُّهُ للقبلةِ في كلٍّ ، وقرنُ النِّيةِ بأوَّلِ السُّننِ المُتقدِّمةِ علىٰ غَسلِ الوجهِ ؛ ليُثابَ عليها ، والتلفُّظُ بها سرّاً .

وتَعهُّدُ الغضونِ[6] ، وكذا المُوقُ واللَّحاظُ[7] بالسبَّابَةِ إذا لم يكنْ

---

(١) في (د) : (« إنا أنزلناه » ثلاثاً بعد ذٰلك) .

(٢) زاد في المطبوع : (اللهم ؛ اجعلني من التوابين ، واجعلني من المتطهرين) وليست في رواية مسلم ، وإنما أخرجها الترمذي (٥٥) .

(٣) صحيح مسلم (٢٣٤) بنحوه عن سيدنا عمر رضي الله عنه ، وأخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٩٨٣٢) .

(٤) مستدرك الحاكم (٥٦٤/١) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٥) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٦٠٩٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه وعزاه للديلمي .

(٦) **وتعهد الغضون** ؛ أي : مكاسر الجلد احتياطاً .

(٧) **الموق** : مقدم العين مما يلي الأنف ، **واللحاظ** : مؤخرها مما يلي الأذن . انتهىٰ من هامش (هـ) .

فيهما رَمَصٌ يمنعُ وصولَ الماءِ إلىٰ محلِّهِ ، وإلَّا . . فواجبٌ .

وأخذُ ماءِ الوجهِ بكفَّيهِ معاً ، وعدمُ لطمِهِ بهِ ، والبَداءةُ فيهِ بأعلاهُ ، وفي اليدَينِ والرِّجلَينِ بالأصابعِ وإن صبَّ عليهِ غيرُهُ ، وفي الرَّأسِ بمُقدَّمِهِ .

وإطالةُ الغُرَّةِ والتحجيلِ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ ٱلْوُضُوءِ ؛ فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ . . فَلْيَفْعَلْ » رواهُ الشيخانِ(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تَبْلُغُ ٱلْحِلْيَةُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ ٱلْوُضُوءُ » رواهُ مسلمٌ(٢) .

والتَّيامنُ ، والولاءُ ، وتركُ التكلُّمِ والاستعانةِ والتنشيفِ والنفضِ بلا حاجةٍ ، وتوقِّي الرَّشاشِ .

ووضعُ ما يَغْترِفُ منهُ عن يمينِهِ ، وما يَصُبُّ منهُ عن يسارِهِ ، والشربُ مِنْ فَضْلِ وَضوئِهِ ، والاجتهادُ في إسباغِ الوضوءِ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا يُسْبِغُ عَبْدٌ ٱلْوُضُوءَ . . إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ »(٣) .

ورشُّ ماءٍ بينَ إزارِهِ بعدَهُ كبعدِ استنجاءٍ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَتَانِي جِبْرِيلُ فِي أَوَّلِ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ فَعَلَّمَنِي ٱلْوُضُوءَ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ ٱلْوُضُوءِ . . أَخَذَ غَرْفَةً مِنَ ٱلْمَاءِ فَنَضَحَ بِهَا فَرْجَهُ » رواهُ أحمدُ والحاكمُ(٤) .

---

(١) صحيح البخاري (١٣٦) ، وصحيح مسلم (٢٤٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) صحيح مسلم (٢٥٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البزار (٤٢٢) ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (١٥٠) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الحاكم مختصراً (٣/٢١٧) ، وأحمد (٤/١٦١) عن سيدنا زيد بن حارثة رضي الله عنه .

لا مسحُ الرَّقبةِ ، ودعاءُ الأعضاءِ ، أمَّا حديثُهُما . . فموضوعٌ أو شديدُ ضعفُهُ ، فلا يُعمَلُ بهِما[1] .

فرع

[متىٰ يُقتصَرُ على الواجبِ حتماً ؟]

يُقتصَرُ حتماً على الواجبِ : لضيقِ وقتٍ عن إدراكِ الصَّلاةِ كلِّها فيهِ ، وإدراكُ جماعةٍ أولىٰ مِنَ التثليثِ وسائرِ سننِ الوضوءِ غيرِ الدَّلْكِ [وغيرِ مسحِ كلِّ الرَّأسِ][2] ما لم يَرْجُ جماعةً أُخرىٰ .

[مكروهاتُ الوضوءِ]

ومكروهاتُهُ : الإسرافُ في الماءِ ، وتقديمُ اليسرىٰ على اليمنىٰ ، والنقصُ عنِ الثلاثِ ، والزيادةُ عليها مِنْ غيرِ ماءٍ موقوفٍ ؛ فَمِنْهُ حرامٌ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « هَٰكَذَا ٱلْوُضُوءُ ؛ فَمَنْ زَادَ عَلَىٰ هَٰذَا أَوْ نَقَصَ . . فَقَدْ أَسَاءَ وَظَلَمَ » رواهُ أبو داوودَ[3] .

[تدَّعي محبَّتَهُ وتتركُ سُنَّتَهُ ؟!]

وحكى الشيخُ معينُ الدِّينِ حسنٌ السِّجْزيُّ : (أنَّهُ كانَ معَ الشيخِ أجلَّ

---

(١) رجح الإمام الرملي في « نهاية المحتاج » (١/١٩٧) العمل بحديث دعاء الأعضاء ، وقال : (وأفاد الشارح أنه فات الرافعي والنووي : أنه رُوي عنه صلى الله عليه وسلم من طرق في « تاريخ ابن حبان » وغيره وإن كانت ضعيفة ؛ للعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ؛ ولهٰذا اعتمد الوالد رحمه الله تعالى استحبابه ، وأفتىٰ به وباستحبابه أيضاً عقب الغسل كالوضوء ولو مجدداً ، ويتجه إلحاق التيمم به . . .) .

(٢) ما بين معقوفين زيادة من المطبوع .

(٣) سنن أبي داوود (١٣٦) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

سراجي يوماً[١] ، فحضرَ وقتُ الصلاةِ ، فجدَّدَ الشيخُ أجلُّ سراجي الوضوءَ ، وسها عن تخليلِ الأصابعِ ، فهتفَ هاتفٌ : يا أجلُّ ؛ تدَّعي محبَّةَ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وتكونُ مِنْ أمَّتِهِ ، وتتركُ سنَّةً مِنْ سنَّتِهِ ؟!

فحلفَ الشيخُ أجلُّ : لا أتركُ سنَّةً مِنْ سننِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مِنْ وقتِنا هٰذا إلىٰ وقتِ الموتِ .

وقالَ الشيخُ معينُ الدِّينِ : كنتُ إذا رأيتُ الشيخَ أجلَّ . . رأيتُهُ كأنَّهُ ينامُ ، فسألتُهُ عنهُ ، فقالَ : أنا مِنْ ذٰلكَ الوقتِ الذي نسيتُ تخليلَ الأصابعِ إلىٰ هٰذا الوقتِ في الحيرةِ ؛ كيفَ أُلاقي بهٰذا الوجهِ محمداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟!)[٢] .

[يا فُضيلُ تتركُ في الوضوءِ سُنَّتي ؟!]

وحُكِيَ عنِ الفُضيلِ بنِ عياضٍ : (أنَّهُ نسيَ في الوضوءِ غَسلَ اليدَينِ مرَّتَينِ ، فلمَّا صلَّىٰ ونامَ في تلكَ اللَّيلةِ . . رأى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « يا فُضَيْلُ ؛ ٱلْعَجَبُ مِنْكَ : أَنَّكَ تَتْرُكُ فِي ٱلْوُضُوءِ سُنَّتِي !! » .

فانتبَهَ الفُضيلُ مِنْ نومِهِ ، وجدَّدَ الوضوءَ مِنْ أوَّلِهِ ، ووَظَّفَ علىٰ نفسِهِ خمسَ مئةِ ركعةٍ إلىٰ سنةٍ ؛ كفَّارةً لذٰلكَ ، نفعَنا اللهُ بهِ وبسائرِ أوليائِهِ ، ورزقَنا اتباعَهُم)[٣] .

[نواقضُ الوضوءِ]

ونواقضُهُ : تيقُّنُ خروجِ شيءٍ غيرِ منيِّهِ ولو ريحاً مِنْ فرجٍ ، وغَلَبَةٌ على

---

(١) في (أ ، ب) : (أجل السراي) في الموضعين .

(٢) انظر « مرشد الطلاب إلى الكريم الوهاب » (ق/٢٦) مخطوط .

(٣) ذكره في « مرشد الطلاب إلى الكريم الوهاب » (ق/٢٦ ـ ٢٧) مخطوط .

العقلِ لا بنومِ مُمكِّنٍ مَقعدتَهُ ، ومسُّ فرجِ آدميٍّ ببطنِ كفٍّ ، وتلاقي بشرتَيْ ذَكَرٍ وأنثىٰ بِكِبَرٍ ، لا معَ مَحرَميَّةٍ .

[ما يَحرُمُ بالحدثِ الأصغرِ]

ويَحرُمُ بالحدثِ صلاةٌ وطوافٌ وسجودٌ ، ومسُّ وحملُ ما كُتِبَ فيهِ قرآنٌ لدراسةٍ ، لا معَ تفسيرٍ زادَ عليهِ ، ولا قلبُ ورقِهِ بعُودٍ إن لم تنفصلْ عنهُ .

ويجبُ علىٰ نحوِ الوليِّ منعُ غيرِ مُميِّزٍ مصحفاً[1] ولوحاً فيهِ قرآنٌ ولو بعضَ آيةٍ ، لا مُميِّزٍ لحاجتِهِ .

* * *

(١) في (ج) : (منع غير المميز أن يمس مصحفاً) .

بابُ الغُسْل

أخرجَ الطبرانيُّ عنِ ابنِ عمرٍو رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا ٱلْتَقَى ٱلْخِتَانَانِ وَغَابَتِ ٱلْحَشَفَةُ . . فَقَدْ وَجَبَ ٱلْغُسْلُ ؛ أَنْزَلَ أَوْ لَمْ يُنْزِلْ »(١) .

والنَّسائيُّ وابنُ ماجه عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : « إِذَا ٱسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ ، فَرَأَىٰ بَلَلاً وَلَمْ يَرَ أَنَّهُ ٱحْتَلَمَ . . ٱغْتَسَلَ ، وَإِذَا رَأَىٰ أَنَّهُ قَدِ ٱحْتَلَمَ وَلَمْ يَرَ بَلَلاً . . فَلَا غُسْلَ عَلَيْهِ »(٢) .

وسَمُّويَهْ عن أنسٍ : « إِذَا وَجَدَتِ ٱلْمَرْأَةُ فِي ٱلْمَنَامِ مَا يَجِدُ ٱلرَّجُلُ . . فَلْتَغْتَسِلْ »(٣) .

والطبرانيُّ عنِ ابنِ عباسٍ : « إِنَّ ٱلْمَلَائِكَةَ لَا تَحْضُرُ ٱلْجُنُبَ ، وَلَا ٱلْمُتَضَمِّخَ بِٱلْخَلُوقِ حَتَّىٰ يَغْتَسِلَا »(٤) .

وأبو داوودَ والنَّسائيُّ : « لَا تَدْخُلُ ٱلْمَلَائِكَةُ بَيْتاً فِيهِ صُورَةٌ وَلَا جُنُبٌ وَلَا كَلْبٌ »(٥) .

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٤٨٦) ، وقوله : (**الختانان**) أي : ختان الرجل وخفاض المرأة ، فجمعهما تغليباً ، **والمراد** : وجوب الغسل على الرجل والمرأة بتغييب الحشفة ، وهٰذا الحديث ناسخ لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الماء من الماء » .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٦٦٥) ، وعبد الرزاق (٩٧٤) ، والبيهقي (١٦٧/١) برقم (٨٠٥) ، وقد ذكره المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٦٥٤٧) وعزاه لعبد الرزاق والبيهقي ولم يعزه للنسائي .

(٣) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٦٥٥٤) وعزاه لسمويه .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣٦١/١١) .

(٥) أخرجه أبو داوود (٢٢٩) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٢٥٣) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنحوه .

[تحتَ كلِّ شعرةٍ جنابةٌ]

وأحمدُ وأبو داوودَ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَنْ تَرَكَ مَوْضِعَ شَعْرَةٍ مِنْ جَنَابَةٍ لَمْ يَغْسِلْهَا .. فُعِلَ بِهِ كَذَا وَكَذَا مِنَ ٱلنَّارِ » قالَ عليٌّ : فَمِنْ ثَمَّ عاديتُ شعرَ رأسي [ثلاثاً] وكانَ يَجُزُّ شعرَهُ(١) .

وابنُ ماجه والترمذيُّ عن أبي هريرةَ : « إِنَّ تَحْتَ كُلِّ شَعَرَةٍ جَنَابَةً ، فَٱغْسِلُوا ٱلشَّعَرَ ، وَأَنْقُوا ٱلْبَشَرَ »(٢) .

[ما يَحرُمُ على الجُنُبِ والحائضِ]

وهُما عنِ ابنِ عمرَ : « لَا يَقْرَأُ ٱلْجُنُبُ وَلَا ٱلْحَائِضُ شَيْئاً مِنَ ٱلْقُرْآنِ »(٣) .

والنَّسائيُّ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : « وَجِّهُوا هَـٰذِهِ ٱلْبُيُوتَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ؛ فَإِنِّي لَا أُحِلُّ ٱلْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ وَلَا جُنُبٍ »(٤) .

وأبو داوودَ والترمذيُّ عن أبي هريرةَ : « مَنْ أَتَىٰ حَائِضاً فِي فَرْجِهَا ، أَوِ ٱمْرَأَةً فِي دُبُرِهَا ، أَوْ كَاهِناً .. فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ »(٥) .

وأخرجَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا وَقَعَ ٱلرَّجُلُ بِأَهْلِهِ وَهِيَ حَائِضٌ .. فَلْيَتَصَدَّقْ بِدِينَارٍ ،

---

(١) أخرجه أبو داوود (٢٣٢) واللفظ له ، وأحمد (١٠١/١) .

(٢) سنن الترمذي (١٠٦) ، وسنن ابن ماجه (٦٥٠) .

(٣) سنن الترمذي (١٣١) ، وسنن ابن ماجه (٦٤٩) .

(٤) أخرجه أبو داوود (٢٣٥) ، وابن خزيمة في « صحيحه » (١٣٢٧) ، ولم يعزه ابن الأثير في « جامع الأصول » (٨٧٥٢) إلا لأبي داوود ، فليتنبه .

(٥) سنن أبي داوود (٣٨٩٩) ، سنن الترمذي (١٣٥) .

وَفِي وَسَطِهِ . . بِنِصْفِ دِينَارٍ ، وَفِي آخِرِهِ . . بِثُلُثِهِ »[1] .

والشيخانِ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا كانَ جُنُباً فأرادَ أن يأكلَ أو ينامَ . . توضَّأَ وضوءَهُ للصلاةِ)[2] .

ومسلمٌ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ : « إِذَا أَتَىٰ أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَعُودَ . . فَلْيَتَوَضَّأْ بَيْنَهُمَا »[3] .

[استحيوا مِنْ ملائكةِ اللهِ]

والبزَّارُ عنِ ابنِ عباسٍ : « إِنَّ ٱللهَ يَنْهَاكُمْ عَنِ ٱلتَّعَرِّي ، فَٱسْتَحْيُوا مِنْ مَلَائِكَةِ ٱللهِ ؛ ٱلَّذِينَ لَا يُفَارِقُونَكُمْ إِلَّا عِنْدَ ثَلَاثِ حَالَاتٍ : ٱلْغَائِطِ ، وَٱلْجَنَابَةِ ، وَٱلْغُسْلِ ؛ فَإِذَا ٱغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ بِٱلْعَرَاءِ . . فَلْيَسْتَتِرْ بِثَوْبِهِ ، أَوْ بِجِذْمَةِ حَائِطٍ ، أَوْ بِبَعِيرِهِ »[4] .

وعبدُ الرَّزاقِ عنِ ابنِ جُريجٍ قالَ : بلغَني أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خرجَ ؛ فإذا هوَ بأجيرٍ لهُ يغتسلُ عارياً ، فقالَ : « لَا أَرَاكَ تَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّكَ ؟! خُذْ إِجَارَتَكَ لَا حَاجَةَ لَنَا بِكَ »[5] .

[قصَّةٌ في عقابِ مَنْ لا يغتسلُ مِنَ الجنابةِ]

وحكىٰ أبانُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَليُّ : (هلكَ جارٌ لنا ، فشهدنا غسلَهُ

---

(١) أخرج نحوه عبد الرزاق في « مصنفه » (١٢٦٤) ، والدارمي في « سننه » (١١٥١) ، والبزار (٤٧٥٠) كلهم دون زيادة : « وفي آخره . . بثلثه » والحديث بأكمله زيادة من (د) .

(٢) صحيح البخاري بمعناه (٢٨٦) ، وصحيح مسلم (٢٢/٣٠٥) بلفظه .

(٣) صحيح مسلم (٣٠٨) .

(٤) مسند البزار (٤٧٩٩) ، وقوله : (**بجذمة حائط**) أي : بقية حائط أو قطعة منه .

(٥) مصنف عبد الرزاق (١١١٢) .

وحملَهُ إلىٰ قبرِهِ ؛ وإذا فيهِ شبيةٌ بالهرَّةِ ، فزجرناهُ فلم يَنزجِرْ ، فضربَ الحفَّارُ جبهتَهُ ببَيْرَمَتِهِ فلم يبرحْ ، فتحوَّلوا إلىٰ قبرٍ آخرَ ، فلمَّا ألحدَ . . فإذا هوَ فيهِ ، فصنعوا بهِ مثلَما صنعوا ، فلم يلتفتْ ، فقالَ القومُ : إنَّ هٰذا لَأمرٌ ما رأينا مثلَهُ !! فادفِنوا صاحبَكُم ، فدفنوهُ ، فلمَّا سُوِّيَ عليهِ اللَّبِنُ . . سمعنا قَضْقَضَةَ عظامِهِ ، فذهبَ عمِّي وغيرُهُ إلى امرأتِهِ ، فقالوا لها : ما حالُ زوجِكِ ؟ وحدَّثوها بما رأَوا ، فقالَتْ : كانَ لا يغتسلُ مِنَ الجنابةِ)[١] .

[ثوبٌ مِنْ نارٍ لِمَنْ تركَ غُسلَ يومٍ مِنَ الجنابةِ]

وحكى الغزاليُّ : (أنَّهُ رُئِيَ رجلٌ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ قالَ : دعْني ؛ فإنِّي لم أتمكَّنْ مِنْ غُسلٍ يوماً مِنَ الجنابةِ ، فألبسَني اللهُ ثوباً مِنَ النَّارِ أتقلَّبُ فيهِ)[٢] .

[اغتسالُ ابنِ عبدِ السلامِ في ليلةٍ باردةٍ منحَهُ العِزَّ]

وحكى اليافعيُّ : (أنَّ الشيخَ عزَّ الدِّينِ بنَ عبدِ السلامِ احتلمَ في ليلةٍ باردةٍ ، فأتىٰ إلى الماءِ وهوَ جامدٌ ، فكسرَهُ واغتسلَ ، وكادَتْ روحُهُ تخرجُ مِنْ شِدَّةِ البردِ ، ثمَّ احتلمَ ثانياً في ليلةٍ ، فأتىٰ إلى الماءِ واغتسلَ ، فغُشِيَ عليهِ ، فسمعَ يُقالُ لهُ : لَأُعَوِّضَنَّكَ بها عِزَّ الدُّنيا والآخِرةِ)[٣] ، أعزَّنا اللهُ معَهُ في الدارَينِ .

---

(١) ذكر هٰذه القصة الإمام ابن رجب في « أهوال القبور » (ص ٦٦) ، والحافظ السيوطي في « شرح الصدور » (ص ٣٤٧) .

(٢) ذكرها جد المؤلف في « مرشد الطلاب » (ق/٢٨) مخطوط .

(٣) انظر « مرآة الجنان » (٤/١٥٨) .

فَصْلٌ

[في مُوجِباتِ الغُسلِ وشروطِهِ وفروضه]

مُوجِباتُ الغُسلِ : جنابةٌ بخروجِ منيِّهِ ، أو دخولِ حشفةٍ أو قدرِها فرجاً ، وحيضٌ ونفاسٌ ، ونحوُ ولادةٍ ، وموتٌ .

وشروطُهُ : ماءٌ مُطلَقٌ ، وعدمُ حائلٍ ، ولا مُغيِّرٍ للماءِ على العُضوِ ؛ كوسخٍ تحتَ ظُفُرٍ ، وكزعفرانٍ وصَنْدلٍ وسِدْرٍ ، وجَرْيُ الماءِ عليهِ .

وفروضُهُ : نيَّةُ أداءِ فرضِ الغُسلِ ، أو رفعِ نحوِ الجنابةِ ، وتعميمُ ظاهرِ البدنِ ؛ حتى ما تحتَ القُلفَةِ مِنَ الأقلفِ بالماءِ(١) .

فَرْعٌ

[غَلَبةُ الظَّنِّ بعمومِ الماءِ كافيةٌ]

لا يجبُ تيقُّنُ عمومِ الماءِ ، بل يكفي فيهِ كالوضوءِ غَلَبةُ الظَّنِّ بالعمومِ .

[سننُ الاغتسالِ ومكروهاتُهُ]

وسننُهُ : تسميةٌ ، وإزالةُ قَذَرٍ ، ثمَّ وضوءٌ ، وتخليلٌ ، وتعهُّدُ غضونٍ ومُوقٍ ولَحاظٍ ، ودَلْكٌ ، وتيامنٌ ، وتوجُّهٌ للقِبلةِ ، وتركُ استعانةٍ في صبٍّ ، والشهادتانِ بعدَهُ ، وتثليثٌ ، ووِلاءٌ .

ومكروهاتُهُ : إسرافٌ في الماءِ ، وتركُ وضوءٍ ومضمضةٍ واستنشاقٍ .

❋ ❋ ❋

---

(١) **الأقلف** : الذي لم يختتن ، **والقُلفة** : الجلدة التي تُقطع من ذَكَر الصبي ؛ فمن بلغ ولم يختتن . . وجب عليه غسل ما تحتها .

باب فضل الصّلاة المكتوبة

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا ﴾ أي : مفروضاً ﴿ مَّوْقُوتًا ﴾[1] أي : مُقدَّراً وقتُها ، فلا تُقدَّمُ عليهِ ولا تُؤخَّرُ عنهُ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي : الصلواتِ الخمسِ ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[2] .

[النَّوافلُ تُتمِّمُ الفرائضَ]

وأخرجَ الحاكمُ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَوَّلُ مَا ٱفْتَرَضَ ٱللهُ عَلَىٰ أُمَّتِي . . ٱلصَّلَوَاتُ ٱلْخَمْسُ ، وَأَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ . . ٱلصَّلَوَاتُ ٱلْخَمْسُ ، وَأَوَّلُ مَا يُسْأَلُونَ عَنْهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ . . ٱلصَّلَوَاتُ ٱلْخَمْسُ ؛ فَمَنْ كَانَ ضَيَّعَ شَيْئاً مِنْهَا[3] . . يَقُولُ ٱللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ٱنْظُرُوا ؛ هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي نَافِلَةً مِنْ صَلَاةٍ تُتِمُّونَ بِهَا مَا نَقَصَ مِنَ ٱلْفَرِيضَةِ ؟

وَٱنْظُرُوا فِي صِيَامِ عَبْدِي شَهْرَ رَمَضَانَ ؛ فَإِنْ كَانَ ضَيَّعَ شَيْئاً مِنْهُ . . فَٱنْظُرُوا ؛ هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي نَافِلَةً مِنْ صِيَامٍ تُتِمُّونَ بِهَا مَا نَقَصَ مِنَ ٱلصِّيَامِ ؟

وَٱنْظُرُوا فِي زَكَاةِ عَبْدِي ؛ فَإِنْ كَانَ ضَيَّعَ شَيْئاً مِنْهَا . . فَٱنْظُرُوا ؛ هَلْ

---

(١) سورة النساء : (١٠٣) .

(٢) سورة المنافقون : (٩) .

(٣) في (ج ، د) زيادة : (فإن صلحت . . فقد أفلح وأنجح ، وإن نقصت . . فقد خاب وخسر ، فمن كان ضيع . . .) .

تَجِدُونَ لِعَبْدِي نَافِلَةً مِنْ صَدَقَةٍ تُتِمُّونَ بِهَا مَا نَقَصَ مِنَ ٱلزَّكَاةِ ؟ فَيُؤْخَذُ ذَٰلِكَ عَلَىٰ فَرَائِضِ ٱللهِ ، وَذَٰلِكَ بِرَحْمَةِ ٱللهِ وَعَدْلِهِ ؛ فَإِنْ وَجَدَ فَضْلاً . . وُضِعَ فِي مِيزَانِهِ وَقِيلَ لَهُ : ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ مَسْرُوراً ، وَإِنْ لَمْ يُوجَدْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَٰلِكَ . . أُمِرَتْ بِهِ ٱلزَّبَانِيَةُ تَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، ثُمَّ تَقْذِفُ بِهِ فِي ٱلنَّارِ »(١) .

[الصلاةُ تُكفِّرُ الذُّنوبَ]

وروىٰ مسلمٌ عن جابرٍ : « مَثَلُ ٱلصَّلَوَاتِ ٱلْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ عَذْبٍ عَلَىٰ بَابِ أَحَدِكُمْ ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ » [قالَ : قالَ الحسنُ] : فما يُبقي ذٰلكَ مِنَ الدَّنَسِ ؟!(٢) .

وأحمدُ عن أبي ذَرٍّ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خرجَ زمنَ الشتاءِ والورقُ يتهافتُ ، فأخذَ بغُصنَينِ مِنْ شجرةٍ ، قالَ : فجعلَ ذٰلكَ [الورقُ] يتهافتُ ، قالَ : فقالَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ » فقلتُ : لبَّيكَ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : « إِنَّ ٱلْعَبْدَ ٱلْمُسْلِمَ لَيُصَلِّي ٱلصَّلَاةَ يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ ٱللهِ . . فَتَهَافَتُ عَنْهُ ذُنُوبُهُ ؛ كَمَا تَهَافَتُ هَـٰذَا ٱلْوَرَقُ عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ !! »(٣) .

والطبرانيُّ والبيهقيُّ عنِ ابنِ عمرَ : « إِنَّ ٱلْعَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي . . أُتِيَ بِذُنُوبِهِ كُلِّهَا ، فَوُضِعَتْ عَلَىٰ رَأْسِهِ وَعَاتِقَيْهِ ؛ فَكُلَّمَا رَكَعَ أَوْ سَجَدَ . . تَسَاقَطَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ »(٤) .

ومسلمٌ عن عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَا مِنِ ٱمْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ

(١) أخرجه الحاكم في « الكنىٰ » كما في « كنز العمال » (١٨٨٥٩) للمتقي الهندي .

(٢) صحيح مسلم (٦٦٨) بنحوه .

(٣) مسند أحمد (١٧٩/٥) .

(٤) أخرجه الطبراني في « مسند الشاميين » (١٩٨١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٨٧٧) .

مَكْتُوبَةٌ ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا . . إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ ٱلذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةً ، وَذَٰلِكَ ٱلدَّهْرَ كُلَّهُ »[1] .

والبيهقيُّ عن أنسٍ : « مَا مِنْ حَافِظَيْنِ يَرْفَعَانِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ بِصَلَاةِ رَجُلٍ مَعَ صَلَاةٍ . . إِلَّا قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : أُشْهِدُكُمَا أَنِّي غَفَرْتُ لِعَبْدِي مَا بَيْنَهُمَا »[2] .

[خمسَ عشرةَ عقوبةً لِمَنْ تهاونَ بالصَّلاةِ]

وفي كتابِ « الزَّواجرِ » لشيخِنا خاتمةِ المُحقِّقينَ أحمدَ ابنِ حجرٍ الهيتميِّ رضيَ اللهُ عنهُ : (قالَ بعضُهُم : وردَ في حديثٍ : « مَنْ حَافَظَ عَلَى ٱلصَّلَاةِ . . أَكْرَمَهُ ٱللهُ بِخَمْسِ خِصَالٍ : يَرْفَعُ عَنْهُ ضِيقَ ٱلْعَيْشِ ، وَعَذَابَ ٱلْقَبْرِ ، وَيُعْطِيهِ ٱللهُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، وَيَمُرُّ عَلَى ٱلصِّرَاطِ كَٱلْبَرْقِ ، وَيَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

وَمَنْ تَهَاوَنَ عَنِ ٱلصَّلَاةِ . . عَاقَبَهُ ٱللهُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ عُقُوبَةً ؛ خَمْسَةٍ فِي ٱلدُّنْيَا[3] ، وَثَلَاثَةٍ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ ، وَثَلَاثَةٍ فِي قَبْرِهِ ، وَثَلَاثَةٍ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ ٱلْقَبْرِ .

فَأَمَّا ٱللَّوَاتِي فِي ٱلدُّنْيَا . . **فَٱلْأُولَىٰ** : تُنْزَعُ ٱلْبَرَكَةُ مِنْ عُمْرِهِ ، **وَٱلثَّانِيَةُ** : تُمْحَىٰ سِيمَا ٱلصَّالِحِينَ مِنْ وَجْهِهِ ، **وَٱلثَّالِثَةُ** : كُلُّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ لَا يَأْجُرُهُ ٱللهُ عَلَيْهِ ، **وَٱلرَّابِعَةُ** : لَا يُرْفَعُ لَهُ دُعَاءٌ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ، **وَٱلْخَامِسَةُ** : لَيْسَ لَهُ حَظٌّ فِي دُعَاءِ ٱلصَّالِحِينَ[4] .

---

(١) صحيح مسلم (٢٢٨) .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٥٦٣) .

(٣) في (ج ، د) : (ست في الدنيا) ، وفي (هـ) : (ستة في الدنيا) وعلىٰ هٰذا يتم العدد خمس عشرة ، وهو غير تام في « الزواجر » وقد نبه عليه مؤلفه كما سيأتي .

(٤) في (ج) : (**والسادسة** : لا حظ له في الإسلام) ، وفي (د) : (**والسادسة** : يرفع الله البركة من رزقه) ، وكذا في (هـ) مع تقديم وتأخير .

وَأَمَّا ٱلَّتِي تُصِيبُهُ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ . . فَٱلْأُولَىٰ : أَنَّهُ يَمُوتُ ذَلِيلاً ، وَٱلثَّانِيَةُ : يَمُوتُ جَائِعاً ، وَالثَّالِثَةُ : يَمُوتُ عَطْشَاناً ؛ وَلَوْ سُقِيَ بِحَارَ ٱلدُّنْيَا . . مَا رَوِيَ مِنْ عَطَشِهِ .

وَأَمَّا ٱلَّتِي تُصِيبُهُ فِي قَبْرِهِ . . فَٱلْأُولَىٰ : يَضِيقُ عَلَيْهِ ٱلْقَبْرُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ ، وَٱلثَّانِيَةُ : يُوقَدُ عَلَيْهِ ٱلْقَبْرُ نَاراً يَتَقَلَّبُ عَلَى ٱلْجَمْرِ لَيْلاً وَنَهَاراً ، وَٱلثَّالِثَةُ : يُسَلَّطُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ ثُعْبَانٌ ، ٱسْمُهُ ٱلشُّجَاعُ ٱلْأَقْرَعُ ؛ عَيْنَاهُ مِنْ نَارٍ ، وَأَظْفَارُهُ مِنْ حَدِيدٍ ، طُولُ كُلِّ ظُفُرٍ مَسِيرَةُ يَوْمٍ ، يُكَلِّمُ ٱلْمَيِّتَ فَيَقُولُ : أَنَا ٱلشُّجَاعُ ٱلْأَقْرَعُ ، وَصَوْتُهُ مِثْلُ ٱلرَّعْدِ ٱلْقَاصِفِ ، يَقُولُ : أَمَرَنِي ٱللهُ تَعَالَىٰ أَنْ أَضْرِبَكَ عَلَىٰ تَضْيِيعِ صَلَاةِ ٱلصُّبْحِ إِلَىٰ بَعْدِ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ، وَأَضْرِبَكَ عَلَىٰ تَضْيِيعِ صَلَاةِ ٱلظُّهْرِ إِلَى ٱلْعَصْرِ ، وَأَضْرِبَكَ عَلَىٰ تَضْيِيعِ صَلَاةِ ٱلْعَصْرِ إِلَى ٱلْمَغْرِبِ ، وَأَضْرِبَكَ عَلَىٰ تَضْيِيعِ صَلَاةِ ٱلْمَغْرِبِ إِلَى ٱلْعِشَاءِ ، وَأَضْرِبَكَ عَلَىٰ تَضْيِيعِ صَلَاةِ ٱلْعِشَاءِ إِلَى ٱلْفَجْرِ ، فَكُلَّمَا ضَرَبَهُ ضَرْبَةً . . يَغُوصُ فِي ٱلْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعاً ، فَلَا يَزَالُ فِي ٱلْقَبْرِ مُعَذَّباً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ .

وَأَمَّا ٱلَّتِي تُصِيبُهُ عِنْدَ ٱلْخُرُوجِ مِنَ ٱلْقَبْرِ فِي مَوْقِفِ ٱلْقِيَامَةِ . . فَشِدَّةُ ٱلْحِسَابِ ، وَسَخَطُ ٱلرَّبِّ ، وَدُخُولُ ٱلنَّارِ »[1] .

وفي روايةٍ : « فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَعَلَىٰ وَجْهِهِ ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ مَكْتُوبَاتٍ : ٱلسَّطْرُ ٱلْأَوَّلُ : يَا مُضَيِّعَ حَقِّ ٱللهِ ، وَٱلسَّطْرُ ٱلثَّانِي : يَا مَخْصُوصاً بِغَضَبِ ٱللهِ ، وَٱلسَّطْرُ ٱلثَّالِثُ : كَمَا ضَيَّعْتَ فِي ٱلدُّنْيَا حَقَّ ٱللهِ . . فَأَيْئَسِ ٱلْيَوْمَ أَنْتَ مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ »)[2] .

❀ ❀ ❀

---

(١) أورده أبو الليث السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ٢٧٦) مختصراً .

(٢) انظر « الزواجر عن اقتراف الكبائر » (١/٢٩٥ ـ ٢٩٦) في الكبيرة (٧٧) ، وقال : (وما ذكر في ←

ورُوِيَ : (إنَّ في جهنَّمَ وادياً يُقالُ لهُ : لَمْلَمٌ ، فيهِ حيَّاتٌ ؛ كلُّ حيَّةٍ بثِخَنِ رَقَبَةِ البعيرِ ، طولُهَا مسيرةُ شهرٍ ، تَلسَعُ تاركَ الصَّلاةِ ، فيغلي سُمُّهَا فِي جسمِهِ سبعينَ سنةً ، ثمَّ يَتَهَرَّىٰ لحمُهُ)[1] .

[تاركُ الصَّلاةِ عمداً شرٌّ مِنْ معترفةِ الزِّنا]

ورُوِيَ أيضاً : أنَّ امرأةً مِنْ بني إسرائيلَ جاءَتْ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ ، فقالَتْ : يا نبيَّ اللهِ ؛ أذنبتُ ذنباً عظيماً ، وقد تُبْتُ إلى اللهِ تعالىٰ ، فٱدْعُ اللهَ أن يغفِرَ لي ذنبي ، ويتوبَ عليَّ .

فقالَ لها موسىٰ عليهِ السلامُ : « وَمَا ذَنْبُكِ ؟ » قالَتْ : يا نبيَّ اللهِ ؛ زنيتُ وولدتُ ولداً وقتلتُهُ ، فقالَ موسىٰ عليهِ السلامُ : « ٱخْرُجِي يَا فَاجِرَةُ ؛ لَا تَنْزِلُ نَارٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَتُحْرِقَنَا بِشُؤْمِكِ » .

فخرجَتْ مِنْ عندِهِ مُنكسِرةَ القلبِ ، فنزلَ جبريلُ عليهِ السلامُ وقالَ : « يَا مُوسَى ؛ ٱلرَّبُّ تَعَالَىٰ يَقُولُ لَكَ : لِمَ رَدَدْتَ ٱلتَّائِبَةَ ؟! يَا مُوسَىٰ ؛ أَمَا وَجَدْتَ شَرّاً مِنْهَا ؟! » .

قالَ موسىٰ : « يَا جِبْرِيلُ ؛ وَمَنْ شَرٌّ مِنْهَا ؟ قَالَ : مَنْ يَتْرُكُ ٱلصَّلَاةَ عَامِداً مُتَعَمِّداً » . انتهىٰ[2] .

❁ ❁ ❁

وأخرجَ أحمدُ وابنُ حِبَّانَ : « مَنْ حَافَظَ عَلَى ٱلصَّلَاةِ . . كَانَتْ لَهُ نُوراً

← هٰذا الحديث من تفصيل العدد . . لا يطابق جملة الخمس عشرة ؛ لأن المفصَّل أربع عشرة فقط ، فلعل الراوي نسي الخامس عشر) ، ولقد ذكر ذٰلك في النسخ (ج ، د ، هـ) كما سبق ، ولله الحمد والمنة .

(١) انظر « الزواجر عن اقتراف الكبائر » (١/٢٩٦) في الكبيرة (٧٧) .

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/٢٩٦) .

وَبُرْهَاناً وَنَجَاةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا . . لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ ، وَكَانَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ »[١] .

[تركُ الصَّلاةِ كبيرةٌ مِنَ الكبائرِ]

وروىٰ مسلمٌ وأبو داوودَ والترمذيُّ وابنُ ماجه عن جابرٍ : « بَيْنَ ٱلرَّجُلِ وَبَيْنَ ٱلشِّرْكِ وَٱلْكُفْرِ : تَرْكُ ٱلصَّلَاةِ »[٢] .

وأبو داوودَ : « بَيْنَ ٱلْعَبْدِ وَبَيْنَ ٱلْكُفْرِ : تَرْكُ ٱلصَّلَاةِ »[٣] .

والترمذيُّ : « بَيْنَ ٱلْكُفْرِ وَٱلْإِيمَانِ : تَرْكُ ٱلصَّلَاةِ »[٤] .

والطبرانيُّ : « مَنْ تَرَكَ ٱلصَّلَاةَ مُتَعَمِّداً . . فَقَدْ كَفَرَ جِهَاراً »[٥] .

وأحمدُ والترمذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجه وابنُ حِبَّانَ والحاكمُ عن بُرَيدةَ : « ٱلْعَهْدُ ٱلَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ ٱلصَّلَاةُ ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا . . فَقَدْ كَفَرَ »[٦] .

وفي روايةٍ سندُها حسنٌ : « عُرَى ٱلْإِسْلَامِ وَقَوَاعِدُ ٱلدِّينِ ثَلَاثٌ ، عَلَيْهِنَّ أُسِّسَ ٱلْإِسْلَامُ ؛ مَنْ تَرَكَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ . . فَهُوَ بِهَا كَافِرٌ حَلَالُ ٱلدَّمِ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَٱلصَّلَاةُ ٱلْمَكْتُوبَةُ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ »[٧] .

---

(١) أخرجه ابن حبان (١٤٦٧) ، وأحمد (١٦٩/٢) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) صحيح مسلم (٨٢) ، وسنن الترمذي (٢٦٢٠) ، وسنن ابن ماجه (١١٤٧) .

(٣) سنن أبي داوود (٤٦٤٥) .

(٤) سنن الترمذي (٢٦١٨) .

(٥) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٣٧٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٦) أخرجه ابن حبان (١٤٥٤) ، والحاكم (٧/١) ، والترمذي (٢٦٢١) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٣٢٦) ، وابن ماجه (١١٤٨) ، وأحمد (٣٤٦/٥) .

(٧) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٢٣٤٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ونقله في « الزواجر » (٢٨٣/١) وحسَّنه .

وفـي أُخـرىٰ سـنـدُهـا حـسـنٌ أيـضـاً : « مَـنْ تَـرَكَ وَاحِـدَةً مِـنْـهُـنَّ . . فَـهُـوَ بِـٱللهِ كَـافِـرٌ ، وَلَا يُـقْـبَـلُ مِـنْـهُ صَـرْفٌ وَلَا عَـدْلٌ ، وَقَـدْ حَـلَّ دَمُـهُ وَمَالُهُ »[1] .

والترمذيُّ : (كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يرونَ شيئاً مِنَ الأعمالِ تركُهُ كفرٌ غيرَ الصَّلاةِ)[2] .

وابنُ أبي شيبةَ والبخاريُّ في « تاريخِهِ » موقوفاً علىٰ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (مَنْ لم يُصَلِّ . . فهوَ كافرٌ)[3] .

ومحمدُ بنُ نصرٍ وابنُ عبدِ البرِّ موقوفاً على ابنِ عباسٍ : (مَنْ تركَ الصَّلاةَ . . فقد كفرَ)[4] .

وابنُ عبدِ البرِّ موقوفاً علىٰ جابرٍ : (مَنْ لم يُصَلِّ . . فهوَ كافرٌ)[5] .

وقالَ محمدُ بنُ نصرٍ : (سمعتُ إسحاقَ بنَ رَاهُويَهْ يقولُ : صحَّ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « أَنَّ تَارِكَ ٱلصَّلَاةِ كَافِرٌ »)[6] .

---

(١) أورده ابن رجب الحنبلي في « فتح الباري في شرح صحيح البخاري » (٢٢/١) وعزاه لسعيد بن زيد عن عمرو بن مالك رفعه ، وابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢٨٣/١) في الكبيرة (٧٦) وحسَّنه .

(٢) سنن الترمذي (٢٦٢٢) عن عبد الله بن شقيق العقيلي من قوله رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣١٠٧٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤١) من طريق الإمام البخاري ، وعزاه لهما الإمام السيوطي في « الدر المنثور » (٧١٣/١) ، وابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢٨٦/١) .

(٤) أخرجه محمد بن نصر المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٩٣٩) ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٧١٣/١) ، وابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢٨٦/١) لابن نصر ولابن عبد البر .

(٥) أورده ابن عبد البر في « الاستذكار » (٧١٣٣) وقال : (روي عن علي وابن عباس وجابر وأبي الدرداء) أي : موقوفاً عليهم ، رضي الله عنهم أجمعين .

(٦) تعظيم قدر الصلاة (٩٩٠) .

وقالَ ابنُ حزمٍ : (قد جاءَ عن عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ مَنْ تركَ صلاةً واحدةً حتىٰ يخرجَ وقتُها . . فهوَ كافرٌ مُرتدٌّ)[1] .

تنبيهٌ

[في حكمِ تاركِ الصَّلاةِ]

قالَ جماعةٌ مِنَ الصَّحابةِ والتابعينَ ومَنْ بعدَهُم بكفرِ تاركِ الصَّلاةِ وإباحةِ دَمِهِ ؛ منهُم : عمرُ بنُ الخطَّابِ وابنُ عباسٍ ، وابنُ مسعودٍ وعبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ عوفٍ ، ومعاذُ بنُ جبلٍ وأبو هريرةَ ، وأبو الدَّرداءِ وجابرُ بنُ عبدِ اللهِ ، رضيَ اللهُ عنهُم .

ومِنْ غيرِ الصَّحابةِ : أحمدُ ابنُ حنبلٍ وإسحاقُ بنُ رَاهُويَهْ ، وعبدُ اللهِ بنُ المباركِ والنَّخَعِيُّ ، والحكَمُ بنُ عُيينَةَ وأيوبُ السَّختيانيُّ ، وأبو داوودَ الطيالسيُّ وأبو بكرِ ابنُ أبي شيبةَ ، وزهيرُ بنُ حربٍ وابنُ حبيبٍ ، وغيرُهُم[2] .

وقالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ وآخَرونَ : (إنَّ تاركَ الصَّلاةِ يكفرُ إنِ استحلَّ التركَ أو جحدَ الوجوبَ ، ولا يُقتَلُ بتركِ أداءِ صلاةٍ واحدةٍ حتىٰ يخرجَ وقتُ الجمعِ ؛ بضربِ عنقِهِ بالسيفِ إن لم يَتُبْ بعدَ استتابتِهِ كتاركِ الطهارةِ ، وقيلَ : يُضرَبُ بالعصا ، وقيلَ : يُنخَسُ بحديدةٍ إلىٰ أن يُصلِّيَ أو يموتَ)[3] .

وقالَ الغزاليُّ : (لو زعمَ زاعمٌ : أنَّ بينَهُ وبينَ اللهِ حالةً أسقطَتْ عنهُ

---

(١) انظر « الزواجر » (١/٢٩٨) ، ونحوه في « الاستذكار » (٧١٣٦) .

(٢) انظر « الزواجر عن اقتراف الكبائر » (١/٢٩٨) .

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/٢٩٨) باختصار .

الصَّلاةَ . . فلا شَكَّ في وجوبِ قتلِهِ ، وقتلُ مثلِهِ أفضلُ مِنْ قتلِ مئةِ كافرٍ)[١] .

وقالَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ : (لا يَصِحُّ نكاحُ تاركةِ الصَّلاةِ) ، ولٰكنْ في مذهبِنا : أنَّ نكاحَ الذميَّةِ أولىٰ مِنْ نكاحِ تاركتِها ؛ لأنَّها كافرةٌ عندَ أحمدَ ، ولا خلافَ في صحَّةِ نكاحِ الذميَّةِ .

فَصْلٌ

في تحريمِ تأخيرِ الصَّلاةِ عن وقتِها عمداً واستحبابِ تعجيلِها لأوَّلِ الوقتِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[٢] ، قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « هُمُ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا »[٣] .

والويلُ : شِدَّةُ العذابِ ، **وقيلَ** : وادٍ في جهنَّمَ لو سُيِّرَتْ فيهِ جبالُ الدُّنيا . . لذابَتْ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ[٤] ، فهوَ مَسكَنُ مَنْ يُؤَخِّرُ الصَّلاةَ عن وقتِها .

وأخرجَ الحاكمُ والترمذيُّ عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ جَمَعَ بَيْنَ صَلَاتَيْنِ . . فَقَدْ أَتَىٰ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الْكَبَائِرِ »[٥] .

---

(١) قاله في « فيصل التفرقة » (ص ٨٦) .

(٢) سورة الماعون : (٤ ـ ٥) .

(٣) أخرجه البيهقي (٢/٢١٤) برقم (٣٢٠٤) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٨٢٢) ، والمروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٤٢) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٨٠٠) من قول عطاء بن يسار رحمه الله تعالىٰ .

(٥) أخرجه الحاكم (١/٢٧٥) ، والترمذي (١٨٨) .

وأبو داوودَ وابنُ ماجه عنِ ابنِ عمرٍو[1] رضيَ اللهُ عنهُما : « ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مِنْهُمْ صَلَاةً : ٱلرَّجُلُ يَؤُمُّ قَوْماً وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ، وَٱلرَّجُلُ لَا يَأْتِي ٱلصَّلَاةَ إِلَّا دِبَاراً ـ والدِّبارُ : أن يأتيَها بعدَ أن تفوتَهُ ـ وَرَجُلٌ ٱعْتَبَدَ مُحَرَّراً » أي : جعلَهُ عبداً[2] .

[حفِظَكَ اللهُ كما حفِظتَني]

وروى الذهبيُّ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِذَا صَلَّى ٱلْعَبْدُ ٱلصَّلَاةَ فِي أَوَّلِ ٱلْوَقْتِ . . صَعِدَتْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَلَهَا نُورٌ ، حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَى ٱلْعَرْشِ ، فَتَسْتَغْفِرَ لِصَاحِبِهَا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ، وَتَقُولَ لَهُ : حَفِظَكَ ٱللهُ كَمَا حَفِظْتَنِي ، وَإِذَا صَلَّى ٱلْعَبْدُ [ٱلصَّلَاةَ] فِي غَيْرِ وَقْتِهَا . . صَعِدَتْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَعَلَيْهَا ظُلْمَةٌ ، فَإِذَا ٱنْتَهَتْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ . . تُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ ٱلثَّوْبُ ٱلْخَلَقُ ، وَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا ، وَتَقُولُ لَهُ : ضَيَّعَكَ ٱللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي »[3] .

[استحبابُ تعجيلِ الصَّلاةِ أوَّلَ الوقتِ]

وأخرجَ أبو الشيخِ عنِ ابنِ عمرَ : « فَضْلُ ٱلْوَقْتِ ٱلْأَوَّلِ عَلَى ٱلْآخِرِ . . كَفَضْلِ ٱلْآخِرَةِ عَلَى ٱلدُّنْيَا »[4] .

---

(١) في النسخ كلها إلا (هـ) : (ابن عمر) ، والمثبت منها ومن كتب التخريج .

(٢) سنن أبي داوود (٥٩٤) ، وسنن ابن ماجه (١٠٣٩) .

(٣) أورده الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٢٢) في الكبيرة الرابعة ، وأخرجه البزار بنحوه (٢٦٩١) ، والطيالسي في « مسنده » (٥٨٥) عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

(٤) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٩٢٦٦) وعزاه لأبي الشيخ ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٤٣٥٣) لكن عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

والترمذيُّ عنهُ : « ٱلْوَقْتُ ٱلْأَوَّلُ مِنَ ٱلصَّلَاةِ : رِضْوَانُ ٱللهِ ، وَٱلْوَقْتُ ٱلْآخِرُ : عَفْوُ ٱللهِ »[1] .

والطبرانيُّ عن أمّ فَرْوَةَ : « أَحَبُّ ٱلْأَعْمَالِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ . . تَعْجِيلُ ٱلصَّلَاةِ لِأَوَّلِ وَقْتِهَا »[2] .

وروى البخاريُّ عنِ الزُّهريِّ قالَ : دخلتُ علىٰ أنسِ بنِ مالكٍ بدمشقَ وهوَ يبكي ، فقلتُ : ما يُبكيكَ ؟! قالَ : (لا أعرفُ شيئاً ممَّا أدركتُ إلَّا هٰذهِ الصلاةَ ، وهٰذهِ الصلاةُ قد ضُيِّعَتْ !!)[3] .

قال الكرمانيُّ : (والمرادُ بتضييعِها : تأخيرُها عنِ الوقتِ المُستحبِّ ، لا أنَّهم أخَّروها عن وقتِها بالكليَّةِ)[4] .

[جملٌ يخافُ وقوعَ العذابِ]

ورُوِيَ عن عقيلِ بنِ أبي طالبٍ : (كنتُ أمشي معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإذا جملٌ يعدو حتىٰ بلغَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ الأمانَ !!

فلم يلبثْ حتىٰ جاءَ خلفَهُ أعرابيٌّ ومعَهُ سيفٌ مسلولٌ ، فقالَ لهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَاذَا تُرِيدُ مِنْ هَـٰذَا ٱلْمِسْكِينِ ؟ » .

قالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ اشتريتُهُ بثمنٍ كثيرٍ ، وليسَ هوَ يطيعُني ، فأريدُ أن أذبحَهُ وأنتفعَ بلحمِهِ .

---

(١) سنن الترمذي (١٧٢) .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨٢/٢٥) .

(٣) صحيح البخاري (٥٣٠) .

(٤) انظر « شرح الكرماني على البخاري » المسمى « الكواكب الدراري » (١٨٣/٤) .

فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للجملِ : « لِمَ تَعْصِيهِ ؟ » فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ لستُ أعصيهِ لأنِّي لستُ أقدرُ على العملِ . . ولٰكنْ أعصيهِ لأنَّ القبيلةَ التي أنا فيها ينامونَ عنْ صلاةِ العشاءِ الأخيرةِ ، فلو عاهدَكَ أن يُصلِّيَ العشاءَ الأخيرةَ . . عاهدتُكَ ألَّا أعصيَهُ ما دمتُ حيّاً ؛ فإنِّي أخافُ أن ينزلَ عليهِم عذابٌ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فأكونَ فيهِم .

فأخذَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ العهدَ على الأعرابيِّ : ألَّا يتركَ الصَّلاةَ ، وسلَّمَ إليهِ الجملَ ، فرجعَ إلىٰ أهلِهِ) .

[تهاونُها بالصَّلاةِ أشعلَ قبرَها ناراً]

وحُكِيَ عن بعضِ السلفِ : (أنَّهُ دفنَ أختاً لهُ ماتَتْ ، فسقطَ منهُ كيسٌ فيهِ مالٌ في قبرِها ، ولم يشعرْ بهِ حتى انصرفَ عن قبرِها ، ثمَّ ذكرَهُ فرجعَ إلىٰ قبرِها ، فنبشَهُ بعدَما انصرفَ النَّاسُ ، فوجدَ القبرَ يشتعلُ عليها ناراً ، فردَّ الترابَ إليها ورجعَ إلىٰ أمِّهِ باكياً حزيناً ، فقالَ : يا أمَّاهْ ؛ أخبريني عن أختي ما كانَتْ تعملُ ؟

قالَتْ : وما سؤالُكَ عنها ؟ قالَ : يا أمِّي ؛ رأيتُ قبرَها يشتعلُ عليها ناراً !!

قالَ : فبكَتْ وقالَتْ : يا ولدي ؛ كانَتْ أختُكَ تتهاونُ بالصَّلاةِ وتُؤخِّرُها عن وقتِها)[١] .

فهٰذا حالُ مَنْ يُؤخِّرُ الصَّلاةَ عن وقتِها ، فكيفَ حالُ مَنْ لا يُصلِّي أبداً ؟!

---

(١) ذكر القصة الحافظ الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٢٦) في الكبيرة الرابعة ، والعلامة ابن حجر الهيتمي في « الزواجر عن اقتراف الكبائر » (١/٢٩٧) في الكبيرة (٧٧) .

فنسألُ اللهَ تعالىٰ : أن يُعينَنا على المحافظةِ عليها بكمالاتِها في أوَّلِ أوقاتِها ؛ إنَّهُ جوادٌ كريمٌ ، رؤوفٌ رحيمٌ .

تنبيهات

أحدُها

[إخراجُ الصَّلاةِ عن وقتِها مِنَ الكبائرِ]

إنَّ إخراجَ الصَّلاةِ عن وقتِها بلا عذرٍ مِنْ أكبرِ الكبائرِ المُهلِكةِ ، فيجبُ علىٰ مَنْ فوَّتَها بغيرِ عذرٍ القضاءُ فوراً ، وصرفُ جميعِ زمنِهِ للقضاءِ ما عدا الوقتَ الذي يحتاجُ لصرفِهِ في تحصيلِ ما عليهِ مِنْ مُؤنَةِ نفسِهِ وعيالِهِ ، وكما يَحرُمُ الإخراجُ عنِ الوقتِ . . يَحرُمُ تقديمُها عنهُ عمداً .

وثانيها

[وجوبُ الصَّلاةِ أوَّلَ الوقتِ]

إنَّ الصَّلاةَ تجبُ بأوَّلِ الوقتِ وجوباً مُوسَّعاً ؛ فلهُ التأخيرُ عن أوَّلِهِ إلىٰ وقتٍ يسعُها ما لم يَظُنَّ فوتَها ، بشرطِ العزمِ علىٰ فعلِها فيهِ ، وإلَّا . . عصىٰ بالتأخيرِ ؛ كمَنْ نامَ بلا غَلَبَةٍ بعدَ دخولِ الوقتِ وقبلَ فعلِها ، حيثُ لم يَظُنَّ الاستيقاظَ قبلَ ضيقِ الوقتِ أو إيقاظَ غيرِهِ لهُ .

وثالثُها

[بِمَ تحصلُ فضيلةُ أوَّلِ الوقتِ ؟]

إنَّ فضيلةَ أوَّلِ الوقتِ تحصلُ باشتغالِهِ بأسبابِ الصَّلاةِ ؛ كطهارةٍ وسَترِ عورةٍ ، وأذانٍ في أوَّلِ الوقتِ ، ثمَّ يُصلِّيها .

ورابعُها

[ندبُ تأخيرِ الصَّلاةِ لأدائِها جماعةً]

إنه يُندَبُ تأخيرُ الصَّلاةِ عن أوَّلِ الوقتِ لِمَنْ تَيقَّنَ جماعةً أثناءَهُ وإن فَحُشَ التأخيرُ ؛ ما لم يَضِقِ الوقتُ ، وكذا لِمَنْ ظنَّها إذا لم يَفحُشِ التأخيرُ عرفاً ؛ بحيثُ لا يزيدُ علىٰ نصفِ الوقتِ ، ولا يُندَبُ التأخيرُ مطلقاً لِمَنْ شَكَّ فيها .

فَصْلٌ

في أحكامِ الصلاةِ

[شروطُ الصلاةِ]

شروطُها : سَترُ رجلٍ وأمةٍ ما بينَ سُرَّةٍ ورُكبةٍ ، وحُرَّةٍ غيرَ وجهٍ وكفٍّ مِنَ الأعلىٰ والجوانبِ ، بما لا يحكي اللَّونَ إن قدروا عليهِ .

وتوجُّهٌ للقِبلةِ إلَّا في صلاةِ شِدَّةِ خوفٍ ونفلِ سفرٍ مباحٍ .

ومعرفةُ دخولِ وقتٍ ولو ظنّاً .

ومعرفةُ كيفيَّةِ الصَّلاةِ ؛ بأن يعرفَ فرضيَّتَها ، ويُميّزَ فرائضَها مِنْ سننِها ؛ إلَّا في حقِّ العامِّيِّ إذا لم يَقصِدِ النفلَ بما هوَ فرضٌ .

وطهارةٌ عن حدثٍ .

وطهارةُ بدنٍ وملبوسٍ ومكانٍ عن نجَسٍ ؛ لا عن دمِ نحوِ بُرغوثٍ ودُمَّلٍ وحجمٍ وإن كَثُرَ بغيرِ فعلِهِ ، ولا عن قليلِ دمٍ أجنبيٍّ غيرِ نحوِ كلبٍ ، ودمِ نحوِ حيضٍ ، ولا عن روثٍ وبولِ خُفَّاشٍ وإن كَثُرا(١) .

---

(١) انظر تفصيل ذٰلك في « منظومة ابن العماد في المعفوات » (ص ٧٢ - ٧٣) مع التعليق عليه .

ويُعفىٰ عن ذَرْقِ طيورٍ في المسجدِ وإن كَثُرَ ؛ ما لم يَتعمَّدْ ملاقاتَهُ مِنْ غيرِ حاجةٍ ، ولم يكنْ هوَ أو مُماسُّهُ رطباً[1] .

[فروضُ الصَّلاةِ]

وفروضُها : نيَّةُ فعلِها معَ تعيينِ ذاتِ وقتٍ أو سببٍ ، ومعَ نيَّةِ الفرضِ فيهِ ؛ كـ (أُصلِّي فرضَ الظهرِ) ، ويجبُ قرنُها بأوَّلِ التكبيرةِ ، واستصحابُها إلىٰ آخِرِها ؛ كما في « الرَّوضةِ » و« أصلِها » ، والمختارُ : الاكتفاءُ بالمقارنةِ العرفيَّةِ ؛ بحيثُ يُعَدُّ مُستحضِراً للصَّلاةِ[2] .

وتكبيرُ تحرُّمٍ ، ويَتعيَّنُ فيهِ : (اللهُ أكبرُ) ، ويجبُ إسماعُ التكبيرِ نفسَهُ إن كانَ صحيحَ السمعِ ، ولا عارضَ مِنْ لَغَطٍ ونحوِهِ ، وكذا كلُّ ركنٍ قوليٍّ .

وقيامٌ لقادرٍ في فرضٍ ، والعاجزُ عنهُ ولو بنحوِ دوَرانِ رأسٍ في سفينةٍ . . قعدَ ، ثم اضطجعَ ، ثم استلقىٰ .

وقراءةُ (الفاتحةِ) معَ البسملةِ كلَّ ركعةٍ إلَّا ركعةَ مسبوقٍ ، ويجبُ رعايةُ حروفِها ومخارجِها وتشديداتِها ، وإعرابِها المُخِلِّ للمعنىٰ ، وموالاتُها كالتشهُّدِ ؛ فإن تخلَّلَ سكوتٌ طالَ ، أو قصدَ بهِ قطعَ القراءةِ ، أو ذِكْرٌ . . قطعَ الموالاةَ ، فإن تعلَّقَ بالصَّلاةِ ؛ كتأمينِهِ وسجودِهِ لقراءةِ إمامِهِ وفتحِهِ عليهِ . . فلا .

---

(١) قال الإمام ابن العماد في « منظومته في المعفوات » (ص ٨٢) :

وروثُ طيرٍ علىٰ حُصرِ المساجد ما	في العفو عنه خلافٌ من مشقَّتهِ
كذا النواويُّ وابنُ العيد قد نقلا	إطباقَهم كأبي إسحاقَ قدوتهِ
قال النواوي : لا إن عامداً وُطِئَتْ	أي : في الطواف لساعٍ في نسيكتهِ

(٢) انظر « العزيز شرح الوجيز » (١/٤٦١) ، و« روضة الطالبين » (١/٥٠٠) .

وترتيبُها ، ولو شَكَّ في حرفٍ أو آيةٍ قبلَ فراغِها لا بعدَه أو هل قرأَ . . استأنَفها ، وكـ (الفاتحةِ) في ذٰلكَ سائرُ الأركانِ .

ويَحرُمُ وقفةٌ لطيفةٌ بينَ السينِ والتاءِ مِنْ : ﴿ نَسْتَعِينُ ﴾[1] ، وتعمُّدُ تشديدِ مُخفَّفٍ .

ثمَّ قدرُها مِنْ بقيَّةِ القرآنِ ؛ فَمِنْ ذِكْرٍ أو دعاءٍ ، ثمَّ وقفةٌ بقدرِها .

وركوعٌ بانحناءٍ بلغَ راحتاهُ ركبتَيهِ .

واعتدالٌ بعَودٍ لبدءٍ .

وسجودٌ مرتَينِ بوضعِ بعضِ الجبهةِ ـ مكشوفاً إن أمكنَ علىٰ غيرِ محمولٍ يَتحرَّكُ بحركتِهِ ـ والركبتَينِ وبطنِ الكفَّينِ وأصابعِ القدمَينِ ، ويجبُ أن ينالَ مسجدُهُ ثقلَ رأسِهِ ، ويرتفعَ أسافِلُهُ علىٰ أعاليهِ .

وجلوسٌ بينَهُما ، ولا يُطوِّلُهُ ، ولا الاعتدالَ .

وطُمأنينةٌ فيها ، ويجبُ ألَّا يقصدَ بالرُّكنِ غيرَهُ .

وتشهُّدٌ أخيرٌ : (التحيَّاتُ للهِ ، سلامٌ عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ ، سلامٌ علينا وعلىٰ عبادِ اللهِ الصالحينَ ، أشهدُ أن لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ)[2] .

وصلاةٌ على النبيِّ ـ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ بعدَهُ : (اللهمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمدٍ) .

وتسليمةٌ أُولى : (السلامُ عليكُم) .

---

(١) سورة الفاتحة : (٥) .

(٢) هـٰذا أقل التشهد ؛ كما نقله الإمام النووي في « روضة الطالبين » (١/٥٤٤) ، وذكر قبله : أن أكمل التشهد ما رواه سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وسيذكره المؤلف (ص ١١٤) .

وقعودٌ للثلاثةِ .

وترتيبٌ كما ذُكِرَ .

[سننُ الصَّلاةِ]

وسننُها نوعانِ :

هيئاتٌ ؛ منها : الإضافةُ إلى اللهِ تعالىٰ ، والتعرُّضُ للاستقبالِ ، وعددِ الركعاتِ ، وأداءٍ وقضاءٍ إن لم تكنْ عليهِ فائتةٌ مُماثِلةٌ للمُؤداةِ ، والنطقُ بالمنويِّ .

ونظرُ موضعِ سجودِهِ مُطرِقاً رأسَهُ قليلاً ، ثمَّ رفعُ يدَيهِ بكشفٍ حَذْوَ مَنكِبَيهِ معَ ابتداءِ تحرُّمٍ وركوعٍ ورفعٍ منهُ ومِنْ تشهُّدٍ أوَّلَ ، ووضعُ يمينٍ علىٰ كوعِ يسارٍ تحتَ صدرِهِ ، وتفريقُ قدمَيهِ قدرَ شِبرٍ في القيامِ .

[دعاءُ الاستفتاحِ والتعوُّذُ والتأمينُ]

وافتتاحٌ سرّاً لِمُتمكِّنٍ إن لم يَتعوَّذْ أو يجلسْ معَ إمامِهِ ؛ وهوَ : (وجَّهتُ وجهي للذي فطرَ السماواتِ والأرضَ حنيفاً مسلماً وما أنا مِنَ المشركينَ ، إنَّ صلاتي ونُسكي ومحيايَ ومماتي للهِ ربِّ العالمينَ ، لا شريكَ لهُ ، وبذٰلكَ أُمرتُ وأنا مِنَ المسلمينَ)[1] .

ثمَّ تعوُّذٌ لكلِّ ركعةٍ سرّاً ، ووقفٌ علىٰ رأسِ كلِّ آيةٍ مِنَ (الفاتحةِ) حتى البسملةِ ، ويُكرَهُ الوقفُ علىٰ : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[2] .

---

(١) أخرج مسلم (٧٧١) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام إلى الصلاة . . قال : « وجهت وجهي . . . » .

(٢) سورة الفاتحة : (٧) .

وتأمينٌ بتخفيفٍ ومدٍّ ، وجهرٌ بهِ في جهريَّةٍ ، ولمأمومٍ سمعَ قراءةَ إمامِهِ معَهُ ، ولتركِهِ [1] ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا أَمَّنَ ٱلْإِمَامُ . . فَأَمِّنُوا ؛ فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ ٱلْمَلَائِكَةِ . . غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » رواهُ الشيخانِ [2] .

[قراءةُ شيءٍ مِنَ القرآنِ بعدَ (الفاتحةِ)]

ثمَّ قراءةُ شيءٍ مِنَ القرآنِ ولو آيةً ، **والأَوْلىٰ** : ثلاثُ آياتٍ في الأُوليَينِ لغيرِ مأمومٍ سمعَ قراءةَ إمامِهِ وفهمَها ؛ فتُكرَهُ لهُ كجهرٍ خلفَهُ .

وتحصلُ بإعادةِ (الفاتحةِ) إن لم يحفظْ غيرَها ، وبتكريرِ سورةٍ واحدةٍ في الركعتَينِ ، وسورةٌ كاملةٌ أفضلُ مِنَ البعضِ وإن طالَ في غيرِ التراويحِ ، وكونُ السورتَينِ متواليتَينِ ما لم تكنِ التي تليها أطولَ ، وعلىٰ ترتيبِ المصحفِ .

[سُوَرٌ تُسَنُّ قراءتُها في بعضِ الصلواتِ وسننٌ أخرىٰ]

وقراءةُ (الٓمٓ تنزيلُ) و(هل أتىٰ) في صبحِ جمعةٍ ، و(الجمعةِ) و(المنافقينَ) ، أو (سبِّحْ) و(هل أتاكَ) فيها وفي عشائِها ، و(الكافرونَ) و(الإخلاصِ) في مغربِها وفي صبحِ المسافرِ ، و(المُعوِّذتَينِ) في مغربِ السبتِ .

---

(١) أي : ولو تركه الإمام . . لا يتركه المأموم .

(٢) صحيح البخاري (٧٨٠) ، صحيح مسلم (٤١٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، قال المؤلف في « فتح المعين » (ص ١٠٤) : (وليس لنا ما يسنُّ فيه تحري مقارنة الإمام إلا هـٰذا) أي : التأمين .

وجهرٌ وإسرارٌ في محلَّيهما ، وتدبُّرُ قراءةٍ وذِكْرٍ ، وتكبيرٌ في كلِّ خفضٍ ورفعٍ مِنْ غيرِ ركوعٍ ، ومدُّهُ إلىٰ أن يصلَ إلى الرُّكنِ المُنتَقَلِ إليهِ .

[مِنْ سُننِ الركوعِ والسجودِ والاعتدالِ]

ووضعُ راحتَيهِ علىٰ ركبتَيهِ ، وتسويةُ ظهرٍ وعُنُقٍ في الركوعِ ، وأن يقولَ فيهِ : (سبحانَ ربِّيَ العظيمِ وبحمدِهِ) ثلاثاً ، وفي رفعِهِ منهُ : (سمعَ اللهُ لِمَنْ حمدَهُ) ، وفي اعتدالِهِ : (ربَّنا لكَ الحمدُ مِلْءَ السماواتِ ومِلْءَ الأرضِ ومِلْءَ ما شئتَ مِنْ شيءٍ بعدُ)[1] .

ورفعُ اليدَينِ في القنوتِ حَذْوَ مَنكِبَيهِ ، وجهرُ إمامٍ بهِ ، وتأمينُ مأمومٍ سمعَ قنوتَ إمامِهِ سماعاً مُحقَّقاً للدعاءِ منهُ ، والصَّلاةُ على النبيِّ ـ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ وآلِهِ فيهِ ، وإتيانُ إمامٍ بصيغةِ جمعٍ فيهِ وفي دعاءِ التشهُّدِ ؛ فيُكرَهُ تخصيصُ نفسِهِ[2] .

ووضعُ ركبتَيهِ مُفرَّقتَينِ بقدرِ شِبرٍ ، ثمَّ كفَّيهِ مكشوفتَينِ حَذْوَ مَنكِبَيهِ ؛ ناشراً أصابعَهُما مضمومةً للقبلةِ ، ثمَّ جبهتِهِ وأنفِهِ معاً ، وتفريقُ قدمَيهِ بشِبرٍ منصوبتَينِ ، مُوجِّهاً أصابعَهُما للقِبلةِ ، وإبرازُهُما مِنْ ذَيلِهِ في السجودِ ، وأن يقولَ في سجودِهِ : (سبحانَ ربِّيَ الأعلىٰ وبحمدِهِ) ثلاثاً .

ومجافاةُ ذَكَرٍ عَضُدَيهِ عن جنبَيهِ ، وبطنَهُ عن فخذَيهِ فيهِ وفي ركوعٍ ، وضمُّ غيرِهِ .

---

(١) أخرج مسلم (٤٧٦) ، وأبو داوود (٨٤٢) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع . . يقول : « سمع الله لمن حمده . . . » .

(٢) أخرج الترمذي (٣٥٧) ، وابن ماجه (٩٩٢) عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولا يؤم قوماً فيخص نفسه بدعوةٍ ؛ فإن فعل . . فقد خانهم » .

[مِنْ هيئاتِ الجلوسِ والتشهُّدِ]

وافتراشٌ في جلوسٍ بينَ السجدتَينِ ، ووضعُ كفَّيهِ قريباً مِنْ ركبتَيهِ ناشراً أصابعَهُ ، وأن يقولَ فيهِ : (ربِّ ؛ اغفرْ لي « ثلاثاً » وارحمْني واجبرْني ، وارفعْني وارزقْني ، واهدني وعافني)[(١)] .

وجَلسَةُ استراحةٍ ، وافتراشٌ فيها وفي تشهُّدٍ أوَّلَ ، واعتمادٌ على الأرضِ ببطنِ كفَّيهِ عندَ نهوضِهِ مِنْ سجودٍ وقعودٍ .

وتورُّكٌ في تشهُّدٍ أخيرٍ لا يعقُبُهُ سجودُ سهوٍ ، ووضعُ كفَّيهِ في تشهُّدَيهِ علىٰ طَرَفِ ركبتَيهِ ؛ ناشراً أصابعَ يُسراهُ بضمٍّ ، وجاعلاً أصابعَ يُمناهُ كعاقدٍ ثلاثةً وخمسينَ ، ورفعُ مُسبِّحتِها عندَ همزةِ (إلَّا اللهُ) منحنيةً قليلاً ، وإبقاؤُها مرفوعةً إلى القيامِ أو السلامِ ، وألَّا يُجاوِزَ بصرُهُ إشارتَهُ .

وأن يأتيَ في التشهُّدَينِ بأكملِ التشهُّدِ ؛ وهوَ : (التحيَّاتُ المباركاتُ الصَّلواتُ الطيِّباتُ للهِ ، السلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ ، السلامُ علينا وعلىٰ عبادِ اللهِ الصالحينَ ، أشهدُ أن لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ)[(٢)] .

وبعدَ التشهُّدِ الأخيرِ[(٣)] بأكملِ الصلاةِ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛

---

(١) أخرج الترمذي (٢٨٤) ، وابن ماجه (٩٦٤) ، وأحمد (٣٧١/١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول بين السجدتين : « اللهم ؛ اغفر لي وارحمني . . . » .

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٣) ، والترمذي (٢٩٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلِّمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ، فكان يقول . . .) ، وقال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في « روضة الطالبين » (٥٤٣/١) : (ولو تشهد بما رواه ابن مسعود ، أو بتشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . . جاز ، لـٰكن الأول أفضل) أي : ما رواه سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أي : وأن يأتي بعد التشهد الأخير بأكمل . . . إلىٰ آخره .

وهوَ : (اللهمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آلِ محمدٍ ، كما صليتَ علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيمَ ، وباركْ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آلِ محمدٍ ، كما باركتَ علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيمَ ؛ إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ) .

[مِنَ الأدعيةِ المأثورةِ بعدَ التشهُّدِ]

ثمَّ بالدعاءِ المأثورِ :

اللهمَّ ؛ اغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ ، وما أسررتُ وما أعلنتُ ، وما أسرفتُ ، وما أنتَ أعلمُ بهِ منِّي ؛ أنتَ المُقدِّمُ وأنتَ المُؤخِّرُ ، لا إلٰهَ إلَّا أنتَ [1] .

اللهمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ عذابِ القبرِ ، وعذابِ النَّارِ ، ومِنْ فتنةِ المحيا والمماتِ ، ومِنْ فتنةِ المسيحِ الدَّجَّالِ [2] .

اللهمَّ ؛ إنِّي ظلمتُ نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يغفرُ الذُّنوبَ إلَّا أنتَ ؛ فاغفرْ لي مغفرةً مِنْ عندِكَ ، وارحمْني ؛ إنَّكَ أنتَ الغفورُ الرَّحيمُ [3] .

يا مُقلِّبَ القلوبِ ؛ ثبِّتْ قلبي علىٰ دينِكَ [4] .

---

(١) أخرج مسلم (٧٧١) ، وابن حبان (١٩٦٦) عن سيدنا علي رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : « اللهم ؛ اغفر لي ما قدَّمت . . . » .

(٢) أخرج البخاري (١٣٧٧) ، ومسلم (٥٨٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تشهد أحدكم . . فليستعذ بالله من أربع . . . » الحديث .

(٣) أخرج البخاري (٨٣٤) ، ومسلم (٢٧٠٥) عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي) فعلمه صلى الله عليه وسلم هٰذا الدعاء .

(٤) أخرج الترمذي (٣٥٨٧) عن عاصم بن كليب الجرمي عن أبيه عن جده قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ، وقد وضع يده اليسرىٰ علىٰ فخذه اليسرىٰ ، ووضع اليمنىٰ علىٰ فخذه اليمنىٰ ، وقبض أصابعه وبسط السبابة وهو يقول : « يا مقلب القلوب . . . » .

[مِنْ هيئاتِ التسليمِ]

وتسليمةٌ ثانيةٌ ، وزيادةُ : (ورحمةُ اللهِ) فيهِما ، والتفاتٌ بوجهِهِ يميناً وشمالاً في تسليمتَيهِ ، ناوياً السلامَ علىٰ مَنِ التفتَ إليهِ مِنْ ملائكةٍ ومؤمني إنسٍ وجِنٍّ ، وينويهِ علىٰ مَنْ خلفَهُ وأمامَهُ بأيِّهِما شاءَ .

ومأمومٌ الردَّ علىٰ مَنْ سلَّمَ عليهِ ، وإدراجُهُ بلا مدٍّ ، ونيَّةُ خروجٍ مِنَ الصَّلاةِ بالتسليمةِ الأولىٰ .

[سننُ أبعاضِ الصلاةِ]

وأبعاضٌ ؛ وهيَ : تشهُّدٌ أوَّلُ ، وقعودٌ لهُ ، وصلاةٌ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعدَهُ ، وعلىٰ آلِهِ بعدَ التشهُّدِ الأخيرِ ، وقنوتٌ في اعتدالِ أخيرةِ صبحٍ ووِترِ نصفٍ أخيرٍ مِنْ رمضانَ ؛ ك : (اللهمَّ ؛ اهدِني فيمَنْ هديتَ ، وعافِني فيمَنْ عافيتَ ، وتولَّني فيمَنْ تولَّيتَ ، وبارِكْ لي فيما أعطيتَ ، وقِني شرَّ ما قضيتَ ؛ فإنَّكَ تقضي ولا يُقضىٰ عليكَ ، وإنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ واليتَ ، ولا يَعِزُّ مَنْ عاديتَ ، تباركتَ ربَّنا وتعاليتَ ، فلكَ الحمدُ علىٰ ما قضيتَ ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ)[١] .

وتُجزِئُ عنهُ آيةٌ فيها دعاءٌ إن قصدَهُ ، وكذا دعاءٌ محضٌ ولو غيرَ مأثورٍ ، وقيامٌ لهُ ، وصلاةٌ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[٢] ، وعلىٰ آلِهِ بعدَهُ لا قبلَهُ .

---

(١) أخرج أبو داوود (١٤٢٠) ، والترمذي (٤٦٤) عن سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما دعاء القنوت إلىٰ قوله : (تباركت ربنا وتعاليت) ، وقال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في « روضة الطالبين » (١/٥٣١ ـ ٥٣٢) : (وزاد العلماء فيه : « ولا يعز من عاديت » قبل : « تباركت وتعاليت » ، وبعده : « فلك الحمد علىٰ ما قضيت ، أستغفرك وأتوب إليك » ، قلت : قال جمهور أصحابنا : لا بأس بهٰذه الزيادة . . .) .

(٢) زاد في هامش (أ) بعد قوله : (صلاة على النبي ؛ أي : تكفيه : صلى الله عليه وسلم) .

[حكمُ مَنْ تركَ شيئاً مِنَ الأبعاضِ]

فلو تركَ شيئاً مِنْ هٰذهِ الأبعاضِ ولو عمداً أو شَكَّ في تركِهِ . . سجدَ سجدتَينِ ندباً قُبَيلَ السلامِ ؛ كَمَنْ سها فيما يُبطِلُ عمدُهُ ؛ كتطويلِ ركنٍ قصيرٍ ، وقليلِ كلامٍ وأكلٍ ، وتكريرِ ركنٍ فعليٍّ ، أو نَقلَ ركناً قوليّاً إلىٰ غيرِ محلِّهِ ، أو شَكَّ فيما صلَّاهُ واحتملَ زيادةً .

[سننٌ مُتقدِّمةٌ على الدخولِ في الصَّلاةِ]

ومِنَ السُّننِ المُتقدِّمةِ على الدخولِ في الصَّلاةِ : الأذانُ والإقامةُ ، فيُسنَّانِ لمكتوبةِ ذَكَرٍ وإن بلغَهُ أذانُ غيرِهِ ، وإقامةٌ لامرأةٍ ، ويُجيبُ سامعُهُما ولو تالياً ومُتوضِّئاً [١] ، ويُحَوقِلُ ويُصَدِّقُ إن حَيعَلَ المؤذِّنُ وثوَّبَ [٢] ، ويقولُ كلٌّ بعدَهُما : اللهمَّ ؛ صلِّ وسلِّمْ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آلِ محمدٍ [٣] ، اللهمَّ ،

---

(١) وأما الإجابة . . فهي أن يقول إذا سمع المؤذن لصلاة الصبح أو غيرها من الصلوات الخمس : مرحباً بالقائلين عدلاً ، وبالصلاة مرحباً وأهلاً ، ثم : اللهم ؛ افتح أقفال قلوبنا بذكرك ، وأتمَّ علينا نعمتك من فضلك ، واجعلنا من عبادك الصالحين ، ثم أن ينصت ولا يتكلم . انتهىٰ ، وفي الحديث : « الكلام في حال الأذان . . يورث سوء الخاتمة » والعياذ بالله ، ووجدت في بعض المجاميع : « أن من أراد أن يستعجل البلاء . . فليتكلم في وقت الأذان » ، ثم يقول مثلما يقول المؤذن ، وتزيد بعد الشهادتين : رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ صلى الله عليه [وسلم] نبياً ، وبالقرآن إماماً ، وبالكعبة قبلة .

اللهم ؛ اكتب شهادتي في عليين ، وأشهد عليها ملائكتك المقربين ، وأنبياءَك المرسلين ، وعبادك الصالحين ، واختم عليها بآمين ، واجعل لي عهداً عندك توفيني به يوم القيامة ؛ إنك لا تخلف الميعاد ، ويزيد بعد الحيعلة : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وقبل حوقلة الثانية : اللهم ؛ اجعلنا مفلحين . انتهىٰ ، ويقول عند سماع « الصلاة خير من النوم » : صدقت وبررت ، وصدق الله ورسوله . انتهىٰ ، وينبغي أن يجمع بينهما . « رحيمية » [ق/٦٩] انتهىٰ) من هامش (أ) .

(٢) التثويب : أن يقول المؤذن في أذان الصبح بعد الحيعلتين : (الصلاة خير من النوم) مرتين ، فيقول المجيب : صدقت وبررت .

(٣) أي : أن يصلي علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلٌّ من المؤذنِ والسامع .

ربَّ هٰذهِ الدعوةِ التامَّةِ ، والصَّلاةِ القائمةِ ؛ آتِ محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ ، والدرجةَ الرفيعةَ ، وابعثْهُ مَقاماً محموداً الذي وعدتَهُ [١] ؛ لِما روى الشيخانِ : « إِذَا حَضَرَتِ ٱلصَّلَاةُ . . فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ » [٢] .

وابنُ النجَّارِ [٣] عن أبي هريرةَ : « ثَلَاثٌ لَوْ يَعْلَمُ ٱلنَّاسُ مَا فِيهِنَّ . . مَا أُخِذْنَ إِلَّا بِسُهْمَةٍ ؛ حِرْصاً عَلَىٰ مَا فِيهِنَّ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَٱلْبَرَكَةِ : ٱلتَّأْذِينُ بِٱلصَّلَاةِ ، وَٱلتَّهْجِيرُ بِٱلْجَمَاعَاتِ [٤] ، وَٱلصَّلَاةُ فِي أَوَّلِ ٱلصُّفُوفِ » [٥] .

وابنُ أبي شيبةَ والبيهقيُّ عن سلمانَ الفارسيِّ موقوفاً قالَ : (إِذَا كَانَ ٱلرَّجُلُ فِي أَرْضٍ فَأَقَامَ ٱلصَّلَاةَ . . صَلَّىٰ خَلْفَهُ مَلَكَانِ ، فَإِذَا أَذَّنَ وَأَقَامَ . . صَلَّىٰ خَلْفَهُ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مَا لَا يُرَىٰ طَرَفَاهُ ؛ يَرْكَعُونَ بِرُكُوعِهِ ، وَيَسْجُدُونَ بِسُجُودِهِ ، وَيُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ دُعَائِهِ) [٦] .

وأحمدُ ومسلمٌ : « إِذَا سَمِعْتُمُ ٱلْمُؤَذِّنَ . . فَقُولُوا مِثْلَمَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً . . صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ، ثُمَّ سَلُوا ٱللهَ لِيَ ٱلْوَسِيلَةَ ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي ٱلْجَنَّةِ ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ ٱللهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ؛ فَمَنْ سَأَلَ لِيَ ٱلْوَسِيلَةَ . . حَلَّتْ لَهُ ٱلشَّفَاعَةُ » [٧] .

---

(١) أخرج مسلم (٣٨٤) ، وأبو داوود (٥٢٤) عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حديث إجابة المؤذن ، وسيأتي لفظه قريباً عند المؤلف رحمه الله تعالىٰ .

(٢) صحيح البخاري (٦٨٥) ، وصحيح مسلم (٦٧٤) عن سيدنا مالك بن الحويرث رضي الله عنه .

(٣) في النسخ كلها إلا (هـ) : (ابن البخاري) ، المثبت منها ومن كتب التخريج .

(٤) في هامش (د) : (أي : التبكير) .

(٥) أخرجه ابن النجار كما في « كنز العمال » (٤٣٢٣٥) ، وابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (١٢٥/٧) ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٢٤٩٥) .

(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٢٢٩٢) بنحوه ، وسنن البيهقي (٤٠٦/١) برقم (١٩٢٨) .

(٧) صحيح مسلم (٣٨٤) ، ومسند أحمد (١٦٨/٢) عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

ورُوِيَ : (مَنْ تكلَّمَ في وقتِ الأذانِ . . خِيفَ عليهِ زوالُ الإيمانِ)[1] .

[الارتداءُ والتعمُّمُ والاستياكُ]

والارتداءُ والتعمُّمُ والاستياكُ عندَ القيامِ إلى الصلاةِ ؛ لِما روى الشيخانِ : « لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُكُمْ فِي ٱلثَّوْبِ ٱلْوَاحِدِ ؛ لَيْسَ عَلَىٰ عَاتِقِهِ مِنْهُ شَيْءٌ »[2] .

وابنُ عساكرَ : « صَلَاةُ تَطَوُّعٍ أَوْ فَرِيضَةٍ بِعِمَامَةٍ . . تَعْدِلُ خَمْساً وَعِشْرِينَ صَلَاةً بِلَا عِمَامَةٍ ، وَجُمُعَةٌ بِعِمَامَةٍ . . تَعْدِلُ سَبْعِينَ جُمُعَةً بِلَا عِمَامَةٍ »[3] .

والشيخانِ : « لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي . . لَأَمَرْتُهُمْ بِٱلسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ »[4] .

وابنُ زَنْجُويَهْ وصحَّحَهُ الحاكمُ : « صَلَاةٌ بِسِوَاكٍ . . أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ صَلَاةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ »[5] .

قالَ النوويُّ في « المجموعِ » : (يُسَنُّ أن يجعلَ علىٰ عاتقِهِ ثوباً ، فإن لم يجدْهُ . . جعلَ حبلاً عليهِ ؛ حتىٰ لا يخلوَ مِنْ شيءٍ)[6] ، ويُكرَهُ تركُ ذٰلكَ ككشفِ رأسٍ .

---

(١) انظر « كشف الخفا » (٢٢٦/٢) فقد نقل عن الصغاني أنه موضوع .
(٢) صحيح البخاري (٣٥٩) ، وصحيح مسلم (٥١٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٥٤/٣٧ ـ ٣٥٥) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
(٤) صحيح البخاري (٨٨٧) ، وصحيح مسلم (٢٥٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٥) أخرجه البيهقي (٣٨/١) برقم (١٦٤) ، وعزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٦١٨١) لابن زنجويه ، وقال في « كشف الخفا » (٢٦/٢) : (وعزاه في « الدرر » للحاكم في « مسنده » . . .) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .
(٦) المجموع شرح المهذب (١٧٧/٣) بنحوه .

وقالَ شيخُنا ابنُ حجرٍ : (إنَّ التعمُّمَ والاستياكَ يُستحبَّانِ ولو بعدَ الدخولِ في الصَّلاةِ إن أمكنَ فعلُهُما بفعلٍ قليلٍ)(١) .

[اتخاذُ السُّترةِ]

واتخاذُ سُترةٍ ـ وهيَ : شاخِصٌ طولُهُ ثلثا ذراعٍ ، وبينَهُما ثلاثةُ أذرعٍ ـ فبَسْطُ المصلِّي ، فخطٌّ أمامَهُ طولاً .

ونُدِبَ دفعُ مارٍّ مُكلَّفٍ ، وحَرُمَ مرورٌ حينَئذٍ .

وقالَ البغويُّ في « شرحِ السنَّةِ » : (إذا بيَّنَ الإمامُ موضعَ صلاتِهِ بعصاً أو غيرِها . . لا حاجةَ للمأمومينَ إلىٰ غرزِ العَنَزَةِ وغيرِها ؛ لِما روىٰ أبو داوودَ : « إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ . . فَلْيَجْعَلْ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ شَيْئاً ، [فَإِنْ لَمْ يَجِدْ] . . فَلْيَنْصِبْ عَصاً ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ عَصاً . . فَلْيَخْطُطْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ لَا يَضُرُّهُ مَا مَرَّ أَمَامَهُ »)(٢) .

والشيخانِ : « إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ ٱلنَّاسِ ، فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ . . فَلْيَدْفَعْهُ ، فَإِنْ أَبَىٰ . . فَلْيُقَاتِلْهُ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ »(٣) .

وهُما : « لَوْ يَعْلَمُ ٱلْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْمُصَلِّي ـ أي : إلى السُّترةِ ـ مَاذَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلْإِثْمِ . . لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَرِيفاً خَيْراً لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ »(٤) .

---

(١) انظر « تحفة المحتاج » (٢١٦/١ ـ ٢١٧) فقد ذكر مسألة السواك دون التعمم .

(٢) شرح السنة (١٩٧/٢) بنحوه ، والحديث أخرجه أبو داوود (٦٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) صحيح البخاري (٥٠٩) ، وصحيح مسلم (٢٥٩/٥٠٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٤) صحيح البخاري (٥١٠) ، وصحيح مسلم (٥٠٧) عن سيدنا أبي جهيم رضي الله عنه ، لكن ←

والطبرانيُّ : « إِنَّ سُتْرَةَ ٱلْإِمَامِ سُتْرَةُ مَنْ خَلْفَهُ »[1] .

[تسبيحٌ وتحميدٌ قبلَ القيامِ إلى الصَّلاةِ]

وتسبيحٌ وتحميدٌ وتكبيرٌ وتهليلٌ واستغفارٌ (عشراً عشراً) إذا أرادَ القيامَ إلى الصَّلاةِ ؛ لِما روى ابنُ السنيِّ عن أمِّ رافعٍ أنَّها قالَتْ : يا رسولَ اللهِ ؛ دُلَّني على عملٍ يأجُرُني اللهُ عزَّ وجلَّ عليهِ ، قالَ : « يَا أُمَّ رَافِعٍ ؛ إِذَا قُمْتِ إِلَى ٱلصَّلَاةِ . . فَسَبِّحِي ٱللهَ تَعَالَىٰ عَشْراً ، وَهَلِّلِيهِ عَشْراً ، وَٱحْمَدِيهِ عَشْراً ، وَكَبِّرِيهِ عَشْراً ، وَٱسْتَغْفِرِيهِ عَشْراً ؛ فَإِنَّكِ إِذَا سَبَّحْتِ . . قَالَ ٱللهُ : هَـٰذَا لِي ، وَإِذَا هَلَّلْتِ . . قَالَ : هَـٰذَا لِي ، وَإِذَا حَمِدْتِ . . قَالَ : هَـٰذَا لِي ، وَإِذَا كَبَّرْتِ . . قَالَ : هَـٰذَا لِي ، وَإِذَا ٱسْتَغْفَرْتِ . . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ذَٰلِكِ لَكِ »[2] .

[مكروهاتُ الصَّلاةِ]

ومكروهاتُها : تركُ كشفِ يدَيهِ عندَ تحرُّمِهِ وسجودِهِ ، وإلصاقُ قدمَيهِ ، وتقديمُ إحداهُما ، واعتمادٌ عليها في القيامِ ، وجهرٌ بمحلِّ إسرارٍ وعكسُهُ ، وخفضُ رأسٍ في ركوعٍ ، ومخالفةُ ترتيبٍ ذكرناهُ في وضعِ أعضاءِ السجودِ ، وبسطُ الذِّراعَينِ على الأرضِ ، وتركُ وضعِ الأنفِ فيهِ .

وتركُ رَجُلٍ مجافاةً فيهِ وفي الركوعِ ، وتركُ تعوُّذٍ وسورةٍ ، وتكبيرِ انتقالٍ ،

← دون قوله : (خريفاً) ، وزاد في « البخاري » عن أبي النضر أحد رجال الإسناد : (لا أدري أقال : أربعين يوماً أو شهراً أو سنة ؟) .

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٦٨) .

(٢) عمل اليوم والليلة (١٠٧) .

وأقلّ تسبيحِ ركوعٍ وسجودٍ ، وذكرِ اعتدالٍ وجلوسٍ بينَ السجدتَينِ ، وتعوُّذٍ بعدَ تشهدٍ أخيرٍ ، وإسراعٌ .

وتخصيصُ إمامٍ نفسَه بالدعاءِ ، وتخلُّفُ مأمومٍ لجَلسةِ استراحةٍ تركَها الإمامُ ، وكَفُّ شعرٍ أو ثوبٍ ، ومسحُ وجهِهِ مِنْ نحوِ غبارٍ ، وترويحٌ على نفسِهِ[1] ، وإشارةٌ مُفهِمَةٌ ، وبصقٌ أماماً ويميناً ، وتثاؤبٌ ، واختصارٌ[2] ، واعتمادٌ على اليدِ اليسرىٰ في الجلوسِ ، وتقليبُ اليدَينِ عندَ التسليمتَينِ .

فائدة

[في حكمِ الالتفاتِ ورفعِ البصرِ في الصَّلاةِ]

يَحرُمُ الالتفاتُ في الصَّلاةِ علىٰ ما قالَهُ المتولّي والحَليميُّ ، ورفعُ البصرِ عن موضعِ سجودِهِ علىٰ ما قالَهُ الأَذْرَعيُّ[3] ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ قَامَ فِي ٱلصَّلَاةِ فَٱلْتَفَتَ . . رَدَّ ٱللهُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ » رواهُ الطبرانيُّ[4] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ ؟! » فاشتدَّ قولُهُ في ذٰلكَ حتىٰ قالَ : « لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَٰلِكَ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ » رواهُ البخاريُّ[5] .

---

(١) معناه : ويكره استخدام المروحة في الصلاة ؛ بأن يروّح علىٰ نفسه .

(٢) أي : وضع اليد على الخاصرة .

(٣) انظر « مغني المحتاج » (٣٠٧/١) ، وقال في الالتفات : (ومحل الخلاف : إذا لم تكن حاجة) ، والمعتمد : الكراهة في المسألتين .

(٤) عزاه الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٤٦١) للطبراني في « المعجم الكبير » ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (١٩٩٧٧) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٥) صحيح البخاري (٧٥٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

ورُوِيَ : (أنَّ سببَ ابتلاءِ يعقوبَ بابنِهِ يوسفَ عليهِما السلامُ : أنَّهُ التفتَ في صلاتِهِ إليهِ وهوَ نائمٌ ؛ محبَّةً لهُ)[1] .

[أوقاتٌ تُكرَهُ فيها الصَّلاةُ]

ويُكرَهُ تحريماً صلاةٌ عندَ استواءٍ إلَّا يومَ جمعةٍ ، وبعدَ أداءِ صبحٍ وعصرٍ حتىٰ ترتفعَ وتَغرُبَ شمسٌ ، إلَّا لسببٍ غيرِ مُتأخِّرٍ ؛ كركعتَيْ تحيَّةٍ ووضوءٍ ، وكفائتةٍ لم يقصِدْ تأخيرَها إليهِما .

وتنزيهاً صلاةٌ بمُدافَعةِ حَدَثٍ ، وبحضرةِ طعامٍ يتوقُ إليهِ ، وبطريقٍ في بُنيانٍ ، ومقبَرةٍ سواءٌ صلَّىٰ إلى القبرِ أم عليهِ أم بجانبِهِ .

[مُبطِلاتُ الصَّلاةِ]

ومُبطِلاتُها : نُطقٌ بحرفَينِ وِلاءً ولو في تنحنحٍ ، أو حرفٍ مُفهِمٍ مِنْ كلامِ بَشَرٍ ، لا يسيرِ كلامٍ سبقَ لسانُهُ إليهِ ، أو نسيَ أو جهلَ تحريمَهُ فيها وقَرُبَ عهدُهُ بالإسلامِ ، أو نشأَ ببادِيةٍ بعيداً عنِ العلماءِ .

ولا بتنحنحٍ لتعذُّرِ ركنٍ قوليٍّ وإن كَثُرَ ، ولا ضحكٍ وبكاءٍ ، وسُعالٍ وعُطاسٍ إن غلبَتْ وقَلَّتْ .

وفعلٌ فاحشٌ ؛ كوثبةٍ ، أو كثيرٌ يقيناً مِنْ غيرِ جنسِها ؛ كثلاثِ خَطَوَاتٍ ، وتحريكِ كفٍّ ثلاثاً بحكٍّ لغيرِ شِدَّةِ جَرَبٍ وِلاءً ؛ بحيثُ يُعَدُّ كلٌّ مُنفصِلاً عمَّا قبلَهُ ولو سهواً ، لا خفيفٌ وإن كَثُرَ متوالياً ؛ كتحريكِ أصابعِهِ وأجفانِهِ ،

---

(١) ذكر ذٰلك القاضي عياض في « الشفا » (ص ٧٥١) ، وذكر الثعالبي في « الكشف والبيان » (٥/٢٤٩) سبباً غير هٰذا ، وسيذكر ذٰلك المؤلف فيما سيأتي (ص ٤٥٦) .

ولسانِهِ [١] ، ومُفَطِّرٌ ، وتعمُّدُ تكريرِ ركنٍ فعليٍّ ، وإطالةُ فعليٍّ قصيرٍ عمداً ، وإخلالُ شرطٍ مِنْ شروطِها ، وتركُ ركنٍ مِنْ أركانِها .

[قدرُ الصَّلاةِ عندَ أهلِ المعرفةِ]

وحُكِيَ عنِ الشيخِ معينِ الدِّينِ أنَّهُ قالَ : (كانَ الشيخُ أحمدُ الغزنويُّ ساكناً في غارٍ قريبَ الشامِ ، فزرتُهُ ؛ فإذا ما عليهِ إلَّا الجِلدُ والعظمُ ، وهوَ جالسٌ علىٰ سَجَّادةٍ وبينَ يدَيهِ أَسَدانِ ، فقالَ لي : مِنْ أينَ تَصِلُ ؟ قلتُ : مِنْ بغدادَ .

قالَ : مرحباً ، وأكثِرْ خدمةَ الفقراءِ حتىٰ يَعظُمَ أمرُكَ ، وإنِّي سكنتُ في هـٰذا الغارِ منذُ أربعينَ سنةً واعتزلتُ الخلقَ ، ولـٰكنْ ما استرحتُ مِنَ البكاءِ منذُ ثلاثينَ سنةً ؛ لأجلِ خوفِ شيءٍ .

قلتُ : ما هوَ ؟! قالَ : الصَّلاةُ ؛ إذا صليتُ . . نظرتُ فيَّ وبكيتُ ، وقلتُ : لوِ اختلَّتْ ذرَّةٌ مِنَ الشُّروطِ . . ضاعَتْ جميعُ أعمالي وضُرِبَتْ بطاعتي علىٰ وجهي ، وإن كنتَ يا فقيرُ تقدرُ أن تخرجَ عن عُهدةِ الصَّلاةِ . . فعلتَ أمراً مستقيماً ، وإلَّا . . ذهبَ العمرُ بالغفلةِ وضاعَ) [٢] .

[ذمُّ مَنْ لا يُحْسِنُ صلاتَهُ]

أخرجَ الطبرانيُّ وابنا خُزيمةَ وحِبَّانَ في « صحيحَيهِما » : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رأىٰ رجلاً لا يُتِمُّ ركوعَهُ ، ويَنقُرُ في سجودِهِ وهوَ يُصلِّي ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَوْ مَاتَ هَـٰذَا عَلَىٰ حَالِهِ . . مَاتَ

---

(١) لأنها تابعة لمحالها المستقرة .

(٢) انظر « مرشد الطلاب » (ق/٣٨) مخطوط .

عَلَىٰ غَيْرِ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ثمَّ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَثَلُ ٱلَّذِي لَا يُتِمُّ رُكُوعَهُ وينْقُرُ فِي سُجُودِهِ . . مَثَلُ ٱلْجَائِعِ يَأْكُلُ ٱلتَّمْرَةَ وَٱلتَّمْرَتَيْنِ ؛ لَا تُغْنِيانِ عَنْهُ »(١) .

وأحمدُ : « لَا يَنْظُرُ ٱللهُ إِلَىٰ صَلَاةِ عَبْدٍ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ [بَيْنَ] رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ »(٢) .

وروى الطبرانيُّ : « مَنْ صَلَّاهَا لِغَيْرِ وَقْتِهَا ، وَلَمْ يُسْبِغْ وُضُوءَهَا ، وَلَمْ يُتِمَّ لَهَا خُشُوعَهَا وَلَا رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا . . خَرَجَتْ وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ ، تَقُولُ : ضَيَّعَكَ ٱللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي ؛ حَتَّىٰ إِذَا كَانَتْ حَيْثُ شَاءَ ٱللهُ . . لُفَّتْ كَمَا يُلَفُّ ٱلثَّوْبُ ٱلْخَلَقُ ، ثُمَّ ضُرِبَ بِهَا وَجْهُهُ »(٣) .

ومسلمٌ : « يَا فُلَانُ ؛ أَلَا تُحْسِنُ صَلَاتَكَ ، أَلَا يَنْظُرُ ٱلْمُصَلِّي إِذَا صَلَّىٰ كَيْفَ يُصَلِّي ؟! فَإِنَّمَا يُصَلِّي لِنَفْسِهِ »(٤) .

والديلميُّ وحسَّنَهُ الحافظُ ابنُ حجرٍ : « ٱذْكُرِ ٱلْمَوْتَ فِي صَلَاتِكَ ؛ فَإِنَّ ٱلرَّجُلَ إِذَا ذَكَرَ ٱلْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ . . لَحَرِيٌّ أَنْ يُحْسِنَ صَلَاتَهُ ، وَصَلِّ صَلَاةَ رَجُلٍ لَا يَظُنُّ أَنَّهُ يُصَلِّي صَلَاةً غَيْرَهَا »(٥) .

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » (٦٦٥) ، وابن حبان (١٨٩٤) بنحوه ، والطبراني واللفظ له في « المعجم الكبير » (١١٥/٤) عن سيدنا أبي عبد الله الأشعري رضي الله عنه .

(٢) مسند أحمد (٥٢٥/٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي النسخ إلا (ج) : (من) بدل (بين) ، وفي (ج) : (في) بدل (بين) .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣١١٩) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) صحيح مسلم (٤٢٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (١٧٥٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وقال الحافظ السخاوي نقلاً عن شيخه ابن حجر رحمهما الله تعالىٰ في « المقاصد الحسنة » (ص ١٣٨) : (وقال شيخنا : إنه حسن) .

وأبو داوودَ عن عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ قالَ : (رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُصلِّي وفي صدرِهِ أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَلِ مِنَ البكاءِ)[1] .

فائدة

[في أهميَّةِ الخشوعِ في الصَّلاةِ]

قالَ السيِّدُ معينُ الدِّينِ الصفويُّ[2] في تفسيرِهِ « جوامعِ البيانِ » : (**والأصحُّ** : أنَّ الخشوعَ مِنْ فرائضِ الصَّلاةِ) .

وقالَ سفيانُ الثوريُّ : (مَنْ لم يخشعْ . . فسدَتْ صلاتُهُ)[3] .

وقالَ سيِّدي القطبُ العارفُ باللهِ محمدٌ البكريُّ رضيَ اللهُ عنهُ ونفعَنا بهِ : (إنَّما يُورِثُ ذٰلكَ إطالةُ الركوعِ والسجودِ)[4] .

وقالَ شيخُ مشايخِنا زكريَّا الأنصاريُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : (إنَّ نظرَ موضعِ السجودِ أقربُ إلى الخشوعِ)[5] .

[استخرِجوا النَّصْلَ وأنا في الصَّلاةِ]

ورُوِيَ أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ في بعضِ الحروبِ الجهاديَّةِ

---

(١) أخرجه أبو داوود (٩٠٠) بلفظ : (أزيز كأزيز الرحىٰ) ، وأخرجه بلفظه ابن حبان (٦٦٥) ، والحاكم (١/٢٦٤) .

(٢) في (أ ، هـ) : (الصوفي) وكلاهما وصف له ، والصفوي : نسبة لوالده السيد صفي الدين ، وقد شرع والده في التفسير ، ثم أتمه هو ، واسمه : السيد معين الدين محمد بن عبد الرحمٰن الإيجي الشافعي ، المتوفىٰ بمكة سنة (٩٠٦ هـ) رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده الإمام أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/٩٧) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/٥٩٤) .

(٤) ذكره المؤلف أيضاً في « فتح المعين شرح قرة العين » (ص ١٢٦) .

(٥) انظر « أسنى المطالب » (١/١٦٩) .

أُصِيبَ بسهمٍ ، ثمَّ جُذِبَ السهمُ مِنْ عُضوِهِ الشريفِ وبقيَ النَّصْلُ فيهِ ، فقالوا : إذا لم يَجْرَحِ العُضوَ . . لا يمكنُ استخراجُ النَّصْلِ ، ونخافُ من إيذاءِ أميرِ المؤمنينَ وقطعِ عُضوِهِ ، فقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (إذا اشتغلتُ بالصَّلاةِ . . فاستخرِجوهُ) فافتتحَ الصَّلاةَ وهُم جرحوا العُضوَ واستخرجوا النَّصْلَ ؛ وهوَ رضيَ اللهُ عنهُ لم يتغيَّرْ في صلاتِهِ ، فلمَّا فرغَ . . قالَ : (لِمَ لم تستخرجوهُ ؟!) فقالوا : قدِ استخرجناهُ .

فانظرْ إلىٰ إقبالِهِ علىٰ ربِّهِ ؛ حتىٰ لم يُحِسَّ بجرحِ العُضوِ واستخراجِ النَّصْلِ مِنْ جوفِ اللحمِ ، فنحنُ إذا عضَّتْنا قملةٌ أو برغوثةٌ ، بل إذا وقعَ علينا ذبابٌ . . نتشوَّشُ ، ولا يبقىٰ لنا حضورٌ ؛ فأينَ نحنُ مِنْ تلكَ الحالاتِ والمقاماتِ ؟!

[أتدرونَ بينَ يدَيْ مَنْ أقومُ ؟!]

وحُكِيَ عن زينِ العابدينَ عليِّ بنِ الحسينِ : أنَّهُ كانَ إذا توضَّأَ . . اصفرَّ لونُهُ ، وإذا قامَ إلى الصَّلاةِ . . أخذَتْهُ رِعْدَةٌ ، فقيلَ لهُ : ما لكَ ؟ فقالَ : (ويحَكُم ؛ أتدرونَ بينَ يدَيْ مَنْ أقومُ ؟! ولِمَنْ أُريدُ أن أُناجيَ ؟!)[1] .

[ألهَتْني عنها النَّارُ الكبرىٰ]

وأنَّهُ وقعَ حريقٌ في بيتِهِ وهوَ ساجدٌ ، فجعلوا يقولونَ لهُ : يا بنَ رسولِ اللهِ ؛ النَّارَ النَّارَ !! فما رفعَ رأسَهُ ، فقيلَ لهُ في ذٰلكَ لمَّا رفعَ رأسَهُ ، فقالَ : (ألهَتْني عنها النَّارُ الكبرىٰ)[2] .

---

(١) أخرجه أحمد في « الزهد » (٢١٣٨) ، وابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (١٤٨) .
(٢) انظر « تهذيب الكمال » (٢٠/٣٨٩ ـ ٣٩٠) ، و« مرآة الجنان » (١/١٩١) .

فانظرْ أيُّها الغافلُ في الصَّلاةِ بينَ يدَيْ مَنْ تقومُ ومَنْ تُناجي ، واستحْيِ أن تناجيَ مولاكَ بقلبٍ غافلٍ ، وصدرٍ مشحونٍ بوساوِسِ الدُّنيا وخبائثِ الشهواتِ .

أَمَا تعلمُ أنَّهُ مُطَّلِعٌ علىٰ سريرتِكَ ، وناظرٌ إلىٰ قلبِكَ ، وإنَّما يَتَقبَّلُ مِنْ صلاتِكَ بقدرِ خشوعِكَ وخضوعِكَ ، وتواضعِكَ وتضرُّعِكَ ؛ فاعبدْهُ في صلاتِكَ كأنَّكَ تراهُ ، فإن لم تكنْ تراهُ . . فإنَّهُ يراكَ .

[علاجٌ لحضورِ القلبِ]

فإن لم يحضرْ قلبُكَ بما ذكرناهُ ، ولم تسكنْ جوارحُكَ ؛ لقصورِ معرفتِكَ بجلالِ اللهِ تعالىٰ . . فقدِّرْ أنَّ رجلاً صالحاً مِنْ وجوهِ أهلِ بيتِكَ ينظرُ إليكَ ليعلمَ كيفَ صلاتُكَ ؛ فعندَ ذٰلكَ يحضرُ قلبُكَ ، وتسكنُ جوارحُكَ .

ثمَّ ارجعْ إلىٰ نفسِكَ وقلْ : ألا تستحيينَ مِنْ خالقِكِ ومولاكِ الذي هوَ مُطَّلِعٌ عليكِ وناظرٌ إلىٰ قلبِكِ ؟! أهوَ أقلُّ عندَكِ مِنْ عبدٍ مِنْ عبادِهِ وليسَ بيدِهِ ضرُّكِ ولا نفعُكِ ؟! فما أشدَّ طغيانَكِ وجهلَكِ !! وما أعظمَ عداوتَكِ لنفسِكِ !!

فعالجْ قلبَكَ بهٰذا ، فعسىٰ أن يحضرَ معَكَ في صلاتِكَ ؛ فإنَّهُ انعقدَ إجماعُ العلماءِ علىٰ أنَّهُ لا يُكتَبُ لكَ مِنْ صلاتِكَ . . إلَّا ما عقلتَ منها[1] .

وأمَّا ما أتيتَ بهِ معَ الغفلةِ ولو حُكِمَ بصحَّتِهِ ظاهراً . . فهوَ إلى الاستغفارِ أحوجُ ؛ لأنَّهُ إلى العقوبةِ أقربُ .

❀ ❀ ❀

(١) انظر « بداية الهداية » (ص ١٣٥ ـ ١٣٦) للإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ ؛ فهٰذا من كلامه .

قالَ الفقيهُ إسماعيلُ المقري رحمَهُ اللهُ تعالىٰ[1] : [من الطويل]

تُصَلِّي بِلَا قَلْبٍ صَلَاةً بِمِثْلِهَا ... يَكُونُ ٱلْفَتَىٰ مُسْتَوْجِباً لِلْعُقُوبَةِ

تَظَلُّ وَقَدْ أَتْمَمْتَهَا غَيْرَ عَالِمٍ ... تَزِيدُ ٱحْتِيَاطاً رَكْعَةً بَعْدَ رَكْعَةِ

فَوَيْلَكَ تَدْرِي مَنْ تُنَاجِيهِ مُعْرِضاً ... وَبَيْنَ يَدَيْ مَنْ تَنْحَنِي غَيْرَ مُخْبِتِ

تُخَاطِبُهُ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ مُقْبِلاً ... عَلَىٰ غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةِ

وَلَوْ رَدَّ مَنْ نَاجَاكَ لِلْغَيْرِ طَرْفَهُ[2] ... تَمَيَّزْتَ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةِ

أَمَا تَسْتَحِي مِنْ مَالِكِ ٱلْمُلْكِ أَنْ يَرَىٰ ... صُدُودَكَ عَنْهُ يَا قَلِيلَ ٱلْمُرُوءَةِ

إِلَـٰهِي ٱهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ وَخُذْ بِنَا ... إِلَى ٱلْحَقِّ نَهْجاً فِي سَوَاءِ ٱلطَّرِيقَةِ

خاتمة[3]

في الأذكارِ المأثورةِ بعدَ الصَّلاةِ المكتوبةِ

روى الترمذيُّ عن أبي أُمامةَ : قيلَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أيُّ الدعاءِ أسمعُ ؟ قالَ : « جَوْفَ ٱللَّيْلِ ٱلْآخِرِ ، وَدُبُرَ ٱلصَّلَوَاتِ ٱلْمَكْتُوبَاتِ »[4] .

قالَ النوويُّ : (أجمعَ العلماءُ على استحبابِ الذِّكْرِ بعدَ الصَّلاةِ)[5] .

---

(١) أورد القصيدة كاملة بأطول مما ها هنا العاملي في « الكشكول » (٢/٥٣ ـ ٥٤) ، وقد ذكر هـٰذه الأبيات السيد البكري في « إعانة الطالبين » (١/١٧٥) .

(٢) في (أ ، ج ، د) : (طرفة) .

(٣) في (ب) : (فصل) .

(٤) سنن الترمذي (٣٤٩٩) .

(٥) انظر « الأذكار » (ص ١٤١) .

[الاستغفارُ والتسبيحُ والتحميدُ]

فَمِنَ الذِّكْرِ المأثورِ : ما أخرجَهُ ابنُ السُّنِّيِّ وأبو يعلىٰ عنِ البراءِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنِ ٱسْتَغْفَرَ ٱللهَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ : أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ ٱلَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيَّ ٱلْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ . . غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ ٱلزَّحْفِ »(1) .

ويزيدُ فيهِ : (العظيمَ) بعدَ الصبحِ والمغربِ(2) .

ومسلمٌ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا انصرفَ مِنْ صلاتِهِ . . استغفرَ اللهَ ثلاثاً ، وقالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ ٱلسَّلَامُ وَمِنْكَ ٱلسَّلَامُ ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ »(3) .

« لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، ٱللَّهُمَّ ؛ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا ٱلْجَدِّ مِنْكَ ٱلْجَدُّ »(4) .

و« لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، لَهُ ٱلنِّعْمَةُ وَلَهُ ٱلْفَضْلُ ، وَلَهُ ٱلثَّنَاءُ ٱلْحَسَنُ ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ »(5) .

---

(1) أخرجه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (١٣٧) ، وعزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٠٦٦) له ولأبي يعلىٰ .

(2) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٣٦) وعزاه لابن السني وابن النجار من حديث سيدنا معاذ رضي الله عنه ، ولفظه : « من قال بعد صلاة الفجر ثلاث مرات ، وبعد صلاة العصر ثلاث مرات : أستغفر الله العظيم ، الذي لا إلـه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه . . كفرت عنه ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر » .

(3) صحيح مسلم (٥٩١) عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه ، وفيه : قال الوليد ـ أحد الرواة ـ فقلت للأوزاعي : (كيف الاستغفار ؟ قال : تقول : أستغفر الله ، أستغفر الله) .

(4) صحيح مسلم (٥٩٣) عن سيدنا المغيرة رضي الله عنه .

(5) صحيح مسلم (٥٩٤) عن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بنحوه .

وأيضاً قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ سَبَّحَ ٱللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ ، وَحَمِدَ ٱللَّهَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ ، وَكَبَّرَ ٱللَّهَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ ، وَقَالَ تَمَامَ ٱلْمِئَةِ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . . غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ ٱلْبَحْرِ »[1] .

والرافعيُّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا صَلَّيْتُمْ صَلَاةَ ٱلْفَرْضِ فَقُولُوا فِي عَقِبِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . . يُكْتَبْ لَهُ مِنَ ٱلْأَجْرِ كَأَنَّمَا أَعْتَقَ رَقَبَةً »[2] .

ويزيدُ : « يُحْيِي وَيُمِيتُ بِيَدِهِ ٱلْخَيْرُ » بعدَ الصبحِ والعصرِ والمغربِ[3] .

[آياتٌ لها فضلٌ كبيرٌ]

والحارثُ بنُ [عُميرٍ][4] : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ (فَاتِحَةَ ٱلْكِتَابِ) ، وَآيَةَ ٱلْكُرْسِيِّ ، وَ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ . . . ﴾ إِلَىٰ : ﴿ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[5] ، وَ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ . . . ﴾ إِلَىٰ : ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[6] . .

---

(١) صحيح مسلم (٥٩٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الرافعي في « التدوين في أخبار قزوين » (١١٨/٢) عن البراء بن عازب رضي الله عنهما .

(٣) أخرج الطبراني في « المعجم الكبير » (٣٣٩/٢٣) من حديث أم المؤمنين سيدتنا أم سلمة رضي الله عنها : أنه يقول ذلك بعد الفجر والمغرب .

(٤) في (أ ، ب ، ط ، هـ) : (عمر) ، وفي (ج ، د) : (عمرو) ، والمثبت من « عمل اليوم والليلة » ، وهو من رجال الإسناد .

(٥) سورة آل عمران : (١٨ ـ ١٩) ، والآيتان بتمامهما : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ .

(٦) سورة آل عمران : (٢٦ ـ ٢٧) ، والآيتان بتمامهما : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ ←

مُعلَّقاتٌ تَحتَ ٱلْعَرْشِ ؛ مَا بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ ٱللهِ حِجَابٌ ، قُلْنَ : يَا رَبِّ ؛ أَتُهْبِطُنَا إِلَىٰ أَرْضِكَ وَإِلَىٰ مَنْ يَعْصِيكَ ؟!

قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : بِي حَلَفْتُ ؛ لَا يَقْرَؤُكُنَّ أَحَدٌ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ . . إِلَّا جَعَلْتُ ٱلْجَنَّةَ مَثْوَاهُ ؛ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيهِ ، وَأَسْكَنْتُهُ حَظِيرَةَ ٱلْقُدْسِ ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِعَيْنِي ٱلْمَكْنُونَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً ، وَقَضَيْتُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ حَاجَةً ، أَدْنَاهَا ٱلْمَغْفِرَةُ ، وَأَعَذْتُهُ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ وَحَاسِدٍ ، وَنَصَرْتُهُ »[١] .

والنَّسائيُّ وابنُ حِبَّانَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ قَرَأَ آيَةَ ٱلْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ . . لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ ٱلْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ »[٢] .

وأبو يعلىٰ عن جابرٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ثَلَاثٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ ٱلْإِيمَانِ . . دَخَلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ ٱلْجَنَّةِ شَاءَ ، وَزُوِّجَ مِنَ ٱلْحُورِ ٱلْعِينِ حَيْثُ شَاءَ : مَنْ عَفَا عَنْ قَاتِلِهِ ، وَمَنْ أَدَّىٰ دَيْناً خَفِيّاً ، وَمَنْ قَرَأَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ (قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ) »[٣] .

وأبو داوودَ والترمذيُّ عن عُقبةَ بنِ عامرٍ قالَ : (أمرَني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أن أقرأَ « المُعوِّذاتِ » دبرَ كلِّ صلاةٍ)[٤] .

← مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

(١) أخرجه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (١٢٥) ، وأخرجه بإسناده ابن الفاخر الأصبهاني في « موجبات الجنة » (١٨٩) .

(٢) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٩٨٤٨) ، وعزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٥٣٥) إلى ابن حبان .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٣٨٥) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦/٢٤٣) .

(٤) سنن أبي داوود (١٥١٨) بلفظه ، وسنن الترمذي (٢٩٠٣) بلفظ : (بالمعوذتين) وهي موافقة لما في (أ ، ج) .

ووردَ : (التهليلُ عشرَ مراتٍ)[1] .

[بمَ نلتَ هـٰذهِ المنزلةَ ؟]

وحُكِيَ عنِ الحفَّارِ [ابنِ] يزيدَ[2] المشهورِ بالفضلِ والصلاحِ : أنَّهُ احتَفَرَ قبراً ؛ فإذا رجلٌ قاعدٌ علىٰ مِنبَرٍ وعندَهُ طبقُ رُطَبٍ ، قالَ : (فقالَ لي : أقامَتِ القيامةُ ؟ فقلتُ : لا ، فقلتُ لهُ : بالذي أحلَّكَ هـٰذهِ المَحَلَّةَ ؛ بِمَ نلتَ هـٰذا ؟

قالَ : كنتُ أقولُ دبرَ كلِّ صلاةٍ : لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ أُرضي بها ربِّي ، لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ أُفني بها عمري ، لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ أقطعُ بها دهري ، لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ أُونِسُ بها قبري ، لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ألقىٰ بها ربِّي ، لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ أُعِدُّها لكلِّ شيءٍ يجري) .

[مِنَ الأدعيةِ المأثورةِ الأُخرىٰ]

ومِنَ الدعاءِ المأثورِ : ما أخرجَهُ أبو داوودَ والنَّسائيُّ عن معاذٍ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أخذَ بيدِهِ وقالَ : « يَا مُعَاذُ ؛ وَٱللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ » فقالَ : « أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ : لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ : ٱللَّهُمَّ ؛ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ »[3] .

وابنُ السُّنِّيِّ عن أبي أُمامةَ : ما دنوتُ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ

---

(١) أخرج عبد الرزاق (٣١٨٨) عن قتادة مرسلاً ؛ ومنه : « ألا أخبركم بشيء أصله في الأرض وفرعه في السماء ؟ أن تقولوا في دبر كل صلاة : لا إلـٰه إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله عشر مرات ؛ فإن أصلهن في الأرض وفرعهن في السماء » .

(٢) في النسخ : (يزيد) ، وما بين معقوفين زيادة من المطبوع ، والقصة لم نجدها فيما بين أيدينا من مصادر .

(٣) أخرجه أبو داوود (١٥١٧) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (١٢٢٧) .

فِي دبرِ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ ولا تطوُّعٍ . . إلَّا سمعتُهُ يقولُ : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَخَطَايَايَ كلَّهَا ، ٱللَّهُمَّ ؛ ٱنْعِشْنِي وَٱجْبُرْنِي ، وَٱهْدِنِي لِصَالِحِ ٱلْأَعْمَالِ وَٱلْأَخْلَاقِ ؛ إِنَّه لَا يَهْدِي لِصَالِحِها وَلَا يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ »(١) .

وهوَ أيضاً عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ إذا انصرفَ مِنَ الصَّلاةِ : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ ، وَٱجْعَلْ خَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ »(٢) .

وعن أبي بَكْرَةَ قالَ(٣) : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ في دبرِ كلِّ صلاةٍ : « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْكُفْرِ وَٱلْفَقْرِ وَعَذَابِ ٱلْقَبْرِ »(٤) .

وأحمدُ عن أمِّ سلمةَ قالَتْ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا صلى الصبحَ . . قالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً ، وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً ، وَرِزْقاً طَيِّباً »(٥) .

وهوَ عن صهيبٍ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يُحرِّكُ شفتَيهِ بعدَ صلاةِ الفجرِ بشيءٍ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما هـٰذا الذي تقولُ ؟ قالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ بِكَ أُحَاوِلُ ، وَبِكَ أُصَاوِلُ ، وَبِكَ أُقَاتِلُ »(٦) .

---

(١) عمل اليوم والليلة (١١٦) .

(٢) عمل اليوم والليلة (١٢١) ، وفي (أ ، ج) : (يوم لقاك) .

(٣) في (ب) : (وهو عن أبي بكرة قال) أي : ابن السني ، وقد أخرجه في « عمل اليوم والليلة » (١١١) .

(٤) أخرجه الحاكم (٣٥/١) ، وابن خزيمة في « صحيحه » (٧٤٧) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (١٢٧١) .

(٥) مسند أحمد (٣٠٥/٦) .

(٦) مسند أحمد (٣٣٣/٤) والحديث فيه قصة عن نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

[دعاءٌ فيهِ جِوارٌ مِنَ النَّارِ]

وأبو داوودَ عن مسلمِ بنِ الحارثِ التميميِّ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ أَسرَّ إليهِ ، فقالَ : « إِذَا ٱنْصَرَفْتَ مِنْ صَلَاةِ ٱلْمَغْرِبِ . . فَقُلِ : ٱللَّهُمَّ ؛ أَجِرْنِي مِنَ ٱلنَّارِ (سَبْعَ مَرَّاتٍ) فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَٰلِكَ ثُمَّ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ . . كُتِبَ لَكَ جِوَارٌ مِنْهَا ، وَإِذَا صَلَّيْتَ ٱلصُّبْحَ . . فَقُلْ كَذَٰلِكَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ مِنْ يَوْمِكَ . . كُتِبَ لَكَ جِوَارٌ مِنْهَا »[1] .

فَائِدَةٌ

[في رفعِ الصوتِ واليدَينِ في الذِّكْرِ والدعاءِ]

يُسَنُّ لغيرِ إمامٍ يريدُ تعليمَ المأمومينَ إسرارٌ بالذِّكْرِ والدعاءِ ، وجهرٌ بهما لإمامٍ يريدُهُ ، أو وراءَه مَنْ يُؤَمِّنُ لدعائِهِ .

ولداعٍ غيرِ مصلٍّ ، وخطيبٍ رفعُ يدَيْهِ الطاهرتَينِ حَذْوَ مَنكِبَيهِ ، ومسحُ وجهِهِ بهِما بعدَ الفراغِ ، ورفعُ بصرِهِ إلى السماءِ ، وافتتاحُهُ بحمدِ اللهِ تعالىٰ والصَّلاةِ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وختمُهُ بهِما وبالتأمينِ ، واستقبالُ القِبلةِ إن كانَ مُنفرِداً أو مأموماً .

أمَّا الإمامُ . . فيستقبلُ المأمومينَ بوجهِهِ في الدعاءِ ، ويُسَنُّ لكلِّ جلوسٍ ذاكراً للهِ تعالىٰ بعدَ فرضِ الصبحِ إلىٰ طلوعِ الشمسِ .

[مَنْ أرادَ أجرَ حَجَّةٍ وعُمرةٍ كلَّ يومٍ]

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ صَلَّى ٱلْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ ،

---

(١) سنن أبي داوود (٥٠٣٩) ، وقال ابن الأثير في « جامع الأصول » (٢٢١٠) : (زاد في رواية : « قبل أن تكلم أحداً ») ، وقال الحارث بن مسلم رضي الله عنهما : (أسرَّها إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فنحن نخصُّ بها إخواننا) .

ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ ٱللهَ حَتَّىٰ تَطْلُعَ ٱلشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ . . كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ » رواهُ الترمذيُّ وحسَّنَهُ[1] .

وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ قَعَدَ فِي مُصَلَّاهُ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاةِ ٱلصُّبْحِ ؛ حَتَّىٰ يُسَبِّحَ رَكْعَتَيِ ٱلضُّحَىٰ ، لَا يَقُولُ إِلَّا خَيْراً . . غُفِرَ لَهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ ٱلْبَحْرِ » رواهُ أبو داوودَ[2] .

وقالَ : « لَأَنْ أَجْلِسَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ صَلَاةِ ٱلْعَصْرِ إِلَىٰ أَنْ تَغْرُبَ ٱلشَّمْسُ . . أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ ثَمَانِيَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ »[3] .

أعتقَ اللهُ رقابَنا مِنَ النَّارِ ، وغفرَ ذنوبَنا وخطايانا ، وأصلحَ ما فسدَ مِنْ أعمالِنا ، وتقبَّلَها بمنِّهِ منَّا ، آمينَ .

❋ ❋ ❋

---

(١) سنن الترمذي (٥٨٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) سنن أبي داوود (١٢٨١) عن سيدنا معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أحمد بنحوه (٣/٢٦٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٥٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

بابُ صلاةِ التطوّعِ

أخرجَ أحمدُ والترمذيُّ عن أبي أُمامةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا أَذِنَ ٱللهُ لِعَبْدٍ فِي شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ ـ أو أكثرَ مِنْ ركعتَينِ ـ [يُصَلِّيهِمَا] ، وَإِنَّ ٱلْبِرَّ لَيُذَرُّ فَوْقَ رَأْسِ ٱلْعَبْدِ مَا كَانَ فِي ٱلصَّلَاةِ ، وَمَا تَقَرَّبَ عَبْدٌ إِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ »[1] .

والطبرانيُّ عنهُ : « مَا أُوتِيَ عَبْدٌ فِي هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا خَيْراً لَهُ مِنْ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فِي رَكْعَتَيْنِ يُصَلِّيهِمَا »[2] .

[فضلُ ركعتَيِ الفجرِ وما يتعلَّقُ بهما]

ومسلمٌ والترمذيُّ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : « رَكْعَتَا ٱلْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا »[3] .

والبيهقيُّ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « لَا يُحَافِظُ عَلَىٰ رَكْعَتَيِ ٱلْفَجْرِ إِلَّا أَوَّابٌ »[4] .

وأبو داوودَ والترمذيُّ عنهُ : « إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ رَكْعَتَيِ ٱلْفَجْرِ . . فَلْيَضْطَجِعْ عَلَىٰ جَنْبِهِ ٱلْأَيْمَنِ »[5] .

والبيهقيُّ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنهَا : « نِعْمَ ٱلسُّورَتَانِ هُمَا تُقْرَآنِ

(١) سنن الترمذي (٢٩١١) ، ومسند أحمد (٢٦٨/٥) .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٥١/٨) .

(٣) صحيح مسلم (٧٢٥) ، وسنن الترمذي (٤١٦) .

(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٨٠٢) .

(٥) سنن أبي داوود (١٢٥٥) ، وسنن الترمذي (٤٢٠) بنحوه .

فِي ٱلرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ ٱلْفَجْرِ : (قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ) ، وَ(قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) »[1] .

وابنُ السُّنِّيِّ عن والدِ أبي المَلِيحِ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ صلَّىٰ ركعتَينِ خفيفتَينِ ، ثمَّ سمعتُهُ يقولُ وهوَ جالسٌ : « ٱللَّهُمَّ ؛ رَبَّ جِبْرِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَمُحَمَّدٍ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلنَّارِ » ثلاثَ مراتٍ[2] .

[بقيَّةُ السننِ الرواتبِ]

وأبو داوودَ والترمذيُّ عن أمِّ حبيبةَ : « مَنْ حَافَظَ عَلَىٰ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ ٱلظُّهْرِ ، وَأَرْبعٍ بَعْدَهَا . . حَرَّمَهُ ٱللهُ عَلَى ٱلنَّارِ »[3] .

والطبرانيُّ عنِ ابنِ عمرَ : « مَنْ صَلَّىٰ قَبْلَ ٱلْعَصْرِ أَرْبَعاً . . حَرَّمَهُ ٱللهُ عَلَى ٱلنَّارِ »[4] .

وأحمدُ وأبو داوودَ عن عبدِ اللهِ المزنيِّ : « صَلُّوا قَبْلَ ٱلْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ » [ثم قال] : « صَلُّوا قَبْلَ ٱلْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ لِمَنْ شَاءَ »[5] .

وعبدُ الرزاقِ عن مكحولٍ مُرسَلاً : « مَنْ صَلَّىٰ بَعْدَ ٱلْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ . . كُتِبَتَا فِي عِلِّيِّينَ »[6] .

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٣٢٣) .
(٢) عمل اليوم والليلة (١٠٣) .
(٣) سنن أبي داوود (١٢٦٣) ، وسنن الترمذي (٤٢٨) .
(٤) أخرج الطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٦٠١) نحوه لكن عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وأورده بلفظه المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٩٣٩٢) وعزاه للطبراني .
(٥) سنن أبي داوود (١٢٧٥) ، ومسند أحمد (٥/٥٥) ، وتتمته : (خشية أن يتخذها الناس سنة) .
(٦) مصنف عبد الرزاق (٤٨٣٣) .

والبيهقيُّ عن حذيفةَ : « عَجِّلُوا ٱلرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ ٱلْمَغْرِبِ ؛ لِتُرْفَعَا مَعَ ٱلْعَمَلِ »[1] .

وابنُ السُّنِّيِّ عن أمِّ سلمةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا انصرفَ مِنْ صلاةِ المغربِ . . يدخلُ فيُصلِّي ركعتَينِ ، ثمَّ يقولُ فيما يدعو : « يَا مُقَلِّبَ ٱلْقُلُوبِ ؛ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ »[2] .

والترمذيُّ وابنُ ماجه عن أبي هريرةَ : « مَنْ صَلَّىٰ بَعْدَ ٱلْمَغْرِبِ سِتَّ رَكَعَاتٍ ، لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيمَا بَيْنَهُنَّ بِسُوءٍ . . عَدَلْنَ لَهُ بِعِبَادَةِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً »[3] .

وابنُ نصرٍ عنِ ابنِ عمرَ : « مَنْ صَلَّىٰ سِتَّ رَكَعَاتٍ بَعْدَ ٱلْمَغْرِبِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ . . غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُ خَمْسِينَ سَنَةً »[4] .

وفي روايةِ الطبرانيِّ : « غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ ٱلْبَحْرِ »[5] .

وابنُ نصرٍ عن محمدِ بنِ المُنكدِرِ : « مَنْ صَلَّىٰ مَا بَيْنَ ٱلْمَغْرِبِ وَٱلْعِشَاءِ . . فَإِنَّهَا صَلَاةُ ٱلْأَوَّابِينَ »[6] .

والشيخانِ عنهُ : (صليتُ معَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ركعتَينِ بعدَ العشاءِ)[7] .

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٨٠٤) .

(٢) عمل اليوم والليلة (٦٥٨) واللفظ فيه : (ثبت قلوبنا . . .) .

(٣) سنن الترمذي (٤٣٥) ، وسنن ابن ماجه (١٢٣٨) .

(٤) أخرجه ابن نصر المروزي في « مختصر قيام الليل » (ص ٨٧) ، وانظر « كنز العمال » (١٩٤٣٠) .

(٥) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٢٤١) عن سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما .

(٦) أخرجه ابن نصر المروزي في « مختصر قيام الليل » (ص ٨٦) .

(٧) صحيح البخاري (١١٦٥) ، وصحيح مسلم (٧٢٩) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

قالَ النوويُّ في « المجموعِ » : (يُسَنُّ ركعتانِ قبلَ العشاءِ ؛ لخبرِ : « بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ »)[١] .

وقالَ أيضاً فيهِ : (يجبُ في سنَّةِ الظهرِ التعيينُ بالتي قبلَها أو بالتي بعدَها)[٢] وإن لم يُؤخِّرِ المُقدَّمةَ ، وكذا كلُّ صلاةٍ لها سنَّةٌ قبلَها وسنَّةٌ بعدَها .

[فضلُ الوِترِ وما يُقرَأُ فيها]

وأبو داودَ والترمذيُّ عن أبي أيوبَ : « ٱلْوِتْرُ حَقٌّ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ ؛ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِخَمْسٍ . . فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِثَلَاثٍ . . فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِوَاحِدَةٍ . . فَلْيَفْعَلْ »[٣] .

والبيهقيُّ والحاكمُ : « أَوْتِرُوا بِخَمْسٍ ، أَوْ سَبْعٍ ، أَوْ تِسْعٍ ، أَوْ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ »[٤] .

ومسلمٌ والترمذيُّ عن جابرٍ : « مَنْ خَافَ أَلَّا يَقُومَ آخِرَ ٱللَّيْلِ . . فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ . . فَلْيُوتِرْ آخِرَ ٱللَّيْلِ ؛ فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ ٱللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ ، وَذَٰلِكَ أَفْضَلُ »[٥] .

---

(١) المجموع شرح المهذب (١١/٤) ، والحديث أخرجه البخاري (٦٢٤) ، ومسلم (٨٣٨) عن سيدنا عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه ، والمراد بالأذانين : الأذان والإقامة باتفاق العلماء ، كما قاله الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) المجموع شرح المهذب (٢٣٦/٣) بنحوه .

(٣) سنن أبي داوود (١٤١٧) ، وسنن الترمذي (٤٥٩) بنحوه ؛ فقد رواه عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها ثم قال : (وفي الباب عن أبي أيوب . . .) .

(٤) مستدرك الحاكم (٣٠٤/١) ، وسنن البيهقي (٣١/٣) برقم (٤٨٧٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) صحيح مسلم (٧٥٥) ، وسنن الترمذي بعد الحديث (٤٥٥) .

والنَّسائيُّ وابنُ ماجه : سألتُ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : بأيِّ شيءٍ كانَ يوترُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟ قالَتْ : (كانَ يقرأُ في الأولىٰ « سبِّحِ اسمَ ربِّكَ الأعلىٰ » وفي الثانيةِ بـ « قُلْ يا أيُّها الكافرونَ » وفي الثالثةِ بـ « قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ » و« المُعوِّذتَينِ »[1] .

ويُسَنُّ أن يقرأَ في كلٍّ مِنْ أُوليَي الوترِ (الإخلاصَ) .

وأبو داوودَ والترمذيُّ عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ قالَ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا سلَّمَ مِنَ الوترِ . . قالَ : « سُبْحَانَ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ » ثلاثَ مراتٍ ، يرفعُ صوتَهُ في الثالثةِ)[2] .

وهُما عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يقولُ في آخِرِ وترِهِ : « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ »[3] .

[الترغيبُ في سنَّةِ الضحىٰ]

وأحمدُ والترمذيُّ عن أبي هريرةَ : « مَنْ حَافَظَ عَلَىٰ شُفْعَةِ ٱلضُّحَىٰ . . غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ ٱلْبَحْرِ »[4] .

---

(١) أخرجه الترمذي بلفظه (٤٦٣) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (١٤٣١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وابن ماجه (١٢٤٥) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٢) سنن أبي داوود (١٤٢٥) ، وأخرجه أحمد (٣/٤٠٦) لكن عن سيدنا عبد الرحمـٰن بن أبزىٰ رضي الله عنه ، وعزاه في « كنز العمال » (٢١٩٣٧) لأبي داوود فقط .

(٣) سنن أبي داوود (١٤٢٢) ، وسنن الترمذي (٣٥٦٦) .

(٤) سنن الترمذي (٤٧٦) ، ومسند أحمد (٢/٤٤٣) .

وأبو الشيخِ عن أنسٍ : « رَكْعَتَانِ مِنَ ٱلضُّحَىٰ تَعْدِلَانِ عِنْدَ ٱللهِ بِحَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ مُتَقَبَّلَتَيْنِ »[١] .

وسَمُّويَهْ عن سعدٍ : « مَنْ سَبَّحَ سُبْحَةَ ٱلضُّحَىٰ حَوْلاً [مُجَرَّماً] . . كُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ ٱلنَّارِ »[٢] .

والطبرانيُّ عن أبي هريرةَ : « إِنَّ فِي ٱلْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ : ٱلضُّحَىٰ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ . . نَادَىٰ مُنَادٍ : أَيْنَ ٱلَّذِينَ كَانُوا يُدِيمُونَ عَلَىٰ صَلَاةِ ٱلضُّحَىٰ ؛ هَـٰذَا بَابُكُمْ فَٱدْخُلُوهُ بِرَحْمَةِ ٱللهِ »[٣] .

والديلميُّ عن عبدِ اللهِ بنِ جَرَادٍ : « ٱلْمُنَافِقُ : لَا يُصَلِّي صَلَاةَ ٱلضُّحَىٰ ، وَلَا يَقْرَأُ (قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ) »[٤] .

والشيخانِ عن أمِّ هانئٍ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : (إنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دخلَ بيتي يومَ فتحِ مكَّةَ ، فاغتسلَ وصلَّىٰ ثمانَ ركعاتٍ ، فلم أَرَ صلاةً قطُّ أخفَّ منها ، غيرَ أنَّهُ يُتِمُّ الركوعَ والسجودَ ، وذٰلكَ ضحىً)[٥] .

وابنُ حِبَّانَ عن عُقبةَ بنِ عامرٍ : « صَلُّوا رَكْعَتَيِ ٱلضُّحَىٰ بِسُورَتَيْهِمَا : (وَٱلشَّمْسِ وَضُحَاهَا) وَ(وَٱلضُّحَىٰ) »[٦] .

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في « الثواب » كما في « كنز العمال » (٢١٤٩١) ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٣٢٣٥) .

(٢) عزاه في « كنز العمال » (٢١٥٠٢) لسمويه ، وفي (ب ، هـ) : (محرماً) بدل (مجرماً) ، وليست في (أ ، ج ، د) ، وقال العلامة المناوي في « فيض القدير » (١٤٧/٦) : (**حولاً مجرماً** : بالجيم كمعظَّم بضبط المصنف ؛ أي : حولاً تاماً) .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٠٥٦) .

(٤) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٦٦٢١) .

(٥) صحيح البخاري (١١٠٣) ، وصحيح مسلم (٣٣٦) .

(٦) عزاه في « كنز العمال » (٢١٤٩٤) للبيهقي في « الشعب » وللديلمي .

ووردَ في حديثٍ رواهُ العُقيليُّ : (كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقرأُ فيهِما : « قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ » وَ« قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ »)[١] .

ووردَ بعدَ الضحىٰ : (ربِّ ؛ اغفرْ لي وتبْ عليَّ . . إنَّكَ أنتَ التوَّابُ الغفورُ) مئةَ مرةٍ[٢] .

[فضلُ قيامِ اللَّيلِ]

ومسلمٌ عن أبي هريرةَ : « أَفْضَلُ ٱلصَّلَاةِ بَعْدَ ٱلْفَرِيضَةِ . . صَلَاةُ ٱللَّيْلِ »[٣] .

والديلميُّ عن جابرٍ : « رَكْعَتَانِ فِي جَوْفِ ٱللَّيْلِ تُكَفِّرَانِ ٱلْخَطَايَا »[٤] .

وأحمدُ والترمذيُّ عن بلالٍ : « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ ٱللَّيْلِ ؛ فَإِنَّهُ دَأْبُ ٱلصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَقُرْبَةٌ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ ٱلْإِثْمِ ، وَمُكَفِّرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ ٱلْجَسَدِ »[٥] .

وابنُ نصرٍ عن حسَّانَ بنِ عطيَّةَ مُرسَلاً : « رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا ٱبْنُ آدَمَ فِي جَوْفِ ٱللَّيْلِ ٱلْأَخِيرِ . . خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي . . لَفَرَضْتُهُمَا عَلَيْهِمْ »[٦] .

---

(١) أخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٩٩٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٦١٩) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٩٨٥٥) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٣) صحيح مسلم (١١٦٣) .

(٤) أورده السيوطي في « الجامع الصغير » (٤٤٩٦) وعزاه للديلمي ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢١٤٢٦) وعزاه للحاكم في « تاريخه » .

(٥) سنن الترمذي (٣٥٤٩) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١٦/١٤) ، وابن خزيمة في « صحيحه » (١١٣٥) ، والحاكم (٣٠٨/١) لكن عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٦) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (١٢٨٩) ، وعزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢١٤٠٥) لابن نصر المروزي .

ومسلمٌ عن جابرٍ : « إِنَّ فِي ٱللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالَىٰ فِيهَا مِنْ أَمْرِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ . . إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، وَذَٰلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ »(١) .

والشيخانِ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ أي : أمرُهُ ـ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ ٱلدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ ٱللَّيْلِ ٱلْآخِرِ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي . . فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي . . فَأُعْطِيَهُ ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي . . فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ »(٢) .

وأحمدُ وأبو داوودَ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « رَحِمَ ٱللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ ٱللَّيْلِ فَصَلَّىٰ ، وَأَيْقَظَ ٱمْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ ، فَإِنْ أَبَتْ . . نَضَحَ فِي وَجْهِهَا ٱلْمَاءَ ، وَرَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأَةً قَامَتْ مِنَ ٱللَّيْلِ فَصَلَّتْ ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّىٰ ، فَإِنْ أَبَىٰ . . نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ ٱلْمَاءَ »(٣) .

وأبو داوودَ والنَّسائيُّ عن أبي هريرةَ : « إِذَا ٱسْتَيْقَظَ ٱلرَّجُلُ مِنَ ٱللَّيْلِ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ . . كُتِبَا مِنَ ٱلذَّاكِرِينَ ٱللهَ كَثِيراً وَٱلذَّاكِرَاتِ »(٤) .

وأبو داوودَ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : « مَا مِنِ ٱمْرِئٍ تَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بِاللَّيْلِ فَيَغْلِبُهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ . . إِلَّا كَتَبَ ٱللهُ لَهُ أَجْرَ صَلَاتِهِ ، وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَيْهِ صَدَقَةً »(٥) .

والشيخانِ عنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ : « يَا عَبْدَ ٱللهِ ؛ لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ ، كَانَ يَقُومُ ٱللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ ٱللَّيْلِ »(٦) .

---

(١) صحيح مسلم (٧٥٧) .

(٢) صحيح البخاري (١١٤٥) ، وصحيح مسلم (٧٥٨) .

(٣) سنن أبي داوود (١٣٠٢) ، ومسند أحمد (٢/٢٥٠) .

(٤) سنن أبي داوود (١٤٤٦) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (١٣١٢) .

(٥) سنن أبي داوود (١٣٠٨) .

(٦) صحيح البخاري (١١٥٢) ، وصحيح مسلم (١١٥٩/١٨٥) .

[ليلةُ النائمِ وليلةُ القائمِ]

وحكى اليافعيُّ عنِ الشيخِ أبي بكرٍ الضريرِ قالَ : (كانَ في جِواري شابٌّ حسنُ السيرةِ ، يصومُ النهارَ ولا يُفطِرُ ، ويقومُ اللَّيلَ ولا ينامُ ، فجاءَني يوماً وقالَ : يا أستاذي ؛ إنِّي نمتُ عن وردي اللَّيلةَ ، فرأيتُ كأنَّ مِحرابي قدِ انشقَّ ، وكأنِّي بجَوارٍ قد خرجْنَ مِنَ المِحرابِ ، لم أرَ أحسنَ وجهاً منهُنَّ ؛ وإذا فيهِنَّ واحدةٌ شوهاءُ فوهاءُ (١) ، لم أرَ أقبحَ منها منظراً ؟!

فقلتُ : لِمَنْ أنتُنَّ ؟ ولِمَنْ هٰذهِ ؟ فقُلْنَ : نحنُ لياليكَ التي مضينَ ، وهٰذهِ ليلةُ نومِكَ ، ولو مُتَّ في ليلتِكَ هٰذهِ . . لكانَتْ هٰذهِ حظَّكَ ، فشَهَقَ شهقةً وخرَّ ميتاً ، رحمةُ اللهِ عليهِ) (٢) .

[سفيانُ الثوريُّ بعدَ وفاتِهِ]

وحكى اليافعيُّ عن بعضِ الصالحينَ أنَّهُ قالَ : (رأيتُ سفيانَ الثوريَّ في النومِ بعدَ موتِهِ ، فقلتُ لهُ : كيفَ حالُكَ يا أبا سعيدٍ ؟ (٣) فأعرضَ عنِّي وقالَ : ليسَ هٰذا زمانَ الكُنىٰ ، فقلتُ لهَ : كيفَ حالُكَ يا سفيانُ ؟ فأنشأَ يقولُ (٤) : [من الطويل]

---

(١) في (ب) : (شوهاء نوهاء) ، وهي في إحدىٰ نسخ « روض الرياحين » .

(٢) انظر « روض الرياحين » (ص ٤٨ ـ ٤٩) رقم الحكاية (٨) ، وقد ذكر الإمام اليافعي رحمه الله تعالىٰ أبياتاً جميلة علىٰ لسان الجارية الشوهاء ، وأبياتاً علىٰ لسان جارية أخرىٰ حسناء ، فراجعها إن شئت .

(٣) كذا في النسخ ، وفي « روض الرياحين » : (يا أبا عبد الله) ، وهو الصواب كما في كتب التراجم ، ولقد تبع المؤلف جده في « مرشد الطلاب » .

(٤) انظر « روض الرياحين » (ص ٢١١) رقم الحكاية (١٨٥) ، و« مرشد الطلاب » (ق/٤٢) مخطوط .

نَظَرْتُ إِلَىٰ رَبِّي عِيَاناً فَقَالَ لِي ... هَنِيئاً رِضَائِي عَنْكَ يَا بْنَ سَعِيدِ

لَقَدْ كُنْتَ قَوَّاماً إِذِ ٱللَّيْلُ قَدْ دَجَا [(١)] ... بِعَبْرَةِ مُشْتَاقٍ وَقَلْبِ عَمِيدِ

فَدُونَكَ فَٱخْتَرْ أَيَّ قَصْرٍ تُرِيدُهُ ... وَزُرْنِي فَإِنِّي عَنْكَ غَيْرُ بَعِيدِ

[فضلُ صلاةِ التسابيحِ وحكمُها]

وأبو داوودَ والحاكمُ عنِ ابنِ عباسٍ ، وصححَهُ ابنُ خُزيمةَ ، وحسَّنَهُ الحافظُ ابنُ حجرٍ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ للعباسِ بنِ عبدِ المطلبِ : « يَا عَبَّاسُ ، يَا عَمَّاهُ ؛ أَلَا أُعْطِيكَ ، أَلَا أَمْنَحُكَ ، أَلَا أَحْبُوكَ ، أَلَا أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ ، إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَٰلِكَ .. غَفَرَ ٱللهُ لَكَ ذَنْبَكَ : أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ، وَقَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ ، وَخَطَأَهُ وَعَمْدَهُ ، وَصَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ ، وَسِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ : أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ؛ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ (فَاتِحَةَ ٱلْكِتَابِ) وَسُورَةً .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ ٱلْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ .. قُلْتَ : سُبْحَانَ ٱللهِ ، وَٱلْحَمْدُ لِلهِ ، وَلَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَٱللهُ أَكْبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، ثُمَّ تَرْكَعُ ، فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْراً ، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ ٱلرُّكُوعِ فَتَقُولُهَا عَشْراً ، ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْراً ، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ ٱلسُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْراً وَأَنْتَ جَالِسٌ بَيْنَ ٱلسَّجْدَتَيْنِ ، ثُمَّ تَسْجُدُ ثَانِياً فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْراً ، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ ٱلسُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْراً ، فَذَٰلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ، تَفْعَلُ ذَٰلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ ، إِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً .. فَٱفْعَلْ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ .. فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً ، فَإِنْ لَمْ

---

(١) كذا في النسخ ، وجاء في « روض الرياحين » : (لقد كنت قواماً إذا أظلم الدجىٰ) .

تَفْعَلْ . . فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ . . فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ . . فَفِي عُمْرِكَ مَرَّةً »[١] .

❁ ❁ ❁

واعلمْ : أنَّ صلاةَ التسبيحِ مُرغَّبٌ فيها ، يُستحَبُّ أن تعتادَها في كلِّ حينٍ ، ولا تَتغافلَ عنها ، هٰكذا قالَ عبدُ اللهِ بنُ المبارَكِ وجماعةٌ مِنَ العلماءِ[٢] .

وقالَ التاجُ السُّبكيُّ : (صلاةُ التسبيحِ مِنَ المُهمَّاتِ في الدِّينِ ، فينبغي الحرصُ عليها ؛ فَمَنْ سمعَ ما وردَ فيها مِنْ عظيمِ الفضلِ ثمَّ تغافلَ عنها بتركِها . . فهوَ مُتهاونٌ بالدِّينِ ، غيرُ مُكترثٍ بأعمالِ الصالحينَ ، لا ينبغي أن يُعَدَّ مِنْ أهلِ الخيرِ في شيءٍ)[٣] .

[وقتُ استحبابِها وما يدعو فيها]

وقالَ ابنُ أبي الصَّيفِ اليمنيُّ : (تُستحَبُّ صلاةُ التسبيحِ عندَ الزوالِ يومَ الجُمُعةِ ، يَقرأُ في الأولىٰ بعدَ « الفاتحةِ » : « التكاثرَ » وفي الثانيةِ :

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » (١٢١٦) ، والحاكم (١/٣١٨) ، وأبو داوود (١٢٩١) ، وتكلم الحافظ ابن حجر عن الحديث مطولاً في « نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار » (٥/١٦٥) وبعدها ، وقال في « الخصال المكفرة » (ص ٤٣) : (فهٰذا الإسناد من شرط الحسن ؛ فإن له شواهد تقويه . . .) .

(٢) نقله الإمام النووي في « الأذكار » (ص ٣١٤) عن الإمام الروياني في « البحر » (٣/٣٨٦) ، وقال : (قيل لعبد الله بن المبارك : إن سها في صلاة التسبيح . . أيسبِّح في سجدتي السهو عشراً عشراً ؟ قال : لا ؛ إنما هي ثلاث مئة تسبيحة) .

(٣) نقله العلامة الترمسي في « المنهل العميم بحاشية المنهج القويم » (٣/٥٧٧) عن التاج السبكي في كتابه « الترشيح » ، ثم نقل عنه أيضاً : (وإنما أطلت الكلام في هٰذه الصلاة ؛ لإنكار النووي رحمه الله لها ، واعتماد أهل العصر عليه ، فخشيت أن يفتروا بذٰلك ، فينبغي الحرص عليها . . .) .

« والعصرِ » ، وفي الثالثةِ : « الكافرونَ » ، وفي الرابعةِ : « الإخلاصَ » ، فإذا كملَتِ الثلاثُ مئةِ تسبيحةٍ . . قالَ بعدَ فراغِهِ مِنَ التشهُّدِ وقبلَ أن يُسلِّمَ :

اللهمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ توفيقَ أهلِ الهدىٰ ، وأعمالَ أهلِ اليقينِ ، ومناصحةَ أهلِ التَّوبةِ ، وعزمَ أهلِ الصبرِ ، وجِدَّ أهلِ الخشيةِ ، وطلبَ أهلِ الرغبةِ ، وتَعبُّدَ أهلِ الورعِ ، وعِرْفانَ أهلِ العلمِ ؛ حتىٰ أخافَكَ وأتقيَكَ .

اللهمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ مخافةً تَحجُزُني عن معاصيكَ ، حتىٰ أعملَ بطاعتِكَ عملاً أستحقُّ بهِ رضاكَ ، وحتىٰ أُناصِحَكَ في التَّوبةِ خوفاً منكَ ، وحتىٰ أُخلِصَ لكَ النصيحةَ حبّاً لكَ ، وحتىٰ أتوكلَ عليكَ في الأمورِ كلِّها ، وأُحسِنَ الظَّنَّ بكَ ، سبحانَ خالقِ النُّورِ ، ربَّنا ؛ أتمِمْ لنا نورَنا ، واغفرْ لنا ؛ إنَّكَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ ، برحمتِكَ يا أرحمَ الرَّاحمينَ ، ثُمَّ يُسلِّمُ ثمَّ يدعو حاجتَهُ)[1] .

[الترغيبُ في سنَّةِ الوضوءِ]

وأبو داوودَ عن زيدِ بنِ خالدٍ : « مَنْ تَوَضَّأَ [فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ] ، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ لَا يَسْهُو فِيهِمَا . . غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »[2] .

ومسلمٌ عن عُقبةَ بنِ عامرٍ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلاً عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ . . إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ ٱلْجَنَّةُ »[3] .

---

(١) ذكر ذٰلك كله ملا علي القاري في « مرقاة المفاتيح » (٣٧٨/٣) نقلاً من كتاب « اللمعة في رغائب يوم الجمعة » ، وذكر أن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما كان يصليها عند الزوال يوم الجمعة ويقرأ فيها ما تقدم ، وذكر فوائد أخرىٰ ، والدعاء المذكور أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٥/١) .

(٢) سنن أبي داوود (٩٠١) ، وما بين معقوفين زيادة من « السنن » .

(٣) صحيح مسلم (٢٣٤) .

وقالَ شيخُنا ابنُ حجرٍ : (إنَّ ركعتَي الوضوءِ تفوتانِ إذا أخَّرَهُما ؛ بحيثُ لا تُنسبانِ إليهِ عرفاً)[1] .

وبحثَ بعضُ المتأخرينَ امتدادَ وقتِهما ما بقيَ الوضوءُ[2] .

ويُسَنُّ أن يقرأَ في الأولىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[3] ، وفي الثانيةِ : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[4] .

وقيلَ : تفوتانِ بجفافِ الأعضاءِ[5] .

[فضلُ تحيَّةِ المسجدِ وبعضُ أحكامِها]

وابنُ حِبَّانَ عن أبي ذرٍّ قالَ : دخلتُ المسجدَ ؛ فإذا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جالسٌ وحدَهُ ، فقالَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ ؛ إِنَّ لِلْمَسْجِدِ لَتَحِيَّةً ، وَإِنَّ تَحِيَّتَهُ رَكْعَتَانِ ، فَقُمْ فَٱرْكَعْهُمَا » فقمتُ فركعتُهُما ثمَّ عُدْتُ[6] .

---

(١) انظر تفصيله في « تحفة المحتاج » (٢/٢٣٧) .

(٢) ذكر العلامة الشرواني في « حاشيته على التحفة » (١/٢٤١) نقلاً عن « النهاية » (٢/١٢١) ثلاثة أوجه في فوات سنة الوضوء : إما بالإعراض عنها ، أو بالحدث ، أو بطول الفصل عرفاً ، أوجهها : ثالثها ، ومال السيد البصري إلى الثاني ؛ فقد أفتى السيد السمهودي بامتداد وقتها ما دام الوضوء باقياً ، وصححه الفقيه بامخرمة ، وهو وجيهٌ من حيث المعنىٰ .

(٣) سورة النساء : (٦٤) .

(٤) سورة النساء : (١١٠) .

(٥) انظر « بشرى الكريم بشرح مسائل التعليم » (ص ١٠٦) .

(٦) صحيح ابن حبان (٣٦١) .

وقالَ النوويُّ في « التحقيقِ » : (إنَّ تحيَّةَ المسجدِ تفوتُ بالجلوسِ ما لم يَسْهُ أو يجهلْ وقَصُرَ الفصلُ) [١] .

وقالَ شيخُنا ابنُ حجرٍ : (ويَلحقُ بهِما على الأوجهِ ما لوِ احتاجَ للشربِ ؛ فيقعدُ لهُ قليلاً ، ثمَّ يأتي بها) [٢] .

واعلمْ : أنَّ ركعتَي التحيَّةِ والوضوءِ تَتأدَّيانِ بغيرِهما من فرضٍ أو نفلٍ آخَرَ وإن لم ينوِهما معَهُ [٣] .

نعم ؛ الأوجهُ : ألَّا يحصلَ فضلُهُما إلَّا إذا نُويَتا .

ويُسَنُّ أن يقرأَ في ركعتَي التحيَّةِ وسنَّةِ المغربِ وصلاةِ الاستخارةِ والإحرامِ والطوافِ : (الكافرونَ) و(الإخلاصَ) .

وقالَ النوويُّ في « الأذكارِ » : (قالَ بعضُ أصحابِنا : مَنْ دخلَ المسجدَ ولم يَتمكَّنْ مِنْ صلاةِ التحيَّةِ لحدثٍ أو شُغلٍ أو نحوِهِ . . فيُستحَبُّ لهُ أن يقولَ أربعَ مراتٍ : سبحانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ ، ولا إلـهَ إلَّا اللهُ ، واللهُ أكبرُ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ) [٤] .

[فضلُ بعضِ النوافلِ]

وأبو داوودَ والترمذيُّ عن أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : « لَيْسَ عَبْدٌ يُذْنِبُ

---

(١) انظر « التحقيق » (ص ٢٣١) ، والعبارة فيه : (وتفوت إذا قعد وطال الفصل ، أو تعمد تركها) .

(٢) انظر « تحفة المحتاج » (٢٣٥/٢) ، وقد فرَّق بين من جلس وهو عطشان للشرب فلا تفوته ، وبين من جلس للوضوء فإنها تفوته ؛ لعدم احتياجه للجلوس .

(٣) انظر « العباب » (ص ٢٢٧) .

(٤) الأذكار (ص ٨٠) .

ذَنْباً ، فَيَقُومُ فَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ ٱللهَ . . إِلَّا غَفَرَ ٱللهُ لَهُ »[1] ، غفرَ اللهُ ذنوبَنا ، وقَبِلَ توبتَنا .

وأحمدُ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَٱحْتِسَاباً . . غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »[2] .

والديلميُّ عنِ ابنِ عباسٍ : « ٱلْعِيدَانِ وَاجِبَانِ عَلَىٰ كُلِّ حَالِمٍ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ »[3] .

وصحَّ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (كانَ يُواظِبُ علىٰ صلاةِ العيدَينِ)[4] ؛ فهيَ سنَّةٌ مُؤكَّدةٌ عندَنا ، وواجبةٌ كالأعيانِ عندَ أبي حنيفةَ ، ويَكفُرُ مَنْ أنكرَ مشروعيَّتَها .

وأبو داوودَ عن زيدِ بنِ ثابتٍ : « صَلَاةُ أَحَدِكُمْ فِي بَيْتِهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي مَسْجِدِي هَـٰذَا إِلَّا ٱلْمَكْتُوبَةَ »[5] .

وابنُ أبي شيبةَ عن رجلٍ : « تَطَوُّعُ ٱلرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ يَزِيدُ عَلَىٰ تَطَوُّعِهِ عِنْدَ ٱلنَّاسِ ؛ كَفَضْلِ صَلَاةِ ٱلرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ عَلَىٰ صَلَاتِهِ وَحْدَهُ »[6] .

---

(١) سنن أبي داوود (١٥١٦) ، وسنن الترمذي (٤٠٦) بنحوه .

(٢) مسند أحمد (٢٤١/٢) .

(٣) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٤٢٤٨) .

(٤) قال الإمام ابن الملقن في « البدر المنير » (٣٣/٥) : (يروىٰ : أن أول عيد صلىٰ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عيد الفطر من السنة الثانية من الهجرة ، ولم يزل يواظب علىٰ صلاة العيدين حتىٰ فارق الدنيا ، هو كما قال ـ أي : الرافعي ـ فقد اشتهر في السير : أن أول عيد شُرع عيد الفطر ، وأنه في السنة الثانية من الهجرة ، وأما المواظبة علىٰ صلاته . . فمستفيض) .

(٥) سنن أبي داوود (١٠٣٧) .

(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٦٥١٦) .

وابنُ عساكرَ عن جابرٍ : « مَنْ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ فِي خَلَاءٍ ، لَا يَرَاهُ إِلَّا ٱللهُ وَٱلْمَلَائِكَةُ . . كُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ ٱلنَّارِ »[1] .

كتبَ اللهُ لنا البراءةَ مِنَ النَّارِ وعذابِ القبرِ ، آمينَ .

وفي « كتابِ ابنِ السُّنِّيِّ » عن أبي أُمامةَ قالَ : ما دنوتُ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في دبرِ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ ولا تطوُّعٍ . . إلَّا سمعتُهُ يقولُ : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَخَطَايَايَ كُلَّهَا . . . » إلىٰ آخرِهِ[2] .

فَائِدَةٌ

[في حكمِ صلاةِ الرَّغائبِ وغيرِها]

ومنَ البِدعِ المذمومةِ التي يأثمُ فاعلُها ، ويجبُ علىٰ ولاةِ الأمرِ منعُ فاعلِها : صلاةُ الرَّغائبِ ثنتا عشرةَ ركعةً بينَ العشاءَينِ ، ليلةَ أوَّلِ جُمُعةٍ في رجبٍ ، وصلاةُ ليلةِ نصفِ شعبانَ مئةُ ركعةٍ ، وصلاةُ آخِرِ جُمُعةٍ مِنْ رمضانَ سبعةَ عشرَ ركعةً بنيَّةِ قضاءِ الصَّلواتِ الخمسِ التي لم يَتيقَّنْها ، وصلاةُ يومِ عاشوراءَ أربعُ ركعاتٍ أو أكثرُ ، وصلاةُ الأسبوعِ .

أمَّا أحاديثُها . . فموضوعةٌ باطلةٌ ، ولا تغترَّ بِمَنْ ذكرَها ، وفَّقَنا اللهُ لاجتلابِ الفضائلِ ، واجتنابِ الرذائلِ ، آمينَ .

* * *

(١) تاريخ دمشق (٤٣/١٩٧) .

(٢) عمل اليوم والليلة (١١٦) ، وقد تقدم الحديث (ص ١٣٣ ـ ١٣٤) ، وتتمته : « اللهم ؛ أنعشني واجبرني ، واهدني لصالح الأعمال والأخلاق ؛ إنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت » .

بابُ صلاةِ الجماعةِ

أخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « صَلاةُ ٱلرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ . . تَزِيدُ عَلَىٰ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْساً وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ؛ وَذَٰلِكَ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ ٱلْوُضُوءَ ، ثُمَّ أَتَى ٱلْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا ٱلصَّلَاةَ . . لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَ ٱللهُ لَهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً حَتَّىٰ يَدْخُلَ ٱلْمَسْجِدَ ، فَإِذَا دَخَلَ ٱلْمَسْجِدَ . . كَانَ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتِ ٱلصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ ، وَتُصَلِّي عَلَيْهِ ٱلْمَلَائِكَةُ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ ٱلَّذِي صَلَّىٰ فِيهِ ؛ يَقُولُونَ : ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لَهُ ، ٱللَّهُمَّ ٱرْحَمْهُ ، ٱللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ . . مَا لَمْ يُؤْذِ [فِيهِ] (١) أَوْ يُحْدِثْ فِيهِ » (٢) .

وفي روايةٍ لهُما : « صَلَاةُ ٱلْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَلَىٰ صَلَاةِ ٱلْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً » (٣) .

[مِنْ فضائلِ صلاةِ الجماعةِ]

وأحمدُ وابنُ حِبَّانَ عن أبي ذَرٍّ : « إِنَّ ٱلرَّجُلَ إِذَا صَلَّىٰ مَعَ ٱلْإِمَامِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ . . كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ » (٤) .

والطبرانيُّ والضياءُ : « مَنْ مَشَىٰ إِلَىٰ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فِي ٱلْجَمَاعَةِ . . فَهِيَ

---

(١) في النسخ (منه) ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) صحيح البخاري (٤٧٧) ، وصحيح مسلم (٦٤٩) .

(٣) صحيح البخاري (٦٤٥) وصحيح مسلم (٦٥٠) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) صحيح ابن حبان (٢٥٤٧) ، ومسند أحمد (٥/١٥٩ ـ ١٦٠) .

كَحَجَّةٍ ، وَمَنْ مَشَىٰ إِلَىٰ صَلَاةِ تَطَوُّعٍ . . فَهِيَ كَعُمْرَةٍ نَافِلَةٍ »[1] .

وروى الترمذيُّ عن أنسٍ : « مَنْ صَلَّىٰ أَرْبَعِينَ يَوْماً فِي جَمَاعَةٍ ، يُدْرِكُ ٱلتَّكْبِيرَةَ ٱلْأُولَىٰ . . كُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ : بَرَاءَةٌ مِنَ ٱلنَّارِ ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ ٱلنِّفَاقِ »[2] .

وأحمدُ ومسلمٌ عن عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَنْ صَلَّى ٱلْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ . . كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ ، وَمَنْ صَلَّى ٱلصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ . . فَكَأَنَّمَا صَلَّى ٱللَّيْلَ كُلَّهُ »[3] .

وابنُ ماجه عن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَنْ صَلَّىٰ فِي جَمَاعَةٍ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، لَا تَفُوتُهُ ٱلرَّكْعَةُ ٱلْأُولَىٰ مِنْ صَلَاةِ ٱلْعِشَاءِ . . كَتَبَ ٱللهُ لَهُ بِهَا عِتْقاً مِنَ ٱلنَّارِ »[4] .

والطبرانيُّ عن أبي عُبيدةَ : « لَيْسَ مِنَ ٱلصَّلَوَاتِ صَلَاةٌ أَفْضَلَ مِنْ صَلَاةِ ٱلْفَجْرِ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ فِي ٱلْجَمَاعَةِ ، وَمَا أَحْسَبُ مَنْ شَهِدَهَا مِنْكُمْ . . إِلَّا مَغْفُوراً لَهُ »[5] .

وهوَ ومالكٌ عن أبي بكرِ بنِ سليمانَ بنِ أبي حَثْمةَ قالَ : إنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ فَقَدَ سليمانَ بنَ أبي حَثْمةَ في صلاةِ الصبحِ ، وإنَّ عمرَ عَمَدَ إلى السوقِ ـ ومسكنُ سليمانَ بينَ المسجدِ والسوقِ ـ فمرَّ على

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٢٧/٨) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه ، وفيه : (كعمرة تامة) ، ولم يعزه في « كنز العمال » (٢٠٢٣٤) لغير الطبراني .

(٢) سنن الترمذي (٢٤١) .

(٣) صحيح مسلم (٦٥٦) ، ومسند أحمد (٦٨/١) .

(٤) سنن ابن ماجه (٨٦٣) .

(٥) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٥٦/١) .

الشِّفَاءِ أمِّ سليمانَ ، فقالَ لها : (لم أَرَ سليمانَ في الصبحِ ؟!) فقالَتْ : إنَّهُ باتَ يُصلِّي فغلبَتْهُ عيناهُ .

فقالَ عمرُ : (لأن أشهدَ صلاةَ الصبحِ في جماعةٍ . . أحبُّ إليَّ مِنْ أن أقومَ ليلةً)[1] .

وأحمدُ وأبو داوودَ عن أُبَيٍّ : « إِنَّ هَاتَيْنِ ٱلصَّلَاتَيْنِ - يعني العشاءَ والصبحَ - مِنْ أَثْقَلِ ٱلصَّلَاةِ عَلَى ٱلْمُنَافِقِينَ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ فَضْلَ مَا فِيهِمَا . . لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً ، عَلَيْكُمْ بِٱلصَّفِّ ٱلْمُقَدَّمِ ؛ فَإِنَّهُ عَلَىٰ مِثْلِ صَفِّ ٱلْمَلَائِكَةِ ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ فَضِيلَتَهُ . . لَٱبْتَدَرْتُمُوهُ ، وَصَلَاةُ ٱلرَّجُلِ مَعَ ٱلرَّجُلِ أَزْكَىٰ مِنْ صَلَاتِهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَاتُهُ مَعَ ٱلرَّجُلَيْنِ أَزْكَىٰ مِنْ صَلَاتِهِ مَعَ ٱلرَّجُلِ ، وَمَا كَانَ أَكْثَرَ . . فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى ٱللهِ »[2] .

وأبو داوودَ والحاكمُ عن يزيدَ بنِ الأسودِ : « إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ فِي رَحْلِهِ ثُمَّ أَدْرَكَ ٱلْإِمَامَ وَلَمْ يُصَلِّ . . فَلْيُصَلِّ مَعَهُ ؛ فَإِنَّهَا لَهُ نَافِلَةٌ »[3] .

[التحذيرُ مِنَ التخلُّفِ عنِ الجماعةِ]

والشيخانِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِٱلصَّلَاةِ فَتُقَامَ ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيَؤُمَّ ٱلنَّاسَ ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ وَمَعِي رِجَالٌ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَىٰ قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ ٱلْجَمَاعَةَ ؛ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِٱلنَّارِ »[4] .

---

(١) أخرجه مالك في « الموطأ » (١٣١/١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٦١٧) من طريقه .

(٢) سنن أبي داوود (٥٥٥) واللفظ أقرب إليه ، ومسند أحمد (١٤١/٥) .

(٣) مستدرك الحاكم (٢٤٥/١) ، وسنن أبي داوود (٥٧٦) .

(٤) صحيح البخاري (٧٢٢٤) ، وصحيح مسلم ، واللفظ له (٢٥٢/٦٥١) .

وأحمدُ والطبرانيُّ عن معاذِ بنِ أنسٍ : « ٱلْجَفَاءُ كُلُّ ٱلْجَفَاءِ ، وَٱلْكُفْرُ وَٱلنِّفَاقُ : مَنْ سَمِعَ مُنَادِيَ ٱللهِ يُنَادِي إِلَى ٱلصَّلَاةِ فَلَا يُجِيبُهُ »[1] .

وأبو داوودَ عنِ ابنِ أمِّ مكتومٍ : أنَّهُ أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّ المدينةَ كثيرةُ الهوامِّ والسِّباعِ ، وأنا ضريرُ البصرِ شاسعُ الدارِ ـ أي : بعيدُها ـ ولي قائدٌ لا يُلازمُني ، فهل لي رخصةٌ أن أُصلِّيَ في بيتي ؟ فقالَ : « هَلْ تَسْمَعُ ٱلنِّدَاءَ ؟ » قالَ : نعم ، قالَ : « فَأَجِبْ ؛ فَإِنِّي لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً »[2] .

وهوَ : « مَنْ سَمِعَ ٱلْمُنَادِيَ بِٱلصَّلَاةِ ، فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنِ ٱتِّبَاعِهِ عُذْرٌ » قيلَ : وما العذرُ ؟ قالَ : « خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ . . لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ ٱلصَّلَاةُ ٱلَّتِي صَلَّىٰ » يعني : في بيتِهِ[3] .

وسُئِلَ ابنُ عباسٍ : عمَّن يصومُ النَّهارَ ويقومُ اللَّيلَ ، ولا يُصلِّي في الجماعةِ ولا يُجمِّعُ ؟ فقالَ : (إن ماتَ هـٰذا . . فهوَ في النَّارِ)[4] .

[التصدُّقُ ببستانٍ لفواتِ الجماعةِ بسببِهِ]

وحُكِيَ عنِ ابنِ عمرَ : أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ خرجَ إلىٰ بستانٍ لهُ ، فرجعَ وقد صلَّى النَّاسُ العصرَ ، فقالَ : (إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ ، فاتَتْني صلاةُ

---

(١) مسند أحمد (٣/٤٣٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/١٨٣) .

(٢) سنن أبي داوود (٥٥٤) .

(٣) سنن أبي داوود (٥٥٢) .

(٤) أخرجه الترمذي (٢١٨) ، وابن أبي شيبة (٣٤٩٤) ؛ وفي (د) : (إن مات علىٰ هـٰذا . . .) ، قال الترمذي : (**ومعنى الحديث** : أنه لا يشهد الجماعة ولا الجمعة ؛ رغبةً عنها ، واستخفافاً بحقها ، وتهاوناً بها) .

العصرِ في الجماعةِ ، أُشهِدُكُمْ أنَّ حائطي على المساكينِ صدقةٌ) أي : ليكونَ كفَّارةً لما صنعَ [1] .

[التعزيةُ بفوتِ الجماعةِ]

وقالَ حاتِمٌ الأصمُّ : (فاتَتْني مرةً صلاةُ الجماعةِ ، فعزَّاني أبو إسحاقَ البخاريُّ وحدَهُ ، ولو ماتَ لي ولدٌ . . لعزَّاني أكثرُ مِنْ عشرةِ آلافِ نفسٍ ؛ لأنَّ مصيبةَ الدِّينِ عندَ النَّاسِ أهونُ مِنْ مصيبةِ الدُّنيا [2] ، وأنَّهُ لو ماتَ لي الأبناءُ جميعاً . . لكانَ أهونَ عليَّ مِنْ فواتِ هـٰذهِ الصَّلاةِ في الجماعةِ) [3] .

[كيفَ لكَ بتأمينِ الملائكةِ ؟]

وحكى الناشِريُّ عن محمدِ بنِ سَماعةَ أنَّهُ قالَ : (أقمتُ أربعينَ سنَةً لم تفُتْني التكبيرةُ الأولىٰ إلَّا يوماً واحداً ماتَتْ فيهِ أمِّي ، ففاتَتْني صلاةٌ واحدةٌ في الجماعةِ ، فقمتُ فصلَّيتُ خمساً وعشرينَ صلاةً أُريدُ بذٰلكَ التضعيفَ ، فغلبَتْني عيني ، فأتاني آتٍ ، فقالَ : يا محمدُ ؛ قد صلَّيتَ خمساً وعشرينَ ، ولـٰكنْ كيفَ لكَ بتأمينِ الملائكةِ ؟!) [4] .

[الإمامُ ضامِنٌ وسفيرٌ]

وأخرجَ الطبرانيُّ : « مَنْ أَمَّ قَوْماً . . فَلْيَتَّقِ ٱللهَ ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ ضَامِنٌ مَسْؤُولٌ

---

(١) أخرجه بنحوه ابن كثير في « مسند الفاروق » (ص ١٤٠) ، وذكره بلفظه ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٣١١/١) في الكبيرة (٨٥) ، وفي (أ ، ج) : (كفارة لما ضيَّع) .

(٢) إلىٰ هنا أوردها الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥٥١/١) ، وابن حجر في « الزواجر » (٣١١/١) في الكبيرة (٨٥) .

(٣) أوردها السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ٥٤١) بنحوها .

(٤) أخرجها الخطيب في « تاريخ بغداد » (٤٠٤/٢) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٣١٩/٢٥) .

لِمَا ضَمِنَ ، وَإِنْ أَحْسَنَ . . كَانَ لَهُ مِنَ ٱلْأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّىٰ خَلْفَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِم شَيْئاً ، وَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ . . فَهُوَ عَلَيْهِ »(١) .

وأبو الشيخِ عن أبي هريرةَ : « ٱلرَّحْمَةُ تَنْزِلُ عَلَى ٱلْإِمَامِ ، ثُمَّ عَلَىٰ مَنْ عَلَىٰ يَمِينِهِ ٱلْأَوَّلِ فَٱلْأَوَّلِ »(٢) .

والطبرانيُّ عن طلحةَ : « أَيُّمَا رَجُلٍ أَمَّ قَوْماً وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ . . لَمْ تَجُزْ صَلَاتُهُ أُذُنَيْهِ »(٣) .

وهوَ عن مَرْثَدٍ الغَنَويّ : « إِنْ سَرَّكُمْ أَنْ تُقْبَلَ صَلَاتُكُمْ . . فَلْيَؤُمَّكُمْ عُلَمَاؤُكُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ وَفْدُكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ »(٤) .

ومسلمٌ عن [أبي] مسعودٍ(٥) : « يَؤُمُّ ٱلْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ ٱللهِ ؛ فَإِنْ كَانُوا فِي ٱلْقِرَاءَةِ سَوَاءً . . فَأَعْلَمُهُمْ بِٱلسُّنَّةِ ، فَإِنْ كَانُوا فِي ٱلسُّنَّةِ سَوَاءً . . فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً ، فَإِنْ كَانُوا فِي ٱلْهِجْرَةِ سَوَاءً . . فَأَقْدَمُهُمْ سِنّاً ، وَلَا يَؤُمَّنَّ رَجُلٌ رَجُلاً فِي سُلْطَانِهِ ، وَلَا يَجْلِسْ فِي بَيْتِهِ عَلَىٰ تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ »(٦) .

والعُقيليُّ عنِ ابنِ عمرَ : « مَنْ أَمَّ قَوْماً وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَقْرَأُ مِنْهُ لِكِتَابِ ٱللهِ وَأَعْلَمُ . . لَمْ يَزَلْ فِي سَفَالٍ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ »(٧) .

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٧٥١) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
(٢) أخرجه أبو الشيخ في « الثواب » كما في « كنز العمال » (٢٠٣٧٦) و« كشف الخفا » (٤٢٧/١) ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٣٣١١) عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١٥/١) .
(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣٢٨/٢٠) .
(٥) في النسخ : (عن ابن مسعود) ، والتصويب من « صحيح مسلم » وغيره من كتب الحديث .
(٦) صحيح مسلم (٦٧٣) .
(٧) أخرجه العقيلي في « الضعفاء » (١٤٧٢/٤) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٥٧٩) .

ومسلمٌ عن أبي هريرةَ : « إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلَاةِ . . فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ ، وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ ٱلسَّكِينَةُ ؛ فَمَا أَدْرَكْتُمْ . . فَصَلُّوا ، وَمَا فَاتَكُمْ . . فَأَتِمُّوا ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى ٱلصَّلَاةِ . . فَهُوَ فِي ٱلصَّلَاةِ »[1] .

[تسويةُ الصفوفِ وفضلُ الصفِّ الأوَّلِ]

وأحمدُ وأبو داوودَ وابنُ ماجه والحاكمُ عن البراءِ : « إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلصَّفِّ ٱلْأَوَّلِ »[2] .

وأحمدُ عن أبي أُمامةَ : « إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلصَّفِّ ٱلْأَوَّلِ ؛ سَوُّوا صُفُوفَكُمْ ، وَحَاذُوا بَيْنَ مَنَاكِبِكُمْ ، وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ ، وَسُدُّوا ٱلْخَلَلَ ؛ فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِيمَا بَيْنَكُمْ مِثْلَ ٱلْحَذَفِ »[3] .

وأحمدُ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : « إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ ٱلصُّفُوفَ ، وَمَنْ سَدَّ فُرْجَةً . . رَفَعَهُ ٱللَّهُ بِهَا دَرَجَةً »[4] .

وفي روايةٍ : « مَنْ سَدَّ فُرْجَةً . . غُفِرَ لَهُ »[5] .

والنَّسائيُّ والحاكمُ عنِ ابنِ عمرَ : « مَنْ وَصَلَ صَفّاً . . وَصَلَهُ ٱللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَ صَفّاً . . قَطَعَهُ ٱللَّهُ »[6] .

والطبرانيُّ عن وابِصةَ بنِ معبدٍ : « أَيُّهَا ٱلْمُصَلِّي وَحْدَهُ ؛ أَلَا وَصَلْتَ إِلَى

---

(١) صحيح مسلم (١٥٢/٦٠٢) .

(٢) أخرجه الحاكم (٥٧٣/١) ، وأبو داوود (٥٤٤) ، وابن ماجه (١٠٦٦) ، وأحمد (٢٩٧/٤) .

(٣) مسند أحمد (٢٦٢/٥) ، **والحذف** : أولاد الضأن الصغار .

(٤) مسند أحمد (٨٩/٦) .

(٥) أخرجه البزار (٤٢٣٢) عن سيدنا أبي جحيفة رضي الله عنه .

(٦) مستدرك الحاكم (٢١٣/١) ، وأخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٨٩٤) .

ٱلصَّفِ فَدَخَلْتَ مَعَهُمْ ، أَوْ جَرَرْتَ إِلَيْكَ رَجُلاً إِنْ ضَاقَ بِكَ ٱلْمَكَانُ فَقَامَ مَعَكَ ، أَعِدْ صَلَاتَكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ لَكَ »[1] .

وابنُ ماجه : « لَا صَلَاةَ لِلَّذِي خَلْفَ ٱلصَّفِّ »[2] .

والشيخانِ عن أبي هريرةَ : « أَمَا يَخْشَىٰ أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ ٱلْإِمَامِ . . أَنْ يَجْعَلَ ٱللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ ، أَوْ يَجْعَلَ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ ؟! »[3] .

وابنُ قانعٍ عن شيبانَ : « مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ ٱلْإِمَامِ أَوْ وَضَعَهُ . . فَلَا صَلَاةَ لَهُ »[4] .

وأبو داوودَ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : « لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ ٱلصَّفِّ ٱلْأَوَّلِ . . حَتَّىٰ يُؤَخِّرَهُمُ ٱللهُ فِي ٱلنَّارِ »[5] .

وهوَ وابنا ماجه وحِبَّانَ عنها : « إِنَّ ٱللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ مَيَامِنِ ٱلصُّفُوفِ »[6] .

تنبيهٌ

[في تفصيلِ حكمِ صلاةِ الجماعةِ وبعضِ مستحبَّاتِها]

إنَّ الجماعةَ في أداءِ مكتوباتِ الرِّجالِ الأحرارِ المُقيمينَ فرضُ كفايةٍ على

---

(١) أخرجه الطبراني « المعجم الكبير » (٢٢/١٤٥) ، وأوله : أن النبي صلى الله عليه وسلم انصرف ورجل يصلي خلف القوم وحده ، فقال له ذٰلك .

(٢) سنن ابن ماجه (١٠٧٢) عن سيدنا علي بن شيبان الصحابي رضي الله عنه وهو ممن وفد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) صحيح البخاري (٦٩١) ، وصحيح مسلم (٤٢٧) .

(٤) عزاه في « كنز العمال » (٢٠٤٨٠) لابن قانع .

(٥) سنن أبي داوود (٦٧٩) .

(٦) صحيح ابن حبان (٢١٦٠) ، وسنن أبي داوود (٦٧٦) ، وسنن ابن ماجه (١٠٧٤) .

الأرجحِ في مذهبِنا ، وفرضُ عينٍ عندَ أحمدَ ابنِ حنبلٍ وعطاءٍ والأوزاعيِّ وأبي ثورٍ وابنِ المنذرِ وابنِ خُزيمةَ ، وشرطٌ لصحَّةِ الصَّلاةِ عندَ داوودَ .

وينبغي تسويةُ الصفوفِ ، وهيَ سدُّ الفُرَجِ فيها ، وإتمامُ الصفِّ الأوَّلِ فالأوَّلِ ؛ فتسويتُهُ مُستحبَّةٌ في تأديةِ الجماعةِ ، وشرطٌ لنيلِ فضلِها ، وصلاةُ مَنْ تركَها صحيحةٌ على الأصحِّ ؛ لٰكنْ جزمَ ابنُ حزمٍ بوجوبِها ، وببطلانِ صلاةِ تاركِها .

وعدمُ مُسابقةِ الإمامِ[1] برفعِ رأسٍ أو قيامٍ أو هُويٍّ قبلَهُ ؛ فمُسابقتُهُ مكروهةٌ على المُرجَّحِ ، ويُسَنُّ العَودُ إلى الإمامِ إن كانَ باقياً في ذٰلكَ الرُّكنِ ، وحرامٌ على ما جزمَ بهِ بعضُ المتأخرينَ[2] .

والاعتناءُ بالوقوفِ في الصفِّ الأوَّلِ ؛ فالمحافظةُ عليهِ أولىٰ مِنَ المُبادَرةِ إلى الإحرامِ لإدراكِ الركوعِ معَ الإمامِ في غيرِ الركعةِ الأخيرةِ .

فرعٌ

[في ندبِ قطعِ النافلةِ لإدراكِ الجماعةِ]

يُندَبُ قطعُ النافلةِ وقلبُ فريضةٍ مُؤدَّاةٍ نفلاً[3] ؛ لخوفِ فوتِ جماعةٍ[4] .

---

(١) معطوفة علىٰ قوله : (وينبغي تسوية الصفوف) ، وفي هامش (ب) : (وعدم مسابقة المأموم الإمام برفع رأسه أو قيام أو هوي قبله) .

(٢) المراد ببعض المتأخرين : الإمام الرملي والخطيب الشربيني رحمهما الله تعالىٰ ؛ فقد اعتمدا أن السبق ببعض الركن حرام كالسبق بالركن . انظر « نهاية المحتاج » (٢/٢٣٣) ، وانظر تفصيل الشرواني في « حاشيته على التحفة » (٢/٣٥٥) .

(٣) في هامش (ب) : (قبل القيام لثالثة ، والاقتصار علىٰ ركعتين) .

(٤) في هامش (ب) : (ما لم يرج جماعةً أخرىٰ ؛ فإن قام [لثالثةٍ] . . أتمها ندباً ؛ ما لم يخش فوت الجماعة ، فإن كان في [مقضية] . . لم تقلب قطعاً) ، وانظر « تحفة المحتاج » (٢/٣٢٣) .

فَصْلٌ

شروطُ الاقتداءِ

عدمُ تَقدُّمِهِ علىٰ إمامِهِ بعَقِبٍ .

ونيَّةُ الاقتداءِ بالإمامِ الحاضرِ معَ تَحرُّمٍ ، وشُرِطَ في جُمُعةٍ نيَّةُ إمامةٍ معَهُ ، وهيَ سنَّةٌ في غيرِها .

وعلمُهُ بانتقالاتِ الإمامِ .

واجتماعُهُما بمكانٍ ؛ فلو كانا في بناءَينِ . . شُرِطَ عدمُ حائلٍ ، أو وقوفُ واحدٍ حذاءَ مَنفَذٍ فيهِ ، ولو وقفَ في عُلْوٍ وإمامُه في سُفْلٍ أو عكسُهُ . . لم يُشترَطْ محاذاةُ بعضِ بدنِهِ بعضَ بدنِهِ علىٰ طريقةِ العراقيينَ التي رجَّحَها النوويُّ [1] .

وتَوافُقُ صلاتَيهِما نظماً ، لا نيَّةً وعدداً .

وموافقةٌ في سننٍ تَفحُشُ مخالفةٌ فيها فعلاً وتركاً ؛ كتشهُّدٍ أوَّلَ وقنوتٍ .

وتبعيَّةٌ ؛ بأن يَتأخَّرَ إحرامُهُ ، وألَّا يَتعمَّدَ معَ علمِ تحريمٍ تَقدُّماً بتمامِ ركنَينِ فعليَّينِ ولو قصيرَينِ ، أو تخلُّفاً بهِما بلا عذرٍ ؛ فإن خالفَ . . بطلَتْ صلاتُهُ ، أو بأربعةٍ طويلةٍ بعذرٍ أوجبَهُ نحوُ بطءٍ أو شَكٍّ في قراءةٍ لا وسوسةٍ . . فليوافِقْ في الرّابعِ .

فَرْعٌ

[فيما ينبغي للمسبوقِ فعلُهُ]

ويَقطعُ مسبوقٌ (الفاتحةَ) فإن قرأَ ففاتَهُ الركوعُ . . لغَتْ ركعتُهُ ، وتخلَّفَ

---

(١) انظر « روضة الطالبين » (١/٦٦٠) .

بلا عذرٍ ، فإنِ اشتغلَ بسنَّةٍ أو سكتَ أوِ استمعَ قراءةَ الإمامِ . . قرأَ وجوباً قدرَها بعدَ ركوعِ الإمامِ وعُذِرَ ، فيتخلَّفُ ويدركُ الركعةَ ما لم يُسبَقْ بأكثرَ مِنْ ثلاثةِ أركانٍ طويلةٍ علىٰ ما قالَهُ الشيخانِ كالبغويِّ ، فإن ركعَ بدونِ قراءةٍ بقدرِها . . بطلَتْ صلاتُهُ(١) .

ولا يصحُّ اقتداؤُهُ بِمَنْ يعتقدُ بطلانَ صلاتِهِ ، ولا اقتداءُ قارئٍ بأُمِّيٍّ يُخِلُّ بحرفٍ مِنَ (الفاتحةِ) كأرتَّ بألثغَ .

ولوِ اقتدىٰ بِمَنْ ظنَّهُ قارئاً أو غيرَ مأمومٍ ، فبانَ أميّاً أو مأموماً . . أعادَ ، وكذا بِمَنْ جهلَهُ في الجهريَّةِ إن أسرَّ ، لا إن بانَ ذا حدثٍ أو نجاسةٍ خفيَّةٍ على المأمومِ ؛ بحيثُ لو تأمَّلَها . . لم يرَها .

ويُكرَهُ اقتداءٌ بفاسقٍ ومُبتدِعٍ وإن لم يُوجَدْ أحدٌ سواهُما ، وكُرِهَ للمأمومِ تعمُّدُ مقارنةِ الإمامِ بالأركانِ حتى السَّلامِ ، والتخلُّفُ عنهُ إلىٰ فراغِ الرُّكنِ ، وانفرادٌ عنِ الصفِّ ، ووقوفُ الذَّكَرِ الفردِ عن يسارِ الإمامِ ، ووراءَهُ ومُحاذياً لهُ أو مُتأخِّراً لهُ كثيراً(٢) .

❁ ❁ ❁

واعلمْ : أنَّ الجماعةَ تتأدَّىٰ ـ أي : يسقطُ إثمُ تركِها ـ معَ هٰذهِ المكروهاتِ ، لٰكنْ لا يحصلُ الثوابُ عليها كمعَ سائرِ ما يُكرَهُ مِنْ حيثُ الجماعةُ .

وقالَ بعضُهُمْ : انتفاءُ الفضيلةِ يلزمُهُ الخروجُ عنِ المتابعةِ حتىٰ يصيرَ كالمنفردِ ، ولا تصحَّ لهُ الجماعةُ(٣) .

---

(١) انظر « روضة الطالبين » (١/٦٧٠) وما قبلها .

(٢) كذا في النسخ ، ولعل الأقرب : (متأخراً عنه . . .) .

(٣) في (أ ، ج ، د ، هـ) : (الجمعة) بدل : (الجماعة) .

بابُ الجُمعةِ[1]

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2] .

أخرجَ القُضاعيُّ وابنُ عساكرَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْجُمُعَةُ حَجُّ ٱلْفُقَرَاءِ »[3] .

[مِنْ فضائلِ يومِ الجُمُعةِ]

والشافعيُّ وأحمدُ عن سعدِ بنِ عبادةَ : « سَيِّدُ ٱلْأَيَّامِ عِنْدَ ٱللهِ يَوْمُ ٱلْجُمُعَةِ ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ يَوْمِ ٱلنَّحْرِ وَٱلْفِطْرِ ، وَفِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ : فِيهِ خَلَقَ ٱللهُ آدَمَ ، وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنَ ٱلْجَنَّةِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ، وَفِيهِ تُوُفِّيَ ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ ٱلْعَبْدُ فِيهَا شَيْئاً . . إِلَّا أَعْطَاهُ ٱللهُ إِيَّاهُ ؛ مَا لَمْ يَسْأَلْ إِثْماً أَوْ قَطِيعَةَ رَحِمٍ ، وَفِيهِ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ، وَمَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ ، وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ ، وَلَا رِيحٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا حَجَرٍ . . إِلَّا وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ »[4] .

ومسلمٌ وأبو داوودَ عن أبي موسى الأشعريِّ : أنَّهُ سمعَ رسولَ اللهِ

---

(١) في (ب) : (فصلٌ في صلاة الجمعة) .

(٢) سورة الجمعة : (٩ ـ ١٠) .

(٣) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (٧٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨/٤٣٠ ـ ٤٣١) .

(٤) أخرجه الشافعي في « مسنده » (٣٧٩) مختصراً ، وأحمد (٣/٤٣٠) لكن من حديث سيدنا أبي لبابة بن عبد المنذر البدري رضي الله عنه .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِنَّ سَاعَةَ ٱلْإِجَابَةِ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ ٱلْإِمَامُ إِلَىٰ أَنْ تُقْضَى ٱلصَّلَاةُ »[1] .

وأحمدُ والترمذيُّ عنِ ابنِ [عمرو][2] : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ ، أَوْ لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ . . إِلَّا وَقَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِتْنَةَ ٱلْقَبْرِ »[3] ، أعاذَنا اللهُ منها .

والطبرانيُّ عن أبي سعيدٍ : « إِنَّ ٱللهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ ٱلْجُمُعَةَ فِي مَقَامِي هَـٰذَا ، فِي سَاعَتِي هَـٰذِهِ ، فِي شَهْرِي هَـٰذَا ، فِي عَامِي هَـٰذَا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ؛ مَنْ تَرَكَهَا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ مَعَ إِمَامٍ عَادِلٍ أَوْ إِمَامٍ جَائِرٍ . . فَلَا جُمِعَ لَهُ شَمْلُهُ ، وَلَا بُورِكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ ، أَلَا وَلَا صَلَاةَ لَهُ ، [أَلَا] وَلَا حَجَّ لَهُ ، أَلَا وَلَا بِرَّ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَدَقَةَ لَهُ »[4] .

وأبو داوودَ والحاكمُ عن طارقِ بنِ شهابٍ : « ٱلْجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ فِي جَمَاعَةٍ إِلَّا أَرْبَعَةً : عَبْدٌ مَمْلُوكٌ ، أَوِ ٱمْرَأَةٌ ، أَوْ صَبِيٌّ ، أَوْ مَرِيضٌ »[5] .

وأحمدُ ومسلمٌ عن أبي هريرةَ : « مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ فَأَحْسَنَ ٱلْوُضُوءَ ، ثُمَّ أَتَى ٱلْجُمُعَةَ ، وَٱسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ . . غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْجُمُعَةِ ٱلْأُخْرَىٰ وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَمَنْ مَسَّ ٱلْحَصَىٰ . . فَقَدْ لَغَا »[6] .

---

(١) صحيح مسلم (٨٥٣) ، وسنن أبي داوود (١٠٤٢) .

(٢) في النسخ : (عن ابن عمر) ، والمثبت من كتب التخريج .

(٣) سنن الترمذي (١٠٧٤) ، ومسند أحمد (١٦٩/٢) .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٢٤٢) ، وما بين معقوفين زيادة من « المعجم الأوسط » ومن النسخة (ط) .

(٥) مستدرك الحاكم (٢٨٨/١) ، وسنن أبي داوود (١٠٦٠) .

(٦) صحيح مسلم (٢٧/٨٥٧) ، ومسند أحمد (٤٢٤/٢) .

[التحذيرُ مِنْ تركِ الجُمُعةِ]

وأحمدُ والحاكمُ عن أبي الجَعْدِ : « مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ مُتَهَاوِناً بِهَا . . طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ »[1] .

والطبرانيُّ عن أسامةَ بنِ زيدٍ : « مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعَاتٍ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ . . كُتِبَ مِنَ ٱلْمُنَافِقِينَ »[2] .

[عقوبةُ صيَّادٍ مُتهاونٍ بالجُمُعةِ]

وحكى الدِّينَوَرِيُّ عنِ الأوزاعيِّ قالَ : (كانَ عندَنا صيَّادٌ ، وكانَ يخرجُ في الجُمُعةِ ، لا يمنعُهُ مكانُ الجُمُعةِ مِنَ الخروجِ ، فخُسِفَ بهِ وببغلتِهِ ، فخرجَ النَّاسُ وقد ذهبَتْ بغلتُهُ في الأرضِ ، فلم يبقَ منها إلَّا أذناها وذنبُها !!)[3] .

وحكى ابنُ أبي شيبةَ عن مجاهدٍ : (أنَّ قوماً خرجوا في سفرٍ حينَ حضرَتِ الجُمُعةُ ، فاضطرمَ عليهِم خِباؤُهُم ناراً مِنْ غيرِ نارٍ يَرَونَها !!)[4] .

وقالَ اليافعيُّ : (بلغَنا : أنَّ الموتىٰ لا يُعذَّبونَ ليلةَ الجُمُعةِ ؛ تشريفاً لهٰذا الوقتِ)[5] .

---

(١) مستدرك الحاكم (١/٢٨٠) ، ومسند أحمد (٣/٤٢٤ ـ ٤٢٥) .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١/١٧٠) .

(٣) أخرجه الدينوري في « المجالسة » (٧٦٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٥/١١٩) وزاد : أنه كان ـ أي : الصياد ـ ببيروت ، وأن محمد بن كثير ـ الراوي عن الأوزاعي ـ رأىٰ ذٰلك المكان ، نسأل الله اللطف والعافية .

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٥١٦٠) .

(٥) انظر « روض الرياحين » (ص ٢٠٣) في الحكاية (١٦٨) ، ولقد علَّل احتمال اختصاص رفع ◄

[تَحجُّونَ في الشهرِ أربعَ مراتٍ]

وحكى الأوزاعيُّ عن [ميسرةَ بنِ حَلْبَسٍ][1] : أنَّهُ مرَّ بمقابرِ بابِ توما ـ وقائدٌ يقودُهُ ، وكانَ مكفوفاً ـ فقالَ : السَّلامُ عليكُمْ أهلَ القبورِ ، أنتُم لنا سلفٌ ، ونحنُ لكُمْ تبعٌ ، ورحمَنا اللهُ وإيَّاكُم ، وغفرَ لنا ولكُم .

فردَّ اللهُ الرُّوحَ في رجلٍ منهُم ، فأجابَهُ ، فقالَ : طُوبىٰ لكُم يا أهلَ الدُّنيا ؛ حينَ تَحجُّونَ في الشهرِ أربعَ مراتٍ .

قالَ : وإلىٰ أينَ يرحمُكَ اللهُ ؟! قالَ : إلى الجُمُعةِ ؛ أفما تعلمونَ أنَّها حجَّةٌ مبرورةٌ مُتقبَّلةٌ ؟![2] .

تنبيهان

أحدُهُما

[الجُمُعةُ فرضُ عينٍ على المُكلَّفِ إجماعاً]

إنَّ أداءَ صلاةِ الجُمُعةِ معَ الجماعةِ علىٰ غيرِ ذوي الأعذارِ فرضُ عينٍ إجماعاً ؛ فَمَنِ استحلَّ تركَها وهوَ مُخالِطٌ للمسلمينَ . . كفرَ .

ومِنْ ثَمَّ : لو قالَ إنسانٌ : (أُصلِّي ظهراً لا جُمُعةً) . . قُتِلَ على الأصحِّ .

← العذاب عن عصاة المؤمنين دون الكفار بأمرين : (**أحدهما** : أن الكافر مخلَّدٌ في العذاب دون المسلم ، **والثاني** : أن المسلم كان يعتقدُ فضل الجمعة وبركتها دون الكافر ، والله أعلم) .

(1) في (أ ، ب ، د ، هـ) : (مسيرة بن جليس) ، وفي (ج) : (ميسر بن جليس) ولعله تصحيف من النساخ .

(2) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٨/٣٥) ، وانظر « شرح الصدور » (ص ٤٠١ ـ ٤٠٢) ، وتتمة الأثر : (قال ـ أي : ميسرة ـ : ما خير ما قدَّمتم ؟ قال : الاستغفار يا أهل الدنيا ، قال : فما يمنعك أن تردَّ السلام ؟ قال : يا أهل الدنيا ؛ السلام والحسنات قد رُفعت عنا ؛ فلا في حسنةٍ تزيد ، ولا من سيئةٍ تنقص ، غلقت رهوننا) أي : لم تفك .

وثانيهما

[حرمةُ السفرِ بعدَ فجرِ الجُمُعةِ]

إنَّهُ يَحرُمُ علىٰ مَنْ تلزمُهُ الجمعةُ ـ كمُقيمٍ لم يَتوطَّنْ ـ إنشاءُ سفرٍ بعدَ فجرِها ولو لطاعةٍ .

[مِنْ سننِ الجُمُعةِ الاغتسالُ]

وأخرجَ أحمدُ وابن حِبَّانَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ : « ٱغْتَسِلُوا يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ ، وَٱغْسِلُوا رُؤُوسَكُمْ وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا جُنُباً ، وَمَسُّوا مِنَ ٱلطِّيبِ »[١] .

وابنُ أبي شيبةَ عن أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَنِ ٱغْتَسَلَ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ . . كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ ، فَإِذَا أَخَذَ فِي ٱلْمَشْيِ . . كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عِشْرُونَ حَسَنَةً »[٢] .

والدَّيلميُّ عن أبي هريرةَ : « ٱلْغُسْلُ فِي هَـٰذِهِ ٱلْأَيَّامِ وَاجِبٌ : يَوْمُ ٱلْجُمُعَةِ ، وَيَوْمُ ٱلْفِطْرِ ، وَيَوْمُ ٱلنَّحْرِ ، وَيَوْمُ عَرَفَةَ »[٣] .

وأبـو داوودَ والترمذيُّ عن أوسِ بنِ أوسٍ : « مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ وَٱغْتَسَلَ ، ثُمَّ بَكَّرَ وَٱبْتَكَرَ ، وَمَشَىٰ وَلَمْ يَرْكَبْ ، وَدَنَا مِنَ ٱلْإِمَامِ وَٱسْتَمَعَ ، فَأَنْصَتَ وَلَمْ يَلْغُ . . كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا مِنْ بَيْتِهِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ عَمَلُ سنةٍ ؛ أجرُ صيامِها وقيامِها »[٤] .

---

(١) صحيح ابن حبان (٢٧٨٢) ، ومسند أحمد (٢٦٥/١) .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٧٦٠) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٣١٤/٩) بإسناده ، ولم يعزه في « كنز العمال » (٢١٢٩٤) لابن أبي شيبة ، واللفظ في المصادر : (بكل خطوةٍ عمل عشرين سنة) .

(٣) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٤٢٩٧) .

(٤) سنن أبي داوود (٣٤٩) ، وسنن الترمذي (٤٩٦) .

[سننٌ أُخرىٰ للجُمُعةِ]

وأحمدُ وأبو داوودَ عن أبي سعيدٍ : « مَنِ ٱغْتَسَلَ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ ، وَٱسْتَاكَ ، وَمَسَّ مِنْ طِيبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ ، وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱلْمَسْجِدَ ، وَلَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ ٱلنَّاسِ ، ثُمَّ رَكَعَ مَا شَاءَ ٱللهُ أَنْ يَرْكَعَ ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ ٱلْإِمَامُ ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّىٰ يَفْرُغَ مِنْ صَلَاتِهِ . . كَانَ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلْجُمُعَةِ ٱلَّتِي قَبْلَهَا »(١) .

والبزَّارُ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُقلِّمُ أظفارَهُ ويَقُصُّ شاربَهُ يومَ الجُمُعةِ قبلَ الخروجِ إلى الصَّلاةِ)(٢) .

والطبرانيُّ عن أبي الدَّرداءِ : « إِنَّ ٱللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ أَصْحَابِ ٱلْعَمَائِمِ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ »(٣) .

والشَّيخانِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْجُمُعَةِ . . كَانَ عَلَىٰ كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْمَسَاجِدِ مَلَائِكَةٌ يَكْتُبُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ قَدْرِ مَنَازِلِهِمُ ٱلْأَوَّلَ فَٱلْأَوَّلَ ؛ فَإِذَا جَلَسَ ٱلْإِمَامُ . . طَوَوُا ٱلصُّحُفَ وَجَاؤُوا يَسْتَمِعُونَ ٱلذِّكْرَ ، وَمَثَلُ ٱلْمُهَجِّرِ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً ، ثُمَّ كَٱلَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً ، ثُمَّ كَٱلَّذِي يُهْدِي ٱلْكَبْشَ ، ثُمَّ كَٱلَّذِي يُهْدِي ٱلدَّجَاجَةَ ، ثُمَّ كَٱلَّذِي يُهْدِي ٱلْبَيْضَةَ »(٤) .

---

(١) سنن أبي داوود (٣٤٧) ، ومسند أحمد (٣/٨١) عن سيدنا أبي سعيد الخدري وسيدنا أبي هريرة رضي الله عنهما ، وكان سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه يقول : (وزيادة ثلاثة أيام) ، ويقول : (إن الحسنة بعشر أمثالها) .

(٢) مسند البزار (٨٢٩١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبراني في « مسند الشاميين » (٣٤٨٧) .

(٤) صحيح البخاري (٣٢١١) ، وصحيح مسلم (٨٥٠) .

[التحذيرُ مِنْ تخطِّي الرقابِ والكلامِ والاحتباءِ]

وأحمدُ والطبرانيُّ عنِ الأرقمِ : « إِنَّ ٱلَّذِي يَتَخَطَّىٰ رِقَابَ ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ ٱثْنَيْنِ بَعْدَ خُرُوجِ ٱلْإِمَامِ كَٱلْجَارِّ قَصَبَهُ ـ أي : أمعاءَهُ ـ فِي ٱلنَّارِ »(1) .

والترمذيُّ وابنُ ماجه : « مَنْ تَخَطَّىٰ رِقَابَ ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ . . ٱتُّخِذَ جِسْراً إِلَىٰ جَهَنَّمَ »(2) .

وأحمدُ وأبو داوودَ عن سَمُرةَ : « ٱحْضُرُوا ٱلْجُمُعَةَ ، وَٱدْنُوا مِنَ ٱلْإِمَامِ ؛ فَإِنَّ ٱلرَّجُلَ لَا يَزَالُ يَتَبَاعَدُ حَتَّىٰ يُؤَخَّرَ فِي ٱلْجَنَّةِ وَإِنْ دَخَلَهَا »(3) .

وأحمدُ عنِ ابنِ عباسٍ : « مَثَلُ ٱلَّذِي يَتَكَلَّمُ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ وَٱلْإِمَامُ يَخْطُبُ . . كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ، وَٱلَّذِي يَقُولُ لَهُ : أَنْصِتْ . . لَا جُمُعَةَ لَهُ »(4) .

وأبو داوودَ والترمذيُّ عن معاذِ بنِ أنسٍ : (نهىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ الحُبْوةِ يومَ الجُمُعةِ والإمامُ يخطبُ)(5) .



وابنُ أبي شيبةَ عن كعبٍ قالَ : (الصَّدقةُ تُضاعَفُ يومَ الجُمُعةِ)(6) .

(1) مسند أحمد (٤١٧/٣) ، وأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣٠٧/١) و(٦٣/٩) .
(2) سنن الترمذي (٥١٣) ، وسنن ابن ماجه (١١٨٦) .
(3) سنن أبي داوود (١١٠١) ، ومسند أحمد (١٠/٥) .
(4) مسند أحمد (٢٣٠/١) .
(5) سنن أبي داوود (١١٠٣) ، وسنن الترمذي (٥١٤) ، **والحُبوة** : الجمع بين الظهر والساقين بعمامةٍ ونحوه ، انتهىٰ من هامش (أ) .
(6) مصنف ابن أبي شيبة (٥٥٥٦) .

وابنُ زَنْجُويَهْ عنِ ابنِ المُسَيِّبِ بنِ رافعٍ قالَ : (مَنْ عملَ خيراً في يومِ الجُمُعةِ . . ضُعِّفَ بعشرةِ أضعافٍ في سائرِ الأيَّامِ ، ومَنْ عملَ شرّاً . . فمثلُ ذٰلكَ)[1] .

[ما يُقرَأُ ليلةَ الجُمُعةِ ويومَها]

والبيهقيُّ عن أبي سعيدٍ : « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ (ٱلْكَهْفِ) لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ . . أَضَاءَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ »[2] .

وهوَ عن أبي هريرةَ : « مَنْ قَرَأَ لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ : (حَمَ ٱلدُّخَانَ) و(يَسَ) . . أَصْبَحَ مَغْفُوراً لَهُ »[3] .

وابنُ زَنْجُويَهْ عن وهبِ بنِ مُنبِّهٍ قالَ : (مَنْ قرأَ ليلةَ الجُمُعةِ سورةَ « البقرةِ » و« آلِ عمرانَ » . . كانَ لهُ نورٌ ما بينَ غريبا وعجيبا) ، وغريبٌ : العرشُ ، وعجيبٌ : أسفلُ الأرضينَ[4] .

وابنُ مَرْدُويَهْ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : (ألا أخبرُكُم بسورةٍ ملأَتْ عظمتُها ما بينَ السماءِ والأرضِ ، ولكاتبِها مِنَ الأجرِ مثلُ ذٰلكَ ، ومَنْ قرأَها يومَ الجُمُعةِ . . غُفِرَ لهُ ما بينَهُ وبينَ الجُمُعةِ الأُخرىٰ وزيادةُ ثلاثةِ أيَّامٍ ، ومَنْ قرأَ الخمسَ الأواخرَ منها عندَ نومِهِ . . بعثَهُ اللهُ أيَّ اللَّيلِ شاءَ ؛ سورةُ أصحابِ الكهفِ)[5] .

---

(١) أورده السيد البكري نقلاً عن المؤلف في « إعانة الطالبين » (٩١/٢) .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٢٢٠) .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٢٤٨) .

(٤) أخرجه الخطيب بإسناده في « موضح أوهام الجمع والتفريق » (١٥/١ ـ ١٦) ، وأورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٣١٠/٢) ، وفي (أ ، ج) : (عربياً وعجمياً) ، والمثبت من (ب) .

(٥) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٥٩٥) وعزاه لابن مردويه .

والـدَّارمِيُّ عن مكحولٍ : (مَنْ قرأَ سورةَ « آلِ عمرانَ » يومَ الجُمُعةِ . . صَلَّتْ عليهِ الملائكةُ إلى اللَّيلِ)[1] .

وهوَ عن كعبٍ : « ٱقْرَؤُوا سُورَةَ (هُودٍ) يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ »[2] .

والطبرانيُّ عن أبي أُمامةَ : « مَنْ قَرَأَ : (حمٓ ٱلدُّخَانَ) فِي لَيْلَةِ جُمُعَةٍ أَوْ يَوْمِ جُمُعَةٍ . . بَنَى ٱللهُ لَهُ بَيْتاً فِي ٱلْجَنَّةِ »[3] .

وابنُ أبي شيبةَ عن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُما : « مَنْ قَرَأَ بَعْدَ ٱلْجُمُعَةِ : (فَاتِحَةَ ٱلْكِتَابِ) وَ(قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ) وَ(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ) وَ(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ) سَبْعَ مَرَّاتٍ . . حُفِظَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْجُمُعَةِ ٱلْأُخْرَىٰ »[4] .

وفي روايةٍ ضعيفةٍ : « غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَأُعْطِيَ مِنَ ٱلْأَجْرِ بِعَدَدِ كُلِّ مَنْ آمَنَ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ »[5] .

وابنُ السُّنِّيِّ عن أنسٍ : « مَنْ قَالَ صَبِيحَةَ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ قَبْلَ صَلَاةِ ٱلْغَدَاةِ : أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ ٱلَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيَّ ٱلْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) . . غَفَرَ ٱللهُ تَعَالَىٰ لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ ٱلْبَحْرِ »[6] .

وهوَ عنِ ابنِ عباسٍ : « مَنْ قَالَ بَعْدَمَا يَقْضِي ٱلْجُمُعَةَ : سُبْحَانَ ٱللهِ ٱلْعَظِيمِ

---

(١) سنن الدارمي (٣٤٤٠) .

(٢) سنن الدارمي (٣٤٤٧) مرفوعاً .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٦٤/٨) .

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٥٦٢١) بنحوه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٣٤٢) وهو أتم .

(٥) أخرجه القشيري عن السلمي في « الأربعين » كما في « الخصال المكفرة للذنوب » (ص ٥٤ ـ ٥٥) فقد ذكره الحافظ ابن حجر بإسناد السلمي ، والمناوي أيضاً في « فيض القدير » (٢٠٣/٦ ـ ٢٠٤) .

(٦) عمل اليوم والليلة (٨٣) .

وَبِحَمْدِهِ (مِئَةَ مَرَّةٍ) . . غَفَرَ ٱللهُ تَعَالَىٰ لَهُ مِئَةَ أَلْفِ ذَنْبٍ ، وَلِوَالِدَيْهِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ ذَنْبٍ »[1] .

والخطيبُ عن جابرٍ : « لَوْ دُعِيَ بِهَـٰذَا ٱلدُّعَاءِ عَلَىٰ شَيْءٍ بَيْنَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ فِي سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ـ يعني ساعةَ الإجابةِ ـ . . لَٱسْتُجِيبَ لِصَاحِبِهِ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ ، يَا بَدِيعَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ، يَا ذَا ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ »[2] .

[طلبُ الإكثارِ مِنَ الصَّلاةِ على المُختارِ ﷺ]

والبيهقيُّ عن أبي هريرةَ : « أَكْثِرُوا مِنَ ٱلصَّلَاةِ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ ؛ فَإِنَّ صَلَاةَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ ؛ فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً . . كَانَ أَقْرَبَهُمْ إِلَيَّ مَنْزِلَةً »[3] .

والدَّارقطنيُّ وحسَّنَهُ العراقيُّ : « مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ ثَمَانِينَ مَرَّةً . . غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُ ثَمَانِينَ سَنَةً » قِيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ كيفَ الصَّلاةُ عليكَ ؟ قالَ : « يَقُولُ : ٱللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ، وَيَعْقِدُ وَاحِدَةً »[4] .

وأبو نُعيمٍ : « مَنْ صَلَّىٰ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ

---

(١) عمل اليوم والليلة (٣٧٧) لكن بلفظ : (غفر الله له ألف ذنب) .

(٢) تاريخ بغداد (٣٣٨/٤) .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٧٧٠) لكن عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه ابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (٢٢) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٤٦٣/١٣) ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٣٨١٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وعزاه الحافظ العراقي للدارقطني في « الأفراد » ونقل تحسينه عن ابن النعمان . انظر « اتحاف السادة المتقين » (٢٨٦/٣) .

مِئَةَ مَرَّةٍ . . جَاءَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَمَعَهُ نُورٌ ، لَوْ قُسِمَ ذَٰلِكَ ٱلنُّورُ بَيْنَ ٱلْخَلْقِ كُلِّهِمْ . . لَوَسِعَهُمْ »[1] .

والبيهقيُّ عن أنسٍ : « أَكْثِرُوا مِنَ ٱلصَّلَاةِ عَلَيَّ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ ؛ فَمَنْ فَعَلَ ذَٰلِكَ . . كُنْتُ لَهُ شَهِيداً أَوْ شَفِيعاً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[2] .

وفي روايةٍ : « مَنْ صَلَّىٰ صَلَاةَ ٱلْعَصْرِ فِي يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَكَانِهِ : ٱللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيماً (ثَمَانِينَ مَرَّةً) . . غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُ ثَمَانِينَ عَاماً ، وَكُتِبَ لَهُ عِبَادَةُ ثَمَانِينَ سَنَةً »[3] .

والبيهقيُّ : « أَكْثِرُوا مِنَ ٱلصَّلَاةِ عَلَيَّ لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ وَيَومَ ٱلْجُمُعَةِ ؛ فَمَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً . . صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً »[4] .

وأبو داوودَ والنَّسائيُّ : « إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ ٱلصَّلَاةِ فِيهِ ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ »[5] .

[براءةٌ مِنَ النَّارِ لخلَّادِ بنِ كثيرٍ]

وحُكِيَ : أَنَّ خلَّادَ بنَ كثيرٍ كانَ في النَّزعِ ، فوُجِدَ تحتَ رأسِهِ

---

(١) حلية الأولياء (٨/٤٧) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٧٧١) وفيه : (شهيداً أو شافعاً) ، وفي (ب) : (شهيداً أو شافعاً أو شفيعاً) .

(٣) أخرج نحوه ابن بشكوال في « القربة إلىٰ رب العالمين بالصلاة علىٰ محمد سيد المرسلين » صلى الله عليه وسلم (١٠٩) ، وانظر « القول البديع » للحافظ السخاوي رحمه الله (ص ٣٩٦) وما بعدها .

(٤) أخرجه البيهقي (٣/٢٤٩) برقم (٦٠٦١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٥) أخرجه أبو داوود (١٥٢٦) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (١٦٧٨) عن أوس بن أوس رضي الله عنه .

رُقْعَةٌ مكتوبٌ فيها : هـٰذهِ براءةٌ مِنَ النَّارِ لخلَّادِ بنِ كثيرٍ .

فسألوا أهلَهُ : ما كانَ عملُهُ ؟ فقالَ أهلُهُ : (كانَ يُصلِّي على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كلَّ يومِ جُمُعةٍ ألفَ مرةٍ : اللهمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمدٍ النبيِّ الأمِّيِّ)[1] .

نسألُ اللهَ القديرَ ، بجاهِ البشيرِ : أن يكتبَ لنا البراءةَ مِنَ النَّارِ ، والخلودَ في دارِ القرارِ ؛ جنَّاتٍ تجري مِنْ تحتِها الأنهارُ .

فَصْلٌ

[في شروطِ صحَّةِ الجُمُعةِ]

شروطُ صحَّةِ الجُمُعةِ ستَّةٌ : وقوعُها جماعةً بنيَّةِ إمامةٍ واقتداءٍ ، وبأربعينَ مُكلَّفاً ذكراً حُرّاً مُتوطِّناً ، وبأبنيةٍ مُجتمِعةٍ ، ووقوعُ الصَّلاةِ كلِّها في وقتِ ظهرٍ ، وعدمُ تعدُّدٍ إلَّا لعُسْرِ اجتماعِهِم ، وتقديمُ خطبتَينِ بالعربيَّةِ وإن لم يفهموا .

❁ ❁ ❁

وأركانُهُما خمسةٌ : حمدُ اللهِ ، وصلاةٌ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بلفظَيهِما ، ووصيَّةٌ بالتَّقوىٰ ـ ولو : (أطيعوا اللهَ) ـ في كلٍّ ، وقراءةُ آيةٍ مُفهِمَةٍ في إحداهُما ، ودعاءٌ للمؤمنينَ بأُخرويٍّ في ثانيةٍ .

وشُرِطَ جلوسٌ بينَهُما بطمأنينةٍ ، وموالاةٌ عرفاً بينَ أركانِهِما ، وبينَهُما وبينَ الصَّلاةِ ، وطهرٌ وسَترٌ وقيامٌ لقادرٍ .

---

(١) ذكر هـٰذه القصة الحافظ السخاوي في « القول البديع » (ص ٤٠٠ ـ ٤٠١) عن الإمام أبي عبد الرحمـٰن المقرئ رحمه الله تعالىٰ .

ويجبُ إسماعُ أربعينَ ـ الذينَ تنعقدُ بهِمُ الجُمُعةُ ـ أركانَهُما ، وأن يَتأخَّرَ إحرامُ مَنْ لا تنعقدُ بهِمُ الجُمُعةُ عن إحرامِ مَنْ تنعقدُ بهِم .

فرع

[في موطنِ مَنْ لهُ مسكنانِ ببلدَينِ]

مَنْ لهُ مسكنانِ ببلدَينِ . . فالعبرةُ : بما كثرَتْ فيهِ إقامتُهُ ، فبما فيهِ أهلُهُ ومالُهُ ؛ فإنِ استويا في الكلِّ . . فبالمحلِّ الذي هوَ فيهِ حالةَ إقامةِ الجُمُعةِ .

* * *

بابُ ما يحرمُ على الرَّجلِ من استعمالِ حريرٍ صِرفٍ وحليِّ نقدٍ ومن تشبّهٍ بالنّساء

[تحريمُ استعمالِ الحريرِ على الرِّجالِ]

أخرجَ أبو داوودَ والنَّسائيُّ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أخذَ حريراً فجعلَهُ [في] يمينِهِ ، وذهباً فجعلَهُ في يسارِهِ ، ثمَّ قالَ : « إِنَّ هَـٰذَيْنِ حَرَامٌ عَلَىٰ ذُكُورِ أُمَّتِي » [1] .

والحاكمُ : « مَنْ لَبِسَ ٱلْحَرِيرَ فِي ٱلدُّنْيَا . . لَمْ يَلْبَسْهُ فِي ٱلْآخِرَةِ ، وَمَنْ شَرِبَ ٱلْخَمْرَ فِي ٱلدُّنْيَا . . لَمْ يَشْرَبْهُ فِي ٱلْآخِرَةِ ، وَمَنْ شَرِبَ فِي آنِيَةِ ٱلذَّهَبِ أَوِ ٱلْفِضَّةِ . . لَمْ يَشْرَبْ بِهَا فِي ٱلْآخِرَةِ » ، ثمَّ قالَ : « لِبَاسُ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ - أي : الحريرُ - وَشَرَابُ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ - أي : الخمرُ - وَآنِيَةُ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ » أي : آنيةُ النَّقدِ [2] .

والشَّيخانِ : « لَا تَلْبَسُوا ٱلْحَرِيرَ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ فِي ٱلدُّنْيَا . . لَمْ يَلْبَسْهُ فِي ٱلْآخِرَةِ » [3] .

وزادَ النَّسائيُّ : وقالَ ابنُ الزُّبيرِ : (مَنْ لبسَهُ في الدُّنيا . . لم يدخُلِ الجنَّةَ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾) [4] .

---

(١) سنن أبي داوود (٤٠٥٤) ، وأخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٩٣٨٢) .

(٢) مستدرك الحاكم (١٤١/٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) صحيح البخاري بنحوه (٥٤٢٦) عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه ، وصحيح مسلم بلفظه (١١/٢٠٦٩) عن سيدنا عبد الله بن الزبير أنه سمع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهم .

(٤) سورة الحج : (٢٣) ، والحديث أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (١١٢٨٠) .

وأحمدُ والشيخانِ وأبو داوودَ والنَّسائيُّ وابنُ ماجه عن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ : « إِنَّمَا يَلْبَسُ ٱلْحَرِيرَ فِي ٱلدُّنْيَا مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ »[1] .

والبزَّارُ عن حذيفةَ موقوفاً : (مَنْ لبسَ ثوبَ حريرٍ . . ألبسَهُ اللهُ ثوباً يوماً مِنْ نارٍ ليسَ مِنْ أيَّامِكُم ، ولـٰكنْ مِنْ أيَّامِ اللهِ الطِّوالِ)[2] .

وأحمدُ : « لَا يَسْتَمْتِعُ بِٱلْحَرِيرِ مَنْ يَرْجُو أَيَّامَ ٱللهِ » أي : لقاءَهُ وحسابَهُ[3] .

[تحريمُ استعمالِ الذَّهبِ على الرِّجالِ]

وهوَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ . . فَلَا يَلْبَسْ حَرِيراً وَلَا ذَهَباً »[4] .

والنَّسائيُّ : أنَّ رجلاً قَدِمَ مِنْ نَجْرانَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعليهِ خاتمٌ مِنْ ذهبٍ ، فأعرضَ عنهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالَ : « إِنَّكَ جِئْتَنِي وَفِي يَدِكَ جَمْرَةٌ مِنْ نَارٍ ؟! »[5] .

ومسلمٌ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رأىٰ خاتماً مِنْ ذهبٍ في يدِ رجلٍ ، فنزعَهُ وطرحَهُ ، وقالَ : « يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ [فَيَجْعَلُهَا] فِي يَدِهِ ؟! »[6] فقيلَ للرَّجلِ بعدَما ذهبَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ :

---

(١) صحيح البخاري (٥٨٣٥) ، وصحيح مسلم (٢٠٦٨/٧) ، ومسند أحمد (١٤٦/٢) ، وسنن أبي داوود (١٠٦٩) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٩٥١٨) ، وسنن ابن ماجه (٣٧٤٤) .

(٢) مسند البزار (٢٨٤٦) .

(٣) مسند أحمد (٢٦٧/٥ ـ ٢٦٨) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه وفيه قصة .

(٤) مسند أحمد (٢٦١/٥) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٥) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٩٤٣٥) .

(٦) في النسخ : (فيطرحها) ، والمثبت من (ط) ومن « صحيح مسلم » .

خُذْ خاتمَكَ وانتفعْ بهِ !! فقالَ : واللهِ ؛ لا آخذُهُ وقد طرحَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ [1] .

[لعنُ المُتشبِّهينَ مِنَ الرِّجالِ بالنِّساءِ وعكسِهِ]

والبخاريُّ : (لعنَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المُخنَّثينَ مِنَ الرِّجالِ ، والمُترجِّلاتِ مِنَ النِّساءِ) [2] .

والأوَّلُ : جمعُ (مُخنَّثٍ) بفتحِ النونِ وكسرِها ؛ وهوَ : مَنْ فيهِ الخُنوثةُ ؛ أيِ : التكسُّرُ والتثنِّي ؛ كما يفعلُهُ النِّساءُ وإن لم يفعلِ الفاحشةَ الكبرىٰ ، **والثاني** : المُتشبِّهاتُ مِنَ النِّساءِ بالرِّجالِ .

وأبو داودَ والنَّسائيُّ : (لعنَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الرَّجلَ يلبَسُ لِبسةَ المرأةِ ، والمرأةَ تلبَسُ لِبسةَ الرَّجلِ) [3] .

والطَّبرانيُّ : أنَّ امرأةً مرَّتْ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُتقلِّدةً قوساً ، فقالَ : « لَعَنَ ٱللهُ ٱلْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ بِٱلرِّجَالِ » [4] .

وأبو داودَ : أُتِيَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بمُخنَّثٍ قد خضبَ يدَيهِ ورجلَيهِ بالحِنَّاءِ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا بَالُ هَـٰذَا ؟! » قالوا : يتشبَّهُ بالنِّساءِ ، فأمرَ بهِ فنُفيَ إلى النَّقيعِ [5] .

---

(١) صحيح مسلم (٢٠٩٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) صحيح البخاري (٥٨٨٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) سنن أبي داوود (٤٠٩٥) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٩٢٠٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٠١٥) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٥) سنن أبي داوود (٤٨٩٠) ، **والنقيع** : ناحية من المدينة وليست بالبقيع ، قاله أسامة بن شريك أحد رجال السند .

[قصَّةُ الشيخِ الجَيلانيِّ معَ إبليسَ اللَّعينِ]

وحُكِيَ عنِ القطبِ عبدِ القادرِ الجَيلانيِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : أنَّهُ عطشَ في بعضِ سياحاتِهِ ، فرأىٰ إناءً مِنْ فضَّةٍ مُعلَّقاً في السماءِ ، فأُدليَ عليهِ في سحابةٍ ، وسمعَ صوتاً داخلَها : (اشربْ يا عبدَ القادرِ ؛ فقد أبحنا لكَ المُحرَّماتِ ، وأسقطنا عنكَ الواجباتِ .

فقالَ رضيَ اللهُ عنهُ ونفعَنا بهِ في الدارَينِ : اجتنِبْنا يا ملعونُ ؛ لستُ أكرمَ على اللهِ مِنْ نبيِّهِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّهُ لم يُفعَلْ لهُ شيءٌ مِنْ ذٰلكَ)[1] .

تنبيهات

أحدُها

[في أنواعِ الحريرِ المحرَّمةِ]

إنَّهُ يَحرُمُ على الرِّجالِ استعمالُ الحريرِ وما أكثرُهُ وزناً منهُ ، لا ظهوراً ؛ ولو باتِّخاذِهِ بِطانةً ، أو بافتراشِهِ بلا حائلٍ ، أوِ اتِّخاذِهِ سِتراً ، وكذا تزيينُ البيوتِ والمساجدِ بهِ أو بمُصوَّرٍ ، وبغيرِهِما مكروهٌ ، وكالحريرِ : المُزَعفَرُ والمُعَصفَرُ .

فرع

[في مسائلَ يُباحُ فيها لُبسُ الحريرِ]

لو لم يَجدِ الرَّجلُ إلَّا ثوبَ حريرٍ . . لزمَتْهُ الصَّلاةُ فيهِ ، قالَ الإسنويُّ :

---

(١) ذكرها مختصرةً العلامةُ الجمل في « حاشيته علىٰ منهج الطلاب » (٢/١٣١) .

(يلزمُ قطعُ ما زادَ مِنَ الحريرِ علىٰ قدرِ العورةِ إن لم يُنقِصْ أكثرَ مِنْ أُجرةِ الثوبِ)[1] .

ويُقدِّمُ الثَّوبَ المُتنجِّسَ على الحريرِ في سَترِ العورةِ في غيرِ الصَّلاةِ ، ويَحرُمُ إنزالُ ثوبِهِ أو إزارِهِ عن كعبَيهِ بقصدِ الخُيلاءِ ، وإلَّا . . كُرِهَ .

وثانيها

[في حرمةِ استعمالِ أواني الذَّهبِ والفضَّةِ]

إنَّه يَحرُمُ عليهِ استعمالُ حَلْيِ ذهبٍ أو فضَّةٍ ، إلَّا خاتماً مِنْ فضَّةٍ فيَجوزُ ، بل يُسَنُّ .

ويَحرُمُ تمويهُهُ بالذَّهبِ وإن لم يَحصلْ منهُ شيءٌ بالعرضِ على النَّارِ ، وكذا جعلُ شيءٍ مِنْ ذهبٍ داخلَ فصِّهِ[2] ، والذي غُطِّيَ بنحوِ بِلَّورٍ صافٍ .

ويَحرُمُ على المُكَلَّفِ ولوِ امرأةً استعمالٌ وتزيينٌ بإناءٍ وإن صَغُرَ جدّاً ؛ كمُكْحُلَةٍ ومِرْوَدٍ وخِلالٍ وما يُخرَجُ بهِ وسخُ الأذنِ ؛ مِنْ ذهبٍ أو فضَّةٍ ، وكذا اقتناؤُها .

وثالثُها

[حرمةُ تشبُّهِ الرِّجالِ بالنِّساءِ وعكسِهِ]

إنَّ تشبُّهَ الرِّجالِ بالنِّساءِ فيما يَختصُّ بهِنَّ عرفاً غالباً مِنْ لباسٍ أو كلامٍ أو حركةٍ وعكسَهُ . . حرامٌ .

---

(١) انظر « المهمات في شرح الروضة والرافعي » (٣/١٧٢) ، وقال في « التحفة » (٢/١١٣) : (والأوجه : أنه لا يلزمه قطع زائد على العورة إن نقص المقطوع ولو يسيراً) .

(٢) في النسخ عدا (هـ ، ط) : (داخل فضَّة) .

فَمِنَ التَّشبُّهِ المُحرَّمِ : خَضْبُ الرَّجلِ يدَهُ ورِجلَهُ بالحِنَّاءِ بغيرِ عذرٍ ، واستعمالُ الرَّجلِ الثِّيابَ أوِ الكَوافيَّ التي فيها خيوطُ القصبِ ولو يسيراً [1] ؛ لأنَّهُ مِنْ زينةِ النِّساءِ المُختصَّةِ بهِنَّ ، فَمَنْ فعلَهُ مِنَ الرِّجالِ . . صارَ مُتشبِّهاً بهِنَّ ، ملعوناً علىٰ لسانِ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ومحروماً مِنْ حِليةِ الجنَّةِ ، ألبسَنا اللهُ تعالىٰ بمنِّهِ وكرمِهِ حِليةَ الجنَّةِ .

* * *

(١) في (د) : (خيوط الفضة) .

باب عيادة المريض

أخرجَ مسلمٌ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ : يَا بْنَ آدَمَ ؛ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ ؛ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ !! قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَاناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ؟! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ . . لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ؟! »[1] أي : لوجدتَ عندَهُ ثوابي الذي لا نهايةَ لعظمِهِ .

والطبرانيُّ : « إِنَّ ٱلْعَائِدَ يُظِلُّهُ ٱللهُ بِخَمْسَةٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ »[2] .

وأحمدُ : « إِذَا عَادَ ٱلرَّجُلُ أَخَاهُ ٱلْمُسْلِمَ . . [مَشَىٰ فِي خِرَافَةِ ٱلْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَجْلِسَ ، فَإِذَا جَلَسَ . . غَمَرَتْهُ ٱلرَّحْمَةُ][3] ، فَإِنْ كَانَ غُدْوَةً . . صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُمْسِيَ ، وَإِنْ كَانَ عَشِيّاً . . صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُصْبِحَ »[4] .

والبخاريُّ في « الأدبِ » : « ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ : عِيَادَةُ ٱلْمَرِيضِ ، وَشُهُودُ ٱلْجِنَازَةِ ، وَتَشْمِيتُ ٱلْعَاطِسِ إِذَا حَمِدَ ٱللهَ تَعَالَىٰ »[5] .

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٦٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الطبراني بنحوه في « المعجم الأوسط » (٤٣٩٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر وسيدنا أبي هريرة رضي الله عنهم .

(٣) ما بين معقوفين زيادة من المطبوع ، وهي في « مسند أحمد » .

(٤) مسند أحمد (١/٨١) عن سيدنا علي رضي الله عنه وفيه قصة ، زاد في (ج ، د) : (وكان له خريف من الجنة ؛ أي : بستان من النخل) ولعله يشير إلىٰ ما أضفناه بين معقوفين ، والله أعلم .

(٥) الأدب المفرد (٥١٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

تنبيهٌ

[في حكمِ عيادةِ المريضِ]

إنَّ العيادةَ مطلوبةٌ إجماعاً ، وإنَّها سنَّةُ عينٍ عندَ الجمهورِ ، وفرضُ كفايةٍ عندَ بعضِ قدماءِ المالكيَّةِ ، وصرَّحَ البخاريُّ بوجوبِها[1] .

ولا تُسَنُّ عيادةُ الفاسقِ المُتجاهِرِ بفسقِهِ ، بل تُكرَهُ أو تَحرُمُ ؛ لتصريحِهِم بحرمةِ إيناسِهِ ولو بالجلوسِ معَهُ .

وتُكرَهُ عيادةُ ذي بدعةٍ دينيَّةٍ ، إلَّا مِنْ عالِمٍ يترتَّبُ علىٰ عيادتِهِ لهُ إغراءُ العامَّةِ على اتِّباعِهِم لهُ وحسنِ طريقتِهِ . . فيَحرُمُ عليهِ ذٰلكَ .

[ضابطُ المرضِ الذي تُسَنُّ بِهِ العيادةُ]

وضابطُ المرضِ الذي تُسَنُّ بِهِ العيادةُ منهُ : ما يُبيحُ تركَ الجُمُعةِ ولو رَمَداً ؛ بأن تكونَ مشقَّةُ الخروجِ والمشيِ معَهُ كمشقَّةِ المشيِ في الوحَلِ ، فلا أثرَ لصُداعٍ ووجعِ ضرسٍ خفيفَينِ .

وقالَ مُتأَخِّرو أئمَّتِنا : إنَّ العيادةَ يومَ الجُمُعةِ أفضلُ منها في غيرِهِ[2] ، ويُسَنُّ للعائدِ أن يُطيِّبَ نفسَهُ بذِكْرِ بعضِ ثوابِ المرضِ والصبرِ عليهِ ، وأن يُحصِّلَ ما اشتهاهُ إن لم يَضرَّهُ ، وألَّا يَعترضَ عليهِ في الأنينِ ، وقد غلَّطوا مَنْ أطلقَ كراهتَهُ .

---

(١) فلقد بوَّب ضمن (كتاب الطب) بقوله : (باب وجوب عيادة المريض) قبل الحديث رقم (٥٦٤٩) .

(٢) أخرج ابن حبان (٢٧٧١) ، والطبراني في « الكبير » (٨/٩٧) واللفظ له عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى الجمعة ، وصام يومه ، وعاد مريضاً ، وشهد جنازة ، وشهد نكاحاً . . وجبت له الجنة » .

نعم ؛ إن أمكنَهُ أن يُرشِدَهُ بلطفٍ إلىٰ أنَّ الذِّكْرَ أولىٰ . . فعلَ[1] .

وأن يَسألَ المريضَ الدُّعاءَ لهُ ؛ لصحَّةِ الخبرِ بالأمرِ بهِ ، وأنَّهُ كدعاءِ الملائكةِ[2] ، وصحَّ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ [كانَ] إذا دخلَ علىٰ مريضٍ . . قالَ : « لَا بَأْسَ ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ ٱللهُ »[3] أي : مرضُكَ يُطهِّرُكَ مِنَ الذُّنوبِ .

وصحَّ أيضاً : أنَّهُ مَنْ قالَ : « أَسْأَلُ ٱللهَ ٱلْعَظِيمَ ، رَبَّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ : أَنْ يُعَافِيَكَ وَيَشْفِيَكَ (سَبْعَ مَرَّاتٍ) عِنْدَ مَرِيضٍ لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ . . عَافَاهُ ٱللهُ مِنْ مَرَضِهِ »[4] .

وينبغي فتحُ الكافِ في المؤنَّثِ مُريداً الشَّخصَ ؛ اتِّباعاً للَّفظِ الواردِ .

خاتمة

في ثوابِ المريضِ

أخرجَ الشيخانِ : « مَا يُصِيبُ ٱلْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ » أي : تعبٍ « وَلَا وَصَبٍ » أي : مرضٍ « وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ ؛ حَتَّى ٱلشَّوكةِ يُشَاكُهَا . . إِلَّا كَفَّرَ ٱللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ »[5] .

---

(١) قال العلامة باعشن الحضرمي رحمه الله تعالىٰ في « بشرى الكريم بشرح مسائل التعليم » (ص ٤٤٥) : (والأنين خلاف الأولىٰ إن لم يغلبه ، أو يحصل به استراحة من ألمه ، وإلا . . فهو مباح ، وينبغي أن يبدله بنحو تسبيح) .

(٢) أخرج ابن ماجه (١٥٢٦) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٥٥٧) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا دخلت علىٰ مريضٍ . . فمُره أن يدعو لك ؛ فإن دعاءه كدعاء الملائكة » .

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١٦) ، وابن حبان (٢٩٥٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه ابن حبان (٢٩٧٥) ، والحاكم (١/٣٤٢) ، وأبو داوود (٣٠٩٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٥) صحيح البخاري (٥٦٤١) ، وصحيح مسلم (٢٥٧٤) بنحوه عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وأبو داوودَ : « إنَّ ٱلْمُؤْمِنَ إِذَا أَصَابَهُ ٱلسَّقَمُ ثُمَّ عَافَاهُ ٱللهُ مِنْهُ . . كَانَ كَفَّارَةً لِمَا مَضَىٰ مِنْ ذُنُوبِهِ ، وَمَوْعِظَةً لَهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ ، وَإِنَّ ٱلْمُنَافِقَ إِذَا مَرِضَ ثُمَّ عُوفِيَ . . كَانَ كَٱلْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ أَرْسَلُوهُ ، فَلَمْ يَدْرِ لِمَ عَقَلُوهُ ، وَلَمْ يَدْرِ لِمَ أَرْسَلُوهُ »[1] .

والبخاريُّ : « مَنْ يُرِدِ ٱللهُ بِهِ خَيْراً . . يُصِبْ مِنْهُ » أي : يُوجِّهْ إليهِ مصيبةً أو بلاءً .

والطبرانيُّ : « يُؤْتَىٰ بِٱلشَّهِيدِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ لِلْحِسَابِ[2] ، ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِٱلْمُتَصَدِّقِ فَيُنْصَبُ لِلْحِسَابِ ، ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِأَهْلِ ٱلْبَلَاءِ لَا يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ ، وَلَا يُنشَرُ لَهُمْ دِيوَانٌ ؛ فَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَجْرُ صَبّاً ، حَتَّىٰ إِنَّ أَهْلَ ٱلْعَافِيَةِ لَيَتَمَنَّوْنَ فِي ٱلْمَوْقِفِ أَنَّ أَجْسَادَهُمْ قُرِضَتْ بِٱلْمَقَارِيضِ مِنْ حُسْنِ ثَوَابِ ٱللهِ [لَهُمْ] »[3] .

وهوَ : « إِذَا مَرِضَ ٱلْعَبْدُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . . خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »[4] .

وابنُ أبي الدُّنيا : « مَنْ كَتَمَ حُمَّىٰ يَوْمٍ أَصَابَتْهُ . . أَخْرَجَهُ ٱللهُ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَكَتَبَ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ ٱلنَّارِ ، وَسَتَرَ عَلَيْهِ كَمَا سَتَرَ بَلَاءَ ٱللهِ فِي ٱلدُّنْيَا »[5] .

وأحمدُ والطبرانيُّ : « إِنَّ ٱلصُّدَاعَ وَٱلْمَلِيلَةَ لَا يَزَالَانِ بِٱلْمُؤْمِنِ وَإِنَّ ذُنُوبَهُ

---

(١) سنن أبي داوود (٣٠٨٣) عن سيدنا عامر الرامي رضي الله عنه .

(٢) في « معجم الطبراني » : (فينصب للحساب) .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/١٨٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الصغير » (١/١٨٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في « المرض والكفارات » (٢٥٢) عن سعيد بن عبد الجبار مرسلاً .

مِثْلُ أُحُدٍ ؛ فَمَا يَدَعَانِهِ وَعَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ »[1] .

والقُضاعيُّ : « ٱلْحُمَّىٰ حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ ٱلنَّارِ ، وَحُمَّىٰ لَيْلَةٍ تُكَفِّرُ خَطَايَا سَنَةٍ مُجَرَّمَةٍ »[2] أي : كاملةٍ .

وابنُ ماجه : « ٱلْحُمَّىٰ كِيرٌ مِنْ كِيرِ جَهَنَّمَ ، فَنَحُّوهَا عَنْكُمْ بِٱلْمَاءِ ٱلْبَارِدِ »[3] .

وأحمدُ والترمذيُّ والنَّسائيُّ : « مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ . . لَمْ يُعَذَّبْ فِي قَبْرِهِ »[4] .

وصحَّ : « مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ بِمَالِهِ أَوْ فِي نَفْسِهِ ، فَكَتَمَهَا وَلَمْ يَشْكُهَا إِلَى ٱلنَّاسِ . . كَانَ حَقّاً عَلَى ٱللهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ »[5] .

تَنْبِيهٌ

[هلِ الثَّوابُ على المرضِ أو على الصبرِ عليهِ ؟]

اعلمْ : أنَّ الأئمَّةَ اختلفوا في أنَّ ثوابَ المريضِ هل هوَ على الصبرِ علىٰ مرضِهِ أو علىٰ نفسِ مرضِهِ ؟

والأصحُّ في ذٰلكَ : أنَّهُ إن صبرَ . . أُثيبَ على المرضِ والصبرِ ، وإلَّا . . لم يُثَبْ ، هٰذا ما دلَّتْ عليهِ الأحاديثُ .

---

(١) أخرجه أحمد (٥/١٩٨) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٣١٤٣) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه ، **والمليلة** : حمىٰ في العظم ، نسأل الله العافية .

(٢) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (٦٢) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وقوله : (مجرمة) بالجيم ، وفي النسخ بالحاء وهو سبق قلم .

(٣) سنن ابن ماجه (٣٦٢٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الترمذي (١٠٦٤) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٢١٩٠) ، وأحمد (٤/٢٦٢) عن سيدنا سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٤١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

قالَ عِزُّ الدِّينِ بنُ عبدِ السلامِ : (إنَّ المصائبَ لا ثوابَ فيها ؛ لأنَّها ليسَتْ مِنْ كسبِ العبدِ ، بلِ الثَّوابُ في الصبرِ عليها لا غيرُ)[١] .

نعم ؛ فيها التكفيرُ وإن لم يَصبرْ ، إذ لا يُشترَطُ في المُكفِّراتِ أن تكونَ كسباً .

❋ ❋ ❋

(١) انظر « قواعد الأحكام » (١/١٨٩) .

بابُ النِّياحةِ وتوابعِها واستماعِها

أخرجَ الشيخانِ عن أبي موسى الأشعريِّ أنَّهُ قالَ : (أنا بريءٌ مِمَّنْ بَرِئَ منهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ ـ أي : الرافعةِ صوتَها بالنَّدبِ والنِّياحةِ ـ والحالِقَةِ ؛ أي : لرأسِها عندَ المُصيبةِ ، والشَّاقَّةِ) أي : لثوبِها[1] .

وهُما عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ ٱلْخُدُودَ ، وَشَقَّ ٱلْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى ٱلْجَاهِلِيَّةِ »[2] .

والحاكمُ وابنُ حِبَّانَ : « ثَلَاثَةٌ مِنَ ٱلْكُفْرِ بِٱللهِ : شَقُّ ٱلْجَيْبِ ـ أي : طَوْقِ القميصِ ـ وَٱلنِّيَاحَةُ ، وَٱلطَّعْنُ فِي ٱلنَّسَبِ »[3] .

وابنُ ماجه : « ٱلنِّيَاحَةُ مِنْ أَمْرِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ، وَإِنَّ ٱلنَّائِحَةَ إِذَا مَاتَتْ وَلَمْ تَتُبْ .. قَطَعَ ٱللهُ لَهَا ثِيَاباً مِنْ قَطِرَانٍ ، وَدِرْعاً مِنْ لَهَبِ النَّارِ »[4] .

والطبرانيُّ : « إِنَّ هَـٰذِهِ ٱلنَّوَائِحَ يُجْعَلْنَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ صَفَّيْنِ فِي جَهَنَّمَ ؛ صَفٌّ عَنْ يَمِينِهِمْ ، وَصَفٌّ عَنْ يَسَارِهِمْ ، فَيَنْبَحْنَ عَلَىٰ أَهْلِ ٱلنَّارِ كَمَا تَنْبَحُ ٱلْكِلَابُ »[5] .

---

(١) صحيح البخاري (١٢٩٦) ، وصحيح مسلم (١٠٤) .

(٢) صحيح البخاري (١٢٩٤) ، وصحيح مسلم (١٠٣) .

(٣) صحيح ابن حبان (١٤٦٥) ، والمستدرك (١/٣٨٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) سنن ابن ماجه (١٦٦٦) عن سيدنا أبي مالك الأشعري رضي الله عنه .

(٥) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٢٢٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وأبـو داوودَ عـن أبي سعيدٍ الـخُـدريّ قـالَ : (لـعنَ رسـولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ النَّائحةَ والمُستمِعةَ)[١] .

وابنا ماجه وحِبَّانَ عن أبي أُمامةَ : (أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعنَ الخامشةَ وجهَها ، والشَّاقَّةَ جيبَها ، والدَّاعيةَ بالوَيلِ والثُّبورِ)[٢] .

وأبو داوودَ عنِ امرأةٍ مِنَ المُبايعاتِ قالَتْ : كانَ فيما أخذَ علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المعروفِ الذي أخذَ علينا : « أَلَّا نَخْمِشَ وَجْهاً ، وَلَا نَدْعُوَ وَيْلاً ، وَلَا نَشُقَّ جَيْباً ، وَلَا نَنْتِفَ شَعَراً »[٣] .

والشيخانِ : « ٱلْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي ٱلْقَبْرِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ »[٤] .

والترمذيُّ : « مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ بَاكِيهِمْ فَيَقُولُ : وَا جَبَلَاهُ ، وَا سَيِّدَاهُ !! أَوْ نَحْوَ ذَٰلِكَ . . إِلَّا وَكَّلَ ٱللهُ بِهِ مَلَكَيْنِ يَلْهَزَانِهِ : أَهَٰكَذَا كُنْتَ »[٥] .

والبخاريُّ عن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ قالَ : (أُغمِيَ علىٰ عبدِ اللهِ بنِ رَواحةَ ، فجعلَتْ أختُهُ تبكي : وا جبلاهُ ، وا كذا وا كذا ؛ تُعَدِّدُ عليهِ ، فقالَ لها حينَ أفاقَ : ما قُلْتِ شيئاً . . إلَّا قِيلَ لي : أأنتَ كذٰلكَ ؟! فلمَّا ماتَ . . لم تبكِ عليهِ)[٦] .

---

(١) سنن أبي داوود (٣١٢٠) .
(٢) صحيح ابن حبان (٣١٥٦) ، وسنن ابن ماجه (١٦٧٠) .
(٣) سنن أبي داوود (٣١٢٣) بلفظ : (ألا نخمش . . . وألَّا ندعو . . .) وهٰكذا في البواقي .
(٤) صحيح البخاري (١٢٩٢) ، وصحيح مسلم (١٧/٩٢٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .
(٥) سنن الترمذي (١٠٠٣) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وقوله : (يلهزانه) أي : يدفعانه ويضربانه ، واللهز : الضرب بجميع الكف في الصدر .
(٦) صحيح البخاري (٤٢٦٧) .

وفي روايةٍ رواها الطبرانيُّ فقالَ : (يا رسولَ اللهِ ؛ أُغمِيَ عليَّ ، فصاحَتِ النِّساءُ : وا عِزَّاهُ ، وا جبلاهُ !! فقامَ مَلَكٌ معَهُ مِرْزَبَةٌ [١] ، فجعلَها بينَ رِجلَيَّ ، فقالَ : أنتَ كما تقولُ ؟ قلتُ : لا ، ولو قلتُ : نعم . . ضربَني بها) [٢] .

ورُوِيَ (مَنْ أصابَتْهُ مُصيبَةٌ فخرقَ عليها ثوباً ، أو لطمَ خدّاً ، أو شقَّ جيباً ، أو نتفَ شعراً . . فكأنَّما أخذَ رمحاً يريدُ أن يُحارِبَ بِهِ ربَّهُ) [٣] .

[قصَّةُ شابٍّ عُذِّبَ بالنَّدبِ عليهِ]

وقالَ صالحٌ المُرِّيُّ : (نمتُ ليلةَ جُمُعةٍ بمقبرةٍ ، فرأيتُ الأمواتَ خرجوا مِنْ قبورِهِم وتَحلَّقوا ، ونزلَتْ عليهِم أطباقٌ مُغطَّاةٌ ، وفيهِم شابٌّ يُعذَّبُ ، فتقدَّمتُ فسألتُهُ ، فقالَ : لي والدةٌ جمعَتِ النَّوادبَ ؛ فأنا مُعذَّبٌ بذٰلكَ ، فلا جزاها اللهُ عنِّي خيراً ، وبكىٰ ، ثمَّ أمرَني أن أذهبَ إليها وأعلمَني بمحلِّها ، وأن أُناشِدَها بتركِ هٰذا العذابِ العظيمِ الذي تسبَّبَتْ لهُ فيهِ .

فلمَّا أصبحتُ . . ذهبتُ إليها ، ورأيتُ عندَها تلكَ النَّوادبَ ، ووجهُها قدِ اسودَّ مِنْ كثرةِ اللَّطمِ والبكاءِ ، فذكرتُ لها ذٰلكَ المنامَ ، فتابَتْ ، وأخرجَتِ النَّوادبَ ، وأعطَتْني دراهمَ أتصدَّقُ بها عنهُ .

فأتيتُ المقبرةَ ليلةَ الجُمُعةِ علىٰ عادتي ، وتصدَّقتُ عنهُ بتلكَ الدراهمَ ، فنمتُ ، فرأيتُهُ وهوَ يقولُ لي : جزاكَ اللهُ عنِّي خيراً ، أذهبَ اللهُ عنِّي العذابَ ، ووصلَتْ إليَّ الصدقةُ ، فأخبِرْ أمِّي بذٰلكَ .

---

(١) مِرْزَبَةٌ : ـ بتخفيف الباء ـ المطرقة الكبيرة التي تكون للحداد ، ويقال لها : الإرزبَّة بالهمز والتشديد .
(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٣/٤١٤) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .
(٣) أورده الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٢١٤) ، وابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (١/٣٥٦) ضمن الكبيرة (١١٨) .

فاستيقظتُ فذهبتُ إليها فوجدتُها ماتَتْ ، فحضرتُ الصَّلاةَ عليها ، ودُفِنَتْ بجَنْبِ ولدِها)[1] .

تَنبِيهٌ

[في تحريمِ النَّدبِ والنَّوحِ وجوازِ البكاءِ]

قدِ اجتمعَتِ الأئمَّةُ علىٰ تحريمِ النَّدبِ ؛ وهوَ تعديدُ محاسنِ الميّتِ كـ (وا جبلاهُ) ، والنَّوحِ ؛ وهوَ رفعُ الصوتِ بالنَّدبِ .

ومثلُهُ إفراطُ رفعِهِ بالبكاءِ وإن لم يَقترنْ بندبٍ ولا نَوحٍ ، وضربُ نحوِ الخدِّ والصدرِ ، وشقُّ نحوِ الجيبِ ، ونشرُ الشعرِ وحلقُهُ ونتفُهُ ، وتسويدُ الوجهِ ، وإلقاءُ الرمادِ على الرأسِ ، والدعاءُ بالوَيلِ والثُّبورِ ـ أي : الهلاكِ ـ وكلُّ شيءٍ فيهِ تغييرٌ للزيِّ ؛ كلُبسِ ما لا يُعتادُ لُبسُهُ أصلاً ، أو علىٰ تلكَ الصفةِ ، وكتركِ شيءٍ مِنْ لباسِهِ والخروجِ بدونِهِ علىٰ خلافِ عادتِهِ .

أمَّا البكاءُ السالِمُ مِنْ كلِّ ذٰلكَ . . فهوَ جائزٌ قبلَ الموتِ وبعدَهُ ، لٰكنِ الأَولىٰ تركُهُ بعدَهُ .

[متىٰ يُعذَّبُ ببكاءِ أهلِهِ ؟]

وما مرَّ مِنْ أنَّ الميّتَ يُعذَّبُ ببكاءِ أهلِهِ[2] . . اختلفَ الأئمَّةُ فيماذا يُحمَلُ عليهِ ؟

---

(١) ذكر القصة الحافظ الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٢١٥) ، والعلامة ابن حجر في « الزواجر » (٣٥٦/١) .

(٢) انظر ما تقدم قريباً ضمن هٰذا الباب .

والصحيحُ عندَنا : أنَّهُ محمولٌ علىٰ ما إذا أوصىٰ بذٰلك ، بخلافِ ما إذا سكتَ ، فلم يأمرْ ولم ينهَ .

وقيلَ : إنَّهُ إذا سكتَ ولم ينهَهُم عن نحوِ النَّوحِ . . يُعذَّبُ بذٰلك أيضاً ؛ لأنَّ سكوتَهُ رضاً منهُ ، فعُذِّبَ بهِ كما لو أمرَ ؛ فَمَنْ أرادَ الخروجَ مِنْ وَرْطَةِ هٰذا القولِ[1] . . ينبغي إذا نزلَ بهِ مرضٌ : أن ينهاهُم عن بِدَعِ الجنائزِ وغيرِها مِنَ المُحرَّماتِ الشنيعةِ ، والقبائحِ الفظيعةِ ، وفَّقَنا اللهُ لمرضاتِهِ .

فَصْلٌ

فيما يقولُهُ المريضُ للنَّجاةِ مِنَ العذابِ

أخرجَ الترمذيُّ والنَّسائيُّ وابنا ماجه وحِبَّانَ والحاكمُ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ وأبي هريرةَ قالا : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ قَالَ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَٱللهُ أَكْبَرُ . . صَدَّقَهُ رَبُّهُ فَقَالَ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ .

وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . . قَالَ ٱللهُ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي .

وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ . . قَالَ ٱللهُ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا لِيَ ٱلْمُلْكُ وَلِيَ ٱلْحَمْدُ .

وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ . . قَالَ ٱللهُ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي ؛ مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ . . لَمْ تَطْعَمْهُ ٱلنَّارُ »[2] .

---

(١) في (ج ، د) : (من ربطة هٰذا القول) .

(٢) أخرجه الحاكم (١/٥) ، والترمذي (٣٤٣٠) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (١٠١٠٨) ، وابن ماجه (٣٩٤٨) .

وابنُ عساكرَ عن عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كَلِمَاتٌ مَنْ قَالَهُنَّ عِنْدَ وَفَاتِهِ . . دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ٱلْحَلِيمُ ٱلْكَرِيمُ (ثَلَاثاً) ، ٱلْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (ثَلَاثاً) ، تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »[1] .

والحاكمُ عن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ ، عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَيُّمَا مُسْلِمٍ قَالَ فِي مَرَضِهِ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ (أَرْبَعِينَ مَرَّةً) فَمَاتَ فِي مَرَضِهِ ذَٰلِكَ . . أُعْطِيَ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ ، وَإِنْ بَرَأَ . . بَرَأَ وَقَدْ غُفِرَتْ لَهُ جَمِيعُ ذُنُوبِهِ »[2] .

[ما يُنجي مِنْ فتنةِ القبرِ وعذابِ النَّارِ]

والطبرانيُّ : « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ (قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ) فِي مَرَضِهِ ٱلَّذِي يَمُوتُ فِيهِ (مِئَةَ مَرَّةٍ) . . لَمْ يُفْتَنْ فِي قَبْرِهِ ، وَأَمِنَ مِنْ ضَغْطَةِ ٱلْقَبْرِ ، وَحَمَلَتْهُ ٱلْمَلَائِكَةُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِأَجْنِحَتِهَا ؛ حَتَّىٰ يُجِيزُوهُ مِنَ ٱلصِّرَاطِ إِلَى ٱلْجَنَّةِ »[3] .

ورُوِيَ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَمْرٍ حَقٍّ ، مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ فِي أَوَّلِ مَضْجَعِهِ مِنْ مَرَضِهِ . . نَجَّاهُ ٱللهُ مِنَ ٱلنَّارِ ؟ » قُلْتُ : بَلَىٰ ، قَالَ : « لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، وَسُبْحَانَ ٱللهِ رَبِّ ٱلْعِبَادِ وَٱلْبِلَادِ ، وَٱلْحَمْدُ لِلهِ

---

(١) أخرجه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧٠/٢٠٠) ، وأورده بلفظه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٥١٥٩) وعزاه لابن عساكر .

(٢) مستدرك الحاكم (١/٥٠٦) لكن عن سيدنا سعد بن مالك رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٧٨١) عن سيدنا عبد الله بن الشخير رضي الله عنه ، ولم يذكر فيه العدد .

حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ ، ٱللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً ؛ كِبْرِيَاءُ رَبِّنَا وَجَلَالُهُ وَقُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ .

ٱللَّهُمَّ ؛ إِنْ كُنْتَ أَمْرَضْتَنِي لِقَبْضِ رُوحِي فِي مَرَضِي هَـٰذَا . . فَٱجْعَلْ رُوحِي فِي أَرْوَاحِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ ٱلْحُسْنَىٰ ، وَأَعِذْنِي مِنَ ٱلنَّارِ ، كَمَا أَعَذْتَ أَوْلِيَاءَكَ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ ٱلْحُسْنَىٰ ؛ فَإِنْ مُتَّ فِي مَرَضِكَ ذَٰلِكَ . . فَإِلَىٰ رِضْوَانِ ٱللهِ وَٱلْجَنَّةِ ، وَإِنْ كُنْتَ قَدِ ٱقْتَرَفْتَ ذُنُوباً . . تَابَ ٱللهُ عَلَيْكَ »(١) .

وعن معاذِ بنِ جبلٍ : « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ . . دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ »(٢) .

وعنِ ابنِ عباسٍ : « ٱفْتَتِحُوا عَلَىٰ صِبْيَانِكُمْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ بِـ : (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ) ، وَلَقِّنُوهُمْ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ؛ فَإِنَّ مَنْ كَانَ أَوَّلُ كَلَامِهِ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَآخِرُ كَلَامِهِ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، ثُمَّ عَاشَ أَلْفَ سَنَةٍ . . مَا سُئِلَ [عَنْ] ذَنْبٍ وَاحِدٍ »(٣) .

[ما يُقرَأُ عندَ المُحتضَرِ]

وعن معقلِ بنِ يسارٍ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱقْرَؤُوا عَلَىٰ مَوْتَاكُمْ (يسٓ) »(٤) .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « المرض والكفارات » (١٥٦) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٥٤٩) ، وابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (٨٥/٥) .

(٢) أخرجه الحاكم (٣٥١/١) ، وأبو داوود (٣١٠٧) .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٢٨٢) ، وفي النسخ : (وما سُئل من ذنب) .

(٤) أخرجه ابن حبان (٣٠٠٢) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (١٠٨٤٦) .

ورُوِيَ : « مَا مِنْ مَيِّتٍ يُقْرَأُ عِنْدَهُ (يَسٓ) . . إِلَّا هَوَّنَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ »[1] .

ويُستحَبُّ إذا احتُضِرَ الميّتُ . . أن يُقرَأَ عندَهُ أيضاً سورةُ (الرعدِ) فإنَّ ذٰلكَ يُخفِّفُ عنِ الميّتِ سَكَراتِ الموتِ ، وإنَّهُ أهونُ لقبضِهِ ، وأيسرُ لشأنِهِ[2] .

وذكرَ جماعةٌ : أنَّ السِّواكَ يُسهِّلُ خروجَ الرُّوحِ ؛ لاستياكِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عندَ موتِهِ[3] .

وروىٰ أنسٌ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَتَاهُ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ وُضُوءٍ . . أُعْطِيَ ٱلشَّهَادَةَ »[4] .

[استحبابُ الإسراعِ في دفنِهِ وما يُقالُ عندَئذٍ][5]

وعنِ ابنِ عمرَ : « إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ . . فَلَا تَحْبِسُوهُ ، وَأَسْرِعُوا بِهِ إِلَىٰ

---

(١) أخرجه ابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (٢٤٩) ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٨/٧) لابن مردويه ، والديلمي عن سيدتنا أم الدرداء رضي الله عنها ، وانظر « كشف الخفا » (٣٩٠/٢) فلقد عزاه لابن أبي الدنيا .

(٢) أخرج ابن أبي شيبة (١٠٩٥٧) عن جابر بن زيد رحمه الله تعالىٰ : أنه كان يقرأ عند الميت سورة (الرعد) ، وأورده السيوطي في « الدر المنثور » (٥٩٩/٤) وعزاه لابن أبي شيبة وللمروزي في « الجنائز » وزاد : (فإن ذٰلك يخفف عن الميت ؛ فإنه أهون لقبضه ، وأيسر لشأنه) .

(٣) أخرج البخاري (٤٤٣٨) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : دخل عبد الرحمٰن بن أبي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا مسندته إلىٰ صدري ، ومع عبد الرحمٰن سواك رطب يستنُّ به ، فأبدَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره ، فأخذت السواك فقضمته ، ونفضته وطيَّبْته ، ثم دفعته للنبي صلى الله عليه وسلم ، فاستنَّ به ، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استنَّ استناناً قط أحسن منه ، فما عدا أن فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم . . رفع يده أو إصبعه ، ثم قال : « الرفيق الأعلىٰ » ثلاثاً ، ثم قضىٰ صلى الله عليه وسلم .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٩٨٨) .

(٥) هٰذه الأخبار الثلاثة سقطت من (ب ، ط) .

قَبْرِهِ ، وَلْيُقْرَأْ عِنْدَ رَأْسِهِ (فَاتِحَةُ ٱلْكِتَابِ) وَفَاتِحَةُ (ٱلْبَقَرَةِ) ، وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ خَاتِمَةُ سُورَةِ (ٱلْبَقَرَةِ) »[١] .

وعن خَيْثَمَةَ : (كانوا يَستحبُّونَ إذا دفنوا الميّتَ . . أن يقولوا : باسمِ اللهِ ، وفي سبيلِ اللهِ ، وعلىٰ مِلَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، اللهمَّ ؛ أجِرْهُ مِنْ عذابِ القبرِ ، وعذابِ النَّارِ ، وشرِّ الشيطانِ الرَّجيمِ)[٢] .

وعنِ ابنِ مسعودٍ : كان النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقفُ على القبرِ ما يُسوَّىٰ عليهِ الترابُ فيقولُ : « ٱللَّهُمَّ ؛ نَزَلَ بِكَ صَاحِبُنَا ، وَخَلَّفَ ٱلدُّنْيَا خَلْفَ ظَهْرِهِ ، ٱللَّهُمَّ ؛ ثَبِّتْ عِنْدَ ٱلْمَسْأَلَةِ مَنْطِقَهُ ، وَلَا تَبْتَلِهِ فِي قَبْرِهِ بِمَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ »[٣] .

وكانَ يُستحَبُّ أن يُقالَ للميّتِ عندَ قبرِهِ : يا فلانُ ؛ قُلْ : لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ (ثلاثَ مراتٍ) ، قُلْ : ربِّيَ اللهُ ، وديني الإسلامُ ، ونبيِّي محمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ يَنصرِفُ[٤] .

قالَ [الآجُرّيُّ][٥] : (يُستحَبُّ الوقوفُ قليلاً ، والدُّعاءُ للميّتِ ـ مُستقبلَ

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣٤٠/١٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٥٤) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٤٦٤) .

(٣) ذكره الإمام السيوطي في « الدر المنثور » (٣٩/٥) ، وفي « شرح الصدور » (ص ٢٣١) وعزاه لسعيد بن منصور .

(٤) ذكره الإمام السيوطي في « الدر المنثور » (٣٩/٥) وعزاه لابن منده ، وفي « شرح الصدور » (ص ٢٣٢) وعزاه لسعيد بن منصور عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وحكيم بن عمير ، ونقل الحافظ الزبيدي في « إتحاف السادة المتقين » (٢٧٧/١٠) عن الحافظ السيوطي ـ رحمهما الله تعالىٰ ـ لنفسه يقول :

لَقِّنْ أخاكَ لدى المماتِ شهادةً ... لا تستهِبْهُ ولا تلحَّ وتبرمِ

من كان آخر ما يقول شهادة الـ ... إخلاصِ يخلد في الجنانِ ويُرْحمِ

(٥) في النسخ إلا (ب) : (الأذرعي) ، والكلام غير موجود في (ب) ، والتصويب من كتب التخريج .

وجهِهِ ـ بالثباتِ ، فيُقالُ : اللهمَّ ؛ هٰذا عبدُكَ وأنتَ أعلمُ بهِ منَّا ، ولا نعلمُ منهُ إلَّا خيراً ، وقد أجلستَهُ لتسألَهُ ، اللهمَّ ؛ فثبِّتْهُ بالقولِ الثابتِ في الآخرةِ كما ثَبَّتَّهُ في الدُّنيا ، اللهمَّ ؛ ارحمْهُ وألحِقْهُ بنبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولا تُضِلَّنا بعدَهُ ، ولا تحرمْنا أجرَهُ)[1] .

فَصْلٌ

في الصبرِ على المصائبِ

أخرجَ الشيخانِ : أنَّ بنتاً لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أرسلَتْ إليهِ تدعوهُ وتُخبرُهُ : أنَّ ابنَها في الموتِ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للرَّسولِ : « ٱرْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا : أَنَّ لِلهِ مَا أَخَذَ ، وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمّىً ، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ »[2] .

والبخاريُّ : « [يَقُولُ ٱللهُ تَعَالَىٰ] : مَا لِعَبْدِي ٱلْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ ٱحْتَسَبَهُ . . إِلَّا ٱلْجَنَّةُ »[3] .

وفي حديثٍ : « مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ . . فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي ؛ فَإِنَّهَا أَعْظَمُ ٱلْمَصَائِبِ »[4] .

---

(١) نقله القرطبي في « التذكرة » (١/٣٣٥) ، والسيوطي في « شرح الصدور » (ص ٢٣٢) ، والمناوي في « فيض القدير » (٥/١٥٢) معزواً للآجري في « النصيحة » ، وهنا انتهت الزيادة على المطبوع من (أ ، ج ، د ، هـ) .

(٢) صحيح البخاري (١٢٨٤) ، وصحيح مسلم (٩٢٣) عن سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، **والمرسلة** : هي سيدتنا زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها ، **والمريض** : هو ابنتها لا ابنها كما في رواية ، وهي سيدتنا أمامة بنت العاص بن الربيع ، وقد عافاها الله تعالى ، انظر « فتح الباري » (٣/١٥٦) .

(٣) صحيح البخاري (٦٤٢٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الدارمي (٨٥) عن مكحول مرسلاً ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٦٧٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً .

وكانَ القاضي حسينٌ ـ مِنْ أكابرِ أئمَّتِنا ـ أخذَ مِنْ هٰذا قولَهُ الذي [أقرُّوهُ] عليهِ[1] : (يجبُ علىٰ كلِّ مؤمنٍ أن يكونَ حُزنُهُ علىٰ فراقِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنَ الدُّنيا أكثرَ منهُ علىٰ فراقِ أبوَيهِ ؛ كما يجبُ أن يكونَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أحبَّ إليهِ مِنْ نفسِهِ وأهلِهِ ومالِهِ)[2] .

وفي آخرَ : « إِنَّمَا ٱلصَّبْرُ عِنْدَ ٱلصَّدْمَةِ ٱلْأُولَىٰ »[3] ؛ أي : إنَّما يُحمَدُ الصبرُ عندَ مفاجأةِ المُصيبةِ ، وأمَّا فيما بعدُ . . فيقعُ السُّلوُّ طبعاً .

ومِنْ ثَمَّ قالَ : (ينبغي للعاقلِ أن يفعلَ بنفسِهِ أوَّلَ أيَّامِ المُصيبةِ ما يفعلُهُ الأحمقُ بعدَ خمسةِ أيَّامٍ)[4] .

وفي آخرَ : « إِنَّ ٱلضَّرْبَ عَلَى ٱلْفَخِذِ عِنْدَ ٱلْمُصِيبَةِ يُحْبِطُ ٱلْأَجْرَ »[5] .

[أجرُ الصبرِ علىٰ فَقْدِ الولدِ]

ورُوِيَ في حديثٍ : « مَنْ قَدَّمَ ثَلَاثَةً مِنَ ٱلْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا ٱلْحِنْثَ . . كَانُوا لَهُ حِصْناً مِنَ ٱلنَّارِ » قالَ أبو الدَّرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ : قدَّمتُ اثنينِ ؟ قالَ : « وَٱثْنَيْنِ » ، فقالَ آخرُ : إنِّي قدَّمتُ واحداً ، قال : « وَوَاحِداً ، وَلَٰكِنْ ذَٰلِكَ فِي أَوَّلِ صَدْمَةٍ »[6] .

---

(١) في النسخ : (أقروا عليه) ، والتصويب من « الزواجر » .

(٢) نقله ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (١/٣٥٣) ضمن الكبيرة (١١٨) .

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨٣) ، ومسلم (٩٢٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) انظر « الزواجر » (١/٣٥٤) ضمن الكبيرة (١١٨) .

(٥) أخرجه السمرقندي بإسناده في « تنبيه الغافلين » (ص ٢٦٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٣٩٠٣) عن سعيد بن يسار رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

(٦) أخرجه بنحوه ابن ماجه (١٦٩١) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٨٦٤) بلفظه عن سيدنا ←

وفِي حديثِ مسلمٍ : « إِنَّ ٱلْأَطْفَالَ دَعَامِيصُ ٱلْجَنَّةِ ـ أي : حُجَّابُ أبوابِها ـ يَتَلَقَّىٰ أَحَدُهُمْ أَبَاهُ ـ أو قالَ : أَبَوَيْهِ ـ فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ ـ أو قالَ : بِيَدِهِ ـ فَلَا يَنْتَهِي حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ ٱلْجَنَّةَ »[1] .

❁ ❁ ❁

وفي خبرِ مسلمٍ : أنَّهُ ماتَ ابنٌ لأبي طلحةَ مِنْ أمِّ سُليمٍ ، فقالَتْ : لا يُحدِّثُهُ إلَّا أنا ، فلمَّا جاءَ . . قرَّبَتْ إليهِ عشاءَهُ ، فأكلَ وشربَ ، ثمَّ تصنَّعَتْ لهُ أحسنَ ما كانَتْ تَتصنَّعُ قبلَ ذٰلكَ ، فوقعَ بها ، فلمَّا رأتْهُ أنَّهُ قد شبعَ وأصابَ منها . . قالَتْ : يا أبا طلحةَ ؛ أرأيتَ لو أنَّ قوماً أعاروا عاريَّتَهُم أهلَ بيتٍ ، فطلبوا عاريَّتَهُم . . ألهُم أن يمنعوهُم ؟ قالَ : لا .

قالَتْ أمُّ سُليمٍ : فاحتسبِ ابنَكَ ، فغضبَ ، ثمَّ انطلقَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فأخبرَهُ ، فقالَ : « بَارَكَ ٱللهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا »[2] .

[أردتُ أن أُرغِمَ الشيطانَ]

ورُوِيَ : أنَّ ابنَ عمرَ ضحكَ عندَ دفنِ ابنِهِ ، فقيلَ لهُ : أتضحكُ ؟! فقالَ : (أردتُ أن أُرغِمَ الشيطانَ)[3] .

← عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، **والقائل** : (قدمت واحداً) هو سيدنا أُبيُّ بن كعب ، سيد القُرَّاء رضي الله عنه ، وأصل الحديث في « الصحيحين » .

(١) صحيح مسلم (٢٦٣٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وقوله : (دعاميص) الواحد منهم : دُعموص بضم الدال ؛ أي : صغار أهلها ، **وأصل الدعموص** : دويبة تكون في الماء لا تفارقه ، **والمراد** : أن هٰذا الصغير لا يفارق الجنة . انظر « شرح النووي علىٰ مسلم » (١٨٢/١٦) .

(٢) صحيح مسلم (٢١٤٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) أورده الحافظ الذهبي في « كتاب الكبائر » (ص ٢٠٨) ضمن الكبيرة (٤٩) ، والعلامة ابن حجر في « الزواجر » (٣٥٥/١) ضمن الكبيرة (١١٨) .

وقال أبو عليٍّ الرازيُّ : (صحبتُ الفُضيلَ ثلاثينَ سنةً ما رأيتُهُ ضاحكاً ، ولا مُتبسِّماً ، ولا مُستبشِراً . . إلَّا يومَ ماتَ ابنُهُ عليٌّ ، فقلتُ لهُ في ذٰلكَ !! فقالَ : إنَّ اللهَ أحبَّ أمراً فأحببتُهُ)[1] .

[مصائبُ تجمَّعَتْ على امرأةٍ]

وحكى اليافعيُّ عن أبي الحسنِ السَّرَّاجِ قالَ : (خرجتُ حاجّاً إلىٰ بيتِ اللهِ الحرامِ ، فبينَما أنا أطوفُ . . إذا بامرأةٍ قد أضاءَ حسنُ وجهِها ، فقلتُ : واللهِ ؛ ما رأيتُ إلى اليومِ قطُّ نضارةً وحُسناً مثلَ هٰذهِ المرأةِ ، وما ذٰلكَ إلَّا لقلَّةِ الهمِّ والحُزنِ .

فسمعَتْ ذٰلكَ القولَ منِّي ، فقالَتْ : كيفَ ما قلتَ يا هٰذا الرجلُ ؟![2] إي واللهِ ؛ إنِّي لوثيقةٌ بالأحزانِ ، ومكلومةُ الفؤادِ بالهمومِ والأشجانِ ، ما يَشرَكُني فيها أحدٌ .

فقلتُ : وكيفَ ذٰلكَ ؟! قالَتْ : ذبحَ زوجي شاةً ضَحَّىٰ بها ، ولي ولدانِ صغيرانِ يلعبانِ ، وعلىٰ ثديي طفلٌ يرضعُ ، فقمتُ لأصنعَ طعاماً ؛ إذ قالَ ابني الكبيرُ للصغيرِ : أَلَا أُريكَ كيفَ صنعَ أبي بالشاةِ ؟ قالَ : بلىٰ ، فأضجعَهُ وذبحَهُ ، وخرجَ هارباً نحوَ الجبلِ ، فأكلَهُ الذِّئبُ ، فانطلقَ أبوه في طلبِهِ ، فأدركَهُ العطشُ فماتَ ، فوضعتُ الطفلَ وخرجتُ إلى البابِ أنظرُ ما فعلَ أبوهُ ، فدبَّ الطفلُ إلى البُرمَةِ وهيَ على النَّارِ ، فألقىٰ يدَهُ فيها ، وصبَّها علىٰ نفسِهِ وهيَ تغلي فانتثرَ لحمُهُ عن عَظْمِهِ ، فبلغَ ذٰلكَ ابنةً لي كانَتْ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/١٠٠) ، وأورده ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٤/٤٩) ، والمناوي في « فيض القدير » (٢/١٢٩) .

(٢) كذا في النسخ ، وفي « روض الرياحين » : (كيف قلت هٰذا يا رجل ؟) بحذف (ما) .

عندَ زوجِها ، فرمَتْ بنفسِها إلى الأرضِ ، فوافقَتْ أجلَها ، فأفردَني الدَّهرُ مِنْ بينِهِم .

فقلتُ لها : كيفَ صبرُكِ علىٰ هـٰذهِ المصائبِ العظيمةِ ؟ فقالَتْ : ما مِنْ أحدٍ ميَّزَ [بينَ] الصبرِ والجزعِ . . إلَّا وجدَ بينَهُما مِنهاجاً متفاوتاً ؛ فأمَّا الصبرُ بحسنِ العلانيةِ . . فمحمودُ العاقبةِ ، وأمَّا الجَزَعُ . . فصاحبُهُ غيرُ مُعوَّضٍ)[1] .

[أعظمُ الأعمالِ في الميزانِ فَقْدُ الوِلدانِ]

وحُكِيَ عن بعضِ المشايخِ : (أنَّهُ رأىٰ سفيانَ الثوريَّ في المنامِ ، فقالَ لهُ : كيفَ رأيتَ الموتَ ؟ فقالَ : أمَّا الموتُ . . فلا تسألْ عن عظمتِهِ وشِدَّتِهِ !!

فقالَ : أيُّ الأعمالِ وجدتَهُ أنفعَ ؟ فقالَ : كلُّ عملٍ صالحٍ أنفعُ ، ولـٰكنِّي نجوتُ مِنَ الحسابِ باسترجاعي وصبري عندَ مُصيبةِ ولدٍ لي ماتَ ، فقالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ : أنسيتَ وقد قبضتُ ثمرةَ فؤادِكَ فاسترجعتَ وحمدتَني ؟ اذهبْ فقد غفرتُ لكَ سيِّئاتِكَ ، وضاعفتُ حسناتِكَ ، ورفعتُ درجاتِكَ) .

غفرَ اللهُ سيِّئاتِنا ، وضاعفَ حسناتِنا ، ورفعَ درجاتِنا .

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ١٣٣) رقم الحكاية (٨٩) ، وتتمتها : قال : ثم أعرضت عني وهي تنشد : [من الطويل]

صبرتُ وكان الصبر غير معوَّل ... وهل جزع يُجدي عليَّ فأجزعُ
صبرتُ علىٰ من لو تحمَّلَ بعضه ... جبال شرود أصبحت تتصدَّعُ
ملكت دموعَ العين حتىٰ رددتها ... إلىٰ ناظري فالعينُ في القلب تدمعُ

خاتمة

[فيما يُقالُ عندَ المُصيبةِ]

قالَ أصحابُنا وغيرُهم : يَتأكَّدُ لِمَنِ ابتُليَ بمُصيبةٍ ؛ بميّتٍ أو في نفسِهِ ، أو أهلِهِ ، أو مالِهِ وإن خفَّتْ أن يُكثِرَ : إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ ، اللهمَّ ؛ اؤجرْني في مصيبتي ، واخلُفْ عليَّ خيراً منها ؛ لِما وعدَ اللهُ تعالىٰ مَنْ قالَ ذٰلكَ : بأنَّ عليهِم صلواتٍ مِنْ ربِّهِم ورحمةً ، وأنَّهُمُ المهتدونَ ؛ أي : للترجيعِ ، أو للجنَّةِ والثوابِ [1] ؛ ولخبرِ مسلمٍ : « إِنَّ مَنْ قَالَ ذَٰلِكَ . . آجَرَهُ ٱللهُ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْراً » [2] .

وأحمدُ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ وَلَا مُسْلِمَةٍ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَيَذْكُرُهَا وَإِنْ طَالَ عَهْدُهَا فَيَسْتَرْجِعُ . . إِلَّا جَدَّدَ ٱللهُ [لَهُ] عِنْدَ ذَٰلِكَ ، فَأَعْطَاهُ مِثْلَ أَجْرِهَا يَوْمَ أُصِيبَ » [3] .

وقالَ ابنُ جُبيرٍ : (لقد أُعطيَتْ هٰذهِ الأمَّةُ عندَ المُصيبةِ ما لم يُعطَهُ غيرُهُم : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [4] ، ولو أوتوهُ . . لقالَهُ يعقوبُ عليهِ السلامُ ، ولم يقلْ : ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾) [5] .

جعلَنا اللهُ وإيَّاكُم مِنَ الصابرينَ في الضَّرَّاءِ ، والشاكرينَ في السَّرَّاءِ .

---

(١) إشارة إلىٰ قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦ ـ ١٥٧] .

(٢) أخرجه مسلم (٤/٩١٨) عن أم المؤمنين سيدتنا أم سلمة رضي الله عنها .

(٣) مسند أحمد (٢٠١/١) عن سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما .

(٤) سورة البقرة : (١٥٦) .

(٥) سورة يوسف : (٨٤) ، والخبر أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١١٨٨١) .

فَصْلٌ

في التعزيةِ

أخرجَ الترمذيُّ عنِ ابنِ مسعودٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ عَزَّىٰ مُصَاباً . . فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ »(١) .

وهوَ عن أبي بَرزةَ : « مَنْ عَزَّىٰ ثَكْلَىٰ . . كُسِيَ بُرْداً [فِي ٱلْجَنَّةِ] »(٢) .

وابنُ ماجه والبيهقيُّ عن عمرِو بنِ حزمٍ : « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ . . إِلَّا كَسَاهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حُلَلِ ٱلْكَرَامَةِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »(٣) .

تَنْبِيهٌ

[في ذكرِ بعضِ سننِ التعزيةِ]

واعلمْ : أنَّ التعزيةَ ـ هيَ التصبيرُ وذِكْرُ ما يُسلِّي صاحبَ الميّتِ ، ويُخفِّفُ حُزنَهُ ، ويُهوِّنُ مصيبتَهُ ـ مُستحبَّةٌ قبلَ مضيِ ثلاثةِ أيَّامٍ مِنْ بعدِ الدَّفنِ ، وتُكرَهُ بعدَ مُضيِّها .

ويُسَنُّ أن يَعُمَّ بالتعزيةِ جميعَ أهلِ الميّتِ وأقاربِهِ ؛ الكبارِ والصغارِ ، والرِّجالِ والنِّساءِ .

ويُكرَهُ لهُمُ الجلوسُ لها ، وصُنْعُ طعامٍ يجمعونَ النَّاسَ عليهِ ؛ لِما روىٰ

---

(١) سنن الترمذي (١٠٧٣) .

(٢) سنن الترمذي (١٠٧٦) .

(٣) سنن ابن ماجه (١٦٨٧) ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٦٠٨١) ، ولم يعزه في « كنز العمال » (٤٢٦١٥) إلا لابن ماجه .

أحمدُ عن جريرِ بنِ عبدِ اللهِ البَجَليِّ قالَ : (كنَّا نعدُّ الاجتماعَ إلىٰ أهلِ الميِّتِ وصنعَهُمُ الطعامَ بعدَ دفنِهِ مِنَ النِّياحةِ)[1] .

ويُستحَبُّ لجيرانِ أهلِ الميِّتِ ولو أجانبَ ومعارفِهِمْ وإن لم يكونوا جيراناً ، وأقاربِهِ الأباعدِ وإن كانوا بغيرِ بلدِ الميِّتِ . . أن يصنعوا لأهلِهِ طعاماً يكفيهِم يوماً وليلةً[2] ، وأن يُلِحُّوا عليهِم في الأكلِ .

ويَحرُمُ صنعُهُ للنائحاتِ ؛ لأنَّهُ إعانةٌ علىٰ معصيةٍ .

فَصْلٌ

في زيارةِ القبورِ

أخرجَ العُقيليُّ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ أبو رَزينٍ[3] : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّ طريقي على الموتىٰ فهل مِنْ كلامٍ أتكلَّمُ بهِ إذا مررتُ عليهِم ؟ قالَ : « قُلِ : ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ ٱلْقُبُورِ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ ٱللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ » .

قالَ أبو رَزينٍ : يسمعونَ ؟! قالَ : « يَسْمَعُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا » ـ أي : جواباً يسمعُهُ الحيُّ ـ قالَ : « يَا أَبَا رَزِينٍ ؛ أَلَا تَرْضَىٰ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْكَ بِعَدَدِهِمْ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ ؟! »[4] .

---

(١) مسند أحمد (٢/٢٠٤) .

(٢) أخرجه الحاكم (١/٣٧٢) ، وأبو داوود (٣١٢٤) عن سيدنا عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال : لما نُعي جعفر . . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا لآل جعفرٍ طعاماً ؛ فقد أتاهم ما يشغلهم » .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (٤/٧٠) : (أبو رَزين آخر ، يقال : إنه كان من أهل الصفة . . .) ثم ذكر له حديثين ، والمذكور هنا هو ثانيهما .

(٤) أخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٤/١١٩١) .

وابنُ أبي الدُّنيا والبيهقيُّ عن محمدِ بنِ واسعٍ قالَ : (بلغَني : أنَّ الموتىٰ يعلمونَ بُزوَّارِهِم يومَ الجُمُعةِ ، ويوماً قبلَهُ ، ويوماً بعدَهُ)[1] .

والبيهقيُّ عن محمدِ بنِ النُّعمانِ مُرسَلاً : « مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدِهِمَا فِي كُلِّ جُمُعَةٍ . . غُفِرَ لَهُ ، وَكُتِبَ بَرّاً »[2] .

ورُوِيَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « آنَسُ مَا يَكُونُ ٱلْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ . . إِذَا زَارَهُ مَنْ كَانَ يُحِبُّهُ فِي ٱلدُّنْيَا »[3] .

وأخرجَ مسلمٌ عن أبي هريرةَ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خرجَ إلى المقبرةِ فقالَ : « ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ ٱللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ »[4] .

وزادَ ابنُ السُّنِّيِّ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : « ٱللَّهُمَّ ؛ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ »[5] .

وابنُ أبي شيبةَ عنِ الحسنِ قالَ : (مَنْ دخلَ المقابرَ فقالَ : اللهمَّ ؛ ربَّ الأجسادِ الباليةِ ، والعظامِ النَّخِرةِ ، التي خرجَتْ مِنَ الدُّنيا وهيَ بكَ مؤمنةٌ ؛ أدخلْ عليها رَوْحاً مِنْ عندِكَ ، وسلاماً منِّي . . استغفرَ لهُ كلُّ مؤمنٍ ماتَ منذُ خلقَ اللهُ آدمَ) عليهِ السلامُ[6] .

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٦٢) ، وأورده السيوطي في « الحاوي للفتاوي » (٢/١٧٠) بسند ابن أبي الدنيا ، وعزاه في « شرح الصدور » (ص ٣٨٧) له وللبيهقي .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٥٢٢) .

(٣) أورده الطائي في « الأربعين » (ص ١٣٨) بصيغة التمريض دون عزو .

(٤) صحيح مسلم (٢٤٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) أخرجه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٥٩١) بلفظ : (ولا تُضلَّنا بعدهم) .

(٦) مصنف أبي شيبة (٣٦٣٥٦) .

وأخرجَهُ ابنُ أبي الدُّنيا بلفظِ : (كتبَ اللهُ لهُ بعددِ مَنْ ماتَ مِنْ لَدُنْ آدمَ إلىٰ أن تقومَ الساعةُ حسناتٍ)[1] .

[معاتبةُ أهلِ القبورِ لرجلٍ تركَ الدعاءَ لهُم ليلةً]

والبيهقيُّ عن بشرِ بنِ منصورٍ قالَ : (كانَ رجلٌ يَختلفُ إلى الجبَّانِ ، فيشهدُ الصَّلاةَ على الجنائزِ ، فإذا أمسىٰ . . وقفَ علىٰ بابِ المقابرِ فقالَ : آنسَ اللهُ وحشتَكُم ، ورحمَ اللهُ غُرْبتَكُم ، وتجاوزَ اللهُ عن سيِّئاتِكُم ، وقَبِلَ اللهُ حسناتِكُم ، لا يزيدُ علىٰ هٰؤلاءِ الكلماتِ .

قالَ ذٰلكَ الرَّجلُ : فأمسيتُ ذاتَ ليلةٍ ، فانصرفتُ إلىٰ أهلي ولم آتِ المقابرَ ، فبينَما أنا نائمٌ . . إذ أنا بخَلْقٍ كثيرٍ جاؤوني ، قلتُ : مَنْ أنتُم ، وما حاجتُكُم ؟!

قالوا : نحنُ أهلُ المقابرِ ، [قلتُ : ما جاءَ بكُم ؟ قالوا : إنَّكَ] قد عوَّدتَنا منكَ هديَّةً عندَ انصرافِكَ إلىٰ أهلِكَ .

قلتُ : وما هيَ ؟ قالوا : الدعواتُ التي كنتَ تدعو بها ، قلتُ : فأنا أعودُ لذٰلكَ ، قالَ : فما تركتُها بعدُ)[2] .

وقالَ محمدُ بنُ أحمدَ المَرْوَرُّوذي : سمعتُ أحمدَ ابنَ حنبلٍ يقولُ : (إذا دخلتُمُ المقابرَ . . فاقرؤوا بـ « فاتحةِ الكتابِ » و« الإخلاصِ » و« المُعوِّذتَينِ » ، واجعلوا ثوابَ ذٰلكَ لأهلِ المقابرِ ؛ فإنَّهُ يَصِلُ إليهِم)[3] .

---

(1) أورده السيوطي في « شرح الصدور » (ص ٤١٧) وعزاه لابن أبي الدنيا .

(2) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٥٩) ، وانظر « روض الرياحين » (ص ١٩٤) رقم الحكاية (١٥٦) ففيه زيادة فائدة .

(3) انظر « إحياء علوم الدين » (٤٦٤/٩) ، وقد عزاه الحافظ السيوطي في « شرح الصدور » ←

فالاختيارُ : أن يقولَ القارئُ بعدَ فراغِهِ : (اللهمَّ ؛ أوصلْ ثوابَ ما قرأتُهُ إلىٰ فلانٍ) .

[هدايا الأحياءِ للأمواتِ]

وحكىٰ بعضُ أهلِ العلمِ : (أنَّ رجلاً رأىٰ في النومِ أهلَ القبورِ في بعضِ المقابرِ قد خرجوا مِنْ قبورِهِم إلىٰ ظاهرِ المقبرةِ ، وإذا بهِم يلتقطونَ شيئاً ما يدري ما هوَ .

قالَ : فتعجَّبتُ مِنْ ذٰلكَ ، ورأيتُ رجلاً منهُم جالساً لا يلتقطُ معَهُم شيئاً ، فدنوتُ منهُ وسألتُهُ : ما الذي يلتقطُ هٰؤلاءِ ؟ فقالَ : يلتقطونَ ما يُهدي إليهِمُ المسلمونَ ؛ مِنْ قراءةِ القرآنِ والصدقةِ والدعاءِ .

قالَ : فقلتُ لهُ : فلِمَ لا تلتقطُ أنتَ معَهُم ؟ قالَ : أنا غنيٌّ عن ذٰلكَ .

فقلتُ : بأيِّ شيءٍ أنتَ غنيٌّ ؟ قالَ : بختمةٍ يقرؤُها ولدي ويُهديها إليَّ كلَّ يومٍ .

قلتُ : فأينَ ولدُكَ ؟ قالَ : ولدي يبيعُ الزَّلابِيَةَ في السوقِ الفلانيِّ [1] .

فلمَّا استيقظتُ . . ذهبتُ إلى السوقِ حيثُ ذَكَرَ ؛ فإذا بشابٍّ يبيعُ الزَّلابِيَةَ

← (ص ٥٤٩) لعبد الحق في « العاقبة » ، وذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في « الأربعين المتباينة السماع » (ص ٨٥) وعزاه للخلال ، وقال : (وروىٰ أيضاً عن الزعفراني قال : سألت الشافعي رضي الله عنه عن القراءة عند القبر ، فقال : لا بأس به حسن . . .) .

(١) الزلابية : حلواء تصنع من عجين رقيق ، تصب في الزيت وتقلىٰ ، ثم تعقد بالدبس ، ومنها (العوامة) بلسان أهل الشام .

ويُحرِّكُ شفتَيهِ ، فقلتُ : بأيِّ شيءٍ تُحرِّكُ شفتَيكَ ؟ قالَ : أقرأُ القرآنَ وأُهديهِ إلىٰ والدي في قبرِهِ .

قالَ : فلبثتُ مُدَّةً مِنَ الزمانِ ، ثمَّ رأيتُ الموتىٰ قد خرجوا مِنَ القبورِ [يلتقطونَ] كما تقدَّمَ ، وإذا بالرَّجلِ الذي كانَ لا يلتقطُ . . صار يلتقطُ ، فاستيقظتُ وتعجَّبتُ مِنْ ذٰلكَ ، ثمَّ ذهبتُ إلى السوقِ لأتعرَّفَ خبرَ ولدِهِ ، فوجدتُهُ قد ماتَ)[١] .

[هديَّةُ زوجٍ لامرأتِهِ بعدَ وفاتِها]

وحُكِيَ : (أنَّ بعضَ النِّساءِ تُوفِّيَتْ ، فرأَتْها في المنامِ امرأةٌ تعرفُها ؛ فإذا عندَها تحتَ السريرِ آنيةٌ مِنْ نورٍ مُغطَّاةٌ ، فسألَتْهَا : ما هٰذهِ الأوعيةُ ؟ فقالَتْ : فيها هديَّةٌ ، أهداها إليَّ أبو أولادي البارحةَ .

فلمَّا استيقظَتِ المرأةُ . . ذكرَتْ ذٰلكَ لزوجِ الميّتةِ ، فقالَ : قرأتُ البارحةَ شيئاً مِنَ القرآنِ وأهديتُها إليها)[٢] .

خاتمة

[في التحذيرِ مِنْ وطءِ القبورِ والجلوسِ عليها]

أخرجَ أبو داوودَ والنَّسائيُّ عنِ ابنِ عباسٍ قالَ : (لعنَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ زائراتِ القبورِ ، والمُتَّخذينَ عليها المساجدَ والسُّرُجَ)[٣] .

---

(١) ذكرها الإمام اليافعي في « روض الرياحين » (ص ١٩٤ ـ ١٩٥) رقم الحكاية (١٥٧) .

(٢) ذكرها أيضاً الإمام اليافعي في « روض الرياحين » (ص ١٩٥) رقم الحكاية (١٥٨) .

(٣) سنن أبي داوود (٣٢٢٨) ، وأخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٢١٨١) .

ومسلمٌ : « لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ جَمْرَةٍ فَتَحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إِلَىٰ جِلْدِهِ .. خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَىٰ قَبْرٍ »(١) .

وابنُ مَنْدَهْ عنِ القاسمِ بنِ مُخيمِرةَ قالَ : (لأن أطأَ علىٰ سِنانٍ مُحمّىً حتىٰ يبيدَ مِنْ قدمي .. أحبُّ إليَّ مِنْ أن أطأَ علىٰ قبرٍ ، وإنَّ رجلاً وَطِئَ علىٰ قبرٍ وإنَّ قلبَهُ ليقظانُ .. إذ سمعَ صوتاً مِنَ القبرِ : إليكَ عنّي ولا تُؤذِني)(٢) .

تنبيهان

أحدُهُما

[حُرمةُ الصَّلاةِ إلىٰ قبورِ الأنبياءِ وإيقادِ السُّرُجِ عليها]

إنَّهُ قالَ أصحابُنا : تَحرُمُ الصَّلاةُ إلىٰ قبورِ الأنبياءِ والأولياءِ والشهداءِ والعلماءِ تَبرُّكاً بذي القبرِ وإعظاماً لهُ ، وإيقادُ السِّراجِ على القبورِ تَبرُّكاً وتعظيماً لهُ وإن قلَّ(٣) .

وثانيهما

[في حكمِ الجلوسِ على القبورِ]

قالَ جماعةٌ مِنْ أصحابِنا وتبعَهُمُ النوويُّ في « شرحِ مسلمٍ » بحُرمةِ

---

(١) صحيح مسلم (٩٧١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرج أوله أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦/٨٠) ، وأورده بتمامه السيوطي في « شرح الصدور » (ص ٥٣١) ، والعجلوني في « كشف الخفا » (١/٢٥٦) وعزياه لابن منده .

(٣) ذكر ذلك العلامة ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (١/٣٢٣) ضمن الكبيرة (٩٨) ، ثم قال : (فيحمل قول أصحابنا بكراهة ذلك علىٰ ما إذا لم يقصد به تعظيماً وتبركاً بذي القبر) .

الجلوسِ والوطءِ على القبرِ[١] ، وجزمَ آخَرونَ كالنوويِّ في غيرِهِ بالكراهةِ بلا حاجةٍ[٢] .

وفَّقَنا اللهُ لطاعتِهِ ، وأنالَنا مِنْ سوابغِ رضاهُ وهباتِهِ ، وحمانا مِنْ مُوجِباتِ سخطِهِ وأليمِ عقوباتِهِ ، آمينَ .

❋ ❋ ❋

---

(١) شرح النووي على مسلم (٧/٢٧) .

(٢) قوله : (في غيره) أي : في غير « شرحه لمسلم » ، قال في « روضة الطالبين » (٢/١٦٤) : (القبر محترم توقيراً للميت ، فيكره الجلوس عليه والاتكاء ووطؤه إلا لحاجة ؛ بألَّا يصل إلىٰ قبر ميته إلا بوطئه ، قلت : وكذا يكره الاستناد إليه ، قاله أصحابنا ، والله أعلم) .

بابُ الزَّكاةِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[1] سمَّاهُمُ المشركينَ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[2] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[3] .

[إثمُ مانعِ الزَّكاةِ]

وأخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ . . صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، فَيُكْوَىٰ بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ ـ أي : يُوسَّعُ جسمُهُ لها كلِّها وإن كثُرَتْ ـ كُلَّمَا بَرَدَتْ . . أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ؛ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ : إِمَّا إِلَى ٱلْجَنَّةِ ، وَإِمَّا إِلَى ٱلنَّارِ » .

---

(١) سورة فصلت : (٦ ـ ٧) .

(٢) سورة آل عمران : (١٨٠) ، وهـٰكذا جاءت في النسخ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ بالتاء علىٰ قراءة حمزة رحمه الله تعالىٰ .

(٣) سورة التوبة : (٣٤ ـ ٣٥) .

قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ فالإبلُ ؟ قالَ : « وَلَا صَاحِبُ إِبْلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا ـ وَمِنْ حَقِّهَا : حَلْبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا ـ إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ . . بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلاً وَاحِداً ، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا ، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا . . رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ : إِمَّا إِلَى ٱلْجَنَّةِ ، وَإِمَّا إِلَى ٱلنَّارِ » .

قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ فالبقرُ والغنمُ ؟ قالَ : « وَلَا صَاحِبُ بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ . . بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئاً ، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ وَلَا جَلْحَاءُ وَلَا عَضْبَاءُ ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا ، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا . . رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ : إِمَّا إِلَى ٱلْجَنَّةِ ، وَإِمَّا إِلَى ٱلنَّارِ »(١) .

والبخاريُّ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَنْ آتَاهُ ٱللهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ . . مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ شُجَاعاً أَقْرَعَ ، لَهُ زَبِيبَتَانِ ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ ـ أي : شِدْقَيهِ ـ ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا مَالُكَ ، أَنَا كَنْزُكَ »(٢) .

والشيخانِ عنِ الأحنفِ بنِ قيسٍ قالَ : جلستُ إلىٰ ملأٍ مِنْ قريشٍ ، فجاءَ رجلٌ [خَشِنُ] الشعرِ والثيابِ والهيئةِ(٣) ، حتىٰ قامَ عليهِم فسلَّمَ ثمَّ قالَ : « بَشِّرِ ٱلْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَىٰ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يُوضَعُ عَلَىٰ حَلَمَةِ

---

(١) صحيح البخاري بنحوه (١٤٠٢) ، وصحيح مسلم (٩٨٧) بلفظه .

(٢) صحيح البخاري (٤٥٦٥) .

(٣) في النسخ : (حسن الشعر . . .) ، والمثبت من « الصحيحين » .

ثَدْيِ أَحَدِهِمْ ؛ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ نُغْضِ كَتِفِهِ ، وَيُوضَعُ عَلَىٰ نُغْضِ كَتِفِهِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةِ ثَدْيِهِ ، فَيَتَزَلْزَلُ » ثمَّ ولَّىٰ فجلسَ إلىٰ ساريةٍ ، وتبعتُهُ وجلستُ إليهِ وأنا لا أدري مَنْ هوَ ، فقلتُ لهُ : لا أرى القومَ إلَّا قد كرهوا الذي قلتَ ؟! قالَ : إنَّهم لا يعقلونَ شيئاً [١] .

والبيهقيُّ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : (ما خالطَتِ الصَّدقةُ ـ أو قالَتِ : الزَّكاةُ ـ مالاً . . إلَّا أفسدَتْهُ) [٢] ؛ أي : ما تُرِكَتْ في مالٍ ولم تُخرَجْ منهُ . . إلَّا أهلكَتْهُ .

والطبرانيُّ عن أنسٍ : « مَانِعُ ٱلزَّكَاةِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِي ٱلنَّارِ » [٣] .

وصحَّ عنِ ابنِ مسعودٍ : (أُمرنا بإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ ، ومَنْ لم يُزَكِّ . . فلا صلاةَ لهُ) [٤] .

وفي روايةٍ عن عبدِ اللهِ : (مَنْ أقامَ الصَّلاةَ ولم يُؤْتِ الزَّكاةَ . . فليسَ بمسلمٍ ينفعُهُ عملُهُ) [٥] .

[مانعُ الزَّكاةِ يَسألُ الرَّجعةَ عندَ الموتِ]

ورُوِيَ عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : (مَنْ كانَ لهُ مالٌ يُبلِّغُهُ حجَّ بيتِ اللهِ ولم يَحُجَّ ، أو تجبُ فيهِ الزَّكاةُ ولم يُزَكِّ . . سألَ الرَّجعةَ عندَ الموتِ) .

---

(١) صحيح البخاري (١٤٠٧) ، وصحيح مسلم (٩٩٢) .
(٢) سنن البيهقي (٤/١٥٩) برقم (٧٧٤١) .
(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الصغير » (٢/٥٨) .
(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/١٠٣) .
(٥) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٩/١٩٩) ، والأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (١٤٥٠) .

فقالَ لهُ رجلٌ : اتقِ اللهَ يا بنَ عباسٍ ؛ فإنَّما يَسألُ الرَّجعةَ الكفَّارُ ؟! فقالَ ابنُ عباسٍ : (سأتلو عليكَ بذٰلكَ قرآناً ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ﴾ أي : أؤدِّيَ الزَّكاةَ ، ﴿ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾) أي : أَحُجَّ[1] .

[قصَّةٌ فيها عبرةٌ لمانعي الزَّكاةِ]

وحكىٰ شيخُنا ابنُ حجرٍ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : (أنَّ جماعةً مِنَ التابعينَ خرجوا لزيارةِ أبي سِنانٍ ، فلمَّا دخلوا عليهِ وجلسوا عندَهُ . . قالَ : قوموا بنا نزورُ جاراً لنا ماتَ أخوهُ ونُعزِّيهِ .

قالَ محمدُ بنُ يوسفَ [الفِريابيُّ][2] : فقمنا معَهُ ، ودخلنا علىٰ ذٰلكَ الرَّجلِ ، فوجدناهُ كثيرَ البكاءِ والجَزَعِ علىٰ أخيهِ ، فجعلنا نُعزِّيهِ ونُسلِّيهِ وهوَ لا يقبلُ تسليةً ولا عزاءً .

فقلنا لهُ : أما تعلمُ أنَّ الموتَ سبيلٌ لا بُدَّ منهُ ؟! قالَ : بلىٰ ، ولٰكنْ أبكي علىٰ ما أصبحَ وأمسىٰ فيهِ أخي مِنَ العذابِ .

فقلنا لهُ : قد أطلعَكَ اللهُ على الغيبِ ؟! قالَ : لا ، ولٰكنْ لمَّا دفنتُهُ وسوَّيتُ عليهِ الترابَ وانصرفَ النَّاسُ عنهُ . . جلستُ عندَ قبرِهِ ؛ وإذا صوتٌ مِنْ قبرِهِ يقولُ : آهِ ؛ أفردوني وحيداً أُقاسي العذابَ ، قد كنتُ أصومُ ، قد كنتُ أُصلِّي !!

---

(١) سورة المنافقون : (١٠) ، والحديث أخرجه الترمذي (٣٣١٦) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١١٤/١٢) .

(٢) في النسخ : (الغرباني) ، والمثبت من المصادر ، وهو شيخ الإمام البخاري رحمهما الله تعالىٰ .

قالَ : فأبكاني كلامُهُ ، فنبشتُ الترابَ عنهُ لأنظرَ ما حالُهُ ؛ وإذا القبرُ يَلمعُ فيهِ ناراً ، وفي عنقِهِ طوقٌ مِنْ نارٍ ، فحملَتْني شفقةُ الأخوَّةِ ومددتُ يدي ؛ لأرفعَ الطوقَ مِنْ رقبتِهِ ، فاحترقَتْ أصابعي ويدي ، ثـمَّ أخرجَ إلينا يدَهُ ؛ فإذا هيَ سوداءُ مُحترِقةٌ .

قالَ : فرددتُ عليهِ الترابَ وانصرفتُ ؛ فكيفَ لا أبكي علىٰ حالِهِ وأحزنُ عليهِ ؟!

فقلنا : فما كانَ أخوكَ يعملُ في الدُّنيا ؟ قالَ : كانَ لا يُؤدِّي الزَّكاةَ مِنْ مالِهِ ، قالَ : فقلنا : هـٰذا تصديقُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾)[1] .

خاتمة

في ذمِّ البُخلِ

أخرجَ ابنُ عَديٍّ : « لَا يَجْتَمِعُ ٱلْإِيمَانُ وَٱلْبُخْلُ فِي قَلْبِ رَجُلٍ مُؤْمِنٍ أَبَداً »[2] .

---

(١) سورة آل عمران : (١٨٠) ، والقصة ذكرها الحافظ الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٣٩ ـ ٤٠) في الكبيرة الخامسة ، وابن حجر الهيتمي (١/٣٧٧ ـ ٣٧٨) ضمن الكبيرة (١٢٨) ، وأوردا لها تتمة : (قال : ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكرنا له قضية الرجل) ، ولعله سبق قلم ؛ فلقد ذكرها الحافظ ابن رجب في « أهوال القبور » (ص ٦٦) مختصرة ، وقال : (قلت للأوزاعي : هـٰؤلاء اليهود والنصارىٰ يموت الميت منهم فلا يسمع هـٰذا منهم ؟! فقال : إن اليهود والنصارىٰ لا يشك أنهم صاروا إلى النار ، وهـٰذا يريد الله أن يعظكم في ملتكم) وهـٰذا أصح ؛ لمعاصرتهم للأوزاعي وتأخرهم عن زمن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه .

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال (٥/٣٢٩) عن عبد الغفور بن عبد العزيز بن سعيد الأنصاري عن أبيه وجده .

وأبو يعلىٰ : « مَا مَحَقَ ٱلْإِسْلَامَ مَحْقَ ٱلشُّحِّ شَيْءٌ »[1] .

والخطيبُ : « يَقُولُونَ ـ أَوْ يَقُولُ قَائِلُكُمْ ـ : ٱلشَّحِيحُ أَعْذَرُ مِنَ ٱلظَّالِمِ ، وَأَيُّ ظُلْمٍ أَظْلَمُ عِنْدَ ٱللهِ مِنَ ٱلشُّحِّ ؟! يَحْلِفُ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِعِزَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ : أَلَّا يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ شَحِيحٌ وَلَا بَخِيلٌ »[2] .

والديلميُّ : « ٱلْوَيْلُ كُلُّ ٱلْوَيْلِ لِمَنْ تَرَكَ عِيَالَهُ بِخَيْرٍ وَقَدِمَ عَلَىٰ رَبِّهِ بِشَرٍّ »[3] .

والطبرانيُّ والبيهقيُّ : « صَلَاحُ أَوَّلِ هَـٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ بِٱلزُّهْدِ وَٱلْيَقِينِ ، وَيَهْلِكُ آخِرُهَا بِٱلْبُخْلِ وَٱلْأَمَلِ »[4] .

فَصْلٌ

[في نصابِ الذَّهبِ والفضَّةِ وأحكامٍ أُخرىٰ]

اعلمْ : أنَّهُ تجبُ الزَّكاةُ في الذَّهبِ إذا بلغَ عشرينَ مِثقالاً ، وفي الفضَّةِ إذا بلغَتْ مئتَيْ درهمٍ ، ففيهِما يجبُ رُبُعُ عشرِهِما إذا تمَّ حولٌ بعدَ أن ملكَهُما .

وأنَّهُ لا يجوزُ لهُ تأخيرُها بعدَ تمامِهِ ؛ لِما روىٰ أحمدُ وابنا خُزيمةَ وحِبَّانَ وأبو يعلىٰ عنِ ابنِ مسعودٍ : (إنَّ لاويَ الزَّكاةِ ـ أي : مُؤخِّرَها ـ مِنْ

---

(١) مسند أبي يعلىٰ (٣٤٨٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٧٤٠٧) وعزاه للخطيب في كتاب « البخلاء » عن أبي الزاهرية عن أبي شجرة .

(٣) أورد الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٧٢٧٥) ، وأخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (٣١٤) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٦٤٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٠٤٦) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

جملةِ الملعونينَ علىٰ لسانِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[١] .

ومِنْ ثَمَّ جزمَ بعضُهم بعدِّهِ كبيرةً ؛ فإن أخَّرَها وهوَ قادرٌ علىٰ أدائِها . . ضمنَها .

ولوِ امتنعَ مِنْ أدائِها جاحداً وجوبَها . . كفرَ وقُتِلَ بكفرِهِ كما يُقتَلُ المُرتَدُّ ، وإن منعَها بُخلاً بها . . أُخِذَتْ منهُ قهراً وعُزِّرَ ، فإنِ امتنعَ بمَنَعةٍ . . قاتلَهُ الإمامُ .

وأنَّهُ يُشترَطُ في صرفِ الزَّكاةِ نيَّةُ زكاةِ المالِ ، أو صدقةِ المالِ المفروضةِ عندَ دفعِها ، أو عزلِها ، أو إعطائِها الوكيلَ ، فلو تصدَّقَ بجميعِ مالِهِ ولم ينوِ الزَّكاةَ . . لم تسقطْ زكاتُهُ .

وإعطاؤُها للمُستحِقِّينَ ؛ فلو أعطاها لكافرٍ أو عبدٍ غيرِ مُكاتَبٍ ، أو مَكفيٍّ بنفقةِ زوجٍ أو قريبٍ ، أو غنيٍّ ملكَ كفايةَ العمْرِ الغالبِ ، أو وجدَ كسباً لائقاً حلالاً يقعُ موقعاً مِنْ حاجتِهِ ، أو لهاشميٍّ أو مُطَّلبيٍّ أو مواليهِما . . لم يقعْ عنِ الزَّكاةِ .

وحكى الحِصنيُّ : (أنَّهُ كانَ بعضُ النَّاسِ يُخرِجُ زكاتَهُ ثلاثَ مراتٍ ، ويقولُ : يَحتمِلُ أنَّ الذي أخذَها غيرُ مُستحِقٍّ)[٢] ، ومَنْ يقدرُ علىٰ هٰذهِ العقوباتِ ؟!

---

(١) صحيح ابن خزيمة (٢٢٥٠) ، وصحيح ابن حبان (٣٢٥٢) ، ومسند أحمد (١/٤٠٩) ، ومسند أبي يعلىٰ (٥٢٤١) كلهم بلفظ : (آكل الربا وموكله ، وشاهداه إذا علماه ، والواشمة والمستوشمة ، ولاوي الصدقة ، والمرتد أعرابياً بعد الهجرة . . ملعونون علىٰ لسان محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة) .

(٢) قال في « كفاية الأخيار » (ص ٢٨٤) : (فإن دفع زكاته لغير مستحقها لفقد الشروط المعتبرة . . لم تبرأ ذمته منها) .

فبادرِ ابنَ آدمَ إلىٰ تخليصِ ذِمَّتكَ بأداءِ زكاةِ مالِكَ قبلَ أن يأتيَ بغتةً عذابُ ربّكَ .

فَصْلٌ
في صدقةِ التطوُّعِ

أخرجَ الطبرانيُّ عن أنسٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تَصَدَّقُوا ؛ فَإِنَّ ٱلصَّدَقَةَ فِكَاكُكُمْ مِنَ ٱلنَّارِ »(١) .

والشيخانِ عن عَديّ بنِ حاتِمٍ : « ٱتَّقُوا ٱلنَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ؛ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا . . فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ »(٢) .

والقُضاعيُّ عن أبي هريرةَ : « ٱلصَّدَقَةُ تَمْنَعُ مِيتَةَ ٱلسُّوءِ »(٣) .

والطبرانيُّ عن عُقبةَ بنِ عامرٍ : « إِنَّ ٱلصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ ٱلْقُبُورِ ، وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ ٱلْمُؤْمِنُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ »(٤) .

والبيهقيُّ عن أبي هريرةَ : « مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ ٱلْمُسْلِمَ شَهْوَتَهُ . . حَرَّمَهُ ٱللهُ عَلَى ٱلنَّارِ »(٥) .

والنَّسائيُّ والحاكمُ عنِ ابنِ عمرَ : « مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ ٱلْخُبْزَ حَتَّىٰ يُشْبِعَهُ ، وَسَقَاهُ مِنَ ٱلْمَاءِ حَتَّىٰ يُرْوِيَهُ . . بَعَّدَهُ ٱللهُ مِنَ ٱلنَّارِ سَبْعَ خَنَادِقَ ، كُلُّ خَنْدَقٍ سَبْعُ مِئَةِ عَامٍ »(٦) .

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٠٥٦) .

(٢) صحيح البخاري (٦٠٢٣) ، وصحيح مسلم (١٠١٦) واللفظ له .

(٣) مسند الشهاب (٩٨) .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٨٦/١٧) .

(٥) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣١٠٩) .

(٦) أورده بلفظه المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٦٠٤٣) وعزاه للنسائي والحاكم ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٥١٤) .

وفي روايةٍ : « مَا بَيْنَ كُلِّ خَنْدَقَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ »[1] .

والنَّسائيُّ عنِ ابنِ عباسٍ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِماً ثَوْباً . . إِلَّا كَانَ فِي حِفْظِ ٱللهِ تَعَالَىٰ مَا دَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ خِرْقَةٌ »[2] .

[الحثُّ على الصدقاتِ]

والعُقيليُّ عنِ ابنِ عمرَ : « كَمْ مِنْ حَوْرَاءَ عَيْنَاءَ مَا كَانَ مَهْرُهَا إِلَّا قَبْضَةً مِنْ حِنْطَةٍ أَوْ مِثْلَهَا مِنْ تَمْرٍ !! »[3] .

وأبو داوودَ والترمذيُّ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ : « أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِناً عَلَىٰ جُوعٍ . . أَطْعَمَهُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مِنْ ثِمَارِ ٱلْجَنَّةِ ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَىٰ مُؤْمِناً عَلَىٰ ظَمَأٍ . . سَقَاهُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مِنَ ٱلرَّحِيقِ ٱلْمَخْتُومِ ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِناً عَلَىٰ عُرْيٍ . . كَسَاهُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مِنْ حُلَلِ ٱلْجَنَّةِ »[4] .

وأبو داوودَ وابنُ حِبَّانَ عن أبي سعيدٍ : « لَأَنْ يَتَصَدَّقَ ٱلرَّجُلُ فِي حَيَاتِهِ وَصِحَّتِهِ بِدِرْهَمٍ . . خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمِئَةٍ عِنْدَ مَوْتِهِ »[5] .

والشيخانِ عن حارثةَ : « تَصَدَّقُوا ؛ فَسَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي ٱلرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ فَيَقُولُ ٱلَّذِي يَأْتِيهِ بِهَا : لَوْ جِئْتَ بِٱلْأَمْسِ . . لَقَبِلْتُهَا ، فَأَمَّا ٱلْآنَ . . فَلا حَاجَةَ لِي فِيهَا ، فَلَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا »[6] .

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/١٢٩) لكن عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٨٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٨٧٥) ، ولم يعزه في كتب التخريج للنسائي .

(٣) ضعفاء العقيلي (١/٥٢ ـ ٥٣) في ترجمة (أبان بن المحبر) .

(٤) سنن أبي داوود (١٦٧٩) ، وسنن الترمذي (٢٤٤٩) واللفظ له .

(٥) صحيح ابن حبان (٣٣٣٤) ، وسنن أبي داوود (٢٨٥٨) .

(٦) صحيح البخاري (١٤٢٤) ، وصحيح مسلم (١٠١١) عن سيدنا حارثة بن وهب رضي الله عنه .

والبيهقيُّ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ بِصَدَقَةٍ أَوْ صِلَةٍ . . إِلَّا زَادَهُ ٱللهُ بِهَا كَثْرَةً ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً . . إِلَّا زَادَهُ ٱللهُ بِهَا قِلَّةً »(١) .

والطبرانيُّ عن أبي أُمامةَ : « لَوْلَا أَنَّ ٱلْمَسَاكِينَ يَكْذِبُونَ . . مَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّهُمْ »(٢) .

والبيهقيُّ عنِ ابنِ عمرَ : « مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ ٱللهِ فَأَعْطَىٰ . . كُتِبَ لَهُ سَبْعُونَ حَسَنَةً »(٣) .

وأحمدُ والترمذيُّ عن سلمانَ بنِ عامرٍ : « ٱلصَّدَقَةُ عَلَى ٱلْمَسَاكِينِ صَدَقَةٌ ، وَهِيَ عَلَىٰ ذِي ٱلرَّحِمِ ثِنْتَانِ : صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ »(٤) .

وابنُ حِبَّانَ : « صَدَقَةُ ٱلسِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ ٱلرَّبِّ ، وَصِلَةُ ٱلرَّحِمِ تَزِيدُ فِي ٱلْعُمْرِ ، وَفِعْلُ ٱلْمَعْرُوفِ يَقِي مَصَارِعَ ٱلسُّوءِ »(٥) .

وابنُ عَديٍّ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « أَعْطُوا ٱلسَّائِلَ وَإِنْ جَاءَ عَلَىٰ فَرَسٍ »(٦) .

وهوَ عن جابرٍ : « إِذَا أَتَاكُمُ ٱلسَّائِلُ . . فَضَعُوا فِي يَدِهِ وَلَوْ ظِلْفاً مُحَرَّقاً »(٧) .

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣١٤٠) .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨/٢٤٦) .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٢٦٢) .

(٤) سنن الترمذي (٦٥٨) ، ومسند أحمد (٤/١٧) .

(٥) صحيح ابن حبان بنحوه مختصراً (٣٣٠٩) ، وأخرجه بلفظه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣١٦٨) .

(٦) الكامل في ضعفاء الرجال (٤/١٨٧) ، وأخرجه عبد الرزاق (٢٠٠١٧) عن زيد بن أسلم مرسلاً .

(٧) الكامل في ضعفاء الرجال (٧/٩٧) .

وابنُ عساكرَ عنِ ابنِ عمرٍو رضيَ اللهُ عنهُما : « مَا عَلَىٰ أَحَدِكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَصَدَّقَ لِلهِ صَدَقَةَ تَطَوُّعٍ . . أَنْ يَجْعَلَهَا عَنْ وَالِدَيْهِ إِذَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ ؛ فَيَكُونَ أَجْرُهَا لَهُمَا ، وَلَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمَا بِغَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمَا شَيْئاً »(١) .

والبزَّارُ : « سَبْعٌ يَجْرِي [أَجْرُهُنَّ] لِلْعَبْدِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ : مَنْ عَلَّمَ عِلْماً ، أَوْ كَرَىٰ نَهْراً ـ أي : حفرَهُ ـ أَوْ حَفَرَ بِئْراً ، أَوْ غَرَسَ نَخْلاً ، أَوْ بَنَىٰ مَسْجِداً ، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفاً ، أَوْ تَرَكَ وَلَداً يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ »(٢) .

[اسقِ حديقةَ فلانٍ]

ومسلمٌ عن أبي هريرةَ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ ، فَسَمِعَ صَوْتاً فِي سَحَابَةٍ يَقُولُ : ٱسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ ، فَتَنَحَّىٰ ذَٰلِكَ ٱلسَّحَابُ ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ ؛ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ ٱلشِّرَاجِ قَدِ ٱسْتَوْعَبَتْ ذَٰلِكَ ٱلْمَاءَ ، فَتَتَبَّعَ ٱلْمَاءَ ؛ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ ٱلْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ ٱللهِ ؛ مَا ٱسْمُكَ ؟ قَالَ : فُلَانٌ ـ ٱلِاسْمُ ٱلَّذِي سَمِعَ فِي ٱلسَّحَابَةِ ـ فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ ٱللهِ ؛ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ ٱسْمِي ؟ قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتاً فِي ٱلسَّحَابِ ٱلَّذِي هَٰذَا مَاؤُهُ يَقُولُ : ٱسْقِ حَدِيقَةَ

---

(١) تاريخ دمشق (٣٠٧/٥٣) .

(٢) مسند البزار (٧٢٨٩) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وقد نظمها الحافظ السيوطي رحمه الله تعالىٰ فقال : (من الوافر)

إذا مات ابن آدم ليس يجري ... عليه من خصالٍ غيرُ عشرِ
علومٌ بثَّها ودعاءُ نجلٍ ... وغرسُ النخلِ والصدقات تجري
وراثةُ مصحفٍ ورباطُ ثغرٍ ... وحفرُ البئر أو إجراءُ نهرِ
وبيتٌ للغريب بناه يأوي ... إليه أو بناءُ محلِّ ذكرِ
وتعليمٌ لقرآنٍ كريمٍ ... فخذها من أحاديث بحصرِ

فُلَانٍ ـ ٱلِاسْمِ ـ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا ؟ قَالَ : أَمَّا إِذَا قُلْتَ هَٰذَا . . فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا : فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً ، وَأَرُدُّ فِيها ثُلُثاً »[1] .

[لقمةٌ بلقمةٍ]

وابنُ صَصرىٰ عنِ ابنِ عباسٍ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « أَتَىٰ سَائِلٌ ٱمْرَأَةً وَفِي فَمِهَا لُقْمَةٌ ، فَأَخْرَجَتِ ٱللُّقْمَةَ فَنَاوَلَتْهَا ٱلسَّائِلَ ، فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ رُزِقَتْ غُلَاماً ، فَلَمَّا تَرَعْرَعَ . . جَاءَ ذِئْبٌ فَٱحْتَمَلَهُ ، فَخَرَجَتْ تَعْدُو فِي إِثْرِ ٱلذِّئْبِ وَهِيَ تَقُولُ : ٱبْنِي ٱبْنِي ، فَأَمَرَ ٱللهُ تَعَالَىٰ مَلَكاً : ٱلْحَقِ ٱلذِّئْبَ ، فَجَذَبَ ٱلصَّبِيَّ مِنْ فِيهِ ، وَقَالَ : قُلْ لِأُمِّهِ : ٱللهُ يُقْرِئُكِ ٱلسَّلَامَ ، وَقُلْ : هَٰذِهِ لُقْمَةٌ بِلُقْمَةٍ »[2] .

[قصَّةٌ في دفعِ الصدقةِ للبلاءِ]

وابنُ النجَّارِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ يَأْتِي وَكْرَ طَائِرٍ كُلَّمَا أَفْرَخَ . . يَأْخُذُ فَرْخَيْهِ ، فَشَكَا ذَٰلِكَ ٱلطَّائِرُ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ مَا يَفْعَلُ بِهِ ، فَأَوْحَى ٱللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِ : إِنْ عَادَ . . فَسَأُهْلِكُهُ .

فَلَمَّا أَفْرَخَ . . خَرَجَ ذَٰلِكَ ٱلرَّجُلُ عَلَىٰ عَادَتِهِ كَمَا كَانَ يَخْرُجُ ؛ فَلَمَّا كَانَ فِي طَرِيقِ ٱلْقَرْيَةِ . . لَقِيَهُ سَائِلٌ فَأَعْطَاهُ رَغِيفاً كَانَ مَعَهُ يَتَغَدَّاهُ ، ثُمَّ مَضَىٰ حَتَّىٰ

---

(١) صحيح مسلم (٢٩٨٤) .

(٢) أخرجها الدينوري بتمامها في « المجالسة » (٣٥٢٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/٣٨٤) مختصراً ، وعزاه في « كنز العمال » (١٦٠٣١) لابن صصرىٰ في « أماليه » ، وفي النسخ : (قل : هٰذه . . .) بدون واو .

أَتَى ٱلْوَكْرَ ، فَوَضَعَ سُلَّمَهُ ، ثُمَّ صَعِدَ فَأَخَذَ ٱلْفَرْخَيْنِ وَأَبَوَاهُمَا يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ ، فَقَالَا : رَبَّنَا ؛ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ وَقَدْ وَعَدْتَنَا أَنَّكَ تُهْلِكُ هَـٰذَا إِذَا عَادَ ، وَقَدْ عَادَ فَأَخَذَ فَرْخَيْنَا وَلَمْ تُهْلِكْهُ ؟! فَأَوْحَى ٱللهُ إِلَيْهِمَا : أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي لَا أُهْلِكُ أَحَداً تَصَدَّقَ فِي يَوْمِهِ بِمِيتَةِ سُوءٍ »[1] .

[قصَّةٌ عجيبةٌ في ضمانِ ابنِ دينارٍ قصراً في الجنَّةِ لمُتصدِّقٍ]

وحكى اليافعيُّ عن جعفرِ بنِ سليمانَ قالَ : (مررتُ أنا ومالكُ بنُ دينارٍ بالبصرةِ ، فبينَما نحنُ ندورُ فيها . . مررنا بقصرٍ يُعمَلُ ؛ وإذا شابٌّ جالسٌ ما رأيتُ أحسنَ وجهاً منهُ ، وإذا هوَ يأمرُ ببناءِ القصرِ ، وهوَ يقولُ : افعلوا واصنعوا .

فقالَ لي مالكٌ : أما ترىٰ إلىٰ هـٰذا الشابِّ وحسنِ وجهِهِ وحرصِهِ علىٰ هـٰذا البناءِ ؟! ما أحوجَني إلىٰ أن أسألَ ربّي يُخلِّصُهُ ؛ فلعلَّهُ يجعلُهُ مِنْ شبابِ أهلِ الجنَّةِ ، يا جعفرُ ؛ ادخلْ بنا إليهِ .

قالَ جعفرٌ : فدخلنا وسلَّمنا ، فردَّ السلامَ ولم يعرفْ مالكاً ، فلمَّا عرفَهُ . . قامَ إليهِ فقالَ : ما حاجتُكَ ؟ قالَ : كم نويتَ أن تُنفِقَ علىٰ هـٰذا القصرِ ؟ قالَ : مئةَ ألفِ درهمٍ .

قالَ : ألا تعطيني هـٰذا المالَ فأضعَهُ في حقِّهِ وأضمنَ لكَ على اللهِ عزَّ وجلَّ قصراً خيراً مِنْ هـٰذا القصرِ ؛ بوِلْدانِهِ وخَدَمِهِ ، وقِبَابِهِ وخِيَمِهِ مِنْ ياقوتةٍ حمراءَ ، مُرصَّعاً بالجواهرِ ، ترابُهُ الزعفرانُ ، ومِلاطُهُ المِسكُ ، أفسحُ مِنْ

---

(١) أخرجه ابن ماسي في « فوائده » (٣٤) بإسناده ، وذكره الدميري في « حياة الحيوان » (٣/٣٦٩ ـ ٣٧٠) نقلاً عن « تاريخ ابن النجار » ، و« عوالي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن المثنىٰ » قاضي البصرة وهو من كبار شيوخ الإمام البخاري رحمهما الله تعالىٰ .

قصرِكَ هـٰذا ، لا يَخربُ ، لـم تَمسُّهُ يدانِ ، ولـم يبنِهِ بانٍ ، قالَ لهُ الجليلُ : كنْ . . فكانَ ؟ فقالَ : فخلِّني الليلةَ وبكِّر عليَّ غداً ، فقالَ : نعم .

قالَ جعفرٌ : فباتَ مالكٌ وهوَ يُفكِّرُ في الشابِّ ، فلمَّا كانَ في وقتِ السَّحَرِ . . دعا فأكثرَ مِنَ الدعاءِ ، فلمَّا أصبحنا . . غدونا ؛ فإذا بالشابِّ جالسٌ ، فلمَّا عاينَ مالكاً . . هشَّ إليهِ ، ثـمَّ قالَ : ما تقولُ فيما قلتُ بالأمسِ ؟ قالَ : تفعلُ ؟ قالَ : نعم ، فأحضَرَ البِدَرَ ، ودعا بدواةٍ وقِرطاسٍ ثمَّ كتبَ :

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هـٰذا ما ضمنَ مالكُ بنُ دينارٍ لفلانِ بنِ فلانٍ : إنِّي ضمنتُ لكَ على اللهِ قصراً بدلَ قصرِكَ ، وصفتُهُ كما وصفتُ والزِّيادةُ على اللهِ ، واشتريتُ لكَ بهـٰذا المالِ قصراً في الجنَّةِ ، أفسَحَ مِنْ قصرِكَ ، في ظلٍّ ظليلٍ ، بقربِ العزيزِ الجليلِ .

ثمَّ طوى الكتابَ ودفعَهُ إلى الشابِّ ، وحملنا المالَ ، فما أمسىٰ مالكٌ حتىٰ ما بقيَ فوقَ مقدارِ قوتِ ليلةٍ ، وما أتىٰ على الشابِّ أربعونَ يوماً حتىٰ وجدَ مالكٌ كتاباً موضوعاً في المِحرابِ عندَما انفتلَ مِنْ صَلاةِ الغداةِ ، فأخذَهُ ونشرَهُ ؛ فإذا في ظهرِهِ مكتوبٌ بلا مِدادٍ :

هـٰذهِ براءةٌ مِنَ اللهِ العزيزِ الحكيمِ لمالكِ بنِ دينارٍ ، ووفَّينا الشابَّ القصرَ الذي ضمنتَ لهُ وزيادةَ سبعينَ ضعفاً .

قالَ : فبقيَ مالكٌ مُتعجِّباً ، وأخذَ الكتابَ ، فقمنا فذهبنا إلىٰ منزلِ الشابِّ ؛ فإذا البابُ مسدودٌ ، والبكاءُ في الدارِ .

فقلنا : ما فعلَ الشابُّ ؟! قالوا : ماتَ بالأمسِ ، فأحضرنا الغاسلَ فقلنا لهُ : أنتَ غسلتَهُ ؟ قالَ : نعم .

قالَ مالكٌ : فحدِّثنا كيفَ صنعتَ ؟ قالَ : قالَ لي قبلَ الموتِ : إذا مُتُّ وكفَّنتَني . . اجعلْ هٰذا الكتابَ بينَ كفني وبدني ، فجعلتُ الكتابَ بينَ كفنِهِ وبدنِهِ ودفنتُهُ معَهُ ، فأخرجَ مالكٌ الكتابَ ، فقالَ الغاسلُ : هٰذا الكتابُ بعينِهِ ، والذي قبضَهُ ؛ لقد جعلتُهُ بينَ كفنِهِ وبدنِهِ بيدي !! .

قالَ : فكثرَ البكاءُ ، فقامَ شابٌّ فقالَ : يا مالكُ ؛ خذْ منِّي مئتَيْ ألفِ دينارٍ واضمنْ لي مثلَ هٰذا ؟

قالَ : هيهاتَ ؛ كانَ ما كانَ ، وفاتَ ما فاتَ !! واللهُ يحكمُ ما يُريدُ ، قال جعفرٌ : فكانَ مالكٌ كلَّما ذكرَ الشابَّ . . بكىٰ ودعا لهُ)[1] .

[أربعُ بيضاتٍ بأربعينَ عندَ أهلِ اليقينِ]

وحكىٰ أيضاً عن أبي جعفرِ بنِ خطَّابٍ قالَ : (وقفَ علىٰ بابي سائلٌ ، فقلتُ لزوجتي : هل معَكِ شيءٌ ؟ قالَتْ : أربعُ بيضاتٍ ، فقلتُ : ادفعيهِنَّ للسائلِ ، ففعلَتْ .

فلمَّا انصرفَ السائلُ . . أهدىٰ إليَّ بعضُ إخواني مِخلاةً فيها بيضٌ ، فقلتُ لزوجتي : كم فيها مِنْ بيضةٍ ؟ فقالَتْ : ثلاثونَ بيضةً .

فقلتُ لها : ويحَكِ ؛ أعطيتِ السائلَ أربعَ بيضاتٍ وجاءَكِ ثلاثونَ ؟! أينَ حسابُ هٰذا ؟! فقالتْ : هيَ أربعونَ إلَّا أنَّ عشراً مكسوراتٌ .

وقيلَ في هٰذهِ الحكايةِ : (كانَتْ ثلاثٌ مِنَ البيضِ الذي أعطَتِ

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ٥٦ ـ ٥٧) رقم الحكاية (١٦) .

السائلَ صحيحاتٍ ، وواحدةٌ مكسورةً ، فجاءَ بكلِّ واحدةٍ منهُنَّ عشرٌ علىٰ صفتِها)[1] .

[حكايةُ شابٍّ تائبٍ مُتصدِّقٍ معَ الشِّبليِّ]

وحكىٰ أيضاً عن الشِّبليِّ قالَ : (خرجتُ ذاتَ يومٍ أُريدُ البادية ، فرأيتُ شاباً صغيرَ السِّنِّ ، نحيلَ الجسمِ ، أشعثَ أغبرَ ، عليهِ ثيابٌ رَثَّةٌ ، وهوَ جالسٌ في الجبَّانةِ[2] ، يُمرِّغُ خَدَّيهِ بينَ القبورِ ، وجعلَ يَرمُقُ السماءَ تارةً بعدَ تارةٍ ويُحرِّكُ شفتَيهِ ، وتَسيلُ الدموعُ مِنْ عينَيهِ ، وهوَ مُستغرِقٌ في الدعاءِ والذِّكْرِ والاستغفارِ ، ولا يَشغلُهُ شاغلٌ عنِ التسبيحِ والتقديسِ والتحميدِ والتمجيدِ والتعظيمِ .

فلمَّا رأيتُ الشابَّ علىٰ تلكَ الحالةِ . . مالَتْ نفسي إليهِ ، وطابَتْ علىٰ لقائِهِ ، فتركتُ الطريقَ التي أروحُ عليها وقصدتُ نحوَهُ ، فلمَّا رآني أقبلتُ إليهِ . . انتهضَ مِنْ مكانِهِ وقامَ يمشي هارباً منِّي ، فنهضتُ نفسي في اتباعِهِ لعلِّي ألحقُهُ ، فلم أقدرْ علىٰ إدراكِهِ ، فقلتُ لهُ : رفقاً يا وليَّ اللهِ ، فقالَ : اللهُ ، فقلتُ : بحقِّهِ إلَّا ما صبرتَ ، فأشارَ بإصبَعِهِ : لا أفعلُ ، وقالَ : اللهُ .

فقلتُ : إن كانَ حقّاً ما تقولُ . . أرني صِدْقَكَ معَ اللهِ تعالىٰ ؟ فنادىٰ بصوتٍ عالٍ : يا أللهُ ، فوقعَ على الأرضِ مغشيّاً عليهِ ، فدنوتُ منهُ وحرَّكتُهُ ؛ فإذا هوَ ميِّتٌ مِنْ ساعتِهِ ، فوهمتُ مِنْ ذٰلكَ ، وتعجَّبتُ مِنْ حالِهِ وصدقِهِ

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ٣١٨) رقم الحكاية (٣٢٥) .

(٢) **الجبانة** : الصحراء ، وسميت المقابر بها من تسمية المسمىٰ باسم موضعه . انتهىٰ من هامش (ب) .

مَعَ اللهِ تعالىٰ ، وقلتُ : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [1] وقلتُ : لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ .

ثمَّ تركتُهُ في موضعِهِ وسرتُ إلىٰ حَيٍّ مِنْ أحياءِ العربِ ؛ لآخذَ في جَهازِهِ وإصلاحِ شأنِهِ ، فلمَّا رجعتُ إليهِ . . حُجِبَ عنِّي ، فطلبتُهُ في المكانِ فلم أجدْ لهُ أثراً ، ولا سمعتُ لهُ خبراً ، فبقيتُ مُتحيِّراً ، وقلتُ : حُجِبَ عنِّي هـٰذا الشابُّ ، ومَنْ سبقَني إليهِ ؟!

فسمعتُ قائلاً يقولُ لي : يا شِبليُّ ؛ قد كُفيتَ أمرَ الفتىٰ ، وما تولَّاهُ إلَّا الملائكةُ ؛ فعليكَ بعبادةِ ربِّكَ ، وأكثرِ الصدقةَ مِنْ مالِكَ ؛ فما بلغَ الفتىٰ ما بلغَ إلَّا بصدقتِهِ يوماً في الدَّهرِ .

فقلتُ : سألتُكَ باللهِ ؛ إلَّا ما أخبرتَني بصدقتِهِ يوماً في الدَّهرِ ما هيَ ؟ فقالَ لي : يا شِبليُّ ؛ إنَّ هـٰذا الفتىٰ كانَ في أوَّلِ عمْرِهِ مذنباً عاصياً ، فاسقاً زانياً ، فعرضَ اللهُ عليهِ رؤيا أفزعَتْهُ وأقلقَتْهُ ؛ وهيَ : أنَّهُ رأىٰ في المنامِ إحليلَهُ قد رجعَ ثعباناً ودارَ بفيهِ ، ثمَّ إنَّهُ أطلقَ مِنْ فيهِ لهبَ النَّارِ ، فأحرقَتْهُ حتىٰ عادَ كالفحمةِ السوداءِ ، فقامَ فزعاً مرعوباً ، وخرجَ فارّاً بنفسِهِ ، مُشتغِلاً بعبادةِ ربِّهِ ، ولهُ اليومَ منذُ رجعَ إلىٰ طاعةِ ربِّهِ اثنتا عشرةَ سنةً وهوَ علىٰ حالةِ التضرُّعِ والخشوعِ .

فلمَّا كانَ أمسٌ . . وقفَ لهُ سائلٌ سألَهُ قوتَ يومِهِ ، فخلعَ ثيابَهُ وسلَّمَها إليهِ ، ففرحَ السائلُ بذٰلكَ وبسطَ كفَّيهِ ودعا لهُ بالمغفرةِ ، فأجابَ اللهُ دعاءَهُ فيهِ ببركةِ الصدقةِ التي فرَّحَهُ بها ؛ كما جاءَ في الحديثِ : « ٱغْتَنِمُوا دَعْوَةَ ٱلسَّائِلِ عِنْدَ فَرْحَةِ قَلْبِهِ بِٱلصَّدَقَةِ ») [2] .

---

(١) سورة البقرة : (١٠٥) .

(٢) انظر « روض الرياحين » (ص ٣١٧ ـ ٣١٨) رقم الحكاية (٣٢٤) .

خاتمة

في مدحِ السخاءِ والجودِ [1]

أخرجَ البخاريُّ والبيهقيُّ : « ٱلسَّخَاءُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ ٱلْجَنَّةِ ، أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّيَاتٌ فِي ٱلدُّنْيَا ؛ فَمَنْ يَأْخُذْ بِغُصْنٍ مِنْهَا . . قَادَهُ ذَٰلِكَ ٱلْغُصْنُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ ، وَٱلْبُخْلُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ ٱلنَّارِ ، أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّيَاتٌ فِي ٱلدُّنْيَا ؛ فَمَنْ يَأْخُذْ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا . . قَادَهُ ذَٰلِكَ ٱلْغُصْنُ إِلَى ٱلنَّارِ » [2] .

وابنُ عَديٍّ : « ٱلْجَنَّةُ دَارُ ٱلْأَسْخِيَاءِ » [3] .

والطبرانيُّ : « إِنَّ فِي ٱلْجَنَّةِ بَيْتاً يُقَالُ لَهُ : بَيْتُ ٱلْأَسْخِيَاءِ » [4] .

---

(١) **الفرق بين السخاء والجود** : أن السخاء : هو العطاء قدر الحاجة للمعطىٰ له لا غير ، **والجود** : هو العطاء قبل السؤال ، قال صاحب « المستطرف » رحمه الله تعالى [١/٤٨١ ـ ٤٨٢] : (اعلم : أن الجود بذل المال ، **وأنفعه** : ما صُرف في وجه استحقاقه ، وقد ندب الله إليه في قوله : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران ٩٢] ، وقيل : إن الجود والسخاء والإيثار بمعنىً واحد .

وقيل : من أعطى البعض . . فهو صاحب سخاء ، ومن بذل الأكثر . . فهو صاحب جود ، ومن آثر غيره بالحاضر ، وبقي هو في مقاساة الضر . . فهو صاحب إيثار .

وأصل السخاء : هو السماحة ، وقد يكون المعطي بخيلاً إذا صَعُب عليه البذل ، والممسك سخياً إذا كان لا يستصعب عليه العطاء ؛ فمن عجائب ما ذكره في الإيثار : ما حكاه أبو محمد الأزدي قال : لما احترق المسجد بمصر . . ظنَّ المسلمون أن النصارىٰ أحرقوه ، فأحرقوا خاناتهم ، فقبض السلطان علىٰ جماعة من الذين أحرقوا الخانات ، وكتب رقاعاً فيها القطع والجلد والقتل ، فنثرها عليهم ، فمن وقع عليه رقعة . . فُعل به ما فيها ، فوقعت رقعة بيد رجل ، فقال : والله ؛ لا أبالي لولا أمٌّ لي !! وكان بجنبه بعض الفتيان ، فقال له : في رقعتي الجلد وليست لي أم ، فخذ رقعتي وأعطني رقعتك ، ففعل ، فقتل ذٰلك الفتىٰ ، وتخلص هـٰذا . انتهى) انتهىٰ من هامش (د) .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٣٧٥) عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٠/٢٨٩) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، ولم يعزه أهل التخريج للإمام البخاري ، فليتنبه .

(٣) أخرجه ابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (١/١٨٧) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٤) عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٦٠٠٥) للطبراني عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

والترمذيُّ والبيهقيُّ : « ٱلسَّخِيُّ : قَرِيبٌ مِنَ ٱللهِ ، قَرِيبٌ مِنَ ٱلنَّاسِ ، قَرِيبٌ مِنَ ٱلْجَنَّةِ ، بَعِيدٌ مِنَ ٱلنَّارِ ، وَٱلْبَخِيلُ : بَعِيدٌ مِنَ ٱللهِ ، بَعِيدٌ مِنَ ٱلنَّاسِ ، بَعِيدٌ مِنَ ٱلْجَنَّةِ ، قَرِيبٌ مِنَ ٱلنَّارِ ، وَٱلْجَاهِلُ ٱلسَّخِيُّ أَحَبُّ إِلَى ٱللهِ مِنْ عَابِدٍ بَخِيلٍ »(١) .

وقالَ سلمانُ الفارسيُّ : (إذا ماتَ السخيُّ . . قالتِ الأرضُ والحفَظَةُ : يا ربِّ ؛ تجاوَزْ عن عبدِكَ لسخائِهِ في الدُّنيا ، وإذا ماتَ البخيلُ . . قالتِ : اللهمَّ ؛ احجُبْ هـٰذا العبدَ عنِ الجنَّةِ كما حجبَ عبادَكَ عمَّا في يدِهِ مِنَ الدُّنيا)(٢) .

وقد صحَّ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (كانَ أجودَ النَّاسِ مِنَ الرِّيحِ المُرسَلةِ)(٣) .

وقد صحَّ أيضاً : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (لمَّا مرضَ . . كانَ عندَهُ سبعةُ دنانيرَ ، فأمرَ عائشةَ أن تُعطيَها لعليٍّ ليتصدَّقَ بها ، فاشتغلَتْ بإغمائِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فكانَ كلَّما أفاقَ . . أمرَ بذٰلكَ ، حتىٰ أعطَتْها لعليٍّ ، فأمسَتْ ليلةَ موتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وليسَ عندَها شيءٌ ، فاحتاجَتْ لمصباحٍ ، فأرسلَتْ إلى امرأةٍ مِنْ نسائِهِ تطلبُ منها سمناً)(٤) .

---

(١) سنن الترمذي (١٩٦١) ، وأخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٣٥٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « البخلاء » (٦٢) ، وأورده ابن الجوزي في « منهاج القاصدين » (٨٠٠/٢) .

(٣) أخرج البخاري (٦) ، ومسلم (٢٣٠٨) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ؛ فلَرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة) .

(٤) انظر « الزواجر عن اقتراف الكبائر » (٣٩٠/١) ضمن الكبيرة (١٢٨) .

[تنافُسُ الصَّحابةِ في الخيرِ]

قالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : أمرَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أن نتصدَّقَ ، فوافقَ ذٰلكَ مالاً عندي ، فقلتُ : اليومَ أسبقُ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ إنْ سبقتُهُ يوماً ، فجئتُ بنصفِ مالي ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ » فقلتُ : مثلَهُ .

فأتىٰ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ بكلِّ مالِهِ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ » قالَ : أبقيتُ لهُمُ اللهَ ورسولَهُ ، فقلتُ : لا أُسابقُكَ بشيءٍ أبداً(١) .

[إنَّهُم إخوةٌ بعضُهُم مِنْ بعضٍ]

وروى الطبرانيُّ : أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ أرسلَ معَ غلامِهِ بأربعِ مئةِ دينارٍ لأبي عُبيدةَ ابنِ الجرَّاحِ ، وأمرَهُ بالتأنِّي ؛ ليرىٰ ما يصنعُ فيها ، فذهبَ بها إليهِ ، وأعطاها لهُ ، وتأنَّىٰ يسيراً ، ففرَّقَها كلَّها ، فرجعَ الغلامُ لعمرَ فأخبرَهُ ، فوجدَهُ قد أعدَّ مثلَها لمعاذِ بنِ جبلٍ ، فأرسلَها معَهُ إليهِ ، وأمرَهُ بالتأنِّي كذٰلكَ ، ففعلَ ، ففرَّقَها ، فاطَّلعَتْ زوجتُهُ وقالَتْ : نحنُ واللهِ مساكينُ فأعطِنا ، فلم يَبْقَ في الخِرقةِ إلَّا دينارانِ فأعطاهُما لها ، فرجعَ الغلامُ لعمرَ وأخبرَهُ ، فسُرَّ بذٰلكَ وقال : (إنَّهُم إخوةٌ ؛ بعضُهُم مِنْ بعضٍ)(٢) .

[مِنْ كرمِ سيِّدِنا طلحةَ رضيَ اللهُ عنهُ]

وجاءَ بسندٍ حسنٍ : أنَّ زوجةَ طلحةَ بنِ [عبيدِ] اللهِ(٣) رأَتْ منهُ ثقلاً ،

---

(١) أخرجه الحاكم (١/٤١٤) ، وأبو داوود (١٦٧٥) ، والترمذي (٣٦٧٥) .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/٣٣) .

(٣) في النسخ : (عبد الله) ، لعله سبق قلم .

فقالَتْ لَهُ : ما لكَ ؛ لعلَهُ رابَكَ مِنَّا شيءٌ فنُعتِبَكَ ؟ قالَ : (لا ، ولنِعْمَ حليلةُ المرءِ المسلمِ أنتِ ؛ ولٰكنِ اجتمعَ عندي مالٌ ، ولا أدري كيفَ أصنعُ بهِ) .

قالَتْ : وما يغمُّكَ منهُ ؟! ادعُ قومَكَ فاقسِمْهُ بينَهُم ، فقالَ : (يا غلامُ ؛ عليَّ قومي) ، فكانَ جملةُ ما قسَمَ أربعَ مئةِ ألفٍ[1] .

❁ ❁ ❁

وفي « الرِّياضِ النضِرةِ » : (أعطىٰ طلحةُ أعرابيّاً سألَهُ ثلاثَ مئةِ ألفٍ)[2] .

وباعَ أرضاً مِنْ عثمانَ بسبعِ مئةِ ألفٍ ، فحملَها إليهِ ، فلمَّا جاءَ بها . . قالَ : (إنَّ رجلاً تبيتُ عندَهُ هٰذِه في بيتِهِ . . لا يدري ما يطرقُهُ مِنْ أمرِ اللهِ !!) فباتَ ورُسلُهُ تختلفُ في سِكَكِ المدينةِ ؛ حتىٰ أسحرَ وما عندَهُ منها درهمٌ[3] .

[مِنْ كرمِ سيِّدتِنا عائشةَ وابنِ أختِها رضيَ اللهُ عنهما]

وبعثَ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ إلىٰ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها بمالٍ في غِرارتَينِ ، عِدَّتُهُ : ثمانونَ ومئةُ ألفِ درهمٍ وهيَ صائمةٌ ، فجعلَتْ تَقسِمُ بينَ النَّاسِ ، فأمسَتْ وما عندَها مِنْ ذٰلكَ درهمٌ ، فقالَتْ لجاريتِها : (هلمِّي فِطري ،

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١/١١٢) .

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة (٢/٢٦٢) ، وكان هٰذا الأعرابي سأله برحمٍ لم يسأله بها أحدٌ قبله ، فقال له سيدنا طلحة رضي الله عنه : (إن هٰذه رحمٌ ما سألني بها أحدٌ قبلك ؛ إن لي أرضاً أعطاني بها عثمان ثلاث مئة ألف ؛ فإن شئت . . فاغدُ فاقبضها ، وإن شئت . . بعتُها من عثمان ودفعت إليك الثمن ؟) فقال الأعرابي : الثمن ، فباعها من عثمان ودفع إليه الثمن .

(٣) الرياض النضرة (٢/٢٦١) .

فجاءَتْ بخبزٍ وزيتٍ ، فقالَتْ لها الجاريةُ : فما استطعتِ فيما قسمتِ في هٰذا اليومِ أن تشتري لنا لحماً بدرهمَينِ ؟! قالَتْ : (لا تُعنِّفيني ؛ لو كنتِ ذكَّرتِني . . لفعلتُ)[1] .

[سخاءُ سيِّدِنا ابنِ عوفٍ رضيَ اللهُ عنهُ]

ووصلَ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عوفٍ أزواجَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بمالٍ بلغَ أربعينَ ألفاً[2] ، وأوصىٰ بحديقةٍ لأمَّهاتِ المؤمنينَ بيعَتْ بأربعِ مئةِ ألفٍ[3] .

ولِمَنْ بقيَ مِنْ أهلِ بدرٍ لكلِّ رجلٍ أربعُ مئةِ دينارٍ ، وكانوا مئةً فأخذوها[4] .

وأوصىٰ أيضاً بخمسينَ ألفَ دينارٍ وألفِ فرسٍ في سبيلِ اللهِ ، وباعَ أرضاً لهُ مِنْ عثمانَ بأربعينَ ألفَ دينارٍ ، فقسمَ ذٰلكَ المالَ في رَحِمِهِ بني زُهْرةَ وفقراءِ المسلمينَ وأمَّهاتِ المؤمنينَ .

وتَصدَّقَ علىٰ عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بشطرِ مالِهِ ؛ أربعةِ آلافِ درهمٍ ، ثمَّ بأربعينَ ألفَ درهمٍ ، ثمَّ بأربعينَ ألفَ دينارٍ ، ثمَّ خمسِ مئةِ فرسٍ في سبيلِ اللهِ .

ثمَّ وردَتْ لهُ قافلةٌ مِنْ تجارةٍ بالشامِ ، فحملَها إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فدعا لهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالجنَّةِ ، فنزلَ جبريلُ

---

(١) أخرجه هناد في « الزهد » (٦١٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤٧/٢) عن أم ذرة خادمتها رحمها الله تعالىٰ ، وفيهما : (أن تشتري لنا بدرهمٍ لحماً) .

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٩٩٥) ، والترمذي (٣٧٤٩) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٥٠) عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن رحمه الله ورضي عن أبيه .

(٤) أورد ذٰلك المحب الطبري في « الرياض النضرة » (٣١٢/٢) .

فقالَ : « إِنَّ ٱللَّهَ يُقرِئُكَ ٱلسَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : أَقْرِئْ عَبْدَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلسَّلَامَ وَبَشِّرْهُ بِٱلْجَنَّةِ » رضيَ اللهُ عنهُم وعنَّا معَهُم [1] .

[مِنْ جودِ الإمامِ الشافعيّ رحمَهُ اللهُ]

وحُكِيَ : (لمَّا قدمَ إمامُنا الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ صنعاءَ إلىٰ مكَّةَ . . كانَ معَهُ عشرةُ آلافِ دينارٍ ، فقيلَ لهُ : تشتري بها ضيعةً ، فضربَ خيمةً خارجَ مكَّةَ ، وصبَّ الدنانيرَ ؛ فكلُّ مَنْ دخلَ عليهِ . . أعطاهُ قبضةً ، فلمَّا جاءَ وقتُ الظهرِ . . قامَ ونفضَ الثوبَ ولم يبقَ شيءٌ) ، وقيلَ : إنَّ أمَّهُ قالَتْ لهُ : (لو دخلتَ ومعكَ درهمٌ . . ما سلَّمتُ عليكَ) [2] .

يا بنَ آدمَ ؛ أَنفقْ . . يُنفَقْ عليكَ ، ووسِّعْ . . يُوسَّعْ عليكَ ، ولا تُقتِّرْ . . فيُقتَّرَ عليكَ ، واشترِ بالفاني الباقيَ ، قبلَ أن تَبلُغَ النفسُ التراقيَ .

فَصْلٌ

في الضِّيافةِ

أخرجَ الديلميُّ عن أنسٍ قالَ : قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا دَخَلَ ٱلضَّيْفُ عَلَى ٱلْقَوْمِ . . دَخَلَ بِرِزْقِهِ ، وَإِذَا خَرَجَ . . خَرَجَ بِمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِمْ » [3] .

وأبو الشيخِ عن أبي قِرْصافةَ : « إِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بِقَوْمٍ خَيْراً . . أَهْدَىٰ

---

(١) ذكر كل ذٰلك المحب الطبري في « الرياض النضرة » (٢/٣١١ ـ ٣١٢) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/١٣٠) ، والبيهقي في « مناقب الإمام الشافعي » (٢/٢٢٠) دون قول أمه رضي الله عنهما .

(٣) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٥٨٣٦) ، وعزاه للديلمي ، وأورد الديلمي نحوه في « الفردوس بمأثور الخطاب » (١٩٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

إِلَيْهِمْ هَدِيَّةً ؛ ٱلضَّيْفَ : يَنْزِلُ بِرِزْقِهِ وَيَرْتَحِلُ بِرِزْقِهِ وَقَدْ غَفَرَ ٱللهُ لِأَهْلِ ٱلْمَنْزِلِ »[1] .

وابنُ أبي الدُّنيا عن حِبَّانَ بنِ أبي [جَبَلَةَ][2] : « إِنَّ أَسْرَعَ صَدَقَةٍ إِلَى ٱلسَّمَاءِ . . أَنْ يَصْنَعَ ٱلرَّجُلُ طَعَاماً طَيِّباً ، ثُمَّ يَدْعُوَ عَلَيْهِ نَاساً مِنْ إِخْوَانِهِ »[3] .

والحكيمُ الترمذيُّ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : « إِنَّ ٱلْمَلَائِكَةَ لَا تَزَالُ تُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَتْ مَائِدَتُهُ مَوْضُوعَةً »[4] .

والحاكمُ عن أبي هريرةَ : « مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ ٱلْمُسْلِمَ شَهْوَتَهُ . . حَرَّمَهُ ٱللهُ عَلَى ٱلنَّارِ »[5] .

وهوَ عن جابرٍ : « مَنْ ذَبَحَ لِضَيْفِهِ ذَبِيحَةً . . كَانَتْ لَهُ فِدَاءً مِنَ ٱلنَّارِ »[6] .

[أَرِيهِ أنَّا نأكلُ]

وأخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ : جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٥٨٣٧) وعزاه لأبي الشيخ في « الثواب » وأبي نعيم في « المعرفة » والضياء .

(٢) في النسخ : (حبان بن أبي جندة) ، والمثبت من المصادر .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (١٩٨) ، وفيه : (يدعو إليه . . .) .

(٤) أخرجه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٣٨) في الأصل (٢٢) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (١٠٣٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩١٧٩) .

(٥) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣١٠٩) ، ولم يعزه في « كنز العمال » (٢٥٨٥٢) إلا للبيهقي ، فليتنبه .

(٦) عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٥٨٥٣) للحاكم في « تاريخه » ، وذكر العلامة المناوي في « فيض القدير » (١٢٨/٦) إسناد الحاكم .

وسلَّمَ فقالَ : إنِّي مجهودٌ ، فأرسلَ إلىٰ بعضِ نسائِهِ ، فقالَتْ : والذي بعثَكَ بالحقِّ ؛ ما عندي إلَّا ماءٌ ، ثمَّ أرسلَ إلىٰ أُخرىٰ ، فقالَتْ مثلَ ذٰلكَ ، حتىٰ قُلْنَ كلُهُنَّ مثلَ ذٰلكَ : لا والذي بعثَكَ بالحقِّ ؛ ما عندي إلَّا ماءٌ ، فقالَ عليهِ السلامُ : « مَنْ يُضِيفُ هَـٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ ؟ »[١] ، فقالَ رجلٌ مِنَ الأنصارِ : أنا يا رسولَ اللهِ .

فانطلقَ بهِ إلىٰ رحلِهِ ، فقالَ لامرأتِهِ : أكرمي ضيفَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وفي روايةٍ : قالَ لامرأتِهِ : هل عندَكِ شيءٌ ؟ قالَتْ : لا ؛ إلَّا قوتُ صبياني ، قالَ : فعلِّليهِم بشيءٍ ؛ فإذا أرادوا العَشاءَ . . فنوِّميهِم ، وإذا دخلَ ضيفُنا . . فأطفئي السِّراجَ وأريهِ أنَّا نأكلُ .

فقعدوا وأكلَ الضَّيفُ وباتا طاويَينِ ، فلمَّا أصبحَ . . غدا علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : « لَقَدْ عَجِبَ ٱللهُ [مِنْ صَنِيعِكُمَا] بِضَيْفِكُمَا ٱللَّيْلَةَ !! » فأنزلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[٢] .

[كرامةٌ بسببِ إكرامِ الضَّيفِ]

وحكى اليافعيُّ عنِ الشيخِ أبي الرَّبيعِ المالقيِّ أنَّهُ قالَ : (سمعتُ بامرأةٍ مِنَ الصالحاتِ في بعضِ القرى اشتَهَرَ أمرُها ، وكانَ مِنْ دأبِنا ألَّا نزورَ امرأةً ، فدعَتِ الحاجةُ إلىٰ زيارتِها ؛ للاطِّلاعِ علىٰ كرامةٍ اشتَهَرَتْ عنها ، وكانَتْ تُدعىٰ بالفضَّةِ ، فنزلنا القريةَ التي هيَ فيها ، فذُكِرَ لنا : أنَّ عندَها شاةً تُحلَبُ لبناً وعسلاً ، فاشترينا قدحاً جديداً لم يوضعْ فيهِ شيءٌ ، ومضَينا إليها ، وسلَّمنا عليها ، ثمَّ قلنا لها : نريدُ أن نرىٰ هـٰذهِ البركةَ التي ذُكِرَتْ لنا عن

---

(١) كذا في النسخ ، وفي « صحيح مسلم » : (من يضيف هـٰذا الليلة رحمه الله ؟) .

(٢) سورة الحشر : (٩) ، والحديث أخرجه البخاري (٣٧٩٨) ، ومسلم (٢٠٥٤) واللفظ له .

هٰذهِ الشاةِ التي عندَكُم ، فأخذنا الشاةَ وحلبناها في القدحِ ، فشربنا لبناً وعسلاً ، فلمَّا رأينا ذٰلكَ . . سألناها عن قصَّةِ الشاةِ .

فقالَتْ : نعم ؛ كانَتْ لنا شُويهةٌ ونحنُ قومٌ فقراءُ ، ولم يكنْ لنا شيءٌ ، فحضرَ العيدُ ، فقالَ لي زوجي ـ وكانَ رجلاً صالحاً ـ : نذبحُ هٰذهِ الشاةَ في هٰذا اليومِ ؟ فقلتُ لهُ : لا تفعلْ ؛ فإنَّهُ قد رُخِّصَ لنا في التَّركِ ، واللهُ يعلمُ حاجتَنا إليها .

فاتفقَ أنِ استضافَ بنا في ذٰلكَ اليومِ ضيفٌ ، ولم يكنْ عندَنا قِراهُ ، فقلتُ لهُ : يا رجلُ ؛ هٰذا ضيفٌ وقد أُمرنا بإكرامِهِ ، فخذْ تلكَ الشاةَ فاذبحْها .

قالَ : فخفنا أن يبكيَ عليها صغارُنا ، فقلتُ لهُ : أخرجْها مِنَ البيتِ إلىٰ وراءِ الجدارِ فاذبحْها ، فلمَّا أراقَ دَمَها . . قفزَتْ شاةٌ على الجدارِ ، فنزلَتْ إلى البيتِ ، فخشيتُ أن تكونَ قدِ انفلتَتْ منهُ ، فخرجتُ لأنظرَها ؛ فإذا هوَ يسلخُ الشاةَ ، فقلتُ لهُ : يا رجلُ عجباً !! وذكرتُ لهُ القصَّةَ ، فقالَ : لعلَّ اللهَ أبدلَنا خيراً منها ، فكانَتْ تلكَ تُحلَبُ اللبنَ ، وهٰذهِ تُحلَبُ اللبنَ والعسلَ ؛ ببركةِ إكرامِنا الضَّيفَ)[1] .

فَصْلٌ

في الزُّهدِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[2] .

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ٩٦ ـ ٩٧) رقم الحكاية (٥٣) .

(٢) سورة الشورىٰ : (٢٠) .

وأخرجَ البخاريُّ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : أخذَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بمَنكِبي ، فقالَ : « كُنْ فِي ٱلدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » وكانَ ابنُ عمرَ يقولُ : إذا أمسيتَ . . فلا تَنتظرِ الصباحَ ، وإذا أصبحتَ . . فلا تَنتظرِ المساءَ ، وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لمرضِكَ ، ومِنْ حياتِكَ لموتِكَ [1] .

وابنُ ماجه عن سهلِ بنِ سعدٍ الساعديِّ قالَ : جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : دُلَّني علىٰ عملٍ إذا عملتُهُ . . أحبَّني اللهُ وأحبَّني النَّاسُ ، قالَ : « ٱزْهَدْ فِي ٱلدُّنْيَا . . يُحِبَّكَ ٱللهُ ، وَٱزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي ٱلنَّاسِ . . يُحِبَّكَ ٱلنَّاسُ » [2] .

والديلميُّ : « ٱتْرُكُوا ٱلدُّنْيَا لِأَهْلِهَا ؛ فَإِنَّ مَنْ أَخَذَ مِنْهَا فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ . . أَخَذَ حَتْفَهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ » [3] .

والترمذيُّ : « ٱلزَّهَادَةُ فِي ٱلدُّنْيَا : لَيْسَ بِتَحْرِيمِ ٱلْحَلَالِ ، وَلَا إِضَاعَةِ ٱلْمَالِ ، وَلَـٰكِنِ ٱلزَّهَادَةُ فِي ٱلدُّنْيَا : أَلَّا تَكُونَ بِمَا فِي يَدِكَ أَوْثَقَ مِمَّا فِي يَدَيِ ٱللهِ ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوابِ ٱلْمُصِيبَةِ إِذَا أَنْتَ أُصِبْتَ أَرْغَبَ مِنْكَ فِيهَا لَوْ أَنَّهَا أُبْقِيَتْ لَكَ » [4] .

والقُضاعيُّ : « ٱلزُّهْدُ فِي ٱلدُّنْيَا يُرِيحُ ٱلْقَلْبَ وَٱلْبَدَنَ ، وَٱلرَّغْبَةُ فِيهَا تُكْثِرُ ٱلْهَمَّ وَٱلْحَزَنَ ، وَٱلْبَطَالَةُ تُقَسِّي ٱلْقَلْبَ » [5] .

---

(١) صحيح البخاري (٦٤١٦) .

(٢) سنن ابن ماجه (٤٢٦٣) بنحوه ، وأخرجه بلفظه الحاكم (٣١٣/٤) .

(٣) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٣٦٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) سنن الترمذي (٢٣٤٠) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه .

(٥) مسند الشهاب (٢٧٨) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

والطبرانيُّ : « تفرَّغوا مِنْ هُمُومِ ٱلدُّنْيَا مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا أَكْثَرَ هَمِّهِ . . أَفْشَى ٱللهُ ضَيعَتَهُ ، وَجَعَلَ ٱللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَمَنْ كَانَتِ ٱلْآخِرَةُ أَكْثَرَ هَمِّهِ . . جَعَلَ ٱللهُ تَعَالَىٰ أَمْرَهُ سَهْلاً ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلْبِهِ إِلَى ٱللهِ . . إِلَّا جَعَلَ ٱللهُ قُلُوبَ ٱلْمُؤْمِنِينَ تَفِدُ إِلَيْهِ بِٱلْوُدِّ وَٱلرَّحْمَةِ ، وَكَانَ ٱللهُ بِكُلِّ خَيْرٍ إِلَيْهِ أَسْرَعَ »(١) .

والشيخانِ : قالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (ما شبعَ آلُ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ خبزِ شعيرٍ يومَينِ مُتتابعَينِ حتىٰ قُبِضَ)(٢) .

[مِنْ زهدِ النبيِّ ﷺ في الدُّنيا]

والترمذيُّ : قالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ : نامَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ حصيرٍ ، فقامَ وقد أثَّرَ في جنبِهِ ، قلنا : يا رسولَ اللهِ ؛ لوِ اتخذنا لكَ وِطاءً ؟ فقالَ : « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ؟! مَا أَنَا فِي ٱلدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ ٱسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا »(٣) .

ورُوِيَ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : (لم يَمتلئْ جوفُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شِبعاً قطُّ ، ولم يبثَّ شكوىٰ إلىٰ أحدٍ ، وكانَتِ الفاقةُ أحبَّ إليهِ مِنَ الغنىٰ ، وإنْ كانَ ليظلُّ جائعاً يلتوي طولَ ليلتِهِ مِنَ الجوعِ ، فلا يمنعُهُ صيامَ يومِهِ ، ولو شاءَ . . سألَ ربَّهُ جميعَ كنوزِ الأرضِ وثمارِها ورغدَ عيشِها ، ولقد كنتُ أبكي لهُ رحمةً ممَّا أرىٰ ، وأمسحُ بيدي علىٰ بطنِهِ ممَّا بهِ مِنَ الجوعِ ، وأقولُ : نفسي لكَ الفداءُ ، لو تبلَّغتَ مِنَ الدُّنيا

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٠٢١) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٥٤١٦) ، ومسلم (٢٩٧٠) واللفظ له .

(٣) سنن الترمذي (٢٣٧٧) .

بما يقوتُكَ ؟ فيقولُ : « يَا عَائِشَةُ ؛ مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ؟! إِخْوَانِي مِنْ أُولِي ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ صَبَرُوا عَلَىٰ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَـٰذَا ، فَمَضَوْا عَلَىٰ حَالِهِم ، فَقَدِمُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ، فَأَكْرَمَ مَآبَهُمْ ، وَأَجْزَلَ ثَوَابَهُمْ ، فَأَجِدُنِي أَسْتَحْيِي إِنْ تَرَفَّهْتُ فِي مَعِيشَتِي . . أَنْ يَقْصُرَ بِي غَداً دُونَهُمْ ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ ٱللُّحُوقِ بِإِخْوَانِي وَأَخِلَّائِي » .

قالَتْ : فما أقامَ بعدُ إلَّا شهراً حتىٰ تُوفِّيَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[١] .

❀ ❀ ❀

ورُوِيَ : أنَّ سليمانَ عليهِ السلامُ كانَ معَ ما أُعطيَ مِنَ المُلْكِ لا يرفعُ بصرَهُ إلى السماءِ ؛ تخشُّعاً وتواضعاً للهِ ، وكانَ يُطعِمُ النَّاسَ لذيذَ الأطعمةِ ويأكلُ خبزَ الشعيرِ[٢] .

❀ ❀ ❀

وقد قيلَ [ليوسفَ عليهِ السلامُ][٣] : ما لكَ تجوعُ وأنتَ علىٰ خزائنِ الأرضِ ؟! قالَ : « أَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ فَأَنْسَى ٱلْجَائِعَ »[٤] .

❀ ❀ ❀

وقالَ عروةُ بنُ الزُّبيرِ : (لقد تصدَّقَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها بخمسينَ ألفاً وإنَّ دِرعَها لمُرقَّعٌ)[٥] .

---

(١) أورده الثعالبي في « الجواهر الحسان » (٥/٣٣٢) دون عزو لأحد ، وفي آخره : (إلا أشهراً) .

(٢) أخرجه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (١٧٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/١٢٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/٢٧٤) ، وأورد ذلك القاضي عياض في « الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم » (ص ١٩٦) بلفظه .

(٣) في النسخ : (وقد قيل له) ، والمثبت هو الصواب إن شاء الله تعالىٰ .

(٤) أخرجه الدينوري في « المجالسة » (١٩٢) ، وأورده القاضي عياض في « الشفا » (ص ١٩٧) .

(٥) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٧٥٤) لكن بلفظ : (تصدقت يعني عائشة بسبعين ألفاً . . .) .

[تَخربُ ويَموتُ صاحبُها]

وحكى اليافعيُّ : (أنَّ بعضَ ملوكِ الأممِ السَّالفةِ بنىٰ مدينةً وتأنَّقَ وتغالىٰ في حُسنِها وزينتِها ، ثمَّ صنعَ طعاماً ودعا النَّاسَ ، وأجلسَ أُناساً علىٰ أبوابِها يسألونَ كلَّ مَنْ خرجَ : هل رأيتُم عيباً ؟ فيقولونَ : لا ، حتىٰ جاءَ أُناسٌ في آخرِ النَّاسِ عليهِم أكسيةٌ ، فسألوهُم : هل رأيتُم عيباً ؟ فقالوا : عيبَينِ اثنَينِ ، فحبسوهُم ، ودخلوا على المَلِكِ فأخبروهُ بما قالوا .

فقالَ : ما كنتُ أرضىٰ بعيبٍ واحدٍ !! فَأْتوني بهِم ، وأدخلوهُم عليهِ ، فسألَهُم عنِ العيبَينِ : ما هُما ؟

فقالوا : تَخربُ ، ويَموتُ صاحبُها .

قالَ : أفتعلمونَ داراً لا تَخربُ ولا يَموتُ صاحبُها ؟! قالوا لهُ : نعم ؛ فذكروا لهُ الجنَّةَ ونعيمَها وشوَّقوهُ إليها ، وذكروا النَّارَ وعذابَها وخوَّفوهُ منها ، ودَعوهُ إلىٰ عبادةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فأجابَهُم إلىٰ ذٰلكَ ، وخرجَ مِنْ ملكِهِ هارباً إلى اللهِ تعالىٰ)[1] .

تَنبِيهٌ

[في بيانِ الزُّهدِ الحقيقيِّ ومُقدِّماتِهِ]

إنَّ الزُّهدَ الحقيقيَّ : برودةُ الدُّنيا علىٰ قلبِ العبدِ لأجلِ اللهِ وعظيمِ ثوابِهِ .

ومُقدِّماتُهُ : تركُ طلبِ المفقودِ مِنَ الدُّنيا ، وتفريقُ المجموعِ منها ، وتركُ إرادتِها واختيارِها .

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ٢٢٦) رقم الحكاية (٢١١) .

فإذا أتىٰ بها العبدُ . . أورثَتْ تلكَ الزُّهدَ الحقيقيَّ ، ثمَّ الباعثُ على التركِ والتفريقِ : ذِكْرُ آفاتِ الدُّنيا وعيوبِها .

قالَ بعضُهُم : (تركتُ الدُّنيا لقلَّةِ غَنائِها ، وكثرةِ عَنائِها ، وسرعةِ فنائِها ، وخِسَّةِ شركائِها)[1] .

وقالَ الغزاليُّ : (القولُ البالغُ فيهِ : ما قالَهُ شيخُنا أبو بكرٍ الطوسيُّ : إنَّ الدُّنيا عدوَّةُ اللهِ عزَّ وجلَّ وأنتَ مُحبُّهُ ؛ فَمَنْ أحبَّ أحداً . . أبغضَ عدوَّهُ)[2] ، جعلَنا اللهُ مِنَ المُبغِضينَ للدُّنيا والمُحِبّينَ للآخرةِ .

[قصَّةُ سيِّدِنا عيسىٰ عليهِ السلامُ معَ صاحبِ الرَّغيفِ]

وروى الليثُ عن جريرٍ قالَ : (صحبَ رجلٌ عيسىٰ عليهِ السلامُ ، فقالَ : أكونُ معَكَ وأصحبُكَ ، فانطلقا إلىٰ شَطِّ نهرٍ ، فجلسا يتغدَّيانِ ومعَهُما ثلاثةُ أرغفةٍ ، فأكلا رغيفَينِ ، وبقيَ رغيفٌ .

فقامَ عيسىٰ عليهِ السلامُ إلى النهرِ فشربَ ، ثمَّ رجعَ فلم يجدِ الرَّغيفَ ، فقالَ للرَّجلِ : « مَنْ أَخَذَ ٱلرَّغِيفَ ؟ » فقالَ : لا أدري ، فانطلقَ ومعَهُ صاحبُهُ ، فرأىٰ ظبيةً ومعَها خِشْفانِ لها[3] ، قالَ : فدعا أحدَهُما ، فأتاهُ ، فذبحَهُ وشوىٰ منهُ ، وأكلَ هوَ والرَّجلُ ، ثمَّ قالَ للخِشْفِ : « قُمْ بِإِذْنِ ٱللَّهِ » فقامَ وذهبَ ، فقالَ للرَّجلِ : « أَسْأَلُكَ بِٱلَّذِي أَرَاكَ هَـٰذِهِ ٱلْآيَةَ ؛ مَنْ أَخَذَ ٱلرَّغِيفَ ؟ » قالَ : لا أدري .

---

(١) أورده الحافظ ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » (٢/١٩٧) ، والمناوي في « فيض القدير » (٦/١٤٣) .

(٢) نقله المناوي عن الإمام الغزالي رحمهما الله تعالىٰ في « فيض القدير » (٦/١٤٤) .

(٣) **الخشف** : ولد الظبي .

قالَ : ثمَّ انتهيا إلىٰ نهرٍ ، فأخذَ عيسىٰ عليهِ السلامُ بيدِ الرَّجلِ ، فمشيا على الماءِ ، فلمَّا جاوزا . . قالَ : « أَسْأَلُكَ بِٱلَّذِي أَرَاكَ هَـٰذِهِ ٱلْآيَةَ ؛ مَنْ أَخَذَ ٱلرَّغِيفَ ؟ » قالَ : لا أدري .

قالَ : فانتهيا إلىٰ مفازةٍ ، فجلسا ، فأخذَ عيسىٰ عليهِ السلامُ يجمعُ تراباً أو رملاً ، وقالَ : « كُنْ ذَهَباً بِـإِذْنِ ٱللهِ » فكانَ ذهباً ، فقسمَهُ ثلاثةَ أثلاثٍ ، فقالَ : « لِي ثُلُثٌ ، وَلَكَ ثُلُثٌ ، وَثُلُثٌ لِمَنْ أَخَذَ ٱلرَّغِيفَ » فقالَ : أنا أخذتُهُ .

قالَ : « فَكُلُّهُ لَكَ » ، وفارقَهُ عيسىٰ عليهِ السلامُ ، فانتهىٰ إليهِ رجلانِ وهوَ في المفازةِ ومعَهُ المالُ ، فأرادا أن يأخذاهُ منهُ ويقتلاهُ ، فقالَ : هوَ بينَنا أثلاثاً .

قالَ : فابعثوا أحدَكُم إلى القريةِ [حتىٰ] يشتريَ طعاماً ، فقالَ الذي بُعِثَ : لأيِّ شيءٍ أُقاسمُ هـٰؤلاءِ بهـٰذا المالِ ؟! لأجعلَنَّ لهُما في الطعامِ سُمّاً فأقتلُهُما ، قالَ : ففعلَ .

وقالَ صاحباهُ في غَيبتِهِ : لأيِّ شيءٍ نُقاسِمُهُ المالَ ؟! إذا جاءَ . . قتلناهُ واقتسمنا المالَ نصفَينِ .

فجاءَ فقتلاهُ ، ثمَّ أكلا الطعامَ فماتا ، وبقيَ المالُ في المفازةِ ، وأولـٰئكَ الثلاثةُ قتلىٰ حولَهُ ، فمرَّ عيسىٰ عليهِ السلامُ بهِم علىٰ تلكَ الحالةِ ، فقالَ لأصحابهِ : « هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا فَٱحْذَرُوهَا »)[1] .

---

(١) أخرج هـٰذه القصة ابن أبي الدنيا في « الزهد » (١٧٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٩٥/٤٧) .

خاتمة

في فضلِ الفقرِ والفقراءِ

أخرجَ ابنُ ماجه عنِ ابنِ عمرَ : « يَا مَعْشَرَ ٱلْفُقَرَاءِ ؛ أَلَا أُبَشِّرُكُمْ : إِنَّ فُقَرَاءَ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ قَبْلَ ٱلْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ ؛ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ »(١) .

وأبو نُعيمٍ عن أبي سعيدٍ : « لِيَبْشَرْ فُقَرَاءُ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِٱلْفَوْزِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ قَبْلَ ٱلْأَغْنِيَاءِ بِمِقْدَارِ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ ؛ هَٰؤُلَاءِ فِي ٱلْجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ ، وَهَٰؤُلَاءِ يُحَاسَبُونَ »(٢) .

ومسلمٌ عنِ ابنِ عباسٍ : « ٱطَّلَعْتُ فِي ٱلْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا ٱلْفُقَرَاءَ ، وَٱطَّلَعْتُ فِي ٱلنَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا ٱلنِّسَاءَ »(٣) .

وابنُ عساكرَ : « إِنَّ أَطْوَلَكُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حُزْناً . . أَطْوَلُكُمْ فَرَحاً فِي ٱلْآخِرَةِ ، وَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ شِبَعاً فِي ٱلدُّنْيَا . . أَكْثَرُكُمْ جُوعاً فِي ٱلْآخِرَةِ »(٤) .

وهوَ وأبو نُعيمٍ عن أبي هريرةَ : « إِنَّ مِنَ ٱلذُّنُوبِ ذُنُوباً لَا يُكَفِّرُهَا ٱلصَّلَاةُ وَلَا ٱلصِّيَامُ ، وَلَا ٱلْحَجُّ وَلَا ٱلْعُمْرَةُ ، لَٰكِنْ يُكَفِّرُهَا ٱلْهُمُومُ فِي طَلَبِ ٱلْمَعِيشَةِ »(٥) .

وابنُ عساكرَ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ لَمَّا خَلَقَ ٱلدُّنْيَا . . [نَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ]

---

(١) سنن ابن ماجه (٤٢٨٥) ، وسببه : أن الفقراء اشتكوا إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضَّل الله به عليهم أغنياءهم ، فبشَّرهم صلى الله عليه وسلم بهٰذه البشارة .

(٢) حلية الأولياء (١/٣٤٢) .

(٣) صحيح مسلم (٢٧٣٧) .

(٤) تاريخ دمشق (٢٦/٤) عن عامر بن عبد قيس : أنه سمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) حلية الأولياء (٦/٣٣٥) ، وتاريخ دمشق (٥٤/٢٠٠) .

أَعْـرَضَ عَنْهَـا ، ثُـمَّ قَـالَ : وَعِـزَّتِـي وَجَـلَالِـي ؛ لَا أَنْـزَلْـتُـكِ إِلَّا فِـي شِـرَارِ خَلْقِي »[1] .

والترمذيُّ : « لَوْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ ٱللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ . . مَا سَقَىٰ كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ »[2] .

والبيهقيُّ : « نَـزَلَ جِبْرِيـلُ عَـلَيْـهِ ٱلسَّـلَامُ فِـي أَحْـسَـنِ مَـا كَـانَ يَـأْتِينِي فِي صُورَةٍ ، فَقَالَ : إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يُقْرِئُكَ ٱلسَّلَامَ يَا مُحَمَّدُ ، وَيَقُولُ لَكَ : إِنِّـي قَـدْ أَوْحَيْـتُ إِلَى ٱلدُّنْيَا : أَنْ تَـمَرَّرِي وَتَـكَـدَّرِي وَتَـضَيَّقِي وَتَـشَـدَّدِي إِلَىٰ أَوْلِيَـائِي كَيْ يُحِبُّوا لِقَائِي ؛ فَإِنِّي خَلَقْتُـهَا سِجْناً لِأَوْلِيَـائِي ، وَجَنَّةً لِأَعْدَائِي »[3] .

[أكرمُ الأضيافِ علىٰ وجهِ الأرضِ]

ومسلمٌ عن أبي هريرةَ قـالَ : خـرجَ علينا رسـولُ اللهِ صـلَّى اللهُ عليهِ وسـلَّمَ ذاتَ يـومٍ أو ليـلةٍ ؛ فـإذا هـوَ بـأبي بكـرٍ وعـمرَ رضـيَ اللهُ عنهُما فـقـالَ : « مَـا أَخْـرَجَـكُـمَا مِـنْ بُيُـوتِـكُـمَا هَـٰذِهِ ٱلسَّـاعَـةَ ؟! » قـالا : الـجوعُ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : « وَأَنَا وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَأَخْرَجَنِي ٱلَّذِي أَخْرَجَكُمَا ، قُومُوا بِنَا » .

فقاموا معَهُ ، فأتىٰ رجلاً مِنَ الأنصارِ ؛ فإذا هوَ ليسَ في بيتِهِ ، فلمَّا رأتْهُ المرأةُ . . قالَتْ : مرحباً وأهلاً ، فقالَ لها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ :

---

(١) تاريخ دمشق (١١٧/٥٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وما بين معقوفين منه .

(٢) سنن الترمذي (٢٣٢٠) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٩٣٤٣) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٧/١٩) عن سيدنا قتادة بن النعمان الأنصاري رضي الله عنه .

« أَيْنَ فُلَانٌ ؟ » قالَتْ : ذهبَ يَستعذِبُ لنا الماءَ ؛ إذ جاءَ الأنصاريُّ [١] ، فنظرَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وصاحبَيهِ ، ثمَّ قالَ : الحمدُ للهِ ؛ ما أحدٌ اليومَ أكرمَ أضيافاً منِّي .

فانطلقَ فجاءهَمُ بعِذْقٍ فيهِ بُسْرٌ وتمرٌ ورُطَبٌ ، فقالَ : كلوا ، وأخذَ المُديةَ [٢] ، فقالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِيَّاكَ وَٱلْحَلُوبَ » فذبحَ لهُم ، فأكلوا مِنَ الشاةِ ومِنْ ذٰلكَ العِذْقِ وشربوا .

فلمَّا أن شبعوا ورووا . . قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : لأبي بكرٍ وعمرَ : « وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَتُسْأَلُنَّ عَنِ ٱلنَّعِيمِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ ٱلْجُوعُ ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّىٰ أَصَابَكُمْ هَـٰذَا ٱلنَّعِيمُ » [٣] .

❀ ❀ ❀

والبخاريُّ عن إبراهيمَ بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ عوفٍ : [أنَّ عبدَ الرَّحمـٰنِ] : أُتِيَ بطعامٍ وكانَ صائماً فقالَ : (قُتِلَ مُصعبُ بنُ عُميرٍ وهوَ خيرٌ منِّي ، فلم يوجدْ لهُ ما يُكفَّنُ فيهِ إلَّا بردةٌ ؛ إن غُطِّيَ بها رأسُهُ . . بدَتْ رجلاهُ ، وإن غُطِّيَ رجلاهُ . . بدا رأسُهُ ، ثمَّ بُسِطَ لنا مِنَ الدُّنيا ما بُسِطَ ـ أو قالَ : أُعطينا مِنَ الدُّنيا ما أُعطينا ـ قد خشينا أن تكونَ حسناتُنا قد عُجِّلَتْ لنا) ثمَّ جعلَ يبكي حتىٰ تركَ الطعامَ [٤] .

---

(١) هو سيدنا أبو الهيثم بن التَّيِّهان الأنصاري ، أحد النقباء رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين .

(٢) في هامش (د) : (أي : الشفرة) ، أخرج البخاري (٣٤٢٧) في قصة قضاء سيدنا سليمان بين المرأتين في الولد فقال : « ائتوني بالسكين أشقه بينهما » ، فقالت الصغرىٰ : لا تفعل يرحمك الله هو ابنها ، فقضىٰ به للصغرىٰ ، قال أبو هريرة : (والله ؛ إنْ سمعت بالسكين إلا يومئذٍ ، وما كنا نقول إلا المدية !!) .

(٣) صحيح مسلم (٢٠٣٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) صحيح البخاري (١٢٧٥) .

[قِلَّةُ ذاتِ اليدِ عندَ الصَّحابةِ الكرامِ]

وهوَ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (لقد رأيتُني وإنِّي لأخِرُّ فيما بينَ مِنبرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ حُجْرةِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها مغشيّاً عليَّ ، فيجيءُ الجائي فيضعُ رِجْلَهُ علىٰ عنُقي ، ويرىٰ أنِّي مجنونٌ ، وما بي مِنْ جنونٍ ؛ ما بي إلَّا الجوعُ)(١) .

ورُوِيَ : (أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ [كانَ] يَبيتُ هوَ وأهلُهُ اللَّياليَ المُتتابِعةَ طاوياً ؛ لا يجدونَ عَشاءً)(٢) .

ورُوِيَ : أنَّ جبريلَ عليهِ السلامُ نزلَ ، فقالَ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ ٱللهَ يُقرِئُكَ ٱلسَّلَامَ ، وَيَقُولُ لَكَ : أَتُحِبُّ أَنْ أَجْعَلَ هَـٰذِهِ ٱلْجِبَالَ ذَهَباً ، وَتَكُونَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ ؟ » فأطرقَ ساعةً ثمَّ قالَ : « يَا جِبْرِيلُ ؛ ٱلدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ ، وَيَجْمَعُهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ » فقالَ لهُ جبريلُ : « ثَبَّتَكَ ٱللهُ يَا مُحَمَّدُ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ »(٣) .

ورُوِيَ عنِ الحسنِ البصريِّ أنَّهُ قالَ : قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يُؤْتَىٰ بِٱلْعَبْدِ ٱلْفَقِيرِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، فَيَعْتَذِرُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ كَمَا يَعْتَذِرُ ٱلرَّجُلُ إِلَى ٱلرَّجُلِ فِي ٱلدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ؛ مَا زَوَيْتُ ٱلدُّنْيَا عَنْكَ لِهَوَانِكَ عَلَيَّ ، وَلَـٰكِنْ لِمَا أَعْدَدْتُ لَكَ مِنَ ٱلْكَرَامَةِ وَٱلْفَضِيلَةِ ، ٱخْرُجْ يَا عَبْدِي

---

(١) صحيح البخاري (٧٣٢٤) .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٦٠) ، وابن ماجه (٣٤٩٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وتتمته : (وكان أكثر خبزهم خبز الشعير) .

(٣) أورده بلفظه القاضي عياض في « الشفا » (ص ١٨٥ ـ ١٨٦) ، وقال الحافظ السيوطي في « مناهل الصفا » (٢٩٦) : (الحديث لم أجده هـٰكذا ، ولـٰكن أخرجه في « الزهد » وغيره من طريق عطاء عن ابن عباس . . .) .

إِلَىٰ هَـٰذِهِ ٱلصُّفُوفِ ، وَٱنْظُرْ إِلَىٰ مَنْ أَطْعَمَكَ أَوْ كَسَاكَ وَأَرَادَ بِذَٰلِكَ وَجْهِي . . فَخُذْ بِيَدِهِ فَهُوَ لَكَ ، وَٱلنَّاسُ يَوْمَئِذٍ قَدْ أَلْجَمَهُمُ ٱلْعَرَقُ ، فَيَتَخَلَّلُ ٱلصُّفُوفَ وَيَنْظُرُ مَنْ فَعَلَ بِهِ ذَٰلِكَ فِي ٱلدُّنْيَا . . فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُدْخِلُهُ ٱلْجَنَّةَ »[1] .

[سَبْقُ محمدِ بنِ واسعٍ لمالكِ بنِ دينارٍ]

وحكى القشيريُّ عن بعضِهم أنَّهُ قالَ : (رأيتُ كأنَّ القيامةَ قد قامَتْ ، ويُقالُ : أدخلوا مالكَ بنَ دينارٍ ومحمدَ بنَ واسعٍ الجنَّةَ ، فنظرتُ أيُّهما يَتقدَّمُ ، فتقدَّمَ محمدُ بنُ واسعٍ ، فسألتُ عن سببِ تقدُّمِهِ ، فقيلَ لي : إنَّه كانَ لهُ قميصٌ واحدٌ ، ولمالكٍ قميصانِ)[2] .

[قصَّةُ شابٍّ طلبَ عَصيدةً حارَّةً]

وحكى اليافعيُّ عنِ الشيخِ أبي محمدٍ الجُريريِّ قالَ : (دخلَ علينا الرِّباطَ بعدَ صلاةِ العصرِ شابٌّ مُصفرُّ اللَّونِ ، أشعثُ الشعرِ ، حاسرُ الرأسِ ، حافي القدمَينِ ، فجدَّدَ الوضوءَ وصلَّىٰ ، ثمَّ جلسَ ووضعَ رأسَهُ في جيبِهِ إلى المغربِ ، فلمَّا صلَّىٰ معَنا المغربَ . . جلسَ كذٰلكَ ؛ وإذا رسولُ الخليفةِ يستدعينا في دعوةٍ ، فقمتُ إلى الشابِّ وقلتُ لهُ : هل لكَ أن تُوافِقَنا إلىٰ دارِ الخليفةِ ؟ فرفعَ رأسَهُ وقالَ : ليسَ لي قلبٌ إلىٰ دارِ الخليفةِ ، ولـٰكنْ أشتهي عَصيدةً حارَّةً ، فاطَّرحتُ قولَهُ ؛ حيثُ لم يوافقِ الجماعةَ والتمسَ شهوةً ، وقلتُ في نفسي : هـٰذا قريبُ عهدٍ بالطَّريقةِ لم يتأدَّبْ ، فتركتُهُ ومضَيتُ إلىٰ دارِ الخليفةِ ، وأكلنا وشبعنا وتفرَّقنا آخِرَ اللَّيلِ .

---

(١) أورده أبو الليث السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (٢٩٦) ، وعزاه الحافظ العراقي في « تخريج أحاديث الإحياء » إلىٰ أبي الشيخ في « الثواب » ، انظر « إتحاف السادة المتقين » (٢٧٨/٩) .

(٢) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٥٨٠) .

فلمَّا دخلتُ الرِّباطَ . . رأيتُ الشابَّ علىٰ تلكَ الحالةِ ، فجلستُ علىٰ سَجَّادتي ساعةً ، فهجعَتْ عينايَ بالنَّومِ ؛ وإذا جماعةٌ وقائلٌ يقولُ : هٰذا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والأنبياءُ كلُّهُم عليهِمُ السلامُ ، فدنوتُ إليهِ وسلَّمتُ عليهِ ، فولَّىٰ وجهَهُ عنِّي مُعرِضاً ، فكرَّرتُ عليهِ وهوَ يُعرِضُ عنِّي ولا يُجيبُ ، فخفتُ مِنْ ذٰلكَ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما الذي أذنبتُ حتىٰ تُعرِضَ عنِّي بوجهِكَ ؟ فقالَ : « فَقِيرٌ مِنْ أُمَّتِي ٱشْتَهَىٰ عَلَيْكَ شَهْوَةً فَتَهَاوَنْتَ بِهِ ؟! » فاستيقظتُ مرعوباً ، وقمتُ نحوَ الفقيرِ فلم أجدْهُ ، وسمعتُ صوتَ البابِ ، فخرجتُ في طلبِهِ ؛ فإذا بهِ قد خرجَ ، فناديتُهُ : يا فتى ؛ اصبرْ حتىٰ تَحضُرَ شهوتُكَ التي طلبتَها ؟ فالتفتَ إليَّ وقالَ : إذا اشتهىٰ فقيرٌ عليكَ شهوةً لا تُوصلُها إليهِ حتىٰ يَتشفَّعَ إليكَ بمئةِ ألفِ نبيٍّ وأربعةٍ وعشرينَ ألفَ نبيٍّ ؟! فلا حاجةَ لي إليها ، ومضىٰ)[1] .

حشرَنا اللهُ في زمرةِ المساكينِ ، وأدخلَنا معَهُمُ الجنانَ ، آمينَ .

فَصْلٌ

في المنِّ بالصَّدقةِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[2] .

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ١٨٥ ـ ١٨٦) رقم الحكاية (١٤٧) .

(٢) سورة البقرة : (٢٦٤) .

بيَّنَ اللهُ تعالىٰ أنَّ مَنْ تَصدَّقَ بشيءٍ مِنْ أنواعِ الصَّدقاتِ . . اشتُرِطَ لنيلِهِ ذٰلكَ الثوابَ العظيمَ الذي أعدَّهُ اللهُ للمُتصدِّقينَ : أنْ تَسلَمَ صدقتُهُ مِنَ المنِّ بها على المُعطىٰ ، والأذىٰ .

[معنى المنّ والأذىٰ]

فالمنُّ : هوَ أن يُعدِّدَ نعمتَهُ على الآخِذِ ، ويذكرَها لِمَنْ لا يُحِبُّ الآخِذُ اطِّلاعَهُ ، وقيلَ : هوَ أن يرىٰ لنفسِهِ مزيَّةً على المُتصدَّقِ عليهِ بإحسانِهِ ؛ ولذٰلكَ لا ينبغي أن يطلبَ منهُ دعاءً ، ولا يَطمعَ فيهِ ؛ لأنَّهُ رُبَّما كانَ في مقابلةِ إحسانِهِ ، فيَسقطُ أجرُهُ[1] .

❀ ❀ ❀

وأخبرَنا شيخُنا قطبُ الوجودِ ، وشمسُ دائرةِ الشهودِ : محمدٌ البكريُّ رضيَ اللهُ عنهُ ، عن جدَّتِهِ عائشةَ أمِّ المؤمنينَ رضيَ اللهُ عنها : أنَّها كانَتْ إذا تَصدَّقَتْ علىٰ أحدٍ . . أرسلَتْ علىٰ إثْرِهِ رسولاً يتبعُهُ إلىٰ مسكنِهِ ؛ ليتعرَّفَ هل يدعو لها فتدعوَ لهُ بمثلِ دعائِهِ ؛ لئلا يكونَ دعاؤُهُ في مقابلةِ الصَّدقةِ . . فيَنقُصَ أجرُها ؛ فلذا قالَ أصحابُنا : يُستحَبُّ للمُتصدِّقِ أن يدعوَ للمُتصدَّقِ عليهِ بمثلِ ما دعا لهُ .

وقالَ عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ زيدِ بنِ أسلمَ : (كانَ أبي يقولُ : إذا أعطيتَ رجلاً شيئاً ورأيتَ أنَّ سلامَكَ يَثقلُ عليهِ ـ أي : لكونِهِ يَتكلَّفُ لكَ قياماً ونحوَهُ ؛ لأجلِ إحسانِكَ عليهِ ـ . . فكفَّ سلامَكَ عنهُ)[2] .

---

(١) انظر « الزواجر عن اقتراف الكبائر » (٤١٣/١) ضمن الكبيرة (١٣٥) .

(٢) ذكره الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٥٩/٢) ، والبغوي في « تفسيره » (٢٥٠/١) ، وابن حجر في « الزواجر » (٤١٤/١) .

والأذىٰ : هوَ أن يَنهرَهُ أو يُعيِّرَهُ أو يَشتِمَهُ ؛ فهٰذا كالمنِّ مُسقِطٌ للثوابِ ، كما أخبرَ اللهُ تعالىٰ .

❀ ❀ ❀

وأخرجَ مسلمٌ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : ٱلْمُسْبِلُ إِزَارَهُ ، وَٱلْمَنَّانُ ـ ٱلَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئاً إِلَّا مَنَّ بِهِ ـ وَٱلْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِٱلْحَلِفِ ٱلْكَاذِبِ »[1] .

والحاكمُ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ ٱللهُ مِنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ صَرْفاً وَلَا عَدْلاً : عَاقٌّ ، وَمَنَّانٌ ، وَمُكَذِّبٌ بِٱلْقَدَرِ »[2] .

والنَّسائيُّ : « لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ خَبٌّ ، وَلَا بَخِيلٌ ، وَلَا مَنَّانٌ »[3] .

مُهِمَّاتٌ[4]

[الأقربونَ أولىٰ بالمعروفِ]

أخرجَ الطبرانيُّ : « يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ؛ وَٱلَّذِي بَعَثَنِي بِٱلْحَقِّ : لَا يَقْبَلُ ٱللهُ صَدَقَةً مِنْ رَجُلٍ وَلَهُ قَرَابَةٌ مُحْتَاجُونَ إِلَىٰ صِلَتِهِ ، وَيَصْرِفُهَا إِلَىٰ غَيْرِهِمْ ، وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَا يَنْظُرُ ٱللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[5] .

---

(١) صحيح مسلم (١٠٦) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه .

(٢) مستدرك الحاكم (٤/١٤٦ ـ ١٤٧) بنحوه ، وعدَّ (مدمن الخمر) بدل (مكذب بالقدر) ، وأخرجه بلفظه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١/٢١٨) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٣) أخرج النسائي في « الكبرىٰ » (٤٨٩٤) نحوه عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وأخرجه بلفظه الترمذي (١٩٦٣) ، وأحمد (١/٧) عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٤) في (هـ) : (تنبيهات) .

(٥) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٨٢٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وهوَ أيضاً : « مَا مِنْ ذِي رَحِمٍ يَأْتِي ذَا رَحِمِهِ فَيَسْأَلُهُ فَضْلاً أَعْطَاهُ ٱللهُ إِيَّاهُ ، فَيَبْخَلُ عَلَيْهِ . . إِلَّا أَخْرَجَ ٱللهُ مِنْ جَهَنَّمَ حَيَّةً يُقَالُ لَهَا : شُجَاعٌ يَتَلَمَّظُ ، فَيُطَوَّقُ بِهِ »(١) والتلمُّظُ : أكلُ ما بقيَ في الفمِ مِن آثارِ الطعامِ .

[أشياءُ لا تُمنَعُ]

والشيخانِ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : رَجُلٌ عَلَىٰ فَضْلِ مَاءٍ بِفَلَاةٍ ، يَمْنَعُ مِنْهُ ٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلاً سِلْعَتَهُ بَعْدَ ٱلْعَصْرِ ، فَحَلَفَ لَهُ بِٱللهِ : لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا ، فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَىٰ غَيْرِ ذَٰلِكَ ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَاماً لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا ؛ فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا . . وَفَىٰ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا . . لَمْ يفِ »(٢) .

وفي روايةٍ : « يَقُولُ ٱللهُ : ٱلْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ »(٣) .

وابنُ ماجه : قالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : يا رسولَ اللهِ ؛ ما الشيءُ الذي لا يَحِلُّ منعُهُ ؟ قالَ : « ٱلْمَاءُ وَٱلْمِلْحُ وَٱلنَّارُ »(٤) .

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٥٨٩) عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .

(٢) صحيح البخاري (٢٦٧٢) ، وصحيح مسلم (١٠٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٦٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) سنن ابن ماجه (٢٥٨٩) نحوه ، وأخرجه أبو داوود (١٦٦٦) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (١٠٢٠) بلفظه ، قال الخطابي في « معالم السنن » (١٢٩/٣) : (معناه : الملح إذا كان في معدنه في أرضٍ أو جبلٍ غير مملوكٍ . . فإن أحداً لا يمنع من أخذه ، أما إذا صار في حيز مالكه . . فهو أولىٰ به ، وله منعه وبيعه والتصرف فيه كسائر أملاكه) .

وأخرجَ أبو داوودَ والحاكمُ : « مَنْ يَتَكَفَّلُ لِي أَلَّا يَسْأَلَ ٱلنَّاسَ شَيْئاً . . أَتَكَفَّلُ لَهُ بِٱلْجَنَّةِ ؟ »(١) .

وهُما وأحمدُ : « مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِٱلنَّاسِ . . لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِٱللهِ . . أَوْشَكَ ٱللهُ لَهُ بِٱلْغِنَىٰ ؛ إِمَّا بِمَوْتٍ آجِلٍ ، أَوْ غِنىً عَاجِلٍ »(٢) .

وأحمدُ عن أبي ذرٍّ : « لَا تَسْأَلِ ٱلنَّاسَ شَيْئاً ، وَلَا سَوْطَكَ إِنْ سَقَطَ مِنْكَ ؛ حَتَّىٰ تَنْزِلَ إِلَيْهِ فَتَأْخُذَهُ »(٣) .

والبيهقيُّ مُرسَلاً : « لِيَسْتَغْنِ أَحَدُكُمْ عَنِ ٱلنَّاسِ بِقَضِيبِ سِوَاكٍ »(٤) .

والترمذيُّ : « إِنَّ ٱلْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ لِغَنِيٍّ ، وَلَا لِذِي مِرَّةٍ ـ أي : قوّةٍ ـ سَوِيٍّ ـ أي : تامِّ الخَلْقِ ، سَالمٍ مِنْ موانعِ الاكتسابِ ـ إِلَّا لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ ـ أي : شديدٍ ـ أَوْ غُرْمٍ مُفْظِعٍ ، وَمَنْ سَأَلَ ٱلنَّاسَ لِيُثْرِيَ بِهِ مَالَهُ . . كَانَ خُمُوشاً فِي وَجْهِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَرَضْفاً ـ أي : حجارةً مُحماةً ـ يَأْكُلُهُ مِنْ جَهَنَّمَ ؛ فَمَنْ شَاءَ . . فَلْيُكْثِرْ ، وَمَنْ شَاءَ . . فَلْيُقِلَّ »(٥) .

وأبو داوودَ : « مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ . . فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنَ ٱلنَّارِ » قالوا : وما الغنى الذي لا تنبغي معَهُ المسألةُ ؟ قالَ : « قَدْرُ مَا يُغَدِّيهِ وَيُعَشِّيهِ »(٦) ؛

---

(١) مستدرك الحاكم (٤١٢/١) ، وسنن أبي داوود (١٦٤٠) عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه .

(٢) مستدرك الحاكم (٤٠٨/١) ، وسنن أبي داوود (١٦٤٢) ، ومسند أحمد (٤٠٧/١) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) مسند أحمد (١٧٢/٥) .

(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٢٥٢) عن ميمون بن أبي شبيب رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

(٥) سنن الترمذي (٦٥٣) عن سيدنا حبيشي بن جنادة السلولي رضي الله عنه .

(٦) سنن أبي داوود (١٦٢٦) عن سيدنا سهل ابن الحنظلية رضي الله عنه .

يعني : أنَّ مَنْ وجدَ غداءَ يومِهِ وعشاءَهُ . . يَحرُمُ عليهِ أن يسألَ صدقةَ التطوُّعِ ، وأمَّا صدقةُ الفرضِ . . فلا يَحرُمُ سؤالُها إلَّا علىٰ مَنْ عندَهُ كفايةُ بقيَّةِ العمْرِ الغالبِ على الرَّاجحِ عندَنا فيهِما [1] .

قالَ بعضُهُم : إنَّما يَحرُمُ سؤالُ الصدقةِ [2] علىٰ مَنْ وجدَ غداءً وعشاءً علىٰ دائمِ الأوقاتِ ؛ أي : للمُدَّةِ الطويلةِ ، والزَّكاةِ علىٰ مَنْ وجدَ كفايةَ سنةٍ .

وقالَ أبو حنيفةَ : يجوزُ دفعُ الزَّكاةِ إلىٰ مَنْ يملِكُ دونَ النِّصابِ وإن كانَ صحيحاً مُكتسِباً ، لٰكنْ لا يحِلُّ السؤالُ لِمَنْ كانَ لهُ قوتُ يومِهِ [3] .

[قَبولُ المالِ مِنْ غيرِ سؤالٍ]

وأخرجَ البخاريُّ عن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ : « إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَـٰذَا ٱلْمَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ . . فَخُذْهُ ، وَمَا لَا . . فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ » [4] .

والشيخانِ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : « يَا عَائِشَةُ ؛ مَنْ أَعْطَاكِ عَطَاءً بِغَيْرِ مَسْأَلَةٍ . . فَٱقْبَلِيهِ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ عَرَضَهُ ٱللهُ إِلَيْكِ » [5] .

والترمذيُّ : « مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ : جَزَاكَ ٱللهُ خَيْراً . . فَقَدْ أَبْلَغَ فِي ٱلثَّنَاءِ » [6] .

---

(١) انظر « الزواجر » (١/٤٠٦ ـ ٤٠٧) ضمن الكبيرة (١٣٢) .

(٢) في (ج ، د) : (سؤال صدقة التطوع) .

(٣) فصَّل ذٰلك ابن حجر في « الزواجر » (١/٤٠٦ ـ ٤٠٧) .

(٤) صحيح البخاري (١٤٧٣) ، وأوله : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء ، فأقول : أعطه من هو أفقر مني ، فقال : « خذه إذا جاءك من هٰذا . . . » .

(٥) أخرجه أحمد (٦/٧٧) ، والبيهقي (٦/١٨٤) برقم (١٢١٧٠) ، ولم يعزه السيوطي في « الدر المنثور » (٢/٩٨) ، ولا المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٦٨٢٠) إلا لأحمد والبيهقي ، فلعل عزو المؤلف للشيخين سبق قلم .

(٦) سنن الترمذي (٢٠٣٥) عن سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

[كراهةُ السؤالِ بوجهِ ذي الجلالِ]

وأخرجَ ابنُ ماجه : « إِنَّ ٱللهَ يُبْغِضُ ٱلسَّائِلَ ٱلْمُلْحِفَ »[1] ؛ أي : المُلِحَّ .

والطبرانيُّ : « مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ ٱللهِ ، وَمَلْعُونٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ ٱللهِ ثُمَّ مَنَعَ سَائِلَهُ ؛ مَا لَمْ يَسْأَلْ هُجْراً »[2] ؛ أي : فُحشاً أو أمراً قبيحاً لا يليقُ ، ويَحتمِلُ أنَّهُ يُرادُ : ما لم يسألْ سؤالاً قبيحاً بكلامٍ قبيحٍ .

وأحمدُ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ ٱلْبَرِيَّةِ ؟ » قالوا : بلىٰ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : « ٱلَّذِي يُسْأَلُ بِٱللهِ وَلَا يُعْطِي »[3] .

[مِنْ قَصصِ الخَضِرِ]

والطبرانيُّ : « أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِ ٱلْخَضِرِ ؟ » قالوا : بلىٰ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : « بَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَمْشِي فِي سُوقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . . أَبْصَرَهُ رَجُلٌ مُكَاتَبٌ ، فَقَالَ : تَصَدَّقْ عَلَيَّ بَارَكَ ٱللهُ فِيكَ ، فَقَالَ ٱلْخَضِرُ : آمَنْتُ بِٱللهِ ، مَا شَاءَ ٱللهُ مِنْ أَمْرٍ . . يَكُونُ ، مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ .

فَقَالَ ٱلْمِسْكِينُ : أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ ٱللهِ لَمَا تَصَدَّقْتَ عَلَيَّ ؛ فَإِنِّي نَظَرْتُ ٱلسَّمَاحَةَ فِي وَجْهِكَ ، وَرَجَوْتُ ٱلْبَرَكَةَ عِنْدَكَ .

فَقَالَ ٱلْخَضِرُ : آمَنْتُ بِٱللهِ ، مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ إِلَّا أَنْ تَأْخُذَنِي فَتَبِيعَنِي .

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٥٧٩١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الطبراني في « الدعاء » (٢١١٢) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٣) مسند أحمد (٢/٣٩٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

فَقَالَ ٱلْمِسْكِينُ : وَهَلْ يَسْتَقِيمُ هَـٰذَا ؟ قَالَ : نَعَم ، [ٱلْحَقَّ] أَقُولُ ؛ لَقَدْ سَأَلْتَنِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ ، أَمَا إِنِّي لَا أُخَيِّبُكَ بِوَجْهِ رَبِّي ، بِعْنِي .

قَالَ : فَقَدَّمَهُ إِلَى ٱلسُّوقِ ، فَبَاعَهُ بِأَرْبَعِ مِئَةِ دِرْهَمٍ ، فَمَكَثَ عِنْدَ ٱلْمُشْتَرِي زَمَاناً لَا يَسْتَعْمِلُهُ فِي شَيْءٍ ، فَقَالَ : إِنَّمَا ٱشْتَرَيْتَنِي لِأَلْتِمَاسِ خَيْرٍ عِنْدِي ، فَأَوْصِنِي بِعَمَلٍ .

فَقَالَ : أَكْرَهُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ؛ إِنَّكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَعِيفٌ ، قَالَ : لَيْسَ يَشُقُّ عَلَيَّ ، قَالَ : قُمْ فَٱنْقُلْ هَـٰذِهِ ٱلْحِجَارَةَ ، وَكَانَ لَا يَنْقُلُهَا دُونَ سِتَّةِ نَفَرٍ فِي يَوْمٍ .

فَخَرَجَ ٱلرَّجُلُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ ، ثُمَّ ٱنْصَرَفَ وَقَدْ نَقَلَ ٱلْحِجَارَةَ فِي سَاعَةٍ ، فَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَأَجْمَلْتَ ، وَأَطَقْتَ مَا لَمْ أَرَ تُطِيقُهُ !!

ثُمَّ عَرَضَ لِلرَّجُلِ سَفَرٌ ، فَقَالَ : إِنِّي أَحْسَبُكَ أَمِيناً ؛ فَٱخْلُفْنِي فِي أَهْلِي خِلَافَةً حَسَنَةً ، قَالَ : أَوْصِنِي بِعَمَلٍ ، قَالَ : إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ، قَالَ : لَيْسَ يَشُقُّ عَلَيَّ .

قَالَ : فَٱضْرِبْ مِنَ ٱللَّبِنِ لِبَيْتِي حَتَّىٰ أَقْدَمَ عَلَيْكَ ، قَالَ : فَمَرَّ ٱلرَّجُلُ لِسَفَرِهِ ، قَالَ : فَرَجَعَ ٱلرَّجُلُ وَقَدْ شَيَّدَ بِنَاءَهُ .

قَالَ : أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ ٱللهِ مَا سَبَبُكَ وَمَا أَمْرُكَ ؟! قَالَ : سَأَلْتَنِي بِوَجْهِ ٱللهِ ، وَوَجْهُ ٱللهِ أَوْقَعَنِي فِي هَـٰذِهِ ٱلْعُبُودِيَّةِ .

فَقَالَ ٱلْخَضِرُ : سَأُحَدِّثُكَ مَنْ أَنَا ، أَنَا ٱلْخَضِرُ ٱلَّذِي سَمِعْتَ بِهِ ، سَأَلَنِي مِسْكِينٌ صَدَقَةً فَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيهِ ، فَسَأَلَنِي بِوَجْهِ ٱللهِ ، فَأَمْكَنْتُهُ مِنْ رَقَبَتِي ، فَبَاعَنِي ، وَأُخْبِرُكَ : أَنَّهُ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ ٱللهِ فَرَدَّ سَائِلَهُ وَهُوَ يَقْدِرُ . . وَقَفَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ جِلْدُهُ وَلَا لَحْمَ لَهُ يَتَقَعْقَعُ .

فَقَالَ ٱلرَّجُلُ : آمَنْتُ بِٱللهِ ، شَقَقْتُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ ٱللهِ ، لَمْ أَعْلَمْ ، قَالَ : لَا بَأْسَ ، أَحْسَنْتَ وَأَبْقَيْتَ .

فَقَالَ ٱلرَّجُلُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا نَبِيَّ ٱللهِ ؛ ٱحْكُمْ فِي أَهْلِي وَمَالِي بِمَا شِئْتَ ، أَوِ ٱخْتَرْ فَأُخَلِّيَ سَبِيلَكَ ، قَالَ : أُحِبُّ أَنْ تُخَلِّيَ سَبِيلِي فَأَعْبُدَ رَبِّي ، فَخَلَّىٰ سَبِيلَهُ ، فَقَالَ ٱلْخَضِرُ : ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي أَوْثَقَنِي فِي ٱلْعُبُودِيَّةِ ، ثُمَّ نَجَّانِي مِنْهَا »(١) .

اللهمَّ ؛ اجعلنا مِنَ المُحسِنينَ إلى الإخوانِ ، والفائزينَ بالجِنانِ ، آمينَ .

* * *

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨/١١١ ـ ١١٤) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

بابُ الصَّوم

قالَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۞ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾(١) .

وأخرجَ ابنُ ماجه والبيهقيُّ عن عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ عوفٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « شَهْرُ رَمَضَانَ : شَهْرٌ كَتَبَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ ، وَسَنَنْتُ لَكُمْ قِيَامَهُ ؛ فَمَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ إِيمَاناً وَٱحْتِسَاباً . . خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »(٢) .

وأحمدُ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَٱحْتِسَاباً . . غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ »(٣) .

وهوَ عنهُ : « مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ وَعَلَيْهِ مِنْ رَمَضَانَ شَيْءٌ [لَمْ يَقْضِهِ . . لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهُ ، وَمَنْ صَامَ تَطَوُّعاً وَعَلَيْهِ مِنْ رَمَضَانَ شَيْءٌ لَمْ يَقْضِهِ] . . فَإِنَّهُ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ حَتَّىٰ يَصُومَهُ »(٤) .

وأبو يعلىٰ عنِ ابنِ عباسٍ : « عُرَى ٱلْإِسْلَامِ وَقَوَاعِدُ ٱلدِّينِ ثَلَاثَةٌ ؛ عَلَيْهِنَّ أُسِّسَ ٱلْإِسْلَامُ ، مَنْ تَرَكَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ . . فَهُوَ بِهَا كَافِرٌ حَلَالُ ٱلدَّمِ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَٱلصَّلَاةُ ٱلْمَكْتُوبَةُ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ »(٥) .

---

(١) سورة البقرة : (١٨٣ ـ ١٨٤) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٤٠٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٣٤٣) .

(٣) مسند أحمد (٣٨٥/٢) .

(٤) مسند أحمد (٣٥٢/٢) ، وما بين معقوفين زيادة من المطبوع ومن « مسند أحمد » ، وسقط من النسخ .

(٥) مسند أبي يعلىٰ (٢٣٤٩) .

وفي روايةٍ : « مَنْ تَرَكَ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً . . فَهُوَ بِٱللهِ كَافِرٌ ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ ، وَقَدْ حَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ »[1] .

وأبو داوودَ والنَّسائيُّ والترمذيُّ والبيهقيُّ وابنا ماجه وخُزيمةَ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَنْ أَفْطَرَ يَوْماً مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ رَخَّصَهَا ٱللهُ لَهُ وَلَا مَرَضٍ . . لَمْ يَقْضِهِ صَوْمُ ٱلدَّهْرِ كُلِّهِ وَإِنْ صَامَهُ »[2] .

قالَ عليٌّ وابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (مَنْ أَفْطَرَ يَوْماً مِنْ رَمَضَانَ . . لَا يَقْضِيهِ صَوْمُ ٱلدَّهْرِ)[3] .

وقالَ النَّخَعيُّ : (إنَّ مَنْ أفطرَ يوماً مِنْ رمضانَ . . يجبُ عليهِ ثلاثةُ آلافِ يومٍ)[4] ، والذي عليهِ أكثرُ العلماءِ : أنَّهُ يُجزِئُ عنِ اليومِ يومٌ ولو أقصرَ منهُ[5] .

خاتمة

في سردِ أحاديثَ تَتعلَّقُ بالصَّومِ

أخرجَ الترمذيُّ عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ : كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ ، وَٱلصَّوْمُ لِي

---

(١) أخرجه ابن رجب الحنبلي في « فتح الباري في شرح صحيح البخاري » (٢٢/١) فقال : (ورواه سعيد بن زيد أخو حماد عن عمرو بن مالك ورفعه . . .) ، وأورده ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢٨٣/١) ضمن الكبيرة (٧٦) وحسَّنه .

(٢) أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » (١٩٨٧) ، وأبو داوود (٢٣٨٨) ، والترمذي (٧٢٣) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٣٢٦٥) ، وابن ماجه (١٧٦٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٣٨١) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٩٨٧٧ ، ٩٨٧٨) عن سيدنا ابن مسعود ، وعن سيدنا علي رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٩٨٧٥) .

(٥) انظر « الزواجر » (٤٣٠/١) ضمن الكبيرة (١٤١) ، وعلَّل ذلك بقوله : (ولو أقصر منه ؛ لظاهر قوله تعالىٰ : ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة : ١٨٤]) .

وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَٱلصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ ٱلنَّارِ ، وَلَخُلُوفُ فَمِ ٱلصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ ٱللهِ مِنْ رِيحِ ٱلْمِسْكِ ، وَإِنْ جَهِلَ عَلَىٰ أَحَدِكُمْ جَاهِلٌ وهوَ صَائِمٌ . . فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ »[1] .

و« لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ ، وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلقَىٰ رَبَّهُ »[2] .

وابنُ حِبَّانَ والحاكمُ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ . . صُفِّدَتِ ٱلشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ ٱلْجِنِّ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ ٱلنَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ ٱلْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَيُنَادِي مُنَادٍ كُلَّ لَيْلَةٍ : يَا بَاغِيَ ٱلْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ ٱلشَّرِّ أَقْصِرْ ، وَلِلهِ عُتَقَاءُ مِنَ ٱلنَّارِ ، وَذَٰلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ »[3] .

[ثلاثةٌ دعا عليهِم جبريلُ وأمَّنَ النبيُّ ﷺ علىٰ ذٰلكَ]

وابنا خُزيمةَ وحِبَّانَ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ صَعِدَ المِنبرَ فقالَ : « آمِينَ ، آمِينَ ، آمِينَ » قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّكَ صَعِدتَ المِنبرَ فقلتَ : « آمِينَ ، آمِينَ ، آمِينَ » !!

فقالَ : « إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَتَانِي فَقَالَ : مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ ، فَمَاتَ فَدَخَلَ ٱلنَّارَ . . فَأَبْعَدَهُ ٱللهُ ، قُلْ : آمِينَ ، فَقُلْتُ : آمِينَ .

وَمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَبَرَّهُمَا ، فَمَاتَ فَدَخَلَ ٱلنَّارَ . . فَأَبْعَدَهُ ٱللهُ ، قُلْ : آمِينَ ، فَقُلْتُ : آمِينَ .

---

(١) سنن الترمذي (٧٦٤) .

(٢) سنن الترمذي (٧٦٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه ابن حبان (٣٤٣٥) ، والحاكم (١/٤٢١) .

وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ ، فَمَاتَ فَدَخَلَ ٱلنَّارَ . . فَأَبْعَدَهُ ٱللهُ ، قُلْ : آمِينَ ، فَقُلْتُ : آمِينَ »[1] .

❁ ❁ ❁

ومحمدُ بنُ منصورٍ السمعانيُّ عن أنسٍ : « إِنَّمَا سُمِّيَ رَمَضَانَ ؛ لِأَنَّهُ يَرْمِضُ ٱلذُّنُوبَ »[2] .

والطبرانيُّ والبيهقيُّ عن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ : « ذَاكِرُ ٱللهِ فِي رَمَضَانَ مَغْفُورٌ لَهُ ، وَسَائِلُ ٱللهِ فِيهِ لَا يَخِيبُ »[3] .

والبيهقيُّ عن عبدِ اللهِ بنِ أبي أوفى : « نَوْمُ ٱلصَّائِمِ عِبَادَةٌ ، وَصَمْتُهُ تَسْبِيحٌ ، وَعَمَلُهُ مُضَاعَفٌ ، وَدُعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ ، وَذَنْبُهُ مَغْفُورٌ »[4] .

والحكيمُ عنِ ابنِ عمرَ : « لِكُلِّ عَبْدٍ صَائِمٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ إِفْطَارِهِ ؛ أُعْطِيَهَا فِي ٱلدُّنْيَا ، أَوِ ٱدُّخِرَتْ لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ »[5] .

[الكتبُ السماويَّةُ نزلَتْ في رمضانَ]

وفي « المُسندِ » عن واثلةَ بنِ الأسقعِ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَتِ ٱلتَّوْرَاةُ

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » (١٨٨٨) بنحوه ، وابن حبان (٩٠٧) بلفظه عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (١٧٣١) ، وعزاه في « كنز العمال » (٢٣٦٨٨) لمحمد بن منصور السمعاني وابن منده في « أماليهما » .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦١٦٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٣٥٥) .

(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٦٥٢) .

(٥) أخرجه الحكيم الترمذي في « نوادره » (٣٥٢) بإسناده في الأصل (٦٠) .

لِسِتٍّ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَ ٱلْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَ ٱلزَّبُورُ لِثَمَانِ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَ ٱلْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ »[1] .

[استقبالُ شهرِ رمضانَ]

ورُوِيَ عن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ ، عن سلمانَ مرفوعاً قالَ : خطبَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فِي آخِرِ يومٍ مِنْ شعبانَ فقالَ : « أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ إِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ ، [شَهْرٌ] فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، قَدْ جَعَلَ ٱللهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً ، وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعاً ، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنَ ٱلْخَيْرِ . . كَانَ كَمَنْ أَدَّىٰ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ ، وَمَنْ أَدَّىٰ فِيهِ فَرِيضَةً . . كَانَ كَمَنْ أَدَّىٰ سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ ، وَهُوَ شَهْرُ ٱلصَّبْرِ ، وَٱلصَّبْرُ ثَوَابُهُ ٱلْجَنَّةُ ، وَشَهْرُ ٱلْمُوَاسَاةِ ، وَشَهْرٌ يُزَادُ فِيهِ ٱلرِّزْقُ ، مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِماً . . كَانَ لَهُ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ ، وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ ٱلنَّارِ ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ » .

قالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ ليسَ كلُّنا يجدُ ما يُفطِّرُ بِهِ الصائمَ ؟ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يُعْطِي ٱللهُ هَـٰذَا ٱلثَّوَابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِماً عَلَىٰ تَمْرَةٍ ، أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ ، أَوْ مَذْقَةِ لَبَنٍ ، وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ ٱلنَّارِ .

وَمَنْ خَفَّفَ عَنْ مَمْلُوكِهِ . . غَفَرَ ٱللهُ لَهُ وَأَعْتَقَهُ مِنَ ٱلنَّارِ ، وَٱسْتَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ ؛ خَصْلَتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ ، وَخَصْلَتَيْنِ لَا غِنَىٰ

---

(١) مسند أحمد (١٠٧/٤) بنحوه مختصراً ، وأخرجه تاماً الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٧٥٢) ، والبيهقي (١٨٨/٩) برقم (١٨٦٨٧) .

لَكُمْ عَنْهُمَا : أَمَّا ٱلْخَصْلَتَانِ ٱللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ . . فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَتَسْتَغْفِرُونَهُ .

وَأَمَّا ٱللَّتَانِ لَا غِنَىٰ لَكُمْ عَنْهُمَا . . فَتَسْأَلُونَ ٱللهَ ٱلْجَنَّةَ ، وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ ٱلنَّارِ ، وَمَنْ سَقَىٰ صَائِماً . . سَقَاهُ ٱللهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَداً »[١] .

وفي روايةٍ : « مَنْ فَطَّرَ صَائِماً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ كَسْبٍ حَلَالٍ . . صَلَّتْ عَلَيْهِ ٱلْمَلَائِكَةُ لَيَالِيَ رَمَضَانَ كُلَّهَا ، وَصَافَحَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَيْلَةَ ٱلْقَدْرِ ، وَمَنْ صَافَحَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ . . يَرِقُّ قَلْبُهُ وَتَكْثُرُ دُمُوعُهُ »[٢] .

[مِنْ فضائلِ رمضانَ خاصَّةً والصيامِ عامَّةً]

وروىٰ سَلَمةُ بنُ شَبيبٍ ، عنِ ابنِ عباسٍ مرفوعاً : « لِلهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ ٱلْإِفْطَارِ أَلْفُ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ ٱلنَّارِ ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ ٱلْجُمُعَةِ . . أَعْتَقَ ٱللهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْهَا أَلْفَ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ ٱلنَّارِ ، كُلُّهُمْ قَدِ ٱسْتَوْجَبَ ٱلنَّارَ ، فَإِذَا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ مِنَ ٱلشَّهْرِ . . أَعْتَقَ ٱللهُ فِي ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ بِعَدَدِ مَا أَعْتَقَ مِنْ أَوَّلِ ٱلشَّهْرِ إِلَىٰ آخِرِهِ »[٣] .

أعتقَنا اللهُ مِنَ النَّارِ .

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » (١٨٨٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٣٣٦) .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٦٦٩) ، وابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (٢٢٠/٢) عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٩٢/٥٢) ، والسمرقندي في « تنبيه الغافلين » (٤٢٥) بإسناده .

ورُوِيَ [1] عن أنسِ بنِ مالكٍ أنَّهُ قالَ : « يَخْرُجُ ٱلصَّائِمُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يُعْرَفُونَ بِعَرْفِ صِيَامِهِمْ مِنْ أَفْوَاهِهِم ؛ يَخْرُجُ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ ٱلْمِسْكِ ، يُنْقَلُ إِلَيْهِمُ ٱلْمَوَائِدُ وَٱلْأَبَارِيقُ مَخْتُومَةً أَفْوَاهُهَا بِٱلْمِسْكِ ، فَقَالَ لَهُمْ : كُلُوا قَدْ [جُعْتُمْ] ، وَٱشْرَبُوا فَقَدْ عَطِشْتُمْ حِينَ رَوِيَ ٱلنَّاسُ ، وَٱسْتَرِيحُوا قَدْ تَعِبْتُمْ حِينَ ٱسْتَرَاحَ ٱلنَّاسُ ، قَالَ : فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَسْتَرِيحُونَ ، وَٱلنَّاسُ مَشْغُولُونَ فِي ٱلْحِسَابِ فِي عَنَاءٍ وَظَمَأٍ » [2] .

وعنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ : كانَ يقولُ إذا دخلَ أوَّلُ ليلةٍ مِنْ شهرِ رمضانَ : (مرحباً بمظهرِ خيرٍ كلِّهِ ؛ صيامِ نهارِهِ وقيامِ ليلِهِ ، النفقةُ فيهِ كالنفقةِ في سبيلِ اللهِ) .

وقيلَ : (إنَّ للهِ مَوضِعاً حولَ العرشِ ، يُسمَّىٰ حظيرةَ القُدْسِ ، وهوَ مِنَ النُّورِ ، وفيهِ ملائكةٌ لا يعلمُ عددَهُم إلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ ، يعبدونَ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يَفتُرُونَ ساعةً ، فإذا كانَ ليالي رمضانَ . . استأذنوا ربَّهُم عزَّ وجلَّ أن ينزلوا إلى الأرضِ ، ويحضرونَ [3] معَ أمَّةِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ صلاةَ التراويحِ ؛ فكلُّ مَنْ مسَّهُم أو مسُّوهُ . . سَعِدَ سعادةً ولا يشقىٰ بعدَها أبداً) [4] ، رزَقنا اللهُ تعالىٰ وإيَّاكُم بسعادتِهِ أبداً [5] .

وقالَ النَّخَعيُّ : (صومُ يومٍ مِنْ رمضانَ أفضلُ مِنْ صومِ ألفِ يومٍ ،

---

(١) زاد في (ب) هـٰذين الحديثين الآتيين ، وليسا في النسخ الأخرىٰ ، ولا في المطبوع .

(٢) عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (١/٤٤٢) لأبي الشيخ في « الثواب » ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٦٤٤) لأبي الشيخ في « الثواب » ، وللديلمي .

(٣) كذا في (ب) ، وفي « تنبيه الغافلين » : (فيصلون) .

(٤) أخرج ذٰلك السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (٤٦٥) عن أبيه بإسناده لسيدنا علي رضي الله عنه .

(٥) إلىٰ هنا انتهت الزيادة من (ب) .

وتسبيحةٌ فيهِ أفضلُ مِنْ ألفِ تسبيحةٍ ، وركعةٌ فيهِ خيرٌ مِنْ ألفِ ركعةٍ ، والنفقةُ فيهِ مضاعفةٌ كالنفقةِ في سبيلِ اللهِ)[1] .

ورُوِيَ عنِ ابنِ مسعودٍ أنَّهُ قالَ : (إذا كانَ يومُ القيامةِ وأرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً . . أعطاهُ كتابَهُ جهراً وقالَ لهُ : اقرأْ سرّاً ؛ حتىٰ لا يفضحَهُ بينَ خلقِهِ ، فيقرأُ كتابَهُ سرّاً ، فلم يَسمعْهُ أحدٌ .

فتقولُ الملائكةُ : إلـٰهَنا ؛ هـٰذهِ عِنايةٌ لم تَسبقْ لأحدٍ مِنَ العُصاةِ ، وقد أوعدتَ مَنْ عصاكَ أن تُعذِّبَهُ وتُحرِقَهُ بالنَّارِ !!

فيقولُ سبحانَهُ وتعالىٰ : يا ملائكتي ؛ إنِّي حرقتُهُ في الدُّنيا بنارِ الجوعِ والعطشِ في الحرِّ الشديدِ في شهرِ رمضانَ ، فلا أُحرِقُهُ اليومَ بالنِّيرانِ ، وقد عفوتُ عنهُ وغفرتُ لهُ ما سلفَ مِنَ الذُّنوبِ والعصيانِ ، وأنا الكريمُ المنَّانُ) .

[غَفَرَ لي لأجلِ حُرمةِ رمضانَ]

وحُكِيَ عن بعضِ أهلِ العلمِ أنَّهُ قالَ : (كانَ عندَنا رجلٌ اسمُهُ محمدٌ ، وكانَ لا يُصلِّي إلَّا قطعاً ، فإذا دخلَ شهرُ رمضانَ . . زيَّنَ نفسَهُ بالثيابِ الفاخرةِ والطِّيبِ ، ويصومُ ويُصلي ويقضي ما فاتَهُ ، فقلتُ لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : هـٰذا شهرُ التوبةِ والرَّحمةِ والبركةِ ، عسى اللهُ أن يتجاوزَ عنِّي بفضلِهِ ، فماتَ ، فرأيتُهُ في المنامِ ، فقلتُ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ قالَ : غفرَ لي لأجلِ حُرمةِ شهرِ رمضانَ) .

غفرَ اللهُ لنا ولجميعِ المسلمينَ .

---

(١) أخرجه الأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (١٧٨١) ، وأورده ابن رجب الحنبلي في « لطائف المعارف » (ص ٢٨٦) .

فَصْلٌ

في أحكامِ الصَّومِ

فرضُهُ : نيَّةٌ ليلاً لكلِّ يومٍ مِنْ رمضانَ ، وأقلُّها : (نويتُ صومَ رمضانَ) ، والأكملُ : (نويتُ صومَ غدٍ عن أداءِ فرضِ رمضانِ هٰذهِ السنةِ للهِ تعالىٰ) ، والتلفُّظُ بها سنَّةٌ ، وتركُ مُفطِّرٍ نهاراً .

[سننُ الصَّومِ]

وسننُهُ : السُّحورُ ، وبالتمرِ أحبُّ ، ويَحصلُ ولو بجَرْعةِ ماءٍ ، ووقتُهُ : مِنْ نصفِ اللَّيلِ ، وتأخيرُهُ أولىٰ ما لم يقعْ في شَكٍّ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلسَّحُورُ أكلُهُ بركةٌ ، فَلَا تَدَعُوهُ وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جَرْعَةً مِنْ مَاءٍ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلْمُتَسَحِّرِينَ » رواهُ أحمدُ (١) .

واستياكٌ ؛ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خَيْرُ خِصَالِ ٱلصَّائِمِ ٱلسِّوَاكُ » رواهُ البيهقيُّ (٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا صُمْتُمْ . . فَٱسْتَاكُوا بِٱلْغَدَاةِ ، وَلَا تَسْتَاكُوا بِٱلْعَشِيِّ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ صَائِمٍ تَيْبَسُ شَفَتَاهُ بِٱلْعَشِيِّ . . إِلَّا كَانَ نُوراً بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ » رواهُ الطبرانيُّ (٣) .

وتعجيلُ فِطرٍ إذا تحقَّقَ الغروبُ ، وتقديمُهُ على الصلاةِ (٤) ،

---

(١) مسند أحمد (٣/١٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) السنن الكبرىٰ (٤/٢٧٢) برقم (٨٤٠٠) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٤/٧٨) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٤) أخرج أحمد (٥/١٤٧) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الإفطار ، وأخروا السحور » .

وكونُهُ بثلاثِ رطَباتٍ ، فتمَراتٍ ، فحسَواتِ ماءٍ .

ودعاءٌ بعدَهُ ؛ وهوَ : اللهمَّ ؛ لكَ صمتُ ، وعلىٰ رزقِكَ أفطرتُ [1] ، وبكَ آمنتُ ، وعليكَ توكلتُ ، ورحمتَكَ رجوتُ ، وإليكَ تبتُ ، ذهبَ الظَّمأُ ، وابتلتِ العروقُ ، وثبَتَ الأجرُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ [2] .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن ربِّهِ عزَّ وجلَّ : « قَالَ : أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْراً » رواهُ الترمذيُّ [3] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا تَزَالُ أُمَّتِي عَلَىٰ سُنَّتِي مَا لَمْ يَنْتَظِرُوا بِفِطْرِهِمْ طُلُوعَ ٱلنَّجْمِ » رواهُ الطبرانيُّ [4] .

ويُسَنُّ في رمضانَ إكثارُ تلاوةِ القرآنِ ، وصدقةٍ وجودٍ ، وتوسعةٌ على العيالِ ، وإحسانٌ إلى الأقاربِ والجيرانِ ، وتهجدٌ واعتكافٌ لا سِيَّما عشرِ آخِرِهِ ، ودعاءُ : (اللهمَّ ؛ إنَّكَ عفوٌّ تُحِبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي) في العشرِ الأواخرِ [5] .

❁ ❁ ❁

ويُندَبُ للصائمِ أن يَكُفَّ نفسَهُ عنِ الشهواتِ المُباحةِ ؛ مِنَ التلذُّذِ

---

(١) أخرجه أبو داوود (٢٣٥٠) ، والبيهقي في « الدعوات الكبير » (٥٠٠) عن معاذ بن زهرة مرسلاً .

(٢) أخرج الحاكم (٤٢٢/١) ، وأبو داوود (٢٣٤٩) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر . . قال : « ذهب الظمأ . . . » .

(٣) سنن الترمذي (٧٠٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » كما في « مجمع الزوائد » (٤٩٣٩) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٥) أخرج الحاكم (٥٣٠/١) ، وابن ماجه (٤٠٠٤) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله ؛ إن وافقت ليلة القدر . . ما أقول فيها ؟ قال : « قولي : اللهم ؛ إنك عفو . . . » فيستحب في العشر الأواخر ؛ لإبهام ليلة القدر فيها .

بمَسموعٍ أو مُبصَرٍ أو مَلبوسٍ أو مَشمومٍ ؛ كشمِّ ريحانٍ ، ونظرٍ إليهِ ولمسِهِ ، وأن يَغتسلَ لنحوِ جنابةٍ قبلَ الفجرِ ، وأن يَحترزَ عن ذوقِ طعامٍ أو غيرِهِ ، ومضغِ نحوِ الخبزِ لطفلٍ ، ولسانَهُ عنِ الفحشاءِ .

[مُفسِداتُ الصَّومِ]

ومُفسِداتُهُ : وصولُ عينٍ جوفَهُ ، واستقاءةٌ ، واستمناءٌ ، ووطءٌ في فرجٍ معَ تعمُّدٍ واختيارٍ وعلمٍ بتحريمِهِ ، وبكونِهِ مُفطِّراً .

ويجبُ معَ القضاءِ الإمساكُ في رمضانَ علىٰ مُتعمِّدِ فِطرٍ ، وتاركِ نيَّةٍ ليلاً ، ومَنْ تَسحَّرَ ظانّاً بقاءَهُ ، أو أفطرَ ظانّاً الغروبَ فبانَ خلافُهُ ، ومَنْ بانَ لهُ يومُ ثلاثينَ شعبانَ أنَّهُ مِنْ رمضانَ ، ومَنْ سبقَهُ ماءُ المُبالغةِ في مضمضةٍ أوِ استنشاقٍ ، لا علىٰ مسافرٍ أو مريضٍ زال عذرُهُما بعدَ الفِطرِ [1] ، ولا على امرأةٍ طهَرَتْ مِنْ حيضٍ أو نِفاسٍ نهاراً .

نعم ؛ يُسَنُّ لهُمُ الإمساكُ بقيَّةَ النَّهارِ ، فإن خالفوا . . نُدِبَ إخفاءُ أكلِهِم عمَّنْ يجهلُ عذرَهُم .

[مبطلاتُ ثوابِ الصومِ]

ومِمَّا يُبطِلُ ثوابَ الصَّومِ إجماعاً : الكذبُ والغِيبةُ والمُشاتمةُ ؛ لِما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ ٱلزُّورِ وَٱلْعَمَلَ بِهِ . . فَلَيْسَ لِلهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ » رواهُ البخاريُّ [2] .

---

(١) في (ج) : (بعد الفجر) .

(٢) صحيح البخاري (١٩٠٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا ٱلظَّمَأُ » رواهُ النسائيُّ [1] .

ووردَ في حديثٍ : « لَيْسَ ٱلصِّيَامُ مِنَ ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ ، إِنَّمَا ٱلصِّيَامُ مِنَ ٱللَّغْوِ وَٱلرَّفَثِ » قالَ الحافظُ أبو موسى المدينيُّ : (هوَ علىٰ شرطِ مسلمٍ) [2] .

قالَ بعضُ السَّلفِ : (أهونُ الصيامِ : تركُ الطعامِ والشرابِ) [3] .

وقالَ : (إذا صُمْتَ . . فليصُمْ سمعُكَ وبصرُك ولسانُكَ عنِ الكذبِ والمحارمِ ، ودَعْ أذى الجارِ) [4] .

[الصَّومُ عنِ الحرامِ مُقدَّمٌ علىٰ تركِ الطعامِ]

واعلمْ : أنَّ التقرُّبَ إلى اللهِ تعالىٰ بتركِ المُباحاتِ لا يكمُلُ إلَّا بعدَ التقرُّبِ بتركِ المُحرَّماتِ ؛ فَمَنِ ارتكبَ المُحرَّماتِ ثمَّ تقرَّبَ بتركِ المُباحاتِ . . كانَ بمثابةِ مَنْ يتركُ الفرائضَ ويتقرَّبُ بالنوافلِ وإن كانَ صومُهُ مُجزئاً عندَ الجمهورِ ؛ بحيثُ لا يُؤمَرُ بإعادتِهِ ، لـٰكنْ قالَ الأوزاعيُّ : (يُفطِرُ بالكذبِ والغِيبةِ) [5] ؛ لِما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خَمْسُ خِصَالٍ

---

(1) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٣٢٣٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، لـٰكن بلفظ : « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » .

(2) أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » (١٩٩٦) ، وابن حبان (٣٤٧٩) ، والحاكم (١/٤٣٠ ـ ٤٣١) وقال : (صحيح علىٰ شرط مسلم) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(3) نقله الحافظ ابن رجب الحنبلي في « لطائف المعارف » (ص ٢٩٢) .

(4) أخرجه ابن أبي شيبة (٨٩٧٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٣٧٤) ، ونقله الحافظ ابن رجب الحنبلي في « لطائف المعارف » (ص ٢٩٢) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وتتمته : (وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء) .

(5) أورده العلامة باعشن الحضرمي في « بشرى الكريم بشرح مسائل التعليم » (ص ٥٦٥) .

يُفَطِّرْنَ ٱلصَّائِمَ وَيَنْقُضْنَ ٱلْوُضُوءَ : ٱلْكَذِبُ ، وَٱلْغِيبَةُ ، وَٱلنَّمِيمَةُ ، وَٱلنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ ، وَٱلْيَمِينُ ٱلْكَاذِبَةُ » رواهُ الأزديُّ والديلميُّ عن أنسٍ (١) .

وفي « مُسندِ الإمامِ أحمدَ » : أنَّ امرأتَينِ صامَتا علىٰ عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأجهدَهُما الجوعُ والعطشُ في آخِرِ النَّهارِ حتىٰ كادَتا أن تَتلفا ، فبعثَتا إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تَستأذنانِهِ في الإفطارِ ، فأرسلَ إليهِما قَدَحاً وقالَ : « قُلْ لَهُمَا : قِيئَا فِيهِ مَا أَكَلْتُمَا » ، فقاءَتْ إحداهُما نصفَهُ دماً عَبيطاً ولحماً [غَريضاً] ، وقاءَتِ الأُخرىٰ مثلَ ذٰلكَ حتىٰ ملأَتاهُ ، فتعجَّبَ النَّاسُ مِنْ ذٰلكَ !!

فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « هَاتَانِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ ٱللهُ لَهُمَا ، وَأَفْطَرَتَا عَلَىٰ مَا حَرَّمَ ٱللهُ عَلَيْهِمَا ، قَعَدَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى ٱلْأُخْرَىٰ ، فَجَعَلَتَا تَغْتَابَانِ ٱلنَّاسَ ، فَهَـٰذَا مَا أَكَلَتَا مِنْ لُحُومِهِمْ » (٢) .

ورُوِيَ عنِ ابنِ مسعودٍ الأنصاريِّ أنَّهُ قالَ (٣) : (ما مِنْ عبدٍ صامَ رمضانَ في إنصاتٍ وسكوتٍ ، وذِكْرٍ للهِ تعالىٰ ، وأحلَّ حلالَهُ وحرَّمَ حرامَهُ ، ولم يَرتكبْ فيهِ فاحشةً . . إلَّا انسلخَ مِنْ رمضانَ يومَ يَنسلِخُ وقد غُفِرَتْ لهُ ذُنُوبُهُ كلُّها ، ويُبنَىٰ لهُ بكلِّ تسبيحةٍ وتهليلةٍ بيتٌ في الجنَّةِ مِنْ زُمُرُّدَةٍ خضراءَ في جوفِها ياقوتَةٌ حمراءُ ، في جوفِ تلكَ الياقوتةِ خيمةٌ مِنْ دُرَّةٍ مُجوَّفةٍ ، فيها زوجةٌ مِنَ الحورِ العِينِ) (٤) .

---

(١) عزاه في « كنز العمال » (٢٣٨١٣) وعزاه للأزدي في « الضعفاء » وللديلمي .

(٢) مسند أحمد (٥/٤٣١) بنحوه عن عُبيد مولىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه .

(٣) في (ب ، هـ) : (عن أبي مسعود الأنصاري . . .) .

(٤) أخرجه السمرقندي بإسناده في « تنبيه الغافلين » (٤٥٨) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وليس هو (الأنصاري) ولعلها هنا سبق قلم .

إخواني ؛ اهتمُّوا بأمرِ صومِكُم ، واحذروا ممَّا يُبطِلُهُ ويَردُّهُ عليكُم ؛ فقد قيلَ : إذا تعلَّقَ مظلومٌ بحسناتِ صومِ ظالمِهِ . . يقولُ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ : « ٱلصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ »(١) ، فلا تُفسِدوا مثلَ هٰذا العملِ ، بتركِ المُبالاةِ بحدودِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، واتركوا في رمضانَ المُخالفةَ والجفا ؛ فإنَّهُ شهرُ الصَّفا ، والمُعاملةِ بالوفا .

فطوبىٰ لأقوامٍ صاموا عنِ الشهَواتِ ، وقاموا في الخلَواتِ ، يَتلونَ مِنْ آياتِ ذِكْرِهِ صُحُفاً ، ضاعفَ لهُم بصيامِهِم أجوراً ، ووعدَهُم في الجنَّةِ قصوراً وغُرَفاً .

شَهْرَ ٱلصِّيَامِ لَقَدْ عَلَوْتَ مُكَرَّمَا ... وَغَدَوْتَ مِنْ بَيْنِ ٱلشُّهُورِ مُعَظَّمَا

يَا صَائِمِي رَمَضَانَ هَٰذَا شَهْرُكُمْ ... فِيهِ أَبَاحَكُمُ ٱلْمُهَيْمِنُ مَغْنَمَا

يَا فَوْزَ مَنْ فِيهِ أَطَاعَ إِلَٰهَهُ ... مُتَقَرِّباً مُتَجَنِّباً مَا حَرَّمَا

فَٱلْوَيْلُ كُلُّ ٱلْوَيْلِ لِلْعَاصِي ٱلَّذِي ... فِي شَهْرِهِ أَكَلَ ٱلْحَرَامَ وَأَجْرَمَا(٢)

نسألُ اللهَ الكريمَ المنَّانَ : أن يجعلَنا ممَّنْ حافظَ علىٰ حدودِ صيامِ رمضانَ ، ففازَ بالفردوسِ والجنَانِ ، والقصورِ والحورِ العِينِ الحسانِ .

فَصْلٌ

في فضلِ العشرِ الأخيرِ وليلةِ القَدْرِ والاعتكافِ وإحياءِ ليلتَيِ العيدِ وصدقةِ الفِطرِ

أخرجَ الشيخانِ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : (كانَ النبيُّ

(١) أخرجه البخاري (٧٤٩٢) ، ومسلم (١١٥١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) الأبيات من البحر الكامل ، ذكرها السيد البكري في « إعانة الطالبين » (٢/٢٥٦) دون عزو لأحد .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا دخلَ العشرُ الأخيرُ . . شَدَّ مِئزَرَهُ ، وأحيا ليلَهُ ، وأيقظَ أهلَهُ)[١] .

وفي روايةٍ لمسلمٍ عنها قالَتْ : (كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يَجتهدُ في العشرِ الأخيرِ ما لا يَجتهدُ في غيرِهِ)[٢] .

و(كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يخُصُّ العشرَ الأواخرَ في رمضانَ بأعمالٍ لا يعملُها في بقيَّةِ الشهرِ)[٣] .

وأخرجَ الديلميُّ عن أنسٍ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ وَهَبَ لِأُمَّتِي لَيْلَةَ ٱلْقَدْرِ ، وَلَمْ يُعْطِهَا مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ »[٤] .

والطبرانيُّ عن عبادةَ بنِ الصامتِ : « ٱلْتَمِسُوهَا فِي ٱلْعَشْرِ ٱلْأَوَاخِرِ ؛ فَإِنَّهَا وِتْرٌ فِي إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ ، أَوْ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ ، أَوْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ ، أَوْ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، أَوْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ ، أَوْ آخِرِ لَيْلَةٍ ؛ فَمَنْ قَامَهَا إِيمَاناً وَٱحْتِسَاباً . . غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ »[٥] .

وهوَ عن واثلةَ : « لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ لَيْلَةٌ بَلْجَةٌ ، لَا حَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ ، وَلَا سَحَابَ فِيهَا وَلَا مَطَرَ وَلَا رِيحَ ، وَلَا يُرْمَىٰ فِيهَا بِنَجْمٍ ، وَمِنْ عَلَامَةِ يَوْمِهَا : تَطْلُعُ ٱلشَّمْسُ لَا شُعَاعَ لَهَا »[٦] .

والنَّسائيُّ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ أرأيتَ

---

(١) صحيح البخاري (٢٠٢٤) ، وصحيح مسلم (١١٧٤) .

(٢) صحيح مسلم (١١٧٥) .

(٣) أي : كإحياء الليل ، وإيقاظ الأهل ، وشد المئزر ، وطي الفراش ، والاستغراق في العبادة وقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولكنه صلى الله عليه وسلم أراد تعليم أمته شكر ربهم .

(٤) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٦٤٧) .

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم « الأوسط » (٤٤٠٦) بنحوه ، وأحمد بلفظه (٣١٨/٥) .

(٦) أخرجه الطبراني في « مسند الشاميين » (٣٣٨٩) .

إن علمتُ أيَّ ليلةٍ ليلةُ القَدْرِ . . ما أقولُ فيها ؟ قالَ : « قُولِي : ٱللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ ٱلْعَفْوَ فَٱعْفُ عَنِّي »[١] .

[فضلُ الاعتكافِ وأجرُهُ]

وأخرجَ الديلميُّ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : « مَنِ ٱعْتَكَفَ إِيمَاناً وَٱحْتِسَاباً . . غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »[٢] .

وابنُ ماجه والبيهقيُّ عنِ ابنِ عباسٍ : « ٱلْمُعْتَكِفُ يَعْكُفُ ٱلذُّنُوبَ ، وَيَجْرِي لَهُ مِنَ ٱلْأَجْرِ كَأَجْرِ عَامِلِ ٱلْحَسَنَاتِ كُلِّهَا »[٣] .

والشيخانِ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يعتكِفُ العشرَ الأواخرَ مِنْ رمضانَ حتىٰ توفَّاهُ ٱللهُ ، ثمَّ اعتكفَ أزواجُهُ مِنْ بعدِهِ)[٤] .

والبيهقيُّ عنِ الحسنِ بنِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما : « مَنِ ٱعْتَكَفَ عَشْراً فِي رَمَضَانَ . . كَانَ كَحَجَّتَيْنِ وَعُمْرَتَيْنِ »[٥] .

والطبرانيُّ عن أبي أُمامةَ : « تَمَامُ ٱلرِّبَاطِ : أَرْبَعُونَ يَوْماً ، وَمَنْ رَابَطَ أَرْبَعِينَ يَوْماً ؛ لَمْ يَبِعْ وَلَمْ يَشْتَرِ ، وَلَمْ يُحْدِثْ حَدَثاً . . خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »[٦] .

---

(١) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (١٠٦٤٢) .

(٢) عزاه في « كنز العمال » (٢٤٠٠٧ ، ٢٤٠١٦) للديلمي ، وأورده الديلمي مختصراً في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٧٩٨١) .

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٨٧١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٦٧٨) ، وقوله : (يعكف الذنوب) أي : يمنعها .

(٤) صحيح البخاري (٢٠٢٦) ، وصحيح مسلم (١١٧٢/٥) .

(٥) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٦٨٠) .

(٦) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٣٣/٨) .

[فضلُ إحياءِ ليلتَيِ العيدَينِ وغيرِهما]

وأخرجَ ابنُ ماجه عن أبي أُمامةَ : « مَنْ قَامَ لَيْلَتَيِ ٱلْعِيدِ مُحْتَسِباً لِلَّهِ . . لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ ٱلْقُلُوبُ »(١) .

وابنُ عساكرَ عن معاذٍ : « مَنْ أَحْيَا ٱللَّيَالِيَ ٱلْأَرْبَعَ . . وَجَبَتْ لَهُ ٱلْجَنَّةُ : لَيْلَةَ ٱلتَّرْوِيَةِ ، وَلَيْلَةَ عَرَفَةَ ، وَلَيْلَةَ ٱلنَّحْرِ ، وَلَيْلَةَ ٱلْفِطْرِ »(٢) .

[زكاةُ الفِطرِ ووداعُ الشهرِ]

وأخرجَ الدارقطنيُّ والبيهقيُّ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : « زَكَاةُ ٱلْفِطْرِ : فَرْضٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ ؛ حُرٍّ وَعَبْدٍ ، وَذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ : صَاعٌ مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ »(٣) .

وهُما عنِ ابنِ عباسٍ : « زَكَاةُ ٱلْفِطْرِ طُهْرَةٌ لِلصَّائِمِ مِنَ ٱللَّغْوِ وَٱلرَّفَثِ ، وَطُعْمَةٌ لِلْمَسَاكِينِ ؛ مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ ٱلصَّلَاةِ . . فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ ٱلصَّلَاةِ . . فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ ٱلصَّدَقَاتِ »(٤) .

وابنُ صَصْرىٰ عن جريرٍ : « إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ مُعَلَّقٌ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ ، لَا يُرْفَعُ إِلَّا بِزَكَاةِ ٱلْفِطْرِ »(٥) .

إخواني ؛ مضىٰ شهرُ رمضانَ ، وشهِدَ على المُسيءِ بالإساءةِ وعلى المُحسِنِ بالإحسانِ ، وحصلَ كلٌّ علىٰ ما قُسِمَ لهُ مِنْ رِبحٍ وخُسرانٍ .

---

(١) سنن ابن ماجه (١٨٧٢) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٣/٩٢ ـ ٩٣) .

(٣) سنن الدارقطني (٢/١٤٠) ، وسنن البيهقي (٤/١٦٢) برقم (٧٧٦٥) .

(٤) سنن الدارقطني (٢/٦١) ، والبيهقي في « معرفة السنن والآثار » (٨٤٣٨) .

(٥) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٤١٢٢) وعزاه لابن صصرىٰ في « أماليه » .

فيا حسرةَ المُفرّطِ ؛ لقد أضاعَ الزّمانَ !! ويا خَيبةَ المُسوّفِ ؛ كأنَّهُ أخذَ مِنَ الموتِ الأمانَ ، أو علمَ أنَّ القضاءَ يُمهِلُهُ إلىٰ صومِ رمضانٍ ثانٍ !!

هٰذا شهرُكُم قدِ انتصبَ لكُم مُودِّعاً ، وسارَ مُسرِعاً ، فأينَ البكاءُ لرحيلِهِ ، وأينَ الاستدراكُ لقليلِهِ ، وأينَ الاقتداءُ بفعلِ الخيرِ ودليلِهِ ، فللهِ ما كانَ أطيبَ زمانَهُ ؛ مِنْ صومٍ وسَهَرٍ !! وما كانَ أصفىٰ أوقاتَهُ ؛ مِنْ آفاتِ الكَدَرِ !! وما كانَ ألذَّ الاشتغالَ فيهِ بالآياتِ والسُّوَرِ !!

فيا ليتَ شِعْري ؛ مَنْ قامَ بواجباتِهِ وسننِهِ ، ومَنِ اجتهدَ في عِمارةِ زمنِهِ ، ومَنِ الذي أخلصَ في سرِّهِ وعَلَنِهِ ، ومَنِ الذي خَلَصَ مِنْ آفاتِ الصَّومِ وفتَنِهِ !!

رزقَنا اللهُ تعالىٰ وإيَّاكُمُ امتثالَ الفضائلِ ، واجتنابَ الرَّذائلِ ، ومَنَّ علينا بُحسنِ القَبولِ ، والثوابِ الجزيلِ ، آمينَ .

فَصْلٌ

في صومِ التطوُّعِ

أخرجَ البيهقيُّ عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قَالَ ٱللهُ تَعَالَى : ٱلصِّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا ٱلْعَبْدُ مِنَ ٱلنَّارِ ، وَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ »[١] .

والخطيبُ عن سهلِ بنِ سعدٍ : « مَنْ صَامَ يَوْماً تَطَوُّعاً لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ . . لَمْ يَرْضَ ٱللهُ لَهُ بِثَوَابٍ دُونَ ٱلْجَنَّةِ »[٢] .

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٢٩٢) .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١/٢٩٣) .

والشيخانِ عن أبي سعيدٍ : « مَنْ صَامَ يَوْماً فِي سَبِيلِ ٱللهِ . . بَعَّدَ ٱللهُ وَجْهَهُ عَنِ ٱلنَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً »[1] .

والترمذيُّ عن [أمِّ] عُمارَةَ : « ٱلصَّائِمُ إِذَا أَكَلَتْ عِنْدَهُ ٱلْمَفَاطِيرُ . . صَلَّتْ عَلَيْهِ ٱلْمَلاَئِكَةُ »[2] .

وأخرجَ أحمدُ ومسلمٌ عن أبي أيوبَ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ، وَأَتْبَعَهُ سِتّاً مِنْ شَوَّالٍ . . كَانَ كَصَوْمِ ٱلدَّهْرِ »[3] .

والطبرانيُّ عن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ، وَأَتْبَعَهُ سِتّاً مِنْ شَوَّالٍ . . خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »[4] .

[فضلُ صيامِ يومِ عرفةَ وعاشوراءَ]

وأخرجَ مسلمٌ عن أبي قتادةَ : « إِنَّ صِيَامَ يَوْمِ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ سَنَتَيْنِ : سَنَةٍ مَاضِيَةٍ ، وَسَنَةٍ آتِيَةٍ »[5] .

وأبو سعيدٍ[6] عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : « مَنْ صَامَ يَوْمَ عَرَفَةَ . . غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ »[7] .

---

(١) صحيح البخاري (٢٨٤٠) ، وصحيح مسلم (١١٥٣) ، وفي (د) : (باعده الله عن النار) ، وهي قريبة من رواية الإمام مسلم .

(٢) سنن الترمذي (٧٨٤) .

(٣) صحيح مسلم (١١٦٤) ، ومسند أحمد (٤١٧/٥) .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٦١٧) لكن عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٥) صحيح مسلم (١١٦٢) بنحوه .

(٦) هو الحافظ أبو سعيد محمد بن علي بن عمرو بن مهدي ، الشهير بالنقاش صاحب « الأمالي » و« التفسير » و« القضاة والشهود » وغيرها ، توفي سنة (٤١٤ هـ) رحمه الله تعالى . انظر « سير أعلام النبلاء » (٣٠٧/١٧) ، و« الأعلام » (٢٧٥/٦) .

(٧) أخرجه الحافظ ابن حجر العسقلاني في « الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة » (ص ٧١) بإسناد الحافظ أبي سعيد النقاش في « أماليه » .

والبيهقيُّ عنِ الفضلِ : « مَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ وَسَمْعَهُ وَبَصَرَهُ يَوْمَ عَرَفَةَ . . غُفِرَ لَهُ مِنْ عَرَفَةَ إِلَىٰ عَرَفَةَ »[1] .

وابنُ أبي شيبةَ عن أبي هريرةَ : « صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، هُوَ يَوْمٌ كَانَتِ ٱلْأَنْبِيَاءُ يَصُومُونَهُ فَصُومُوهُ »[2] .

ومسلمٌ عن أبي قتادةَ : سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن صيامِ يومِ عاشوراءَ ، فقالَ : « يُكَفِّرُ ٱلسَّنَةَ ٱلْمَاضِيَةَ »[3] .

وهوَ عنِ ابنِ عباسٍ : « لَئِنْ بَقِيتُ إِلَىٰ قَابِلٍ . . لَأَصُومَنَّ ٱلتَّاسِعَ »[4] .

[صيامُ الأيَّامِ البيضِ والاثنَينِ والخميسِ]

وأخرجَ أحمدُ والترمذيُّ عن أبي ذرٍّ : « مَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ . . فَقَدْ صَامَ ٱلدَّهْرَ كُلَّهُ »[5] .

وهُما وابنُ حِبَّانَ عنهُ : « إِذَا صُمْتَ مِنَ ٱلشَّهْرِ ثَلَاثاً . . فَصُمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ »[6] .

والطبرانيُّ عنِ ابنِ عباسٍ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يَدَعُ صومَ أيَّامِ البيضِ في سفرٍ ولا حضرٍ)[7] .

وأخرجَ أحمدُ وابنُ ماجه عن أبي هريرةَ : كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٤٩٠) عن سيدنا الفضل بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٩٤٤٦) بنحوه .

(٣) صحيح مسلم (١١٦٢/١٩٧) .

(٤) صحيح مسلم (١١٣٤/١٣٤) .

(٥) أخرجه الترمذي (٧٦١) ، وأحمد (٥/١٤٦) .

(٦) أخرجه ابن حبان (٣٦٥٩) ، وأحمد (٥/١٦٢) ، والترمذي (٧٦١) .

(٧) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/١١) .

وسلَّمَ يصومُ الاثنَينِ والخميسَ ، فقيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّكَ تصومُ الاثنَينِ والخميسَ ؟ فقالَ : « إِنَّ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ وَٱلْخَمِيسِ يَغْفِرُ ٱللهُ فِيهِمَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ إِلَّا هَاجِرَيْنِ ؛ يَقُولُ : دَعْهُمَا حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا »(١) .

والترمذيُّ عنهُ : كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يَتحرَّىٰ صومَ الاثنَينِ والخميسِ(٢) ، وقالَ : « تُعْرَضُ ٱلْأَعْمَالُ فِيهِمَا ، فَأُحِبُّ أَنْ تُعْرَضَ أَعْمَالِي وَأَنَا صَائِمٌ »(٣) .

[صومُ عشرِ ذي الحِجَّةِ وبعضِ الشهورِ]

وأخرجَ الترمذيُّ وابنُ ماجه عنهُ : « مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبَّ إِلَى ٱللهِ أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي ٱلْحِجَّةِ ؛ يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا بِصِيَامِ سَنَةٍ ، وَقِيَامُ كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهَا بِقِيَامِ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ »(٤) .

وأبو داوودَ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (كانَ يصومُ تسعَ ذي الحِجَّةِ)(٥) .

ومسلمٌ عنهُ : « أَفْضَلُ ٱلصَّلَاةِ بَعْدَ ٱلْمَكْتُوبَةِ : صَلَاةٌ فِي جَوْفِ ٱللَّيْلِ ، وَأَفْضَلُ ٱلصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ : شَهْرُ ٱللهِ ٱلْمُحَرَّمُ »(٦) .

والبيهقيُّ عن أنسٍ : « إِنَّ فِي ٱلْجَنَّةِ نَهْراً يُقَالُ لَهُ : رَجَبٌ ، أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ

---

(١) سنن ابن ماجه (١٨٣٠) ، ومسند أحمد (٣٢٩/٢) .
(٢) سنن الترمذي (٧٤٥) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .
(٣) سنن الترمذي (٧٤٧) .
(٤) سنن الترمذي (٧٥٨) ، وسنن ابن ماجه (١٨١٨) .
(٥) سنن أبي داوود (٢٤٢٩) عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن .
(٦) صحيح مسلم (١١٦٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

ٱللَّبَنِ ، وَأَحْلَىٰ مِنَ ٱلْعَسَلِ ، مَنْ صَامَ يَوْماً مِنْ رَجَبٍ . . سَقَاهُ ٱللهُ مِنْ ذَٰلِكَ ٱلنَّهْرِ »[١] .

وهوَ والترمذيُّ عنهُ : « أَفْضَلُ ٱلصَّوْمِ بَعْدَ رَمَضَانَ : شَعْبَانُ ؛ لِتَعْظِيمِ رَمَضَانَ ، وَأَفْضَلُ ٱلصَّدَقَةِ : صَدَقَةٌ فِي رَمَضَانَ »[٢] .

والنَّسائيُّ والبيهقيُّ : عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : دخلَ عليَّ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذاتَ يومٍ فقالَ : « هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ ؟ » فقلنا : لا ، فقالَ : « إِنِّي إِذاً صَائِمٌ »[٣] .

ورُوِيَ عن أنسِ بنِ مالكٍ أنَّهُ قالَ : (يَخرجُ الصائمونَ مِنْ قبورِهِم يومَ القيامةِ ، يُعرَفونَ بعَرْفِ صيامِهِم مِنْ أفواهِهِم ؛ يَخرجُ أطيبَ مِنْ ريحِ المِسكِ ، تُنقَلُ إليهِمُ الموائدُ والأباريقُ مختومةً أفواهُها بالمِسكِ ، فيُقالُ لهُم : كلوا فقد جُعتُم حينَ شبعَ النَّاسُ ، واشربوا فقد عطشتم حينَ رَوِيَ النَّاسُ ، واستريحوا فقد تعبتُم حينَ استراحَ النَّاسُ ، قالَ : فيأكلونَ ويشربونَ ويستريحونَ والنَّاسُ مشغولونَ في الحسابِ في عَناءٍ وظماً)[٤] .

[بيعُ صومِ يومٍ برؤيةِ الحقِّ سبحانَهُ]

عن أبي سليمانَ الدَّارانيِّ : أنَّهُ صامَ يوماً في الحرِّ ثمَّ نامَ ، فرأىٰ قائلاً يقولُ : (أتبيعُ ثوابَ صومِكَ في هٰذا اليومِ بمئةِ دينارٍ ؟ قالَ : لا ،

---

(١) أخرجه الأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (١٨٢٠) ، وعزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٤٢٦٠) للشيرازي في « الألقاب » وللبيهقي .

(٢) أخرجه الترمذي (٦٦٣) ، والبيهقي (٣٠٥/٤) برقم (٨٥٩٢) .

(٣) أخرجه النسائي (٢٦٤٨) ، والبيهقي (٢٠٣/٤) برقم (٧٩٩٢) .

(٤) أورده الحافظ ابن رجب الحنبلي في « لطائف المعارف » (ص ٣٠٠) مختصراً وعزاه لأبي الشيخ في « الثواب » بإسناد فيه ضعف ، وقد تقدم (ص ٢٦٤) أنه هناك زيادة من النسخة (ب) .

قال : وبمئةِ ألفٍ ؟ قالَ : لا ، قالَ : وبمئتَيْ ألفٍ ؟ قالَ : لا ، وعِزَّةِ ربّي وجلالِهِ .

قالَ : فبأيِّ شيءٍ تبيعُهُ ؟ قالَ : لا أبيعُ الثوابَ بالدُّنيا وما فيها ، ولٰكنْ أبيعُهُ بالنَّظرِ إلى المولىٰ ، فقيلَ لهُ : صُمْ ، فسوفَ تراهُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ) .

[أتركُ للصُّلحِ موضعاً]

وحكى اليافعيُّ عنِ الشِّبليِّ أنَّهُ قالَ : (كنتُ في قافلةٍ بالشامِ ، فخرجَ الأعرابُ فأخذوها ، وجعلوا يَعرِضونَها علىٰ أميرِهِم ، فخرجَ جِرابٌ فيهِ سكَّرٌ ولوزٌ ، فأكلوا منهُ ولم يَأكلِ الأميرُ ، فقلتُ لهُ : لِمَ لا تأكلُ ؟ فقالَ : أنا صائمٌ ، فقلتُ : تَقطعُ الطريقَ وتَأخذُ الأموالَ ، وتَقتلُ النفسَ وأنتَ صائمٌ ؟! فقالَ : يا شيخُ ؛ أتركُ للصُّلحِ موضعاً .

فلمَّا كانَ بعدَ حينٍ . . رأيتُهُ يطوفُ حولَ البيتِ وهوَ مُحرِمٌ [وقد أنحلَتْهُ العبادةُ حتىٰ صارَ] كالشَّنِّ البالي[1] ، فقلتُ : أنتَ ذٰلكَ الرَّجلُ ؟ فقالَ : نعم ؛ ذٰلكَ الصيامُ أوقعَ الصُّلحَ بينَنا ، رحمَهُ اللهُ ورحمَنا معَهُ)[2] .

[دعاني مَنْ هوَ خيرٌ مِنْكَ يا حَجَّاجُ]

وهوَ أيضاً عن سعيدِ بنِ أبي عَرُوبةَ قالَ : (حَجَّ الحَجَّاجُ بنُ يوسفَ ، فنزلَ بعضَ المياهِ بينَ مكَّةَ والمدينةِ ، ودعا بالغداءِ ، وقالَ لحاجبِهِ : انظرْ إلىٰ مَنْ يَتغدَّىٰ معي ، وأَسألُهُ عن بعضِ الأمرِ ، فنظرَ نحوَ الجبلِ ؛ فإذا هوَ بأعرابيٍّ بينَ شملتَينِ نائمٌ ، فضربَهُ برجلِهِ وقالَ : ٱئتِ الأميرَ ، فأتاهُ ، فقالَ

---

(١) ما بين معقوفين ليس في النسخ ، وأثبتناه من المطبوع ، ومن « روض الرياحين » .

(٢) انظر « روض الرياحين » (ص ٣٤٣) ضمن الحكاية رقم (٣٥٧) .

لهُ الحَجَّاجُ : اغسلْ يدَكَ وتغدَّ معي ، فقالَ : إنَّهُ قد دعاني مَنْ هوَ خيرٌ مِنْكَ فأجبتُهُ .

قالَ : ومَنْ هوَ ؟! قالَ : اللهُ تباركَ وتعالىٰ دعاني إلى الصَّومِ فصمتُ .

قالَ : في هـٰذا الحرِّ الشديدِ ؟! قالَ : نعم ؛ صمتُ ليومٍ هوَ أشدُّ حرّاً مِنْ هـٰذا اليومِ .

قالَ : فأفطِرْ وصُمْ غداً . قالَ : إن ضمنتَ ليَ البقاءَ إلىٰ غدٍ . . أفطرتُ .

قالَ : ليسَ ذٰلكَ إليَّ . قالَ : فكيفَ تسألُني عاجلاً بآجلٍ لا تقدرُ عليهِ ؟!

قالَ : إنَّهُ طعامٌ طيّبٌ !! قالَ : لم تُطيِّبْهُ أنتَ ولا الطبَّاخُ ، إنَّما طيَّبَتْهُ العافيةُ) رضيَ اللهُ عنهُ وعنَّا [1] .

خاتمة [2]

في فضلِ عاشوراءَ

أخرجَ النَّسائيُّ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : « إنْ كُنْتَ صَائِماً بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ . . فَصُمِ ٱلْمُحَرَّمَ ؛ فَإِنَّهُ شَهْرُ ٱللهِ ، فِيهِ يَوْمٌ تَابَ ٱللهُ عَلَىٰ قَوْمٍ ، وَيَتُوبُ عَلَىٰ آخَرِينَ » [3] .

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ٢٣٩) رقم الحكاية (٢٢٢) ، ثم قال الإمام اليافعي رحمه الله تعالىٰ : وفي هـٰذا المعنىٰ قلتُ : [من الطويل]

وما طيَّبَ الطباخُ عيشاً وإنَّما ... بعافيةٍ طابَ الطعامُ لطاعمِ

إذا كانَ بي سقمٌ فلا شيءَ طيبٌ ... وإن لم يكُنْ طابتْ جميعُ المَطاعمِ

(٢) في (أ ، د) : (فصل) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٩٢٢٣) ، وأحمد (١/١٥٥) ، ولم يعزه الحافظ السيوطي في « الدر المنثور » (٨/٤٦٨) إلا لهما فتنبه .

والشيخانِ عنِ ابنِ عباسٍ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قَدِمَ المدينةَ ، فوجدَ اليهودَ صياماً يومَ عاشوراءَ ، فقالَ لهُم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا هَـٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي تَصُومُونَهُ ؟ » فقالوا : هـٰذا يومٌ عظيمٌ أنجى اللهُ فيهِ موسىٰ وقومَهُ ، وأغرقَ فرعونَ وقومَهُ ، فصامَهُ موسىٰ شكراً ، فنحنُ نصومُهُ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَىٰ بِمُوسَىٰ مِنْكُمْ » فصامَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأمرَ أصحابَهُ بصيامِهِ [١] .

ومسلمٌ عن أبي قتادةَ : سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن صيامِ يومِ عاشوراءَ ، فقالَ : « يُكَفِّرُ ٱلسَّنَةَ ٱلْمَاضِيَةَ » [٢] .

والبيهقيُّ : « صُومُوا ٱلتَّاسِعَ وَٱلْعَاشِرَ ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِٱلْيَهُودِ » [٣] .

ورُئِيَ بعضُ العلماءِ المُتقدِّمينَ في المنامِ ، فسُئِلَ عن حالِهِ ، فقالَ : (غُفِرَ لي بصيامِ يومِ عاشوراءَ ذنوبُ ستِّينَ سنةً) [٤] .

وحكى النَّاشِريُّ في « إيضاحِهِ » : (مِنْ أعجبِ ما وردَ في عاشوراءَ : أنَّهُ كانَ يصومُهُ الوحوشُ والهَوامُّ) [٥] .

وحُكِيَ عن فتحِ بنِ شخرفٍ أنَّهُ قالَ : (كنتُ أفتُّ للنملِ الخبزَ كلَّ يومٍ ، فلمَّا كانَ يومُ عاشوراءَ . . لم تأكلْ) [٦] .

---

(١) صحيح البخاري (٢٠٠٤) ، وصحيح مسلم (١٢٨/١١٣٠) واللفظ له .

(٢) صحيح مسلم (١٩٧/١١٦٢) .

(٣) سنن البيهقي الكبير (٢٨٧/٤) برقم (٨٤٨٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) أورده الحافظ ابن رجب الحنبلي في « لطائف المعارف » (ص ١١١) دون عزوٍ لأحد .

(٥) أخرجه ابن العديم في « بغية الطلب في تاريخ حلب » (٢٦٥٧/٦) ، وأورده ابن رجب في « لطائف المعارف » (ص ١١٠) ، وجَدُّ المؤلف في « مرشد الطلاب » (ق/٧٧) مخطوط .

(٦) أورده ابن رجب الحنبلي في « لطائف المعارف » (ص ١١٠) دون عزو لأحد .

وأخرجَ أبو موسى المدينيُّ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو : « مَنْ صَامَ عَاشُورَاءَ . . فَكَأَنَّمَا صَامَ ٱلسَّنَةَ ، وَمَنْ تَصَدَّقَ فِيهِ . . كَانَ كَصَدَقَةِ ٱلسَّنَةِ »[1] .

والطبرانيُّ والبيهقيُّ عن أبي سعيدٍ : « مَنْ وَسَّعَ عَلَىٰ عِيَالِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ . . وَسَّعَ ٱللهُ عَلَيْهِ فِي سَنَتِهِ كُلِّهَا »[2] ، قالَ سفيانُ بنُ عُيينةَ : (جرَّبنا العملَ بهٰذا الحديثِ خمسينَ سنةً ـ أو ستِّينَ سنةً ـ فوجدناهُ كذٰلكَ)[3] .

[قصَّةُ الفقيرِ معَ قاضي الرَّيِّ في يومِ عاشوراءَ]

وحكى اليافعيُّ : (أنَّهُ كانَ في الرَّيِّ قاضٍ غنيٌّ ، فجاءَهُ فقيرٌ يومَ عاشوراءَ ، فقالَ لهُ : أعزَّ اللهُ القاضيَ ، أنا رجلٌ فقيرٌ ذو عيالٍ ، وقد جئتُكَ مُستشفِعاً بحُرمَةِ هٰذا اليومِ ؛ لِتُعطيَني عشرةَ أمنانِ خبزٍ ، وخمسةَ أمنانِ لحمٍ ودرهمَينِ ، فوعدَهُ القاضي بذٰلكَ إلىٰ وقتِ الظهرِ ، فرجعَ فوعدَهُ إلىٰ وقتِ العصرِ ، فلمَّا جاءَ وقتُ العصرِ . . لم يُعطِهِ شيئاً .

فذهبَ الفقيرُ مُنكسِرَ القلبِ ، فمرَّ بنصرانيٍّ جالسٍ ببابِ دارِهِ ، فقالَ لهُ : بحقِّ هٰذا اليومِ أعطني شيئاً ، فقالَ النصرانيُّ : وما هٰذا اليومُ ؟ فذكرَ لهُ الفقيرُ مِنْ صفاتِهِ شيئاً ، فقالَ لهُ النصرانيُّ : اذكرْ حاجتَكَ ؛ فقد أقسمتَ بعظيمِ الحُرمَةِ ، فذكرَ لهُ الخبزَ واللحمَ والدرهمَينِ ، فأعطاهُ عشرةَ أقفزةِ حنطةٍ ، ومئةَ مَنٍّ مِنْ لحمٍ ، وعشرينَ درهماً ، وقالَ : هٰذا لكَ ولعيالِكَ ما دمتَ حيّاً في كلِّ شهرٍ ؛ كرامةً لهٰذا اليومِ ، فذهبَ الفقيرُ إلىٰ منزلِهِ .

---

(١) عزاه الحافظ ابن رجب الحنبلي في « لطائف المعارف » (ص ١١٢) لأبي موسى المديني .
(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/٧٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٥١٣) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وذكر البيهقي أن له طريقاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
(٣) ذكره الحافظ ابن رجب الحنبلي في « لطائف المعارف » (ص ١١٣) .

فلمَّا جَنَّ اللَّيلُ ونامَ القاضي . . سمعَ هاتفاً يقولُ : ارفعْ رأسَكَ ، فرفعَ رأسَهُ ، فأبصرَ قصراً مبنيّاً ؛ لَبِنةً مِنْ ذهبٍ ، ولَبِنةً مِنْ فضَّةٍ ، وقصراً مِنْ ياقوتةٍ حمراءَ ، يَبِينُ ظاهرُهُ مِنْ باطِنِهِ .

فقالَ : إلـٰهي ؛ ما هـٰذانِ القصرانِ ؟ فقيلَ لهُ : هـٰذانِ كانا لكَ لو قضيتَ حاجةَ الفقيرِ ؛ فلمَّا رددتَهُ . . صارا لفلانٍ النصرانيّ .

قالَ : فانتبهَ القاضي مرعوباً ، يُنادي بالويلِ والثُّبورِ ، فغدا إلى النصرانيّ فقالَ لهُ : ماذا فعلتَ البارحةَ مِنَ الخيرِ ؟ فقالَ : وكيفَ ذٰلكَ ؟ فذكرَ لهُ الرُّؤيا ، ثمَّ قالَ لهُ : بِعْني الجميلَ الذي عملتَهُ مع الفقيرِ بمئةِ ألفٍ .

فقالَ : أيُّها القاضي ؛ كلُّ مقبولٍ غالٍ ، لا أبيعُ ذٰلكَ بملءِ الأرضِ كلِّها ، أتبخلُ عليَّ بالقصرَينِ ؟!

فقالَ : أنتَ لستَ بمسلمٍ ؟! فقطعَ الزُّنَّارَ وقالَ : أشهدُ أن لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ ، وأنَّ دينَهُ هوَ الحقُّ)(١) .

[قصَّةٌ عجيبةٌ لرجلٍ تَصدَّقَ بثوبِهِ في يومِ عاشوراءَ]

وحُكِيَ : (أنَّهُ كانَ بمصرَ رجلٌ تاجرٌ في التمرِ ، يُقالُ لهُ : عطيَّةُ بنُ خلفٍ ، وكانَ مِنْ أهلِ الثروةِ ، ثمَّ افتقرَ ولم يبقَ لهُ سوىٰ ثوبٍ واحدٍ يسترُ عورتَهُ .

فلمَّا كانَ يومُ عاشوراءَ . . صلَّى الصبحَ في جامعِ عمرِو بنِ العاصِ ، ومِنْ عادةِ هـٰذا الجامعِ : ألَّا تدخلَهُ النِّساءُ إلَّا يومَ عاشوراءَ لأجلِ الدعاءِ ، فوقفَ

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ٣١٩ ـ ٣٢٠) رقم الحكاية (٣٢٧) .

يدعو معَ جملةِ النَّاسِ وهوَ بمعزلٍ عن النِّساءِ ، فجاءَتْهُ امرأةٌ ومعَها أطفالٌ صغارٌ ، فقالَتْ : يا سيِّدي ؛ سألتُكَ باللهِ إلَّا ما فرَّجتَ عنِّي ، وآثرتَني بشيءٍ أستعينُ بهِ علىٰ قوتِ هٰذهِ الأطفالِ ؛ فقد ماتَ أبوهُم وما تركَ لهُم شيئاً ، وأنا شريفةٌ ، ولا أعرفُ أحداً أقصدُهُ ، وما خرجتُ في هٰذا اليومِ إلَّا عن ضرورةٍ أحوجَتْني إلىٰ بذلِ وجهي ، وليسَ لي عادةٌ بذٰلكَ .

فقالَ الرَّجلُ في نفسِهِ : أنا ما أملِكُ شيئاً ، وليسَ لي غيرُ هٰذا الثوبِ ، وإن خلعتُهُ . . انكشفَتْ عورتي ، وإن رددتُها . . فأيُّ عذرٍ لي عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟!

فقالَ لها : اذهبي معي حتىٰ أُعطيَكِ شيئاً ، فذهبَتْ معَهُ إلىٰ منزلِهِ ، فأوقفَها على البابِ ودخلَ ، وخلعَ ثوبَهُ واتَّزرَ بخَلَقٍ كانَ عندَهُ ، ثمَّ ناولَها الثوبَ مِنْ شقِّ البابِ ، فقالَتْ لهُ : ألبسَكَ اللهُ مِنْ حُلَلِ الجنَّةِ ، ولا أحوجَكَ في باقي عمرِكَ إلىٰ أحدٍ ، ففرحَ بدعائِها ، وأغلقَ البابَ ، ودخلَ بيتَهُ يذكرُ اللهَ تعالىٰ إلى اللَّيلِ ، ثمَّ نامَ ، فرأىٰ في المنامِ حوراءَ لم يَرَ الرَّاؤونَ أحسنَ منها ، وبيدِها تفَّاحةٌ قد عطَّرَتْ ما بينَ السماءِ والأرضِ ، فناولَتْهُ التفَّاحةَ ، فكسرَها ، فخرجَ منها حُلَّةٌ مِنْ حُلَلِ الجنَّةِ ، لا تُساوىٰ لها الدُّنيا بما فيها ، فألبسَتْهُ الحُلَّةَ وجلسَتْ في حِجْره .

فقالَ لها : مَنْ أنتِ ؟ فقالَتْ : أنا عاشوراءُ زوجتُكَ في الجنَّةِ .

فقالَ : فبمَ نلتُ ذٰلكَ ؟ فقالَتْ : بدعوةِ تلكَ المسكينةِ الأرملةِ والأيتامِ الذينَ أحسنْتَ إليهِم بالأمسِ .

فانتبهَ وعندَهُ مِنَ السُّرورِ ما لا يعلمُهُ إلَّا اللهُ تعالىٰ ، وقد عَبِقَ مِنْ طيبِهِ المكانُ ، فتوضَّأَ وصلَّىٰ ركعتَينِ شكراً للهِ تعالىٰ ، ثمَّ رفعَ طرْفَهُ إلى السَّماءِ

فقالَ : إلٰهي ؛ إن كانَ منامي حقّاً وهٰذهِ زوجتي في الجنَّةِ . . فاقبضْني إليكَ ، فما استتمَّ الكلامَ . . حتىٰ عجَّلَ اللهُ بروحِهِ إلىٰ دارِ السلامِ) .

[تنبيهُ المُؤلِّفِ علىٰ بدعِ عاشوراءَ]

واعلمْ : أنَّ ما يفعلُهُ النَّاسُ يومَ عاشوراءَ مِنَ الاغتسالِ ، ولُبْسِ الثيابِ الجُدُدِ ، والاكتحالِ ، والتطيُّبِ ، والاختضابِ بالحنَّاءِ ، وطبخِ الأطعمةِ بالحبوبِ ، وصلاةِ ركعاتٍ . . بدعةٌ مذمومةٌ ؛ فالسنَّةُ : تركُ ذٰلكَ كلِّهِ ، لأنَّهُ لم يفعلْهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولا أصحابُهُ ، ولا أحدٌ مِنَ الأئمَّةِ الأربعةِ وغيرِهم ، وما رُوِيَ فيها مِنَ الأحاديثِ . . فكذبٌ موضوعٌ [١] ، وأنَّ ما يُفعَلُ في كثيرٍ مِنَ البلدانِ مِنْ إيقادِ القناديلِ الكثيرةِ في ليالٍ معروفةٍ مِنَ السَّنَةِ . . بدعةٌ قبيحةٌ مُنكَرةٌ ، وفَّقَنا اللهُ وإيَّاكُم لاجتلابِ الفضائلِ ، واجتنابِ الرَّذائلِ .

* * *

---

(١) انظر « كنز النجاح والسرور » (ص ١١٦ ـ ١٢٠) فقد ذكر أنه لم يصح منها إلا حديث الصيام والتوسعة .

بابُ الحَجّ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (١) : بوجدانِ الزَّادِ والرَّاحلةِ ، فاضلاً عن دَينٍ ومُؤنِ مَنْ يَمُونُهُ ذهاباً وإياباً .

[الترغيبُ في الحجّ والترهيبُ مِنْ تركِهِ]

وأخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ قَدْ فَرَضَ ٱللهُ عَلَيْكُمُ ٱلْحَجَّ فَحُجُّوا » (٢) .

« مَنْ حَجَّ لِلَّهِ ؛ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ . . خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » (٣) ، و« ٱلْعُمْرَةُ إِلَى ٱلْعُمْرَةِ . . كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَٱلْحَجُّ ٱلْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا ٱلْجَنَّةُ » (٤) .

وأبو نُعيمٍ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ : « مَنْ جَاءَ حَاجّاً يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ ٱللهِ . . فَقَدْ غَفَرَ ٱللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَشُفِّعَ فِيمَنْ دَعَا لَهُ » (٥) .

وأحمدُ بنُ مَنيعٍ وأبو يعلىٰ عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ : « مَنْ قَضَىٰ نُسُكَهُ وَسَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ . . غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » (٦) .

---

(١) سورة آل عمران : (٩٧) .

(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٧) ، ولم يعزه في « جامع الأصول » (١٢٦٥) للبخاري .

(٣) أخرجه البخاري (١٥٢١) ، ومسلم (١٣٥٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري (١٧٧٣) ، ومسلم (١٣٤٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) حلية الأولياء (٢٣٥/٧) .

(٦) أخرجه عبد بن حميد كما في « منتخبه » (١١٤٨) ، وأخرجه الحافظ ابن حجر في « الخصال المكفرة » (ص ٨١) بإسناد أحمد بن منيع في « مسنده » ، ثم قال : (وأخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده الكبير ») .

والطبرانيُّ عن عبدِ اللهِ بنِ جرادٍ : « حُجُّوا ؛ فَإِنَّ ٱلْحَجَّ يَغْسِلُ ٱلذُّنُوبَ كَمَا يَغْسِلُ ٱلْمَاءُ ٱلدَّرَنَ »[1] .

والترمذيُّ والبيهقيُّ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَنْ مَلَكَ زَاداً وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إِلَىٰ بَيْتِ ٱللهِ وَلَمْ يَحُجَّ . . فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً »[2] .

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (لقد هممتُ أن أبعثَ رجالاً إلىٰ هـٰذهِ الأمصارِ فينظروا كلَّ مَنْ لهُ جِدَةٌ ولم يَحُجَّ . . فليضربوا عليهِمُ الجِزيةَ ؛ ما هُم بمسلمينَ)[3] .

وقالَ سعيدُ بنُ جُبيرٍ : (ماتَ لي جارٌ موسِرٌ لم يَحُجَّ ، فلم أصلِّ عليهِ)[4] .

[تركَ تجارتَهُ ليُدرِكَ الحجَّ]

وحكى اليافعيُّ : (أنَّهُ ركبَ جماعةٌ مِنَ التُّجَّارِ في البحرِ مُتوجِّهينَ إلى الحجِّ ، فانكسرَ المَركَبُ وضاقَ وقتُ الحجِّ ، وفيهِم إنسانٌ معَهُ بضاعةٌ بخمسينَ ألفاً ، فتركَها وتوجَّهَ إلى الحجِّ ، فقالوا لهُ : لو أقمتَ في هـٰذا المكانِ . . لعلَّهُ يخرجُ لكَ بعضُ بضاعتِكَ ؟

فقالَ : واللهِ ؛ لو حصلَتْ ليَ الدُّنيا كلُّها . . ما اخترتُها على الحجِّ

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٩٩٤) .

(٢) أخرجه الترمذي (٨١٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٦٩٢) .

(٣) عزاه الحافظ السيوطي في « الدر المنثور » (٢/٢٧٥) لسعيد بن منصور بسند صحيح ، وكذا في « كنز العمال » (١٢٤٠٠) وعزاه أيضاً لرُسْتَه في « الإيمان » ، ولأبي العباس الأصم ، ولابن شاهين في « السنة » .

(٤) ذكره الحافظ الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٤٢) ضمن الكبيرة السابعة ، والعلامة ابن حجر في « الزواجر » (١١٣٩) ضمن الكبيرة (١٤٨) .

ودعاءِ مَنْ يشهدُهُ مِنْ أولياءِ اللهِ بعدَ أن رأيتُ منهُم ما رأيتُ .

قالوا : وما رأيتَ منهُم ؟ قالَ : كنَّا مرَّةً مُتوجِّهينَ إلى الحجِّ ، فأصابَنا عطشٌ في بعضِ الأيَّامِ ، وبلغَتِ الشَّربةُ كذا وكذا ، ودُرْتُ في الرَّكْبِ مِنْ أوَّلِهِ إلىٰ آخِرِهِ فلم يَحصُلْ لي ماءٌ ببيعٍ ولا غيرِهِ ، وبلغَ العطشُ منَّا الجهدَ ، فتقدَّمتُ قليلاً ، وإذا أنا بفقيرٍ معَهُ عُكَّازٌ ورَكْوةٌ ، وقد ركزَ العُكَّازَ في ساقيةِ بركةٍ والماءُ ينبعُ مِنْ تحتِ العُكَّازِ ويجري في الساقيةِ إلىٰ البركةِ ، فجئتُ إلى البركةِ ، فشربتُ وملأتُ قِرْبتي ، ثمَّ أعلمتُ الرَّكْبَ فاستقَوا كلُّهُم منها ، وتركوها وهيَ تَطفَحُ ، قالَ : فهل يَسمَحُ بفَوتِ مشهدٍ يشهدُهُ هٰؤلاءِ القومُ رضيَ اللهُ عنهُم ؟!)[1] .

[لا يُدعىٰ إلىٰ بيتِهِ إلَّا مَنْ أحبَّهُ]

وهوَ أيضاً عن عليِّ بنِ المُوفَّقِ قالَ : (جلستُ يوماً في الحرمِ وقد حججتُ ستِّينَ حجَّةً ، فقلتُ في نفسي : إلىٰ متىٰ أتردَّدُ في هٰذهِ المسالكِ والقِفَارِ ؟! ثمَّ غلبَتْني عيني فنمتُ ؛ فإذا أنا بقائلٍ يقولُ : يا بنَ المُوفَّقِ ؛ هل تدعو إلىٰ بيتِكَ إلَّا مَنْ تُحِبُّ ؟! فطوبىٰ لِمَنْ أحبَّهُ المولىٰ ، وحملَهُ إلى المَقامِ الأعلىٰ)[2] .

[غفرَ بستةِ أنفسٍ لستِّ مئةِ ألفٍ]

وعن أبي عبدِ اللهِ الجوهريِّ قالَ : (كنتُ سنةً في عرفاتٍ ، فلمَّا كانَ آخرُ

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ١١٢) رقم الحكاية (٦٦) .

(٢) روض الرياحين (ص ١١٣) رقم الحكاية (٦٨) ، وفيه : ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

دعوتُ إلى الزيارة أهلَ ودِّي ... ولم أطلُبْ بها أحداً سواهُمْ

فجاؤوني إلىٰ بيتي كراماً ... فأهلاً بالكرامِ ومَن دعاهُمْ

اللَّيلِ . . نمتُ ، فرأيتُ ملَكَينِ نزلا مِنَ السماءِ ، فقالَ أحدُهُما لصاحبِهِ : كم وقفَ هٰذهِ السَّنَةَ ؟ قالَ صاحبُهُ : ستُّ مئةِ ألفٍ ، ولم يُقبَلْ منهُم إلَّا ستَّةُ أنفُسٍ !!

قالَ : فهممتُ أن ألطِمَ وجهي وأنوحَ علىٰ نفسي ، فقالَ لهُ : ما فعلَ اللهُ في الجميعِ ؟ قالَ : نظرَ الكريمُ إليهِم بعينِ الكرمِ ، فوهبَ لكلِّ واحدٍ مئةَ ألفٍ ، وغَفَرَ بستَّةِ أنفُسٍ لستِّ مئةِ ألفٍ ؛ وذٰلكَ فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ ، واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ)[1] .

[عابدٌ عندَ الكعبةِ ينتظرُ الإذنَ بالانصرافِ]

وعن ذي النُّونِ المصريِّ أنَّهُ قالَ : (رأيتُ شابّاً عندَ الكعبةِ يُكثِرُ الرُّكوعَ والسُّجودَ ، فدنوتُ منهُ فقلتُ لهُ : إنَّكَ تُكثِرُ الصَّلاةَ !! فقالَ : أنتظرُ الإذنَ في الانصرافِ .

قالَ : فرأيتُ رُقعةً سقطَتْ عليهِ ، مكتوبٌ فيها : مِنَ العزيزِ الغفورِ ، إلى العبدِ الصَّادقِ الشَّكورِ ، انصرفْ مغفوراً لكَ ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِكَ وما تأخَّرَ)[2] ، تَقبَّلَ اللهُ حجَّتَنا ، وغفَرَ ما تقدَّمَ مِن كبائرِ ذنوبِنا ، وما تأخَّرَ ، وتحمَّلَ تبعاتِنا .

تَنْبِيهٌ

[في وجوبِ الحجِّ والعمرةِ وما يترتَّبُ علىٰ تركِهِما]

إنَّ الحجَّ والعمرةَ يجبانِ في العمرِ مرةً ، علىٰ كلِّ مسلمٍ مُكلَّفٍ حُرٍّ

---

(١) روض الرياحين (ص ١١٢ ـ ١١٣) رقم الحكاية (٦٧) .

(٢) روض الرياحين (ص ١١٣) ضمن الحكاية رقم (٦٨) .

مُستطيعٍ ، بِوجدانِ الزَّادِ والرَّاحلةِ ولو ببيعِ عقارِهِ ، فاضلاً عن مُؤنةٍ لائقةٍ لِمَنْ يمونُهُ ذهاباً وإياباً ، وعن دَينٍ عليهِ ولو مؤجَّلاً ، أو أُمهِلَ بهِ إلىٰ إيابهِ ، على التَّراخي بشرطِ عزمِهِ على الفعلِ ؛ فَمَنْ ماتَ أو عُضِبَ ولم يَحُجَّ بعدَ الاستطاعةِ . . تبيَّنَ فِسقُهُ في آخِرِ سِنِي الإمكانِ ، وكذا فيما بعدَها في المَعضوبِ إلىٰ أن يُحَجَّ عنهُ ؛ فما شهدَ بهِ أو قضىٰ فيها . . تبيَّنَ بطلانُهُ ، وكذٰلكَ تزويجُ مَوْلِيَّتِهِ .

قالَ الغزاليُّ : (منِ استطاعَ فأخَّرَ حتىٰ أفلسَ . . لزمَهُ كسبُ مؤنتِهِ ، أو سؤالُها مِنْ غيرِ زكاةٍ أو صدقةٍ ليَحُجَّ [1] ، وإلَّا . . ماتَ عاصياً) [2] .

وقيلَ : يجبُ على القادرِ ألَّا يتركَ الحجَّ في كلِّ خمسِ سنينَ ؛ لِما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَقُولُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ عَبْداً صَحَّحْتُ لَهُ جِسْمَهُ ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي ٱلْمَعِيشَةِ ، تَمْضِي عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ وَلَمْ يَفِدْ إِلَيَّ . . لَمَحْرُومٌ » رواهُ البيهقيُّ وابنُ حِبَّانَ [3] .

خاتمة

[في بيانِ فضلِ الحجِّ]

رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يُبَاهِي بِأَهْلِ عَرَفَاتٍ ٱلْمَلَائِكَةَ ، يَقُولُ : يَا مَلَائِكَتِي ؛ ٱنْظُرُوا إِلَىٰ عِبَادِي شُعْثاً غُبْراً ،

---

(١) كذا في النسخ ، وفي « إحياء علوم الدين » : (فعليه أن يسأل الناس ليُصرَف إليه من الزكوات أو الصدقات ما يحج به) ، وكذا في « الفتاوى الفقهية الكبرىٰ » (٢/٩٦) .

(٢) انظر « إحياء علوم الدين » (٧/١٢١) بنحوه .

(٣) أخرجه ابن حبان (٣٧٠٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٨٣٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

أَقْبَلُوا يَضْرِبُونَ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ أَجَبْتُ دُعَاءَهُمْ ، وَشَفَعْتُ رَغْبَتَهُمْ ، وَوَهَبْتُ مُسِيئَهُمْ لِمُحْسِنِهِمْ ، وَأَعْطَيْتُ [مُحْسِنِيهِمْ][1] جَمِيعَ مَا سَأَلُونِي غَيْرَ ٱلتَّبِعَاتِ ٱلَّتِي بَيْنَهُمْ .

فَإِذَا أَفَاضَ ٱلْقَوْمُ إِلَىٰ جَمْعٍ ، وَوَقَفُوا وَعَادُوا فِي ٱلرَّغْبَةِ وَٱلطَّلَبِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ . . يَقُولُ ٱللهُ : يَا مَلَائِكَتِي ؛ عِبَادِي وَقَفُوا وَعَادُوا فِي ٱلرَّغْبَةِ وَٱلطَّلَبِ ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ أَجَبْتُ دُعَاءَهُمْ ، وَشَفَعْتُ رَغْبَتَهُمْ ، وَوَهَبْتُ مُسِيئَهُمْ لِمُحْسِنِهِمْ ، وَأَعْطَيْتُ مُحْسِنِيهِمْ جَمِيعَ مَا سَأَلُونِي ، وَكَفَلْتُ عَنْهُمْ بِٱلتَّبِعَاتِ ٱلَّتِي بَيْنَهُمْ »[2] ، تَحمَّلَ اللهُ تبعاتِنا ، وغفرَ كبائرَ ذنوبِنا .

ورُوِيَ : « مَنْ أَمَّ ٱلْبَيْتَ لَا تَضَعُ نَاقَتُهُ خُفّاً وَلَا تَرْفَعُهُ . . إِلَّا كُتِبَ لَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَمُحِيَ عَنْهُ خَطِيئَةٌ ، وَرَكْعَتَا ٱلطَّوَافِ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ ، وَٱلسَّعْيُ كَعِتْقِ سَبْعِينَ رَقَبَةً ، وَٱلْوُقُوفُ تُغْفَرُ بِهِ ٱلذُّنُوبُ وَإِنْ كَانَتْ بِعَدَدِ ٱلرَّمْلِ وَكَقَطْرِ ٱلْمَطَرِ وَكَزَبَدِ ٱلْبَحْرِ ، وَبِكُلِّ حَصَاةٍ مِنَ ٱلْجِمَارِ تَكْفِيرُ كَبِيرَةٍ مِنَ ٱلْمُوبِقَاتِ ، وَٱلنَّحْرُ مَذْخُورٌ عِنْدَ ٱللهِ ، وَبِكُلِّ شَعْرَةٍ حُلِقَتْ حَسَنَةٌ وَمَحْوُ خَطِيئَةٍ ، وَبِٱلطَّوَافِ بَعْدَ ذَٰلِكَ يَضَعُ مَلَكٌ يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَيَقُولُ : ٱعْمَلْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ قَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَىٰ »[3] ، غفرَ اللهُ [لنا] ما قدَّمنا وما أخَّرنا .

ورُوِيَ : « إِذَا لَقِيتَ ٱلْحَاجَّ . . فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَصَافِحْهُ ، وَمُرْهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ ؛ فَإِنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ »[4] .

---

(١) في النسخ : (محسنهم) ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٤١٠٦) ، وعزاه في « كنز العمال » (١٢٠٩٨) للخطيب في « المتفق والمفترق » .

(٣) ذكره العلامة ابن حجر في « الزواجر » (٤٥٢/١) ضمن الكبيرة (١٥٣) وقال عنه : (وفي حديث قال المنذري : رواته كلهم موثوقون . . .) وذكره .

(٤) أخرجه أحمد (١٢٨/٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

ورُوِيَ : « إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَتَى ٱلْبَيْتَ أَلْفَ أَتْيَةٍ مِنَ ٱلْهِنْدِ عَلَىٰ رِجْلَيْهِ ، لَمْ يَرْكَبْ قَطُّ فِيهِنَّ »[1] ، وما مِنْ نبيٍّ إلَّا حجَّ حتىٰ هودٌ وصالحٌ[2] .

[تحريمُ مَنْ حجَّ ثلاثَ حِجَجٍ على النَّارِ]

وحكى القاضي عياضٌ : (أنَّ قوماً أتَوا إلىٰ سعدونَ الخَولانيِّ بالمُنَسْتِيرِ[3] فأعلموهُ أنَّ كُتَامَةَ قتلوا رجلاً[4] وأضرموا عليهِ النَّارَ طولَ اللَّيلِ ، فلم تعملْ فيهِ شيئاً وبقيَ أبيضَ اللَّونِ ، فقالَ : لعلَّهُ حجَّ ثلاثَ حِجَجٍ .

قالوا : كيفَ ذٰلكَ ؟! قالَ : حُدِّثتُ : أنَّ « مَنْ حَجَّ حَجَّةً . . أَدَّىٰ فَرْضَهُ ، وَمَنْ حَجَّ ثَانِيَةً . . دَايَنَ رَبَّهُ ، فَيُنَادِي مَلَكٌ غَداً مِنْ عِنْدِ ٱللهِ : مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى ٱللهِ دَيْنٌ . . فَلْيَقُمْ[5] ، وَمَنْ حَجَّ ثَلَاثَ حِجَجٍ . . حَرَّمَ ٱللهُ شَعَرَهُ وبَشَرَهُ عَلَى ٱلنَّارِ »)[6] .

[أتتكرَّمُ على اللهِ يا بنَ المُنكدِرِ ؟!]

وحُكِيَ عن محمدِ بنِ المُنكدِرِ : أنَّهُ حجَّ ثلاثاً وثلاثينَ حَجَّةً ، فلمَّا كانَ في آخِرِ حَجَّةٍ حجَّها . . قالَ وهوَ واقفٌ بعرفاتٍ : (اللهمَّ ؛ إنِّي قد وقفتُ في موقفي هٰذا ثلاثاً وثلاثينَ وقفةً ؛ فواحدةٌ عن فرضي ، والثانيةُ عن أبي ،

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » (٢٧٩٢) ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٤٦٠٥) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) انظر « الفتاوى الفقهية الكبرىٰ » (١٢٠/٢) للعلامة ابن حجر الهيتمي .

(٣) في (أ ، ج ، د) : (بتستر) ، وفي (ب) غير واضحة ، والمثبت من (هـ) ومن « الشفا » ؛ وهي بلدة شرقي تونس الخضراء ، ما زالت تعرف بهٰذا الاسم إلىٰ يومنا هٰذا .

(٤) كتامة : قبيلة كبيرة من قبائل المغرب العربي وإفريقية .

(٥) من قوله : (فينادي . . .) إلىٰ هنا سقط من (ب) وليس في « الشفا » .

(٦) انظر « الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم » (ص ٥٩٩) .

والثالثةُ عن أمِّي ، وأُشهِدُكَ يا ربِّ أنِّي قد وهبتُ الثلاثينَ لِمَنْ وقفَ موقفي هٰذا ولم يُتقبَّلْ منهُ .

فلمَّا دفعَ بعرفاتٍ ونزلَ بالمُزدلفةِ . . نُودِيَ في المنام : يا بنَ المُنكدِرِ ؛ أتتكرَّمُ علىٰ مَنْ خَلَقَ الكرمَ ؟! أتجودُ علىٰ مَنْ خَلَقَ الجودَ ؟! إنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ لكَ : وعِزَّتي وجلالي ؛ لقد غفرتُ لِمَنْ وقفَ بعرفاتٍ قبلَ أن أخلقَ عرفاتٍ بألفَيْ عامٍ)[1] .

نسألُ اللهَ الكريمَ الجوادَ : أن يغفِرَ لنا كبائرَ ذنوبِنا ، ويتحمَّلَ تبعاتِنا ، ويتقبَّلَ توبتَنا .

فَصْلٌ

في أحكامِ الحجِّ

أركانُهُ : إحرامٌ بنيَّةٍ ؛ وهيَ أن يقولَ : (نويتُ الحجَّ وأحرمتُ بهِ) ، ووقوفٌ بعرفةَ ، وطوافٌ سبعاً ، وسعيٌ سبعاً مُبتدِئاً بالصَّفا إلى المروةِ ، وعائداً منها إلى الصَّفا ، وإزالةُ شعراتٍ مِنْ رأسٍ[2] .

وأفضلُها : الوقوفُ ، وعندَ بعضِ المُحقِّقينَ : الطَّوافُ .

وغيرُ الوقوفِ أركانٌ للعمرةِ .



(١) أوردها بلفظها السيد البكري في « إعانة الطالبين » (٢/٢٨٨) ، وأورد قريباً منها الإمام اليافعي في « روض الرياحين » (ص ١٣٥) رقم الحكاية (٩٣) عن علي بن الموفَّق رحمه الله تعالىٰ ، وأنه رأىٰ في المنام المولىٰ سبحانه يقول له : (يا علي بن الموفق ؛ عليَّ تتسخىٰ ؟! قد غفرت لأهل الموقف وأضعاف ذٰلك . . .) .

(٢) ذكر المؤلف خمسة أركان ، وزاد في « فتح المعين » (ص ٢٨٨) السادس فقال : (**وسادسها** : ترتيب بين معظم أركانه) .

وواجباتُهُ : إحرامٌ مِنْ ميقاتٍ ، ومبيتٌ بمُزدلفةَ لحظةً مِنْ نصفٍ أخيرٍ مِنْ ليلةِ النَّحْرِ ، ومبيتٌ بمنىً لياليَ أيَّامِ التشريقِ ، ورميُ أيَّامِها سبعاً سبعاً إلى الجَمَراتِ [١] ، وطوافُ وداعٍ لغيرِ مكِّيٍّ ونحوِ حائضٍ ، ويجبُ بتركِ واحدٍ منها فِديةٌ .

❀ ❀ ❀

وشروطُ الطَّوافِ : طهارةٌ ، وسَتْرُ عورةٍ ، وابتداءٌ بالحجرِ الأسودِ ، ومحاذاتُهُ بكلِّ بدنِهِ ، وجعلُ البيتِ عن يسارِهِ [٢] .

❀ ❀ ❀

ومُحرَّماتُ الإحرامِ : وطءٌ ، وقُبلةٌ ، ومُباشرةٌ بشهوةٍ ، واستمناءٌ ، ونِكاحٌ ، وتطيُّبٌ ، ودهنُ شعرٍ [٣] ، وإزالتُهُ ، وتقليمُ ظُفُرٍ ، واصطيادٌ ، وأكلُ ما صِيدَ لهُ ، ولُبْسُ رجُلٍ مَخيطاً [٤] ، وسَتْرُ رأسِهِ ، وسَتْرُ امرأةٍ شيئاً مِنْ وجهِها .

فإن فعلَ شيئاً ناسياً أو جاهلاً بتحريمِهِ ؛ فإن كانَ إتلافاً : كحلقِ شعرٍ وقتلِ صيدٍ . . وجبتِ الفِديةُ ، أو تمتُّعاً كلُبْسٍ وتطيُّبٍ . . فلا .

ونقلَ النوويُّ في « المجموعِ » قولَ بعضِهِم : (ويُندَبُ أن يتشبَّهَ كلُّ أحدٍ بالمُحرِمِ في عشرِ ذي الحِجَّةِ [في تركِ] إزالةِ شعرٍ وظُفُرٍ) [٥] .

---

(١) لا رمي أيام النحر ، وعليه ترك المحرمات .

(٢) زاد في « فتح المعين » (ص ٢٨٩) : (النية) .

(٣) أي : شعر رأسٍ ولحيةٍ .

(٤) في (د) : (ولبس رجلٍ محيطاً) .

(٥) المجموع (٨/٢٨٥) .

وقولَ آخَرينَ : (يُندَبُ التعريفُ في يومِ عرفةَ بالاجتماعِ بعدَ الظهرِ ، في أيِّ بلدٍ كانَ للذِّكْرِ والدعاءِ ؛ تشبُّهاً بأهلِ عرفةَ ، ونقلَ الإمامُ أحمدُ فعلَهُ عن الحسنِ وجماعةٍ)[١] .

فَصْلٌ

في فضلِ مكَّةَ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۞ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾[٢] .

ورُوِيَ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « وَٱللهِ ؛ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ ٱللهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ ٱللهِ إِلَيَّ ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ . . مَا خَرَجْتُ »[٣] .

ورُوِيَ : « مَا عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ بَلْدَةٌ يَرْفَعُ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِيهَا ٱلْحَسَنَةَ ٱلْوَاحِدَةَ بِمِئَةِ أَلْفِ حَسَنَةٍ إِلَّا مَكَّةُ ، وَمَنْ صَلَّىٰ فِيهَا صَلَاةً . . رُفِعَتْ لَهُ مِئَةُ أَلْفِ صَلَاةٍ ، وَمَنْ صَامَ فِيهَا يَوْماً . . كَتَبَ ٱللهُ لَهُ صَوْمَ مِئَةِ أَلْفِ يَوْمٍ ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِدِرْهَمٍ . . كَتَبَ ٱللهُ لَهُ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ صَدَقَةً ، وَمَنْ خَتَمَ ٱلْقُرْآنَ مَرَّةً وَاحِدَةً . . كَتَبَ ٱللهُ لَهُ مِئَةَ أَلْفِ خَتْمَةٍ بِغَيْرِهَا ، وَمَنْ سَبَّحَ ٱللهَ تَعَالَىٰ فِيهَا مَرَّةً . . كَتَبَ ٱللهُ لَهُ مِئَةَ أَلْفِ تَسْبِيحَةٍ بِغَيْرِهَا ، وَلَصَوْمُ يَوْمٍ وَاحِدٍ فِي

---

(١) لقد فصَّل الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ هـٰذه المسألة في « المجموع » (٨/١١١) ونقل جوازها عن الحسن وأحمد ابن حنبل وبكر وثابت ومحمد بن واسع ، ونقل كراهته عن نافع مولى ابن عمر وإبراهيم النخعي والحكم وحماد ومالك بن أنس .

(٢) سورة آل عمران : (٩٦ ـ ٩٧) .

(٣) أخرجه ابن حبان (٣٧٠٨) ، والحاكم (٣/٧) ، والترمذي (٣٩٢٥) عن سيدنا عبد الله بن عدي بن حمراء رضي الله عنه .

حَرَمِ ٱللهِ وَأَمْنِهِ . . أَرْجَىٰ لَكَ وَأَفْضَلُ مِنْ صِيَامِ ٱلدَّهْرِ وَقِيَامِهِ فِي غَيْرِهَا مِنَ ٱلْبُلْدَانِ »[1] .

[ممَّا يُكفِّرُ الذُّنوبَ في مكَّةَ]

ورُوِيَ : « مَنْ صَلَّىٰ خَلْفَ ٱلْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ . . غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَأُعْطِيَ مِنَ ٱلْحَسَنَاتِ بِعَدَدِ كُلِّ مَنْ صَلَّىٰ خَلْفَهُ أَضْعَافاً ، وَأَمَّنَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مِنَ ٱلْفَزَعِ ٱلْأَكْبَرِ ، وَأَمَرَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجَمِيعَ ٱلْمَلَائِكَةِ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ »[2] .

ورُوِيَ : « مَنْ طَافَ حَوْلَ بَيْتِ ٱللهِ سَبْعاً فِي يَوْمٍ صَائِفٍ شَدِيدِ ٱلْحَرِّ ، حَاسِراً عَنْ رَأْسِهِ ، وَٱسْتَلَمَ ٱلْحَجَرَ ٱلْأَسْوَدَ فِي كُلِّ طَوْفَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْذِيَ أَحَداً ، وَقَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا مِنْ ذِكْرِ ٱللهِ . . كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ يَرْفَعُهَا سَبْعُونَ أَلْفَ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيَ عَنْهُ سَبْعُونَ أَلْفَ سَيِّئَةٍ ، وَرُفِعَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ دَرَجَةٍ ، وَفَضْلُ ٱلْمَاشِي عَلَى ٱلرَّاكِبِ . . كَفَضْلِ ٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلْكَوَاكِبِ »[3] .

---

(١) أورده بنحوه الإمام الحسن البصري في رسالته لأهل مكة المسماة « فضائل مكة والسكن فيها » (ص ٢١) .

(٢) أورد أوله القاضي عياض في « الشفا » (ص ٦٠٠) دون عزو ، وقال السيوطي في « مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا » (١١٥٣) : (رويناه في رسالة الحسن البصري إلىٰ أهل مكة) ، وقد ذكر نحوه الحسن البصري في رسالته المسماة « فضائل مكة » (ص ٣٩ ـ ٤٠) .

(٣) أورده بلفظه الحسن البصري في « رسالته إلىٰ أهل مكة » (ص ٣٢) ، وقال الحافظ السخاوي في « المقاصد الحسنة » (ص ٤١٧ ـ ٤١٨) : (أخرجه الجندي في « تاريخ مكة » من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً ، وفي « رسالة الحسن البصري » ، و« مناسك ابن الحاج » نحوه ، وهو باطل) ، وكذا في « كشف الخفا » (٢/٢٥٩) وذكر أن آثار الوضع عليه لائحة .

ورُوِيَ : « مَنْ طَافَ بِٱلْبَيْتِ خَمْسِينَ مَرَّةً ـ يعني : خمسينَ أسبوعاً ـ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »[1] .

وليسَ المرادُ منهُ التواليَ ؛ لِما رُوِيَ عن بعضِ المشايخِ قالَ : (مَنْ وُجِدَ فِي ديوانِهِ طوافُ خمسينَ أسبوعاً . . خرجَ مِنْ ذنوبِهِ كيومَ ولدَتْهُ أُمُّهُ)[2] .

ورُوِيَ : « أَنَّ ٱلْحَجَرَ ٱلْأَسْوَدَ يَشْهَدُ لِمَنِ ٱسْتَلَمَهُ وَقَبَّلَهُ مِنْ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا ، وَأَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ »[3] ، و« أَنَّهُ كَانَ أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ ٱلثَّلْجِ حَتَّىٰ سَوَّدَتْهُ خَطَايَا أَهْلِ ٱلشِّرْكِ »[4] ، و« لَوْلَا ذَٰلِكَ مَا مَسَّهُ ذُو عَاهَةٍ . . إِلَّا شُفِيَ »[5] .

ورُوِيَ : « لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ ٱلْكَعْبَةَ إِلَّا بِرَحْمَةِ ٱللهِ ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَّا بِمَغْفِرَةِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ »[6] .

ورُوِيَ : « أَنَّ ٱلنَّظَرَ إِلَى ٱلْكَعْبَةِ عِبَادَةٌ »[7] ، و« مَنْ نَظَرَ إِلَى ٱلْبَيْتِ إِيمَاناً وَٱحْتِسَاباً . . غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَحَشَرَهُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مِنَ ٱلْآمِنِينَ »[8] .

ورُوِيَ : « مَنْ مَرِضَ بِمَكَّةَ يَوْماً وَاحِداً . . حَرَّمَ ٱللهُ جَسَدَهُ عَلَى ٱلنَّارِ »[9] .

---

(١) أخرجه الترمذي (٨٦٦) ، وابن أبي شيبة (١٢٦٦٥) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .
(٢) هـٰذه الفقرة زيادة من (ج) .
(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » بنحوه (٢٩٩٥) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .
(٤) أخرجه أحمد (١/٣٠٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٧٤٤) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
(٥) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٧٤٣) عن سيدنا ابن عمرو رضي الله عنهما .
(٦) أورده الحسن البصري في « رسالته لأهل مكة » (ص ٢٤) .
(٧) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٦٨٦٤) ، وعزاه في « كنز العمال » (٣٤٦٤٧) لأبي الشيخ عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .
(٨) أورده أبو سعد الخركوشي في « شرف المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم » (٤٨٣) .
(٩) أورد نحوه الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ في « رسالته لأهل مكة » (ص ٢٧) .

ورُوِيَ : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو عِنْدَ ٱلرُّكْنِ ٱلْأَسْوَدِ . . إِلَّا ٱسْتُجِيبَ لَهُ ، وَكَذَٰلِكَ عِنْدَ ٱلرُّكْنِ ٱلْيَمَانِيِّ »[1] .

[خمسةَ عشرَ موضعاً بمكَّةَ يُجابُ فيهِ الدعاءُ]

ورُوِيَ : « مَا عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ بَلْدَةٌ يُسْتَجَابُ فِيهَا ٱلدُّعَاءُ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ مَوْضِعاً إِلَّا مَكَّةُ ، أَوَّلُهَا : جَوْفُ ٱلْكَعْبَةِ ، وَٱلدُّعَاءُ فِيهَا مُسْتَجَابٌ ، وَٱلدُّعَاءُ عِنْدَ ٱلْحَجَرِ ٱلْأَسْوَدِ مُسْتَجَابٌ ، وَٱلدُّعَاءُ عِنْدَ ٱلرُّكْنِ ٱلْيَمَانِيِّ مُسْتَجَابٌ ، وَٱلدُّعَاءُ تَحْتَ ٱلْمِيزَابِ مُسْتَجَابٌ ، وَٱلدُّعَاءُ فِي ٱلْحِجْرِ مُسْتَجَابٌ ، وَٱلدُّعَاءُ فِي ٱلْمُلْتَزَمِ مُسْتَجَابٌ ، وَٱلدُّعَاءُ خَلْفَ ٱلْمَقَامِ مُسْتَجَابٌ ، وَٱلدُّعَاءُ عِنْدَ بِئْرِ زَمْزَمَ مُسْتَجَابٌ ، وَٱلدُّعَاءُ عَلَى ٱلصَّفَا مُسْتَجَابٌ ، وَٱلدُّعَاءُ عَلَى ٱلْمَرْوَةِ مُسْتَجَابٌ ، وَٱلدُّعَاءُ فِي ٱلْمَوْقِفِ مُسْتَجَابٌ ، وَٱلدُّعَاءُ عِنْدَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ مُسْتَجَابٌ ، وَٱلدُّعَاءُ عِنْدَ ٱلْجَمَرَاتِ ٱلثَّلَاثِ مُسْتَجَابٌ »[2] .

❁ ❁ ❁

ورُوِيَ[3] : « يَحْشُرُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مِنْ مَقْبَرَةِ مَكَّةَ سَبْعِينَ أَلْفَ شَهِيدٍ ، يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وُجُوهُهُمْ كَٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ ، يَشْفَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي سَبْعِينَ رَجُلاً » فقيلَ : مَنْ هُم يا رسولَ اللهِ ؟ فَقَالَ : « ٱلْغُرَبَاءُ ، وَمَنْ مَاتَ فِي حَرَمِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، أَوْ حَرَمِ رَسُولِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ مَاتَ بَيْنَ مَكَّةَ وَٱلْمَدِينَةِ حَاجّاً أَوْ مُعْتَمِراً . . بَعَثَهُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ، أَلَا وَإِنَّ ٱلتَّضَلُّعَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بَرَاءَةٌ مِنَ ٱلنِّفَاقِ »[4] .

---

(١) أورده الحسن البصري في « رسالته لأهل مكة » (ص ٢٦) .

(٢) أورده الحسن البصري في « رسالته لأهل مكة » (ص ٢٤ ـ ٢٥) .

(٣) انتهت هنا النسخة (د) ، وما في خاتمتها من فوائد سنلحقها آخر الكتاب إن شاء الله تعالىٰ .

(٤) رسالة الحسن البصري لأهل مكة (ص ٣٩) .

كتبَ اللهُ الكريمُ المنَّانُ ، لنا البراءةَ مِنَ النِّفاقِ والنِّيرانِ ، وقبضَ أرواحَنا مِنْ أحدِ الحرمَينِ ، وحشرَنا في زُمْرةِ شهداءِ حرمِهِ الآمنينَ ، وأدخلَنا الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ آمينَ .

[اجتماعُ الأولياءِ بمكَّةَ كلَّ جُمُعةٍ]

وحكى اليافعيُّ عن سهلِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ : (مُخالطةُ الوليِّ للنَّاسِ ذُلٌّ ، وتفرُّدُهُ عِزٌّ ؛ قلَّما رأيتُ وليّاً للهِ إلَّا مُنفرِداً ؛ إنَّ عبدَ اللهِ بنَ صالحٍ كانَ رجلاً لهُ سابِقةٌ وموهبةٌ جزيلةٌ ، وكانَ يَفِرُّ مِنَ النَّاسِ مِنْ بلدٍ إلىٰ بلدٍ ، حتىٰ أتىٰ مكَّةَ ، فطالَ مُقامُهُ بها ، فقلتُ لهُ : لقد طالَ مُقامُكَ بها ؟!

فقالَ لي : لِمَ لا أُقيمُ بها ولم أَرَ بلداً ينزلُ فيهِ مِنَ الرَّحمةِ والبركةِ أكثرَ مِنْ هٰذا البلدِ ؟! والملائكةُ تغدو فيهِ وتروحُ ، وإنِّي أرىٰ فيهِ عجائبَ كثيرةً ، وأرى الملائكةَ يطوفونَ بالبيتِ علىٰ صورٍ شتَّىٰ لا يقطعونَ ذٰلكَ ، ولو قلتُ كلَّ ما رأيتُ . . لصَغُرَتْ عنهُ عقولُ قومٍ ليسوا بمؤمنينَ !!

فقلتُ لهُ : أسألُكَ باللهِ ؛ إلَّا ما أخبرتَني بشيءٍ مِنْ ذٰلكَ !! فقالَ : ما مِنْ وليٍّ للهِ صحَّتْ ولايتُهُ . . إلَّا وهو يَحضُر هٰذا البلدَ في كلِّ ليلةِ جُمُعةٍ ، لا يتأخَّرُ عنهُ ؛ فمُقامي ها هنا لأجلِ مَنْ أراهُ منهُم ، ولقد رأيتُ رجلاً يُقالُ لهُ : مالكُ بنُ القاسمِ الجيليُّ ، وقد جاءَ ويدُهُ غَمِرَةٌ ، فقلتُ لهُ : إنَّكَ قريبُ عهدٍ بالأكلِ ؟! فقالَ لي : أستغفرُ اللهَ ؛ فإنِّي منذُ أسبوعٍ لم آكلْ ، ولٰكنْ أطعمتُ والدتي وأسرعتُ ؛ لألحقَ صلاةَ الفجرِ ، وبينَهُ وبينَ الموضعِ الذي جاءَ منهُ تسعُ مئةِ فَرْسَخٍ !!)[1] .

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ١١٣ ـ ١١٤) رقم الحكاية (٧٠) .

[مِنْ كراماتِ الشيخِ محمدٍ البكريِّ شيخِ المُؤلِّفِ]

أقولُ : وقد شاهدتُ تصديقَ ذٰلكَ مِنْ شيخي قطبِ الزَّمانِ ، شمسِ دائرةِ العِرفانِ : أبي المكارمِ زينِ العابدينَ محمدٍ البكريِّ ، متَّعَنا اللهُ بطولِ بقائِهِ ، ونفعَنا بهِ وبدعائِهِ ، وحشرَنا تحتَ لوائِهِ ؛ وهوَ أنَّ شيخي كانَ جالساً في ليلةٍ مِنْ ليالي رمضانَ عامَ ستٍّ وستِّينَ وتسعِ مئةٍ ، مُتوَجِّهاً إلىٰ بيتِ اللهِ وناظراً إليها [1] ، وكنتُ أنا وجماعةٌ مِنْ فقرائِهِ وراءَهُ ، فقامَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ علىٰ هيئةِ المُتواضِعِ والمُتأدِّبِ ، وقمنا معَهُ ، وما رأينا عروضَ عارضٍ للقيامِ ولا مجيءَ أحدٍ إليهِ ، ثمَّ جلسَ بعدَ ساعةٍ فجلسنا .

فسألتُ بعضَ خواصِّ أصحابِنا الذي كانَ معَنا في ذٰلكَ الوقتِ عن قيامِ الشيخِ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ : (إنَّ أولياءَ اللهِ يَحضرونَ بهٰذا البيتِ ، ويَجتمعونَ بأولياءِ اللهِ تعالىٰ ، وهٰذا مِنْ ذٰلكَ) ، أدامَ اللهُ لنا النَّفعَ بهِ في الدَّارَينِ .

[مضاعفةُ السيِّئاتِ بمكَّةَ]

واعلمْ : أنَّ السيِّئاتِ تُضاعَفُ في مكَّةَ كما تُضاعَفُ الحسناتُ فيها ، علىٰ ما روىٰ مجاهدٌ عنِ ابنِ عبَّاسٍ [2] ، والمرادُ بالمُضاعفةِ : زيادةُ القُبْحِ والعذابِ .

وروى الثوريُّ عنِ ابنِ مسعودٍ : (ما مِنْ رجلٍ يهمُّ بسيِّئةٍ فيها . . إلَّا

---

(١) كذا في النسخ ، والمراد : أنه ناظر إلى الكعبة المشرفة ، زادها الله تعظيماً وتشريفاً ، ورزقنا الحج والعمرة إليها .

(٢) ذكره العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله في « الزواجر » (١/٤٤٢) في الكبيرة (١٥٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

تُكتَبُ عليهِ ، ولو أنَّ رجلاً بعدنِ أبينَ همَّ أن يقتلَ رجلاً بهٰذا البيتِ . . لأذاقَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ مِنْ عذابٍ أليمٍ)[1] .

وقالَ جماعةٌ مِنَ المُفسِّرينَ تبعاً لِما روىٰ سعيدُ بنُ جُبيرٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ : (إنَّ مِنَ الظُّلمِ الذي يُذيقُ اللهُ صاحبَهُ العذابَ الأليمَ . . شَتمُ الخادمِ في الحرمِ)[2] .

[بعضُ العقوباتِ لِمَنِ اجترحَ بالحرمِ السيِّئاتِ]

وحكىٰ شيخُنا ابنُ حجرٍ نفعَنا اللهُ بهِ : (أنَّـهُ وقـعَ لبعضِ مَـنْ يعرفُهُ ـ الذي كانَ علىٰ هيئةٍ جميلةٍ وفضلٍ تامّ وتصوُّنٍ بالغٍ ـ زلَّةٌ بتقبيلِ امرأةٍ عندَ الحجرِ ، فمُسِخَ مسخاً كليّاً ، وصارَ بأرثِّ هيئةٍ وأقبحِ منظرٍ وأفظعِ حالةٍ ؛ بدناً وديناً ، وعقلاً وكلاماً)[3] .

وحُكِيَ : (أنَّ بعضَ الطَّائفينَ نظرَ إلىٰ أمردَ أوِ امرأةٍ فسالَتْ عينُهُ علىٰ خدِّهِ .

وأنَّ بعضَهُم وضعَ يدَهُ علىٰ يدِ امرأةٍ ، فالتصقَتا وعجزَ النَّاسُ عن فكِّهِما ، حتىٰ دلَّهُم بعضُ العلماءِ : أنَّهُما يَرجِعانِ إلىٰ محلِّ معصيتِهِما ، ويبتهلانِ إلى اللهِ ، ويصدُقانِ في التوبة ، ففعلا ذٰلكَ ، ففرَّجَ اللهُ عنهُما .

وقصَّةُ إسافٍ ونائلةَ مشهورةٌ ؛ وهيَ أنَّهُما زنيا في البيتِ ، فمسخَهُما اللهُ حَجَرَينِ)[4] .

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/٣٨٨) مختصراً ، وأحمد (١/٤٥١) ، وقال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » (٣/٢١٥) : (هٰذا الإسناد صحيح علىٰ شرط البخاري ، ووقفه أشبه من رفعه) .

(٢) انظر « تفسير ابن كثير » (٣/٢١٥) .

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/٤٤٥) في الكبيرة (١٥٣) .

(٤) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/٤٤٥) وانظر فيه ما علَّق من بيان علىٰ هٰذه القصة .

فنعوذُ باللهِ مِنَ الزَّلَّاتِ ، ونسألُهُ أن يعصِمَنا مِنَ الفتنِ إلى المماتِ ؛ إنَّه أكرمُ كريمٍ ، وأرحمُ رحيمٍ .

فَصْلٌ

في زيارةِ قبرِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ ، وفضلِ المدينةِ النبويَّةِ

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ حَجَّ فَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي . . كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي »[1] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ زَارَ قَبْرِي . . وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي »[2] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ حَجَّ إِلَىٰ مَكَّةَ ثُمَّ قَصَدَنِي فِي مَسْجِدِي . . كُتِبَتْ لَهُ حَجَّتَانِ مَبْرُورَتَانِ »[3] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَزُرْنِي . . فَقَدْ جَفَانِي »[4] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ زَارَنِي بِٱلْمَدِينَةِ مُحْتَسِباً . . كُنْتُ لَهُ شَهِيداً وَشَفِيعاً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[5] .

---

(١) أخرجه البيهقي (٥/٢٤٦) برقم (١٠٣٦٩) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٨٩) ، وابن عساكر في « إتحاف الزائر » (ص ٢٦) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الدارقطني (٢/٢٧٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٨٦٢) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٢٩) ، وابن عساكر في « إتحاف الزائر » (ص ٢٠) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه السيد السمهودي في « وفاء الوفا » (٤/٤٥٤) مُسنَداً ، وعزاه للديلمي في « مسند الفردوس » وقال : (ولم يذكره السبكي) ، وعزاه في « كنز العمال » (١٢٣٧٠) للديلمي أيضاً .

(٤) أخرجه ابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (٧/١٤) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه ابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (٧/١٤) ، وعزاه في « كنز العمال » (١٢٣٦٩) لابن حبان في « الضعفاء » والديلمي ، وقال : (أورده ابن الجوزي في « الموضوعات » ولم يصب) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا يَصْبِرُ عَلَىٰ لَأْوَاءِ ٱلْمَدِينَةِ وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي . . إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَوْ شَهِيداً »[1] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنِ ٱسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِٱلْمَدِينَةِ . . فَلْيَمُتْ بِهَا ؛ فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا »[2] .

نسألُ اللهَ الكريمَ : أن يرزقَنا شفاعةَ نبيِّهِ ، والموتَ في حرمِهِ ؛ آمينَ .

[ما قيلَ لحاتِمٍ الأصمِّ عندَ زيارتِهِ قبرَ النبيِّ ﷺ]

وحكىٰ أبو الحسنِ الصُّوفيُّ قالَ : (وقفَ حاتِمٌ الأصمُّ علىٰ قبرِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : يا ربِّ ؛ إنَّا زرنا قبرَ نبيِّكَ فلا تردَّنا خائبينَ[3] .

فنُوديَ : يا هـٰذا ؛ ما أذِنَّا لكَ في زيارةِ قبرِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . إلَّا وقد طهَّرناكَ ، ارجعْ ومَنْ معَكَ مِنَ الزوَّارِ مغفوراً لكُمْ ؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد رضيَ عنكَ وعمَّن زارَ قبرَ نبيِّهِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[4] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٧٨) ، والترمذي (٣٩٢٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٩١٧) ، وابن ماجه (٣٢٥٣) ، وأحمد (٢/٧٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) في (ب) : (زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم) .

(٤) ذكر ذٰلك القسطلاني في « المواهب اللدنية » (٤/٥٨٤) ، وقد أنشد قبل ذٰلك فقال : [من الوافر]

أتيتُكَ زائراً ووددتُ أنِّي ... جعلتُ سوادَ عيني أمتطيهِ

وما لي لا أسيرُ على المآقي ... إلىٰ قبرٍ رسولُ الله فيهِ

صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم ، وشرف وكرم ، ورزقنا زيارة قبره المعظَّم .

باب فضل القرآن

أخرجَ البيهقيُّ عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فَضْلُ ٱلْقُرْآنِ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلْكَلَامِ . . كَفَضْلِ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَلَىٰ سَائِرِ خَلْقِهِ »(1) .

والحاكمُ عنِ ابنِ مسعودٍ : « مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ ٱللهِ . . فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَٱلْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لَا أَقُولُ : ﴿ الٓمٓ ﴾ حَرْفٌ ، ولـٰكنْ : أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلَامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ »(2) .

وأحمدُ عن معاذِ بنِ أنسٍ : « مَنْ قَرَأَ ٱلْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ . . أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تاجاً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، ضَوْءُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ ٱلشَّمْسِ فِي بُيُوتِ ٱلدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ ؛ فَمَا ظَنُّكُمْ بِٱلَّذِي عَمِلَ بِهِ ؟! »(3) .

وأحمدُ عن تميمٍ : « مَنْ قَرَأَ بِمِئَةِ آيَةٍ فِي لَيْلَةٍ . . كُتِبَ لَهُ قُنُوتُ لَيْلَةٍ »(4) .

والحاكمُ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَنْ قَرَأَ فِي لَيْلَةٍ مِئَةَ آيَةٍ . . لَمْ يُكْتَبْ مِنَ ٱلْغَافِلِينَ »(5) .

والديلميُّ عن عمرِو بنِ شعيبٍ : « إِذَا خَتَمَ ٱلْعَبْدُ ٱلْقُرْآنَ . . صَلَّىٰ عَلَيْهِ عِنْدَ خَتْمِهِ سِتُّونَ أَلْفَ مَلَكٍ »(6) .

---

(1) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٠١٨) .

(2) أخرجه الحاكم بنحوه مختصراً (١/٥٥٥) ، والترمذي (٢٩١٠) واللفظ له .

(3) مسند أحمد (٣/٤٤٠) .

(4) مسند أحمد (٤/١٠٣) عن سيدنا تميم بن أوس الداري رضي الله عنه .

(5) مستدرك الحاكم (١/٣٠٩) لـٰكن بلفظ : « من صلىٰ في ليلة بمئة آية . . . » .

(6) عزاه في « كنز العمال » (٢٢٥٨) للديلمي في « الفردوس » .

[مَثَلُ الإنسانِ والقرآنِ]

وأبو داوودَ والنَّسائيُّ عن أنسٍ : « مَثَلُ ٱلْمُؤْمِنِ ٱلَّذِي يَقْرَأُ ٱلْقُرْآنَ كَمَثَلِ ٱلْأُتْرُجِّ ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ ٱلْمُؤْمِنِ ٱلَّذِي لَا يَقْرَأُ ٱلْقُرْآنَ كَمَثَلِ ٱلتَّمْرَةِ ؛ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ ٱلْفَاجِرِ ٱلَّذِي يَقْرَأُ ٱلْقُرْآنَ كَمَثَلِ ٱلرَّيْحَانَةِ ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ ٱلْفَاجِرِ ٱلَّذِي لَا يَقْرَأُ ٱلْقُرْآنَ كَمَثَلِ ٱلْحَنْظَلَةِ ؛ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ ٱلْجَلِيسِ ٱلصَّالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ ٱلْمِسْكِ ؛ إِنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْهُ شَيْءٌ . . أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ ، وَمَثَلُ ٱلْجَلِيسِ ٱلسُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ ٱلْكِيرِ ؛ إِنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْ شَرَارِهِ شَيْءٌ . . أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ »(١) .

وأحمدُ عن أبي هريرةَ : « مَنِ ٱسْتَمَعَ إِلَىٰ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ ٱللهِ . . كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ مُضَاعَفَةٌ ، وَمَنْ تَلَا آيَةً مِنْ كِتَابِ ٱللهِ . . كَانَتْ لَهُ نُوراً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »(٢) .

والطبرانيُّ عن أنسٍ : « مَنْ عَلَّمَ ٱبْناً لَهُ ٱلْقُرْآنَ نَظَراً . . غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَمَنْ عَلَّمَهُ إِيَّاهُ ظَاهِراً ؛ فَكُلَّمَا قَرَأَ ٱلِٱبْنُ آيَةً . . رَفَعَ ٱللهُ بِهَا لِلْأَبِ دَرَجَةً ؛ حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ إِلَىٰ آخِرِ مَا مَعَهُ مِنَ ٱلْقُرْآنِ »(٣) .

والديلميُّ عن أبي أُمامةَ : « حَامِلُ ٱلْقُرْآنِ حَامِلُ رَايَةِ ٱلْإِسْلَامِ ؛ وَمَنْ أَكْرَمَهُ . . فَقَدْ أَكْرَمَ ٱللهَ ، وَمَنْ أَهَانَهُ . . فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ ٱللهِ »(٤) .

وأخرجَ الترمذيُّ والنَّسائيُّ عن أنسٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ

---

(١) سنن أبي داوود (٤٧٩٦) واللفظ له ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٨٠٢٨) .

(٢) مسند أحمد (٢/٣٤١) .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٩٥٦) .

(٤) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٢٦٩٠) .

عليهِ وسلَّمَ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي ؛ حَتَّى ٱلْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا ٱلرَّجُلُ مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ، وعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي ؛ فَلَمْ أَرَ ذَنْباً أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ ٱلْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أُوتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا »(١) .

وأبو داوودَ عن سعدِ بنِ عبادةَ : « مَا مِنِ ٱمْرِئٍ تَعَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ . . إِلَّا لَقِيَ ٱللهَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَجْذَمَ »(٢) .

[رؤيةُ الإمامِ أحمدَ للحقِّ سبحانَهُ]

وحكى اليافعيُّ : أنَّ الإمامَ أحمدَ ابنَ حنبلٍ قالَ : (رأيتُ ربَّ العزَّةِ في منامي ، فقلتُ : يا ربِّ ؛ بِمَ تقرَّبَ إليكَ المُتقرِّبونَ ؟ قالَ : بكلامي ، قالَ : بفهمٍ أو بغيرِ فهمٍ ؟ قالَ : بفهمٍ أو بغيرِ فهمٍ)(٣) .

تنبيهات

أحدُها

[القرآنُ أفضلُ الأذكارِ]

إنَّ تلاوةَ القرآنِ أفضلُ مِنْ سائرِ أنواعِ الذِّكْرِ العامِّ ، الذي لم يُخَصَّ بوقتٍ أو محلٍّ .

وهيَ نظراً ، وفي صلاةٍ ، وباللَّيلِ ، ونصفِهِ الأخيرِ ، وبينَ العشاءَينِ ، وبعدَ الصُّبحِ ، وفي أفضلِ الأوقاتِ . . أفضلُ .

---

(١) سنن الترمذي (٢٩١٦) ، ولم يعزه في « جامع الأصول » (٦٣٠٢) للنسائي ، بل لأبي داوود والترمذي ، وهو عند أبي داوود (٤٦٢) .

(٢) سنن أبي داوود (١٤٦٩) .

(٣) انظر « الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله تعالىٰ وتلاوة كتابه العزيز » (ص ٢٤٢) .

فرع

[في سُنِّيَّةِ ترتيلِ قراءةِ القرآنِ]

يُسَنُّ ترتيلُها حتىٰ للأعجميِّ الذي لا يفهمُهُ ؛ وهوَ الانتقالُ مِنْ حرفٍ إلىٰ حرفٍ آخَرَ بتأنٍّ بلا وقفةٍ ، وحرفُ ترتيلٍ أفضلُ مِنْ حرفَيْ غيرِهِ .

قالَ ابنُ عباسٍ : (لأن أقرأَ سورةً أُرتِّلُها . . أحبُّ إليَّ مِنْ أن أقرأَ القرآنَ كلَّهُ بغيرِ ترتيلٍ)(١) .

قالَ بعضُهُم : يُسَنُّ الوقفُ علىٰ رأسِ كلِّ آيةٍ ، وعليهِ أبو عمرٍو القارئُ(٢) .

وينبغي أن يكونَ شأنُ القارئِ الخشوعَ ، والتدبُّرَ والخضوعَ ؛ إذ هوَ المقصودُ والمطلوبُ ، وبهِ تستنيرُ القلوبُ .

قالَ أنسُ بنُ مالكٍ : (رُبَّ تالٍ للقرآنِ والقرآنُ يلعنُهُ)(٣) .

وردَ في التَّوراةِ : « يَا عَبْدِي ؛ أَمَا تَسْتَحْيِي مِنِّي ؟! يَأْتِيكَ كِتَابُ بَعْضِ إِخْوَانِكَ وَأَنْتَ فِي ٱلطَّرِيقِ تَمْشِي ، فَتَعْدِلُ عَنِ ٱلطَّرِيقِ ، وَتَقْعُدُ لِأَجْلِهِ ، وَتَقْرَؤُهُ وَتَدَبَّرُهُ حَرْفاً حَرْفاً ؛ حَتَّىٰ لَا يَفُوتَكَ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَهَـٰذَا كِتَابِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ ، ٱنْظُرْ كَمْ فَصَّلْتُ لَكَ مِنَ ٱلْقَوْلِ ، وَكَمْ كَرَّرْتُ عَلَيْكَ فِيهِ ؛ لِتَتَأَمَّلَ طُولَهُ وَعَرْضَهُ ، ثُمَّ أَنْتَ مُعْرِضٌ عَنْهُ ؟! أَفَكُنْتُ أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِكَ ؟!

---

(١) أخرجه أبو عبيد في « فضائل القرآن » (ص ١٥٧) ، وابن عبد البر في « الاستذكار » (١٠٣٨٣) ، والنووي في « التبيان في آداب حملة القرآن » (ص ١٠٨) .

(٢) انظر تفصيل ذٰلك في « المكتفىٰ في الوقف والابتدا » (ص ١٥٧) .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/٢٦٦) .

يَا عَبْدِي ؛ يَقْصِدُ إِلَيْكَ بَعْضُ إِخْوَانِكَ فَتُقْبِلُ عَلَيْهِ بِكُلِّ وَجْهِكَ ، وَتُصْغِي إِلَىٰ حَدِيثِهِ بِكُلِّ قَلْبِكَ ؛ فَإِنْ تَكَلَّمَ مُتَكَلِّمٌ ، أَوْ شَغَلَكَ شَاغِلٌ مِنْ حَدِيثِهِ . . أَوْمَأْتَ إِلَيْهِ : أَنْ كُفَّ ، وَهَـٰأَنَذَا مُقْبِلٌ عَلَيْكَ ، وَمُحَدِّثٌ لَكَ ، وَأَنْتَ مُعْرِضٌ عَنِّي بِقَلْبِكَ ؟! أَجَعَلْتَنِي أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِكَ ؟! »(١) تعالى اللهُ عن ذٰلكَ علوّاً كبيراً .

فائدة

[في تقديمِ حفظِ القرآنِ علىٰ صلاةِ التطوُّعِ]

قالَ في « المجموعِ » : (الاشتغالُ بحفظِ ما زادَ على « الفاتحةِ » أفضلُ مِنْ صلاةِ التطوُّعِ)(٢) .

وأفتىٰ بعضُ المُتأخِّرينَ : بأنَّ الاشتغالَ بحفظِهِ أفضلُ مِنَ الاشتغالِ بفَرْضِ الكفايةِ مِنْ سائرِ العلومِ دونَ فَرْضِ العينِ منها(٣) .

وثانيها

[نسيانُ القرآنِ أو بعضِهِ كبيرةٌ]

إنَّ نسيانَ آيةٍ أو حرفٍ منهُ ولو بالاشتغالِ بما هوَ أهمُّ منهُ كتعلُّمِ العلمِ العينيِّ . . كبيرةٌ .

---

(١) أورده الإمام أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/٥٩) ، والإمام الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/٢٦٩) .

(٢) المجموع شرح المهذب (٤/٦) وعزاه لأبي عاصم العبادي في كتابه « الزيادات » ، وقال معللاً : (لأن حفظه فرض كفاية) .

(٣) ذكر ذٰلك البجيرمي في « حاشيته على الخطيب » (١/٣٣١) ، وملا علي القاري في « مرقاة المفاتيح » (٥/٤٢) .

وثالثُها

[وجوبُ المحافظةِ علىٰ صفةِ حفظِهِ]

إنَّـهُ يجبُ علىٰ مَنْ حفظَهُ بعدَ البلوغِ بصفةٍ ؛ مِنْ إتقانٍ أو توسُّطٍ أو غيرِهِما كأن يتوقَّفَ فيهِ أو يَكْثُرَ غلطُهُ . . أن يستمرَّ علىٰ تلكَ الصِّفةِ التي حفظَهُ عليها ، فيَحرُمُ عليهِ نقصُها مِنْ حافظتِهِ .

ورابعُها

[حُرمَةُ تمزيقِ وامتهانِ ما كُتِبَ فيهِ قرآنٌ]

إنَّـهُ يَحرُمُ تمزيقُ ما كُتِبَ فيهِ قرآنٌ عبثاً ، وبلعُهُ ، لا أكلُهُ ولا شربُ محوِهِ ، وتركُ رفعِهِ عنِ الأرضِ[1] ، ومدُّ الرِّجلِ إليهِ ، ووضعُ نحوِ درهمٍ فيهِ ، وفي كتبِ علمٍ شرعيٍّ .

ويُندَبُ القيامُ لهُ كالعالِمِ .

وحكىٰ يوسفُ المالكيُّ : (أنَّ الإمامَ أبا بكرِ ابنَ فُورَكَ ما نامَ في بيتٍ فيهِ مصحفٌ قطُّ ، وإذا أرادَ النومَ . . انتقلَ عنِ المكانِ الذي فيهِ ؛ إعظاماً لكتابِ اللهِ عَزَّ وجلَّ)[2] .

فَصْلٌ

في فضائلِ بعضِ السُّورِ والآياتِ

التي وردَ فضلُها في الأحاديثِ غيرِ الموضوعاتِ

أخرجَ عبدُ بنُ حُميدٍ عنِ ابنِ عباسٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ

---

(١) أي : ويحرم ترك رفعه عن الأرض مع القدرة .

(٢) أورده التاج السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١٢٩/٤) .

عليهِ وسلَّمَ : « (فَاتِحَةُ ٱلْكِتَابِ) تَعْدِلُ بِثُلُثَيِ ٱلْقُرْآنِ »(١) .

وأحمدُ والترمذيُّ عن أبي هريرةَ : « وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ مَا أَنْزَلَ ٱللهُ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَلَا فِي ٱلزَّبُورِ وَلَا فِي ٱلْإِنْجِيلِ وَلَا فِي ٱلْقُرْآنِ مِثْلَهَا ـ يعني : أمَّ القرآنِ ـ وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْآنِ ٱلْعَظِيمِ »(٢) .

[مِنْ فضائلِ (البقرةِ) و(آلِ عمرانَ)]

وأحمدُ عن أبي أُمامةَ : « ٱقْرَؤُوا ٱلْقُرْآنَ ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ ، ٱقْرَؤُوا ٱلزَّهْرَاوَيْنِ : (ٱلْبَقَرَةَ) وَ(آلَ عِمْرَانَ) فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، ٱقْرَؤُوا سُورَةَ (ٱلْبَقَرَةِ) فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا ٱلْبَطَلَةُ »(٣) .

والبيهقيُّ عنِ الصَّلصالِ : « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ (ٱلْبَقَرَةِ) . . تُوِّجَ بِتَاجٍ فِي ٱلْجَنَّةِ »(٤) .

وابنُ مَرْدُويَهْ وَالشِّيرازيُّ عنِ ابنِ مسعودٍ : (أعظمُ آيةٍ في كتابِ اللهِ : آيةُ الكرسيِّ ، وأعدلُ آيةٍ في القرآنِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ . . . ﴾

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في « منتخبه » (٦٧٨) .

(٢) سنن الترمذي (٣١٢٥) ، ومسند أحمد (٤١٣/٢) بنحوه .

(٣) مسند أحمد (٢٥٥/٥) ، وأخرجه مسلم (٨٠٤) .

(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢١٦٧) ، وزاد في المطبوع حديثاً قبل هـٰذا وجعله كأنه بداية لهـٰذا الحديث ، وليس في النسخ الخطية ، وقد جعله البيهقي بعد هـٰذا الحديث حيث قال : وبإسناده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اقرؤوا سورة (البقرة) في بيوتكم ولا تجعلوها قبوراً » .

إلىٰ آخِرِها[١] ، وأخوفُ آيةٍ في القرآنِ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[٢] ، وأرجىٰ آيةٍ في القرآنِ : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾)[٣] .

والحاكمُ عن أبي ذرٍّ : « إِنَّ ٱللهَ خَتَمَ سُورَةَ (ٱلْبَقَرَةِ) بِآيَتَيْنِ ، أَعْطَانِيهِمَا مِنْ كَنْزِهِ ٱلَّذِي تَحْتَ ٱلْعَرْشِ ، فَتَعَلَّمُوهُنَّ وَعَلِّمُوهُنَّ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ ؛ فَإِنَّهُمَا صَلَاةٌ وَقِرَاءَةٌ وَدُعَاءٌ »[٤] .

والدَّارِميُّ عن عثمانَ بنِ عفَّانَ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَنْ قَرَأَ آخِرَ (آلِ عِمْرَانَ) فِي لَيْلَةٍ . . كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ »[٥] .

وأحمدُ عن معاذِ بنِ أنسٍ : « آيَةُ ٱلْعِزِّ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا . . . ﴾ الآيَةَ »[٦] .

[مِنْ فضائلِ سورةِ (الكهفِ) و(السَّجدةِ)]

والبيهقيُّ عنِ ابنِ عباسٍ : « سُورَةُ (ٱلْكَهْفِ) تُدْعَىٰ فِي ٱلتَّوْرَاةِ : ٱلْحَائِلَةَ ؛ تَحُولُ بَيْنَ قَارِئِهَا وَبَيْنَ ٱلنَّارِ »[٧] .

---

(١) سورة النحل : (٩٠) ، والآية بتمامها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

(٢) سورة الزلزلة : (٧ ـ ٨) .

(٣) سورة الزمر : (٥٣) ، والأثر أورده السيوطي في « الدر المنثور » (٧/٢) وعزاه لابن مردويه وللشيرازي في « الألقاب » والهروي في « فضائله » ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٥٣٩) وعزاه لمن ذُكِر .

(٤) مستدرك الحاكم (١/٥٦٢) .

(٥) سنن الدارمي (٣٤٣٩) .

(٦) سورة الإسراء : (١١١) ، والآية بتمامها : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ ، والحديث أخرجه أحمد (٣/٤٣٩ ـ ٤٤٠) .

(٧) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٢٢٣) .

ومسلمٌ عن أبي الدَّرداءِ : « مَنْ قَرَأَ ٱلْعَشْرَ ٱلْأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ (ٱلْكَهْفِ) . . عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ ٱلدَّجَّالِ »[1] .

وأحمدُ والترمذيُّ والنَّسائيُّ والحاكمُ عن جابرٍ : (كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا ينامُ حتىٰ يقرَأَ : « الٓمٓ تنزيلُ ، السَّجدةَ » ، و« تباركَ الذي بيدِهِ الملكُ »)[2] .

والدَّارِميُّ عن خالدِ بنِ مَعْدانَ قالَ : (اقرؤوا المُنجيةَ وهيَ « الٓمٓ تنزيلُ » فإنَّهُ بلغَني : أنَّ رجلاً كان يقرؤها ما يقرأُ شيئاً غيرَها ، وكانَ كثيرَ الخطايا ، فنَشرَتْ جناحَها عليهِ ، فقالَتْ : ربِّ ؛ اغفرْ لهُ . . فإنَّهُ كانَ يُكثِرُ قراءتي ، فشفَّعَها الربُّ تعالىٰ فيهِ ، وقالَ : اكتبوا لهُ بكلِّ خطيئةٍ حسنةً ، وارفعوا لهُ درجةً)[3] .

وقالَ أيضاً : (إنَّها تُجادِلُ عن صاحبِها في القبرِ ؛ تقولُ : اللهمَّ ؛ إن كنتُ مِنْ كتابِكَ . . فشفِّعْني فيهِ ، وإن لم أكنْ مِنْ كتابِكَ . . فٱمحُني عنهُ ، وإنَّها تكونُ كالطَّيرِ تجعلُ جناحَها عليهِ ، فتشفعُ لهُ ، فتمنعُهُ مِنْ عذابِ القبرِ) ، وقالَ في (تباركَ) مثلَهُ[4] .

[مِنْ فضائلِ سورةِ (يسٓ) وغيرِها]

وعن أبي سعيدٍ : (مَنْ قرأَ « يسٓ » مرةً . . فكأنَّما قرأَ القرآنَ مرتَينِ)[5] .

---

(١) صحيح مسلم (٨٠٩) .

(٢) مستدرك الحاكم (٤١٢/٢) ، وسنن الترمذي (٢٨٩٢) ، وأخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (١٠٤٧٦) ، وأحمد (٣٤٠/٣) .

(٣) مسند الدارمي (٣٤٥١) .

(٤) مسند الدارمي (٣٤٥٣) ثم قال : (فكان خالد لا يبيت حتىٰ يقرأ بهما) .

(٥) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٢٣٨) ، وأوله : أن أبا هريرة قال : (من قرأ « يسٓ » مرة . . ←

والبيهقيُّ عن معقلِ بنِ يسارٍ : « مَنْ قَرَأَ (يَسٓ) ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ . . غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، فَٱقْرَؤُوهَا عِنْدَ مَوْتَاكُمْ »(١) .

وأبو نُعيمٍ عنِ ابنِ مسعودٍ : « مَنْ قَرَأَ (يَسٓ) فِي لَيْلَةٍ . . أَصْبَحَ مَغْفُوراً لَهُ »(٢) .

والبيهقيُّ عن أبي هريرةَ : « مَنْ قَرَأَ : (يَسٓ) كُلَّ لَيْلَةٍ . . غُفِرَ لَهُ »(٣) .

وفي روايةٍ عنهُ : « مَنْ قَرَأَ : (يَسٓ) فِي لَيْلَةٍ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ . . غُفِرَ لَهُ »(٤) .

والدَّارميُّ عن عطاءِ بنِ أبي رَباحٍ قالَ : « مَنْ قَرَأَ : (يَسٓ) فِي صَدْرِ ٱلنَّهَارِ . . قُضِيَتْ حَوَائِجُهُ »(٥) .

[مِنْ فضائلِ الحَواميمِ والمُسبِّحاتِ]

والبيهقيُّ عنِ الخليلِ بنِ مُرَّةَ مُرسَلاً : « ٱلْحَوَامِيمُ سَبْعٌ ، وَأَبْوَابُ جَهَنَّمَ سَبْعٌ ؛ يَجِيءُ كُلُّ حَمَ مِنْهَا يَقِفُ عَلَىٰ بَابٍ مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْأَبْوَابِ يَقُولُ : ٱللَّهُمَّ ؛ لَا تُدْخِلْ هَـٰذَا ٱلْبَابَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِي وَيَقْرَؤُنِي »(٦) .

← فكأنما قرأ القرآن عشر مرات) ، وقال أبو سعيد : (من قرأ . . .) الحديث ، فقال أبو هريرة : (حدّث أنت عما سمعت ، وأُحدّث أنا بما سمعت) .

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » أيضاً (٢٢٣١) .

(٢) حلية الأولياء (٤/١٣٠) .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٢٣٤) .

(٤) شعب الإيمان (٢٢٣٦) .

(٥) مسند الدارمي (٣٤٦١) بلاغاً عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٢٥٠) .

والترمذيُّ عن أبي هريرةَ : « مَنْ قَرَأَ : (حمٓ ٱلدُّخَانَ) فِي لَيْلَةٍ . . أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ »[1] .

وابنُ الضُّرَيْسِ عنِ الحسنِ قالَ : « مَنْ قَرَأَ : سُورَةَ (ٱلدُّخَانِ) فِي لَيْلَةٍ . . غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »[2] .

والبيهقيُّ والديلميُّ عن فاطمةَ : « قَارِئُ (ٱلْحَدِيدِ) وَ(إِذَا وَقَعَتْ) وَ(ٱلرَّحْمَٰنِ) . . يُدْعَىٰ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ : سَاكِنَ ٱلْفِرْدَوْسِ »[3] .

والبيهقيُّ عنِ ابنِ مسعودٍ : « مَنْ قَرَأَ : سُورَةَ (ٱلْوَاقِعَةِ) فِي كُلِّ لَيْلَةٍ . . لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَداً »[4] .

وابنُ عَديٍّ عن أنسٍ : « عَلِّمُوا نِسَاءَكُمْ سُورَةَ (ٱلْوَاقِعَةِ) فَإِنَّهَا سُورَةُ ٱلْغِنَىٰ »[5] .

والترمذيُّ والنَّسائيُّ عنِ العِرْباضِ بنِ ساريةَ : كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقرأُ المُسبِّحاتِ في كلِّ ليلةٍ قبلَ أن يرقُدَ ، يقولُ : « إِنَّ فِيهِنَّ آيَةً خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ »[6] ، . . . .

---

(١) سنن الترمذي (٢٨٨٨) .

(٢) أخرجه ابن الضريس في « فضائل القرآن » (٢٢٢) .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٢٦٦) ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٤٦٢١) .

(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٢٦٨) .

(٥) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٤٠٠٥) ، والسيوطي في « الدر المنثور » (٨/٣) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٦٤١) وعزواه للديلمي فقط ، فتنبه .

(٦) سنن الترمذي (٢٩٢١) ، وأخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٧٩٧٢) .

وقالَ الحافظُ ابنُ كثيرٍ : (هيَ قولُهُ : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ . . . ﴾ إلىٰ : ﴿ عَلِيمٌ ﴾)[1] .

وقالَ أُبيُّ بنُ كعبٍ : (أفضلُ المُسبِّحاتِ : « سبِّحِ اسمَ ربِّكَ الأعلىٰ »)[2] .

والبيهقيُّ عن أبي أُمامةَ : « مَنْ قَرَأَ خَوَاتِيمَ (ٱلْحَشْرِ) مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ، فَقُبِضَ فِي ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ أَوِ ٱللَّيْلَةِ . . فَقَدْ أَوْجَبَ ٱللَّهُ لَهُ ٱلْجَنَّةَ »[3] .

[مِنْ فضائلِ سورةِ (المُلْكِ)]

وأحمدُ وأبو داوودَ والترمذيُّ والحاكمُ وابنا عَديٍّ وحِبَّانَ عن أبي هريرةَ : « إِنَّ سُورَةً فِي ٱلْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّىٰ غُفِرَ لَهُ ؛ وَهِيَ : (تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ) » وفي روايةِ أبي داوودَ : « تَشْفَعُ »[4] .

والترمذيُّ عنِ ابنِ عباسٍ قالَ : ضربَ بعضُ أصحابِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خِباءَهُ علىٰ قبرٍ وهوَ لا يحسَبُ أنَّهُ قبرٌ ؛ فإذا فيهِ إنسانٌ يقرأُ فيهِ سورةَ (تباركَ الذي بيدِهِ المُلْكُ) حتَّىٰ ختمَها ، فأتى النبيَّ صلَّى اللهُ

---

(١) سورة الحديد : (٣) ، والآية بتمامها : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، وانظر كلام الحافظ ابن كثير في « تفسيره » (٤/٣٠٢) .

(٢) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في « فضائل القرآن » (ص ٢٥٩) ، والدولابي في « الكنىٰ » (١٣٣) .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٢٧١) ، وأخرج الترمذي نحوه (٢٩٢٢) عن سيدنا معقل بن يسار رضي الله عنه ، والآيات هي قوله تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢ ـ ٢٤] .

(٤) أخرجه ابن حبان (٧٨٧) ، والحاكم (١/٥٦٥) ، وأبو داوود (١٣٩٥) ، والترمذي (٢٨٩١) ، وأحمد (٢/٢٩٩) ، وابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (٧/٢٠٥) .

عليهِ وسلَّمَ فأخبرَهُ ، فقالَ : « هِيَ ٱلْمَانِعَةُ ، هِيَ ٱلْمُنْجِيَةُ ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ »[1] .

والحاكمُ عنهُ : « وَدِدْتُ أَنَّ (تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ) فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ »[2] .

[مِنْ فضائلِ قصارِ السورِ]

والترمذيُّ عن أنسٍ : « مَنْ قَرَأَ : (إِذَا زُلْزِلَتْ) . . عَدَلَتْ نِصْفَ ٱلْقُرْآنِ ، وَمَنْ قَرَأَ : (قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ) . . عَدَلَتْ رُبُعَ ٱلْقُرْآنِ ، وَمَنْ قَرَأَ : (قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ) . . عَدَلَتْ لَهُ بِثُلُثِ ٱلْقُرْآنِ »[3] .

والبيهقيُّ عنِ ابنِ عمرَ : « أَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ أَلْفَ آيَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ ؟ » قالوا : ومَنْ يستطيعُ أن يقرأَ ألفَ آيةٍ في كلِّ يومٍ ؟! قالَ : « أَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ : (أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ) »[4] .

والشيخانِ وأبو داوودَ والترمذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجه ومالكٌ وأحمدُ والطبرانيُّ والبزَّارُ وأبو عُبيدٍ عن عشرةٍ مِنَ الصَّحابةِ : « (قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ) : تَعْدِلُ ثُلُثَ ٱلْقُرْآنِ »[5] .

---

(١) سنن الترمذي (٢٨٩٠) .

(٢) مستدرك الحاكم (١/٥٦٥) .

(٣) سنن الترمذي (٢٨٩٤) بنحوه دون سورة (الإخلاص) ، والحاكم (١/٥٦٦) مع ذكرها .

(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٢٨٧) ، والحاكم (١/٥٦٧) .

(٥) أخرجه البخاري (٥٠١٥) ، ومسلم (٢٥٩) ، وأبو داوود (١٤٥٦) ، والترمذي (٢٨٩٩) ، وابن ماجه (٣٩٤١) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (١٠٤٤١) ، ومالك في « الموطأ » (١/٢٠٨) ، وأحمد (٢/٤٢٩) ، والبزار (١٢١١) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢١٢٦) ، وأبو عبيد في « فضائل القرآن » (ص ٢٦٦) .

والعُقيليُّ عن رجاءٍ الغَنَوِيِّ : « مَنْ قَرَأَ : (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . . فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ٱلْقُرْآنَ أَجْمَعَ »[1] .

وأحمدُ عن معاذِ بنِ أنسٍ : « مَنْ قَرَأَ : (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) عَشْرَ مَرَّاتٍ . . بَنَى ٱللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي ٱلْجَنَّةِ »[2] .

والبيهقيُّ وابنُ عَديٍّ عن أنسٍ : « مَنْ قَرَأَ : (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) [مِئَتَيْ] مَرَّةٍ[3] . . غَفَرَ ٱللَّهُ لَهُ خَطِيئَةَ خَمْسِينَ عَاماً مَا ٱجْتَنَبَ خِصَالاً أَرْبَعاً : ٱلدِّمَاءَ ، وَٱلْأَمْوَالَ ، وَٱلْفُرُوجَ ، وَٱلْأَشْرِبَةَ »[4] .

والطبرانيُّ عن فيروزَ : « مَنْ قَرَأَ : (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) مِئَةَ مَرَّةٍ فِي ٱلصَّلَاةِ أَوْ غَيْرِهَا . . كَتَبَ ٱللَّهُ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ ٱلنَّارِ »[5] .

اللهمَّ ؛ اكتبْ لنا البراءةَ مِنَ النَّارِ .

ووردَ في سورةِ (لم يكنْ) : « إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ لِمَنْ قَرَأَهَا : أَبْشِرْ عَبْدِي ، فَوَعِزَّتِي وَجَلَالِي ؛ لَأُمَكِّنَنَّ لَكَ فِي ٱلْجَنَّةِ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ »[6] .

وفي (العادياتِ) : « إِنَّهَا تَعْدِلُ نِصْفَ ٱلْقُرْآنِ »[7] .

---

(١) الضعفاء (١/١٤٣) .

(٢) مسند أحمد (٣/٤٣٧) ، وتتمته : فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذاً نستكثر يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكثر وأطيب » .

(٣) في النسخ : (مئة مرة) ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٣١٨) ، وابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (٣/٥٨) بنحوه .

(٥) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٨/٣٣١) .

(٦) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٥٤٠) ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٨/٥٨٥) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٧١١) لأبي نعيم في « معرفة الصحابة » عن إسماعيل بن أبي حكيم رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

(٧) أخرجه أبو عبيد في « فضائل القرآن » (ص ٢٦٣) عن الحسن رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

وفي سورةِ (النَّصرِ) : « إِنَّهَا تَعْدِلُ رُبُعَ ٱلْقُرْآنِ »[١] .

[وفاةُ مُوَرِّقٍ العِجْليّ وشفاعةُ سورةِ (السجدةِ) لهُ]

وروىٰ [جُوَيبِرٌ] في « تفسيرِهِ »[٢] عن أبانَ بنِ أبي عيَّاشٍ قالَ : (حضرنا وفاةَ مُوَرِّقٍ العِجْليِّ ، فلمَّا سُجِّيَ وقلنا : قد قضىٰ . . رأينا نوراً ساطعاً قد سطعَ مِنْ عندِ رأسِهِ حتَّىٰ خرقَ السقفَ ، ثمَّ رأينا نوراً قد سطعَ عندَ رِجليهِ مثلَ الأوَّلِ ، ثمَّ رأينا نوراً سطعَ مِنْ وَسَطِهِ .

فمكثنا ساعةً ، ثمَّ إنَّهُ كشفَ الثوبَ عن وجهِهِ فقالَ : هل رأيتُم شيئاً ؟ قلنا لهُ : نعم ، فأخبرناهُ ما رأينا .

فقالَ : تلكَ السورةُ « السَّجدةُ » قد كنتُ أقرؤها في كلِّ ليلةٍ ، وكان النُّورُ الذي رأيتُم عندَ رأسي : أربعَ عشرةَ آيةً مِنْ أوَّلِها ، والنُّورُ الذي رأيتُم عندَ رِجليَّ : أربعَ عشرةَ آيةً مِنْ آخِرِها ، والنُّورُ الذي رأيتُم في وَسَطِي : آيةَ السَّجدةِ بنفسِها ؛ صَعِدَتْ تشفعُ لي ، وبقيَتْ سورةُ (تباركَ) تَحرُسُني ، ثمَّ قضىٰ)[٣] .

[سورةُ (يسٓ) تُدافعُ عن قارئِها]

وحكى اليافعيُّ قالَ : (سمعتُ مِنْ بعضِ الصَّالحينَ في بعضِ بلادِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٩٥) ، وأحمد (٣/١٤٧) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) في (أ) : (الجويني في « تفسيره ») ، وفي (ج) : (جويني في . . .) ، ولعله سبق قلم ، والمثبت من « شرح الصدور » وسقط الأثر برمته من (ب) .

(٣) أورده الحافظ السيوطي في « شرح الصدور » (ص ١٦٨ ـ ١٦٩) وعزاه لجويبر في « تفسيره » ، وأخرجه ابن أبي الدنيا في « من عاش بعد الموت » (٤٦) لكن من طريق آخر : أن مورق العجلي رحمه الله تعالىٰ عاد رجلاً فرأىٰ ما رأىٰ ورواه .

اليمنِ : أنَّهُ لمَّا دُفِنَ بعضُ الموتىٰ وانصرفَ النَّاسُ . . سمعَ في القبرِ ضرباً ودقّاً عنيفاً ، ثمَّ خرجَ مِنَ القبرِ كلبٌ أسودُ ، فقالَ لهُ الشيخُ : وَيْحَكَ ؛ أَيْشٍ أنتَ ؟!

قالَ : أنا عملُ الميّتِ ، قالَ : فهٰذا الضَّربُ فيكَ أم فيهِ ؟

قالَ : بل فيَّ ، وجدتُ عندَهُ سورةَ (يسٓ) وأخواتِها فحالَتْ بيني وبينَهُ ، وضُرِبتُ وطُرِدتُ)[1] .

نسألُ اللهَ المنَّانَ : أن يُجنِّبَنا عذابَ القبرِ والنِّيرانَ ، وأن يرزقَنا الحُورَ والجِنانَ ببركةِ القرآنِ ، آمينَ .

❋ ❋ ❋

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ١٩١) ضمن الحكاية رقم (١٥١) .

بابُ أذكارِ الصّباحِ والمساءِ

أخرجَ أحمدُ عن عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ غَنْمٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ وَيَثْنِيَ رِجْلَيْهِ مِنْ صَلَاةِ ٱلْمَغْرِبِ وَٱلصُّبْحِ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، بِيَدِهِ ٱلْخَيْرُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (عَشْرَ مَرَّاتٍ) . . كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، وَحِرْزاً مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ، وَلَمْ يَحِلَّ لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ إِلَّا ٱلشِّرْكُ ، وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ ٱلنَّاسِ عَمَلاً إِلَّا رَجُلاً يَفْضُلُهُ ؛ يَقُولُ أَفْضَلَ مِمَّا قَالَ » ، وزادَ النَّسائيُّ : « مَنْ قَالَهُنَّ مِنْ صَلَاةِ ٱلْعَصْرِ . . [أُعْطِيَ مِثْلَ ذَٰلِكَ] »(١) .

[سيّدُ الاستغفارِ]

وأحمدُ والبخاريُّ : « سَيِّدُ ٱلِاسْتِغْفَارِ : ٱللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَٱغْفِرْ لِي ؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ .

مَنْ قَالَهَا مِنَ ٱلنَّهَارِ مُوقِناً بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ . . فَهُوَ مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ ٱللَّيْلِ وهوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ . . فَهُوَ مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ »(٢) .

---

(١) مسند أحمد (٤/٢٧٧) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (١٢٦) .

(٢) صحيح البخاري (٦٣٠٦) ، ومسند أحمد (٤/١٢٢) عن سيدنا شدَّاد بن أوس رضي الله عنه .

وأبو داوودَ والترمذيُّ : كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ إذا أصبحَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ بِكَ أَصْبَحْنَا ، وَبِكَ أَمْسَيْنَا ، وَبِكَ نَحْيَا ، وَبِكَ نَمُوتُ ، وَإِلَيْكَ ٱلنُّشُورُ » ، وإذا أمسىٰ . . قالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ بِكَ أَمْسَيْنَا ، وَبِكَ أَصْبَحْنَا ، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ ، وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ »[1] .

وابنُ السُّنِّيِّ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لفاطمةَ رضيَ اللهُ عنها : « مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ ؟ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ : يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ؛ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ ، فَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ »[2] .

وأبو داوودَ : « إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ . . فَلْيَقُلْ : أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ ٱلْمُلْكُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ، ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَٰذَا ٱلْيَوْمِ : فَتْحَهُ وَنَصْرَهُ وَنُورَهُ وَبَرَكَتَهُ وَهُدَاهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ وَشَرِّ مَا قَبْلَهُ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ ، ثُمَّ إِذَا أَمْسَىٰ . . فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَٰلِكَ »[3] .

[دعاءٌ لذهابِ الهمِّ وقضاءِ الدَّينِ]

وأبو داوودَ : دخلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذاتَ يومٍ المسجدَ ؛ فإذا هوَ برجلٍ مِنَ الأنصارِ ، يُقالُ لهُ : أبو أُمامةَ ، فقالَ : « يَا أَبَا أُمَامَةَ ؛ مَا لِي أَرَاكَ جَالِساً فِي غَيْرِ وَقْتِ ٱلصَّلَاةِ ؟! » .

قالَ : همومٌ لزمَتْني وديونٌ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : « أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَاماً إِذَا قُلْتَهُ . . أَذْهَبَ ٱللهُ هَمَّكَ ، وَقَضَىٰ عَنْكَ دَيْنَكَ ؟ » قلتُ : بلىٰ يا رسولَ اللهِ ،

---

(١) سنن أبي داوود (٥٠٦٩) ، وسنن الترمذي (٣٣٩١) واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) عمل اليوم والليلة (٤٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) سنن أبي داوود (٥٠٤٣) عن سيدنا أبي مالك رضي الله عنه .

قالَ : « قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ : ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْهَمِّ وَٱلْحَزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْعَجْزِ وَٱلْكَسَلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْجُبْنِ وَٱلْبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ ٱلدَّيْنِ وَقَهْرِ ٱلرِّجَالِ » قالَ : فقلتُ ، فأذهبَ اللهُ تعالىٰ همِّي ، وقضىٰ عنِّي دَيني (١) .

[كلماتٌ أنقذَ اللهُ بها بيتَ أبي الدَّرداءِ]

وابنُ السُّنِّيِّ : جاءَ رجلٌ إلىٰ أبي الدَّرداءِ فقالَ : يا أبا الدَّرداءِ ؛ قدِ احترقَ بيتُكَ ، فقالَ : ما احترقَ ، لم يكنِ اللهُ عزَّ وجلَّ ليفعلَ ذٰلكَ ؛ بكلماتٍ سمعتُهُنَّ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، مَنْ قالَها أوَّلَ نهارِهِ . . لم تُصِبْهُ مصيبةٌ حتىٰ يُمسيَ ، ومَنْ قالَها آخرَ النَّهارِ . . لم تُصِبْهُ مصيبةٌ حتىٰ يُصبحَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ، مَا شَاءَ ٱللهُ . . كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ . . لَمْ يَكُنْ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ ، أَعْلَمُ أَنَّ ٱللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ ٱللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ، ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ؛ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » (٢) .

وأخرجَهُ مِنْ طريقٍ آخرَ : أنَّهُ تكرَّرَ مجيءُ رجلٍ إليهِ يقولُ : أدركْ دارَكَ ؛ فقدِ احترقَتْ !! وهوَ يقولُ : (ما احترقَتْ ؛ لأنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ هَـٰذِهِ ٱلْكَلِمَاتِ . . لَمْ يُصِبْهُ فِي نَفْسِهِ وَلَا أَهْلِهِ وَلَا مَالِهِ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ » وقد قلتُها اليومَ ، ثمَّ قالَ :

---

(١) سنن أبي داوود (١٥٥٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) عمل اليوم والليلة (٥٧) عن سيدنا طلق بن حبيب رضي الله عنه .

انهضوا بنا ، فقامَ وقاموا معَهُ ، فانتهَوا إلىٰ دارِهِ وقدِ احترقَ ما حولَها ولم يُصِبْها شيءٌ[1] .

وفي روايةٍ أُخرىٰ لهُ : « مَنْ قَالَهَا ثُمَّ مَاتَ . . دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ » .

وهوَ : أنَّ رجلاً شكا إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ يُصيبُهُ الآفاتُ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ : بِٱسْمِ ٱللهِ عَلَىٰ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ؛ فَإِنَّهُ لَا يَذْهَبُ لَكَ شَيْءٌ » فقالَهُنَّ الرَّجلُ ، فذهبَ عنهُ الآفاتُ[2] .

[أدعيةٌ للحفظِ صباحاً ومساءً]

ومسلمٌ وأبو داوودَ : « أَمَا إِنَّكَ لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ ٱللهِ ٱلتَّامَّاتِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . . لَمْ تَضُرَّكَ »[3] .

وفي روايةِ ابنِ ماجه : « مَا ضَرَّهُ لَدْغُ عَقْرَبٍ حَتَّىٰ يُصْبِحَ »[4] .

وأحمدُ وأبو داوودَ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : رَضِيتُ بِٱللهِ رَبّاً وَبِٱلْإِسْلَامِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيّاً وَرَسُولاً . . كَانَ حَقّاً عَلَى ٱللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ »[5] .

وابنُ السُّنِّيِّ : « إِذَا أَصْبَحْتَ . . فَقُلِ : ٱللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ رَبِّي لَا شَرِيكَ لَكَ ،

---

(١) عمل اليوم والليلة (٥٨) .

(٢) عمل اليوم والليلة (٥١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) صحيح مسلم (٢٧٠٩) ، وسنن أبي داوود (٣٨٩٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) سنن ابن ماجه (٣٦٦٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) سنن أبي داوود (٥٠٣٣) ، ومسند أحمد (٤/٣٣٧) عن خادم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه .

أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ ٱلْمُلْكُ لِلهِ ، لَا شَرِيكَ لَهُ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ . . فَقُلْ مِثْلَ ذَٰلِكَ ؛ فَإِنَّهُنَّ يُكَفِّرْنَ مَا بَيْنَهُنَّ »(١) .

والترمذيُّ وأبو داوودَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ : بِٱسْمِ ٱللهِ ٱلَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ ٱسْمِهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) . . لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ »(٢) .

وفي روايةٍ : « لَمْ يُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ »(٣) .

والترمذيُّ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ ٱللهِ ٱلتَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . . لَمْ يَضُرَّهُ حُمَةٌ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ »(٤) .

[دعاءٌ للعتقِ مِنَ النَّارِ]

وأبو داوودَ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي : ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ : أَنَّكَ أَنْتَ ٱللهُ ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ(٥) ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ . .

---

(١) عمل اليوم والليلة (٦٦) عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وهو المخاطب بقوله : (إذا أصبحت . . .) .

(٢) سنن أبي داوود (٥٠٤٧) ، وسنن الترمذي (٣٣٨٨) واللفظ له عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٣) هٰذه هي رواية أبي داوود السابقة (٥٠٤٧) ولها تتمة فيها فائدة .

(٤) سنن الترمذي (١/٣٦٠٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه . وتتمته : قال سهيل ـ أحد الرواة ـ : (فكان أهلنا تعلموها ، فكانوا يقولونها كل ليلة ، فلدغت جارية منهم فلم تجد لها وجعاً) ، وهٰذا الحديث من الأحاديث المستدركة على النسخة التي حققها الأستاذ محمود شاكر والأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمهما الله تعالىٰ .

(٥) قوله : (وحدك لا شريك لك) ليست في هٰذا الحديث ، بل هي في حديث آخر في « سنن أبي داوود » (٩٨/٥٠٣٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ←

أَعْتَقَ ٱللهُ رُبُعَهُ مِنَ ٱلنَّارِ ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ . . أَعْتَقَ ٱللهُ نِصْفَهُ مِنَ ٱلنَّارِ ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثاً . . أَعْتَقَ ٱللهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ مِنَ ٱلنَّارِ ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعاً . . أَعْتَقَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ كُلَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ »[١] .

وابنُ السُّنِّيِّ : « مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي : ﴿ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[٢] (سَبْعَ مَرَّاتٍ) . . كَفَاهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ »[٣] .

وابنُ حِبَّانَ والحاكمُ : « مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ مِئَةَ مَرَّةٍ ، وَإِذَا أَمْسَىٰ مِئَةَ مَرَّةٍ : سُبْحَانَ ٱللهِ وَبِحَمْدِهِ . . غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ ٱلْبَحْرِ »[٤] ، وفي روايةِ أبي داوودَ : « سُبْحَانَ ٱللهِ ٱلْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ »[٥] .

والترمذيُّ : « مَنْ قَرَأَ : ﴿ حمٓ . . . ﴾ ٱلْمُؤْمِنَ إِلَىٰ : ﴿ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٦] ، وَآيَةَ ٱلْكُرْسِيِّ[٧] حِينَ يُصْبِحُ . . حُفِظَ بِهِمَا حَتَّىٰ يُمْسِيَ ، وَمَنْ قَرَأَهُمَا حِينَ يُمْسِي . . حُفِظَ بِهِمَا حَتَّىٰ يُصْبِحَ »[٨] .

« من قال حين يصبح : اللهم ؛ إني أصبحت أشهدك . . . إلا غفر الله له ما أصاب في يومه ذلك من ذنب ، وإن قالها حين يمسي . . غُفر له ما أصاب تلك الليلة » .

(١) سنن أبي داوود (٥٠٣٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) سورة التوبة : (١٢٩) .

(٣) عمل اليوم والليلة (٧١) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٤) أخرجه ابن حبان (٨٥٩) ، والحاكم (٥١٨/١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) سنن أبي داوود (٥٠٥٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) سورة غافر : (١ ـ ٣) ، والآيات بتمامها : ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ .

(٧) وهي : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ سورة البقرة : (٢٥٥) .

(٨) سنن الترمذي (٢٨٧٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وأبـــو داوودَ : « مَـنْ قَـالَ حِيـنَ يُصْـبِـحُ : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . . . ﴾ إِلَىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (١) . . أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ فِي يَوْمِهِ ذَٰلِكَ ، وَمَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُمْسِي . . أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ فِي لَيْلَتِهِ » (٢) .

وابنُ السُّنِّيِّ عن محمدِ بنِ إبراهيمَ ، عن أبيهِ قالَ : (وجَّهَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فِي سريَّةٍ ، فأمرَنا أن نقرأَ إذا أمسينا وإذا أصبحنا : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٣) [فقرأنا فغنمنا وسلمنا]) (٤) .

[ثلاثُ آياتٍ وثلاثُ سورٍ لها فضلٌ جليلٌ]

وهوَ والترمذيُّ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بِٱللَّهِ ٱلسَّمِيعِ ٱلْعَلِيمِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ، وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ (ٱلْحَشْرِ) . . وَكَّلَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُمْسِيَ ، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ . . مَاتَ شَهِيداً ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي . . كَانَ بِتِلْكَ ٱلْمَنْزِلَةِ » (٥) .

---

(١) سورة الروم : (١٧ ـ ١٩) ، والآيات بتمامها : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ .

(٢) سنن أبي داوود (٥٠٣٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) سورة المؤمنون : (١١٥) .

(٤) عمل اليوم والليلة (٧٧) ، وما بين معقوفين منه .

(٥) سنن الترمذي (٢٩٢٢) ، وعمل اليوم والليلة (٨٠) عن سيدنا معقل بن يسار رضي الله عنه ، والآيات هي : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢ ـ ٢٤] .

وأبـو داوودَ والـترمـذيُّ عـن عبـدِ اللهِ بـنِ خُبَيْـبٍ قـالَ : خـرجنا فِـي ليلةِ مطـرٍ وظلـمةٍ شـديـدةٍ نطلـبُ النبـيَّ صـلَّـى اللهُ عليـهِ وسـلَّـمَ ؛ ليُصلِّيَ بنـا ، فأدركنـاهُ ، فقـالَ : « قُـلْ » فلـم أقـلْ شيئاً ، ثـمَّ قـالَ : « قُـلْ » فلـم أقـلْ شيئاً ، ثـمَّ قالَ : « قُلْ » قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما أقولُ ؟ قالَ : « (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) وَ(ٱلْمُعَوِّذَتَيْنِ) حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) . . يَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ »[1] .

* * *

---

(١) سنن أبي داوود (٥٠٤١) ، وسنن الترمذي (٣٥٧٥) .

بابُ ما يقال عند النوم والاستيقاظ منه

أخرجَ البخاريُّ عن أبي هريرةَ قالَ : (وكَّلَني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بحفظِ زكاةِ رمضانَ ، فأتاني آتٍ ، فجعلَ يحثو مِنَ الطَّعامِ . . .) الحديثَ[1] .

وقالَ في آخِرِهِ : إذا أويتَ إلىٰ فراشِكَ . . فاقرأْ آيةَ الكرسيِّ ؛ فإنَّهُ لن يزالَ معَكَ مِنَ اللهِ حافظٌ ، وَلَا يقربُكَ شيطانٌ حتَّىٰ تُصبِحَ .

فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ، وَذَاكَ شَيْطَانٌ »[2] .

والشيخانِ : « ٱلْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ (ٱلْبَقَرَةِ) : مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ . . كَفَتَاهُ »[3] .

---

(١) وتتمة الحديث : (فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت : والله ؛ لأرفعنك إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إني محتاج ، وعليَّ عيال ولي حاجة شديدة ، قال : فخليت عنه ، فأصبحت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرة ؛ ما فعل أسيرك البارحة ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ؛ شكا حاجةً شديدة وعيالاً ، فرحمته ، فخليت سبيله ، قال : « أما إنه كذبك وسيعود » فعرفت أنه سيعود ؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه سيعود » ، فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دعني ؛ فإني محتاج وعليَّ عيال ، لا أعود ، فرحمته ، فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرة ؛ ما فعل أسيرك ؟ » قلت : يا رسول الله ؛ شكا حاجة شديدة وعيالاً ، فرحمته ، فخليت سبيله ، قال : « أما إنه قد كذبك وسيعود » فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلىٰ رسول الله ، وهـٰذا آخر ثلاث مرات : أنك تزعم لا تعود ، ثم تعود ؟! قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت : ما هو ؟! قال : إذا أويت إلىٰ فراشك . . فاقرأ آية الكرسي . . .) .

(٢) صحيح البخاري (٢٣١١) .

(٣) صحيح البخاري (٤٠٠٨) ، وصحيح مسلم (٨٠٧) عن سيدنا أبي مسعود البدري رضي الله ←

[كيفيَّةٌ خاصَّةٌ لقراءةِ (المُعوِّذاتِ) قبلَ النَّومِ]

وهُما : (كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا أوىٰ إلىٰ فراشِهِ كلَّ ليلةٍ . . جمعَ كفَّيهِ ، ثُمَّ نفثَ فيهِما ، فقرأَ : « قلْ هوَ اللهُ أحدٌ » و« قلْ أعوذُ بربِّ الفلقِ » و« قلْ أعوذُ بربِّ النَّاسِ » ، ثمَّ مسحَ بهِما ما استطاعَ مِنْ جسدِهِ ؛ يبدأُ بهِما علىٰ رأسِهِ ووجهِهِ وما أقبلَ مِنْ جسدِهِ ، يفعلُ ذٰلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ)[1] .

وأبو داوودَ والترمذيُّ عن نوفلٍ قالَ : قالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱقْرَأْ : (قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ) ثُمَّ نَمْ عَلَىٰ خَاتِمَتِهَا ؛ فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ ٱلشِّرْكِ »[2] ، أعاذَنا اللهُ مِنَ الشِّركِ والنِّفاقِ .

[صيغةُ استغفارٍ لمغفرةِ الذُّنوبِ والأوزارِ]

والترمذيُّ : « مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَىٰ فِرَاشِهِ : أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ ٱلَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيَّ ٱلْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) . . غَفَرَ ٱللهُ تَعَالَىٰ لَهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ ٱلْبَحْرِ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ عَدَدِ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ[3] ،

← عنه ، زاد في (أ) : (أجزأتاه من قيام الليل) ، والآيتان هما : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۞ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٥ ـ ٢٨٦] .

(١) صحيح البخاري (٥٠١٧) واللفظ له ، ومسلم (٢١٩٢) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وترتيب هٰذه السنة : جمع الكفين أولاً ، ثم النفث فيهما ، ثم قراءة (المعوذات) ، ثم المسح ، وهٰذه كلها مرة ، ثم تعيد ذٰلك ثانية وثالثة ، فتتم هٰذه السنة المباركة .

(٢) سنن أبي داوود (٥٠١٦) ، وسنن الترمذي (٣٤٠٣) .

(٣) في « سنن الترمذي » : (وإن كانت عدد ورق الشجر) .

وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ ٱلدُّنْيَا »(١) .

وابنا حِبَّانَ والسُّنِّيِّ : « مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَىٰ فِرَاشِهِ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ ، سُبْحَانَ ٱللهِ ، وَٱلْحَمْدُ لِلهِ ، وَلَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَٱللهُ أَكْبَرُ . . غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ ٱلْبَحْرِ »(٢) .

[ذِكْرٌ مسنونٌ إذا أوىٰ للفراشِ]

والشيخانِ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لهُ ولفاطمةَ رضيَ اللهُ عنهما : « إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَىٰ فِرَاشِكُمَا . . فَسَبِّحَا ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ ، وَٱحْمَدَا ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ ، وَكَبِّرَا [أَرْبَعاً] وَثَلَاثِينَ »(٣) .

قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (ما تركتُهُ منذُ سمعتُهُ منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) ، قيلَ لهُ : ولا ليلةَ صِفِّينَ ؟ قالَ : (ولا ليلةَ صِفِّينَ)(٤) .

والبخاريُّ : كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا أوىٰ إلىٰ فراشِهِ . . قالَ : « بِٱسْمِكَ ٱللَّهُمَّ أَحْيَا وَأَمُوتُ »(٥) .

و« بِٱسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي ، وَبِكَ أَرْفَعُهُ ؛ إِنْ أَمْسَكْتَ

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٩٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) صحيح ابن حبان (٥٥٢٨) ، وأخرجه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٧٢٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) صحيح البخاري (٣١١٣) ، وصحيح مسلم (٢٧٢٧) وفي الحديث قصة طلب سيدتنا فاطمة خادماً لها ولسيدنا علي رضي الله عنهما من النبي صلى الله عليه وسلم ، فعلَّمهما هـٰذا الذكر ، وقال : « فهو خير لكما من خادم » .

(٤) أخرجه البخاري (٥٣٦٢) ، ومسلم (٨٠/٢٧٢٧) ، وابن حبان (٥٥٢٩) .

(٥) صحيح البخاري (٧٣٩٤) عن سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .

نَفْسِي . . فَٱرْحَمْهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا . . فَٱحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ ٱلصَّالِحِينَ »[1] .

[مِنَ السنَّةِ النَّومُ علىٰ طهارةٍ وما يقالُ عندَ الاضطجاعِ]

والشيخانِ : « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ . . فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ ٱضْطَجِعْ عَلَىٰ شِقِّكَ ٱلْأَيْمَنِ ، وَقُلِ : ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ؛ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ ٱلَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَنَبِيِّكَ ٱلَّذِي أَرْسَلْتَ ، ٱللَّهُمَّ ؛ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ؛ فَإِنْ مُتَّ . . مُتَّ عَلَى ٱلْفِطْرَةِ ، وَٱجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ »[2] .

وابنُ السُّنِّيِّ : « مَنْ بَاتَ عَلَىٰ طَهَارَةٍ ، ثُمَّ مَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ . . مَاتَ شَهِيداً »[3] .

[ما يُقالُ عندَ الاستيقاظِ]

والبخاريُّ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا استيقظَ مِنَ النَّومِ . . قالَ : « ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ »[4] .

وابنُ السُّنِّيِّ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَنْتَبِهُ مِنْ نَوْمِهِ فَيَقُولُ : ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي خَلَقَ

---

(١) صحيح البخاري (٦٣٢٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) صحيح البخاري (٦٣١١) ، وصحيح مسلم (٢٧١٠) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما دون قوله : (اللهم ؛ قني عذابك يوم تبعث عبادك) وقد أخرج مسلم (٧٠٩) : أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله بعد الصلاة ، فتنبه .

(٣) عمل اليوم والليلة (٧٣٣) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) صحيح البخاري (٦٣٢٤) عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه .

ٱلنَّوْمَ وَٱلْيَقَظَةَ ، ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي بَعَثَنِي سَالِماً سَوِيّاً ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ٱلَّذِي يُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . . إِلَّا قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : صَدَقَ عَبْدِي »[1] .

وهوَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ عِنْدَ رَدِّ ٱللهِ تَعَالَىٰ رُوحَهُ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . . إِلَّا غَفَرَ ٱللهُ تَعَالَىٰ لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ ٱلْبَحْرِ »[2] .

وأحمدُ : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا ينامُ إلَّا والسِّواكُ عندَ رأسِهِ ، فإذا استيقظَ . . بدأَ بالسِّواكِ)[3] .

ومسلمٌ : « مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ ٱلْفَجْرِ وَصَلَاةِ ٱلظُّهْرِ . . كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ ٱللَّيْلِ »[4] .

❋ ❋ ❋

---

(١) عمل اليوم والليلة (١٣) بنحوه عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) عمل اليوم والليلة (١٠) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٣) مسند أحمد (١١٧/٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) صحيح مسلم (٧٤٧) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

باب ما يقال في بعض الأحوال

أخرجَ ابنُ السُّنِّيِّ : « مَنْ لَبِسَ ثَوْباً فَقَالَ : ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي كَسَانِي هَـٰذَا ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ . . غَفَرَ ٱللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »(1) .

وهوَ والحاكمُ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا خرجَ مِنْ بيتِهِ . . قالَ : « بِٱسْمِ ٱللَّهِ ، ٱلتُّكْلَانُ عَلَى ٱللَّهِ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ »(2) .

والشيخانِ : كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا دخلَ الخلاءَ . . قالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْخُبْثِ وَٱلْخَبَائِثِ »(3) .

وابنُ ماجه والنَّسائيُّ(4) : كانَ إذا خرجَ مِنَ الخَلاءِ . . قالَ : « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي ٱلْأَذَىٰ وَعَافَانِي »(5) .

والترمذيُّ : كانَ إذا دخلَ المسجدَ . . صلَّىٰ علىٰ محمدٍ وسلَّمَ(6) ، وقالَ : « ربِّ ؛ ٱغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَٱفْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ »(7) ، وإذا خرجَ . .

---

(1) عمل اليوم والليلة (٢٧١) عن سيدنا معاذ بن أنس رضي الله عنه .

(2) أخرجه الحاكم (١/٥١٩) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (١٧٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(3) صحيح البخاري (١٤٢) ، وصحيح مسلم (٣٧٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(4) كذا في النسخ ، وفي المطبوع : (وابنا ماجه والسني) وهو الصواب ؛ لأن الحديث معزوٌّ لهما في كتب التخريج .

(5) أخرجه ابن ماجه (٣٢٧) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٢٢) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه .

(6) في النسخ : (علىٰ محمدٍ ـ صلى الله عليه ـ وسلم) ، والمثبت من (ط) ، وهو موافق لما في « سنن الترمذي » .

(7) سنن الترمذي (٣١٤) عن سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها .

صلَّىٰ علىٰ محمدٍ وسلَّمَ وقالَ : « رَبِّ ؛ ٱغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَٱفْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ » .

وأبـو داوودَ والترمذيُّ : « مَنْ أَكَلَ ٱلطَّعَامَ فَقَالَ : ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي أَطْعَمَنِي هَـٰذَا ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ . . غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »(١) .

والترمذيُّ والحاكمُ : « مَنْ دَخَلَ ٱلسُّوقَ فَقَالَ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، بِيَدِهِ ٱلْخَيْرُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ . . كَتَبَ ٱللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ »(٢) .

والترمذيُّ : « مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ وَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَٰلِكَ : سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ . . إِلَّا غَفَرَ ٱللهُ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَٰلِكَ »(٣) .

[غفَرَ ٱللهُ لنا ما تقدَّمَ وما تأخَّرَ مِنْ كبائرِ ذنوبِنا ، وسيِّئاتِ أعمالِنا](٤) .

تنبيهات

أحدُها

[الحثُّ على الاعتناءِ بالأذكارِ الواردةِ]

إنَّهُ يُسَنُّ الأذكارُ الواردةُ أوَّلَ النَّهارِ وآخِرَهُ وعندَ النَّومِ واليقظةِ ، فينبغي

---

(١) سنن أبي داوود (٤٠١٩) ، وسنن الترمذي (٣٤٥٨) عن سيدنا معاذ بن أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الحاكم (٥٣٨/١) ، والترمذي (٣٤٢٨) واللفظ له عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) سنن الترمذي (٣٤٣٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) ما بين معقوفين زيادة من المطبوع .

لمريدِ الخيرِ الاعتناءُ بحفظِها ومواظبتِها ، وقدِ استوفاها الجلالُ السيوطيُّ في « وظائفِ اليومِ واللَّيلةِ »[1] .

وثانيها

[الذِّكْرُ المخصوصُ بمحلٍّ أفضلُ مِنْ تلاوةِ القرآنِ]

إنَّ الاشتغالَ بالذِّكْرِ الخاصِّ بوقتٍ أو محلٍّ ؛ بأن وردَ الشَّرعُ بِهِ فيهِ ولو مِنْ طريقٍ ضعيفٍ . . أفضلُ مِنْ تلاوةِ القرآنِ ؛ لتنصيصِ الشَّارعِ عليهِ .

والذِّكْرُ الخاصُّ الواردُ عن بعضِ الصَّحابةِ . . كالواردِ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وثالثُها

[تدبُّرُ معنى الذِّكْرِ]

إنه ينبغي للذَّاكِرِ والداعي أن يتدبَّرَ ما يذكرُ ويدعو بهِ ، ويَتعقَّلَ معناهُ .

قالَ الإسنويُّ وغيرُهُ : (إنَّ مَنْ أتىٰ بذِكْرٍ أو دعاءٍ مأثورٍ غافلاً عن معناهُ المعلومِ لهُ لولا الغفلةُ . . لا يُثابُ عليهِ) .

وقالَ شيخُنا ابنُ حجرٍ ـ تغمَّدَهُ اللهُ برحمتِهِ ـ في العامِّيِّ الذي لم يفهمِ المعنىٰ : (يُحتمَلُ أنَّهُ يُثابُ) .

❋ ❋ ❋

---

(١) قال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في كتابه النافع المبارك « الأذكار » (ص ٣٥) : (اعلم : أنه ينبغي لمن بلغه شيء من فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرةً ؛ ليكون من أهله ، ولا ينبغي أن يتركه مطلقاً ، بل يأتي بما تيسَّر منه) .

بَابٌ فِي أَذكارٍ غيرِ مقيَّدةٍ بوقتٍ

أخرجَ الترمذيُّ وابنُ ماجه وصحَّحَهُ الحاكمُ عن أبي الدَّرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ ٱلذَّهَبِ وَٱلْوَرِقِ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ ؛ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ » قَالُوا : بَلَىٰ ، قَالَ : « ذِكْرُ ٱللهِ »(١) .

والترمذيُّ والنَّسائيُّ وابنا ماجه وحِبَّانَ : « أَفْضَلُ ٱلذِّكْرِ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ »(٢) .

وأحمدُ ومسلمٌ : « أَحَبُّ ٱلْكَلَامِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ أَرْبَعٌ : سُبْحَانَ ٱللهِ ، وَٱلْحَمْدُ لِلهِ ، وَلَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَٱللهُ أَكْبَرُ ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ »(٣) .

وابنُ ماجه : « عَلَيْكُمْ بِسُبْحَانَ ٱللهِ ، وَٱلْحَمْدُ لِلهِ ، وَلَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَٱللهُ أَكْبَرُ . . فَإِنَّهُنَّ يَحْطُطْنَ ٱلْخَطَايَا كَمَا تَحُطُّ ٱلشَّجَرَةُ وَرَقَهَا »(٤) .

وابنُ عَديّ : « أَكْثِرُوا مِنْ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ؛ فَإِنَّهَا مِنْ كُنُوزِ ٱلْجَنَّةِ »(٥) .

---

(١) مستدرك الحاكم (٤٩٦/١) ، وسنن الترمذي (٣٣٧٧) ، وسنن ابن ماجه (٣٩٤٤) .

(٢) صحيح ابن حبان (٨٤٦) ، وسنن الترمذي (٣٣٨٣) ، وأخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (١٠٥٩٩) ، وابن ماجه (٣٩٥٤) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٣) صحيح مسلم (٢١٣٧) ، ومسند أحمد (١٠/٥) عن سيدنا سَمُرة بن جُندَب رضي الله عنه .

(٤) سنن ابن ماجه (٣٩٦٧) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال (٢٤٨/٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

[أربعُ كلماتٍ لها أجرٌ عظيمٌ]

ومسلمٌ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خرجَ مِنْ عندِ جُوَيريَةَ رضيَ اللهُ عنها بكرةً حينَ صلَّى الصبحَ وهيَ في مسجدِها ، ثمَّ رجعَ بعدَ أن أضحىٰ وهيَ جالسةٌ ، فقالَ : « مَا زِلْتِ عَلَى ٱلْحَالَةِ ٱلَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا ؟ » قالَتْ : نعم ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ ٱلْيَوْمِ . . لَوَزَنَتْهُنَّ : سُبْحَانَ ٱللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ »[1] .

والترمذيُّ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُنَّ وَعَلَيْكَ مِثْلُ عَدَدِ ٱلذَّرِّ خَطَايَا . . غَفَرَ ٱللهُ لَكَ ؟ قُلْ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ٱلْحَلِيمُ ٱلْكَرِيمُ ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، سُبْحَانَ ٱللهِ رَبِّ ٱلسَّمَاوَاتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبِّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ، ٱلْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ »[2] .

[دعاءٌ لوفاءِ الدَّينِ]

وهوَ وأحمدُ والحاكمُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صَبِيرٍ دَيْناً . . أَدَّاهُ ٱللهُ عَنْكَ ؟ قُلِ : ٱللَّهُمَّ ؛ ٱكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ »[3] .

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٢٦) عن سيدتنا أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها .

(٢) سنن الترمذي (٣٥٠٤) .

(٣) أخرجه الحاكم (٥٣٨/١) بلفظه ، والترمذي (٣٥٦٣) ، وأحمد (١٥٣/١) ، وفيهما : (مثل جبل صير) ، وقال العلامة المناوي رحمه الله تعالىٰ في « فيض القدير » (١١١/٣) : (« مثل جبل صبير » بإسقاط الباء : جبل طيء ، وأما بإثباتها : فجبل باليمن ، **والمراد هنا** : الأول ، ذكره ابن الأثير ، لـٰكن وقفتُ علىٰ نسخةِ المصنف بخطه ـ أي : السيوطي ـ فرأيته كتبها : « صبير » بالباء ، وضبطها بفتح الصاد) .

والشيخانِ : « مَنْ قَالَ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ . . كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ ، وكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ ، ومُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ ٱلشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَٰلِكَ حَتَّىٰ يُمْسِيَ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ »(١) .

والخطيبُ وأبو نُعيمٍ وابنُ عبدِ البرّ : « مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ . . كَانَ لَهُ أَمَاناً مِنَ ٱلْفَقْرِ ، وَأُنْساً مِنْ وَحْشَةِ ٱلْقَبْرِ ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ ٱلْجَنَّةِ »(٢) .

[ممَّا يُقالُ عشيَّةَ عرفةَ]

والبيهقيُّ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَقِفُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، فَيَسْتَقْبِلُ ٱلْقِبْلَةَ بِوَجْهِهِ ثُمَّ يَقُولُ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (مِئَةَ مَرَّةٍ) ، ثُمَّ يَقْرَأُ : (قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ) مِئَةَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : ٱللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ (مِئَةَ مَرَّةٍ) . . إِلَّا قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : يَا مَلَائِكَتِي ؛ مَا جَزَاءُ عَبْدِي هَـٰذَا ؟ أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ(٣) ، وَشَفَّعْتُهُ فِي نَفْسِهِ ، وَلَوْ سَأَلَنِي عَبْدِي هَـٰذَا . . لَشَفَّعْتُهُ فِي أَهْلِ ٱلْمَوْقِفِ »(٤) .

---

(١) صحيح البخاري (٣٢٩٣) ، وصحيح مسلم (٢٦٩١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٨٠/٨) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (٥٤/٦) ، وعزاه السيوطي في « شرح الصدور » (ص ٣١٥) للديلمي والخطيب في « الرواة عن مالك » ، وابن عبد البر في « التمهيد » عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٣) زاد في « شعب الإيمان » هنا : (سبَّحني وهلَّلني ، وكبَّرني وعظَّمني ، وعرفني وأثنىٰ عليَّ ، وصلىٰ علىٰ نبيي ، اشهدوا ملائكتي أني قد غفرتُ له . . .) .

(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٧٨٠) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

ورُوِيَ عنِ ابنِ عباسٍ قالَ : (اللَّيلُ والنَّهارُ أربعٌ وعشرونَ ساعةً ، وحروفُ « لا إلـهَ إلَّا اللهُ ، محمدٌ رسولُ اللهِ » أربعةٌ وعشرونَ حرفاً ؛ فَمَنْ قالَ : لا إلـهَ إلَّا اللهُ ، محمدٌ رسولُ اللهِ . . كفَّرَ كلُّ حرفٍ ذنوبَ ساعةٍ ، فلا يبقىٰ عليهِ ذنبٌ إذا قالَها في كلِّ يومٍ مرةً ، فكيفَ بِمَنْ يُكثِرُ مِنْ قولِ : لا إلـهَ إلَّا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ ، ويجعلُها شغلَهُ ؟!) .

إخواني ؛ إن كنتُم عاصينَ . . فقولوا : لا إلـهَ إلَّا اللهُ ؛ فإنَّها تُكفِّرُ الذُّنوبَ والعِصيانَ ، وإن كنتُم طائعينَ . . فجدِّدوا إيمانَكُم بقولِ : لا إلـهَ إلَّا اللهُ ؛ فإنَّها تُجدِّدُ الإيمانَ ، وتُورِثُ الأمنَ والأمانَ ، والعفوَ والغفرانَ .

[مِنْ فضائلِ الاستغفارِ]

وأخرجَ البغويُّ : « ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ؛ إِنِّي أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ » (١) .

ومسلمٌ : « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، وَدَوَاءُ ٱلذُّنُوبِ : ٱلِاسْتِغْفَارُ » (٢) .

وابنُ السُّنِّيِّ : « مَنِ ٱسْتَغْفَرَ ٱللهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً . . غَفَرَ ٱللهُ لَهُ سَبْعَ مِئَةِ ذَنْبٍ ، وَقَدْ خَابَ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ عَمِلَ فِي ٱلْيَوْمِ وَٱللَّيْلَةِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِ مِئَةِ ذَنْبٍ !! » (٣) .

وأحمدُ والحاكمُ : « مَنْ أَكْثَرَ مِنَ ٱلِاسْتِغْفَارِ . . جَعَلَ ٱللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ

---

(١) أخرجه البغوي في « معجم الصحابة » (١/١٢٦) في ترجمة سيدنا الأغر المزني رضي الله عنه .
(٢) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٥٠١١) ، ورمز له في « كنز العمال » (٢٠٨٩) بـ (م) وتبعه المؤلف ، ولعله سبق قلم .
(٣) عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢١٠٥) للحسن بن سفيان وللديلمي عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

فَرَجاً ، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »[1] .

ورویٰ معروفٌ الكَرْخيُّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ وابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما[2] : أنَّ رجلاً أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : دُلَّني علىٰ عملٍ يُدخِلُني الجنَّةَ ، قالَ : « لَا تَغْضَبْ » .

قالَ : [فإن][3] لم أُطِقْ ذلكَ ؟ قالَ : « فَٱسْتَغْفِرِ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ صَلَاةِ ٱلْعَصْرِ سَبْعِينَ مَرَّةً . . يَغْفِرِ ٱللهُ لَكَ ذُنُوبَ سَبْعِينَ عَاماً » قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَأْتِ عَلَيَّ ذُنُوبُ سبعينَ عاماً ؟ قالَ : « يَغْفِرُ لِأَقَارِبِكَ »[4] ، غَفَرَ اللهُ لنا ولأقاربِنا .

[حكايةٌ عجيبةٌ في أجرِ المُستغفِرينَ]

وحكى اليافعيُّ عن بعضِ الصَّالحينَ : (أنَّهُ عَبَدَ اللهَ عزَّ وجلَّ أربعينَ سنةً ، فلمَّا كانَ بعضُ اللَّيالي . . أخذَتْهُ دالَّةٌ على اللهِ عزَّ وجلَّ ، فقالَ : إلـٰهي ؛ أَرِني ما قد أعددتَ لي مِنَ الحُورِ العِينِ ؟ فما استتمَّ الكلامَ . . حتى انشقَّ المِحرابُ ، فخرجَتْ منه جُوَيريةٌ[5] لو خرجَتْ إلى الدُّنيا . . لفتنَتْها ، فقالَ لها : إنسيَّةٌ أم جنيَّةٌ أنتِ ؟ فأنشأَتْ تقولُ : [من الطويل]

شَكَوْتَ إِلَى ٱلْمَوْلَىٰ وَقَدْ عَلِمَ ٱلشَّكْوَىٰ ... وَأَعْطَاكَ مَا تَرْجُو وَقَدْ كَشَفَ ٱلْبَلْوَىٰ

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/٢٦٢) ، وأحمد (١/٢٤٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) في « حلية الأولياء » ، و« تاريخ بغداد » : (عن معروف الكرخي عن بكر بن خُنيس عن ضرار بن عمرو عن أنس بن مالك) .

(٣) في النسخ : (فإني) ، والمثبت من المصادر .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/٣٦٧) بنحوه ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (١٤/٤٢٥) .

(٥) في « روض الرياحين » (فخرجت منه حورية) وكذا كل كلمة (جويرية) في هـٰذه القصة فهي في « روض الرياحين » (حورية) فتنبه .

وَأَرْسَلَنِي إِنْساً إِلَيْكَ وَإِنَّنِي أُنَاجِيكَ طُولَ ٱللَّيْلِ لَوْ تَسْمَعُ ٱلنَّجْوَىٰ

فقالَ لها : يا جاريةُ ؛ لِمَنْ أنتِ ؟ قالَتْ : أنا لكَ ، فقالَ : كم لي مثلُكِ جُوَيريةً ؟ قالَتْ : مئةُ جُوَيريةٍ ، ولكلِّ جُوَيريةٍ مئةُ خادمةٍ ، ولكلِّ خادمةٍ مئةُ وصيفةٍ ، ولكلِّ وصيفةٍ مئةُ قَهْرَمَانَةٍ .

ففرحَ وقالَ : يا جُوَيريةُ ؛ هل أُعطيَ أحدٌ أكثرَ منِّي ؟ قالَتْ : يا مسكينُ ؛ عطاؤُكَ عطاءُ البطَّالينَ ، الذينَ يقولونَ : أستغفرُ اللهَ ، فَيغفِرُ لهُم ، ثمَّ يستغفرونَ اللهَ عندَ غروبِ الشمسِ ، فَيغفِرُ لهُم)[١] ، غَفَرَ اللهُ لنا ولوالدينا ولأحبابِنا .

تَنْبِيهٌ

[في بيانِ أفضلِ الذِّكْرِ]

اعلمْ : أنَّ أفضلَ الذِّكرِ : (لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ) ، وأنَّهُ لا يُساوي شيءٌ مِنَ الأذكارِ هـٰذا الذِّكْرَ أصلاً ؛ كما أخبرَ بهِ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[٢] .

ولهـٰذا اجتمعَتِ المشايخُ الشوامخُ ـ قدَّسَ اللهُ أرواحَهُم ـ على اختيارِ هـٰذهِ الكلمةِ الشريفةِ ، فعملوا بها في السُّلوكِ والتسليكِ ، وقالوا : ينبغي للمُبتدِئ أن يَقتصِرَ عليها بعدَ الفرائضِ والسننِ والرَّواتبِ مِنَ الصلواتِ ، فيَشتغِلَ سائرَ أوقاتِهِ بها إلَّا ما لا بدَّ منهُ .

قالَ النوويُّ : (**والصحيحُ** : أنَّ ذِكْرَ اللِّسانِ معَ حضورِ القلبِ . . أفضلُ

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ٥٢) رقم الحكاية (١٢) .

(٢) أخرج ابن حبان (٨٤٦) ، والحاكم (١/٤٩٨) ، والترمذي (٣٣٨٣) عن سيدنا جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أفضل الذكر : لا إلـه إلا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله » وقد تقدم شطره الأول .

مِنْ ذِكْرِ القلبِ وحدَهُ ، وأنَّهُ[1] يُستَحبُّ مدُّ الذَّاكرِ قولَهُ : « لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ » لِما فيه مِنَ التدبُّرِ ، فالمرادُ مِنَ الذِّكْرِ : حضورُ القلبِ ، فينبغي أن يكونَ هوَ مقصودَ الذَّاكرِ ، فيَحرِصَ علىٰ تحصيلِهِ ، وإذا ذكرَ اللهَ تعالىٰ وقلبُهُ غافلٌ عنهُ . . فهوَ غيرُ ذاكرٍ لهُ ، بل ناسٍ لهُ بقلبِهِ ومُلَقْلِقٌ بلسانِهِ ، فينبغي توبتُهُ مِنْ ذٰلكَ ، ولزومُ الاستغفارِ منهُ)[2] .

وقالَ بعضُهُم : (مَنْ قالَ : « اللهُ » وقلبُهُ غافلٌ عنِ اللهِ . . فخصمُهُ في الدَّارَينِ اللهُ)[3] .

وقالَ القطبُ المُحقِّقُ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ : (لا أعرفُ معصيةً أقبحَ منهُ)[4] .

أعاذَنا اللهُ مِنَ الغفلةِ في الذِّكْرِ والصَّلاةِ ، ورزقَنا الإخلاصَ والحضورَ فيهِما .

* * *

(١) زاد في المطبوع : (والصحيح المختار : أنه) .
(٢) انظر « الأذكار من كلام سيد الأبرار » (ص ٤٣ ـ ٤٤) فقد نقله المؤلف بتصرف .
(٣) ذكره الحافظ السخاوي في « الضوء اللامع » (١٤٥/٦) في ترجمة بهاء الدين السجستاني رواه عن خاله ومرشده محمد شاه عن أخيه محمد عن علاء الدولة السمناني رحمهم الله تعالىٰ .
(٤) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٥٠٤) .

باب في فضل الصّلاة على سيّدنا محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (1) .

أخرجَ التيميُّ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « صَلُّوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّ ٱلصَّلَاةَ عَلَيَّ كَفَّارَةٌ لَكُمْ وَزَكَاةٌ ، فَمَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً . . صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ عَشْراً » (2) .

وأحمدُ : « أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : مَنْ صَلَّىٰ عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً . . كَتَبَ ٱللهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا » (3) .

والطبرانيُّ : « مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ وَاحِدَةً . . صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ عَشْراً ، وَمَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ عَشْراً . . صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ مِئَةً ، وَمَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ مِئَةً . . كَتَبَ ٱللهُ لَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ بَرَاءَةً مِنَ ٱلنِّفَاقِ وَبَرَاءَةً مِنَ ٱلنَّارِ ، وَأَسْكَنَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مَعَ ٱلشُّهَدَاءِ » (4) .

وابنُ عساكرَ : « أَكْثِرُوا ٱلصَّلَاةَ عَلَيَّ ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ عَلَيَّ مَغْفِرَةٌ لِذُنُوبِكُمْ ، وَٱطْلُبُوا لِيَ ٱلدَّرَجَةَ وَٱلْوَسِيلَةَ ؛ فَإِنَّ وَسِيلَتِي عِنْدَ رَبِّي شَفَاعَةٌ لَكُمْ » (5) .

---

(1) سورة الأحزاب : (٥٦) .

(2) أخرجه الأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (١٦٤٢) ، وابن أبي عاصم في « الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » (٤٠) عن سيدنا أنسٍ رضي الله عنه .

(3) مسند أحمد (٢٩/٤) عن سيدنا أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه .

(4) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٢٣١) عن سيدنا أنسٍ رضي الله عنه .

(5) تاريخ دمشق (٣٨١/٦١) عن سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما .

[دواءٌ لتفريجِ الهمّ وغفرانِ الذَّنبِ]

والترمذيُّ عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ قالَ : كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا ذهبَ ثلثا اللَّيلِ . . قامَ فقالَ : « يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ ٱذْكُرُوا ٱللهَ ، ٱذْكُرُوا ٱللهَ ، جَاءَتِ ٱلرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ، جَاءَ ٱلْمَوْتُ بِمَا فِيهِ ، جَاءَ ٱلْمَوْتُ بِمَا فِيهِ » .

قالَ أُبَيٌّ : فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنِّي أُكثِرُ الصَّلاةَ [عليكَ] ، فكم أجعلُ لكَ مِنْ صلاتي ؟

قالَ : « مَا شِئْتَ » قلتُ : الرُّبُعُ ؟ قالَ : « مَا شِئْتَ ، وَإِنْ زِدْتَ . . فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » .

قلتُ : النصفُ ؟ قالَ : « مَا شِئْتَ ، وَإِنْ زِدْتَ . . فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » قلتُ : فالثلثَينِ ؟ قالَ : « مَا شِئْتَ ، وَإِنْ زِدْتَ . . فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » .

فقلتُ : أجعلُ لكَ صلاتي كلَّها ؟ قالَ : « إِذاً تُكْفَىٰ هَمَّكَ ، وَيُغْفَرَ [لَكَ] ذَنْبُكَ »(١) .

والطبرانيُّ : « مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَخَطِئَ ٱلصَّلَاةَ عَلَيَّ . . خَطِئَ طَرِيقَ ٱلْجَنَّةِ »(٢) .

[أبخلُ النَّاسِ]

وابنُ أبي العاصمِ(٣) : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْخَلِ ٱلنَّاسِ ؟ » قالوا : بلىٰ

---

(١) سنن الترمذي (٢٤٥٧) ، وفي الحديث : أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم ما ينجي من تلك الأهوال وشدتها ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم أرشد السائل إلى الصلاة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مثل هٰذا المقام .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣/١٢٨) عن سيدنا حسين بن علي رضي الله عنهما .

(٣) كذا في (ب ، ج ، هـ) وفي (أ) : (العاص) ، ولعل الصواب : (ابن أبي عاصم) كما في (ط) .

يا رسولَ اللهِ ، قالَ : « مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ . . فَذَٰلِكَ أَبْخَلُ ٱلنَّاسِ »[1] .

[مِنْ فضائلِ الصَّلاةِ على النبيِّ ﷺ]

والنُّمَيريُّ وابنُ بَشْكُوالَ موقوفاً علىٰ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ [قالَ] : (الصَّلاةُ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . أمحقُ للخطايا مِنَ الماءِ للنَّارِ ، والسلامُ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . أفضلُ مِنْ عِتقِ الرِّقابِ ، وحبُّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . أفضلُ مِنْ مُهَجِ الأنفسِ ، أو مِنْ ضرْبِ السيفِ في سبيلِ اللهِ)[2] .

والطبرانيُّ : « مَنْ قَالَ : جَزَى ٱللهُ عَنَّا مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ . . أَتْعَبَ سَبْعِينَ مَلَكاً أَلْفَ صباحٍ »[3] .

ورُوِيَ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ثَلَاثَةٌ تَحْتَ ظِلِّ [عَرْشِ] ٱلرَّحْمَـٰنِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » قِيلَ : مَنْ هُم يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « مَنْ فَرَّجَ عَنْ مَكْرُوبٍ مِنْ أُمَّتِي ، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي ، وَمَنْ أَكْثَرَ ٱلصَّلَاةَ عَلَيَّ »[4] .

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في « الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » (٢٩) عن سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه ، وبيَّن الشيخ أبو الحسن البكري في « عقد الجواهر البهية في الصلاة علىٰ خير البرية » صلى الله عليه وسلم (ص ٣٣) سبب كونه أبخل الناس .

(٢) أخرجه التيمي بإسناده في « الإعلام بفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والسلام » (٣٤٧) ، وابن بشكوال في « القربة إلىٰ رب العالمين بالصلاة علىٰ محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم » (١٧) .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٣٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) ذكره الحافظ السخاوي في « القول البديع » (ص ٢٦٨) وقال : (ذكره صاحب « الدر المنظم » ولم أقف له علىٰ أصلٍ معتمد ، إلا أن صاحب « الفردوس » عزاه لأنس بن مالك ، ولم يسنده ولده ، وعزاه غيره لـ « فوائد الخلعي » من حديث أبي هريرة ، فالله أعلم) .

وعنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ فِي كِتَابٍ . . لَمْ تَزَلِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ مَا دَامَ ٱسْمِي فِي ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابِ »(١) .

وروى التيميُّ عن زينِ العابدينَ أنَّهُ قالَ : (علامةُ أهلِ السنَّةِ : كثرةُ الصَّلاةِ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)(٢) .

وذكرَ ابنُ الجوزيِّ في كتابِهِ « سَلوةِ الأحزانِ » : أنَّ آدمَ عليهِ السلامُ لمَّا رامَ القُربَ مِنْ حوَّاءَ . . طلبَتْ منهُ المَهْرَ ، فقالَ : « يَا رَبِّ ؛ مَاذَا أُعْطِيهَا ؟ قالَ : يَا آدَمُ ؛ صَلِّ عَلَىٰ صَفِيِّي مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عِشْرِينَ مَرَّةً » ففعلَ(٣) .

وقالَ كعبُ الأحبارِ : (أوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ في بعضِ ما أُوحيَ إليهِ : « يَا مُوسَىٰ ؛ أَتُحِبُّ أَلَّا يَنَالَكَ مِنْ عَطَشِ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : إِلَـٰهِي ؛ نَعَمْ ، قالَ : فَأَكْثِرِ ٱلصَّلَاةَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ » صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)(٤) .

[نجَّاهُ اللهُ بالصَّلاةِ علىٰ رسولِهِ ﷺ]

ورُوِيَ : أَنَّ مُسرفاً مِنْ بني إسرائيلَ لمَّا ماتَ . . رمَوا بهِ ، فأوحى اللهُ لموسىٰ عليهِ السلامُ : « أَنْ غَسِّلْهُ وَصَلِّ عَلَيْهِ ؛ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ ، قَالَ : يَا رَبِّ ؛ وَبِمَ ذَٰلِكَ ؟! قَالَ : إِنَّه فَتَحَ ٱلتَّوْرَاةَ يَوْماً ، فَوَجَدَ فِيهَا

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٨٥٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/٨٠ ـ ٨١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) الترغيب والترهيب (١٦٧٩) .

(٣) ذكره ابن حجر الهيتمي في « الدر المنضود » (ص ٨١) وعزاه لابن الجوزي .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦١/١٥٠) ، والأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (١٦٧٦) ، وانظر « الدر المنضود » (ص ١٧٢) .

ٱسْمَ مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَصَلَّىٰ عَلَيْهِ ، فَغُفِرَ لَهُ بِذَٰلِكَ »[1] .

وفي « شرفِ المصطفىٰ » صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأبي سعيدٍ : أنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها كانَتْ تخيطُ شيئاً في وقتِ السَّحَرِ ، فضلَّتِ الإبرةَ[2] ، وطَفِئَ السِّراجُ ، فدخلَ عليها النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأضاءَ البيتُ بضوئِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ووجدَتِ الإبرةَ ، فقالَتْ : ما أضوأَ وجهَكَ يا رسولَ اللهِ !!

قالَ : « وَيْلٌ لِمَنْ لَا يَرَانِي » قالَتْ : ومَنْ لا يراكَ ؟

قالَ : « ٱلْبَخِيلُ » قالَتْ : ومَنِ البخيلُ ؟ قالَ : « ٱلَّذِي لَا يُصَلِّي عَلَيَّ إِذَا سَمِعَ بِٱسْمِي »[3] .

[ظبيةٌ تكلَّمَتْ]

وذكرَ أبو نُعيمٍ في « الحِليةِ » : أنَّ رجلاً مرَّ بالنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ومعَهُ ظبيٌ قدِ اصطادَهُ ، فأنطقَ اللهُ ـ سبحانَهُ وتعالى الذي أنطقَ كلَّ شيءٍ ـ الظَّبيَ ، فقالَتْ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّ لي أولاداً وأنا أُرضِعُهُم ، وإنَّهُمُ الآنَ جِياعٌ ، فَأْمُرْ هـٰذا أن يُخلِّيَني ؛ حتىٰ أذهبَ فأُرضِعَ أولادي وأعودَ .

قالَ : « فَإِنْ لَمْ تَعُودِي ؟ » قالَتْ : إن لم أعدْ . . فلعنَني اللهُ كمَنْ تُذكَرُ بينَ يدَيهِ فلا يُصلِّي عليكَ .

فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَطْلِقْهَا وَأَنَا ضَامِنُهَا » ، فذهبتِ

---

(١) أوردها أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٨٤/٢) ، وابن حجر في « الدر المنضود » (ص ١٨٣) .

(٢) أي : سقطت منها وأضاعتها .

(٣) شرف المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم (٣١٤) .

الظَّبيةُ ثمَّ عادَتْ ، فنزلَ جبريلُ عليهِ السلامُ وقالَ : « يَا مُحَمَّدُ ؛ ٱللهُ يُقْرِئُكَ ٱلسَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ؛ لَقَدْ كُنْتُ أَنَا أَرْحَمَ بِأُمَّتِكَ مِنْ هَـٰذِهِ ٱلظَّبْيَةِ بِأَوْلَادِهَا ، وَأَنَا أَرُدُّهُمْ إِلَيْكَ كَمَا رَجَعَتِ ٱلظَّبْيَةُ إِلَيْكَ »[1] .

الحمدُ للهِ الذي جعلَنا مِنْ أمَّةِ محمدٍ ، صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تسليماً .

تَنْبِيهٌ

[في الحثِّ على الإكثارِ مِنَ الصَّلاةِ عليهِ ﷺ]

إنَّ إكثارَ الصَّلاةِ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ معَ السلامِ .. مطلوبٌ مُرغَّبٌ فيها ، فينبغي الحِرصُ عليهِ كلَّ حينٍ ، ولو بأقلِ الصَّلاةِ والسلامِ ؛ وهوَ : اللهمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آلِهِ وسلِّمْ ، ولا يَسمعُ أحدٌ بعظيمِ فضلِها ويتركُها إلَّا مُتهاوِنٌ بالدِّينِ .

وتحسينُها مطلوبٌ أيضاً ؛ لِما روى ابنُ مسعودٍ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ .. فَأَحْسِنُوا ٱلصَّلَاةَ ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّ ذَٰلِكَ يُعْرَضُ عَلَيَّ . . . » الحديثَ[2] .

[أفضلُ الكيفيَّاتِ للصَّلاةِ علىٰ سيِّدِ الساداتِ ﷺ]

والمرادُ بتحسينِها : أن يأتيَ الصَّلاةَ بأكملِها وأفضلِها ؛ فَمِنْ أفضلِ

---

(١) عزاه الحافظ السخاوي في « القول البديع » (ص ٣١٣) لأبي نعيم في « الحلية » ، وكذا العلامة الهيتمي في « الدر المنضود » (ص ١٩٦) ، وانظر قول الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » (٥٩٢/٦) حول هـٰذا الحديث ، وذكر أبو نعيم في « دلائل النبوة » (٧٧٤/٢) ضمن كلام يعدِّد فيه معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (وتسخير الطير لطاعته ، وكلام الظبية وشكواها إليه ، وكلام الضب وإقراره بنبوته وما في معناه) .

(٢) أخرجه ابن ماجه بنحوه (٩٧٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٤٥٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٧١/٤) .

الكيفيَّاتِ الواردةِ في الصَّلاةِ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأجمعِها :
الكيفيَّةُ التي استنبطَها وجمعَها شيخُنا ابنُ حجرٍ نفعَنا اللهُ بهِ ؛ وهيَ :
(اللهمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمدٍ عبدِكَ ورسولِكَ النبيِّ الأمِّيِّ ، وعلىٰ آلِ محمدٍ وأزواجِهِ أمَّهاتِ المؤمنينَ ، وذرِّيتِهِ وأهلِ بيتِهِ ؛ كما صلَّيتَ علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيمَ في العالمينَ ؛ إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ ، وباركْ علىٰ محمدٍ عبدِكَ ورسولِكَ النبيِّ الأمِّيِّ ، وعلىٰ آلِ محمدٍ وأزواجِهِ أمَّهاتِ المؤمنينَ ، وذرِّيتِهِ وأهلِ بيتِهِ ؛ كما باركتَ علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيمَ في العالمينَ ؛ إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ ، وكما يليقُ بعظيمِ شرفِهِ وكمالِهِ ورضاكَ عنهُ ، وما تُحِبُّ وترضىٰ لهُ دائماً أبداً ؛ عددَ معلوماتِكَ ، ومِدادَ كلماتِكَ ، ورضا نفسِكَ ، وزنةَ عرشِكَ ، أفضلَ صلاةٍ وأكملَها وأتمَّها ، كلَّما ذكرَكَ وذكرَهُ الذَّاكِرونَ ، وغفلَ عن ذِكْرِكَ وذِكْرِهِ الغافلونَ ، وسلِّمْ تسليماً كذٰلكَ وعلينا معَهُم)(١) .

وقالَ شيخُنا : (إنَّ هٰذهِ الكيفيَّةَ قد جمعَتِ الواردَ في معظمِ كيفيَّاتِ التشهُّدِ التي هيَ أفضلُ الكيفيَّاتِ ، وسائرَ ما استنبطَهُ العلماءُ مِنَ الكيفيَّاتِ ، وزادَتْ بزياداتٍ بليغةٍ ، فلتكُن هيَ الأفضلَ على الإطلاقِ)(٢) .

❁ ❁ ❁

وقالَ العلَّامةُ الحافظُ الشَّرْجيُّ وغيرُهُ : (إنَّ جميعَ الأذكارِ لا تُفيدُ ولا تُقبَلُ إلَّا معَ حضورِ القلبِ ، إلَّا الصَّلاةَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّها تُقبَلُ معَ عدمِ حضورِ القلبِ)(٣) .

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر « الدر المنضود » (ص ١٠٣ ـ ١٠٤) .
(٢) الدر المنضود (ص ١٠٤) .
(٣) انظر « الفوائد في الصِّلاتِ والعوائد » (ص ٦٢) .

وقالَ الشيخُ الكبيرُ قطبُ الدوائرِ أبو الحسنِ البكريُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (ينبغي للمرءِ أَلَّا تَنقُصَ صلاتُهُ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ الخمسِ مئةٍ في كلِّ يومٍ ولو بأقلِ الصَّلاةِ)[١] .

وقالَ أبو طالبِ المكِّيُّ في « قوتِ القلوبِ » : (ينبغي أَلَّا يَنقُصَ صلاتَهُ عليهِ عنِ الثلاثِ مئةٍ)[٢] .

[حسنُ خاتمةِ مَنْ يُكثِرُ الصَّلاةَ على النبيِّ ﷺ]

وحُكِيَ : (أنَّ رجلاً حجَّ ، وكانَ يُكثِرُ الصَّلاةَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في مواقفِ الحجِّ وأعمالِهِ ، فقيلَ لهُ : لِمَ لَمْ تَشتغلْ بالدعاءِ المأثورِ ؟!

فاعتذرَ بأنَّهُ خرجَ للحجِّ هوَ ووالدُهُ ، فماتَ بالبصرةِ ، فكشفَ عن وجهِهِ ؛ فإذا هوَ صورةُ حمارٍ ، فحزنَ حزناً شديداً ، ثمَّ أخذَتْهُ سِنَةٌ ، فرأى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وتعلَّقَ بهِ وأقسمَ لَيُخبِرنَّهُ بقصَّةِ والدِهِ ، فقالَ : « إِنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ ٱلرِّبَا ، وَآكِلُهُ يَقَعُ لَهُ ذَٰلِكَ دُنْيَا وَأُخْرَىٰ ، وَلَـٰكِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي عَلَيَّ كُلَّ لَيْلَةٍ عِنْدَ نَوْمِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ ، فَلَمَّا عَرَضَ لَهُ ذَٰلِكَ . . أَخْبَرَنِي بِهِ ٱلْمَلَكُ ٱلَّذِي يَعْرِضُ عَلَيَّ أَعْمَالَ أُمَّتِي ، فَسَأَلْتُ ٱللهَ تَعَالَىٰ فَشَفَّعَنِي فِيهِ » .

فاستيقظَ فرأىٰ وجهَ والدِهِ كالبدرِ ، ثمَّ لمَّا دفنَهُ . . [سمعَ] هاتفاً[٣]

---

(١) ذكر العلامة أبو الحسن البكري في « عقد الجواهر البهية » (ص ٣٠) قول الإمام أبي طالب المكي رحمه الله تعالى الآتي : (وأقله ثلاث مئة مرة) ولم يذكر الخمس مئة في هـٰذا الكتاب .

(٢) قوت القلوب (١/٦٦) .

(٣) في النسخ : (رأىٰ هاتفاً) والمثبت من المصادر والمطبوع .

يقولُ لهُ : سببُ العنايةِ التي حفَّتْ والدَكَ : الصَّلاةُ والسلامُ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فآليتُ ألَّا أتركَها علىٰ أيِّ حالٍ كنتُ ، في أيِّ مكانٍ كنتُ)[1] .

[حكايةُ مَنْ وقَّرَ شعراتِ النبيِّ ﷺ]

وحُكِيَ أيضاً : (أنَّهُ تُوفِّيَ تاجرٌ عن مالٍ وابنَينِ وثلاثِ شعراتٍ مِنْ شَعرِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فاقتسما المالَ نصفَينِ وشعرتَينِ ، وبقيَتْ واحدةٌ ، فطلَبَ الأكبرُ قطعَها نصفَينِ ، فأبى الأصغرُ ؛ إجلالاً لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فقالَ لهُ الأكبرُ : تأخذُ الثلاثَ بحظِّكَ مِنَ المالِ ؟ قالَ : نعم ، ثمَّ جعلَ الثلاثَ في جيبِهِ ، وصارَ يُخرِجُها ويُشاهِدُها ويُصلِّي على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فعن قريبٍ كَثُر مالُهُ ، وفَنِيَ مالُ الأكبرِ .

ولمَّا تُوفِّيَ الصغيرُ . . رآهُ بعضُ الصالحينَ ورأى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ لهُ : « قُلْ لِلنَّاسِ : مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى ٱللهِ حَاجَةٌ . . فَلْيَأْتِ قَبْرَ فُلَانٍ هَـٰذَا ، وَيَسْأَلِ ٱللهَ قَضَاءَ حَاجَتِهِ » ، وكانَ النَّاسُ يَقصِدونَ قبرَهُ ، حتىٰ بلغَ إلىٰ أنَّ كلَّ مَنْ مَرَّ علىٰ قبرِهِ راكِباً . . ينزلُ ويمشي راجِلاً !!)[2] .

---

(١) ذكرها ابن حجر الهيتمي في « الدر المنضود » (ص ٢٤٥) ، وذكر الشرجي الزبيدي في « الفوائد في الصِّلات والعوائد » (ص ٦٤) قريباً منها مع اختصار .

(٢) ذكر هـٰذه القصة الإمام المجد اللغوي الفيروزاباذي في « الصِّلات والبُشَر » (ص ١٣٥) وعزاها لأبي حفص عمر بن حسين السمرقندي في « رونق المجالس » ، وذكرها أيضاً الحافظ السخاوي في « القول البديع » (ص ٢٧٦) ، والعلامة ابن حجر الهيتمي في « الدر المنضود » (ص ١٨٤) .

خاتمة

في ذِكْرِ مناماتٍ

[حكايةُ جارِ الإمامِ الشِّبليِّ]

رأى الشِّبليُّ رحمَهُ الله في المنامِ جاراً لهُ ، فقالَ : (مرَّتْ بي أهوالٌ عظيمةٌ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ أُرتِجَ عليَّ عندَ السؤالِ ، فقلتُ في نفسي : مِنْ أينَ أتىٰ عليَّ ؟! ألم أمُتْ على الإسلامِ ؟! فنُوديتُ : هٰذهِ عقوبةُ إهمالِكَ للسانِكَ في الدُّنيا .

فلمَّا همَّ بيَ المَلَكانِ . . حالَ بيني وبينَهُما رجلٌ جميلٌ طيِّبُ الرائحةِ ، فذكَّرَني حُجَّتي فذكرتُها ، فقلتُ لهُ : مَنْ أنتَ يرحمُكَ اللهُ ؟

قالَ : أنا شخصٌ خُلِقتُ ؛ لكثرةِ صلاتِكَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأُمِرتُ أن أنصرَكَ في كلِّ كَرْبٍ)[1] .

[وصولُ ثوابِ الصَّلاةِ عليهِ ﷺ للأمواتِ]

ورأَتِ امرأةٌ ولدَها بعدَ موتِهِ يُعذَّبُ ، فحزنَتْ لذٰلكَ وبكَتْ ، ثمَّ رأَتْهُ بعدَ ذٰلكَ وهوَ في النُّورِ والرَّحمةِ ، فسألَتْهُ عن ذٰلكَ ، فقالَ : (مرَّ رجلٌ بالمقبرةِ ، فصلَّىٰ على النبيِّ ـ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ وأهدىٰ ثوابَها للأمواتِ ، فجُعِلَ نصيبي مِنْ ذٰلكَ المغفرةَ)[2] .

---

(١) ذكره الحافظ السخاوي في « القول البديع » (ص ٢٦٥) ، والعلامة الهيتمي في « الدر المنضود » (ص ١٨٣) .

(٢) ذكرها الشيخ إسماعيل حقي البروسوي في تفسيره « روح البيان » (٢٦٧/٧) .

[تتويجُ ابنِ منصورٍ بكثرةِ صلاتِهِ على النبيِّ ﷺ]

ورأىٰ رجلٌ مِنْ أهلِ شيرازَ أبا العباسِ أحمدَ بنَ منصورٍ عليه حُلَّةٌ ، وعلىٰ رأسِهِ تاجٌ مُكلَّلٌ بالجواهرِ ، فقال لهُ : (ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : غفرَ لي وأكرمَني وتوَّجَني وأدخلَني الجنَّةَ .

فقالَ لهُ : بماذا ؟ قالَ : بكثرةِ صلاتي علىٰ رسولِ اللهِ ، صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[١] .

[تقبيلُ النبيِّ بعضَ الصالحينَ لكثرةِ صلاتِهِ عليهِ ﷺ]

وكانَ بعضُ الصالحينَ جعلَ علىٰ نفسِهِ عدداً معلوماً ، يُصلِّي على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عندَ النَّومِ ، فأخذَتْهُ عيناهُ ليلةً ، فرأى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ داخلاً عليهِ ، فامتلأَ بيتُهُ نوراً ، فقالَ لهُ : « هَاتِ هَـٰذَا ٱلْفَمَ ٱلَّذِي يُكْثِرُ ٱلصَّلَاةَ عَلَيَّ . . أُقَبِّلْهُ » .

قالَ : (فاستحيَيتُ ، فأدرتُ لهُ خدِّي فقبَّلَهُ ، فانتبهتُ ؛ فإذا البيتُ يفوحُ مِسكاً مِنْ رائحتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وبقيَتْ رائحةُ المِسكِ [مِنْ] قُبلتِهِ[٢] في خدِّي نحوَ ثمانيةِ أيَّامٍ)[٣] .

[نجاةُ الكاغَديِّ بكثرةِ صلاتِهِ على النبيِّ ﷺ]

ورأىٰ بعضُ الصالحينَ أبا حفصٍ الكاغَديَّ فقالَ : (ما فعلَ اللهُ

---

(١) أخرجها بإسناده ابن بشكوال في « القربة إلىٰ رب العالمين » (٥١) ، وانظر « القول البديع » (ص ٢٥٩) ، و« الدر المنضود » (ص ١٨٢) .

(٢) في النسخ (في قبلته) والمثبت من المصادر .

(٣) ذكرها المجد اللغوي الفيروزاباذي في « الصِّلات والبُشَر » (ص ١٣١) ، وذكر أن الرائي هو محمد بن سعيد بن مطرف رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « الدر المنضود » (ص ١٨٧) .

بكَ ؟ فقالَ : رحمَني وغفرَ لي ، وأدخلَني الجنَّةَ .

فقيلَ لهُ : بماذا ؟ قالَ : لمَّا وقفتُ بينَ يدَيهِ . . أمرَ الملائكةَ فحسبوا ذنوبي وصلاتي على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فوجدوها أكثرَ ، فقالَ لهُمُ المولىٰ جلَّتْ قدرتُهُ : حسبُكُم يا ملائكتي ؛ لا تُحاسِبوهُ ، واذهبوا بهِ إلىٰ جنَّتي)[1] .

اللهمَّ ؛ أدخلْنا الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ ، بجاهِ الشفيعِ العاقِبِ ، صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عددَ ما ذكرَهُ الذَّاكِرونَ ، وعددَ ما غفلَ عن ذِكْرِهِ الغافِلونَ ، وسلَّمَ كذٰلكَ .

* * *

---

(١) ذكرها في « الدر المنضود » (ص ١٨٣) .

باب الشرك الأصغر

وهوَ الرِّياءُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾[1] ؛ أي : لا يُرائي بعملِهِ أحداً .

وأخرجَ أحمدُ : عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ . . ٱلشِّرْكُ ٱلْأَصْغَرُ ـ أيِ : الرِّياءُ ـ يَقُولُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ لِلْمُرَائِينَ إِذَا جُزِيَ ٱلنَّاسُ بِأَعْمَالِهِمُ : ٱذْهَبُوا إِلَى ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي ٱلدُّنْيَا ، ٱنْظُرُوا : هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً ؟! »[2] .

وابنُ ماجه : « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي : ٱلْإِشْرَاكُ بِٱللهِ ؛ أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَقُولُ : يَعْبُدُونَ شَمْساً وَلَا قَمَراً وَلَا وَثَناً ، وَلَـٰكِنْ أَعْمَالاً لِغَيْرِ ٱللهِ وَشَهْوَةً خَفِيَّةً »[3] .

والطبرانيُّ : « إِنَّ أَدْنَى ٱلرِّيَاءِ : شِرْكٌ ، وَأَحَبُّ ٱلْعَبِيدِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى : ٱلْأَتْقِيَاءُ ٱلْأَسْخِيَاءُ ٱلْأَخْفِيَاءُ ـ أيِ : المُبالِغونَ في سَتْرِ عبادتِهِم ، وتنزيهِها عن شوائبِ الأغراضِ الفانيةِ ، والأخلاقِ الدنيَّةِ ـ ٱلَّذِينَ إِذَا غَابُوا . . لَمْ يُفْقَدُوا[4] ، وَإِذَا شَهِدُوا ـ أي : حضروا ـ . . لَمْ يُعْرَفُوا ؛ أُولَـٰئِكَ أَئِمَّةُ ٱلْهُدَىٰ وَمَصَابِيحُ ٱلْعِلْمِ »[5] .

---

(١) سورة الكهف : (١١٠) .

(٢) مسند أحمد (٤٢٨/٥) عن سيدنا محمود بن لبيد رضي الله عنه .

(٣) سنن ابن ماجه (٤٣٦٧) عن سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنه .

(٤) في (أ) : (لم يتفقَّدوا) ، وفي « المعجم الأوسط » : (لم يفتقدوا) ، والمثبت من باقي النسخ .

(٥) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٩٧١) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

وأبو نُعيمٍ والديلميُّ : « إِنَّ ٱللهَ حَرَّمَ ٱلْجَنَّةَ عَلَىٰ كُلِّ مُرَاءٍ »(١) .

والديلميُّ : « رِيحُ ٱلْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ ، وَلَا يَجِدُهَا مَنْ طَلَبَ ٱلدُّنْيَا بِعَمَلِ ٱلآخِرَةِ »(٢) .

والطبرانيُّ : « إِنَّ فِي جَهَنَّمَ لَوَادِياً تَسْتَعِيذُ جَهَنَّمُ مِنْ ذَٰلِكَ ٱلْوَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعَ مِئَةِ مَرَّةٍ ، أُعِدَّ ذَٰلِكَ ٱلْوَادِي لِلْمُرَائِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلَّى ٱللهُ عليهِ وسلَّمَ : لِحَامِلِ كِتَابِ ٱللهِ ، وَلِلْمُتَصَدِّقِ فِي غَيْرِ ذَاتِ ٱللهِ ، وَلِلْحَاجِّ ، وَلِلْخَارِجِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ »(٣) .

❁ ❁ ❁

وهوَ والبيهقيُّ : « مَنْ أَحْسَنَ ٱلصَّلَاةَ حَيْثُ يَرَاهُ ٱلنَّاسُ ثُمَّ أَسَاءَهَا حَيْثُ يَخْلُو . . فَتِلْكَ ٱسْتِهَانَةٌ ٱسْتَهَانَ بِهَا رَبَّهُ »(٤) .

وابنُ ماجه : « رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا ٱلْجُوعُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا ٱلسَّهَرُ »(٥) .

والديلميُّ : « إِيَّاكُمْ أَنْ تَخْلِطُوا طَاعَةَ ٱللهِ بِحُبِّ ثَنَاءِ ٱلْعِبَادِ . . فَيُحْبِطَ أَعْمَالَكُمْ »(٦) .

---

(١) عزاه في « كنز العمال » (٧٤٨٧) لأبي نعيم في « حلية الأولياء » ، وللديلمي في « الفردوس » عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٣٢٦١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/١٧٥) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٢٨٥١) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (٣٧٣٨) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٥١١٧) ، ولم يعزه في « كنز العمال » (٧٤٩٤) إلا لمن ذكر ، ولم يعزه للطبراني .

(٥) سنن ابن ماجه (١٧٧٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٧٥١٩) للديلمي عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

ومسلمٌ : « قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : أَنَا أَغْنَى ٱلشُّرَكَاءِ عَنِ ٱلشِّرْكِ ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي . . تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ »(١) .

وسَمُّويَهْ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ . . أُتِيَ بِصُحُفٍ مُخَتَّمَةٍ ، تُنْصَبُ بَيْنَ يَدَيِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، فَيَقُولُ ٱللهُ لِمَلَائِكَتِهِ : ٱقْبَلُوا هَـٰذَا ، وَأَلْقُوا هَـٰذَا ، فَتَقُولُ ٱلْمَلَائِكَةُ : وَعِزَّتِكَ ؛ مَا رَأَيْنَا إِلَّا خَيْراً ، فَيَقُولُ : نَعَمْ ؛ لَـٰكِنْ كَانَ لِغَيْرِي ، وَلَا أَقْبَلُ ٱلْيَوْمَ إِلَّا مَا ٱبْتُغِيَ بِهِ وَجْهِي »(٢) .

[أَوَّلُ مَنْ تُسعَّرُ بهِمُ النَّارُ ثلاثةٌ]

وأحمدُ ومسلمٌ : « إِنَّ أَوَّلَ ٱلنَّاسِ يُقْضَىٰ عَلَيْهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ رَجُلٌ ٱسْتُشْهِدَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ ـ أي : اللهُ ـ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى ٱسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَـٰكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ : جَرِيءٌ ـ أي : شجاعٌ ـ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَيُسْحَبُ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي ٱلنَّارِ .

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ ٱلْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ ٱلْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ ٱلْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ ٱلْقُرْآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَـٰكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ ٱلْعِلْمَ لِيُقَالَ : عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ لِيُقَالَ : هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي ٱلنَّارِ .

---

(١) صحيح مسلم (٢٩٨٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٦٢٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٥/١٨٤) ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٩٨٥) ، وعزاه في « كنز العمال » (٧٤٧٥) لسمويه عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

وَرَجُلٌ وَسَّعَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ ٱلْمَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَـٰكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي ٱلنَّارِ »[(١)] .

[عظمُ حسرةِ المرائينَ يومَ القيامةِ]

والطبرانيُّ والبيهقيُّ : « يُؤْمَرُ بِنَاسٍ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِلَى ٱلْجَنَّةِ ، حَتَّىٰ إِذَا دَنَوْا مِنْهَا ، وَٱسْتَنْشَقُوا رِيحَهَا ، وَنَظَرُوا إِلَىٰ قُصُورِهَا وَإِلَىٰ مَا أَعَدَّ ٱللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا . . نُودُوا : أَنِ ٱصْرِفُوهُمْ عَنْهَا ؛ لَا نَصِيبَ لَهُمْ فِيهَا ، فَيَرْجِعُونَ بِحَسْرَةٍ مَا رَجَعَ ٱلْأَوَّلُونَ وَٱلْآخِرُونَ بِمِثْلِهَا ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ؛ لَوْ أَدْخَلْتَنَا ٱلنَّارَ قَبْلَ أَنْ تُرِيَنَا مَا [أَرَيْتَنَا] مِنْ ثَوَابِكَ[(٢)] ، وَمَا أَعْدَدْتَ فِيهَا لِأَوْلِيَائِكَ . . كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْنَا !!

قَالَ : ذَاكَ أَرَدْتُ مِنْكُمْ يَا أَشْقِيَاءُ[(٣)] ، كُنْتُمْ إِذَا خَلَوْتُمْ . . بَارَزْتُمُونِي بِٱلْعَظَائِمِ ، وَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلنَّاسَ . . لَقِيتُمُوهُمْ مُخْبِتِينَ ؛ تُرَاؤُونَ ٱلنَّاسَ بِأَعْمَالِكُمْ خِلَافَ مَا تُعْطُونِي مِنْ قُلُوبِكُمْ ، هِبْتُمُ ٱلنَّاسَ وَلَمْ تَهَابُونِي ، وَأَجْلَلْتُمُ ٱلنَّاسَ وَلَمْ تُجِلُّونِي ، وَتَرَكْتُمْ لِلنَّاسِ وَلَمْ تَتْرُكُوا لِي ؛ فَٱلْيَوْمَ أُذِيقُكُمُ ٱلْعَذَابَ مَعَ مَا حُرِمْتُمْ مِنَ ٱلثَّوَابِ »[(٤)] .

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥) ، وأحمد (٢/٣٢٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) في النسخ : (ترينا ما رأيتنا) ، ولعله سبق قلم .

(٣) في مصادر التخريج : (ذاك أردت بكم) .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٤٧٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٣٩٠) عن سيدنا عدي بن حاتم رضي الله عنه .

وروى الذهبيُّ : سأَلَ رجلٌ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : ما النَّجاةُ غداً ؟ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَلَّا تُخَادِعَ ٱللهَ » .

قالَ : وكيفَ أُخادِعُ اللهَ ؟ قالَ : « أَنْ تَعْمَلَ بِمَا أَمَرَكَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَتريدَ بِهِ غَيْرَ وَجْهِ ٱللهِ ، فَٱتَّقُوا ٱلرِّيَاءَ ؛ فَإِنَّهُ ٱلشِّرْكُ بِٱللهِ ، وَإِنَّ ٱلْمُرَائِيَ يُنَادَىٰ عَلَيْهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُؤُوسِ ٱلْخَلَائِقِ بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءٍ : يَا كَافِرُ ، يَا فَاجِرُ ، يَا غَادِرُ ، يَا خَاسِرُ ؛ ضَلَّ عَمَلُكَ ، وَبَطَلَ أَجْرُكَ ، فَلَا خَلَاقَ لَكَ ٱلْيَوْمَ ، فَٱلْتَمِسْ أَجْرَكَ مِمَّنْ تَعْمَلُ لَهُ يَا مُخَادِعُ »[1] .

تنبيهان

أحدُهُما

[في حدِّ الرِّياءِ وهل يُثابُ عليهِ أو لا ؟]

إنَّ حدَّ الرِّياءِ المذمومِ : إرادةُ العاملِ بعبادتِهِ غيرَ وجهِ اللهِ تعالىٰ ؛ كأن يَقصِدَ إطلاعَ النَّاسِ علىٰ عبادتِهِ ، حتىٰ يَحصُلَ لهُ نحوُ مالٍ أو ثناءٍ .

وقدِ اختلفَ حُجَّةُ الإسلامِ الغزاليُّ وسلطانُ العلماءِ عِزُّ الدِّينِ بنُ عبدِ السلامِ فيمَنْ قصدَ بعملِهِ الرِّياءَ والعبادةَ .

فقالَ الغزاليُّ : (إن غلبَ باعثُ الدُّنيا . . فلا ثوابَ لهُ ، أو باعثُ الآخِرةِ . . فالثوابُ لهُ ، وإن تساويا . . تساقطا ؛ فلا ثوابَ أيضاً)[2] .

---

(١) أخرجه أبو الليث السمرقندي بإسناده في « تنبيه الغافلين » (١٦) ، والبوصيري في « إتحاف الخيرة المهرة » (٤٠٠) بإسناد أحمد بن منيع ، وذكره الحافظ الذهبي مختصراً في كتاب « الكبائر » (ص ١٥٥) في الكبيرة (٣٧) ، والعلامة ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (١/٨٥) ضمن الكبيرة الثانية وعزاه للذهبي وتبعه المؤلف .

(٢) انظر « إحياء علوم الدين » (٦/٣٥٠ ـ ٣٥١) فقد فصَّل فيه درجات الرياء ، ولخص كلامه العلامة ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (١/٨٩) وعنه نقل المؤلف .

وقـالَ ابنُ عبدِ السلامِ : (لا ثـوابَ مطلقاً) ، ورجَّحَهُ الزَّرْكَشـيُّ[1] ؛ للأخبارِ الصحيحةِ كخبرِ : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي .. فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ ، هُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ »[2] .

وثانيهما

[حكمُ ورودِ الرِّياءِ بعدَ العملِ]

إنَّ العبدَ إذا عقدَ عبادتَهُ على الإخلاصِ ثمَّ وردَ عليهِ واردُ الرِّياءِ ؛ فإن كانَ بعدَ تمامِ العملِ .. لم يُؤثِّرْ فيهِ ؛ لأنَّهُ تمَّ على الإخلاصِ ، فإن تكلَّفَ إظهارَهُ والتحدُّثَ بهِ قصداً للرِّياءِ .. قالَ الغزاليُّ : (فهـٰذا مَخُوفٌ ، وفي الآثارِ والأخبارِ ما يدلُّ علىٰ أنَّهُ يُحبطُ العملَ)[3] ، ثمَّ قالَ : (الأقيسُ : أنَّهُ مُثابٌ علىٰ عملِهِ الذي انقضىٰ ، ومُعاقَبٌ علىٰ مُراءاتِهِ بطاعةِ اللهِ ولو بعدَ فراغِهِ منها)[4] .

[مسكينٌ أفسدَ حَجَّتَيهِ]

وحُكِيَ : أنَّ رجلاً أضافَ سفيانَ الثوريَّ وأصحابَهُ ، فقالَ لأهلِهِ : هاتوا الطبقَ ، لا الذي أتيتُ بهِ في الحَجَّةِ الأولىٰ بل في الثانيةِ ، فقالَ سفيانُ : (هـٰذا مسكينٌ ؛ أفسدَ بهـٰذا حَجَّتَيهِ)[5] ، عافانا اللهُ مِنَ الرِّياءِ .

---

(١) انظر « قواعد الأحكام » (١٩٢/١) ، وانظر « الزواجر » (٨٩/١) .

(٢) أخرجه مسلم بنحوه (٢٩٨٥) ، وابن خزيمة في « صحيحه » (٩٣٨) ، وابن ماجه (٤٣٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) إحياء علوم الدين (٣٦٨/٦) وذكر أن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه سمع رجلاً يقول : قرأت البارحة سورة (البقرة) قال : (ذلك حظك منها) .

(٤) إحياء علوم الدين (٣٦٩/٦) .

(٥) في (أ ، ج) : (أفسدتَ بهـٰذا حجتيك) .

[دعاءٌ هوَ دواءُ الرِّياءِ]

وورد : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لأبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : « ٱلشِّرْكُ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ ٱلنَّمْلِ ، وَسَأَدُلُّكَ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتَهُ . . أَذْهَبَ ٱللهُ عَنْكَ صِغَارَ ٱلشِّرْكِ وَكِبَارَهُ ، تَقُولُ : ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ ؛ تَقُولُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ »[١] .

وسُئِلَ بعضُ الأئمَّةِ : (مَنِ المُخلِصُ ؟ فقالَ : الذي يكتمُ حسناتِهِ كما يكتمُ سيِّئاتِهِ)[٢] .

وسُئِلَ آخَرُ : (ما غايةُ الإخلاصِ ؟ قالَ : ألَّا تُحِبَّ مَحمَدةَ النَّاسِ)[٣] .

[ظهورُ بركةِ الإخلاصِ على المُخلِصِ وعقبِهِ]

وحكى الشيخُ شرفُ الدِّينِ بنُ يونسَ في « مختصرِ الإحياءِ »[٤] : (أنَّ مَنْ أخلصَ للهِ في العملِ وإن لم ينوِ . . ظهرَتْ آثارُ بركتِهِ عليهِ وعلىٰ عَقِبِهِ إلىٰ يومِ القيامةِ ؛ كما قيلَ : لمَّا أُهبطَ آدمُ عليهِ السلامُ إلى الأرضِ . . جاءَتْهُ وحوشُ الفلاةِ تُسلِّمُ عليهِ وتزورُهُ ، فكانَ يدعو لكلِّ جنسٍ بما يليقُ بهِ ، فجاءَتْ طائفةٌ مِنَ الظِّباءِ ، فدعا لهُنَّ ومسحَ علىٰ ظهورِهِنَّ ، فظهرَ فيهِنَّ نَوافِجُ المِسكِ ، فلمَّا رأىٰ بواقيها ذٰلكَ . . قالوا :

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٥٨) ، والحكيم الترمذي بإسناده في « نوادر الأصول » (١٥٢٧) ضمن الأصل (٢٧٧) عن سيدنا معقل بن يسار رضي الله عنه .

(٢) أورده الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ١١) ضمن الكبيرة الأولىٰ ، وابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (١٠٢/١) ضمن الكبيرة الثانية .

(٣) انظر المصدرين السابقين عينهما .

(٤) قال العلامة الدميري رحمه الله تعالىٰ في « حياة الحيوان » (٦٥/٣) ناقلاً هٰذه الفائدة عن الشيخ شرف الدين ابن يونس : (شارح « التنبيه » في « باب الإخلاص ») .

مِنْ أينَ هـٰذا لَكُنَّ ؟ فقُلْنَ : زُرْنا صفيَّ اللهِ آدمَ ، فدعا لنا ومسحَ علىٰ ظهورِنا .

فمضى البواقي إليهِ فدعا لهُنَّ ، ومسحَ علىٰ ظهورِهِنَّ ، فلم يظهرْ فيهِنَّ مِنْ ذٰلكَ شيءٌ .

فقالوا : قد فعلنا كما فعلتُم ، فلم نَرَ شيئاً مِمَّا حصلَ لكُم ؟! فقالوا : أنتُم كانَ عملُكُم لتنالوا كما نالَ إخوانُكُم ، وأولـٰئكَ كانَ عملُهُم مِنْ غيرِ شَوبٍ ، فظهرَ ذٰلكَ في نسلِهِمْ وعَقِبِهِمْ إلىٰ يومِ القيامةِ)[1] .

اللهمَّ ؛ ارزقْنا الإخلاصَ ، واجعلْنا من المُخلِصينَ .

* * *

(١) ذكرها العلامة الدميري في « حياة الحيوان » (٣/٦٥) وقال : (وهـٰذه من زياداته على « الإحياء ») .

باب الكبر والعجب

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

قالَ أبو حيَّانَ : (علَّقَ اللهُ حصولَ الدَّارِ الآخِرَةِ (٢) علىٰ مُجرَّدِ عدمِ إرادةِ العُلوِّ ، فكيفَ بِمَنْ باشرَ ؟! وقال : ﴿ وَلَا فَسَادًا ﴾ بذِكْرِ « لا » ليدلَّ علىٰ أنَّ كلّاً منهُما مقصودٌ ، لا مجموعَهُما) (٣) .

وعن عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ : (إنَّ الرَّجلَ لَيُعجِبُهُ أن يكونَ شِراكُ نعلِهِ أجودَ مِنْ شِراكِ نعلِ صاحبِهِ ؛ فيدخلَ تحتَها) (٤) .

وعنِ الفُضيلِ : أنَّهُ قرأَها ثمَّ قالَ : (ذهبَتِ الأماني) (٥) .

وعن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ : (أنَّهُ كانَ يُردِّدُها حتىٰ قُبِضَ) (٦) .

❁ ❁ ❁

وأخرجَ مسلمٌ وأبو داوودَ : عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا يَدْخُلُ ٱلنَّارَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، وَلَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءَ » (٧) .

---

(١) سورة القصص : (٨٣) .

(٢) أي : نعيم الدار الآخرة ؛ وهي الجنة والبقاء فيها سرمداً .

(٣) انظر تفسير « البحر المحيط » (١٣٦/٧) .

(٤) البحر المحيط (١٣٦/٧) ، وعزاه الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » (٢٦٠/١٠) للطبري .

(٥) البحر المحيط (١٣٦/٧) ، وانظر « الكشاف » (٤٣٩/٣) .

(٦) انظر المصدرين السابقين .

(٧) صحيح مسلم (٩١) ، وسنن أبي داوود (٤٠٨٨) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وفي (أ ، ج) : (حبة خردل من كبرٍ) وهي موافقة لـ « سنن أبي داوود » .

وابنُ عساكرَ : « إِيَّاكُمْ وَٱلْكِبْرَ ؛ فَإِنَّ إِبْلِيسَ حَمَلَهُ ٱلْكِبْرُ عَلَىٰ أَلَّا يَسْجُدَ لِآدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، وَإِيَّاكُمْ وَٱلْحِرْصَ ؛ فَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حَمَلَهُ ٱلْحِرْصُ عَلَىٰ أَنْ أَكَلَ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ، وَإِيَّاكُمْ وَٱلْحَسَدَ ؛ فَإِنَّ ٱبْنَيْ آدَمَ إِنَّمَا قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ حَسَداً ، فَهُنَّ أَصْلُ كُلِّ خَطِيئَةٍ »[1] .

[المُتكبّرونَ يُحشَرونَ أمثالَ الذَّرِّ]

والنَّسائيُّ والترمذيُّ : « يُحْشَرُ ٱلْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَمْثَالَ ٱلذَّرِّ فِي صُورَةِ ٱلرِّجَالِ ، يَغْشَاهُمُ ٱلذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، يُسَاقُونَ إِلَىٰ سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّىٰ : بُولَسَ ، يَعْلُوهُمْ نَارُ ٱلْأَنْيَارِ ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ ٱلنَّارِ مِنْ طِينَةِ ٱلْخَبَالِ »[2] .

وفي روايةٍ : « يُسْقَوْنَ مِنْ طِينِ ٱلْخَبَالِ ، عُصَارَةِ أَهْلِ ٱلنَّارِ »[3] .

وأبو الشيخِ : « شِرَارُ أُمَّتِي : [ٱلْوَحْدَانِيُّ] ٱلْمُعْجَبُ بِدِينِهِ ، ٱلْمُرَائِي بِعَمَلِهِ ، ٱلْمُخَاصِمُ بِحُجَّتِهِ ، [قَلِيلُ] ٱلرِّيَاءِ شِرْكٌ »[4] .

وأبو نُعيمٍ : « مَنْ حَمِدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ عَمَلٍ صَالِحٍ . . فَقَدْ ضَلَّ شُكْرُهُ ، وَحَبِطَ عَمَلُهُ »[5] .

---

(١) تاريخ دمشق (٤٠/٤٩) بنحوه عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) سنن الترمذي (٢٤٩٢) ، وأخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (١١٨٢٧) عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه مسلم بنحوه (٢٠٠٢) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٤) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٣٦٤٨) ، وعزاه في « كنز العمال » (٧٦٧٥) لأبي الشيخ عن عبد الرحمٰن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن جده ، **والمراد بالوحداني** : المفارق للجماعة المنفرد بنفسه .

(٥) أخرجه أبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٦٩٣٨) عن عبد العزيز عن أبيه وكانت له صحبة ، واللفظ فيه : (فقد قلَّ شكره) .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ فِي ٱلنَّارِ تَوَابِيتَ ، يُجْعَلُ فِيهَا ٱلْمُتَكَبِّرُونَ ، فَيُغْلَقُ عَلَيْهِمْ »(١) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ ٱلرِّجَالُ قِيَاماً . . فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ »(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ ٱلنَّارِ . . فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ رَجُلٍ قَاعِدٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ قَوْمٌ قِيَامٌ »(٣) .

وقالَ أبو الدَّرداءِ : (لا يزالُ العبدُ يزدادُ مِنَ اللهِ بُعداً ما مُشِيَ خَلْفَهُ)(٤) .

[مِنْ تواضعِ سيِّدِنا سليمانَ عليهِ السلامُ]

وقالَ سليمانُ بنُ داوودَ عليهِما الصَّلاةُ والسلامُ يوماً للجِنِّ والإنسِ والطيرِ والبهائمِ : « ٱخْرُجُوا » فخرجَ في مئتَيْ ألفٍ مِنَ الإنسِ ، ومئتَيْ ألفٍ مِنَ الجِنِّ ، فرُفِعَ حتىٰ سمعَ زَجَلَ الملائكةِ في السماواتِ ، ثمَّ خُفِضَ حتىٰ مسَّتْ قدماهُ البحرَ ، فسمعَ صوتاً : (لو كانَ في قلبِ صاحبِكُم مثقالُ ذرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ . . لخسفتُ بهِ أبعدَ ممَّا رفعتُهُ)(٥) .

وسُئِلَ سليمانُ عليهِ السلامُ عنِ السيِّئةِ التي لا تنفعُ معَها حسنةٌ ؟ فقالَ : « ٱلْكِبْرُ »(٦) .

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٨٣٧) ، وابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (٣٨٦/١) عن سيدنا أنسٍ رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبو داوود (٥١٨٦) ، والترمذي (٢٧٥٥) عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

(٣) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥٢٤/٦) من قول سيدنا علي رضي الله عنه .

(٤) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٣٩٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١١٧/٥٠) .

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١٩٩) عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى .

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (٢٢٩) ، وأورده في « إحياء علوم الدين » (٤٧١/٦) لكن فيهما عن سيدنا سلمان رضي الله عنه .

[غُفِرَ للخليعِ وأُحبِطَ عملُ العابدِ]

ورُوِيَ : أنَّ خليعاً مِنْ بني إسرائيلَ جلسَ إلىٰ عابدٍ لينتفعَ بهِ ، فأَنِفَ مِنْ مُجالستِهِ وطردَهُ ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ نبيِّهِم : « أَنَّهُ غُفِرَ لِلْخَلِيعِ ، وَأُحْبِطَ عَمَلُ ٱلْعَابِدِ »[1] .

فالجاهلُ العاصي : إذا تواضعَ وذلَّ هيبةً للهِ وخوفاً منهُ . . فقد أطاعَ ؛ فهوَ أطوعُ مِنَ العالِمِ المُتكبِّرِ ، والعابدِ المُعجَبِ .

وقالَ الغزاليُّ : (كلُّ مَنْ رأىٰ نفسَهُ خيراً مِنْ أحدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ . . فهوَ مُتكبِّرٌ)[2] .

وقالَ حمدونُ القصَّارُ : (مَنْ ظنَّ أنَّ نفسَهُ خيرٌ مِنْ فرعونَ . . فقد أظهرَ الكِبْرَ)[3] ، أعاذَنا اللهُ مِنَ الكِبْرِ ، وحمانا مِنَ العُجْبِ .

خَاتِمَةٌ

في ذمِّ الخُيَلاءِ وفضلِ التواضعِ

أخرجَ البخاريُّ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ ٱلْخُيَلَاءِ . . خُسِفَ بِهِ ؛ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ »[4] .

وأحمدُ : « مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ ، وَٱخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ . . لَقِيَ ٱللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ »[5] .

---

(١) أورده ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (١٥٢/١) ضمن الكبيرة (٤) .

(٢) انظر « بداية الهداية » (ص ٢١٥) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٣١/١٠) ، وذكره القشيري في « الرسالة » (ص ١٥٢) ، وذٰلك لأمنه من الخاتمة وتقلبات الحال .

(٤) صحيح البخاري (٣٤٨٥) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٥) مسند أحمد (١١٨/٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

ومسلمٌ : « إِنَّ ٱللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ مَنْ يَجُرُّ إِزَارَهُ بَطَراً »[1] .

« لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ » قيلَ : إنَّ الرَّجلَ يُحِبُّ أن يكونَ ثوبُهُ حسناً ونعلُهُ حسنةً ؟ قالَ : « إِنَّ ٱللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ ٱلْجَمَالَ ؛ ٱلْكِبْرُ : بَطَرُ ٱلْحَقِّ ، وَغَمْطُ ٱلنَّاسِ »[2] .

وأخرجَ ابنُ أبي الدُّنيا : « ٱلتَّوَاضُعُ لَا يَزِيدُ ٱلْعَبْدَ إِلَّا رِفْعَةً ، فَتَوَاضَعُوا . . يَرْفَعْكُمُ ٱللهُ ، وَٱلْعَفْوُ لَا يَزِيدُ ٱلْعَبْدَ إِلَّا عِزّاً ، فَٱعْفُوا . . يُعِزَّكُمُ ٱللهُ ، وَٱلصَّدَقَةُ لَا تَزِيدُ ٱلْمَالَ إِلَّا كَثْرَةً ، فَتَصَدَّقُوا . . يَرْحَمْكُمُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ »[3] .

[ممَّا يُعينُ على التواضعِ]

والترمذيُّ والحاكمُ : « مَنْ تَرَكَ ٱللِّبَاسَ تَوَاضُعاً لِلهِ تَعَالَىٰ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ . . دَعَاهُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُؤُوسِ ٱلْخَلَائِقِ ؛ حَتَّىٰ يُخَيِّرَ مِنْ أَيِّ حُلَلِ ٱلْإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا »[4] .

وأبو نُعيمٍ : « تَوَاضَعُوا وَجَالِسُوا ٱلْمَسَاكِينَ . . تَكُونُوا مِن [كُبَرَاءِ] ٱللهِ ، وَتَخْرُجُوا مِنَ ٱلْكِبْرِ »[5] .

والبيهقيُّ والخطيبُ : « ٱلْبَادِئُ بِٱلسَّلَامِ بَرِيءٌ مِنَ ٱلْكِبْرِ »[6] .

---

(١) صحيح مسلم (٢٠٨٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) صحيح مسلم (٩١) ، وأحمد (٤١٦/١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) عزاه في « كنز العمال » (٥٧١٩) لابن أبي الدنيا في « ذم الغضب » عن محمد بن عمير العبدي رحمه الله تعالىٰ .

(٤) مستدرك الحاكم (٦١/١) ، وسنن الترمذي (٢٤٨١) عن معاذ بن أنس الجُهني رضي الله عنه .

(٥) حلية الأولياء (١٩٧/٨) .

(٦) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٤٠٧) ، والخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٩٣٧) .

والطبرانيُّ : « إِنَّ مِنَ ٱلتَّوَاضُعِ لِلّهِ : ٱلرِّضَا بِٱلدُّونِ مِنْ شَرَفِ ٱلْمَجَالِسِ »[١] .

والبيهقيُّ : « مَا ٱسْتَكْبَرَ مَنْ أَكَلَ مَعَهُ خَادِمُهُ ، وَرَكِبَ ٱلْحِمَارَ بِٱلْأَسْوَاقِ ، وَٱعْتَقَلَ ٱلشَّاةَ فَحَلَبَهَا »[٢] .

وهوَ : « مَنْ حَمَلَ سِلْعَتَهُ . . فَقَدْ بَرِئَ مِنَ ٱلْكِبْرِ »[٣] .

[سيِّدُنا عمرُ ﷺ وتهذيبُ النفسِ]

وقالَ عروةُ بنُ الزُّبيرِ : (رأيتُ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ وعلىٰ عاتقِهِ قِرْبةُ ماءٍ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ لا ينبغي لكَ هـٰذا !!

فقالَ : لمَّا أتاني الوفودُ سامِعينَ مُطيعينَ . . دخلَتْ نفسي نخوةٌ ، فأحببتُ أن أكسِرَها ، ومضىٰ بالقِرْبةِ إلىٰ حُجْرةِ امرأةٍ مِنَ الأنصارِ ، فأفرغَها في إنائِها)[٤] .

ورُئِيَ أبو هريرةَ ـ وهوَ أميرُ المدينةِ ـ علىٰ ظهرِهِ حُزمةُ حطبٍ ، وهو يقولُ : (طرِّقوا للأميرِ)[٥] .

وقيلَ لأبي يزيدَ : متىٰ يكونُ الرَّجلُ مُتواضِعاً ؟ فقالَ : (إذا لم يَرَ لنفسِهِ مقاماً ولا حالاً ، ولا يرىٰ أنَّ في الخَلْقِ مَنْ هوَ شرٌّ منهُ)[٦] .

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١/١١٤) عن سيدنا طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٨٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٨٥٣) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٤) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٣٨٤) .

(٥) أخرجه أبو داوود في « الزهد » (٢٩٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/٣٨٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٣٨٤) .

(٦) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٨٣) .

وقالَ إبراهيمُ بنُ شيبانَ : (الشرَفُ في التواضعِ ، والعِزُّ في التقوىٰ ، والحريَّةُ في القناعةِ)[1] .

[قصَّةُ رجلٍ تكبَّرَ فوضعَهُ اللهُ]

وحكىٰ بعضُهُم : (رأيتُ عندَ الصفا رجلاً راكباً بغلةً وبينَ يدَيهِ غِلمانٌ يُعنِّفونَ النَّاسَ ، ثمَّ رأيتُهُ ببغدادَ حافياً حاسراً طويلَ الشعرِ ، فقلتُ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟!

قالَ : ترفَّعتُ في موضعٍ يتواضعُ النَّاسُ فيهِ . . فوضعَني اللهُ حيثُ يَترفَّعُ النَّاسُ !!)[2] ، اللهمَّ ؛ ارزقنا التواضعَ ، وارفعْنا بهِ مكاناً عليّاً .

* * *

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٨٣) .

(٢) أوردها القشيري في « رسالته » (ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦) بنحوها ، والإمام الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦/٤٨٧) .

باب الحسد والحقد

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[1] .

وأخرجَ ابنُ ماجه : عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْحَسَدُ يَأْكُلُ ٱلْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ »[2] .

والديلميُّ : « ٱلْحَسَدُ يُفْسِدُ ٱلْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبِرُ ٱلْعَسَلَ »[3] .

والطبرانيُّ : « لَيْسَ مِنِّي ذُو حَسَدٍ وَلَا نَمِيمَةٍ وَلَا كَهَانَةٍ ، وَلَا أَنَا مِنْهُ »[4] .

والحاكمُ والديلميُّ : « إِنَّ إِبْلِيسَ يَقُولُ : ٱبْغُوا مِنْ بَنِي آدَمَ ٱلْبَغْيَ وَٱلْحَسَدَ ؛ فَإِنَّهُمَا يَعْدِلَانِ عِنْدَ ٱللهِ ٱلشِّرْكَ »[5] .

وأحمدُ والترمذيُّ : « دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ ٱلْأُمَمِ قَبْلَكُمْ : ٱلْحَسَدُ ، وَٱلْبَغْضَاءُ هِيَ ٱلْحَالِقَةُ ؛ حَالِقَةُ ٱلدِّينِ لَا حَالِقَةُ ٱلشَّعَرِ ، وَٱلَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ؛ لَا تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا ، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ . . تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا ٱلسَّلَامَ بَيْنَكُمْ »[6] .

---

(١) سورة النساء : (٥٤) .

(٢) سنن ابن ماجه (٤٣٧٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٧٤٤٠) وعزاه للديلمي عن سيدنا معاوية بن حَيْدَةَ رضي الله عنه .

(٤) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٥٢٨٠) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وعزاه في « كنز العمال » (٧٤٤٥) للطبراني عن سيدنا عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه .

(٥) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٩٢١) ، وعزاه في « كنز العمال » (٧٣٩٥) للحاكم في « التاريخ » ، وللديلمي عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٦) سنن الترمذي (٢٥١٠) ، ومسند أحمد (١/١٦٥) عن سيدنا الزبير بن العوام رضي الله عنه .

وأخرجَ البيهقيُّ : « إِنَّ ٱللَّهَ يَطَّلِعُ عَلَىٰ عِبَادِهِ لَيْلَةَ ٱلنِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ : فَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ ، وَيَرْحَمُ ٱلْمُسْتَرْحِمِينَ ، وَيُؤَخِّرُ أَهْلَ ٱلْحِقْدِ كَمَا هُمْ عَلَيْهِ »[1] .

وابنُ زَنْجُويَهْ : « تُعْرَضُ أَعْمَالُ بَنِي آدَمَ عَلَى ٱللهِ كُلَّ يَوْمِ ٱثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ : فَيَرْحَمُ ٱلْمُسْتَرْحِمِينَ ، وَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ ، ثُمَّ يَذَرُ أَهْلَ ٱلْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ »[2] .

ورُوِيَ : « فِعْلُ ٱلْمَعْرُوفِ يَقِي مَصَارِعَ ٱلسُّوءِ »[3] .

[موعظةُ إمامٍ لأميرٍ]

ووعظَ بعضُ الأئمَّةِ بعضَ الأمراءِ فقالَ[4] : (إيَّاكَ والكِبْرَ ؛ فإنَّهُ أوَّلُ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ تعالىٰ بهِ ، ثمَّ قرأ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾[5] .

وإيَّاكَ والحرصَ ؛ فإنَّهُ أخرجَ آدمَ مِنَ الجنَّةِ ، أسكنَهُ اللهُ جنَّةً عرضُها السماواتُ والأرضُ وقالَ : كُلْ منها إلَّا شجرةً واحدةً نهاهُ اللهُ عنها ؛ فَمِنْ حرصِهِ أكلَ منها ، فأخرجَهُ اللهُ مِنَ الجنَّةِ ، ثمَّ قرأ : ﴿ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا . . . ﴾ الآيةَ[6] .

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٥٥٤) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٢) عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٧٤٥٩) لابن زنجويه عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (١٠١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣١٦٨) ، وابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » (٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٤) سماهما الإمام الغزالي في « الإحياء » فقال : (وحُكي : أن عون بن عبد الله دخل على المفضل بن المهلب ، وكان يومئذٍ علىٰ واسط) .

(٥) سورة البقرة : (٣٤) .

(٦) سورة طه : (١٢٣) .

وإيَّاكَ والحسدَ ؛ فإنَّهُ حملَ ابنَ آدمَ على أن قتلَ أخاهُ حينَ حسدَهُ ، ثمَّ قرأَ : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾)[١] .

وقيلَ : (كانَ السببُ في قتلِهِ لهُ : أنَّ زوجةَ المقتولِ هابيلَ كانَتْ أجملَ مِنْ زوجةِ القاتلِ قابيلَ ، فحسدَهُ عليها حتىٰ قتلَهُ)[٢] .

[قصَّةٌ عجيبةٌ في أنَّ المُسيءَ تكفيهِ إساءتُهُ]

وحُكِيَ : (أنَّ بعضَ الصُّلحاءِ كانَ يجلسُ بجانبِ ملِكٍ ينصحُهُ ويقولُ لهُ : أحسِنْ إلى المُحسِنِ بإحسانِهِ ؛ فإنَّ المُسيءَ ستكفيهِ إساءتُهُ ، فحسدَهُ علىٰ قُرْبِهِ مِنَ الملِكِ بعضُ الجهلةِ ، وعملَ الحيلةَ علىٰ قتلِهِ ، فسعىٰ بهِ للملِكِ ، فقالَ لهُ : إنَّهُ يزعمُ أنَّكَ أبخرُ ، وأمارةُ ذٰلكَ : أنَّكَ إذا قَرُبتَ منهُ . . يضعُ يدَهُ علىٰ أنفِهِ ؛ لئلَّا يَشَمَّ رائحةَ البَخَرِ .

فقالَ لهُ : انصرفْ حتىٰ أنظرَ ، فخرجَ ، فدعا الرَّجلَ لمنزلِهِ وأطعمَهُ ثوماً ، فخرجَ الرَّجلُ مِنْ عندِهِ وجاءَ للملِكِ ، وقالَ لهُ مثلَ قولِهِ السابقِ : أحسِنْ إلى المُحسِنِ . . . إلىٰ آخِرِهِ كعادتِهِ .

فقالَ لهُ الملِكُ : ادنُ منِّي ، فدنا منهُ ، فوضعَ يدَهُ علىٰ فيهِ ؛ مخافةَ أن يَشَمَّ الملِكُ ريحَ الثومِ ، فقالَ الملِكُ في نفسِهِ : ما أرىٰ فلاناً إلَّا قد صدقَ .

وكانَ الملِكُ لا يكتبُ بخطِّهِ إلَّا بجائزةٍ أو صِلةٍ ، فكتبَ لهُ بخطِّهِ لبعضِ

---

(١) سورة المائدة : (٢٧) ، والقصة ذكرها الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ في « إحياء علوم الدين » (٦٧٢/٥) ، والعلامة ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (١١٤/١ ـ ١١٥) ضمن الكبيرة (٣) .

(٢) ذكر نحوه الإمام النسفي في « تفسيره » (٢٠٧/٢) ، والعلامة ابن حجر في « الزواجر » (١١٥/١) ضمن الكبيرة (٣) .

عمَّالِهِ : إذا أتاكَ صاحبُ كتابي هٰذا . . فاذبحْهُ واسلُخْهُ ، واحشُ جلدَهُ تِبناً ، وابعثْ بهِ إليَّ ، فأخذَ الكتابَ وخرجَ ، فلقيَهُ الذي سعىٰ بهِ ، فقالَ : ما هٰذا الكتابُ ؟ قالَ : خطُّ الملِكُ لي بصِلةٍ .

فقالَ : هبْهُ منِّي [1] ، فقالَ : هوَ لكَ ، فأخذَهُ ومضىٰ إلى العاملِ .

فقالَ العاملُ : في كتابِكَ أن أذبحَكَ وأسلُخَكَ ؟

فقالَ : إنَّ الكتابَ ليسَ هوَ لي ، اللهَ اللهَ في أمري حتىٰ أُراجِعَ الملِكَ ؟!

قالَ : ليسَ لكتابِ الملِكِ مُراجعةٌ ، فذبحَهُ وسلخَهُ وحشا جلدَهُ تِبناً ، وبعثَ بهِ .

ثمَّ عادَ الرَّجلُ إلى الملِكِ كعادتِهِ ، وقالَ مثلَ قولِهِ ، فعجبَ الملِكُ وقالَ : ما فعلَ الكتابُ ؟ قالَ : لقيَني فلانٌ واستوهبَهُ منِّي فدفعتُهُ لهُ .

فقالَ الملِكُ : إنَّهُ ذكرَ لي أنَّكَ تزعمُ أنِّي أبخرُ ؟! قالَ : ما قلتُ ذٰلكَ .

قالَ : فلِمَ وضعتَ يدَكَ علىٰ أنفِكَ وفيكَ ؟ قالَ : أطعمَني ثوماً فكرهتُ أن تشمَّهُ ، قالَ : صدقتَ ، ارجعْ إلىٰ مكانِكَ ؛ فقد لقيَ المُسيءُ إساءتَهُ) [2] .

فتأمَّلْ رحمَكَ اللهُ شؤمَ الحسدِ وما جرَّ إليهِ ، اللهمَّ ؛ طهِّرْ قلوبَنا مِنَ الحسدِ والحقدِ .

[قصَّةُ محمدِ بنِ حِمْيَرٍ معَ الحيَّةِ في صنعِ المعروفِ]

وحكىٰ أبو نُعيمٍ عن يحيى الحِمَّانِيِّ قالَ : (كنتُ في مجلسِ سفيانَ بنِ

---

(١) كذا في النسخ ، وفي المصادر : (هبه لي) .

(٢) أخرج القصة أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٢٨/٢) ، وأوردها الإمام الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٦٧٣/٥ ـ ٦٧٤) ، وابن الجوزي في « عيون الحكايات » (ص ٢٠٦) وهي الحكاية (١٦٥) ، وانظر « الزواجر » (١١٥/١) ، حكوها عن بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالىٰ .

عُيَينةَ ، فاجتمعَ عليهِ ألفُ إنسانٍ أو يزيدونَ أو ينقصونَ ، فالتفتَ في آخرِ مجلسِهِ إلىٰ رجلٍ كانَ عن يمينِهِ فقالَ : قُمْ فحدِّثِ القومَ حديثَ الحيَّةِ .

فقالَ الرَّجلُ : أسندوني ، فأسندناهُ ، وسالَ جفونُ عينَيهِ ، ثمَّ قالَ : ألا فاسمعوا وعُوا ، حدَّثَني أبي عن جدِّي : أنَّ رجلاً كانَ يُعرَفُ بمحمدِ بنِ حِمْيَرٍ ، وكانَ لهُ ورعٌ ؛ يصومُ النَّهارَ ويقومُ اللَّيلَ ، فخرجَ ذاتَ يومٍ يَتصيَّدُ ؛ إذ عرضَتْ له حيَّةٌ ، فقالَتْ : يا محمدَ بنَ حِمْيَرٍ ؛ أجِرْني آجرَكَ اللهُ .

قالَ لها : ممَّنْ ؟ قالَتْ : مِنْ عدوٍّ قد ظلمَني [1] ، قالَ لها : وأينَ عدوُّكِ ؟ قالَتْ لهُ : مِنْ ورائي .

قالَ لها : ومِنْ أيِّ أمَّةٍ أنتِ ؟ قالَتْ : مِنْ أمَّةِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

قالَ : ففتحتُ ردائي ، وقلتُ : ادخلي فيهِ ، قالَتْ : يراني عدوِّي ، فشِلْتُ طِمْري ، فقلتُ : ادخلي بينَ طِمْري وبطني ، قالَتْ : يراني عدوِّي .

فقلتُ لها : فما الذي أصنعُ بكِ ؟ قالَتْ : إن أردتَ اصطناعَ المعروفِ . . فافتحْ لي فاكَ حتىٰ أنسابَ فيه .

قلتُ : أخشىٰ أن تقتليني ؟! قالَتْ : لا واللهِ ما أقتلُكَ ، اللهُ شاهدٌ عليَّ بذٰلكَ ، وملائكتُهُ وأنبياؤُهُ ، وحملةُ عرشِهِ وسكَّانُ سماواتِهِ إن أنا قتلتُكَ .

قالَ محمدُ بنُ الحميرِ : ففتحتُ فيَّ فانسابَتْ فيهِ ، ثمَّ مضَيتُ ، فعارضَني رجلٌ معَهُ صَمْصامةٌ [2] ، فقالَ لي : يا محمدُ ، قلتُ : وما تشاءُ ؟ قالَ : لقيتَ

---

(١) كذا في النسخ ، وفي « الحلية » : (قد طلبني) .

(٢) الصمصامة : هي السيف القاطع . انتهىٰ من هامش (ب) .

عدوّي ؟ قلتُ : ومَنْ عدوُّكَ ؟ قالَ : حيَّةٌ ، قلتُ : اللهمَّ لا ، واستغفرتُ ربّي مِنْ قولي : « لا » مئةَ مرةٍ .

ثمَّ مضَيتُ قليلاً ، فأخرجَتْ رأسَها مِنْ فيَّ وقالَتْ : انظر مضىٰ هٰذا العدوُّ ؟ فالتفتُّ ، فلم أرَ أحداً ، قلتُ : لم أرَ أحداً ، إن أردتِ أن تخرجي . . فاخرجي .

فقالَتِ : الآنَ يا محمدُ ؛ اخترْ واحدةً مِنِ اثنتَينِ : إمَّا أن أُفتِّتَ كبدَكَ ، وإمَّا أن أثقبَ فؤادَكَ فأدعَكَ بلا روحٍ .

فقلتُ : سبحانَ اللهِ !! أينَ العهدُ الذي عهدتِ إليَّ واليمينُ الذي حلفتِ ؟! ما أسرعَ ما نسيتيهِ !!

قالَتْ : يا محمدُ ؛ لِمَ نسيتَ العداوةَ التي كانَتْ بيني وبينَ أبيكَ آدمَ ؛ حيثُ أخرجتُهُ مِنَ الجنَّةِ ، علىٰ أيِّ شيءٍ أردتَ اصطناعَ المعروفِ معَ غيرِ أهلِهِ ؟!

قلتُ لها : ولا بدَّ أن تقتليني ؟ قالَتْ : لا بدَّ مِنْ ذٰلكَ ، قلتُ لها : فأمهليني حتىٰ أصيرَ إلىٰ تحتِ هٰذا الجبلِ ؛ فأُمَهِّدَ لنفسي موضعاً ، قالَتْ : شأنَكَ .

قالَ محمدٌ : فمضَيتُ أريدُ الجبلَ وقد أيستُ مِنَ الحياةِ ، فرفعتُ طَرْفي إلى السماءِ وقلتُ : يا لطيفُ ، يا لطيفُ ؛ الطُفْ [بي] بلطفِكَ الخفيِّ ، يا لطيفُ ؛ بالقدرةِ التي استويتَ بها على العرشِ ، فلم يعرفِ العرشُ أينَ مُستقرُّكَ منهُ . . إلَّا كفيتَني هٰذهِ الحيَّةَ .

ثم مضَيتُ ، فعارضَني رجلٌ طيِّبُ الرائحةِ ، نقيُّ البدنِ ، فقالَ لي : سلامٌ عليكُم ، فقلتُ : وعليكَ السلامُ يا أخي .

قالَ : ما لي أراكَ تغيَّرَ لونُكَ ؟ قلتُ : مِنْ عدوٍّ قد ظلمَني ، قالَ : وأينَ عدوُّكَ ؟ قلتُ : في جوفي .

قالَ لي : افتحْ فاكَ ، ففتحتُ فمي ، فوضعَ فيهِ مثلَ ورقةِ زيتونةٍ خضراءَ ، ثمَّ قالَ : امضَغْ وابلَعْ ، فمضغتُ وبلعتُ ، فلم ألبثْ إلَّا يسيراً ؛ إلَّا مغصَني بطني ودارَتْ في بطني ، فرمَيتُ بها مِنْ أسفلَ قطعةً قطعةً .

فتعلَّقتُ بالرَّجلِ ، فقلتُ لهُ : مَنْ أنتَ الذي مَنَّ اللهُ عليَّ بكَ ؟ فضحكَ ثمَّ قالَ : ألا تعرفُني ؟ قلتُ : اللهمَّ لا ، قالَ : يا محمدَ بنَ حِمْيَرٍ ؛ إنَّهُ لمَّا كانَ بينَكَ وبينَ الحيَّةِ ما كانَ ودعوتَ [بذٰلكَ] الدعاءِ . . ضجَّتْ ملائكةُ السبعِ السماواتِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، فقالَ : وعِزَّتي وجلالي ؛ [قد كانَ] بعيني[1] كلُّ ما فعلَتِ الحيَّةُ بعبدي ، وأمرَني اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ [بالنزولِ] إليكَ ـ وأنا يُقالُ ليَ : المعروفُ ، مُستقرّي في السماءِ الرابعةِ ـ : أَنِ انطلِقْ إلى الجنَّةِ ، وخُذْ ورقةً خضراءَ ، والْحَقْ بها عبدي محمدَ بنَ حِمْيَرٍ .

يا محمدُ ؛ عليكَ باصطناعِ المعروفِ ؛ فإنَّهُ يقي مصارعَ السوءِ ، وإنَّهُ وإن ضيَّعَهُ المُصطَنَعُ إليهِ . . لم يُضيَّعْ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ)[2] .

* * *

(١) في النسخ : (رأيت بعيني) ، والمثبت من « حلية الأولياء » .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٧/٢٩٣ ـ ٢٩٤) .

بابُ الغَضَب

أخرجَ البيهقيُّ وابنُ عساكرَ : عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّه قالَ : « يَا مُعَاوِيَةُ ؛ إِيَّاكَ وَٱلْغَضَبَ ؛ فَإِنَّ ٱلْغَضَبَ يُفْسِدُ ٱلْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ ٱلصَّبِرُ ٱلْعَسَلَ »(١) .

والخرائطيُّ : « إِيَّاكُمْ وَٱلْبَغْضَاءَ ؛ فَإِنَّهَا ٱلْحَالِقَةُ »(٢) .

وابنُ شاهينَ : « يَقُولُ ٱللهُ : ٱبْنَ آدَمَ ؛ ٱذْكُرْنِي حِينَ تَغْضَبُ . . أَذْكُرْكَ حِينَ أَغْضَبُ ، وَلَا أَمْحَقْكَ فِيمَنْ أَمْحَقُ »(٣) .

والحكيمُ : « إِنَّ ٱلْغَضَبَ مِيسَمٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، يَضَعُهُ ٱللهُ عَلَىٰ نِيَاطِ أَحَدِكُمْ ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُ إِذَا غَضِبَ . . ٱحمَرَّتْ عَيْنُهُ ، وَٱرْبَدَّ وَجْهُهُ ، وَٱنْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ ؟! »(٤) .

والترمذيُّ : « لِلنَّارِ بَابٌ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا مَنْ شَفَىٰ غَيْظَهُ بِسَخَطِ ٱللهِ »(٥) .

والطبرانيُّ : « مَنْ دَفَعَ غَضَبَهُ . . دَفَعَ ٱللهُ عَنْهُ عَذَابَهُ »(٦) .

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٩٤١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨٠/٢٣) عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ، وقوله : (يا معاوية) المراد به : سيدنا معاوية بن حيدة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الخرائطي في « مساوئ الأخلاق » (٥٤٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦٥/٣) ، وعزاه في « كنز العمال » (٧٧١٩) لابن شاهين .

(٤) نوادر الأصول (١٧) بإسناده في الأصل (٣) ، عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، **والمِيسَم** : المكواة ، **والوسم** : أثر الكي ، واربدَّ وجهه : احمرَّ حمرةً فيها سواد عند الغضب .

(٥) نوادر الأصول (٣٤٩) بإسناده في الأصل (٥٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٦) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٣٤٢) عن سيدنا أنسٍ رضي الله عنه .

[دواءُ الغضبِ]

وأحمدُ وأبو داوودَ : « إِنَّ ٱلْغَضَبَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ، وَٱلشَّيْطَانُ خُلِقَ مِنَ ٱلنَّارِ ، وَإِنَّمَا يُطْفَأُ بِٱلْمَاءِ ٱلنَّارُ ؛ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ . . فَلْيَتَوَضَّأْ »(١) .

والطبرانيُّ : « لَوْ يَقُولُ أَحَدُكُمْ إِذَا غَضِبَ : أَعُوذُ بِٱللهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ . . ذَهَبَ عَنْهُ غَضَبُهُ »(٢) .

ورُوِيَ : أنَّ بعضَ الصَّحابةِ(٣) حملَهُ الغضبُ علىٰ أنِ ارتدَّ عنِ الإسلامِ ، وماتَ كافراً(٤) ، فتأمَّلْ شرَّ الغضبِ وما يحملُهُ عليهِ ، والعياذُ باللهِ .

[قصَّةُ الرَّاهبِ والشيطانِ]

وعن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ : (أنَّ راهباً في صَومعتِهِ أرادَ الشيطانُ أن يُضِلَّهُ فعجزَ عنهُ ، فناداهُ ليفتحَ لهُ ، فسكتَ ، فقالَ : إن ذهبتُ . . ندمتَ ، فسكتَ .

فقالَ : أنا المسيحُ ، فأجابَهُ وقالَ : إن كنتَ المسيحَ . . فما أصنعُ بكَ ؟! ألستَ قد أمرتَنا بالعبادةِ والاجتهادِ ، ووعدتَنا القيامةَ ؟ فلو جئتَنا اليومَ بغيرِ ذٰلكَ . . لم نقبلْهُ منكَ .

فأخبرَهُ أنَّهُ شيطانٌ جاءَ ليُضِلَّهُ فلم يستطعْ ، ثمَّ قالَ لهُ : سَلْني عمَّا شئتَ . . أخبرْكَ ، قالَ : ما أريدُ أن أسألَكَ عن شيءٍ ، فولَّى الشيطانُ مُدبِراً .

---

(١) سنن أبي داوود (٤٧٥١) ، ومسند أحمد (٢٢٦/٤) عن عطية السعدي الصحابي رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الصغير » (٩١/٢) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) أي : باعتبار ما كان ، وإلا . . فقد نُزعت عنه هٰذه الصفة والمكرمة بردَّته ؛ لأن من شرط الصحابي : أن يلقى النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً ثم يموت علىٰ ذٰلك .

(٤) كمقيس بن صبابة وعبد الله بن خطل وغيرهما .

فقالَ لهُ الراهبُ : ألا تسمعُ ؟ قالَ : بلىٰ ، قالَ : أخبرني أيُّ أخلاقِ بني آدمَ أعونُ لكَ عليهِم ؟ قالَ : الحِدَّةُ ؛ إنَّ الرَّجلَ إذا كانَ حديداً . . قلبناهُ كما يقلِبُ الصِّبيانُ الكُرةَ)[١] ، أعاذَنا اللهُ مِنْ شرِّ الشيطانِ وشِرْكِهِ .

خاتمة

في فضلِ كظْمِ الغيظِ والعفوِ

أخرجَ أبو داوودَ وابنُ أبي الدُّنيا : « مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَىٰ إِنْفَاذِهِ . . مَلَأَ ٱللهُ قَلْبَهُ أَمْناً وَإِيمَاناً »[٢] .

وابنُ عساكرَ : « وَجَبَتْ مَحَبَّةُ ٱللهِ عَلَىٰ مَنْ أُغضِبَ فَحَلَمَ »[٣] .

وابنُ السنّيِّ : « مَا أُضِيفَ شَيْءٌ إِلَىٰ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ حِلْمٍ إِلَىٰ عِلْمٍ »[٤] .

وابنُ شاهينَ : « مَا أَعَزَّ ٱللهُ أَحَداً بِجَهْلٍ قَطُّ ، وَمَا أَذَلَّ ٱللهُ بِحِلْمٍ قَطُّ ، وَلَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ شَيْئاً مِنْ مَالٍ قَطُّ »[٥] .

---

(١) أورد هـٰذه القصة بلفظها الإمام الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/٥٩١) ، وأخرج نحوها أبو نعيم في « الحلية » (٤/٥٢) .

(٢) سنن أبي داوود (٤٧٤٤ ، ٤٧٤٥) عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم ، وعزاه في « كنز العمال » (٥٨٢٢) لابن أبي الدنيا في « ذم الغضب » عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) تاريخ دمشق (١٤/٤٠٤) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٤) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٦٣٧١) ، وعزاه في « كنز العمال » (٥٨٢٩) لابن السني عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه ، وأخرج نحوه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٨٤٣) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٥) أخرجه ابن الأعرابي في « معجمه » (١١٥٣) ، وعزاه في « كنز العمال » (٥٨٣٠) لابن شاهين عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

والترمذيُّ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَيْهِ ٱلنَّارُ ؟ » قلنا : بلىٰ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : « يَحْرُمُ عَلَىٰ كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ »[1] .

والخطيبُ : « ٱلْحَلِيمُ : سَيِّدٌ فِي ٱلدُّنْيَا ، وَسَيِّدٌ فِي ٱلْآخِرَةِ »[2] ، « كَادَ ٱلْحَلِيمُ أَنْ يَكُونَ نَبِيّاً »[3] .

[مِنْ حِلمِ النبيِّ ﷺ]

وقالَ أنسٌ : (كنتُ أمشي معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعليهِ بُردٌ نَجْرانيٌّ غليظُ الحاشيةِ ، فأدركَهُ أعرابيٌّ ، فجذبَهُ بردائِهِ جذْبةً شديدةً ، فنظرتُ إلىٰ صفحةِ عاتِقِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقد أثَّرتْ بها حاشيةُ الرِّداءِ مِنْ شِدَّةِ جذبتِهِ ، ثمَّ قالَ : يا محمدُ ؛ مُرْ لي مِنْ مالِ اللهِ الذي عندَكَ ، فالتفتَ فضحكَ ، ثمَّ أمرَ لهُ بعطاءٍ)[4] .

[حِلمُ أبي عثمانَ الحِيريِّ عندَما أُلقِيَ عليهِ رمادٌ]

وحكى اليافعيُّ : أنَّ الشيخَ أبا عثمانَ الحِيريَّ اجتازَ بسِكَّةٍ وقتَ الهاجرةِ ، فأُلقِيَ عليهِ رمادٌ مِنْ سطحٍ ، فتغيَّرَ أصحابُهُ ، وبسطوا ألسنتَهُم في المُلقي ، فقالَ أبو عثمانَ : (لا تقولوا شيئاً ؛ مَنِ استحقَّ أن يُصَبَّ عليهِ النَّارُ ، فصُولِحَ على الرَّمادِ . . لم يَجُزْ لهُ أن يغضبَ !!)[5] .

---

(١) سنن الترمذي (٢٤٨٨) بنحوه عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) عزاه في « كنز العمال » (٥٨١٠) للخطيب البغدادي عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) عزاه في « كنز العمال » (٥٨١٣) للخطيب البغدادي عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وقال العلامة المناوي رحمه الله تعالىٰ في « فيض القدير » (٥٤١/٤) نقلاً عن العسكري : (كذا يرويه المحدثون ، ولا تكاد العرب تجمع بين « كاد » و« أن » وبهٰذا نزل القرآن) .

(٤) أخرجه البخاري (٣١٤٩) ، ومسلم (١٠٥٧) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٥) أوردها الإمام القشيري في « رسالته » (ص ٥٣٤) .

[لأغُمَّنَّ مَنْ أمرَكَ]

وحُكِيَ أيضاً : (أنَّهُ كانَ لبعضِ النُّسَّاكِ شاةٌ ، فرآها علىٰ ثلاثِ قوائمَ ، قالَ : مَنْ فعلَ هٰذا بها ؟! فقالَ غلامٌ لهُ : أنا .

فقالَ : لِمَ ؟ قالَ : لِأَغُمَّكَ بها ، فقالَ : لا ؛ بل لأغُمَّنَّ مَنْ أمرَكَ بها ، اذهبْ فأنتَ حرٌّ)[1] .

[ممَّنْ تَعلَّمَ الأحنفُ الحِلمَ ؟]

وحُكِيَ أيضاً : أنَّهُ قيلَ للأحنفِ بنِ قيسٍ : (ممَّنْ تعلَّمتَ الخُلُقَ ؟ فقالَ : مِنْ قيسِ بنِ عاصمٍ المنذريِّ ، قيلَ : وما بلغَ مِنْ خُلُقِهِ ؟

قالَ : بينَما هوَ جالسٌ في دارِهِ . . إذ جاءَتْ خادمةٌ لهُ بشواءٍ ، فسقطَ مِنْ يدِها على ابنٍ لهُ فماتَ ، فدُهِشَتِ الجاريةُ ، فقالَ : لا رَوْعَ عليكِ ، أنتِ حُرَّةٌ لوجهِ اللهِ تعالىٰ)[2] .

نسألُ اللهَ الكريمَ : أن يُطهِّرَ قلوبَنا مِنَ الذُّنوبِ الباطنةِ ، ويرزقَنا الأخلاقَ الحسنةَ ؛ آمينَ .

* * *

---

(١) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٥٣٠) .

(٢) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٥٣٠) .

باب الغيبة

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ (١) .

أخرجَ البيهقيُّ والطبرانيُّ وأبو الشيخِ وابنُ أبي الدُّنيا عن جابرٍ وأبي سعيدٍ قالا : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِيَّاكُمْ وَٱلْغِيبَةَ ؛ فَإِنَّ ٱلْغِيبَةَ أَشَدُّ مِنَ ٱلزِّنَا » قِيلَ لَهُ : كَيْفَ ذَٰلِكَ ؟ قَالَ : « إِنَّ ٱلرَّجُلَ قَدْ يَزْنِي وَيَتُوبُ ، فَيَتُوبُ ٱللهُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ ٱلْغِيبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّىٰ يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ » (٢) .

وأبو يعلىٰ : « أَتَدْرُونَ أَزْنَى ٱلزِّنَا عِنْدَ ٱللهِ ؟ » (٣) قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ ، قالَ : « فَإِنَّ أَزْنَى ٱلزِّنَا عِنْدَ ٱللهِ : ٱسْتِحْلَالُ عِرْضِ ٱمْرِئٍ مُسْلِمٍ » ، ثمَّ قرأَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الحجرات : (١٢) .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٥١٣) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٥٨٦) ، وابن أبي الدنيا في « ذم الغيبة » (٢٦) ، وعزاه في « كنز العمال » (٨٠٢٦) إلىٰ من ذكر ولأبي الشيخ في « التوبيخ » .

(٣) في (أ ، ج ، هـ) : (أربى الربا) في الموضعين ، والمثبت من (ب) ، وهو موافقٌ لما في « مسند أبي يعلىٰ » .

(٤) سورة الأحزاب : (٥٨) ، والحديث في « مسند أبي يعلىٰ » (٤٦٨٩) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

ومسلمٌ وأبو داوودَ : « أَتَدْرُونَ مَا ٱلْغِيبَةُ ؟ » قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ ، قالَ : « ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ » .

قيلَ : أفرأيتَ إن كانَ في أخي ما أقولُ ؟ قالَ : « إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ . . فَقَدِ ٱغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ . . فَقَدْ بَهَتَّهُ »(١) .

وأبو داوودَ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : قلتُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كذا وكذا ـ تعني قِصرَها ـ قالَ : « لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ ٱلْبَحْرِ . . لَمَزَجَتْهُ »(٢) أي : لأنتنَتْهُ وغيَّرَتْ ريحَهُ .

وابنُ أبي الدُّنيا عن سُميَّةَ قالَتْ : (قلتُ لامرأةٍ مرةً وأنا عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إنَّ هٰذهِ لَطَوِيلَةُ ٱلذَّيْلِ ، فقالَ : « ٱلْفِظِي ، ٱلْفِظِي » أيِ : ارمي ما في فيكِ ، فلفظتُ مُضْغةً) أي : قطعةً مِنْ لحمٍ(٣) .

وأبو الشيخِ : « مَنْ أَكَلَ لَحْمَ أَخِيهِ فِي ٱلدُّنْيَا . . قُرِّبَ إِلَيْهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : كُلْهُ مَيْتاً كَمَا أَكَلْتَهُ حَيّاً ، فَيَأْكُلُهُ وَيَكْلَحُ وَيَضِجُّ »(٤) .

وابنُ أبي الدُّنيا : « مَنِ ٱغْتِيبَ عِنْدَهُ أَخُوهُ ٱلْمُسْلِمُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ نَصْرَهُ . . أَذَلَّهُ ٱللهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ »(٥) .

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٨٩) ، وسنن أبي داوود (٤٨٤١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سنن أبي داوود (٤٨٤٢) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « ذم الغيبة » (٧٨) لكن عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في « ذم الغيبة » (٤٠) ، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (١٠/٤٧٠) ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٧/٥٧٢) لأبي يعلىٰ وابن المنذر وابن مردويه عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) ذم الغيبة والنميمة (١٠٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

وأحمدُ عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ : كنَّا معَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فارتفعَتْ ريحٌ مُنتِنةٌ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَتَدْرُونَ مَا هَـٰذِهِ ٱلرِّيحُ ؟ هَـٰذِهِ رِيحُ ٱلَّذِينَ يَغْتَابُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ »[1] .

وهوَ عنِ ابنِ عباسٍ قالَ : ليلةَ أُسريَ بنبيِّ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نظرَ في النَّارِ ؛ فإذا قومٌ يأكلونَ الجِيَفَ ، قالَ : « مَنْ هَـٰؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَـٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ ٱلنَّاسِ »[2] .

وقالَ الحسنُ : (واللهِ ؛ لَلغِيبةُ أسرعُ فساداً في دينِ المؤمنِ مِنَ الأكَلَةِ في الجسدِ)[3] .

وقالَ ابنُ عباسٍ : (إذا أردتَ أن تذكرَ عيوبَ صاحبِكَ .. فاذكرْ عيوبَكَ)[4] .

وقيلَ : (يُؤتَى العبدُ يومَ القيامةِ كتابَهُ ، ولا يَرىٰ فيه حسنةً ، فيقولُ : أينَ صلاتي وصيامي وطاعتي ؟! فيُقالُ : ذهبَ عملُكَ كلُّهُ باغتيابِكَ النَّاسَ)[5] .

وقيلَ للحسنِ البصريِّ : إنَّ فلاناً اغتابَكَ ، فبعثَ إليهِ طبقَ حلوىٰ ، وقالَ : (بلغَني أنَّكَ أهديتَ إليَّ حسناتِكَ ، فكافأتُكَ)[6] .

---

(١) مسند أحمد (٣/٣٥١) .

(٢) مسند أحمد (١/٢٥٧) من حديث طويل .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (١٩١) .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (١٩٣) ، وانظر « إحياء علوم الدين » (٥/٥٠٨) .

(٥) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٤٠٠) .

(٦) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٤٠١) .

[عاقبةُ الغِيبةِ في الدُّنيا قبلَ الآخِرَةِ]

وحكى القشيريُّ عن أبي جعفرٍ البَلْخيِّ قالَ : (إنَّهُ كانَ عندَنا شابٌّ مِنْ أهلِ بَلْخَ ، وكانَ يجتهدُ ويتعبَّدُ ، إلَّا أنَّهُ كانَ يغتابُ النَّاسَ ، ويقولُ : فلانٌ كذا وكذا ، فرأيتُهُ يوماً عندَ المُخنَّثينَ الغسَّالينَ ، فخرجَ مِنْ عندِهِم ، فقلتُ : يا فلانُ ؛ ما حالُكَ ؟

فقالَ : تلكَ الوقيعةُ في النَّاسِ أوقعَتْني إلىٰ هـٰذا ؛ ابتُليتُ بمُخنَّثٍ مِنْ هـٰؤلاءِ ، وأنا هوَ ذا أخدمُهُم مِنْ أجلِهِ ، وتلكَ الأحوالُ كلُّها قد ذهبَتْ عنِّي ، فادعُ اللهَ لي ؛ لعلَّ اللهَ يرحمُني)[1] .

[قصَّةُ الجُنيدِ والفقيرِ]

وحكى اليافعيُّ عنِ الجُنيدِ أنَّهُ قالَ : (كنتُ جالساً في مسجدِ الشُّونيزيَّةِ ، أنتظرُ جنازةً أُصلِّي عليها ، فرأيتُ فقيراً عليه أثرُ النُّسُكِ يسألُ النَّاسَ ، فقلتُ في نفسي : لو عملَ هـٰذا عملاً يصونُ بهِ نفسَهُ عنِ المسألةِ . . كانَ أجملَ بهِ .

فلمَّا انصرفتُ إلىٰ منزلي وكانَ لي شيءٌ مِنَ الأورادِ باللَّيلِ ؛ مِنَ البكاءِ والصَّلاةِ وغيرِ ذٰلكَ . . فثقُلَ عليَّ جميعُ أورادي ، فسهِرتُ وأنا قاعدٌ ، فغلبَني النَّومُ ، فرأيتُ ذٰلكَ الفقيرَ قد جيءَ بهِ علىٰ خِوانٍ كالشاةِ المشويَّةِ ، فقيلَ لي : كُلْ لحمَهُ ؛ فقدِ اغتبتَهُ ، وكُشِفَ ليَ الحالُ .

فقلتُ : ما اغتبتُهُ ، وإنَّما قلتُ في نفسي شيئاً !!

فقيلَ لي : ما أنتَ ممَّنْ يُرضىٰ منكَ مثلُ هـٰذا ؟! فاذهبْ واستحِلَّ منهُ .

فلمَّا أصبحتُ . . لم أزلْ في طلبِهِ حتىٰ رأيتُهُ في موضعٍ ، يلتقطُ مِنَ

---

(١) الرسالة القشيرية (ص ٤٠٢) بإسناده .

الماءِ عندَ تردُّدِ الماءِ أوراقاً مِنَ البقْلِ ممَّا تساقطَ مِنْ غسلِ البقْلِ ، فسلَّمتُ عليهِ ، فردَّ عليَّ وقالَ : أتعودُ يا أبا القاسمِ ؟ قلتُ : لا ، قالَ : اذهبْ ، غفرَ اللهُ لنا ولكَ)[١] .

تنبيهٌ

[في أنَّ الغِيبةَ مِنَ الكبائرِ]

إنَّ الغِيبةَ حرامٌ إجماعاً ، بل قالَ كثيرونَ : إنَّها كبيرةٌ ، وقد نقلَ القرطبيُّ المُفسِّرُ وغيرُهُ الإجماعَ علىٰ أنَّها مِنَ الكبائرِ ؛ لِما فيها مِنَ الوعيدِ الشديدِ[٢] ، لـٰكنْ حملَهُ بعضُهُم علىٰ غِيبةِ أهلِ العلمِ وحمَلَةِ القرآنِ .

وكذا استماعُها والسكوتُ عليها معَ القدرةِ علىٰ دفعِها[٣] .

❁ ❁ ❁

واعلمْ : أنَّ حدَّ الغِيبةِ المُحرَّمةِ : أن تَذكُرَ ـ ولو بنحوِ إشارةٍ وكتابةٍ وحتىٰ بالقلبِ ـ غيرَكَ الغائبَ المحصورَ المُعيَّنَ للسامعِ ؛ حيّاً كانَ أو ميِّتاً ، بما يُكرَهُ عُرفاً أن يُذْكَرَ بهِ ممَّا هوَ فيهِ ؛ بحضرتِهِ أو غَيبتِهِ .

ويجبُ علىٰ مَنِ اغتابَ : أن يُبادِرَ إلى التَّوبةِ بشروطِها ؛ فيُقلعَ ويندمَ ، ويستغفرَ للمُغتابِ إن لم يعلمْ بها ، وإلَّا . . استحلَّهُ منها ؛ فإن تعذَّرَ لموتِهِ ، أو تعسَّرَ لغَيبتِهِ . . استغفرَ اللهَ لهُ ولنفسِهِ ، ولا يكفي تحليلُ وارثِهِ .

❁ ❁ ❁

---

(١) ذكرها القشيري في « رسالته » بإسناده (ص ٤٠١ ـ ٤٠٢) .

(٢) تفسير القرطبي (٣٣٧/١٦) .

(٣) انظر تفصيل هـٰذه الأحكام عند الإمام الفقيه ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢٤/٢) وما بعدها ، ورده علىٰ من قال : إنها من الصغائر ، ومن قال بأنها الوقيعة في أهل العلم الشريف .

باب النّميمة

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴾[1] .

أخرجَ الشيخانِ عن حذيفةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ نَمَّامٌ »[2] .

والطبرانيُّ : « لَيْسَ مِنِّي ذُو حَسَدٍ وَلَا نَمِيمَةٍ وَلَا كَهَانَةٍ ، وَلَا أَنَا مِنْهُ »[3] .

وأحمدُ : « خِيَارُ أُمَّتِي : ٱلَّذِينَ إِذَا رُؤُوا . . ذُكِرَ ٱللهُ ، وَشِرَارُ أُمَّتِي : ٱلْمَشَّاؤُونَ بِٱلنَّمِيمَةِ ، ٱلْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ ٱلْأَحِبَّةِ ، ٱلْبَاغُونَ ٱلْبُرَآءَ ٱلْعَنَتَ »[4] .

وابنُ حِبَّانَ في « صحيحِهِ » : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ ٱلصِّيَامِ وَٱلصَّلَاةِ وَٱلصَّدَقَةِ ؟ » قالوا : بلىٰ ، قالَ : « إِصْلَاحُ ذَاتِ ٱلْبَيْنِ ؛ فَإِنَّ إِفْسَادَ ذَاتِ ٱلْبَيْنِ هِيَ ٱلْحَالِقَةُ »[5] ، وصحَّحَهُ الترمذيُّ ، ثمَّ قالَ : ويُروىٰ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « هِيَ ٱلْحَالِقَةُ ، لَا أَقُولُ : تَحْلِقُ ٱلشَّعَرَ ، وَلَٰكِنْ تَحْلِقُ ٱلدِّينَ »[6] .

[مُنِعوا القطْرَ بسببِ نمَّامٍ]

وروىٰ كعبُ الأحبارِ : أنَّهُ أصابَ بني إسرائيلَ قحطٌ ، فاستسقىٰ موسىٰ

---

(١) سورة القلم : (١٠ ـ ١١) .

(٢) صحيح البخاري (٦٠٥٦) ، وصحيح مسلم (١٠٥) واللفظ له .

(٣) عزاه في « كنز العمال » (٧٤٤٥) للطبراني عن سيدنا عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه .

(٤) مسند أحمد (٤/٢٢٧) عن سيدنا عبد الرحمـٰن بن غَنْمٍ رضي الله عنه .

(٥) صحيح ابن حبان (٥٠٩٢) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٦) سنن الترمذي (٢٥٠٩) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ مراتٍ ، فما أُجيبَ ، فأوحى اللهُ إليهِ : « إِنِّي لَا أَسْتَجِيبُ لَكَ وَلَا لِمَنْ مَعَكَ وَفِيكُمْ نَمَّامٌ قَدْ أَصَرَّ عَلَى ٱلنَّمِيمَةِ » ، فقالَ : « يَا رَبِّ ؛ مَنْ هُوَ حَتَّىٰ نُخْرِجَهُ مِنْ بَيْنِنَا ؟ » فقالَ : « يَا مُوسَىٰ ؛ أَنْهَاكُمْ عَنِ ٱلنَّمِيمَةِ وَأَكُونُ نَمَّاماً ؟! » فتابوا بأجمعِهِم ، فسُقُوا [1] .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ : (إنَّ ولدَ الزِّنا لا يكتُمُ الحديثَ) [2] ، فعدمُ كتمِهِ المُستلزِمُ للمشيِ بالنَّميمةِ . . دليلٌ علىٰ أنَّ فاعلَ ذٰلكَ ولدُ الزِّنا .

وقيلَ : (عملُ النمَّامِ أضرُّ مِنْ عملِ الشيطانِ ؛ لأنَّ عملَ الشيطانِ بالوسوسةِ ، وعملَ النمَّامِ بالمواجهةِ) [3] .

[نمَّامٌ قتلَ الزَّوجَينِ وأفسدَ بينَ قبيلتَينِ]

وحُكِيَ : (أنَّهُ نُوديَ علىٰ بيعِ عبدٍ ليسَ فيهِ عيبٌ إلَّا أنَّه نمَّامٌ ، فاشتراهُ مَنِ استخفَّ هٰذا العيبَ ، فلم يمكثْ عندَهُ أيَّاماً حتىٰ نَمَّ لزوجتِهِ : أنَّهُ يُريدُ التزوُّجَ أوِ التسرّي ، وأمرَها أنِ اتخذي الموسىٰ واحلِقي بها شعراتٍ مِنْ حلْقِهِ ؛ ليسحرَهُ لها ، فصدَّقَتْهُ ، وعزمَتْ علىٰ ذٰلكَ .

فجاءَ إليهِ ، ونمَّ لهُ عنها : أنَّها اتخذَتْ لها موسىٰ وتُريدُ ذبحَكَ اللَّيلةَ [4] ،

---

(١) أوردها الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥/٥٥١) ، وابن حجر في « الزواجر » (٢/٤٥) في الكبيرة (٢٥٢) .

(٢) أورده الحافظ الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ١٧٤) ، ضمن الكبيرة (٤٣) ، والعلامة ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢/٤١) ضمن الكبيرة (٢٥٢) ، واستنبط ابن المبارك رحمه الله تعالىٰ ذٰلك من قوله جل وعلا : ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [القلم ١١ ـ ١٣] أي : دَعيّ .

(٣) ذكر ذٰلك الإمام أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالىٰ في « تنبيه الغافلين » (ص ١٧٢) .

(٤) في المصدرين : (أنها اتخذت لها خدناً أحبته ، وتريد ذبحك الليلة) .

فتناوَمْ لترىٰ ذٰلكَ ، فصدَّقَهُ فتناومَ ، فجاءَتْ لتحلقَ ، فقالَ : صدقَ الغلامُ ، فلمَّا هوَتْ إلىٰ حلْقِهِ . . أخذ الموسىٰ منها وذبحَها ، فجاءَ أهلُها ، فرأَوها مقتولةً ، فقتلوهُ ، فوقعَ القتالُ بينَ الفريقَينِ بشُؤمِ ذٰلكَ النمَّامِ)[1] .

[مُلِئ قبرُها ناراً بنميمتِها]

وحُكِيَ أيضاً : (أنَّ رجلاً ماتَتْ أختُهُ ، فلمَّا دُفِنَتْ . . سقطَ مِنْ جيبِهِ في قبرِها ذهبٌ كانَ معَهُ ، فرجعَ ليلاً ونبشَ القبرَ ، فوجدَهُ مُمتلِئاً ناراً ، فرجعَ إلىٰ أمِّهِ فقالَ لها : أخبريني : ما كانَتْ تفعلُ أختي مِنَ المُنكَرِ ؟

فقالَتْ لهُ : لا أعرفُ مُنكَراً إلَّا أنَّها كانَتْ تخرجُ ليلاً ، فتستمعُ علىٰ أبوابِ الجيرانِ ما يقولونُ وتنُمُّ بهِ ، فيقعُ بذٰلكَ بينَهُم فتنةٌ ، فقالَ : هوَ ذٰلكَ ، وأخبرَها بالحالِ) ، عافانا اللهُ مِنْ ذٰلكَ بمنِّهِ .

تَنْبِيهٌ

[في الإجماعِ علىٰ تحريمِ النَّميمةِ]

قالَ الحافظُ المنذريُّ : (اجتمعتِ الأئمَّةُ علىٰ تحريمِ النَّميمةِ ، وأنَّها مِنْ أعظمِ الذُّنوبِ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ)[2] .

وقدِ اتفقَ العلماءُ علىٰ أنَّها مِنَ الكبائرِ ؛ وهيَ : نقلُ كلامِ بعضِ النَّاسِ إلىٰ بعضٍ علىٰ وجهِ الإفسادِ بينَهُم ، أمَّا نقلُ الكلامِ نصيحةً للمنقولِ إليهِ . . فواجبٌ .

---

(١) أوردها أبو الليث السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ١٧١) ، والذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ١٧٥) ، وابن حجر في « الزواجر » (٤٥/٢) واللفظ له .

(٢) انظر « الترغيب والترهيب » (٤٨٤/٣) بعد الحديث (٤١٥٥) .

خاتمة

[في ذمِّ ذي الوجهَينِ واللسانَينِ]

أخرجَ الشيخانِ : « تَجِدُونَ شَرَّ ٱلنَّاسِ ذَا ٱلْوَجْهَيْنِ ؛ ٱلَّذِي يَأْتِي هَـٰؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَـٰؤُلَاءِ بِوَجْهٍ »(١) .

والطبرانيُّ : « ذُو ٱلْوَجْهَيْنِ فِي ٱلدُّنْيَا يَأْتِي يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلَهُ وَجْهَانِ مِنْ نَارٍ »(٢) .

وهوَ والأصبهانيُّ : « مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ . . جَعَلَ ٱللهُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ لِسَانَيْنِ مِنْ نَارٍ »(٣) .

وقالَ الغزاليُّ : (ذو اللِّسانَينِ : مَنْ يتردَّدُ بينَ مُتعاديَينِ ، ويُكلِّمُ كلّاً بما يُوافِقُهُ ، وقلَّ مَنْ يتردَّدُ بينَ مُتعاديَينِ إلَّا وهوَ بهـٰذهِ الصفةِ ، وهـٰذا عينُ النِّفاقِ) والعياذُ بالخلَّاقِ(٤) .

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٩٤) ، وصحيح مسلم (٢٥٢٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٢٧٤) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٨٨٠) ، والأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (١٢٩) عن سيدنا أنسٍ رضي الله عنه .

(٤) نقل هـٰذا الكلام عن الإمام الغزالي العلامة ابن حجر في « الزواجر » (٢/٤٨) ضمن الكبيرة (٢٥٣) .

باب الكذب

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1] .

أخرجَ أحمدُ والشيخانِ والأربعةُ وغيرُهُم عن جماعةٍ مِنَ الصَّحابةِ مِن طرقٍ كثيرةٍ صحيحةٍ بلغَتِ التواترَ قالوا : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً . . فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ »[2] .

والشيخانِ : « عَلَيْكُمْ بِٱلصِّدْقِ ؛ فَإِنَّ ٱلصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى ٱلْبِرِّ ، وَٱلْبِرَّ يَهْدِي إِلَى ٱلْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ ٱلرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى ٱلصِّدْقَ . . حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ ٱللهِ صِدِّيقاً .

وَإِيَّاكُمْ وَٱلْكَذِبَ ؛ فَإِنَّ ٱلْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى ٱلْفُجُورِ ، وَٱلْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى ٱلنَّارِ ، وَمَا يَزَالُ ٱلْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى ٱلْكَذِبَ . . حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ ٱللهِ كَذَّاباً »[3] .

وهُما : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ . . كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ . . كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ ٱلنِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا : إِذَا حَدَّثَ . . كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ . . أَخْلَفَ ، وَإِذَا عَاهَدَ . . غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ . . فَجَرَ »[4] .

---

(١) سورة آل عمران : (٦١) .

(٢) أخرجه البخاري (١٠٧) ، ومسلم (٣) ، وأبو داوود (٣٦٤٣) ، والترمذي (٢٦٥٩) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٥٨٨١) ، وابن ماجه (٣٣) ، وأحمد (٧٨/١) .

(٣) صحيح البخاري (٦٠٩٤) ، وصحيح مسلم (١٠٥/٢٧٠٦) واللفظ له .

(٤) صحيح البخاري (٢٤٥٩) ، وصحيح مسلم (٥٨) عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

وأحمدُ وأبو الشيخِ : « إِيَّاكُمْ وَٱلْكَذِبَ ؛ فَإِنَّ ٱلْكَذِبَ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ »[1] .

[ذمُّ الكذبِ والتحذيرُ منهُ]

والترمذيُّ وأبو نُعيمٍ : « إِذَا كَذَبَ ٱلْعَبْدُ كَذْبَةً . . تَبَاعَدَ عَنْهُ ٱلْمَلَكُ مِيلاً مِنْ نَتْنِ مَا جَاءَ بِهِ »[2] .

والحاكمُ : « كَفَىٰ بِٱلْمَرْءِ مِنَ ٱلْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ، وَكَفَىٰ بِٱلْمَرْءِ مِنَ ٱلشُّحِّ أَنْ يَقُولَ : آخُذُ حَقِّي لَا أَتْرُكُ مِنْهُ شَيْئاً »[3] .

وأحمدُ وأبو داوودَ : « وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ ؛ لِيُضْحِكَ بِهِ ٱلْقَوْمَ ، وَيْلٌ لَهُ ، وَيْلٌ لَهُ !! »[4] .

وأحمدُ : « خَمْسٌ لَيْسَ لَهُنَّ كَفَّارَةٌ : ٱلشِّرْكُ بِٱللهِ ، وَقَتْلُ ٱلنَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَبَهْتُ ٱلْمُؤْمِنِ ، وَٱلْفِرَارُ مِنَ ٱلزَّحْفِ ، وَيَمِينٌ صَابِرَةٌ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالاً بِغَيْرِ حَقٍّ »[5] .

والبخاريُّ : « مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ . . كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ ، وَمَنِ ٱسْتَمَعَ إِلَىٰ حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ . . صُبَّ فِي أُذُنِهِ ٱلْآنُكُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[6] .

---

(١) مسند أحمد (٥/١) ، وعزاه في « كنز العمال » (٨٢٠٦) لأبي الشيخ في « التوبيخ » عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢) سنن الترمذي (١٩٧٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٩٧/٨) .

(٣) مستدرك الحاكم (٢١/٢) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٤) سنن أبي داوود (٤٩٨٦) ، ومسند أحمد (٥/٥) عن سيدنا معاوية بن حَيْدة رضي الله عنه .

(٥) مسند أحمد (٣٦٢/٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) صحيح البخاري (٧٠٤٢) عن سيدنا ابن عباسٍ رضي الله عنهما .

وأحمدُ وابنُ أبي الدُّنيا : « مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ : تَعَالَ هَاكَ ، ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ . . فَهِيَ كَذْبَةٌ »[1] .

وابنُ حِبَّانَ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : (ما كانَ مِنْ خُلُقٍ أبغضَ إلىٰ رسولِ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ مِنَ الكذبِ ؛ ما اطَّلعَ علىٰ أحدٍ مِنْ ذٰلكَ بشيءٍ ، فيخرجُ مِنْ قلبهِ حتىٰ يعلمَ أنَّهُ أحدثَ توبةً)[2] .

[قصَّةُ مُعاهدةِ الشيخِ الجيلانيِّ أمَّهُ على الصِّدقِ]

وحكى اليافعيُّ عنِ الشيخِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ قائلٍ قالَ : (كنتُ عندَ الشيخِ عبدِ القادرِ رحمَهُ اللهُ ونفعَنا بهِ ، فسألَهُ سائلٌ : عَلَامَ بنيتَ أمرَكَ ؟ قالَ : على الصِّدقِ ، وما كذبتُ قطُّ .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : كنتُ صغيراً في بلادِنا ، فخرجتُ في يومِ عرفةَ ، وتبعتُ بقرةَ حِراثةٍ ، فالتفتَتْ إليَّ وقالَتْ : يا عبدَ القادرِ ؛ ما لهٰذا خُلِقْتَ ، ولا بهٰذا أُمِرْتَ .

فرجعتُ فَزِعاً إلىٰ دارِنا ، وصعِدتُ سطحَ الدَّارِ ، فرأيتُ الناسَ واقفينَ بعرفاتٍ ، فجئتُ إلىٰ أمِّي ، فقلتُ لها : هبيني للهِ عزَّ وجلَّ ، وائذني لي في المسيرِ إلىٰ بغدادَ ؛ أشتغلُ بالعلمِ وأزورُ الصالحينَ .

فسألَتْني عن سببِ ذٰلكَ ، فأخبرتُها بخبري ، فبكَتْ وقامَتْ إليَّ بثمانينَ ديناراً أورثَها أبي ، فتركَتْ لأخي أربعينَ ديناراً ، وخاطَتْ في دَلَقي تحتَ إبطي أربعينَ ديناراً ، وأذنَتْ لي بالمسيرِ ، وعاهدَتْني على الصِّدقِ في كلِّ

---

(١) مسند أحمد (٢/٤٥٢) ، وابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (١٥٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) صحيح ابن حبان (٥٧٣٦) بنحوه .

أحوالي ، وخرجَتْ مُودِّعةً ، وقالَتْ : يا ولدي ؛ اذهبْ قد أودعتُكَ اللهَ عزَّ وجلَّ ، فهـٰذا وجهٌ لا أراهُ إلىٰ يومِ القيامةِ .

وسرتُ معَ قافلةٍ صغيرةٍ تطلبُ بغدادَ ، فلمَّا تجاوزنا هَمَدانَ ، وكنَّا بأرضِ كذا وكذا ـ بلادٍ سمَّاها ـ . . . خرجَ علينا ستونَ فارساً فأخذوا القافلةَ ، ولم يتعرَّضْ لي أحدٌ ، فاجتازَ بي أحدُهُم وقالَ لي : يا فقيرُ ؛ ما معَكَ ؟ فقلتُ لهُ : أربعونَ ديناراً .

فقالوا : وأينَ هيَ ؟ قلتُ : مُخاطةٌ في دَلَقي تحتَ إبطي ، وظنَّ أنِّي استهزأتُ بهِ ، فتركني وانصرفَ ، ومرَّ بي آخَرُ ، وقالَ مثلَما قالَ الأوَّلُ ، فأجبتُهُ بجوابِ الأوَّلِ ، وتركَني وانصرفَ ، وتوافيا عندَ مُقدَّمِهِم ، فأخبراهُ بما سمعاهُ منِّي ، فقالَ : عليَّ بهِ .

فأُتيَ بي إليهِ ؛ فإذا هُم علىٰ تلٍّ يقتسمونَ أموالَ القافلةِ ، فقالوا لي : ما معَكَ ؟ فقلتُ : أربعونَ ديناراً .

فقالوا : وأينَ هيَ ؟ فقلتُ : مُخاطةٌ في دَلَقي تحتَ إبطي ، فأَمَر بدَلَقي ، ففُتِحَ فوجدَ فيهِ الأربعينَ ديناراً ، فقالَ لي : ما حملَكَ على الاعترافِ ؟! قلتُ : إنَّ أمِّي عاهدَتْني على الصِّدقِ ، وأنا لا أخونُ عهدَها .

فبكى المُقدَّمُ وقالَ : أنتَ لم تخنْ عهدَ أمِّكَ وأنا في كذا وكذا سنةً أخونُ عهدَ ربِّي ؟! فتابَ علىٰ يديَّ ، فقالَ أصحابُهُ : أنتَ كنتَ مُقدَّمَنا في قطعِ الطريقِ وأنتَ الآنَ مُقدَّمُنا في التَّوبةِ ، فتابوا كلُّهُم علىٰ يديَّ ، وردُّوا علىٰ أهلِ القافلةِ ما أخذوا منهُم ؛ فهُم أوَّلُ مَنْ تابَ علىٰ يديَّ)[١] ، نفعَنا اللهُ ببركتِهِ ، وحشرَنا في زمرتِهِ .

---

(١) ذكرها الإمام اليافعي في « خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر » (ص ٢٠٠) في الحكاية (١٢٤) وهو كتاب كالمتمم لكتاب « روض الرياحين » .

تَنْبِيهٌ

[في تعريفِ الكذبِ ومتىٰ يُباحُ ومتىٰ يجبُ ؟]

الكذبُ عندَ أهلِ السنَّةِ : هوَ الإخبارُ بالشيءِ علىٰ خلافِ ما هوَ عليهِ ؛ سواءٌ أعلمَ ذٰلكَ وتعمَّدَهُ أم لا ، وأمَّا العلمُ والتعمُّدُ . . فإنَّهما شرطانِ للإثمِ .

❋ ❋ ❋

واعلمْ : أنَّهُ قد يُباحُ وقد يجبُ ؛ فالضَّابطُ : أنَّ كلَّ مقصودٍ محمودٍ يُمكِنُ التوصُّلُ إليهِ بالصِّدقِ والكذبِ جميعاً . . فالكذبُ فيهِ حرامٌ ، وإن أمكنَ التوصُّلُ إليهِ بالكذبِ وحدَهُ . . فمباحٌ إن أُبيحَ تحصيلُ ذٰلكَ المقصودِ ، وواجبٌ إن وجبَ تحصيلُ ذٰلكَ ؛ كما لو رأىٰ معصوماً اختفىٰ مِنْ ظالمٍ يُريدُ قتلَهُ أو إيذاءَهُ . . فالكذبُ هنا واجبٌ ؛ لوجوب عِصمةِ دمِ المعصومِ .

وكذا لو سألَ ظالمٌ عن وديعةٍ يُريدُ أخذَها . . فيجبُ إنكارُها وإن كذبَ ، بل لوِ استُحلِفَ . . جازَ لهُ الحلِفُ ويُورِّي ، وإلَّا . . حَنِثَ ولزمَهُ الكفَّارةُ ، وقيلَ : يلزمُ الحلِفُ .

ومهما كانَ لا يَتِمُّ مقصودُ حربٍ ، أو إصطلاحُ ذاتِ البَينِ ، أو استمالةُ قلبِ المَجنيِّ عليهِ ، أو إرضاءُ زوجتِهِ إلَّا بالكذبِ فيهِ . . فمباحٌ .

ولو سألَهُ السلطانُ عن فاحشةٍ وقعَتْ منهُ سرّاً ؛ كزناً أو شربِ خمرٍ . . فلهُ أن يكذبَ ويقولَ : ما فعلتُ ذٰلكَ ، ولهُ أن يُنكِرَ أيضاً سِرَّ أخيهِ[1] .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « إحياء علوم الدين » (٥/٤٨٨ ـ ٤٨٩) ، و« الزواجر » (٢/٣٩٤) .

وحيثُ جازَ الكذبُ . . فهل يُشترَطُ التَّوريةُ أو يجوزُ مطلقاً ؟

قالَ شيخُنا ابنُ حجرٍ : (والذي يتَّجِهُ : عدمُ وجوبِ التَّوريةِ مطلقاً ، قالَ الغزاليُّ : والأحسنُ أن يُورِّيَ ؛ وهيَ : أن يُطلِقَ لفظاً وهوَ ظاهرٌ في معنىً ، وهوَ يُريدُ معنىً آخَرَ يتناولُهُ ذٰلكَ اللفظُ ؛ كما قالَ النَّخَعيُّ : إذا بلغَ [إنساناً] عنكَ [شيءٌ] قلتَهُ . . فقُلِ : اللهُ يعلمُ ما فعلتُ مِنْ ذٰلكَ مِنْ شيءٍ ، يفهمُ السامعُ النفيَ ، ومقصودُهُ بـ : « ما » أنَّها بمعنى « الذي »[1] .

وهوَ مباحٌ إن دَعَتْ إليهِ حاجةٌ ، وإلَّا . . فمكروهٌ ، وحرامٌ إن تُوصِّلَ بهِ إلىٰ باطلٍ أو دفعِ حقٍّ .

وقالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : ومِنَ الكذبِ الخفيِّ : أن يَرويَ الإنسانُ خبراً عمَّنْ لا يَعرفُ صدقَهُ مِنْ كذبِهِ)[2] .

حشرَنا اللهُ في زُمرةِ الصِّدِّيقينَ ، وأوليائِهِ المُقرَّبينَ ، الذينَ لا خوفٌ عليهِم ولا هُم يحزنونَ .

* * *

---

(١) انظر « إحياء علوم الدين » (٤٩٦/٥ ـ ٤٩٧) بنحوه .

(٢) انظر قول الإمام الشافعي رضي الله عنه في « الرسالة » (ص ١٠٢) ، والنقل بتمامه في « الزواجر » (٣٩٥/٢) ضمن الكبيرة (٤٤٠) .

بابُ الأمرِ بالمعروفِ والنّهيِ عنِ المنكرِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[1] .

وقالَ الغزاليُّ : (أفهمَتِ الآيةُ : أنَّ مَنْ هجرَهُما . . خرجَ مِنَ المؤمنينَ)[2] .

وقالَ القرطبيُّ : (جعلَهُما اللهُ فرْقاً بينَ المؤمنينَ والمُنافقينَ)[3] .

وأخرجَ مسلمٌ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَراً . . فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ . . فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ . . فَبِقَلْبِهِ ؛ وَذَٰلِكَ أَضْعَفُ ٱلْإِيمَانِ »[4] .

والبزَّارُ : « ٱلْإِسْلَامُ ثَمَانِيَةُ أَسْهُمٍ : ٱلْإِسْلَامُ ـ أي : الشهادتانِ ـ سَهْمٌ ، وَٱلصَّلَاةُ سَهْمٌ ، وَٱلزَّكَاةُ سَهْمٌ ، وَٱلصَّوْمُ سَهْمٌ ، وَحَجُّ ٱلْبَيْتِ سَهْمٌ ، وَٱلْأَمْرُ بِٱلْمَعْرُوفِ سَهْمٌ ، وَٱلنَّهْيُ عنِ ٱلْمُنْكَرِ سَهْمٌ ، وَٱلْجِهَادُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ سَهْمٌ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ لَا سَهْمَ لَهُ »[5] .

[التَّرهيبُ مِنْ تركِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عنِ المُنكَرِ]

والأصبهانيُّ : « لَا تَزَالُ : (لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللهُ) تَنْفَعُ مَنْ قَالَهَا ، وَتَرُدُّ

---

(١) سورة التوبة : (٧١) .

(٢) انظر « إحياء علوم الدين » (٤/٥٤٠) .

(٣) تفسير القرطبي (٤/٤٧) .

(٤) صحيح مسلم (٤٩) .

(٥) مسند البزار (٢٩٢٧) عن سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .

عَنْهُمُ ٱلعَذَابَ وَٱلنِّقْمَةَ . . مَا لَمْ يَسْتَخِفُّوا بِحَقِّهَا » قالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ وما الاستخفافُ بحقِّها ؟ قالَ : « يَظْهَرُ ٱلْعَمَلُ بِمَعَاصِي ٱللهِ فَلَا يُنْكَرُ وَلَا يُغَيَّرُ »[1] .

وهوَ أيضاً : « أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ مُرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا ٱللهَ فَلَا يَسْتَجِيبَ لَكُمْ ، وَقَبْلَ أَنْ تَسْتَغْفِرُوهُ فَلَا يَغْفِرَ لَكُمْ ؛ إِنَّ ٱلْأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ لَا يَدْفَعُ رِزْقاً وَلَا يُقَرِّبُ أَجَلاً ، وَٱلْأَحْبَارُ مِنَ ٱلْيَهُودِ وَٱلرُّهْبَانُ مِنَ ٱلنَّصَارَىٰ لَمَّا تَرَكُوا ٱلْأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ . . لَعَنَهُمُ ٱللهُ عَلَىٰ لِسَانِ أَنْبِيَائِهِمْ ، ثُمَّ عُمُّوا بِٱلْبَلَاءِ »[2] .

وأبــو داوودَ والترمذيُّ : « أَفْضَلُ ٱلْجِهَادِ : كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ »[3] .

ورزينٌ : « إِنَّ ٱلرَّجُلَ يَتَعَلَّقُ بِٱلرَّجُلِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَا لَكَ إِلَيَّ ؛ وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَعْرِفَةٌ ؟! فَيَقُولُ : كُنْتَ تَرَانِي عَلَى ٱلْخَطَأِ وَٱلْمُنْكَرِ وَلَا تَنْهَانِي »[4] .

والشيخانِ : « يُجَاءُ بِٱلرَّجُلِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، فَيُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ[5] ، فَيَدُورُ بِهَا فِي ٱلنَّارِ كَمَا يَدُورُ ٱلْحِمَارُ بِرَحَاهُ ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ ٱلنَّارِ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُونَ : يَا فُلَانُ ؛ مَا أَصَابَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُنَا بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا

---

(1) الترغيب والترهيب (٣٠٠) بإسناده عن سيدنا أنسٍ رضي الله عنه .

(2) الترغيب والترغيب (٢٩٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، والحديث يشير لقوله تعالىٰ : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨ ـ ٧٩] .

(3) سنن أبي داوود (٤٣٤٤) ، وسنن الترمذي (٢١٧٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(4) أورده ابن الأثير في « جامع الأصول » (٧٩٦١) وعزاه لرزين عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(5) في النسخ : (فيندلق) بالياء ، والمثبت من (ط) وهو موافق لما في « الصحيحين » .

عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ؟! فَيَقُولُ : قَدْ كُنْتُ آمُرُكُمْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَآتِيهِ »(١) .

والبيهقيُّ : « أَوْحَى ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : أَنِ ٱقْلِبْ مَدِينَةَ كَذَا وَكَذَا بِأَهْلِهَا ، فَقَالَ : يَا رَبِّ ؛ إِنَّ فِيهِمْ عَبْدَكَ فُلَاناً ، لَمْ يَعْصِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، قَالَ : فَقَالَ : ٱقْلِبْهَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّ وَجْهَهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ فِيَّ سَاعَةً قَطُّ »(٢) .

تنبيه

[في وجوبِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المُنكَرِ ودرجاتِهِ]

اعلمْ : أنَّ الأمرَ بواجباتِ الشرعِ والنَّهيَ عن مُحرَّماتِهِ واجبٌ علىٰ كلِّ مُكلَّفٍ ؛ مِنْ حُرٍّ وقِنٍّ ، وذكَرٍ وأنثىٰ ولو غيرَ مسموعِ القولِ . . وجوبَ كفايةٍ(٣) ، وقد يكونُ فرضَ عينٍ ؛ كما إذا كانَ بمحلٍّ لا يعلمُهُ غيرُهُ ، أو لا يقدرُ عليهِ غيرُهُ .

وأنَّهُ يُنكِرُ باليدِ ، ثمَّ إن عجزَ . . فباللِّسانِ(٤) ؛ فلو قدرَ واحدٌ باليدِ وآخرُ باللِّسانِ . . تعيَّنَ على الأوَّلِ ، إلَّا أن يكونَ الرجوعُ لذي اللِّسانِ أقربَ ، أو أنَّهُ يُرجَعُ لهُ ظاهراً وباطناً ، ولا يُرجَعُ لذي اليدِ إلَّا ظاهراً فقطْ . . فيتعيَّنُ علىٰ ذي اللِّسانِ .

---

(١) صحيح البخاري (٣٢٦٧) ، وصحيح مسلم (٢٩٨٩) عن سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧١٨٩) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٣) وذلك لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران ١٠٤] .

(٤) قال بعضهم : (التغيير باليد للأمراء ، وباللسان للعلماء ، وبالقلب للعامة) انظر « تنبيه الغافلين » (ص ٩٨) .

فعليهِ أن يُغيِّرَهُ بكلِّ وجهٍ أمكنَهُ ؛ فلا يكفي الوعظُ ممَّنْ أمكنَهُ إزالتُهُ باليدِ ، ولا كراهةُ القلبِ لِمَنْ قدرَ على النَّهيِ باللِّسانِ .

فإن عجزَ عنِ الإنكارِ باللِّسانِ ، أو لم يقدرْ وقدرَ على التَّعْبيسِ والهجرِ والنظرِ شَزْراً . . لزمَهُ ذٰلكَ ، ولا يكفيهِ إنكارُ القلبِ .

ولا يسقطُ الإنكارُ بالقلبِ عن مُكلَّفٍ أصلاً ؛ إذ هوَ كراهةُ المعصيةِ ، وهوَ واجبٌ علىٰ كلِّ مُكلَّفٍ ، بل ذهبَ جماعةٌ منهُم أحمدُ ابنُ حنبلٍ : أنَّ تركَ الإنكارِ بالقلبِ كفرٌ ، والعياذُ باللهِ [1] .

اللهمَّ ؛ اجعلنا مِنْ عبادِكَ الصالحينَ ، وأوليائِكَ المُقرَّبينَ ، الذينَ لا خوفٌ عليهِم ولا هُم يحزنونَ ، آمينَ [2] .

* * *

---

(١) استناداً إلى الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم (٤٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من رأىٰ منكم منكراً . . فليغيره بيده ، فإن لم يستطع . . فبلسانه ، فإن لم يستطع . . فبقلبه ؛ وذٰلك أضعف الإيمان » .

(٢) زاد في المطبوع : (آمين يا رب العالمين) .

بابُ الكسب

أخرجَ أحمدُ والطبرانيُّ عن أبي بُرْدَةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَفْضَلُ ٱلْكَسْبِ بَيْعٌ مَبْرُورٌ ، وَعَمَلُ ٱلرَّجُلِ بِيَدِهِ »(١) .

والبيهقيُّ عن مُعاذٍ : « إِنَّ أَطْيَبَ ٱلْكَسْبِ : كَسْبُ ٱلتُّجَّارِ ؛ ٱلَّذِينَ إِذَا حَدَّثُوا . . لَمْ يَكْذِبُوا ، وَإِذَا ٱؤْتُمِنُوا . . لَمْ يَخُونُوا ، وَإِذَا وَعَدُوا . . لَمْ يُخْلِفُوا ، وَإِذَا ٱشْتَرَوْا . . لَمْ يَذُمُّوا ، وَإِذَا بَاعُوا . . لَمْ يُطْرُوا ، وَإِذَا كَانَ دَيْنٌ عَلَيْهِمْ . . لَمْ يَمْطُلُوا ، وَإِذَا كَانَ لَهُمْ . . لَمْ يُعَسِّرُوا »(٢) .

وابنُ ماجه والحاكمُ عنِ ابنِ عمرَ : « ٱلتَّاجِرُ ٱلْأَمِينُ ٱلصَّدُوقُ ٱلْمُسْلِمُ مَعَ ٱلشُّهَدَاءِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »(٣) .

والأصبهانيُّ والديلميُّ عن أنسٍ : « ٱلتَّاجِرُ ٱلصَّدُوقُ تَحْتَ ظِلِّ ٱلْعَرْشِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »(٤) .

وسعيدُ بنُ منصورٍ عن نُعيمِ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ مُرسَلاً : « تِسْعَةُ أَعْشَارِ ٱلرِّزْقِ فِي ٱلتِّجَارَةِ ، وَٱلْعُشْرُ فِي ٱلْمَوَاشِي »(٥) .

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٤٦٦) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٤/٢٧٦) .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٥٤١٣) .

(٣) مستدرك الحاكم (٢/٦) ، وسنن ابن ماجه (٢٢٤٣) .

(٤) أخرجه الأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (٧٦٧) ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٢٤٤٥) .

(٥) عزاه الحافظ السيوطي في « الدر المنثور » (٢/٤٩٥) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٩٣٤٢) لسعيد بن منصور .

والطبرانيُّ عنِ ابنِ عمرَ : « لَوْ أَذِنَ ٱللهُ تَعَالَىٰ فِي ٱلتِّجَارَةِ لِأَهْلِ ٱلْجَنَّةِ . . لَٱتَّجَرُوا فِي ٱلْبَزِّ وَٱلْعِطْرِ »[1] .

والخطيبُ عن أبي هريرةَ : « عَلَيْكَ بِٱلْبَزِّ ؛ فَإِنَّ صَاحِبَ ٱلْبَزِّ يُعْجِبُهُ أَنْ يَكُونَ ٱلنَّاسُ بِخَيْرٍ وَفِي خِصْبٍ »[2] .

وابنا ماجه وحِبَّانَ : « يَا مَعْشَرَ ٱلتُّجَّارِ ؛ إِنَّ ٱلتُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فُجَّاراً إِلَّا مَنِ ٱتَّقَى ٱللهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ »[3] .

والطبرانيُّ عنِ ابنِ عباسٍ : « مَنْ أَمْسَىٰ كَالّاً مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ . . أَمْسَىٰ مَغْفُوراً لَهُ »[4] .

وأحمدُ والبخاريُّ عنِ [المِقدامِ] : « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ ٱللهِ دَاوُودَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ »[5] .

وأحمدُ وابنُ ماجه عن عُتبةَ بنِ [النُّدَّرِ] : « إِنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَجَرَ نَفْسَهُ ثَمَانِيَ سِنِينَ ـ أَوْ عَشْراً ـ عَلَىٰ عِفَّةِ فَرْجِهِ وَطَعَامِ بَطْنِهِ »[6] .

---

(١) عزاه في « كنز العمال » (٩٣٤٩) للطبراني .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٥١/١٠) .

(٣) صحيح ابن حبان (٤٩١٠) ، وسنن ابن ماجه (٢٢٥٠) واللفظ له ، وفيه : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا الناس يتبايعون بكرة ، فناداهم : « يا معشر التجار » فلما رفعوا أبصارهم ومدُّوا أعناقهم . . قال : « إن التجار يبعثون . . . » .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٥١٦) .

(٥) صحيح البخاري (٢٠٧٢) ، ومسند أحمد (١٣١/٤) .

(٦) سنن ابن ماجه (٢٥٥٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٣٥/١٧) ، وعزاه في « الدر المنثور » (٤٠٨/٦) لابن ماجه والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه ، ولم يعزه لأحمد ، وفي النسخ : (المنذر) ، والمثبت من مصادر التخريج .

والخطيبُ وابنُ عساكرَ عن سهلِ بنِ سعدٍ : « عَمَلُ ٱلْأَبْرَارِ مِنَ ٱلرِّجَالِ : ٱلْخِيَاطَةُ ، وَعَمَلُ ٱلْأَبْرَارِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ : ٱلْمِغْزَلُ »(١) .

وأحمدُ وابنُ ماجه عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : « إِذَا سَبَّبَ ٱللهُ لِأَحَدِكُمْ رِزْقاً مِنْ وَجْهٍ . . فَلَا يَدَعْهُ حَتَّىٰ يَتَغَيَّرَ لَهُ »(٢) .

خاتمة

[الدنيا بلاغٌ إلى الآخرةِ]

أخرجَ الطبرانيُّ عنِ المِقدامِ : « إِذَا كَانَ فِي آخِرِ ٱلزَّمَانِ . . لَا بُدَّ لِلنَّاسِ فِيهَا مِنَ ٱلدَّرَاهِمِ وَٱلدَّنَانِيرِ ؛ يُقِيمُ ٱلرَّجُلُ بِهَا دِينَهُ وَدُنْيَاهُ »(٣) .

وابنُ عساكرَ عن أنسٍ : « لَيْسَ بِخَيْرِكُمْ مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ ، وَلَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ حَتَّىٰ يُصِيبَ مِنْهُمَا جَمِيعاً ؛ فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا بَلَاغٌ إِلَى ٱلْآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا كَلّاً عَلَى ٱلنَّاسِ »(٤) .

تنبيه

[في بيانِ أفضلِ المكاسبِ]

أفضلُ المكاسبِ : التجارةُ ، وقالَ بعضُ المُحقِّقينَ : (أفضلُها الزراعةُ ، ثمَّ الصناعةُ ، ثمَّ التجارةُ)(٥) .

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٧/٩) .

(٢) سنن ابن ماجه (٢٢٥٢) ، ومسند أحمد (٢٤٦/٦) .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٧٩/٢٠) .

(٤) تاريخ دمشق (١٩٧/٦٥) .

(٥) فصَّل الإمام الماوردي رحمه الله تعالىٰ ذٰلك في « الحاوي الكبير » (١٧٩/١٩ ـ ١٨٠) ، وقدَّم الزراعة ؛ لأن الإنسان فيها متوكلٌ على الله في عطائه ، مستسلمٌ لقضائه ، ولا مدخل لها في تحريم ولا كراهة .

فَصْلٌ

[في أركانِ البيعِ وشروطِ الصيغةِ]

أركانُ البيعِ : عاقدانِ ، ومعقودٌ عليهِ ، وصيغةٌ ؛ وشُرِطَ فيها : لفظٌ يدلُّ على الإيجابِ والقَبولِ ؛ كـ (بعتُكَ ، وملَّكتُكَ ، وهوَ لكَ ، ووهبتُكَ هٰذا بكذا) ، وكـ (اشتريتُ هٰذا ، وتملَّكتُ ، ورضيتُ ، وقبلتُ بكذا) ، بلا تخلُّلِ بينَهُما فصلٍ طويلٍ ، ولا كلامٍ أجنبيٍّ وإن قلَّ .

وينعقدُ بالكنايةِ ؛ كـ (خذْهُ ، وجعلتُهُ لكَ بكذا) ، لا بمُعاطاةٍ ، لٰكنِ اختارَ النوويُّ ـ كجمعٍ مُتقدِّمينَ ـ : الانعقادَ بكلِّ ما يعدُّهُ النَّاسُ بيعاً عُرفاً [1] .

[ما شُرِطَ في العاقدَينِ والمعقودِ عليهِ]

وفي العاقدَينِ : تكليفٌ ، واختيارٌ ، وإسلامُ مَنْ يُشترىٰ لهُ ما كُتِبَ فيهِ قرآنٌ ولو آيةً وإن أُثْبِتَتْ لغيرِ الدِّراسةِ ، أو كُتُبُ علمٍ شرعيٍّ ، أو رقيقٌ مسلمٌ أو مُرتدٌّ [2] ، وعدمُ حِرابةِ مَنْ يُشترىٰ لهُ آلةُ حربٍ ؛ كتُرسٍ ودِرعٍ وخيلٍ .

❀ ❀ ❀

وفي المعقودِ عليهِ :

ـ طهارتُهُ ؛ فبيعُ نجِسِ العينِ باطلٌ وإن أمكنَ طهرُهُ بالاستحالةِ ، وكذا

---

(١) انظر « روضة الطالبين » (٦/٣) ، وقال الشيخ زكريا الأنصاري في « أسنى المطالب » (٣/٢) : (واختار النووي وجماعةٌ منهم المتولي والبغوي الانعقاد له في كل ـ أي : بكل ـ ما يعدُّه الناس بيعاً ؛ لأنه لم يثبت اشتراط لفظ ، فيرجع للعرف كسائر الألفاظ المطلقة) .

(٢) في (د) : (أو مدبَّر) .

مُتنجِّسٌ لا يطهرُ بالغَسلِ ، ويجوزُ نحوُ الصَّدقةِ بالمُتنجِّسِ ، واقتناءُ الكلبِ لنحوِ حراسةٍ ، وتربيةُ الزرعِ بنجِسٍ .

ـ والنفعُ ، فيبطلُ بيعُ ما لا ينفعُ ؛ كحبَّتَيْ نحوِ حِنطةٍ أو زبيبٍ ، ويَحرُمُ أخذُ حبَّةٍ وخِلالٍ مِنْ حقِّ غيرِهِ ، ويجبُ ردُّهُما ، وكَفَرَ مُستحِلُّهُ ، ولا يصحُّ بيعُ السُّمِّ إلَّا إن نفعَ قليلُهُ كالأفْيُونِ .

ـ والوِلايةُ على المعقودِ عليهِ بمِلْكٍ أو غيرِهِ ، فيبطلُ بيعُ المرءِ مالَ غيرِهِ فضوليّاً وإن أجازَهُ المالكُ .

ـ وقدرةُ تسليمِ المبيعِ ؛ فلا يصحُّ بيعُ مغصوبٍ لغيرِ قادرٍ على انتزاعِهِ ، وآبقٍ وضالٍّ وإن عرفَ مكانَهُ ، ولا يصحُّ بيعُ السمكِ في بِركةٍ واسعةٍ ؛ بحيثُ يحتاجُ آخذُهُ منها إلىٰ كثيرِ كُلفةٍ .

ـ والعلمُ بهِ ؛ فبيعُ أحدِ نحوِ الثوبَينِ باطلٌ .

ـ ورؤيةُ المُتعاقدَينِ ما عُقِدَ علىٰ عينِهِ ؛ فبيعُ ما لم يرَهُ أحدُهُما والشراءُ بِهِ باطلٌ وإن بالغَ في وصفِهِ ، وكذا رهنُهُ ، وإجارتُهُ ، وهبتُهُ .

فَصْلٌ

في الرِّبا

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة : (٢٧٥) ، و(يتخبطه) أي : يصرعه . انتهىٰ من هامش (هـ) .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [1] في الدُّنيا والآخِرةِ .

أمَّا في الدُّنيا . . فيجبُ علىٰ حُكَّامِ الشريعةِ : إذا علموا مِنْ شخصٍ تعاطيَ الرِّبا . . أن يُعزِّروهُ بالحبسِ وغيرِهِ إلَّا أن يتوبَ ؛ فإن كانَتْ لهُ شوكةٌ ولم يقدروا عليهِ إلَّا بنصبِ حربٍ . . نصبوا آلةَ الحربِ والقتالِ ؛ كما قاتلَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ مانعي الزَّكاةِ [2] .

وأمَّا في الآخِرةِ . . فلا يعلمُ أنواعَ عذابِهِم إلَّا الملِكُ المُنتقِمُ .

وأخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱجْتَنِبُوا ٱلسَّبْعَ ٱلْمُوبِقَاتِ » قالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ وما هُنَّ ؟ قالَ : « ٱلشِّرْكُ بِٱللهِ ، وَٱلسِّحْرُ ، وَقَتْلُ ٱلنَّفْسِ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ، وَأَكْلُ ٱلرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ ٱلْيَتِيمِ ، وَٱلتَّوَلِّي يَوْمَ ٱلزَّحْفِ ، وَقَذْفُ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْغَافِلَاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ » [3] .

[التحذيرُ مِنْ أكلِ الرِّبا]

وأحمدُ بسندٍ صحيحٍ والطبرانيُّ عن عبدِ اللهِ بنِ حنظلةَ : « دِرْهَمُ رِباً يَأْكُلُهُ ٱلرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ . . أَشَدُّ عِنْدَ ٱللهِ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً » [4] .

---

(١) سورة البقرة : (٢٧٨ ـ ٢٧٩) .

(٢) أخرج البخاري (٧٢٨٤) ، ومسلم (٢٠) من جملة حديث قال فيه سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه : (والله ؛ لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله ؛ لو منعوني عِقالاً كانوا يؤدُّونه إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لقاتلتهم علىٰ منعه . . .) .

(٣) صحيح البخاري (٢٧٦٦) ، وصحيح مسلم (٨٩) .

(٤) أخرجه أحمد (٥/٢٢٥) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٧٠٣) بلفظ : (ستة) بالتأنيث .

وابنُ أبي الدُّنيا والبيهقيُّ عن رجلٍ مِنَ الصَّحابةِ قالَ : خَطَبَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فذكرَ أمرَ الرِّبا وعظَّمَ شأنَهُ ، وقالَ : « إِنَّ ٱلدِّرْهَمَ يُصِيبُهُ ٱلرَّجُلُ مِنَ ٱلرِّبَا . . أَعْظَمُ عِنْدَ ٱللهِ فِي ٱلْخَطِيئَةِ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً يَزْنِيهَا ٱلرَّجُلُ »[1] .

والحاكمُ ـ وقالَ : صحيحٌ علىٰ شرطِ الشيخَينِ ـ والبيهقيُّ : « ٱلرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَاباً ؛ أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ ٱلرَّجُلُ أُمَّهُ »[2] .

والطبرانيُّ : « إِيَّاكُمْ وَٱلذُّنُوبَ ٱلَّتِي لَا تُغْفَرُ : ٱلْغُلُولُ ؛ فَمَنْ غَلَّ شَيْئاً . . أَتَىٰ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَأَكْلُ ٱلرِّبَا ؛ فَمَنْ أَكَلَ ٱلرِّبَا . . بُعِثَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مَجْنُوناً يَتَخَبَّطُ » ثمَّ قرأَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ . . . ﴾ إلىٰ : ﴿ ٱلْمَسِّ ﴾[3] .

[مِنْ عقوبةِ أكلِ الرِّبا]

والأصبهانيُّ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لَمَّا أُسْرِيَ بِي . . مَرَرْتُ بِقَوْمٍ بُطُونُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بَطْنُهُ مِثْلُ ٱلْبَيْتِ ٱلضَّخْمِ ، قَدْ مَالَتْ بِهِمْ بُطُونُهُمْ ، مُنَضَّدِينَ عَلَىٰ سَابِلَةِ[4] ـ أي : طريقِ ـ آلِ فرعونَ ، وَآلُ فِرْعَوْنَ يُعْرَضُونَ عَلَى ٱلنَّارِ غُدُوّاً وَعَشِيّاً ، قَالَ : فَيُقْبِلُونَ مِثْلَ ٱلْإِبِلِ ٱلْمَنْهُومَةِ ، لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَعْقِلُونَ ،

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٥١٣٥) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت » (١٧٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) مستدرك الحاكم (٣٧/٢) ، وأخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٥١٣١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) سورة البقرة : (٢٧٥) ، والحديث أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٦٠/١٨) .

(٤) في النسخ إلا (هـ) : (سائلة) .

فَإِذَا أَحَسَّ بِهِمْ أَصْحَابُ تِلْكَ ٱلْبُطُونِ . . قَامُوا ، فَتَمِيلُ بِهِمْ بُطُونُهُمْ ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَبْرَحُوا حَتَّىٰ يَغْشَاهُمْ آلُ فِرْعَوْنَ ، فَيَرُدُّونَهُمْ مُقْبِلِينَ وَمُدْبِرِينَ ؛ فَذَٰلِكَ عَذَابُهُمْ فِي ٱلْبَرْزَخِ بَيْنَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ » قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فَقُلْتُ : مَنْ هَٰؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَا »[1] .

وفي روايةٍ لهُ : « بُطُونُهُمْ كَٱلْبُيُوتِ فِيهَا ٱلْحَيَّاتُ ، تُرَىٰ مِنْ خَارِجِ بُطُونِهِمْ »[2] .

ومسلمٌ عن جابرٍ : لعنَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ آكلَ الرِّبا وموكلَهُ وكاتبَهُ وشاهدَيهِ ، وقالَ : « هُمْ سَوَاءٌ »[3] .

وروىٰ أحمدُ عن كعبِ الأحبارِ أنَّهُ قالَ : (لأن أزنيَ ثلاثةً وثلاثينَ زنيةً . . أحبُّ إليَّ مِنْ أن آكُلَ درهمَ رباً)[4] .

وقالَ ابنُ عباسٍ : (إنَّهُ لا يقبلُ اللهُ مِنْ آكلِ الرِّبا صدقةً ولا جهاداً ولا حجّاً ولا صِلةً)[5] .

وقالَ أيضاً : (مَنْ عاملَ بالرِّبا . . استُتيبَ ؛ فإن تابَ وإلَّا . . ضُرِبَتْ عنقُهُ)[6] .

---

(١) أخرجه الأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (١٣٧٣) مختصراً ، وأخرجه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢/٢٨٢) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٣٨٠) ، وأحمد (٢/٣٥٣) ، والأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (٦٤٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) صحيح مسلم (١٥٩٨) .

(٤) مسند أحمد (٥/٢٢٥) ، وفيه : (ثلاثاً وثلاثين زنية) .

(٥) ذكره البغوي في « تفسيره » (١/٢٦٣) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢/٢٨٣) .

(٦) أورده العلامة ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (١/٤٨٩) ضمن الكبيرة (١٧٩) .

[قصَّةُ العلَّامةِ الهيتميِّ معَ آكلِ الرِّبا]

وأخبرَنا شيخُنا ابنُ حجرٍ ـ نفعَنا اللهُ بهِ ـ : (أنَّهُ كانَ في صغرِهِ يتعاهدُ قبرَ والدِهِ للقراءةِ عليهِ ، فخرجَ يوماً بعدَ صلاةِ الصبحِ بغَلَسٍ في رمضانَ ، وقالَ : أظنُّ أنَّ ذٰلكَ كانَ في العشرِ الأخيرِ ، بل في ليلةِ القدرِ .

فلمَّا جلسَ علىٰ قبرِهِ ، وقرأَ شيئاً مِنَ القرآنِ ، ولم يكنْ في المقبرةِ أحدٌ غيرُهُ . . فإذا هوَ سمعَ التأوُّهَ العظيمَ والأنينَ الفظيعَ بـ « آه آه آه » هٰكذا بصوتٍ أزعجَهُ مِنْ قبرٍ مبنيٍّ بالنُّورَةِ والجِصِّ ، لهُ بياضٌ عظيمٌ ، فقطعَ القراءةَ واستمعَ ، فسمعَ صوتَ ذٰلكَ العذابِ مِنْ داخلِهِ ، وذٰلكَ الرَّجلُ المُعذَّبُ يتأوَّهُ تأوُّهاً عظيماً ؛ بحيثُ يُقلِقُ سماعُهُ القلبَ ويُفزِعُهُ ، فاستمعَ إليهِ زمناً ، فلمَّا وقعَ الإسفارُ . . خفيَ حِسُّهُ عنهُ .

فمرَّ بهِ إنسانٌ ، فقالَ لهُ الشيخُ : هٰذا قبرُ مَنْ ؟ فقالَ : هٰذا قبرُ فلانٍ ؛ أدركَهُ الشيخُ وهوَ صغيرٌ .

وكانَ الرَّجلُ المُعذَّبُ علىٰ غايةٍ مِنْ مُلازمةِ المسجدِ ، والصَّلاةِ في أوقاتِها ، والصمتِ عنِ الكلامِ ، وهٰذا كلُّهُ شاهدَهُ وعرفَهُ منهُ ، فكَبُرَ على الشيخِ الأمرُ جدّاً ؛ لِما علمَهُ مِنَ الأحوالِ التي كانَ ذٰلكَ الرَّجلُ مُتلبِّساً بها في الظاهرِ .

فسألَ واستقصى الذينَ يطَّلعونَ علىٰ حقيقةِ أحوالِهِ ، فأخبروهُ أنَّهُ كانَ يأكلُ الرِّبا ؛ فإنَّهُ كانَ تاجراً ، ثمَّ كَبِرَ وبقيَ معَهُ شيءٌ مِنَ الحُطامِ ، فلم ترضَ نفسُهُ الظالمةُ الخبيثةُ أن تأكلَ مِنْ [جَنْيِهِ][1] حتىٰ يأتيَهُ الموتُ ، بل سوَّلَ لهُ الشيطانُ المُعاملةَ بالرِّبا حتىٰ لا ينقصَ مالُهُ ، فأوقعَهُ في ذٰلكَ

---

(١) في النسخ : (من جنسه) ، والتصويب من المصدر .

العذابِ الأليمِ حتىٰ في رمضانَ ، حتىٰ في ليلةِ القدرِ)[1] .

اتركوا عبادَ اللهِ الرِّبا الذي قالَ فيهِ نبيُّكُم صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إنَّهُ كالزاني بأمِّهِ[2] ، وإنَّهُ [كستٍّ][3] وثلاثينَ زنيةً ، وإنَّ آكلَهُ لا يُغفَرُ [لهُ] ، ولا تقتدوا بالأشقياءِ المغرورينَ ؛ فإنَّهُم غداً يعلمونَ ما يحُلُّ بهِم مِنْ أنواعِ العذابِ الأليمِ بشيءٍ فانٍ يسيرٍ .

اللهمَّ ؛ اغفرْ لنا ما قدَّمنا وما أخَّرنا ، وما أسررنا وما أعلنَّا ، واهدِنا الصِّراطَ المستقيمَ ، آمينَ .

تَنْبِيهٌ

[فيما يقعُ بهِ الرِّبا والتحذيرِ مِنْ منفعةِ القَرْضِ]

إنَّ الرِّبا حرامٌ إجماعاً ، وهوَ مِنَ الكبائرِ المُهلِكةِ ، وكَفَرَ مُستحِلُّهُ .

واعلمْ : أنَّهُ إنَّما يجري في نَقْدٍ ، وما قُصِدَ لطُعْمٍ ؛ فإن بِيعَ ربويٌّ بجنسِهِ . . شُرِطَ مُماثلةٌ ، وحلولٌ ، وتقابضٌ قبلَ التفرُّقِ ، أو بغيرِ جنسِهِ واتَّحدا عِلةً . . شُرِطَ الأخيرانِ .

❁ ❁ ❁

وقالَ القاسمُ بنُ عبدِ [الواحدِ الوزَّانُ][4] : رأيتُ عبدَ اللهِ بنَ أبي أوفىٰ

---

(١) انظر مقدمة « الزواجر » (٣٢/١) .

(٢) في غير (ج) : (كالزنا بأمه) .

(٣) ما بين معقوفين في النسخ : (كستة) .

(٤) في النسخ : (أبو القاسم) ، وفي (أ ، ج) : (عبد الرزاق) ، وفي (ب ، هـ) : (عبد الله) وزاد في (ب) : (الوراق) ، والمثبت من المصادر وهو الصواب ، والله أعلم ، انظر : « تهذيب الكمال » (٣٩٥/٢٣) .

في السُّوقِ ، في الصيارفةِ ، فقالَ : يا معشرَ الصيارفةِ ؛ أبشروا ، قالوا : بشَّرَكَ اللهُ بالجنَّةِ ، بِمَ تُبشِّرُنا يا أبا محمدٍ ؟ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم للصيارفةِ : « أَبْشِرُوا بِٱلنَّارِ »[1] .

[ربا القرضِ]

وفي قَرْضِ شيءٍ بشرطِ جرِّ نفعٍ للمُقرِضِ ، فهٰذا هوَ المشهورُ الآنَ بينَ النَّاسِ ، وواقعٌ كثيراً ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا أَقْرَضَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ قَرْضاً ، فَأَهْدَىٰ إِلَيْهِ طَبَقاً . . فَلَا يَقْبَلْهُ ، أَوْ حَمَلَهُ عَلَىٰ دَابَّتِهِ . . فَلَا يَرْكَبْهَا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَرَىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَبْلَ ذَٰلِكَ » رواهُ ابنُ ماجه والبيهقيُّ[2] .

[مِنْ ورعِ الإمامِ أبي حنيفةَ]

وحُكِيَ : (أنَّهُ كانَ لأبي حنيفةَ علىٰ يهوديٍّ مالٌ كثيرٌ قَرْضاً ، وأخذَ يوماً شيئاً مِنْ طينِ جدارِ اليهوديِّ ، وترَّبَ بهِ ورقةً ناسياً دَينَهُ عليهِ[3] ، فلمَّا تذكَّرَهُ . . أبرأَهُ عن جميعِ ذٰلكَ المالِ ؛ حذراً مِنْ أن يكونَ ذٰلكَ رباً) .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٢٧٢) ، وأبو نعيم في « أخبار أصبهان » (١٦٤/٢) ، وعزاه الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦٦٥١) ، والسيوطي في « الدر المنثور » (١١٠/٢) للطبراني في « المعجم الكبير » .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤٧) ، وعزاه في « كنز العمال » (١٥٥١٥) لابن ماجه وللبيهقي عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) التتريب : هو إلقاء التراب أو الرمل على الكتابة ؛ طلباً للبركة ونجح الحاجة ، ولتجفيف المداد ، وقد صرحوا باستحباب وضع التراب أولاً على البسملة ، ثم يُمِرُّه الكاتب علىٰ سائر المكتوب ؛ لتعم بركة البسملة الكتاب . انظر « صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشا » (٢٧١/٦ ـ ٢٧٢) .

تَنْبِيهٌ

[في تحريمِ الحيلةِ في الرِّبا]

إنَّ الحيلةَ في الرِّبا وغيرِهِ حرامٌ عندَ مالكٍ وأحمدَ ابنِ حنبلٍ .

وقالَ بعضُهُم : (وردَ : أنَّ أكَلَةَ الرِّبا يُحشَرونَ في صورةِ الكلابِ والخنازيرِ ، مِنْ أجلِ حيلتِهِم علىٰ أكلِ الرِّبا ؛ كما مُسِخَ أصحابُ السبتِ حينَ تحيَّلوا على اصطيادِ الحيتانِ التي نهاهُمُ اللهُ عنِ اصطيادِها يومَ السبتِ ، فحفروا لها حياضاً تقعُ فيها يومَ السبتِ ؛ حتىٰ يأخذوها يومَ الأحدِ ، فلمَّا فعلوا ذٰلكَ . . مسخَهُمُ اللهُ قِرَدةً وخنازيرَ ، وهٰكذا الذين يتحيَّلونَ على الرِّبا بأنواعِ الحِيَلِ ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ لا يخفىٰ عليهِ حِيَلُ المُحتالينَ والمُخادِعينَ)(١) .

فَصْلٌ

في الاحتكارِ والتفريقِ بينَ الوالدةِ وولدِها الغيرِ المُميِّزِ لصِغَرٍ أو جنونٍ بنحوِ بيعٍ لغيرِ مَنْ يَعتِقُ عليهِ

أخرجَ أحمدُ والحاكمُ عن أبي هريرةَ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنِ ٱحْتَكَرَ حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ . . فَهُوَ خَاطِئٌ ـ أي : آثمٌ ـ وَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ ٱللهِ وَرَسُولِهِ »(٢) .

وهُما : « مَنِ ٱحْتَكَرَ طَعَاماً أَرْبَعِينَ لَيْلَةً . . فَقَدْ بَرِئَ مِنَ ٱللهِ وَبَرِئَ ٱللهُ

---

(١) أورده الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٦٩) ضمن الكبيرة (١٢) ، وابن حجر في « الزواجر » (١/٤٩٨) أول الكبيرة (١٨٥) .

(٢) مستدرك الحاكم (٢/١٢) ، ومسند أحمد (٢/٣٥١) واللفظ له .

مِنْهُ ، وَأَيُّمَا أَهْلِ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ ٱمْرُؤٌ جَائِعاً . . فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ ٱللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ »[1] .

وابنُ عساكرَ : « مَنِ ٱحْتَكَرَ طَعَاماً عَلَىٰ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ يَوْماً وَتَصَدَّقَ بِهِ . . لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ »[2] .

والطبرانيُّ : « بِئْسَ ٱلْعَبْدُ ٱلْمُحْتَكِرُ ؛ إِنْ أَرْخَصَ ٱللهُ ٱلْأَسْعَارَ . . حَزِنَ ، وَإِنْ أَغْلَاهَا . . فَرِحَ »[3] .

والحاكمُ : « مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ ٱلْمُسْلِمِينَ يُغْلِي عَلَيْهِمْ . . كَانَ حَقّاً عَلَى ٱللهِ أَنْ يَقْذِفَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، رَأْسُهُ أَسْفَلَهُ »[4] .

[قصَّةُ سيِّدِنا عمرَ معَ المُحتكِرَينِ]

والأصبهانيُّ : إنَّ طعاماً أُلقِيَ علىٰ بابِ المسجدِ ، فخرجَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ ـ وهوَ أميرُ المؤمنينَ يومَئذٍ ـ فقالَ : (ما هـٰذا الطعامُ ؟) فقالوا : طعامٌ جُلِبَ إلينا ، أو علينا .

فقالَ لهُ بعضُ الذينَ معَهُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ قدِ احتُكِرَ .

قالَ : (ومَنِ احتكرَهُ ؟) قالوا : احتكرَهُ فرُّوخُ وفلانٌ مولىٰ عمرَ بنِ الخطَّابِ ، فأرسلَ إليهِما ، فأتياهُ ، فقالَ : (ما حملَكُما على احتكارِ طعامِ المسلمينَ ؟!) فقالوا : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ نشتري بأموالِنا ونبيعُ .

---

(١) مستدرك الحاكم (١١/٢ ـ ١٢) ، ومسند أحمد (٣٣/٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) تاريخ دمشق (٦٣/١٧) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٩٥/٢٠) عن سيدنا معاذ رضي الله عنه .

(٤) المستدرك على الصحيحين (١٢/٢ ـ ١٣) عن سيدنا معقل بن يسار رضي الله عنه .

فقالَ عمرُ : (سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « مَنِ احْتَكَرَ عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ . . ضَرَبَهُ ٱللَّهُ بِٱلْجُذَامِ وَٱلْإِفْلَاسِ ») .

فقالَ عندَ ذٰلكَ فرُّوخُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ فإنِّي أُعاهِدُ اللهَ وأُعاهِدُكَ علىٰ ألَّا أعودَ في احتكارِ طعامٍ أبداً ، فتحوَّلَ إلىٰ برِّ مِصرَ ، وأمَّا مولىٰ عمرَ . . فقالَ : نشتري بأموالِنا ونبيعُ .

فزعمَ أبو يحيىٰ ـ أحدُ رواتِهِ ـ أنَّهُ رأىٰ مولىٰ عمرَ مجذوماً مشدوخاً[1] .

وأخرجَ أحمدُ والترمذيُّ عن أبي أيوبَ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ ٱلْوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا . . فَرَّقَ ٱللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[2] .

وابنُ ماجه : « لَعَنَ ٱللَّهُ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ ٱلْوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا ، وَبَيْنَ ٱلْأَخِ وَأَخِيهِ »[3] .

تنبيهان

أحدُهُما

[في بيانِ الاحتكارِ المُحرَّمِ]

إنَّ الاحتكارَ المُحرَّمَ : هوَ أن يُمسِكَ ما اشتراهُ في الغلاءِ لا الرُّخْصِ مِنَ الأقواتِ ولو تمراً وزبيباً ؛ بقصدِ أن يبيعَهُ بأغلىٰ ممَّا اشتراهُ بِهِ عندَ اشتدادِ الحاجةِ إليهِ .

---

(١) أخرجه الأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (٣٠٢) .

(٢) سنن الترمذي (١٢٨٣) ، ومسند أحمد (٥/٤١٣) .

(٣) سنن ابن ماجه (٢٣٥٦) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

وألحقَ الغزاليُّ بالقوتِ كلَّ ما يُعينُ عليهِ ؛ كاللَّحمِ والفواكهِ[1] ، وصرَّحَ القاضي بكراهةِ الاحتكارِ في الثيابِ[2] .

وثانيهما

[في تحريمِ التفريقِ بينَ الوالدةِ وولدِها]

إنَّ التفريقَ بينَ الوالدةِ وولدِها غيرِ المُميِّزِ لصِغَرٍ أو جنونٍ بنحوِ بيعٍ لغيرِ مَنْ يَعتِقُ عليهِ . . حرامٌ ـ وإن رضيَتِ الأمُّ ـ إلَّا بالعتقِ والوقفِ ، ويَبطلُ ذلكَ التصرُّفُ ، والأبُ والجدُّ والجدَّةُ وإن بَعُدوا . . كالأمِّ عندَ فقدِها .

ويَحرُمُ التفريقُ أيضاً بالسفرِ بينَ الأمَةِ وولدِها غيرِ المُميِّزِ ، وبينَ الزوجةِ وولدِها ، بخلافِ المُطلَّقةِ .

❁ ❁ ❁

ويَحرُمُ نحوُ بيعِ ولدِ البهيمةِ ما لم يستغنِ عنِ اللَّبنِ ، أو لم يقصدِ الذَّبحَ ، ويَبطلُ البيعُ ، وبحثَ السبكيُّ حُرمةَ ذبحِ أمِّهِ معَ بقائِهِ[3] .

[حرمةُ البيعِ المؤدِّي إلىٰ معصيةٍ]

ويَحرُمُ بيعُ نحوِ العنبِ ممَّنْ علمَ أو ظنَّ أنَّهُ يتَّخذُهُ مُسكِراً للشرابِ ، والحشيشةِ ممَّنْ يعلمُ أنَّهُ يستعملُها ، والأمردِ ممَّنْ عُرِفَ بالفجورِ بهِ ولو بالاستفاضةِ ، والديكِ للمُهارشةِ ، والكبشِ للمُناطحةِ ، وكلِّ ما يؤدِّي إلىٰ معصيةٍ ولو ظنّاً .

---

(١) انظر « إحياء علوم الدين » (٣/٢٨٦ ـ ٢٨٧) .

(٢) انظر « الزواجر » (١/٥٠٩) ضمن الكبيرة (١٨٨) .

(٣) انظر « الزواجر » (١/٥١١) ضمن الكبيرة (١٨٩) .

فَصْلٌ

في الغِشِّ في البيعِ وغيرِه

أخرجَ مسلمٌ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا ٱلسِّلَاحَ . . فَلَيْسَ مِنَّا ، وَمَنْ غَشَّنَا . . فَلَيْسَ مِنَّا »(١) .

وهوَ والترمذيُّ عنهُ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مرَّ علىٰ صُبْرةِ طعامٍ ، فأدخلَ يدَهُ فيها ، فنالَتْ أصابعُهُ بللاً ، فقالَ : « مَا هَـٰذَا يَا صَاحِبَ ٱلطَّعَامِ ؟! » قالَ : أصابَتْهُ السماءُ ـ أي : المطرُ ـ يا رسولَ اللهِ .

قالَ : « أَفَلَا تَجْعَلَنَّهُ فَوْقَ ٱلطَّعَامِ ؛ حَتَّىٰ يَرَاهُ ٱلنَّاسُ ؟! مَنْ غَشَّنَا . . فَلَيْسَ مِنَّا »(٢) .

وابنُ ماجه : « مَنْ بَاعَ عَيْباً لَمْ يُبَيِّنْهُ . . لَمْ يَزَلْ فِي مَقْتِ ٱللهِ ، وَلَمْ تَزَلِ ٱلْمَلَائِكَةُ تَلْعَنُهُ »(٣) .

[خَلِّصِ الماءَ مِنَ اللَّبنِ]

والبيهقيُّ والأصبهانيُّ عن أبي هريرةَ موقوفاً عليهِ ، أنَّهُ مرَّ بناحيةِ الحَرَّةِ ؛ فإذا بإنسانٍ يحملُ لبناً يبيعُهُ ، فنظرَ إليهِ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ ؛ فإذا هوَ قد خلطَهُ بالماءِ ، فقالَ لهُ أبو هريرةَ : (كيفَ تكونُ : إذا قيلَ لكَ يومَ القيامةِ : خَلِّصِ الماءَ مِنَ اللَّبنِ ؟!)(٤) .

---

(١) صحيح مسلم (١٠١) .

(٢) صحيح مسلم (١٠٢) ، وسنن الترمذي (١٣١٥) لكن بلفظ : (من غشَّ) .

(٣) سنن ابن ماجه (٢٣٥٣) عن سيدنا واثلة بن الأسقع رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٩٢٧) ، والأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (٢٤٩) .

وحكى الغزاليُّ في « الإحياءِ » : (أنَّ شخصاً كانَتْ لهُ بقرةٌ يحلُبُها ويخلطُ في لبنِها ماءً ويبيعُ ، فجاءَ سيلٌ فغرَّقَ البقرةَ ، فقالَ بعضُ أولادِهِ : إنَّ تلك المياهَ المُتفرِّقةَ التي صببناها في اللَّبنِ اجتمعَتْ دفعةً واحدةً ، وأخذَتِ البقرةَ !!)[1] .

[ورعُ الإمامِ أبي حنيفةَ في تجارتِهِ]

وحكىٰ شقيقٌ البَلْخيُّ : (أنَّهُ كانَ لأبي حنيفةَ شريكٌ في التجارةِ يُقالُ لهُ : بشرٌ ، فخرجَ بشرٌ في تجارتِهِ بمِصرَ ، فبعثَ إليهِ أبو حنيفةَ سبعينَ ثوباً مِنْ ثيابِ خَزٍّ ، فكتبَ إليهِ : إنَّ في الثيابِ ثوبَ خَزٍّ مَعيباً بعلامةِ كذا ؛ فإذا بعتَهُ . . بيِّنْ للمشتري العيبَ .

قالَ : فباعَ بشرٌ الثيابَ كلَّها ورجعَ إلى الكوفةِ ، فقالَ لهُ أبو حنيفةَ : هل بيَّنتَ ذٰلكَ العيبَ الذي في الثوبِ الخزِّ ؟ فقال بشرٌ : نسيتُ ذٰلك العيبَ .

قالَ : فتصدَّقَ أبو حنيفةَ بجميعِ ما أصابَهُ مِنْ تلكَ التجارةِ ؛ الأصلِ والفرعِ جميعاً ، قالَ : وكانَ نصيبُهُ مِنْ ذٰلكَ ألفَ درهمٍ[2] ، قالَ : [مالٌ] دخلَتْ فيهِ الشُّبهةُ ، فلا حاجةَ لي فيهِ)[3] .

تَنْبِيهٌ

[في ضابطِ الغِشِّ المُحرَّمِ]

ضابطُ الغِشِّ المُحرَّمِ : أن يعلمَ ذو السِّلعةِ ـ مِنْ نحوِ بائعٍ أو مُشترٍ ـ فيها

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/٢٩٧) .

(٢) في (هـ) : (ألف ألف درهم) ، وفي « مرشد الطلاب » : (ثلاثين ألف درهم) .

(٣) أوردها جد المؤلف في « مرشد الطلاب » (ق/٨٩) مخطوط .

شيئاً لو اطَّلعَ عليهِ مَنْ يريدُ أخذَها . . ما أخذَها بذٰلكَ المقابلِ ، فيجبُ عليهِ أن يُعْلِمَهُ بهِ .

ويجبُ أيضاً علىٰ أجنبيٍّ عَلِمَ بالسِّلعةِ عيباً أن يُخبِرَ مُريدَ أَخْذِها وإن لم يسألْهُ عنها ؛ كما يجبُ عليهِ إذا رأىٰ إنساناً يخطبُ امرأةً وعَلِمَ بها أو بهِ عيباً ، أو رأىٰ إنساناً يُريدُ أن يُخالِطَ آخَرَ : لمعاملةٍ ، أو صداقةٍ ، أو قراءةِ نحوِ علمٍ وعَلِمَ بأحدِهِما عيباً . . أن يُخبِرَهُ بهِ وإن لم يستشِرْهُ ؛ فلا يكفي في تبيينِ العيبِ : (هوَ مَعيبٌ) مثلاً ، ولا : (إنَّما اتهمتُهُ بالعيبِ) .

فَصْلٌ

في إنفاقِ السِّلعةِ بالحلِفِ الكاذبِ

أخرجَ مسلمٌ عن أبي ذرٍّ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ ٱللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » قالَ : فقرأَها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثلاثَ مراتٍ ، فقلتُ : خابوا وخسروا ؛ مَنْ هُم يا رسولَ اللهِ ؟!

قالَ : « ٱلْمُسْبِلُ ، وَٱلْمَنَّانُ ، وَٱلْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِٱلْحَلِفِ ٱلْكَاذِبِ »[(١)] .

والطبرانيُّ[(٢)] : « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ ٱللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : أُشَيْمِطُ زَانٍ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ ، وَرَجُلٌ جَعَلَ (ٱللهَ) بِضَاعَتَهُ : لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ »[(٣)] .

---

(١) صحيح مسلم (١٠٦) بنحوه ، ولفظ أوله : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم . . . » .

(٢) في (ب ، ج ، هـ) : (والطبراني والبيهقي) .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٦/ ٢٤٦) عن سيدنا سلمان رضي الله عنه ، و(الشمط) : الشيب ، و(الأُشيمط) : مصغر (أشمط) وهو من ابيضَّ بعض شعر رأسه ، واختلط سواده . انتهىٰ من هامش (هـ) .

ومسلمٌ : « إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ ٱلْحَلِفِ فِي ٱلْبَيْعِ ؛ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ »[1] .

والطبرانيُّ : « يَا مَعْشَرَ ٱلتُّجَّارِ ؛ إِيَّاكُمْ وَٱلْكَذِبَ »[2] .

[باعَ آخِرتَهُ بدنياهُ]

وابنُ حِبَّانَ عن أبي سعيدٍ قالَ : مرَّ أعرابيٌّ بشاةٍ ، فقلتُ : تبيعُها بثلاثةِ دراهمَ ؟ فقالَ : لا واللهِ ، ثمَّ باعَها ، فذكرتُ ذلكَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ »[3] .

فَصْلٌ

في بَخْسِ نحوِ الكيلِ أوِ الوزنِ أوِ الذَّرعِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيْلٌ ﴾ أي : شِدَّةُ عذابٍ ، أو وادٍ في جهنَّمَ مِنْ شرِّ أوديتِها ، ولو سُيِّرَتْ فيهِ جبالُ الدُّنيا . . لذابَتْ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ ، ﴿ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ أي : الذينَ يزيدونَ لأنفسِهِم مِنْ أموالِ النَّاسِ ببخْسِ الكيلِ أوِ الوزنِ ؛ ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أي : منهُم لأنفسِهِم . . ﴿ يَسْتَوْفُونَ ﴾ الكيلَ والوزنَ ، ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ ﴾ أي : اكتالوا أو وزنوا لهُم . . ﴿ يُخْسِرُونَ ﴾ أي : ينقصونَ الكيلَ والوزنَ ، ﴿ أَلَا يَظُنُّ ﴾ أي : يتيقَّنُ ، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ الذينَ يفعلونَ ذلكَ : ﴿ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ أي : هولُهُ وعذابُهُ ، ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4] ؛ أي : مِنْ قبورِهِم حُفاةً عُراةً ؟! .

---

(1) صحيح مسلم (١٦٠٧) عن سيدنا أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه .

(2) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٥٦/٢٢) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه ، وأوله : قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلينا وكنا تجاراً ، وكان يقول . . .) وذكر الحديث .

(3) صحيح ابن حبان (٤٩٠٩) .

(4) سورة المطففين : (١ ـ ٦) .

قالَ السُّدِّيُّ : (سببُ نزولِ هٰذهِ الآيةِ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا قَدِمَ المدينةَ . . كانَ بها رجلٌ يُقالُ لهُ : أبو جُهينةَ ، لهُ مكيالانِ : يَكيلُ بأحدِهِما ، ويَكتالُ بالآخَرِ ، فأنزلَ اللهُ الآيةَ)[1] .

وأخرجَ الترمذيُّ عنِ ابنِ عباسٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأصحابِ الكيلِ والوزنِ : « إِنَّكُمْ قَدْ وُلِّيتُمْ أَمْرَيْنِ هَلَكَ فِيهِمَا ٱلْأُمَمُ ٱلسَّالِفَةُ قَبْلَكُمْ »[2] .

[خمسُ خِصالٍ تُؤْذِنُ بالهلاكِ]

وابنُ ماجه والحاكمُ عنِ ابنِ عمرَ قالَ : أقبلَ علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : « يَا مَعْشَرَ ٱلْمُهَاجِرِينَ ؛ خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا ٱبْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِٱللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ[3] : لَمْ تَظْهَرِ ٱلْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ ، فَيُعْلِنُوا بِهَا . . إِلَّا فَشَا فِيهِمُ ٱلطَّاعُونُ وَٱلْأَوْجَاعُ ٱلَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ ٱلَّذِينَ مَضَوْا .

وَلَمْ يَنْقُصُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ . . إِلَّا أُخِذُوا بِٱلسِّنِينَ ـ وهوَ : العامُ المُقحِطُ ، الذي لا تُنبتُ الأرضُ فيهِ شيئاً ؛ وقعَ مطرٌ أو لا ـ وَشِدَّةِ ٱلْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ ٱلسُّلْطَانِ .

---

(١) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٠/١٥٠) ، والذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٢٤٨) ضمن الكبيرة (٦٢) ، وابن حجر في « الزواجر » (١/٥٣١) ضمن الكبيرة (٢٠٣) ، وأخرج ابن حبان (٧١٥٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : (قدمت المدينة والنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر ، ورجل من بني غفار يؤمهم في الصبح ، فقرأ في الأولىٰ : « كهيعص » ، وفي الثانية : « ويل للمطففين » ، وكان عندنا رجل له مكيالان : مكيال كبير ، ومكيال صغير ؛ يعطي بهٰذا ، ويأخذ بهٰذا ، فقلت : ويل لفلان !!) .

(٢) سنن الترمذي (١٢١٧) بنحوه .

(٣) في النسخ : (أعوذ بالله) بدون واو ، والمثبت من المطبوع والمصادر .

وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ . . إِلَّا مُنِعُوا ٱلْقَطْرَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ؛ وَلَوْلَا ٱلْبَهَائِمُ . . لَمْ يُمْطَرُوا .

وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ ٱللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ . . إِلَّا سَلَّطَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ .

وَ[مَا] لَمْ يَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ ٱللهِ وَيَتَخَيَّرُوا فِيمَا أَنْزَلَ ٱللهُ . . إِلَّا جَعَلَ ٱللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ »[١] .

وقالَ عِكرمةُ : (أشهدُ أنَّ كلَّ كيَّالٍ ووزَّانٍ في النَّارِ) ، فقيلَ لهُ : إنَّ ابنَكَ كيَّالٌ ووزَّانٌ ؟! ، فقالَ : (اشهدوا أنَّهُ في النَّارِ)[٢] .

وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (لَا تُلتمَسُ الحوائجُ ممَّنْ رِزْقُهُ في رؤوسِ المكيالِ ، وألْسُنِ الموازينِ)[٣] .

وما أحسنَ قولَ مَنْ قالَ : (الويلُ ثمَّ الويلُ لِمَنْ يبيعُ بحبَّةٍ يَنقُصها جنَّةً عرضُها السماواتُ والأرضُ ، ويشتري بحبَّةٍ يَزيدُها وادياً في جهنَّمَ يُذيبُ جبالَ الدُّنيا وما فيها)[٤] .

[ما رأىٰ جارُ مالكِ بنِ دينارٍ عندَ الاحتضارِ]

وحكى اليافعيُّ عن مالكِ بنِ دينارٍ : (أنَّهُ دخلَ علىٰ جارٍ لهُ احتُضِرَ ،

---

(١) مستدرك الحاكم (٤/٥٤٠) ، وسنن ابن ماجه (٤١٧٧) .

(٢) أخرجه الطبري في « تفسيره » (٣٦٥٨٢) ، وأورده الزمخشري في « الكشاف » (٤/٧٢٠) ، والخطيب الشربيني في « السراج المنير » (٨/٢٨٢) ولما قيل له في ذٰلك . . قال : (إنه ليس منهم أحدٌ يزن كما يتزن ، ولا يكيل كما يكتال ، وقد قال الله : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾) .

(٣) أخرجه الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٠/١٥١) بإسناده عن الأصمعي : أن أعرابياً قال له وذكر الأثر ، وأورده الزمخشري في « الكشاف » (٤/٧٢٠) من قول سيدنا أُبي بن كعب رضي الله عنه .

(٤) ذكره العلامة ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (١/٥٣٤) ضمن الكبيرة (٢٠٣) .

فقالَ : يا مالكُ ؛ جَبَلانِ مِنَ النَّارِ بينَ يديَّ أُكلَّفُ الصعودَ عليهما ؟!

قالَ مالكٌ : فسألتُ أهلَهُ عن حالِهِ ، فقالوا : كانَ لهُ مكيالانِ ؛ يَكيلُ بأحدِهِما ، ويَكتالُ بالآخَرِ ، فدعوتُ بهما ، فضربتُ أحدَهُما بالآخَرِ حتىٰ كسرتُهُما ، ثمَّ سألتُ الرَّجلَ ، فقالَ : ما يزدادُ الأمرُ إلَّا شِدَّةً ، فماتَ في مرضِهِ)[1] .

❁ ❁ ❁

وحُكِيَ أيضاً عن بعضِهِم : (أنَّهُ قالَ لبعضِ النَّاسِ وهوَ في النزعِ ـ وكانَ يُعامِلُ النَّاسَ بالميزانِ ـ : قُلْ : لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ، فقالَ : ما أقدرُ أقولُها ؛ لسانُ الميزانِ علىٰ لساني يمنعُني مِنَ النطقِ بها .

قالَ : فقلتُ لهُ : أما كنتَ تُوفي الوزنَ ؟ قالَ : بلىٰ ؛ ولـٰكنْ ربَّما كانَ يقعُ في الميزانِ شيءٌ مِنَ الغبارِ لا أشعرُ بهِ)[2] .

تفكَّروا عبادَ اللهِ ؛ إذا كانَ هـٰذا حالَ مَنْ لا يشعرُ في ميزانِهِ الغبارَ . . فكيفَ حالُ مَنْ يزنُ ناقصاً ؟! عجباً لِمَنْ يبيعُ جنّةً بحبَّةٍ ينقصُها ، ويشتري وادياً في جهنَّمَ بحبَّةٍ يزيدُها !!

تنبيه

[في تحريمِ البَخْسِ وأنَّهُ مِنَ الكبائرِ]

إنَّ البَخْسَ فيما ذُكِرَ حرامٌ ، بل هوَ كبيرةٌ كما صرَّحوا بهِ ، ومِنَ البَخْسِ المُحرَّمِ : ما يعتادُهُ فَسَقةُ التجَّارِ والبزَّازينَ في ذَرْعِ الثيابِ ونحوِها مِنْ طلبِ

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ٢٠٨) ورقم الحكاية (١٨٠) .

(٢) روض الرياحين (ص ٢٠٩) مع الحكاية رقم (١٨٠) .

تشديدِ جرّها حينَ البيعِ ، وإرخائِها حينَ الشراءِ ؛ فهُم داخلونَ في الوعيدِ الشديدِ .

فَصْلٌ

في السماحةِ وإقالةِ النادمِ

أخرجَ البخاريُّ عن جابرٍ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رَحِمَ ٱللَّهُ عَبْداً سَمْحاً إِذَا بَاعَ ، سَمْحاً إِذَا ٱشْتَرَىٰ ، سَمْحاً إِذَا ٱقْتَضَىٰ »(1) .

وأحمدُ والترمذيُّ عنهُ : « غَفَرَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ؛ كَانَ سَهْلاً إِذَا بَاعَ ، سَهْلاً إِذَا ٱشْتَرَىٰ ، سَهْلاً إِذَا ٱقْتَضَىٰ »(2) .

والبيهقيُّ : « عَلَيْكَ بِأَوَّلِ ٱلسَّوْمِ ؛ فَإِنَّ ٱلرِّبْحَ مَعَ ٱلسَّمَاحِ »(3) .

قالَ أبو عمرَ : كانَ الزُّبيرُ تاجراً مجدوداً في التجارةِ ـ يعني : محظوظاً ـ فقيلَ لهُ : بِمَ أدركتَ في التجارةِ ما أدركتَ ؟ قالَ : (إنِّي لم أشترِ مَعيباً ، ولم أزدْ ربحاً ، واللهُ يُبارِكُ ما يشاءُ)(4) .

[كيفَ كانَتْ تجارةُ السَّرِيّ السَّقَطيّ]

وحُكِيَ : (أنَّهُ كانَ سَرِيُّ السَّقَطيُّ في ابتداءِ أمرِهِ في بغدادَ صاحبَ الدُّكَّانِ ، وكانَ لا يزيدُ في البيعِ والشراءِ إلَّا رِبحَ نصفِ درهمٍ لكلِّ عشرةٍ ،

---

(1) صحيح البخاري (٢٠٧٦) بنحوه .

(2) سنن الترمذي (١٣٢٠) ، ومسند أحمد (٣/٣٤٠) .

(3) أخرجه أبو داوود في « المراسيل » (١٥٧) ، وعزاه في « كنز العمال » (٩٤٢٩) لابن أبي شيبة ولأبي داوود في « المراسيل » وللبيهقي .

(4) أورده أبو عمر ابن عبد البر في « الاستيعاب » (ص ٢٦٣) ، والطبري في « الرياض النضرة » (٤/٢٨٦) .

واشترىٰ بستِّ مئةِ دينارٍ لوزاً ، فغلا اللَّوزُ ، فجاءَ الدلَّالُ وقالَ : بِعْ بربحِ ثلاثةٍ لكلِّ عشرةٍ .

فقالَ : لا أزيدُ الرِّبحَ فوقَ نصفِ درهمٍ لكلِّ عشرةٍ ، ولا أنقضُ عزمي ، فقالَ الدلَّالُ : أنا أيضاً لا أُجيزُ بيعَ متاعِكَ بالناقصِ ؛ فلا باعَ الدلَّالُ ، ولا نقضَ السَّريُّ عزمَهُ !!)[1] .

وأخرجَ البيهقيُّ : « مَنْ أَقَالَ نَادِماً . . أَقَالَ ٱللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[2] .

[حكايةٌ في إقالةِ النادمِ بيعتَهُ]

وحُكِيَ عن بعضِ تجَّارِ السلفِ الصالحينَ : (أنَّهُ اشترىٰ يوماً عسلاً بثلاثينَ ألفَ درهمٍ ، فلمَّا كانَ الغدُ . . أُضعِفَ ثمنُهُ ربحَ ثلاثينَ ألفَ درهمٍ أُخرىٰ ، فسمعَ بذٰلكَ البائعُ ، فندمَ علىٰ بيعِهِ وتحسَّرَ .

فقالَ لهُ بعضُ إخوانِهِ : أتُحِبُّ أن يَرجِعَ إليكَ عسلُكَ ولا يفوتُكَ ربحُهُ ؟ فقالَ : إي واللهِ ، فقالَ لهُ : تُبكِّرُ غداً ، وتُصلِّي معَ الشيخِ صلاةَ الصبحِ ؛ فإذا سلَّمَ مِنْ صلاتِهِ وفرغَ مِنْ دعائِهِ . . فسلِّمْ عليهِ وقُلْ : إنِّي ندمتُ علىٰ بيعِكَ العسلَ أمسِ ، ولا تزدْ علىٰ هٰذا شيئاً ، فقالَ : نعم .

ثمَّ بكَّرَ ، فصلَّىٰ معَهُ في المسجدِ ، فلمَّا فرغَ . . قالَ لهُ : إنِّي ندمتُ علىٰ بيعِكَ العسلَ ، فقالَ لغلامِهِ : قُمْ وأعطِهِ جميعَ عسلِهِ .

فقالَ لهُ بعضُ الحاضرينَ : قد صارَ ثمنُهُ ضعفَ ما وزنتَ ، أتردُّهُ عليهِ ؟! فقالَ : نعم ؛ إليكَ عنِّي ، سمعتُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ

---

(١) أورده جد المؤلف في « مرشد الطلاب » (ق/٨٩) مخطوط .

(٢) السنن الكبرىٰ (٦/٢٧) برقم (١١٢٣٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

قالَ : « مَنْ أَقَالَ نَادِماً بَيْعَتَهُ . . أَقَالَ ٱللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[1] ، أفلا أشتري إقالةَ عثرتي يومَ القيامةِ بثلاثينَ ألفَ درهمٍ ؟! فأخذَ منهُ ثلاثينَ ألفاً وردَّ العسلَ إليهِ)[2] .

خاتمة

[في منهيَّاتٍ في البيعِ]

واعلمْ : أنَّهُ يَحرُمُ البيعُ على البيعِ ؛ وهوَ بأن يقولَ للمشتري زمنَ الخيارِ : (رُدَّ هٰذا وأنا أبيعُكَ أحسنَ منهُ بمثلِ ذٰلكَ الثمنِ ، أو مثلَهُ بأنقصَ) .

والشراءُ على الشراءِ ؛ بأن يقولَ للبائعِ زمنَ الخيارِ : (افسخْ لأشتريَ منكَ هٰذا المبيعَ بأزيدَ) .

والنَّجْشُ : أن يزيدَ في الثمنِ لا لرغبةٍ بل ليخدعَ غيرَهُ .

والسَّومُ علىٰ سومِ الغيرِ بغيرِ إذنِهِ ؛ وهوَ أن يزيدَ في الثمنِ بعدَ أن يُصرِّحا باستقرارِهِ ، أو يَعرِضَ على المشتري أرخصَ منهُ .

فصل

في الدَّينِ ومَطْلِ الغنيِّ

أخرجَ البخاريُّ وابنُ ماجه عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا . . أَدَّى ٱللهُ عَنْهُ ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا . . أَتْلَفَهُ ٱللهُ »[3] .

---

(١) أخرجه ابن حبان (٥٠٢٩) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٦١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أورده جد المؤلف في « مرشد الطلاب » (ق/٨٩ ـ ٩٠) مخطوط .

(٣) صحيح البخاري (٢٣٨٧) ، وسنن ابن ماجه (٢٥٢٥) .

والطبرانيُّ وابنُ النجَّارِ : « صَاحِبُ ٱلدَّيْنِ مَأْسُورٌ فِي قَبْرِهِ ، يَشْكُو إِلَى ٱللهِ ٱلْوَحْدَةَ »[1] .

والديلميُّ : « صَاحِبُ ٱلدَّيْنِ مَغْلُولٌ فِي قَبْرِهِ ، لَا يَفُكُّهُ إِلَّا قَضَاءُ دَيْنِهِ »[2] .

والطبرانيُّ : « مَنِ ٱدَّانَ دَيْناً وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يُؤَدِّيَهُ . . أَدَّى ٱللهُ عَنْهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَمَنِ ٱسْتَدَانَ دَيْناً وَهُوَ لَا يَنْوِي أَنْ يُؤَدِّيَهُ ، فَمَاتَ . . قَالَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ : ظَنَنْتَ أَنِّي لَا آخُذُ لِعَبْدِي بِحَقِّهِ ؟! فَيُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَتُجْعَلُ فِي حَسَنَاتِ ٱلْآخَرِ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ . . أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ ٱلْآخَرِ فَتُجْعَلُ عَلَيْهِ »[3] .

وهوَ وابنُ عَديٍّ : « أَيُّمَا رَجُلٍ تَزَوَّجَ ٱمْرَأَةً ، فَنَوَىٰ أَلَّا يُعْطِيَهَا مِنْ صَدَاقِهَا شَيْئاً . . مَاتَ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ زَانٍ ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ ٱشْتَرَىٰ مِنْ رَجُلٍ بَيْعاً ، فَنَوَىٰ أَلَّا يُعْطِيَهُ مِنْ ثَمَنِهِ شَيْئاً . . مَاتَ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ خَائِنٌ ، وَٱلْخَائِنُ فِي ٱلنَّارِ »[4] .

وابنُ ماجه بإسنادٍ حسنٍ : « مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِرْهَمٌ أَوْ دِينَارٌ . . قُضِيَ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ »[5] .

والبخاريُّ والترمذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجه عن أبي قتادةَ قالَ : قالَ رجلٌ :

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٩٧) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢١٣) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (١٤/١٩) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما .

(٢) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٣٧٨٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٤٣/٨) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣٥/٨) ، وعزاه في « كنز العمال » (٤٤٧٠٦) للطبراني وابن عدي عن سيدنا صهيب رضي الله عنه .

(٥) سنن ابن ماجه (٢٥٢٨) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

يا رسولَ اللهِ ؛ أرأيتَ إن قُتِلتُ في سبيلِ اللهِ صابراً مُحتسِباً ، مُقبلاً غيرَ مُدبِرٍ . . يُكفِّرُ اللهُ عنِّي خطاياي ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « نَعَمْ » فلمَّا أدبرَ . . ناداهُ فقالَ : « نَعَمْ إِلَّا ٱلدَّيْنَ ، كَذَٰلِكَ قَالَ جِبْرِيلُ »(١) .

وقالَ : « يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا ٱلدَّيْنَ »(٢) .

[صلُّوا على صاحبِكُم]

وفي « شرح السنَّةِ » : عن أبي سعيدٍ الخُدريّ قالَ : أُتِيَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بجنازةٍ ؛ ليُصلِّيَ عليها ، فقالَ : « [هَلْ] عَلَىٰ صَاحِبِكُمْ دَيْنٌ ؟ » قالوا : نعم ، قالَ : « هَلْ تَرَكَ لَهُ مِنْ وَفَاءٍ ؟ » قالوا : لا ، قالَ : « فَصَلُّوا عَلَىٰ صَاحِبِكُمْ » .

قالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ : عليَّ دَينُهُ يا رسولَ اللهِ ، فتقدَّمَ ، فصلَّىٰ عليهِ ، وقالَ : « فَكَّ ٱللهُ رِهَانَكَ مِنَ ٱلنَّارِ ؛ كَمَا فَكَكْتَ رِهَانَ أَخِيكَ ٱلْمُسْلِمِ ، لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَقْضِي عَنْ أَخِيهِ دَيْنَهُ . . إِلَّا فَكَّ ٱللهُ رِهَانَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »(٣) .

[قصَّةٌ في صدقِ الدَّائنِ والمَدينِ]

وفيهِ أيضاً : (أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذكرَ رجلاً مِنْ بني إسرائيلَ : « سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَالَ : ٱئْتِنِي بِٱلشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ ، قَالَ : كَفَىٰ بِٱللهِ شَهِيداً .

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٥) ، والترمذي (١٧١٢) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٤٣٤٨) ، وعزاه في « جامع الأصول » (٧٢١٨) لمن سبق ولمالك في « الموطأ » ولم يعزه للبخاري ولا لابن ماجه ، فتنبه .
(٢) أخرجه مسلم (١٨٨٦) ، والحاكم (٢/١١٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .
(٣) شرح السنة (٢١٥٥) للإمام البغوي بإسناده .

قَالَ : فَأْتِنِي بِٱلْكَفِيلِ ، قَالَ : كَفَىٰ بِٱللهِ كَفِيلاً ، قَالَ : صَدَقْتَ ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمّىً .

فَخَرَجَ فِي ٱلْبَحْرِ ، فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ ، ثُمَّ ٱلْتَمَسَ مَرْكَباً يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ ، لِلأَجَلِ ٱلَّذِي أَجَّلَهُ ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَباً ، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا ، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَىٰ صَاحِبِهِ ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا ، ثُمَّ أَتَىٰ بِهَا إِلَى ٱلْبَحْرِ ، فَقَالَ : ٱللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي تَسَلَّفْتُ فُلاناً أَلْفَ دِينَارٍ ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاً ، فَقُلْتُ : كَفَىٰ بِٱللهِ كَفِيلاً ، فَرَضِيَ بِكَ ، وَسَأَلَنِي شَهِيداً ، فَقُلْتُ : كَفَىٰ بِٱللهِ شَهِيداً ، فَرَضِيَ بِكَ ، وَإِنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَباً أَبْعَثُ إِلَيْهِ ٱلَّذِي لَهُ ، فَلَمْ أَقْدِرْ ، وَإِنِّي ٱسْتَوْدَعْتُكَهَا ، فَرَمَىٰ بِهَا فِي ٱلْبَحْرِ حَتَّىٰ وَلَجَتْ فِيهِ ، ثُمَّ ٱنْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَٰلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَباً يَخْرُجُ إِلَىٰ بَلَدِهِ .

فَخَرَجَ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ ؛ لَعَلَّ مَرْكَباً قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ ، فَإِذَا بِٱلْخَشَبَةِ ٱلَّتِي كَانَ فِيهَا ٱلْمَالُ ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَباً ، فَلَمَّا نَشَرَهَا . . وَجَدَ ٱلْمَالَ وَٱلصَّحِيفَةَ ، ثُمَّ قَدِمَ ٱلَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ ، فَأَتَىٰ بِٱلْأَلْفِ ٱلدِّينَارِ ، وَقَالَ : وَٱللهِ ؛ مَا زِلْتُ جَاهِداً فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَباً قَبْلَ ٱلَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ .

قَالَ : هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ شَيْئاً ؟ قَالَ : أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَباً قَبْلَ ٱلَّذِي جِئْتُ فِيهِ ، قَالَ : فَإِنَّ ٱللهَ قَدْ أَدَّىٰ عَنْكَ ٱلَّتِي بَعَثْتَ فِي ٱلْخَشَبَةِ ، فَٱنْصَرِفْ بِٱلْأَلْفِ ٱلدِّينَارِ رَاشِداً »)[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٩١) ، وأحمد (٢/٣٤٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ولم نجده في « شرح السنة » للبغوي .

وأخرجَ الشيخانِ : « مَطْلُ الغنيّ ظُلْمٌ ، فَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ مَلِيءٍ . . فَلْيَتْبَعْ »[1] .

وابنُ حِبَّانَ والحاكمُ : « لَيُّ ٱلْوَاجِدِ ـ أي : مَطْلُ القادرِ علىٰ وفاءِ دَينِهِ ـ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ »[2] .

خاتمة

في إنظارِ المُعسِرِ

أخرجَ أحمدُ عنِ ابنِ عباسٍ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ لَهُ ـ أي : حطَّ عنهُ دَينَهُ أو بعضَهُ بالبراءةِ مِنه ـ . . وَقَاهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ »[3] .

وأحمدُ ومسلمٌ : « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ . . أَظَلَّهُ ٱللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ »[4] .

وأحمدُ وابنُ ماجه : « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً . . فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةً قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ ٱلدَّيْنُ ؛ فَإِذَا حَلَّ يَوْمُ ٱلدَّيْنِ فَأَنْظَرَهُ . . فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَاهُ صَدَقَةً »[5] .

وأحمدُ والطبرانيُّ : « يَدْعُو ٱللهُ سُبْحَانَهُ بِصَاحِبِ ٱلدَّيْنِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ حَتَّىٰ

---

(١) صحيح البخاري (٢٢٨٧) ، وصحيح مسلم (١٥٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) صحيح ابن حبان (٥٠٨٩) ، والمستدرك (١٠٢/٤) عن سيدنا الشريد بن عمرو رضي الله عنه .
(٣) مسند أحمد (٣٢٧/١) .
(٤) صحيح مسلم (٣٠٠٦) ، ومسند أحمد (٤٢٧/٣) عن سيدنا أبي اليَسَر كعب بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه .
(٥) أخرجه ابن ماجه (٢٥٣٢) ، وأحمد (٣٦٠/٥) عن سيدنا بريدة الأسلمي رضي الله عنه .

يَقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَيُقَالُ : يَا بْنَ آدَمَ ؛ فِيمَ أَخَذْتَ هَـٰذَا ٱلدَّيْنَ ؟ وَفِيمَ ضَيَّعْتَ حُقُوقَ ٱلنَّاسِ ؟

فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ؛ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أَخَذْتُهُ ، فَلَمْ آكُلْ وَلَمْ أَشْرَبْ ، وَلَمْ أَلْبَسْ وَلَمْ أُضَيِّعْ ؛ وَلَـٰكِنْ إِمَّا حَرَقٌ وَإِمَّا سَرَقٌ وَإِمَّا وَضِيعَةٌ ـ أي : بيعٌ بأقلَّ ممَّا اشتُريَ بهِ ـ فَيَقُولُ ٱللهُ : صَدَقَ عَبْدِي ، أَنَا أَحَقُّ مَنْ قَضَىٰ عَنْكَ ، فَيَدْعُو ٱللهُ بِشَيْءٍ فَيَضَعُهُ فِي كِفَّةِ مِيزَانِهِ ، فَتَرْجَحُ حَسَنَاتُهُ عَلَىٰ سَيِّئَاتِهِ ، فَيَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ »[1] .

[جزاءُ إنظارِ المُوسِرِ والتجاوزِ عنِ المُعسِرِ]

والشيخانِ عن حذيفةَ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِنَّ رَجُلاً مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُ ٱلْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ ، فَقَالَ : هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : مَا أَعْلَمُ ، قِيلَ لَهُ : ٱنْظُرْ ، قَالَ : مَا أَعْلَمُ شَيْئاً غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلدُّنْيَا ؛ فَأُنْظِرُ ٱلْمُوسِرَ وَأَتَجَاوَزُ عَنِ ٱلْمُعْسِرِ ، فَأَدْخَلَهُ ٱللهُ ٱلْجَنَّةَ »[2] .

تنبيهات

أحدُها

[حُرمةُ الاستدانةِ لِمَنْ ينوي الخيانةَ]

إنَّ الاستدانةَ معَ نيَّةِ عدمِ الوفاءِ ، أو معَ عدمِ رجائِهِ بأن لم يُضطَرَّ ، ولا كانَ لهُ جهةٌ ظاهرةٌ يفي منها والدَّائنُ جاهلٌ بحالِهِ . . حرامٌ .

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٨/١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٤١/٤) عن سيدنا عبد الرحمـٰن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

(٢) صحيح البخاري (٣٤٥١) واللفظ له ، وصحيح مسلم (١٥٦٠) .

وثانيها

[مَطْلُ الغنيِّ ظلمٌ]

إنَّ مَطْلَ الغنيِّ بعدَ مُطالبتِهِ بالدَّينِ بغيرِ عذرٍ . . حرامٌ ، وصرَّحَ جماعةٌ مِنْ أئمَّتِنا : بأنَّ مَنِ امتنعَ مِنْ قضاءِ دَينِهِ معَ قدرتِهِ عليهِ بعدَ أمرِ الحاكمِ لهُ بهِ . . للحاكمِ أن يُشدِّدَ عليهِ في العقوبةِ ؛ فينخسَهُ بحديدةٍ إلىٰ أن يُؤدِّيَ أو يموتَ (١) .

وثالثُها

[حُرمةُ سفرِ المَدينِ دونَ إذنِ الدَّائنِ]

إنَّهُ يَحرُمُ علىٰ مَنْ عليهِ دينٌ حالٌّ السَّفرُ بغيرِ إذنِ غريمِهِ ؛ حيثُ لم يعلمْ رضاهُ وإن كانَ بهِ رهنٌ أو ضمينٌ ، فلا يَترخَّصُ ـ كعبدٍ آبقٍ ـ بقصرٍ ولا جمعٍ وإفطارٍ وتنفلٍ سائراً ، وسقوطِ جُمُعةٍ ، وأكلِ ميتةٍ لاضطرارٍ .

ويجوزُ لغريمِهِ ـ ولو ذِمّيّاً ـ مَنْعُهُ مِنَ السفرِ حتىٰ يُوفِّيَهُ ، أو يُوكِّلَ فيهِ مِنْ مالِهِ الحاضرِ ، لا إن كانَ الدَّينُ مُؤجَّلاً وإن قَصُرَ أجلُهُ .

ورابعُها

[حُرمةُ حبسِ المُعسِرِ ووجوبُ إنظارِهِ]

إنَّ مَنْ ثبتَ إعسارُهُ . . حَرُمَ حبسُهُ وملازمتُهُ ، ووجبَ إنظارُهُ إلىٰ ميسرةٍ .

❋ ❋ ❋

(١) أورده العلامة ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (١/٥٤١) ضمن الكبيرة (٢٠٧) .

بابٌ في ذمّ المكس

أخرجَ أحمدُ وأبو داوودَ والحاكمُ عن عُقبةَ بنِ عامرٍ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ صَاحِبُ مَكْسٍ »[1] .

وأحمدُ والطبرانيُّ عن أبي الخيرِ قالَ : عرضَ مَسلَمةُ بنُ مُخَلَّدٍ ـ وكانَ أميراً علىٰ مِصرَ ـ علىٰ رُويفعِ بنِ ثابتٍ أن يُولِّيَهُ العُشورَ ، فقالَ : إنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِنَّ صَاحِبَ ٱلْمَكْسِ فِي ٱلنَّارِ »[2] .

وأحمدُ وابنُ عبدِ الحكمِ عن مالكِ بنِ عَتاهِيَةَ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِذَا لَقِيتُمْ عَاشِراً . . فَٱقْتُلُوهُ »[3] .

[لا يُستجابُ لساحرٍ ولا لعشَّارٍ ولا لزانيةٍ]

وأحمدُ عنِ الحسنِ : أنَّ ابنَ عامرٍ استعملَ[4] كلابَ بنَ أُميَّةَ على الأَيْلَةِ[5] وعثمانُ بنُ أبي العاصِ في أرضِهِ ، فأتاهُ عثمانُ فقالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِنَّ بِٱللَّيْلِ سَاعَةً تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابَ

---

(١) مستدرك الحاكم (١/٤٠٤) ، وسنن أبي داوود (٢٩٣٠) ، ومسند أحمد (٤/١٤٣) ، **وصاحب المكس** : هو العشَّار الذي يأخذ من المسلمين عشر أموالهم لا علىٰ وجه الزكاة ، بل علىٰ وجه التعدي ظلماً .

(٢) مسند أحمد (٤/١٠٩) ، وأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٥/٢٩) .

(٣) أخرجه أحمد (٤/٢٣٤) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٦٠١٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤/٣٨١) .

(٤) في النسخ : (عن الحسن بن أبي عامر أنه استعمل) ، والمثبت من « مسند أحمد » .

(٥) كذا في النسخ ، وفي « مسند أحمد » : (الأُبُلَّة) .

ٱلسَّمَاءِ ، يُنَادِي مُنَادٍ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ وَإِنَّ دَاوُودَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ : لَا يَسْأَلُ ٱللهَ أَحَدٌ حَاجَتَهُ . . إِلَّا أَعْطَاهُ ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ سَاحِراً أَوْ عَشَّاراً » فدعا كلابُ بقُرقُورٍ ، فركبَ فيهِ ، فانحدرَ إلى ابنِ عامرٍ فقالَ : دونَكَ عملَكَ ، قالَ : لِمَ ؟ قالَ : حدَّثَني عثمانُ بكذا وكذا[1] .

والطبرانيُّ عن عثمانَ بنِ أبي العاصِ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « تُفْتَحُ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ نِصْفَ ٱللَّيْلِ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ : هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَىٰ ؟ هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفَرَّجَ عَنْهُ ؟ فَلَا يَبْقَىٰ مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ . . إِلَّا ٱسْتَجَابَ ٱللهُ لَهُ ؛ إِلَّا زَانِيَةً تَسْعَىٰ بِفَرْجِهَا أَوْ عَشَّاراً »[2] .

وأبو نُعيمٍ عن زيدِ بنِ أَرْقمَ قالَ : (كنتُ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في بعضِ سِكَكِ المدينةِ ، فمررنا بخِباءِ أعرابيٍّ ؛ فإذا ظبيةٌ مشدودةٌ ، فقالَتْ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّ هـٰذا الأعرابيَّ صادَني ؛ فلا يذبحُني فأستريحَ ، ولا هوَ يتركُني فأذهبَ ، ولي خِشْفانِ في البرِّيَّةِ[3] ، وقد تعقَّدَ هـٰذا اللبنُ في أخلافي ، فقالَ لها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنْ أَطْلَقْتُكِ . . تَرْجِعِينَ ؟! » قالَتْ : نعم ، وإلَّا . . عذَّبَني اللهُ عذابَ العشَّارِ ، فأطلقَها ، فذهبَتْ ثمَّ رجعَتْ)[4] .

وورَدَ مِنْ حديثِ عليٍّ أخرجَهُ الطبرانيُّ في « الكبيرِ » بلفظِ : (إنَّ النبيَّ

---

(١) مسند أحمد (٤/٢١٨) .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٧٩٠) .

(٣) أي ولدان لها قد بلغا ستة أشهر أو سبعة .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « دلائل النبوة » (٢٧٣) ، وفي جزء « حديث أبي نعيم عن شيخه أبي علي الصواف » (٢) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعنَ سُهَيلاً ثلاثَ مراتٍ ؛ فإنَّهُ كانَ يُعشِّرُ النَّاسَ ، فمسخَهُ اللهُ شهاباً)[1] .

أُنبئتُ عمَّن أُنبئَ ، عن أبي الحسنِ ، عن مجاهدٍ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾[2] ، وقالَ : (نزلَتْ في المكَّاسينَ)[3] .

وأُنشِدُكُم لنفسي[4] : [من السريع]

أُقْتُلْ أُولِي ٱلْمَكْسِ وَلَا تَكْتَرِثْ إِنْ حَلَّلُوا ذَٰلِكَ أَوْ حَرَّمُوهْ

فَإِنَّ خَيْرَ ٱلْخَلْقِ أَوْصَىٰ بِأَنْ إِذَا لَقِيتُمْ عَاشِراً فَٱقْتُلُوهْ

أعاذَنا اللهُ مِنْ شرورِهِم ، وحمانا مِنْ فتنِهِم .

[قصَّةٌ عجيبةٌ في أنَّ الخصبَ مِنَ العدلِ والقحطَ مِنَ الجَورِ]

وذكرَ ابنُ الجوزيِّ في كتابِ « مواعظِ الملوكِ » : (أنَّ كِسرىٰ خرجَ في بعضِ أيَّامِهِ للصيدِ ، فانقطعَ عن أصحابِهِ ، وأظلَّتْهُ سحابةٌ ، فمطرَتْ مطراً شديداً حالَ بينَهُ وبينَ جندِهِ ، فمضىٰ لا يدري أينَ يذهبُ ، فانتهىٰ إلىٰ كوخٍ فيهِ عجوزٌ ، فنزلَ عندَها ، وأدخلَتْ فرسَهُ ، فأقبلَتِ ابنتُها ببقرةٍ قد رعَتْها

(١) معجم الطبراني الكبير (١٠٨/١) ، وأخرج الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧١١٢) عن عمرو بن دينار : أنه صحب ابن عمر في السفر ، فكان إذا طلع سهيل . . قال : لعن الله سهيلاً ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كان عشاراً يظلمهم ، ويغصبهم أموالهم ، فمسخه الله شهاباً ، فجعله حيث ترون » .

(٢) سورة الأعراف : (٨٦) .

(٣) أورده القرطبي في « التذكرة » (٨٢١/١) دون عزو لأحد ، وأخرجه السيوطي في « ذم المكس » (١٦٧) بإسناده من طريق أبي الحسن البغدادي رحمهم الله تعالىٰ .

(٤) لعله من قول الحافظ السيوطي رحمه الله تعالىٰ ؛ فقد ختم به جزأه « ذم المكس » (١٦٨) بقوله : (وأنشدكم لنفسي) .

فاحتلبَتْها ، فرأىٰ كِسرىٰ لبنَها كثيراً ، فقالَ : ينبغي أن يُجعَلَ علىٰ كلِّ بقرةٍ خراجاً ؛ فهـٰذا حِلابٌ كثيرٌ .

ثمَّ قامَتْ في آخِرِ اللَّيلِ تحلُبُها ، فوجدَتْها لا لبنَ فيها ، فنادَتْ : يا أمَّاهُ ؛ قد أضمرَ الملِكُ لرعيَّتِهِ سوءاً ، قالَتْ : وما ذاكَ ؟ قالَتْ : إنَّ البقرةَ ما تبسُّ بقطرةِ لبنٍ ، قالَتْ لها : امكثي ؛ فإنَّ عليكِ ليلاً ، فأضمرَ كسرىٰ في نفسِهِ العدلَ والرجوعَ عن ذٰلكَ العزمِ .

فلمَّا كانَ آخِرُ اللَّيلِ . . قالَتْ لها أمُّها : قومي احتلبي ، فقامَتْ ، فوجدَتِ البقرةَ حافلاً ، فقالَتْ : يا أمَّاهُ ؛ قد ـ واللهِ ـ زالَ ما في نفسِ الملِكِ مِنَ الشرِّ .

فلمَّا ارتفعَ النَّهارُ . . جاءَ أصحابُ كِسرىٰ ، فركبَ وأمر بحملِ العجوزِ وابنتِها إليهِ ، فأحسنَ إليهِما ، وقالَ : كيفَ علمتُما ذٰلكَ ؟! قالَتِ العجوزُ : إنَّا بهـٰذا المكانِ منذُ كذا وكذا ؛ فما عُمِلَ فينا بعدلٍ . . إلَّا أخصبَتْ أرضُنا واتَّسعَ عيشُنا ، وما عُمِلَ فينا بجَورٍ . . إلَّا ضاقَ عيشُنا وانقطعَ موادُّ النفعِ عنَّا)[1] .

تنبيه
[في تحريمِ المَكْسِ وكفرِ مُستحِلِّهِ]

إنَّ المَكْسَ حرامٌ إجماعاً ، ويكفرُ مَنِ استحلَّهُ ، أو قالَ : إنَّهُ حقُّ السلطانِ مُعتقِداً أنَّهُ حقٌّ[2] .

---

(١) ذكرها ابن الجوزي في « عيون الحكايات » (ص ٣٤٦) رقم الحكاية (٣٣٤) ، وفي « المنتظم في تواريخ الملوك والأمم » (١/٣٨١) ، ولقد نسبها الدميري في « حياة الحيوان » (١/٤٨٩) لابن الجوزي في كتاب « مواعظ الملوك والسلاطين » .

(٢) انظر تفصيل الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في « الأذكار » (ص ٥٩٤) .

وقالَ سلطانُ العلماءِ عِزُّ الدِّينِ بنُ عبدِ السلامِ : بأنَّهُ يَحرُمُ علىٰ مَنْ يعرفُ الكتابةَ والحسابَ كتابةُ حسابِ المَكْسِ إن قصدَ إعانةَ الظلمةِ الذينَ لعنَهُمُ اللهُ ورسولُهُ .

❋ ❋ ❋

باب الظلم

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[1] .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۞ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾[2] .

وقالَ تعالىٰ: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[3] .

وأخرجَ الشيخانِ عن أبي [بكرةَ] رضيَ اللهُ عنهُ[4] : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ في خُطبتِهِ بمنىً في حجَّةِ الوداعِ : « إنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَـٰذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَـٰذَا ، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً ؛ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ »[5] .

ومسلمٌ عن أبي ذرٍّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيما يرويهِ عنِ اللهِ تعالىٰ أنَّهُ قالَ : « يَا عِبَادِي ؛ إِنِّي حَرَّمْتُ ٱلظُّلْمَ عَلَىٰ

---

(١) سورة إبراهيم : (٤٢) .

(٢) سورة النساء : (٢٩ ـ ٣٠) .

(٣) سورة غافر : (١٨) .

(٤) في النسخ : (عن أبي بكر) ، والمثبت من « الصحيحين » .

(٥) صحيح البخاري (١٧٤١) ، وصحيح مسلم (١٦٧٩) .

نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً . . فَلَا تَظَالَمُوا »[1] .

وأحمدُ والبيهقيُّ عنِ ابنِ عمرَ : « ٱتَّقُوا ٱلظُّلْمَ ؛ فَإِنَّ ٱلظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[2] .

والشيخانِ عن أبي موسىٰ : « إِنَّ ٱللهَ يُمْلِي لِلظَّالِمِ ؛ فَإِذَا أَخَذَهُ . . لَمْ يُفْلِتْهُ » ثمَّ قرأَ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[3] .

ومسلمٌ عن أبي هريرةَ : « أَتَدْرُونَ مَنِ ٱلْمُفْلِسُ ؟ » قالوا : المُفلِسُ فينا : مَنْ لا درهمَ لهُ ولا متاعَ ، فقالَ : « إِنَّ ٱلْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي : مَنْ يَأْتِي يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَٰذَا ، وَقَذَفَ هَٰذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَٰذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَٰذَا ، وَضَرَبَ هَٰذَا ، فَيُعْطَىٰ هَٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ؛ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ . . أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي ٱلنَّارِ »[4] .

[أقسامُ الظلمِ ثلاثةٌ]

والطيالسيُّ والبزَّارُ عن أنسٍ : « ٱلظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ : فَظُلْمٌ لَا يَغْفِرُهُ ٱللهُ ، وَظُلْمٌ يَغْفِرُهُ ، وَظُلْمٌ لَا يَتْرُكُهُ .

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٧) ، وهو حديث طويل ، وكان أبو إدريس الخولاني رحمه الله إذا حدث بهٰذا الحديث . . جثا علىٰ ركبتيه ، وقال الإمام أحمد رحمه الله : (ليس لأهل الشام أشرف من هٰذا الحديث) .

(٢) مسند أحمد (١٠٦/٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٠٥٣) بنحوه ، وأخرجه أيضاً في « الشعب » (١٠٣٣٨) بلفظه عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٣) سورة هود : (١٠٢) ، والحديث أخرجه البخاري (٤٦٨٦) ، ومسلم (٢٥٨٣) .

(٤) صحيح مسلم (٢٥٨١) .

فَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي لَا يَغْفِرُهُ ٱللَّهُ . . فَٱلشِّرْكُ ؛ قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[(١)] .

وَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي يَغْفِرُهُ ٱللَّهُ . . فَظُلْمُ ٱلْعِبَادِ أَنْفُسَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ .

وَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي لَا يَتْرُكُهُ ٱللَّهُ . . فَظُلْمُ ٱلْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً ؛ حَتَّىٰ يَدِينَ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ »[(٢)] .

وأحمدُ والشيخانِ عن عائشةَ وعن سعيدِ بنِ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُما : « مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ ـ أي : قدرَهُ ـ . . طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ »[(٣)] أي : يخسفُ اللهُ بهِ الأرضَ ، فيُصَيِّرُ البقعةَ في عنقِهِ كالطَّوقِ .

وأحمدُ وابنُ حِبَّانَ عن يعلى بنِ مُرَّةَ : « أَيُّمَا رَجُلٍ ظَلَمَ شِبْراً مِنَ ٱلْأَرْضِ . . كَلَّفَهُ ٱللَّهُ أَنْ يَحْفِرَهُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ آخِرَ سَبْعِ أَرَضِينَ ، ثُمَّ يُطَوَّقَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ ٱلنَّاسِ »[(٤)] .

وأحمدُ والطبرانيُّ : « مَنْ أَخَذَ شَيْئاً مِنَ ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ . . طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ »[(٥)] .

والديلميُّ عن حذيفةَ : « ٱلظَّلَمَةُ وَأَعْوَانُهُمْ فِي ٱلنَّارِ »[(٦)] .

---

(١) سورة لقمان : (١٣) .

(٢) مسند الطيالسي (٢١٠٩) ، ومسند البزار (٦٤٩٣) .

(٣) صحيح البخاري (٢٤٥٣) ، وصحيح مسلم (١٦١٢) ، ومسند أحمد (٦٤/٦) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وأما حديث سيدنا سعيد بن زيد رضي الله عنه ومخاصمة أروىٰ له . . فأخرجه البخاري (٣١٩٨) ، ومسلم (١٣٨/١٦١٠) .

(٤) صحيح ابن حبان (٥١٦٤) ، ومسند أحمد (١٧٣/٤) .

(٥) مسند أحمد (٩٩/٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وأخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥١٤٥) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٦) الفردوس بمأثور الخطاب (٤٠٠٠) .

وأبو داوودَ : « مَنْ حَمَىٰ مُؤْمِناً مِنْ مُنَافِقٍ آذَاهُ[1] . . بَعَثَ ٱللهُ مَلَكاً يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ . . . » الحديثَ[2] .

والخطيبُ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : « ٱتَّقِ دَعْوَةَ ٱلْمَظْلُومِ ؛ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالَىٰ حَقَّهُ ، وَإِنَّ ٱللهَ لَنْ يَمْنَعَ ذَا حَقٍّ حَقَّهُ »[3] .

والطيالسيُّ عن أبي هريرةَ : « دَعْوَةُ ٱلْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ، وَإِنْ كَانَ فَاجِراً . . فَفُجُورُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ »[4] .

[حديثٌ في القِصَاصِ]

ورُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ أُنيسٍ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « يُحْشَرُ ٱلْعِبَادُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً بُهْماً ، فَيُنَادِيهِمْ مُنَادٍ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ : أَنَا ٱلْمَلِكُ ٱلدَّيَّانُ ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ ٱلنَّارِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلِمَةٍ حَتَّى ٱللَّطْمَةِ فَمَا فَوْقَهَا ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ ٱلنَّارِ أَنْ يَدْخُلَ ٱلنَّارَ وَعِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ حَتَّى ٱللَّطْمَةُ فَمَا فَوْقَهَا : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ » .

قلنا : يا رسولَ اللهِ ؛ كيفَ وإنَّما نأتي اللهَ حُفاةً عُراةً ؟! قالَ : « بِٱلْحَسَنَاتِ وَٱلسَّيِّئَاتِ جَزَاءً ، ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ »[5] .

❁ ❁ ❁

---

(١) زاد في (ب) : (آذاه قال) ، وفي « سنن أبي داوود » : (من منافق أراه قال) .

(٢) سنن أبي داوود (٤٨٤٩) عن سيدنا معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه .

(٣) تاريخ بغداد (٩/٣٠٢) .

(٤) مسند الطيالسي (٢٣٣٠) .

(٥) سورة الكهف : (٤٩) ، والحديث أخرجه الحاكم (٤/٥٧٥) ، وأحمد (٣/٤٩٥) .

وعنِ ابنِ [مسعودٍ][1] قالَ : « يُؤْخَذُ بِيَدِ ٱلْعَبْدِ وَٱلْأَمَةِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، فَيُنَادَىٰ بِهِ عَلَىٰ رُؤُوسِ ٱلْخَلَائِقِ : هَـٰذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، مَنْ كَانَ لَهُ حَقٌّ . . فَلْيَأْتِ إِلَىٰ حَقِّهِ ، قَالَ : فَتَفْرَحُ ٱلْمَرْأَةُ أَنْ يَكُونَ لَهَا حَقٌّ عَلَى ٱبْنِهَا أَوْ أَخِيهَا »[2] ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[3] .

قالَ : « فَيَغْفِرُ ٱللهُ مِنْ حَقِّهِ مَا شَاءَ ، وَلَا يَغْفِرُ مِنْ حُقُوقِ ٱلنَّاسِ شَيْئاً ، فَيَقْضِي ، فَيُنْصَبُ ٱلْعَبْدُ لِلنَّاسِ ، ثُمَّ يَقُولُ ٱللهُ لِأَصْحَابِ ٱلْحُقُوقِ : ٱئْتُوا إِلَىٰ حُقُوقِكُمْ ، قَالَ : فَيَقُولُ ٱلْعَبْدُ : يَا رَبِّ ؛ فَنِيَتِ ٱلدُّنْيَا ، فَمِنْ أَيْنَ أُوتِيهِمْ حُقُوقَهُمْ ؟!

فَيَقُولُ ٱللهُ لِمَلَائِكَتِهِ : خُذُوا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَأَعْطُوا كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ بِقَدْرِ طَلِبَتِهِ ، فَإِنْ كَانَ وَلِيّاً لِلهِ وَفَضَلَ لَهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ . . ضَاعَفَهَا ٱللهُ لَهُ حَتَّىٰ يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ بِهَا ، وَإِنْ كَانَ عَبْداً شَقِيّاً وَلَمْ يَفْضُلْ لَهُ شَيْءٌ . . فَيَقُولُ ٱلْمَلَائِكَةُ : رَبَّنَا ؛ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ وَبَقِيَ طَالِبُونَ ؟ فَيَقُولُ ٱللهُ : خُذُوا مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَأَضِيفُوا إِلَىٰ سَيِّئَاتِهِ ، ثُمَّ صُكُّوا لَهُ صَكّاً إِلَى ٱلنَّارِ »[4] .



وحكى اليافعيُّ عن بُكيرٍ ـ صاحبِ الشِّبليِّ ـ قالَ : لمَّا حضرَتِ الوفاةُ

(١) في النسخ : (عن ابن عباس) رضي الله عنهما ، والمثبت من كتب التخريج .
(٢) في (ج) : (على أختها) ، وهي رواية ابن المبارك في « الزهد » وزادوا : (على زوجها) .
(٣) سورة المؤمنون : (١٠١) .
(٤) أخرجه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » (١٤١٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤/٢٠١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨/٢٨٥) ، وقد أورده العلامة ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢/٢٤٤) ضمن الكبيرة (٣٥٠) بلفظه ، وله حكم المرفوع ؛ فمثله لا يقال من قبل الرأي ، وزاد في (أ ، ج) قصة سؤال منكر ونكير لرجل في قبره ، وهي ستأتي (ص ٤٤٨) .

الشِّبليَّ . . قالَ : (عليَّ درهمٌ مَظلِمةٌ ؛ فقد تصدَّقتُ عنهُ بألوفٍ ، فما عليَّ شيءٌ أعظمُ منهُ)[1] .

[قصَّةُ الشرطيِّ والسمكةِ وعاقبةُ الظلمِ]

وحكىٰ أيضاً عن عمرِو بنِ دينارٍ قالَ : (كانَ رجلٌ مِنْ بني إسرائيلَ علىٰ ساحلِ البحرِ ، فرأىٰ رجلاً وهوَ يُنادي بأعلىٰ صوتِهِ : ألا مَنْ رآني . . فلا يظلمنَّ أحداً .

قالَ : فدنا منهُ وقالَ لهُ : يا عبدَ اللهِ ؛ ما خبرُكَ ؟

فقالَ : اعلمْ : أنِّي كنتُ رجلاً شرطيّاً ، فجئتُ يوماً إلىٰ هـٰذا الساحلِ ، فرأيتُ صيَّاداً قد صاد سمكةً ، فسألتُهُ أن يهبَها منِّي[2] ، فأبىٰ ، فسألتُهُ أن يبيعَها منِّي فأبىٰ ، فضربتُ رأسَهُ بسَوْطي ، وأخذتُها منهُ قهراً ، ومضيتُ بها .

قالَ : فبينَما أنا ماشٍ بها حاملُها . . إذ عضَّتْ علىٰ إبهامي ، فرُمْتُ أن أُخلِّصَ إبهامي منها فلم أقدرْ ، فجئتُ إلىٰ عيالي ، فعالجوا أن يُخلِّصوا إبهامي منها فلم يقدروا إلَّا بعدَ تعبٍ شديدٍ ، وقيلَ : إنَّما تعلَّقَتْ بإبهامِهِ عندَما قُدِّمَتْ إليهِ ليأكلَها .

قالَ : فأصبحَ إبهامي قد ورمَ وانتفخَ ، ثمَّ انتفخَتْ فيهِ عيونٌ مِنْ آثارِ أنيابِ السمكةِ ، فذهبتُ إلىٰ طبيبٍ مُحسِنٍ ، فلمَّا نظرَ إلىٰ إبهامي . . قالَ : هـٰذا أَكِلَةٌ بلا شَكٍّ ، وإن لم تُقطعْ إبهامُكَ . . هلكْتَ !!

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ٢٩٠) آخر الحكاية (٢٩٣) .

(٢) في « روض الرياحين » : (يهبها لي) .

فقطعتُ إبهامي ، ثمَّ ضربَتْ عليَّ يدي ، فلم أُطِقِ النَّومَ ولا القرارَ مِنْ شِدَّةِ الألمِ ، فقيلَ لي : اقطعْ كفَّكَ ، فقطعتُها ، فانتشرَ الألمُ إلى الساعدِ وآلمَني شديداً ، ولم أُطِقِ القرارَ ، وجعلتُ أستغيثُ مِنْ شِدَّةِ الألمِ ، فقيلَ لي : اقطعْها مِنَ المِرفَقِ ، فقطعتُها ، فانتشرَ الألمُ إلى العضدِ ، وضربَتْ عليَّ عضدي أشدَّ مِنَ الألمِ الأوَّلِ ، فقيلَ لي : اقطعْ يدَكَ مِنْ كتفِكَ ؛ وإلَّا . . سرى الألمُ إلىٰ جسدِكَ كلِّهِ ، فقطعتُها .

فقالَ لي بعضُ النَّاسِ : ما سببُ ألمِكَ ؟[1] فذكرتُ لهُ قصَّةَ السمكةِ ، فقالَ : لو كنتَ رجعتَ في أوَّلِ ما أصابَكَ الألمُ إلىٰ صاحبِ السمكةِ فاستحللتَ منهُ واسترضيتَهُ ولا قطعتَ مِنْ أعضائِكَ عضواً عضواً ؟! فاذهبْ إليهِ الآنَ ، واطلبْ رضاهُ قبل أن يصلَ الألمُ إلىٰ بدنِكَ .

قالَ : فلم أزلْ أطلبُهُ في البلدِ حتىٰ وجدتُهُ ، فوقعتُ علىٰ رجلَيهِ أُقبِّلُهما وأبكي ، فقلتُ : يا سيِّدي ؛ سألتُكَ باللهِ إلَّا ما عفوتَ عنِّي .

فقالَ لي : مَنْ أنتَ ؟! فقلتُ : أنا الذي أخذتُ منكَ السمكةَ غصباً ، وذكرتُ ما جرىٰ ، وأريتُهُ يدي ، فبكىٰ حينَ رآها ، فقالَ : يا أخي ؛ قد أحللتُكَ منها ؛ لِمَا قد رأيتُ بكَ مِنْ هٰذا البلاءِ .

فقلتُ : يا سيِّدي ؛ سألتُكَ باللهِ : هل كنتَ دعوتَ عليَّ لمَّا أخذتُها منكَ ؟ قالَ : نعم ، قلتُ : اللهمَّ ؛ هٰذا تَقوَّىٰ عليَّ بقوَّتِهِ علىٰ ضعفي ، وأخذَ منِّي ما رزقتَني . . فأرِني فيهِ قدرتَكَ .

---

(١) الذي ذكره في « روض الرياحين » : أنه رأىٰ رؤيا وأتاه آتٍ في منامه ، وقال له : (كم تقطع أعضاءك وترمي بها إرباً إرباً ؟! اردد الحق إلىٰ أهله ؛ فإنك تنجو . . .) .

قلتُ : قد أراكَ اللهُ قدرتَهُ فيَّ ، وأنا تائبٌ إلى اللهِ عمَّا كنتُ عليهِ)[1] .

[قصَّةٌ عجيبةٌ بينَ تاجرٍ ولصٍّ وصيَّادَينِ]

وحكىٰ أيضاً عن عليِّ بنِ حربٍ قالَ : (خرجتُ يوماً أنا وبعضُ شبابِ المَوصلِ إلى الشطِّ ، فركبنا في زورقٍ ، فلما بَعُدنا مِنَ البلدِ وتوسَّطنا البحرَ . . إذا بسمكةٍ كبيرةٍ طَفَرَتْ مِنَ الشطِّ إلىٰ وَسَطِ الزَّورقِ ، فقامَ الشبابُ ونزلوا إلىٰ حافَّةِ الشطِّ ؛ ليجمعوا حطباً برسمِ السمكةِ ، فنزلتُ معَهُم .

فبينَما نحنُ نمشي علىٰ جانبِ الشطِّ ؛ وإذا بالقربِ منَّا خرابةٌ ، فذهبنا إليها ننظرُ آثارَها ؛ وإذا فيها شابٌّ مكتوفٌ ، وآخَرُ مذبوحٌ إلىٰ جانبِهِ ، وبغلٌ واقفٌ عليهِ قُماشٌ .

فقلنا للشابِّ : ما قصَّتُكَ ؟! وما هٰذا المذبوحُ ؟! فقالَ : إنِّي كنتُ مُكترياً معَ هٰذا المُكاري صاحبِ هٰذا البغلِ ، فعدلَ بي إلىٰ هٰذا المكانِ ، وكتَّفَني كما ترونَ ، وقالَ : لا بدَّ لي مِنْ قتلِكَ ، فناشدتُهُ اللهَ تعالىٰ : لا تظلمْني ، ولا تربحْ إثمي ، ولا تَعْدِمْني روحي ، بل تأخذُ القُماشَ وأنتَ في حِلٍّ منهُ ، وحلفتُ لهُ باللهِ تعالىٰ : أنِّي لا أُعلِمُ بهِ أحداً ، وما زلتُ أناشدُهُ اللهَ تعالىٰ وهوَ لا يفعلُ ولا يسمعُ ، فمدَّ يدَهُ إلىٰ سكِّينٍ كانَتْ في وَسَطِهِ يجذِبُها ، فتعسَّرَتْ عليهِ أن تخرجَ مِنْ غلافِها ، فما زالَ يجذِبُها إلىٰ أن خرجَتْ بصعوبةٍ ، فما أخطأَتْ حلقَهُ فذبحَتْهُ ، فهوَ كما ترونَ وأنا علىٰ حالتي هٰذهِ .

---

(١) روض الرياحين (ص ٢٩١ ـ ٢٩٢) ، رقم الحكاية (٢٩٥) مع اختلاف يسير .

قالَ : فحللنا كِتافَهُ ، وأعطيناهُ البغلَ والقُماشَ وراحَ ، وعدنا إلى الزَّورقِ ، فلمَّا صعِدنا . . طَفَرَتِ السمكةُ إلى الشطِّ)[1] .

[بيتُ العجوزِ وقصرُ الملِكِ وعدالةُ المولىٰ]

وحكىٰ أيضاً : (أنَّ امرأةً إسرائيليَّةً كانَ لها دارٌ بجوارِ قصرِ الملِكِ ، وكانَتْ تَشينُ القصرَ[2] ، وكلَّما رامَ الملِكُ منها أن تبيعَ الدَّارَ . . أَبَتْ أن تبيعَ منهُ ، فخرجَتِ المرأةُ في سفرٍ ، فأمرَ الملِكُ بهدمِها .

فلمَّا جاءَتِ المرأةُ مِنَ السفرِ . . قالَتْ : مَنْ هدمَ داري ؟ قيلَ لها : الملِكُ ، فرفعَتْ طَرْفَها إلى السماءِ وقالَتْ : إلٰهي وسيِّدي ومولايَ ؛ غبتُ أنا وأنتَ حاضرٌ ، للضعيفِ مُعينٌ وللمظلومِ ناصرٌ ، ثمَّ جلسَتْ .

فخرجَ الملِكُ في موكبِهِ ، فلمَّا نظرَ إليها . . قالَ لها : ماذا تنتظرينَ ؟ قالَتْ : أنتظرُ خرابَ قصرِكَ ، فهزئَ بقولِها ، وضحكَ منها ، فلمَّا جنَّ عليهِ اللَّيلُ . . خُسِفَ بهِ وبقصرِهِ) ، ووُجِدَ علىٰ بعضِ حيطانِ القصرِ مكتوبٌ هٰذهِ الأبياتُ[3] : [من الوافر]

أَتَهْزَأُ بِٱلدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ ... وَمَا يُدْرِيكَ مَا صَنَعَ ٱلدُّعَاءُ

سِهَامُ ٱللَّيْلِ لَا تُخْطِي وَلٰكِنْ ... لَهَا أَمَدٌ وَلِلْأَمَدِ ٱنْقِضَاءُ

وَقَدْ شَاءَ ٱلْإِلَٰهُ بِمَا تَرَاهُ ... فَمَا لِلْمُلْكِ عِنْدَكُمُ بَقَاءُ

حفظَنا اللهُ مِنْ شرورِ الظالمينَ ، وحمانا مِنْ مكايدِ الكافرينَ ، آمينَ .

---

(١) روض الرياحين (ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣) رقم الحكاية (٢٩٦) وفيه : (قفزت السمكة) .

(٢) أي : تُزري به وتعيبه ، ولا يليق بزعمهم أن تكون بجوار القصر .

(٣) روض الرياحين (ص ٢٩٠) رقم الحكاية (٢٩٤) .

تَنبِيهٌ

[في تعريفِ الظلمِ والغَصْبِ]

إنَّ الظلمَ : هوَ وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِهِ ، وقيلَ : التصرُّفُ في مِلْكِ الغيرِ بغيرِ إذنِهِ .

والغَصْبُ : هوَ الاستيلاءُ على حقِّ الغيرِ ، وهُما حرامانِ بالكتابِ والسنَّةِ والإجماعِ ، فيكفرُ مُستحِلُّهُما ، ويَفسُقُ ولو بحبَّةٍ إجماعاً(١) .

[لا تستصغروا المعاصيَ]

ورُوِيَ : أنَّ عيسىٰ عليهِ السلامُ مرَّ بمقبرةٍ فنادىٰ رجلاً منهُم ، فأحياهُ اللهُ ، فقالَ لهُ : « مَنْ أَنْتَ ؟ » فقالَ : كنتُ حمَّالاً أنقلُ للنَّاسِ ، فنقلتُ يوماً لإنسانٍ حطباً ، وكسرتُ منهُ خِلالاً تخلَّلتُ بهِ ، فأنا مُطالَبٌ بهِ مذ متُّ(٢) .

ربَّنا ؛ اغفرْ لنا ، وتحمَّلْ تبعاتِنا ، وارزقْنا الإخلاصَ في كلِّ أمورِنا .

[أعوانُ الظَّلَمةِ ظلمةٌ]

وكما يَحرُمُ الظلمُ . . يَحرُمُ الإعانةُ عليهِ ولو بكلمةٍ ؛ قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ : « مَنْ مَشَىٰ مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ عَلَىٰ ظُلْمِهِ . . أَزَلَّ ٱللهُ قَدَمَيْهِ عَنِ ٱلصِّرَاطِ يَوْمَ تَدْحَضُ فِيهِ ٱلْأَقْدَامُ »(٣) .

---

(١) فصَّل الإمام ابن حجر الهيتمي هـٰذا المبحث في « الزواجر » (١/٥٦٥) في الكبيرة (٢٢٧) .

(٢) ذكرها الإمام القشيري في « رسالته » (ص ٣٣٢) .

(٣) أورده القرطبي في « تفسيره » (١٣/٢٦٣) بلفظه دون عزو لأحد ، وأخرج الطبراني في « المعجم الكبير » (١/٢٢٧) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٩٩٣) عن سيدنا أوس بن شرحبيل رضي الله ←

وقالَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ . . نَادَىٰ مُنَادٍ : أَيْنَ ٱلظَّلَمَةُ ، وَأَعْوَانُ ٱلظَّلَمَةِ ، وَأَشْبَاهُ ٱلظَّلَمَةِ ؟ أَيْنَ مَنْ لَاقَ لَهُمْ دَوَاةً وَبَرَىٰ لَهُمْ قَلَماً ؟ فَيُجْمَعُونَ فِي تَابُوتٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ سِيقَ بِهِمْ عَلَىٰ رُؤُوسِ ٱلْخَلَائِقِ إِلَىٰ جَهَنَّمَ »(١) ، ورفعَهُ بعضُهُم إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(٢) .

قالَ الأئمَّةُ : بلغَنا أنَّهُم يرونَ أنَّهُ ليسَ أحدٌ أشدَّ عذاباً منهُم ؛ لِما يَحُلُّ بهِم مِنْ ضيقِ التابوتِ وشِدَّةِ العذابِ .

[جزاءُ مَنْ خذلَ مظلوماً](٣)

وذكرَ أبو سَبْرَةَ : (أنَّ منُكراً ونكيراً أتيا رجلاً إلىٰ قبرِهِ ، وقالا : إنَّا ضاربوكَ مئةَ ضربةٍ ، فقالَ الميّتُ : إنِّي كنتُ كذا وكذا ، وتشفَّعَ ببعضِ أعمالِهِ ؛ حتىٰ حطَّا عنهُ عشراً ، ثمَّ لم يزلْ يتشفَّعُ ؛ حتىٰ حطَّا الجميعَ إلَّا ضربةً ، فضرباهُ ضربةً واحدةً ، فالتهبَ القبرُ عليهِ ناراً ، فقالَ : لِمَ ضربتُماني ؟ فقالا : مررتَ بمظلومٍ فاستغاثَ بكَ فلم تُغِثْهُ)(٤) .

← عنه : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من مشىٰ مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم . . فقد خرج من الإسلام » نسأل الله اللطف والعافية ، **ودحض الأقدام** : زلقها ومزلّتها عن الصراط ، فتُسقط صاحبها في النار .

(١) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٩٨٩) .

(٢) أخرجه أحمد في « الورع » (ص ٩٣) ، وابن بشران في « أماليه » (١٢٠٥) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) تقدم موضع هـٰذه القصة في (أ ، ج) ، وهي مثبتة من (ب ، هـ) والمطبوع وهامش (ج) وهي مناسبة للموضوع هنا .

(٤) أخرج الطبراني نحوه في « المعجم الكبير » (٤٤٣/١٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٩٣٤) عن أبي ميسرة رحمه الله تعالىٰ ، وزادا ذنباً آخر وهو صلاته بغير طهور ، وانظر « شرح الصدور » (ص ٣٢٧) .

فهٰذا حالُ مَنْ لم ينصرِ المظلومَ معَ قدرتِهِ علىٰ نصرِهِ . . فكيفَ حالُ الظالمِ ؟![1] .

[حالُ مَنْ خدمَ الظَّلَمةَ بعدَ الموتِ]

وقالَ بعضُهُم[2] : (رأيتُ في المنامِ رجلاً ممَّنْ يخدُمُ الظَّلَمةَ والمكَّاسينَ بعدَ موتِهِ وهوَ في حالةٍ قبيحةٍ ، فقلتُ لهُ : ما حالُكَ ؟ فقالَ : شرُّ حالٍ .

فقلتُ : إلىٰ أينَ صِرْتَ ؟ فقالَ : إلىٰ عذابِ اللهِ .

فقلتُ : ما حالُ الظَّلَمةِ عندَ ربِّهِم ؟ قالَ : شرُّ حالٍ ؛ أما سمعتَ قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾)[3] .

[هل خيَّاطُ السلطانِ مِنَ الظَّلَمةِ ؟]

وحُكِيَ : (أنَّهُ جاءَ خيَّاطٌ إلىٰ سفيانَ الثوريِّ ، فقالَ : إنِّي أخيطُ ثيابَ السلطانِ ، أفتراني مِنْ أعوانِ الظَّلَمةِ ؟

قالَ سفيانُ : بل أنتَ مِنَ الظَّلَمةِ أنفسِهِم ؛ لٰكنْ أعوانُ الظَّلَمةِ : مَنْ يبيعُ منكَ الإبرةَ والخيوطَ)[4] .

---

(١) في (أ ، ج) زيادة : (وإذا كان هٰذا حال من لم ينصر وتشفع بأعماله الصالحة . . فكيف حال الضارب والآمر بالضرب مع ظهور العتو والجبروت ، لا سيما إذا كان حاكماً ؛ فإن منصبه دفع الظلم ، فإن كان هو الظالم . . حلَّ به البلاء العاجل قبل الآجل) .

(٢) في (هـ) : (وحكىٰ بعضهم) .

(٣) سورة الشعراء : (٢٢٧) ، والقصة ذكرها العلامة ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢/٢٤٧) ضمن الكبيرة (٣٥٠) .

(٤) ذكرها الإمام أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢/١٩١) ، والإمام الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٣/٥٥) لٰكن المسؤول هو عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالىٰ ، وذكرها الحافظ الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ١٢٢) ضمن الكبيرة (٢٦) ، والعلامة ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢/١٤٦) ضمن الكبيرة (٣٥٠) من قول سفيان كما ذكره المؤلف .

[أمثلةٌ للظلمِ المُحرَّمِ]

ومِنَ الظلمِ المُحرَّمِ : أن تُظلَمَ المرأةُ مِنْ نحوِ صداقٍ أو نفقةٍ أو كِسوةٍ ، وهوَ داخلٌ في قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَيُّ ٱلْوَاجِدِ ظُلْمٌ ، يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ »[1] أي : شِكايتَهُ وتعزيرَهُ بالحبسِ والضربِ .

❀ ❀ ❀

وتأخيرُ أجرِ الأجيرِ ، أو منعُهُ منهُ بعدَ فراغِ عملِهِ الذي شُرِطَ عليهِ الأجرةُ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَعْطَىٰ بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّاً فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ ٱسْتَأْجَرَ أَجِيراً ، فَٱسْتَوْفَىٰ مِنْهُ وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ » رواهُ ابنُ ماجه[2] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَعْطُوا ٱلْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ » رواهُ الطبرانيُّ[3] .

وحُكِيَ : أنَّهُ حجمَ حجَّامٌ داوودَ الطائيَّ ، فأعطاهُ دينارَينِ ، فقالوا : أسرفتَ ؟! فقالَ : (لا دِينَ لِمَنْ لا مُروءةَ لهُ)[4] .

[قصَّةُ الشِّبليِّ معَ فقيرٍ مُكاشفٍ]

وحُكِيَ عنِ الشِّبليِّ قالَ : (قالَ لي خاطري يوماً : أنتَ بخيلٌ ، فقلتُ : ما أنا ببخيلٍ ، فقالَ : بلىٰ ، أنتَ بخيلٌ ، فقلتُ : ما أنا ببخيلٍ ، فقالَ : بلىٰ ، أنتَ بخيلٌ !!

---

(١) أخرجه ابن حبان (٥٠٨٩) ، والحاكم (١٠٢/٤) ، وأبو داوود (٣٦٢٣) عن سيدنا الشريد بن سويد الثقفي رضي الله عنه .

(٢) سنن ابن ماجه (٢٥٥٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الصغير » (٢٠/١ ـ ٢١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » بنحوه (٣٥٤/٧) ، والقشيري في « رسالته » (ص ١٢٢) .

فنويتُ أنَّ أوَّلَ شيءٍ يُفتَحُ عليَّ . . أُعطيهِ أوَّلَ فقيرٍ ألقاهُ ، فما تمَّ هٰذا الخاطرُ حتىٰ دخلَ عليَّ فلانٌ ـ سمَّاهُ ـ بخمسينَ ديناراً ، فأخذتُها وخرجتُ ، فأوَّلُ مَنْ لقيتُ فقيرٌ ضريرٌ ـ أو قالَ : أكْمَهُ ـ بينَ يدَيْ مُزيِّنٍ يحلِقُ شعرَهُ ، فناولتُهُ ذٰلكَ ، فقالَ : أعطِها المُزيِّنَ .

فقلتُ : إنَّها دنانيرُ !! فرفعَ رأسَهُ إليَّ وقالَ : أما قلنا لكَ : إنَّكَ بخيلٌ ؟! فناولتُها المُزيِّنَ ، فقالَ : منذُ قعدَ بينَ يدَيَّ هٰذا الفقيرُ . . عقدتُ معَ اللهِ عقداً ألَّا آخذَ علىٰ حلاقتِهِ شيئاً ، قالَ : فأخذتُها وذهبتُ إلى البحرِ ، فرميتُ بها فيهِ)[1] .

❁ ❁ ❁

واستعمالُ العاريَّةِ في غيرِ المنفعةِ التي استعارَها لها ، وإعارتُها مِنْ غيرِ إذنِ مالكِها ، واستعمالُها بعدَ المُدَّةِ المُؤقَّتةِ بها .

[صورٌ مِنْ ورعِ السلفِ الصالحِ]

وقيلَ : إنَّهُ رجعَ ابنُ المباركِ مِنْ مَرْوَ إلى الشامِ في قلمٍ استعارَهُ ، فلم يردَّهُ علىٰ صاحبِهِ[2] ، ورجعَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ مِنْ بيتِ المقدسِ إلى البصرةِ لردِّ تمرةٍ[3] .

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ١٤٧) وهي الحكاية (١١٤) ، وقد ردَّ المؤلف اليافعي رحمه الله تعالىٰ آخر الكتاب عن ذٰلك (ص ٤٧٦) فقال : (قلت : فالجواب عن اعتراض المعترض وإنكار المنكر ، وزعمه أن هٰذه إضاعة مالٍ من ثلاثة أوجه : **أحدها** : أن يكون فعل ذٰلك في حالٍ ورد عليه ، وذو الحال الغائب غيرُ مكلف ، **والثاني** : أن يكون شهد فيها سمّاً مهلكاً كل من صارت إليه ، فأتلفها كما تُتلف الأفعىٰ ، **والثالث** : أن يكون بإشارة مؤذنة بالإذن اضطرته إلىٰ ذٰلك ؛ بحيث لم يجد عنه محيصاً ، والله أعلم) .

(٢) ذكر ذٰلك القشيري في « رسالته » (ص ٣٣١) .

(٣) ذكر ذٰلك المناوي في « فيض القدير » (٥٢/٥) ، وهٰذا الأثر زيادة من (ج) .

وكـانَ حسـانُ بنُ أبي سنانٍ لا ينامُ مُضطجِعاً ، ولا يأكلُ سميناً ، ولا يشربُ بـارداً ستّينَ سنةً ، فرُئيَ في المنامِ بعدَما مـاتَ ، فقيلَ لـهُ : (مَا فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : خيراً ، إلَّا أنِّي محبوسٌ عنِ الجنَّةِ بإبرةٍ استعرتُها فلم أردَّها)[1] .

[وصيةُ قاضٍ مِنْ بني إسرائيلَ][2]

وعـن عطـاءِ بـنِ الـخراسـانـيّ[3] قـالَ : (إنَّـهُ استُقضِيَ رجلٌ مِنْ بني إسرائيلَ أربعينَ سنةً ، فلمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ . . قالَ : إنِّي أرىٰ أنِّي هالكٌ في مرضي هـٰذا ؛ فإن هلكتُ . . فاحبسوني عندَكُم أربعةَ أو خمسةَ أيَّامٍ ، فإن رأيتُم منِّي شيئاً . . فليناد رجلٌ منكُم ، فلمَّا قَضىٰ . . جُعِلَ في تابوتٍ ، فلمَّا كانَ ثلاثةُ أيَّامٍ . . آذاهُم ريحُهُ ، فناداهُ رجلٌ منهُم : يا فلانُ ؛ ما هـٰذا الرِّيحُ ؟!

فأذِنَ اللهُ تعالىٰ لهُ فتكلَّمَ ، فقالَ : لقد وَلِيتُ القضاءَ فيكُم أربعينَ سنةً ، فما رابَني شيءٌ إلَّا رجلانِ أتياني ، فكانَ لي في أحدِهِما هوىً ، فكنتُ أسمعُ منهُ بأذني التي عليهِ أكثرَ ممَّا أسمعُ بالأُخرىٰ ، فهـٰذهِ الرِّيحُ منها ، وضربَ اللهُ علىٰ أذنِهِ فماتَ)[4] .

---

(١) ذكر ذلك القشيري في « رسالته » (ص ٢٣٢) .

(٢) هـٰذا الأثر زيادة من (أ) .

(٣) كذا هو الاسم في (أ) ، والمشهور : (عطاء الخراساني) فليتنبه .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في « من عاش بعد الموت » (٣٥) ، ووكيع القاضي ؛ واسمه محمد بن خلف الضبي في « أخبار القضاة » (٢٨/١) ، وانظر « شرح الصدور » (ص ١٧٣) ، ويحتمل أنه استند في إخباره : أنه يحيا بعد الموت ، ويكلِّم من يناديه ويسأله : علىٰ إخبار مَلَكٍ له في مرضه أنه يتكلم بعد الموت ؛ لأجل أن يحمل القضاة في زمانه على العدل بين الخصمين ، وإلقاء البال إليهما علىٰ حد سواء . انظر « الزهر المنثور علىٰ شرح الصدور » للإمام اللقاني .

فَصْلٌ

في أكلِ مالِ اليتيمِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[1] .

وأخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱجْتَنِبُوا ٱلسَّبْعَ ٱلْمُوبِقَاتِ » قالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ وما هيَ ؟ قالَ : « ٱلشِّرْكُ بِٱللهِ ، وَٱلسِّحْرُ ، وَقَتْلُ ٱلنَّفْسِ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ، وَأَكْلُ ٱلرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ ٱلْيَتِيمِ ، وَٱلتَّوَلِّي يَوْمَ ٱلزَّحْفِ ، وَقَذْفُ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْغَافِلَاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ »[2] .

والحاكمُ والبيهقيُّ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « أَرْبَعٌ حَقٌّ عَلَى ٱللهِ أَلَّا يُدْخِلَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ، وَلَا يُذِيقَهُمْ نَعِيمَهَا : مُدْمِنُ ٱلْخَمْرِ ، وَآكِلُ ٱلرِّبَا ، وَآكِلُ مَالِ ٱلْيَتِيمِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَٱلْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ »[3] .

والحاكمُ عن أبي موسىٰ : « ثَلَاثَةٌ يَدْعُونَ ٱللهَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ : رَجُلٌ كَانَتْ تَحْتَهُ ٱمْرَأَةٌ سَيِّئَةُ ٱلْخُلُقِ فَلَمْ يُطَلِّقْهَا ، وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ عَلَىٰ رَجُلٍ آخَرَ مَالٌ وَلَمْ يُشْهِدْ عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ آتَىٰ سَفِيهاً مَالَهُ وَقَدْ قَالَ ٱللهُ : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ »[4] .

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة النساء : (١٠) .

(٢) صحيح البخاري (٢٧٦٦) ، وصحيح مسلم (٨٩) .

(٣) مستدرك الحاكم (٣٧/٢) ، وأخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٥١٤٢) .

(٤) سورة النساء : (٥) ، والحديث أخرجه الحاكم (٣٠٢/٢) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، والحديث زيادة من (ج) والمطبوع .

وفي « تفسيرِ القرطبيِّ » عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي قَوْماً لَهُمْ مَشَافِرُ كَمَشَافِرِ ٱلْإِبِلِ ، وَقَدْ وُكِّلَ بِهِمْ مَنْ يَأْخُذُ مَشَافِرَهُمْ ، ثُمَّ يَجْعَلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ صَخْراً مِنْ صُخُورِ جَهَنَّمَ تَخْرُجُ مِنْ أَسَافِلِهِمْ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ ؛ مَنْ هَـٰؤُلَاءِ ؟ قَالَ : هُمُ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلْيَتَامَىٰ ظُلْماً »[1] .

تنبيه

[مِنَ الكبائرِ المُهلِكةِ أكلُ مالِ اليتيمِ]

إنَّ أكلَ مالِ اليتيمِ مِنَ الكبائرِ المُهلِكةِ اتفاقاً ، وظاهرُ كلامِهم : أنَّهُ لا فرقَ بينَ قليلِهِ وكثيرِهِ ولو حبَّةً .

خاتمة

في كفالةِ اليتيمِ والشفقةِ والسعيِ على الأرملةِ

أخرجَ البخاريُّ : « أَنَا وَكَافِلُ ٱلْيَتِيمِ فِي ٱلْجَنَّةِ هَـٰكَذَا »[2] .

وابنُ ماجه : « مَنْ عَالَ ثَلَاثَةَ أَيْتَامٍ . . كَانَ كَمَنْ قَامَ لَيْلَهُ وَصَامَ نَهَارَهُ ، وَغَدَا وَرَاحَ شَاهِراً سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ، وَكُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي ٱلْجَنَّةِ إِخْوَاناً ؛ كَمَا أَنَّ هَاتَيْنِ أُخْتَانِ » وألصقَ إصبعَيهِ : السبَّابةَ والوسطىٰ[3] .

والترمذيُّ : « مَنْ قَبَضَ يَتِيماً مِنْ بَيْنِ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ . .

---

(١) انظر « تفسير القرطبي » (٥٣/٥) ، والحديث أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٤٨٨٤) ، والطبري في « تفسيره » (٨٧٢٥) .

(٢) صحيح البخاري (٥٣٠٤) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما .

(٣) سنن ابن ماجه (٣٨٣٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

أَدْخَلَهُ ٱللهُ ٱلْجَنَّةَ أَلْبَتَّةَ ؛ إِلَّا أَنْ يَعْمَلَ ذَنْباً لَا يُغْفَرُ لَهُ »[1] ، وفي روايةٍ : « حَتَّىٰ يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ . . وَجَبَتْ لَهُ ٱلْجَنَّةُ أَلْبَتَّةَ »[2] .

وابنُ ماجه : « خَيْرُ بَيْتٍ فِي ٱلْمُسْلِمِينَ . . بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي ٱلْمُسْلِمِينَ . . بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ »[3] .

وحمزةُ بنُ يوسفَ وابنُ [النجَّارِ][4] : « إِنَّ فِي ٱلْجَنَّةِ دَاراً يُقَالُ لَهَا : دَارُ ٱلْفَرَحِ ، لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ فَرَّحَ يَتَامَى ٱلْمُؤْمِنِينَ »[5] .

وأبو يعلىٰ : « أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ بَابُ ٱلْجَنَّةِ ، إِلَّا أَنِّي أَرَى ٱمْرَأَةً تُبَادِرُنِي ، فَأَقُولُ : مَا لَكِ ، وَمَنْ أَنْتِ ؟ تَقُولُ : أَنَا ٱمْرَأَةٌ قَعَدْتُ عَلَىٰ أَيْتَامٍ لِي »[6] .

والطبرانيُّ : « وَٱلَّذِي بَعَثَنِي بِٱلْحَقِّ ؛ لَا يُعَذِّبُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ رَحِمَ ٱلْيَتِيمَ ، وَلَانَ لَهُ فِي ٱلْكَلَامِ ، وَرَحِمَ يُتْمَهُ وَضَعْفَهُ ، وَلَمْ يَتَطَاوَلْ عَلَىٰ جَارِهِ بِفَضْلِ مَا آتَاهُ ٱللهُ »[7] .

وأحمدُ : « مَنْ مَسَحَ عَلَىٰ رَأْسِ يَتِيمٍ ، لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا لِلهِ . . كَانَتْ لَهُ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ »[8] .

---

(١) سنن الترمذي (١٩١٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
(٢) أخرجه أحمد (٣٤٤/٤) عن سيدنا مالك بن الحارث رضي الله عنه .
(٣) سنن ابن ماجه (٣٨٣٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٤) في النسخ : (البخاري) والمثبت من المطبوع ومن كتب التخريج .
(٥) عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٦٠٠٨) ، لحمزة بن يوسف السهمي في « معجمه » ولابن النجار عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه .
(٦) مسند أبي يعلىٰ (٦٦٥١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٧) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٨٢٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٨) مسند أحمد (٢٥٠/٥) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

ورُوِيَ : « إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ قَالَ لِيَعْقُوبَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : إِنَّ سَبَبَ ذَهَابِ بَصَرِهِ ، وَٱنْحِنَاءِ ظَهْرِهِ ، وَفِعْلِ إِخْوَةِ يُوسُفَ بِهِ مَا فَعَلُوهُ . . أَنَّهُ أَتَاهُ يَتِيمٌ مِسْكِينٌ صَائِمٌ جَائِعٌ وَقَدْ ذَبَحَ هُوَ وَأَهْلُهُ شَاةً ، فَأَكَلُوهَا وَلَمْ يُطْعِمُوهُ » ثمَّ أعلمَهُ اللهُ : أنَّهُ لن يُحِبَّ شيئاً مِنْ خلقِهِ حبَّهُ لليتامىٰ والمساكينِ ، وأمرَهُ أن يصنعَ طعاماً ويدعوَ المساكينَ ، ففعلَ[1] .

[قصَّةُ مَنْ أكرمَ اليتيمَ فكانَ شفيعَهُ]

وقالَ بعضُ السلفِ : (كنتُ في بدءِ أمري مُتكبِّراً مُنكبّاً على المعاصي ، فرأيتُ يوماً يتيماً ، فأكرمتُهُ كما يُكرَمُ الولدُ بل أكثرَ[2] ، ثمَّ نمتُ ، فرأيتُ الزبانيةَ أخذوني أخذاً مُزعِجاً إلىٰ جهنَّمَ ؛ وإذا باليتيمِ قدِ اعترضَني وقالَ : دعوهُ حتىٰ أُراجِعَ ربّي فيهِ ، فأبَوا ؛ وإذا النداءُ : خلُّوا عنهُ ؛ فقد وهبنا لهُ ما كانَ منهُ بإحسانِهِ إليهِ ، فاستيقظتُ ، وبالغتُ في إكرامِ اليتامىٰ مِنْ يومِئذٍ)[3] .

[بإحسانِهِ إلى الأيتامِ رزقَهُ اللهُ حسنَ الختامِ]

وحُكِيَ : (أنَّ رجلاً مِنَ المُنهمِكينَ في الفسادِ ماتَ في نواحي البصرةِ ، فلم تجدِ امرأتُهُ مَنْ يُعينُها علىٰ حملِ جنازتِهِ ؛ لكثرةِ فسقِهِ وتجافي النَّاسِ لهُ ، فاستأجرَتْ حمَّالينَ يحملونَها إلى المُصلَّىٰ ، فما صلَّىٰ عليهِ أحدٌ ،

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/٢٤٨) بنحوه ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦١٠١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وفي آخره : (فكان يعقوب بعدها إذا أراد الغداء . . أمر منادياً فنادىٰ : ألا من أراد الغداء من المساكين . . فليتغد مع يعقوب ، وإذا كان صائماً . . أمر منادياً فنادىٰ : ألا من كان صائماً من المساكين . . فليفطر مع يعقوب) .

(٢) في (أ ، ج ، هـ) : (كما يكرم الوالد . . .) .

(٣) ذكرها العلامة ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (١/٥٤٧) ضمن الكبيرة (٢٠٨) .

فحملوهُ إلى الصحراءِ ليدفنوهُ ، وكانَ بالقربِ مِنَ الموضعِ جبلٌ فيهِ رجلٌ مِنَ الزُّهَّادِ الكبارِ ، فنزلَ ذٰلكَ الزاهدُ للصَّلاةِ عليهِ .

فانتشرَ الخبرُ في البلدِ ، وقالوا : نزلَ فلانٌ ليُصلِّيَ علىٰ فلانٍ ؟! فخرجَ النَّاسُ فصلَّوا عليهِ معَ الزاهدِ ، وتعجَّبوا مِنْ صلاتِهِ عليهِ ، فقالَ لهُم : إنَّهُ قيلَ لي في النَّومِ : انزلْ إلى الموضعِ الفلانيِّ . . تَرَ فيهِ جنازةَ رجلٍ ، ليسَ معَها إلَّا امرأتُهُ ، فصلِّ عليهِ ؛ فإنَّهُ مغفورٌ لهُ ، فزادَ تعجُّبُ النَّاسِ ، فاستدعى الزاهدُ زوجتَهُ يسألُها عن حالِهِ ، وكيفَ كانَتْ سيرتُهُ ؟ فقالَتْ : كانَ كما سمعتَ ، طولَ النَّهارِ في الماخورِ مشغولاً بشربِ الخمرِ[1] .

فقالَ : انظري هل يَعرِضُ لهُ شيءٌ مِنْ أفعالِ الخيرِ ؟ قالَتْ : لا واللهِ ؛ إلَّا أنَّهُ كانَ يُفيقُ مِنْ كلِّ يومٍ مِنْ سُكرِهِ عندَ صلاةِ الصبحِ ، فيُبدِّلُ ثيابَهُ ويتوضَّأُ ويُصلِّي الصبحَ ، ثمَّ يعودُ إلىٰ ماخورِهِ يشتغلُ بشربِهِ ولهوِهِ ، وكانَ لا يخلو بيتُهُ مِنْ يتيمٍ أو يتيمَينِ يُفضِّلُهُ علىٰ ولدِهِ ، وكانَ يُفيقُ في أثناءِ سُكرِهِ فيبكي ويقولُ : إلٰهي ؛ أيَّ زاويةٍ مِنْ زوايا جهنَّمَ تريدُ أن تملأَها بهٰذا الخبيثِ) يعني نفسَهُ[2] .

[فضلُ السعيِ على الأرملةِ]

وأخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ : « ٱلسَّاعِي عَلَى ٱلْأَرْمَلَةِ وَٱلْمِسْكِينِ كَٱلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ » وأحسبُهُ قالَ : « وَكَٱلْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ ، وَكَٱلصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ »[3] .

---

(١) الماخور : بيت الخمر ، ومجمع أهل الفسق والفساد .

(٢) ذكرها الإمام الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٩/٤٣٩ ـ ٤٤٠) ، والحافظ عبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ١٥٩ ـ ١٦٠) .

(٣) صحيح البخاري (٦٠٠٧) ، ومسلم (٢٩٨٢) واللفظ له .

وابنُ ماجه : « ٱلسَّاعِي عَلَى ٱلْأَرْمَلَةِ [وَٱلْمِسْكِينِ] كَٱلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ، وَكَٱلَّذِي يَقُومُ ٱللَّيْلَ وَيَصُومُ ٱلنَّهَارَ »[1] .

[إكرامُ اللهِ لِمَنْ يُكرِمُ أهلَ البيتِ]

وحُكِيَ : (أنَّهُ كانَ لبعضِ مياسيرِ العلويّينَ بناتٌ مِنْ علويَّةٍ ، فماتَ ، واشتدَّ بهِنَّ الفقرُ إلىٰ أن رحلْنَ مِنْ وطنِهِنَّ خوفَ الشماتةِ ، فدخلْنَ مسجدَ بلدٍ مهجوراً ، فتركَتْهُنَّ أمُّهُنَّ فيهِ وخرجَتْ تحتالُ لهُنَّ على القوتِ ، فمرَّتْ بكبيرِ البلدِ وهوَ مسلمٌ ، فشرحَتْ لهُ حالَها ، فلم يُصدِّقْها ، وقالَ : لا بدَّ أن تُقيمي عندي البيّنةَ بذٰلكِ ، فقالَتْ : أنا غريبةٌ ، فأعرضَ [عنها] .

ثمَّ مرَّتْ بمجوسيٍّ ، فشرحَتْ لهُ حالَها ذٰلكَ ، فصدَّقَ ، وأرسلَ بعضَ نسائِهِ ، فأتَتْ بها وبناتِها إلىٰ دارِهِ ، فبالغَ في إكرامِهِنَّ .

فلمَّا مضىٰ نصفُ اللَّيلِ . . . رأىٰ ذٰلكَ المسلمُ القيامةَ والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ معقودٌ علىٰ رأسِهِ لواءُ الحمدِ ، وعندَهُ قصرٌ عظيمٌ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ لِمَنْ هٰذا القصرُ ؟ فقالَ : « لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ مُوَحِّدٍ » ، فقالَ : أنا مسلمٌ موحِّدٌ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَقِمْ عِنْدِي ٱلْبَيِّنَةَ بِذَلِكَ » ، فتحيَّرَ ، فقصَّ لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خبرَ العلويَّةِ .

فانتبهَ الرَّجلُ في غايةِ الحزنِ والكآبةِ ؛ إذ ردَّها ، ثمَّ بالغَ في الفحصِ عنها ، حتىٰ دُلَّ عليها بدارِ المجوسيِّ ، فطلبَها منهُ فأبىٰ ، وقالَ : قد لحقَني مِنْ بركاتِهِنَّ .

---

(١) سنن ابن ماجه (٢٢٤٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

فقالَ : خُذْ ألفَ دينارٍ وسلِّمْهُنَّ إليَّ ، فأبىٰ ، فأرادَ أن يُكرِهَهُ ، فقالَ لهُ : الذي تُريدُهُ أنا أحقُّ بهِ ، والقصرُ الذي رأيتَهُ في النَّومِ خُلِقَ لي .

[فقالَ : أنتَ لستَ بمسلمٍ ؟][1] فقالَ : أتفخرُ عليَّ بإسلامِكَ ؟! فواللهِ ؛ ما نمتُ أنا وأهلُ داري حتىٰ أسلمنا كلُّنا علىٰ يدِ العلويَّةِ ، ورأيتُ مثلَ منامِكَ[2] ، وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْعَلَوِيَّةُ وَبَنَاتُهَا عِنْدَكَ ؟ » قلتُ : نعم يا رسولَ اللهِ ، قالَ : « ٱلْقَصْرُ لَكَ وَلِأَهْلِ دَارِكَ » ، فانصرفَ المسلمُ وبهِ مِنَ الكآبةِ والحزنِ ما لا يعلمُهُ إلَّا اللهُ تعالىٰ)[3] .

فَصْلٌ

في الخيانةِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾[5] .

وأخرجَ الطبرانيُّ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا طُهُورَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ ، وَمَوْضِعُ ٱلصَّلَاةِ مِنَ ٱلدِّينِ كَمَوْضِعِ ٱلرَّأْسِ مِنَ ٱلْجَسَدِ »[6] .

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من المطبوع .

(٢) في النسخ : (رأيت) بدون واو ، وهي موجودة في المطبوع و« الزواجر » .

(٣) ذكرها العلامة ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (١/٥٤٨) آخر الكبيرة (٢٠٨) .

(٤) سورة الأنفال : (٢٧) .

(٥) سورة يوسف : (٥٢) ، والآية في النسخ بدون ذكر الواو .

(٦) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٣١٣) .

وأحمدُ والطبرانيُّ وابنُ حِبَّانَ عن أنسٍ : « لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ »[1] .

[مِنْ صفاتِ المنافقِ]

والشيخانِ عن أبي هريرةَ : « آيَةُ ٱلْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ . . كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ . . أَخْلَفَ ، وَإِذَا ٱؤْتُمِنَ . . خَانَ »[2] .

وأبو الشيخِ عن أنسٍ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ . . فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ ، وَحَجَّ وَٱعْتَمَرَ ، وَقَالَ : إِنِّي مُسْلِمٌ ؛ مَنْ إِذَا حَدَّثَ . . كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ . . أَخْلَفَ ، وَإِذَا ٱؤْتُمِنَ . . خَانَ »[3] .

وأبو يعلىٰ والبيهقيُّ عن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ : « مَنْ خَانَ شَرِيكاً فِيمَا ٱئْتَمَنَهُ عَلَيْهِ وَٱسْتَرْعَاهُ لَهُ . . فَأَنَا بَرِيءٌ مِنْهُ »[4] .

[عقابُ المُرتشي يومَ القيامةِ]

والشيخانِ عن أبي حُميدٍ الساعديِّ قالَ : استعملَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رجلاً مِنَ الأَزْدِ ـ يُقالُ لهُ : ابنُ اللُّتْبيَّةِ ـ على الصدقةِ ، فلمَّا قدمَ . . قالَ : هـٰذا لكُم وهـٰذا أُهديَ إليَّ ، فقامَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على

---

(١) أخرجه ابن حبان (١٩٤) ، وأحمد (٣/١٣٥) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٦٢٧) .

(٢) صحيح البخاري (٣٣) ، وصحيح مسلم (٥٩) .

(٣) عزاه في « كنز العمال » (٨٥٥) لأبي الشيخ في « التوبيخ » ، وأخرجه ابن حبان (٢٥٧) ، وأحمد (٢/٥٣٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه دون قوله : (وحج واعتمر) .

(٤) عزاه ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (١/٥٦٠) ضمن الكبيرة (٢١٨) بلفظه لهما ، وأخرجه البيهقي (٦/٧٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، بلفظ : « يقول الله عز وجل : أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه ؛ فإذا خان . . خرجت من بينهما » .

المنبرِ ، فحمدَ اللهَ وأثنىٰ عليهِ ، ثمَّ قالَ : « مَا بَالُ ٱلْعَامِلِ نَبْعَثُهُ عَلَىٰ بَعْضِ أَعْمَالِنَا ، فَيَقُولُ : هَـٰذَا لَكُمْ وَهَـٰذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ ؛ فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أُمِّهِ أَوْ بَيْتِ أَبِيهِ فَيَنْظُرَ أَيُهْدَىٰ إِلَيْهِ أَمْ لَا ؟! فَوَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً . . إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ ؛ إِنْ كَانَ بَعِيراً لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةً [لَهَا] خُوَارٌ[1] ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ » ثمَّ رفعَ يديهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتىٰ رأينا عُفْرةَ إبْطَيهِ ، ثمَّ قالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ هَلْ بَلَّغْتُ ، ٱللَّهُمَّ ؛ هَلْ بَلَّغْتُ »[2] .

والبزَّارُ عن عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ قالَ : كنَّا جلوساً عندَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فطلعَ علينا رجلٌ مِنْ أهلِ العاليةِ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ أخبرْني بأشدِّ شيءٍ في هـٰذا الدِّينِ وألينِهِ ، فقالَ : « أَلْيَنُهُ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَشَدُّهُ يَا أَخَا ٱلْعَالِيَةِ : ٱلْأَمَانَةُ ؛ إِنَّهُ لَا دِينَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا صَلَاةَ وَلَا زَكَاةَ . . . » الحديثَ[3] .

[علاماتُ حلولِ البلاءِ بالأمَّةِ]

والترمذيُّ عنهُ : « إِذَا فَعَلَتْ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً . . حَلَّ بِهَا ٱلْبَلَاءُ : إِذَا كَانَ ٱلْمَغْنَمُ دُوَلاً ، وَٱلْأَمَانَةُ مَغْنَماً ، وَٱلزَّكَاةُ مَغْرَماً ، وَأَطَاعَ ٱلرَّجُلُ زَوْجَتَهُ ، وَعَقَّ أُمَّهُ ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ ، وَجَفَا أَبَاهُ ، وَٱرْتَفَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ فِي ٱلْمَسَاجِدِ ، وَكَانَ زَعِيمُ ٱلْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ ، وَأُكْرِمَ ٱلرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ ، وَشُرِبَتِ ٱلْخُمُورُ ،

(١) في النسخ : (له خوار) ، وفي (أ) : (بقر له خوار) ، والمثبت من « الصحيحين » .

(٢) صحيح البخاري (٦٩٧٩) ، وصحيح مسلم (١٨٣٢) واللفظ أقرب له ، و**عُفرة إبطيه** ؛ أي : بياضهما .

(٣) مسند البزار (٨١٩) .

وَلُبِسَ ٱلْحَرِيرُ ، وَٱتُّخِذَتِ ٱلْقَيْنَاتُ وَٱلْمَعَازِفُ ، وَلَعَنَ آخِرُ هَـٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ أَوَّلَهَا . . فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَٰلِكَ رِيحاً حَمْرَاءَ أَوْ خَسْفاً أَوْ مَسْخاً »(١) .

وصحَّ عنِ ابنِ مسعودٍ قالَ : (القتلُ في سبيلِ اللهِ يُكفِّرُ الذُّنوبَ كلَّها إلَّا الأمانةَ)(٢) .

وصحَّ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ كانَ يقولُ : « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْجُوعِ ، فَإِنَّهُ بِئْسَ ٱلضَّجِيعُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ ؛ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ ٱلْبِطَانَةُ »(٣) .

❋ ❋ ❋

(١) سنن الترمذي (٢٢١٠) .

(٢) أخرجه الدنيوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٧٠١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٠١/٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٨٨٥) ، وتتمته : قال : (يؤتىٰ بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله فيقال : أدِّ أمانتك ، فيقول : أي رب ؛ كيف وقد ذهبت الدنيا ؟ قال : فيقال : انطلقوا به إلى الهاوية ، فينطلق به إلى الهاوية ، ويُمثَّل له أمانته كهيئتها يوم دُفعت إليه ، فيراها فيعرفها ، فيهوي في أثرها حتىٰ يدركها ، فيحملها علىٰ منكبيه حتىٰ إذا ظنّ أنه خارج . . زلَّتْ عن منكبيه ، فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين ، ثم قال : الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والكيل أمانة . . .) .

(٣) أخرجه ابن حبان (١٠٢٩) ، والحاكم (٥٣٤/١) ، وأبو داوود (١٥٤٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

بابُ الوَصِيَّة

أخرجَ أحمدُ وابنُ ماجه عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلْخَيْرِ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَإِذَا أَوْصَىٰ . . جَارَ فِي وَصِيَّتِهِ ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِشَرِّ عَمَلِهِ ، فَيَدْخُلُ ٱلنَّارَ ، وَإِنَّ ٱلرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ ٱلشَّرِّ سَبْعِينَ سَنَةً ، فَيَعْدِلُ فِي وَصِيَّتِهِ ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِخَيْرِ عَمَلِهِ ، فَيَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ »(١) .

وأبو داوودَ والترمذيُّ عنهُ : « إِنَّ ٱلرَّجُلَ لَيَعْمَلُ أَوِ ٱلْمَرْأَةَ بِطَاعَةِ ٱللهِ سِتِّينَ سَنَةً ، ثُمَّ يَحْضُرُهُمَا ٱلْمَوْتُ ، فَيُضَارَّانِ فِي ٱلْوَصِيَّةِ ، فَتَجِبُ لَهُمَا ٱلنَّارُ »(٢) .

وابنُ ماجه عن أنسٍ : « مَنْ فَرَّ مِنْ مِيرَاثِ وَارِثِهِ . . قَطَعَ ٱللهُ مِيرَاثَهُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »(٣) .

وورد : « مَنْ قَطَعَ مِيرَاثاً فَرَضَهُ ٱللهُ . . قَطَعَ ٱللهُ مِيرَاثَهُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ »(٤) .

وروى النَّسائيُّ : عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « ٱلْإِضْرَارُ فِي ٱلْوَصِيَّةِ مِنَ ٱلْكَبَائِرِ »(٥) .

---

(١) سنن ابن ماجه (٢٨٣٠) ، ومسند أحمد (٢٧٨/٢) .

(٢) سنن أبي داوود (٢٨٥٩) ، وسنن الترمذي (٢١١٧) ، وتتمته : ثم قرأ أبو هريرة رضي الله عنه : ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ... ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [النساء : ١٤] .

(٣) سنن ابن ماجه (٢٨٢٩) .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في « سننه » ط . الدار السلفية (٢٨٥) عن سليمان بن موسىٰ رحمه الله تعالىٰ مرسلاً ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٥٩٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (١١٠٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه ، ورفعه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٩٤٢) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٣٤٦٠) .

تَنْبِيهٌ

[في بيانِ بعضِ أنواعِ الإضرارِ بالوصيَّةِ]

قد صرَّحَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بأنَّ ذٰلكَ مِنَ الكبائرِ ، ومِنْ ثَمَّ صَرَّحَ جمعٌ مِنْ أئمَّتِنا وغيرِهِم بذٰلكَ ، وقالَ ابنُ عادلٍ في « تفسيرِهِ » : (اعلمْ : أنَّ الإضرارَ في الوصيَّةِ يقعُ علىٰ وجوهٍ :

منها : أن يوصيَ بأكثرَ مِنَ الثلثِ ، أو يُقِرَّ بكلِّ مالِهِ أو بعضِهِ لأجنبيٍّ ، أو يُقِرَّ علىٰ نفسِهِ بدينٍ لا حقيقةَ لهُ ؛ دفعاً للميراثِ عنِ الوارثِ ، أو يُقِرَّ بأنَّ الدَّينَ الذي كانَ لهُ علىٰ فلانٍ قدِ استوفاهُ منهُ ، أو يبيعَ شيئاً بثمنٍ رخيصٍ ، أو يشتريَ شيئاً بثمنٍ غالٍ ؛ كلُّ ذٰلكَ لغرضِ ألَّا يصلَ المالُ إلى الورثةِ)[1] .

ومِنَ الإضرارِ في الوصيَّةِ : أن يوصيَ علىٰ نحوِ أطفالِهِ مَنْ يَعلمُ مِنْ حالِهِ أنَّهُ يأكلُ مالَهُم ، أو يكونُ سبباً لضياعِهِ ؛ لكونِهِ لا يُحسِنُ التصرُّفَ فيهِ أو نحوَ ذٰلكَ .

اللهمَّ ؛ اكفِنا بحلالِكَ عن حرامِكَ ، وأغنِنا بفضلِكَ عمَّن سواكَ ، آمينَ .

❋ ❋ ❋

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (٦/٢٢٩ ـ ٢٣٠) .

بابُ النِّكاح

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [1] .

وأخرجَ الشيخانِ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَا مَعْشَرَ ٱلشَّبَابِ ؛ مَنِ ٱسْتَطَاعَ مِنْكُمُ ٱلْبَاءَةَ . . فَلْيَتَزَوَّجْ ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ . . فَعَلَيْهِ بِٱلصَّوْمِ ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ » [2] .

والبيهقيُّ عن أبي أُمامةَ : « تَزَوَّجُوا ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ ٱلْأُمَمَ ، وَلَا تَكُونُوا كَرَهْبَانِيَّةِ ٱلنَّصَارَىٰ » [3] .

وهوَ عن أبي هريرةَ : « مَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِي . . فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي ، وَإِنَّ مِنْ سُنَّتِي ٱلنِّكَاحَ » [4] .

وعن أنسٍ : « إِذَا تَزَوَّجَ ٱلْعَبْدُ . . فَقَدِ ٱسْتَكْمَلَ نِصْفَ ٱلدِّينِ ؛ فَلْيَتَّقِ ٱللهَ فِي ٱلنِّصْفِ ٱلْبَاقِي » [5] .

وأحمدُ والشيخانِ والترمذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجه : (نهىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ التَّبَتُّلِ) [6] .

---

(١) سورة النساء : (٣) .

(٢) صحيح البخاري (٥٠٦٥) ، وصحيح مسلم (١٤٠٠) واللفظ له .

(٣) سنن البيهقي الكبرىٰ (٧/٧٨) برقم (١٣٥٨٦) .

(٤) سنن البيهقي الكبرىٰ (٧/٧٨) برقم (١٣٥٨٠) .

(٥) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٥١٠٠) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٦٤٤) .

(٦) صحيح البخاري (٥٠٧٣) ، ومسلم (١٤٠٢) بنحوه عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : (ردَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ عثمان بن مظعون التبتل ؛ ولو أذن له . . لاختصينا) ، ←

وابنُ عَديٍّ عن جابرٍ : « أَيُّمَا شَابٍّ تَزَوَّجَ فِي حَدَاثَةِ سِنِّهِ . . عَجَّ شَيْطَانُهُ : يَا وَيْلَهُ ؛ عَصَمَ مِنِّي دِينَهُ !! »[1] .

[شرارُكم عُزَّابُكم]

وأحمدُ وابنُ أبي شيبةَ وابنُ عبدِ البرِّ عن عَكَّافِ بنِ وَداعةَ : أَنَّهُ أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ لهُ : « أَلَكَ زَوْجَةٌ يَا عَكَّافُ ؟ » قالَ : لا ، قالَ : « وَلَا جَارِيَةٌ » قالَ : لا ، قالَ : « وَأَنْتَ صَحِيحٌ مُوسِرٌ ؟ » قالَ : نعم ، الحمدُ للهِ ، قالَ : « فَأَنْتَ إِذاً مِنْ إِخْوَانِ ٱلشَّيَاطِينِ ، إِنْ كُنْتَ مِنْ رُهْبَانِ ٱلنَّصَارَىٰ . . فَٱلْحَقْ بِهِمْ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنَّا . . فَٱصْنَعْ كَمَا نَصْنَعُ ؛ فَإِنَّ مِنْ سُنَّتِي ٱلنِّكَاحَ ، شِرَارُكُمْ عُزَّابُكُمْ ، وَإِنَّ أَرْذَلَ مَوْتَاكُمْ عُزَّابُكُمْ ، وَيْحَكَ يَا عَكَّافُ تَزَوَّجْ » .

فقالَ عَكَّافُ : يا رسولَ اللهِ ؛ لا أتزوَّجُ حتىٰ تزوِّجَني مَنْ شئتَ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « زَوَّجْتُكَ عَلَى ٱسْمِ ٱللهِ وَٱلْبَرَكَةِ ٱلْكَرِيمَةَ بِنْتَ كُلْثُومٍ ٱلْحِمْيَرِيِّ »[2] .

والديلميُّ وأبو داوودَ : « مَنْ تَرَكَ ٱلتَّزَوُّجَ مَخَافَةَ ٱلْعَيْلَةِ . . فَلَيْسَ مِنَّا »[3] .

← وأخرجه الترمذي (١٠٨٢) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٥٣٠٢) ، وابن ماجه (١٩٤٠) عن سيدنا سمرة بن جندب رضي الله عنه بلفظه .

(١) الكامل في ضعفاء الرجال (٤٢/٣ ـ ٤٣) .

(٢) مسند أحمد (١٦٣/٥ ـ ١٦٤) ، وأخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (١٠٣٨٧) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٨٥/١٨) ، وقال ابن عبد البر في « الاستيعاب » (ص ٥٩١) : (حديثه في الترغيب في النكاح ، ولا يعرف إلا به ، وفي إسناده مقال ، وهو مشهور عند أهل الشام) .

(٣) عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٤٤٦٠) للديلمي بلفظه عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وأخرج أبو داوود في « المراسيل » (١٩٠) عن أبي نجيح قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان موسراً لأن ينكح فلم ينكح . . فليس منَّا » .

[المرأةُ الصالحةُ خيرُ متاعِ الدُّنيا]

وأحمدُ ومسلمٌ عنِ ابنِ عمرٍو : « ٱلدُّنْيَا كُلُّهَا مَتَاعٌ ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا ٱلْمَرْأَةُ ٱلصَّالِحَةُ »(١) .

وابنُ ماجه عن أبي أُمامةَ : « مَا ٱسْتَفَادَ ٱلْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى ٱللهِ خَيْراً لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ ؛ إِنْ أَمَرَهَا . . أَطَاعَتْهُ ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا . . سَرَّتْهُ ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا . . أَبَرَّتْهُ ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا . . نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ »(٢) .

والطبرانيُّ عنِ ابنِ مسعودٍ : « تَزَوَّجُوا ٱلْأَبْكَارَ ؛ فَإِنَّهُنَّ أَعْذَبُ أَفْوَاهاً ، وَأَنْتَقُ أَرْحَاماً ، وَأَرْضَىٰ بِٱلْيَسِيرِ »(٣) .

وأبو داوودَ عن مَعقِلِ بنِ يسارٍ : « تَزَوَّجُوا ٱلْوَدُودَ ٱلْوَلُودَ ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ ٱلْأُمَمَ »(٤) .

❁ ❁ ❁

والبيهقيُّ عن [أبي] سعيدٍ(٥) وابنِ عباسٍ قالا : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ . . فَلْيُحْسِنِ ٱسْمَهُ وَأَدَبَهُ ، وَإِذَا بَلَغَ . . فَلْيُزَوِّجْهُ ؛ فَإِنْ بَلَغَ وَلَمْ يُزَوِّجْهُ فَأَصَابَ إِثْماً . . فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَىٰ أَبِيهِ »(٦) .

وهوَ عن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ : (مكتوبٌ في التَّوراةِ : مَنْ بَلَغَتِ

---

(١) صحيح مسلم (١٤٦٧) ، ومسند أحمد (١٦٨/٢) .

(٢) سنن ابن ماجه (١٩٤٨) .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٤٠/١٠) .

(٤) سنن أبي داوود (٢٠٤٣) .

(٥) ما بين معقوفين زيادة من المطبوع .

(٦) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٢٩٩) .

ابنتُهُ اثنتَيْ عشرةَ سنةً ، فلم يُزوِّجْها ، فأصابَتْ إثماً .. فإثمُ ذٰلكَ عليهِ)[١] .

[مضاعفةُ أجرِ الحاملِ والمُرضِعِ]

والطبرانيُّ وابنُ عساكرَ عن سلامةَ حاضنةِ السيِّدِ إبراهيمَ : « أَمَا تَرْضَىٰ إِحْدَاكُنَّ : أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ حَامِلاً مِنْ زَوْجِهَا وَهُوَ عَنْهَا رَاضٍ .. أَنَّ لَهَا مِثْلَ أَجْرِ ٱلصَّائِمِ ٱلْقَائِمِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ، وَإِذَا أَصَابَهَا ٱلطَّلْقُ .. لَمْ يَعْلَمْ أَهْلُ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ مَا أُخْفِيَ لَهَا مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، فَإِذَا وَضَعَتْ ، لَمْ يَخْرُجْ مِنْ لَبَنِهَا جُرْعَةٌ ، وَلَمْ يَمَصَّ مِنْ ثَدْيِهَا مَصَّةً .. إِلَّا كَانَ لَهَا بِكُلِّ جُرْعَةٍ وَبِكُلِّ مَصَّةٍ حَسَنَةٌ ؛ فَإِنْ أَسْهَرَهَا لَيْلَةً .. كَانَ لَهَا مِثْلُ أَجْرِ سَبْعِينَ رَقَبَةً ، تُعْتِقُهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ »[٢] .

وأبو داوودَ عنِ ابنِ عمرَ : « أَبْغَضُ ٱلْحَلَالِ إِلَى ٱللهِ ٱلطَّلَاقُ »[٣] .

[تحسُّرُ معروفٍ الكَرْخيِّ علىٰ تركِهِ الزَّواجَ]

وحكىٰ أبو العباسِ أحمدُ بنُ يعقوبَ : (أنَّهُ رُئِيَ معروفٌ الكَرْخيُّ في النَّومِ ، فقيلَ لهُ : ما صنعَ اللهُ بكَ ؟ قالَ : أباحَني الجنَّةَ ، غيرَ أنَّ في نفسي حسرةً ؛ أنِّي خرجتُ مِنَ الدُّنيا لم أتزوَّجْ)[٤] .

---

(١) شعب الإيمان (٨٣٠٣) لٰكن عن سيدنا أنس رضي الله عنه بنحوه ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٦٣٨٣) بلفظه عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٧٢٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤٧/٤٣ ـ ٣٤٨) عن سيدنا أنس عن سيدتنا سلامة رضي الله عنهما .

(٣) سنن أبي داوود (٢١٧١) .

(٤) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٠٧/١٣) ، وأورده ابن الملقن في « طبقات الأولياء » (ص ٢٨٥) .

[زوِّجوني زوِّجوني]

[وحُكِيَ : أنَّ بعضَ الصالحينَ كانَ يُعرَضُ عليهِ التزوُّجُ فيأبىٰ بُرْهَةً مِنْ دهرِهِ ، فانتبهَ مِنْ نومِهِ ذاتَ يومٍ وقالَ : زوِّجوني ، فزوَّجوهُ ، فسُئِلَ عن ذٰلكَ فقالَ : لعلَّ اللهَ يرزقُني ولداً ويقبضُهُ . . فيكونَ لي مُقدِّمةً في الآخِرةِ .

ثمَّ قالَ : رأيتُ في المنامِ كأنَّ القيامةَ قد قامَتْ ، وكنتُ مِنْ جملةِ الخلائقِ في الموقفِ ، وبي مِنَ العطشِ والكربِ ما كاد أن يقطعَ عُنُقي ، وكذا الخلائقُ في شِدَّةِ العطشِ والكربِ ، فنحنُ كذٰلكَ ؛ إذا وِلْدانٌ قد ظهروا بأيديهِم أباريقُ مِنْ فضَّةٍ ، مُغطاةٌ بمناديلَ مِنْ نورٍ ، وهُم يَتخلَّلونَ الجمعَ ، ويَتجاوزونَ أكثرَ النَّاسِ ، ويَسقونَ واحداً بعدَ واحدٍ ، فمددتُ يدي إليهِم ، وقلتُ لبعضِهِمْ : اسقِني ؛ فقد أجهدَني العطشُ ، فنظرَ إليَّ وقالَ : ليسَ لكَ ولدٌ فينا ؛ إنَّما نسقي آباءَنا وأمَّهاتِنا ، فقلتُ : مَنْ أنتُم ؟ فقالوا : نحنُ أطفالُ المسلمينَ][1] .

فَصْلٌ

أركانُ النِّكاحِ أربعةٌ

الأوَّلُ : الإيجابُ والقَبولُ ؛ فالإيجابُ : (أنكحتُكَ أو زوَّجتُكَ) ، لا : (أحللتُكَ ابنتي)[2] ، والقَبولُ : كـ (نكحتُها ، أو تزوَّجتُها ، أو قبلتُ ، أو رضيتُ نكاحَها أوِ النِّكاحَ) .

ولا يُشترَطُ فيهِما العربيَّةُ ولو معَ معرفتِها ، لٰكنْ يُشترَطُ أن يُترجَمَ

---

(١) هٰذه القصة زيادة من المطبوع ، وذكرها المنبجي في « تسلية أهل المصائب » (ص ٤٤) وذكر أن صاحب القصة هو جارٌ للإمام القفال رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أي : لا يصح بها لأنها كناية .

بما هوَ صريحٌ فيهِ في تلكَ اللُّغةِ ، ويُشترَطُ ألَّا يطولَ فصلٌ بينَهُما .

❀ ❀ ❀

الثاني : الزَّوجانِ ، فيُشترَطُ في المرأةِ : خلوُّها مِنْ نكاحٍ وعِدَّةٍ ، وتُصَدَّقُ فيهِ حيثُ لم يُعلَمْ لها نكاحٌ سابقٌ ، أوِ ادَّعَتْ موتَ زوجٍ غيرَ مُعيَّنٍ أو طلاقَهُ ، وإلَّا . . فلا .

وفي الزَّوجِ : علمُهُ بحِلِّها لهُ ، وفيهِما : التعيينُ ؛ فـ (زوَّجتُكَ إحدى ابنتَيَّ ، أو زوَّجتُ بنتي أحدَكُما) . . باطلٌ ولو معَ الإشارةِ .

❀ ❀ ❀

الثالثُ : الوليُّ ؛ وهوَ أبٌ ، ثمَّ أبوهُ ؛ فيُزوِّجانِ بكراً أو ثيِّباً بلا وطءٍ ـ كمَنْ زالَتْ بكارتُها بنحوِ إصبَعٍ ـ مِنْ كُفْءٍ موسرٍ بمهرِ المِثْلِ مطلقاً بغيرِ إذنِها حيثُ لا عداوةَ ، لا ثيِّباً بوطءٍ حلالٍ أو حرامٍ إلَّا بإذنِها نطقاً بعدَ بلوغِها .

وتُصَدَّقُ البالغةُ في دعوى الثُّيوبةِ قبلَ العقدِ بيمينٍ وإن لم تتزوَّجْ ، لا بعدَهُ ولو أُثبتَتْ .

ثمَّ أخٌ لأبوَينِ ، ثمَّ لأبٍ ، ثمَّ ابنُهُما كذٰلكَ ، ثمَّ عمٌّ لأبوَينِ ، ثمَّ لأبٍ ، ثمَّ بنوهُما ، ثمَّ عمُّ الأبِ ، ثمَّ بنوهُ كذٰلكَ ، ثمَّ مُعتِقٌ ، ثمَّ عصباتُهُ ، ثمَّ مُعتِقُهُ ، ثمَّ عصباتُهُ ؛ فيُزوِّجُ المذكورونَ البالغةَ بإذنِها نطقاً إن كانَتْ ثيِّباً ، وإلَّا . . كفىٰ سكوتُها بعدَ استئذانِها ولو لغيرِ كُفْءٍ .

ثمَّ إن عَدِموا ، أو غابَ أقربُهُم مرحلتَينِ ، أو فُقِدَ ، أو عَضَلَ . . زوَّجَ قاضٍ أو نائبُهُ بكُفْءٍ بالغةً في محلِّ ولايتِهِ حالَ التزويجِ ، لا بغيرِهِ وإن رضيَتْ بهِ ، فمُحكَّمٌ عدلٌ ولَّتْهُ أمرَها .

أمَّا تزويجُ اليتيمةِ . . فباطلٌ اتفاقاً ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَيُّمَا ٱمْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا . . فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ »[1] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا تُزَوِّجُ ٱلْمَرْأَةُ ٱلْمَرْأَةَ ، وَلَا ٱلْمَرْأَةُ نَفْسَهَا ؛ فَإِنَّ ٱلزَّانِيَةَ هِيَ ٱلَّتِي تُزَوِّجُ نَفْسَهَا »[2] .

❀ ❀ ❀

الرابعُ : الشاهدانِ ؛ فيُشترَطُ كونُهُما رجلَينِ حُرَّينِ عدلَينِ بصيرَينِ سميعَينِ ، يعرفانِ لسانَ المُتعاقِدَينِ ، غيرَ مُتعيِّنَينِ للولايةِ ، ويصحُّ ظاهراً بمستورَيْ عدالةٍ إذا عقدَ بهِما غيرُ الحاكمِ .

ويُندَبُ استتابتُهُما قبلَ العقدِ احتياطاً ، ويزولُ السَّتْرُ بتفسيقِ عدلٍ ، ولو تابَ الفاسقُ عندَ العقدِ . . لم يصحَّ بهِ حالاً ؛ كما لا يصحُّ تزويجُ عفيفةٍ لفاسقٍ تابَ عندَ العقدِ قبلَ الاستبراءِ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ مُرْشِدٍ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ ، وَمَا كَانَ مِنْ نِكَاحٍ عَلَىٰ غَيْرِ ذَٰلِكَ . . فَهُوَ بَاطِلٌ »[3] .

---

(١) أخرجه ابن حبان (٤٠٧٤) لكن بتكرير قوله : (فنكاحها باطل) مرتين ، والحاكم (١٦٨/٢) ، والترمذي (١١٠٢) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وفي (أ) : (فنكاحها باطل) ثلاث مرات ، وهي موافقة لرواية الحاكم والترمذي .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٩٧٤) ، والبزار في « مسنده » (١٠٠٥٨) ، والطبراني في « المعجم الصغير » (٢٢٥/١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه ابن حبان (٤٠٧٥) تاماً عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، والحاكم (١٦٩/٢) ، وأبو داوود (٢٠٧٨) ، والترمذي (١١٠١) مقتصرين علىٰ أوله عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

فَصْلٌ

في ذكرِ ما جرىٰ بينَ الزَّوجَينِ

أخرجَ مسلمٌ وأبو داوودَ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ : « إِنَّ مِنْ أَشَرِّ ٱلنَّاسِ عِنْدَ ٱللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ : ٱلرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى ٱمْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَنْشُرُ أَحَدُهُمَا سِرَّ صَاحِبِهِ »(١) .

وأحمدُ عن أسماءَ بنتِ يزيدَ : أنَّها كانَتْ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والرِّجالُ والنِّساءُ قعودٌ عندَهُ(٢) ، فقالَ : « لَعَلَّ رَجُلاً يَقُولُ مَا فَعَلَ بِأَهْلِهِ ، وَلَعَلَّ ٱمْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا ؟! » فأرمَّ القومُ ـ أي : سكتوا ـ فقلتُ : إي واللهِ يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّهم ليفعلونَ وإنَّهنَّ ليفعلْنَ .

قالَ : « فَلَا تَفْعَلُوا ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ ذَٰلِكَ مَثَلُ شَيْطَانٍ لَقِيَ شَيْطَانَةً ، فَغَشِيَهَا وَٱلنَّاسُ يَنْظُرُونَ »(٣) .

وهوَ والبيهقيُّ عن أبي الهيثمِ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ٱلسِّبَاعُ حَرَامٌ »(٤) .

تَنْبِيهٌ

[في تحريمِ إفشاءِ الزَّوجَينِ أسرارَ بعضِهما]

إنَّ إفشاءَ الرَّجلِ سرَّ زوجتِهِ ، والمرأةِ سرَّ زوجِها ؛ بأن يذكرَ كلٌّ منهُما ما

---

(١) صحيح مسلم (١٤٣٧) ، وسنن أبي داوود (٤٨٣٧) .

(٢) أي : وذلك قبل أن يفرض الحجاب .

(٣) مسند أحمد (٦/٤٥٦ ـ ٤٥٧) .

(٤) مسند أحمد (٣/٢٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٨٦١) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، والسباع ـ بسين مهملة مكسورة على الأشهر ، وقيل : بشين وهو خطأ ـ يعني : المفاخرة بالجماع ، وهو حرام ؛ لما فيه من هتك الأسرار ، وفضيحة المرأة .

يقعُ بينَهُما مِنْ أمورِ الاستمتاعِ وتفاصيلِ الجماعِ . . حرامٌ ، وأمَّا ذكرُ مجرَّدِ الجماعِ لغيرِ فائدةٍ . . فمكروهٌ .

فَصْلٌ

في منعِ أحدِ الزَّوجَينِ حقَّ الآخَرِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (١) .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (٢) .

قالَ ابنُ عباسٍ : (إنِّي لأتزيَّنُ لامرأتي كما تتزيَّنُ لي ؛ لهٰذهِ الآيةِ) (٣) .

وقالَ بعضُهُم : (يجبُ عليهِ أن يقومَ بحقِّها ومصالحِها ، ويجبُ عليها الانقيادُ والطاعةُ لهُ) (٤) .

[حقوقُ الأزواجِ وحقوقُ الزَّوجاتِ]

والترمذيُّ وصحَّحَهُ وابنُ ماجه : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ في حجَّةِ الوداعِ بعدَ أن حمدَ اللهَ تعالىٰ وأثنىٰ عليهِ ، ووعظَ : « أَلَا فَٱسْتَوْصُوا بِٱلنِّسَاءِ خَيْراً ؛ فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذَٰلِكَ ؛ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ . . فَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ ، وَٱضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ ؛ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ . . فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً .

---

(١) سورة النساء : (١٩) .

(٢) سورة البقرة : (٢٢٨) .

(٣) أخرجه الطبري في « تفسيره » (٤٧٧٢) ، وانظر « تفسير البغوي » (١/٢٠٥) .

(٤) انظر « اللباب في علوم الكتاب » (٤/١٢٥) .

أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ حَقّاً ، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً ؛ فَحَقُّكُمْ عَلَيْهِنَّ : أَلَّا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ : أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ »(١) .

والطبرانيُّ والحاكمُ : « حَقُّ ٱلْمَرْأَةِ عَلَى ٱلزَّوْجِ ؛ أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ ، وَيَكْسُوَهَا إِذَا ٱكْتَسَىٰ ، وَلَا يَضْرِبَ ٱلْوَجْهَ ، وَلَا يُقَبِّحَ ، وَلَا يَهْجُرَ إِلَّا فِي ٱلْبَيْتِ »(٢) .

وهوَ : « أَيُّمَا رَجُلٍ تَزَوَّجَ ٱمْرَأَةً عَلَىٰ مَا قَلَّ مِنَ ٱلْمَهْرِ أَوْ كَثُرَ ، لَيْسَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهَا حَقَّهَا . . خَدَعَهَا ، فَمَاتَ وَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيْهَا حَقَّهَا . . لَقِيَ ٱللهَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَهُوَ زَانٍ . . . » الحديثَ(٣) .

والترمذيُّ : « إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنَهُمْ خُلُقاً ، وَأَلْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ »(٤) ، « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ »(٥) .

وميسرةُ بنُ عليٍّ والرافعيُّ عن أبي سعيدٍ : « إِنَّ ٱلرَّجُلَ إِذَا نَظَرَ إِلَى ٱمْرَأَتِهِ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ . . نَظَرَ ٱللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِمَا نَظْرَةَ رَحْمَةٍ ؛ فَإِذَا أَخَذَ بِكَفِّهَا . . تَسَاقَطَتْ ذُنُوبُهُمَا فِي خِلَالِ أَصَابِعِهِمَا »(٦) .

---

(١) سنن الترمذي (١١٦٣) ، وسنن ابن ماجه (١٩٤٢) عن سيدنا عمرو بن الأحوص الصحابي رضي الله عنه .

(٢) مستدرك الحاكم (١٨٧/٢ ـ ١٨٨) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٤٢٨/١٩) عن سيدنا معاوية بن حَيْدة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٨٧٢) عن ميمون الكردي عن أبيه ، قيل : اسمه جابان رضي الله عنه كما في « معرفة الصحابة » لأبي نعيم (٧١٠١) .

(٤) سنن الترمذي (٢٦١٢) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٥) سنن الترمذي (١١٦٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٤٤٣٧) لميسرة بن علي في « مشيخته » ، وللرافعي ←

والطيالسيُّ : « حَقُّ ٱلزَّوْجِ عَلَىٰ زَوْجَتِهِ : أَلَّا تَمْنَعَهُ نَفْسَهَا وَإِنْ كَانَتْ عَلَىٰ ظَهْرِ قَتَبٍ ، وَأَلَّا تَصُومَ يَوْماً وَاحِداً إِلَّا بِإِذْنِهِ إِلَّا ٱلْفَرِيضَةَ ، فَإِنْ فَعَلَتْ . . أَثِمَتْ وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهَا ، وَأَلَّا تُعْطِيَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَإِنْ فَعَلَتْ . . كَانَ لَهُ ٱلْأَجْرُ وَكَانَ عَلَيْهَا ٱلْوِزْرُ ، وَأَلَّا تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَإِنْ فَعَلَتْ . . لَعَنَهَا ٱللهُ وَمَلَائِكَةُ ٱلْغَضَبِ حَتَّىٰ تَتُوبَ ، أَوْ تُرَاجِعَ وَإِنْ كَانَ ظَالِماً »(١) .

والطبرانيُّ : « ٱلْمَرْأَةُ لَا تُؤَدِّي حَقَّ ٱللهِ حَتَّىٰ تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا كُلَّهُ ، لَوْ سَأَلَهَا [وَهِيَ] عَلَىٰ ظَهْرِ قَتَبٍ . . لَمْ تَمْنَعْهُ نَفْسَهَا »(٢) .

[نصيحةُ النبيِّ ﷺ لفتاةٍ تُخطَبُ]

والحاكمُ وصحَّحَهُ : أنَّ امرأةً قالَتْ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إنَّ ابنَ عمِّي فلاناً يخطبُني ، فأخبِرْني ما حقُّ الزَّوجِ على الزَّوجةِ ؛ فإن كانَ شيئاً أُطيقُ . . تزوَّجتُهُ ؟ قالَ : « مِنْ حَقِّهِ : أَنْ لَوْ سَالَ مَنْخِرَاهُ دَماً أَوْ قَيْحاً فَلَحَسَتْهُ بِلِسَانِهَا . . مَا أَدَّتْ حَقَّهُ ، لَوْ كَانَ يَنْبَغِي لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ . . لَأَمَرْتُ ٱلْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا ؛ لِمَا فَضَّلَهُ ٱللهُ عَلَيْهَا » قالَتْ : والذي بعثَكَ بالحقِّ ؛ لا أتزوَّجُ ما بقيَتِ الدُّنيا(٣) .

← في « تاريخ قزوين » ، وقوله : (أخذ بكفها) أي : ليصافحها أو يقبلها أو يعانقها أو يجامعها ، وعبَّر عن ذلك بالأخذ باليد استحياءً لذِكْره ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها ، وتساقط الذنوب من بين الأصابع كناية عن كونه لا يفارق كفه كفها إلا وقد شملت ذنوبهما المغفرة ، والمراد : الصغائر لا الكبائر . انظر « فيض القدير » (٢/٣٣٣) .

(١) مسند أبي داوود الطيالسي (١٩٥١) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٥/٢٠٠) عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه .

(٣) المستدرك على الصحيحين (٢/١٨٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه : (ما بقيتُ في الدنيا) .

[قصَّةُ سجودِ الجملِ للنبيِّ ﷺ]

وأحمدُ عن أنسٍ قالَ : كانَ أهلُ بيتٍ مِنَ الأنصارِ لهُم جملٌ يَسْنونَ عليهِ ـ أي : يستقونَ عليهِ الماءَ مِنَ البئرِ ـ وإنَّهُ استصعبَ عليهِم فمنعَهُم ظهرَهُ ، وإنَّ الأنصارَ جاؤوا إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالوا : إنَّهُ كانَ لنا جملٌ نسقي عليهِ الماءَ مِنَ البئرِ ، وإنَّهُ استصعبَ علينا ، ومنعَنا ظهرَهُ ، وقد عطشَ الزرعُ والنخلُ .

فقامَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقالَ لأصحابِهِ : « قُومُوا » فقاموا ، فدخلوا الحائطَ والجملُ في ناحيةٍ ، فمشى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نحوَهُ ، فقالَتِ الأنصارُ : يا رسولَ اللهِ ؛ قد صارَ مثلَ الكَلْبِ [الكَلِبِ] ، نخافُ عليكَ صولتَهُ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ » .

فلمَّا نظرَ الجملُ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . أقبلَ نحوَهُ حتىٰ خرَّ ساجداً بينَ يديهِ ، فأخذَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بناصيتِهِ أذلَّ ما كانَتْ قطُّ ؛ حتىٰ أدخلَهُ في العملِ .

فقالَ لهُ أصحابُهُ : يا رسولَ اللهِ ؛ هٰذهِ بهيمةٌ لا تعقلُ تسجدُ لكَ ، ونحنُ نعقلُ . . فنحنُ أحقُّ أن نسجدَ لكَ ؟! قالَ : « لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ ، وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ . . لَأَمَرْتُ ٱلْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا ؛ لِعِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا ، لَوْ كَانَ مِنْ قَدَمِهِ إِلَىٰ مَفْرِقِ رَأْسِهِ قُرْحَةٌ ؛ تَنْبَجِسُ بِٱلْقَيْحِ وَٱلصَّدِيدِ ، ثُمَّ ٱسْتَقْبَلَتْهُ فَلَحَسَتْهُ . . مَا أَدَّتْ حَقَّهُ »[١] .

ورُوِيَ أنَّه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنْ صَبَرَ عَلَىٰ سُوءِ خُلُقِ

---

(١) مسند أحمد (٣/١٥٨ ـ ١٥٩) .

ٱمْرَأَتِهِ . . أَعْطَاهُ ٱللهُ مِنَ ٱلْأَجْرِ مِثْلَ مَا أَعْطَىٰ أَيُّوبَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عَلَىٰ بَلَائِهِ ، وَمَنْ صَبَرَتْ عَلَىٰ سُوءِ خُلُقِ زَوْجِهَا . . أَعْطَاهَا ٱللهُ مِثْلَ ثَوَابِ آسِيَةَ ٱمْرَأَةِ فِرْعَوْنَ »[1] .

[جاءَ يشتكي فاعتبرَ مِنْ حالِ سيِّدِنا عمرَ]

ورُوِيَ : (أنَّ رجلاً جاءَ إلىٰ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ يشكو إليهِ خُلُقَ زوجتِهِ ، فوقفَ ببابِهِ ينتظرُ خروجَهُ ، فسمعَ امرأتَهُ يستطيلُ عليهِ لسانُها وهوَ ساكتٌ لا يردُّ عليها ، فانصرفَ الرَّجلُ قائلاً : إذا كانَ هٰذا حالَ أميرِ المؤمنينَ . . فكيفَ حالي ؟!

فخرجَ عمرُ فرآهُ مُولِّياً ، فناداهُ وقالَ : « ما حاجتُكَ ؟ » فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ جئتُ أشكو إليكَ خُلُقَ زوجتي ، واستطالتَها عليَّ ، فسمعتُ زوجتَكَ كذٰلكَ ، فرجعتُ وقلتُ : إذا كانَ هٰذا حالَ أميرِ المؤمنينَ مع زوجتِهِ . . فكيفَ حالي ؟!

فقالَ : « يا أخي ؛ إنِّي احتملتُها لحقوقٍ لها عليَّ : إنَّها طبَّاخةٌ لطعامي ، خبَّازةٌ لخبزي ، غسَّالةٌ لثيابي ، مُرضِعةٌ لولدي ، وليسَ ذٰلكَ بواجبٍ عليها ، وسكنَ قلبي بها عنِ الحرامِ ؛ فأنا أحتملُها لذٰلكَ » .

فقالَ الرَّجلُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ وكذٰلكَ زوجتي ، قالَ : « فاحتملْها ؛ فإنَّما هيَ مُدَّةٌ يسيرةٌ »)[2] .

---

(١) أخرجه الحارث كما في « زوائده » (٣١٦/١) ضمن خطبة طويلة ، وانظر « اللآلئ المصنوعة » (٣٦١/٢ ـ ٣٧٣) ، وهو في « إحياء علوم الدين » (١٧٥/٣) بلفظه .

(٢) أوردها الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ١٩٥) ضمن الكبيرة (٤٧) ، وابن حجر في « الزواجر » (٩٨/٢ ـ ٩٩) ضمن الكبيرة (٨٠) .

[قصَّةُ تسخيرِ الأسدِ لرجلٍ صبرَ على امرأتِهِ]

وحُكِيَ : (أنَّهُ كانَ لبعضِ الصالحينَ أخٌ صالحٌ ، وكانَ يزورُهُ كلَّ سنة ، فجاءَ مرةً لزيارتِهِ ، فطرقَ بابَهُ ، فقالَتْ زوجتُهُ : مَنْ ؟ فقالَ : أخو زوجِكِ في اللهِ ، جاءَ لزيارتِهِ ، فقالَتْ : ذهبَ يحتطبُ ، لا ردَّهُ اللهُ ، وبالغَتْ في شتمِهِ وسبِّهِ .

فبينَما هوَ كذٰلكَ . . وإذا بأخيهِ قد حمَّلَ الأسدَ حُزمةَ حطبٍ وهوَ مُقبِلٌ بهِ ، فلمَّا وصلَ أخاهُ . . سلَّمَ عليهِ ورحَّبَ بهِ ، ثمَّ أنزلَ الحطبَ مِنْ [علىٰ] ظهرِ الأسدِ ، وقالَ لهُ : اذهبْ باركَ اللهُ فيكَ ، ثمَّ أدخلَ أخاهُ وهيَ تسبُّهُ فلا يُجيبُها ، فأطعمَهُ ، ثمَّ ودَّعَهُ وانصرفَ علىٰ غايةِ التعجُّبِ مِنْ صبرِهِ عليها .

ثمَّ جاءَ في العامِ الثاني فدقَّ البابَ ، فقالَتِ امرأةٌ : مَنْ ؟ قالَ : أخو زوجِكِ ، جاءَ يزورُهُ ، قالَتْ : مرحباً ، وبالغَتْ في الثناءِ عليهِ ، وأمرَتْهُ بانتظارِهِ ، فجاءَ أخوهُ والحطبُ علىٰ ظهرِهِ ، فأدخلَهُ وأطعمَهُ ؛ وهي تُبالِغُ في الثناءِ عليهِما .

فلمَّا أرادَ مفارقتَهُ . . سألَهُ عمَّا رأىٰ مِنْ حملِ الأسدِ حطبَهُ في زمنِ تلكَ البذيَّةِ اللسانِ ، ومِنْ حملِهِ الحطبَ هوَ علىٰ ظهرِهِ في زمنِ هٰذهِ السهلةِ اللَّيِّنةِ ؛ فما السببُ فيهِ ؟

فقالَ : يا أخي ؛ تُوفِّيَتْ تلكَ الشَّرِسةُ ، وكنتُ صابراً علىٰ شؤمِها وتعبِها ، فسخَّرَ اللهُ تعالىٰ ليَ الأسدَ الذي رأيتَ يَحمِلُ الحطبَ بصبري عليها ، ثمَّ تزوَّجتُ هٰذهِ الصالحةَ وأنا في راحةٍ ، فانقطعَ عنِّي الأسدُ ، فاحتجتُ أن أحملَ علىٰ ظهري ؛ لأجلِ راحتي معَ هٰذهِ الصالحةِ)[١] .

---

(١) أوردها الحافظ الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ١٩٥ ـ ١٩٦) ، والعلامة ابن حجر في « الزواجر » (٢/٩٩) بعد القصة السابقة .

فَصْلٌ

في النُّشوزِ

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ (١) .

وأخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا دَعَا ٱلرَّجُلُ ٱمْرَأَتَهُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ ، فَأَبَتْ ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا . . لَعَنَتْهَا ٱلْمَلَائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ » (٢) .

وهُما : « وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو ٱمْرَأَتَهُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ ، فَتَأْبَىٰ عَلَيْهِ . . إِلَّا كَانَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاءِ ـ أي : أمرُهُ وسلطانُهُ ـ سَاخِطاً عَلَيْهَا حَتَّىٰ يَرْضَىٰ عَنْهَا » (٣) أي : زوجُها .

❁ ❁ ❁

وابنُ حِبَّانَ والبيهقيُّ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ ٱللهُ لَهُمْ صَلَاةً ، وَلَا تُرْفَعُ لَهُمْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ حَسَنَةٌ : ٱلْعَبْدُ ٱلْآبِقُ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَىٰ مَوَالِيهِ ، وَٱلْمَرْأَةُ ٱلسَّاخِطُ عَلَيْهَا زَوْجُهَا حَتَّىٰ يَرْضَىٰ ، وَٱلسَّكْرَانُ حَتَّىٰ يَصْحُوَ » (٤) .

---

(١) سورة النساء : (٣٤) .

(٢) صحيح البخاري (٣٢٣٧) ، وصحيح مسلم (١٢٢/١٤٣٦) .

(٣) صحيح البخاري (٣٢٣٧) بنحوه ، وصحيح مسلم (١٢١/١٤٣٦) واللفظ له عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) صحيح ابن حبان (٥٣٥٥) ، والسنن الكبرىٰ (٣٨٩/١) برقم (١٨٥١) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

والخطيبُ : « أَيُّمَا ٱمْرَأَةٍ خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا بِغَيْرِ إِذْنِ زَوْجِهَا . . كَانَتْ فِي سَخَطِ ٱللهِ حَتَّىٰ تَرْجِعَ إِلَىٰ بَيْتِهَا ، أَوْ يَرْضَىٰ عَنْهَا زَوْجُهَا »[(١)] .

وفي روايةٍ : « لَعَنَهَا كُلُّ مَلَكٍ فِي ٱلسَّمَاءِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَرَّتْ عَلَيْهِ ـ غَيْرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ ـ حَتَّىٰ تَرْجِعَ »[(٢)] .

❁ ❁ ❁

وأحمدُ والطبرانيُّ والبيهقيُّ والحاكمُ : « أَيُّمَا ٱمْرَأَةٍ ٱسْتَعْطَرَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ ، فَمَرَّتْ عَلَىٰ قَوْمٍ ؛ لِيَجِدُوا رِيحَهَا . . فَهِيَ زَانِيَةٌ ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ »[(٣)] .

وابنا عَديّ وعساكرَ : « إِذَا قَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ لِزَوْجِهَا : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْراً قَطُّ . . فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهَا »[(٤)] .

وأبو داوودَ والترمذيُّ : « أَيُّمَا ٱمْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا ٱلطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ . . فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ ٱلْجَنَّةِ »[(٥)] .

وأبو داوودَ وابنُ ماجه : « لَا يُسْأَلُ ٱلرَّجُلُ فِيمَا ضَرَبَ ٱمْرَأَتَهُ »[(٦)] .

---

(١) تاريخ بغداد (١٩٨/٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥١٧) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) مستدرك الحاكم (٣٩٦/٢) ، ومسند أحمد (٤١٤/٤) ، وأبو داوود (٤١٧٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٤٣٠) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، ولم يعزه في « كنز العمال » (٤٥٠١٠) للطبراني .

(٤) أخرجه ابن عدي في « الكامل في ضعفاء الرجال » (١٦٧/٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨٤/٥٧) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٥) سنن أبي داوود (٢٢٢١) ، وسنن الترمذي (١١٨٧) عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه .

(٦) سنن أبي داوود (٢١٤٠) ، وسنن ابن ماجه (٢٠٨٠) عن سيدنا عمر رضي الله عنه . قوله : (فيما) كذا في النسخ بالألف ، وقال العلامة المناوي رحمه الله تعالىٰ في « فيض القدير » (٣٩٧/٦) : (والرواية بالألف في « فيما » وهي لغة شاذة ، قال ابن مالك : لأن « ما » استفهامية مجرورة ، فحقها : أن تحذف ألفها ؛ فرقاً بينها وبين الموصولة ، ويجوز كونها موصولة) ، ولا يُسأل عن السبب الذي ضربها لأجله ؛ لأنه يؤدي لهتك سترها ، فقد يكون لما يُستقبح كجماع ، والنهي شامل لأبويها .

[التحذيرُ من فتنةِ النساءِ]

وورد عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « ٱطَّلَعْتُ فِي ٱلنَّارِ ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا ٱلنِّسَاءَ »[1] ؛ وذٰلكَ بسببِ قلَّةِ طاعتِهِنَّ للهِ ولرسولِهِ ولأزواجِهِنَّ ، وكثرةِ تبرُّجِهِنَّ ، والتبرُّجُ : هوَ إذا أرادَتِ الخروجَ مِنْ بيتِها . . لبسَتْ أفخرَ ثيابِها ، وتجمَّلَتْ وتحسَّنَتْ ، وخرجَتْ تفتنُ النَّاسَ بنفسِها ؛ فإن سَلِمَتْ في نفسِها . . لم يَسلَمِ النَّاسُ منها .

ولهٰذا قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ ؛ فَإِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا . . ٱسْتَشْرَفَهَا ٱلشَّيْطَانُ ، وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ ٱلْمَرْأَةُ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ إِذَا كَانَتْ فِي بَيْتِهَا »[2] .

وفي الحديثِ أيضاً : « ٱلْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ ، فَٱحْبِسُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ ؛ فَإِنَّ ٱلْمَرْأَةَ إِذَا خَرَجَتْ [إِلَى] ٱلطَّرِيقِ . . قَالَ لَهَا أَهْلُهَا : أَيْنَ تُرِيدِينَ ؟ قالَتْ : أَعُودُ مَرِيضاً ، وَأُشَيِّعُ جِنَازَةً ، فَلَا يَزَالُ بِهَا ٱلشَّيْطَانُ حَتَّىٰ تُخْرِجَ ذِرَاعَهَا ، وَمَا ٱلْتَمَسَتِ ٱلْمَرْأَةُ وَجْهَ ٱللهِ بِمِثْلِ أَنْ تَقْعُدَ فِي بَيْتِهَا ، وَتَعْبُدَ رَبَّهَا ، وَتُطِيعَ بَعْلَهَا »[3] .

وكانَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ألا تستحيونَ ، ألا تغارونَ ؟! يتركُ أحدُكُم امرأتَهُ تخرجُ بينَ الرِّجالِ ؛ تنظرُ إليهِم وينظرونَ إليها ؟!)[4] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤١) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما ، ومسلم (٢٧٣٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » (١٦٨٥) ، وابن حبان (٥٥٩٩) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وهٰذا الحديث غير موجود في (ب) والمطبوع .

(٣) أورده الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ١٩١) ضمن الكبيرة (٤٧) ، وابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٩٧/٢) ضمن الكبيرة (٢٨٠) دون عزو لأحد .

(٤) انظر كتاب « الكبائر » (ص ١٩٢) ، و« الزواجر » (٩٧/٢) .

ورُوِيَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « يَسْتَغْفِرُ لِلْمَرْأَةِ ٱلْمُطِيعَةِ لِزَوْجِهَا ٱلطَّيْرُ فِي ٱلْهَوَاءِ ، وَٱلْحِيتَانُ فِي ٱلْمَاءِ ، وَٱلْمَلَائِكَةُ فِي ٱلسَّمَاءِ ، وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ مَا دَامَتْ فِي رِضَا زَوْجِهَا .

وَأَيُّمَا ٱمْرَأَةٍ عَصَتْ زَوْجَهَا . . فَعَلَيْهَا لَعْنَةُ ٱللهِ وَٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَأَيُّمَا ٱمْرَأَةٍ كَلَحَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا . . فَهِيَ فِي سَخَطِ ٱللهِ إِلَىٰ أَنْ تُضَاحِكَهُ ، وَأَيُّمَا ٱمْرَأَةٍ خَرَجَتْ مِنْ دَارِهَا بِغَيْرِ إِذْنِ زَوْجِهَا . . لَعَنَتْهَا ٱلْمَلَائِكَةُ حَتَّىٰ تَرْجِعَ »[1] .

[أربعٌ مِنَ النِّساءِ في النَّارِ]

وجاءَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « أَرْبَعَةٌ مِنَ ٱلنِّسَاءِ فِي ٱلنَّارِ[2] : ٱمْرَأَةٌ بَذِيَّةُ ٱللِّسَانِ عَلَىٰ زَوْجِهَا ؛ إِنْ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا . . لَمْ تَصُنْ نَفْسَهَا ، وَإِنْ حَضَرَ . . آذَتْهُ بِلِسَانِهَا .

وَٱمْرَأَةٌ تُكَلِّفُ زَوْجَهَا مَا لَا يُطِيقُ ، وَٱمْرَأَةٌ لَا تَسْتُرُ نَفْسَهَا مِنَ ٱلرِّجَالِ ، وَتَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا مُتَبَهْرِجَةً[3] ـ أي : مُتجمِّلةً تلبسُ أفخرَ ثيابِها ـ وَٱمْرَأَةٌ لَيْسَ لَهَا هَمٌّ إِلَّا ٱلْأَكْلُ وَٱلشُّرْبُ وَٱلنَّوْمُ ، وَلَيْسَ لَهَا رَغْبَةٌ فِي ٱلصَّلَاةِ ، وَلَا فِي طَاعَةِ ٱللهِ وَلَا فِي طَاعَةِ رَسُولِهِ ، وَلَا فِي طَاعَةِ زَوْجِهَا »[4] .

---

(١) أورده أبو حيان الأندلسي في « البحر المحيط » (٣/٢٤٠ ـ ٢٤١) مختصراً ، والذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ١٩٠) ، وابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢/٩٦) دون عزو لأحد .

(٢) قوله : (أربعةٌ) كذا وردت في النسخ والمطبوع وكتاب « الزواجر » بإثبات التاء .

(٣) في (أ ، ج ، هـ) : (متبرجة) ، والمثبت من (ب) ، وهو موافق لما في « الزواجر » .

(٤) أورده الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ١٩١) ، وابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢/٩٦) دون عزوٍ لأحد .

[صورٌ مِنْ عذابِ النِّساءِ يومَ القيامةِ]

وقالَ عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ : دخلتُ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنا وفاطمةُ ، فوجدناهُ يبكي بكاءً شديداً ، فقلتُ لهُ : فداكَ أبي وأمِّي يا رسولَ اللهِ ؛ ما الذي أبكاكَ ؟!

قالَ : « يَا عَلِيُّ ؛ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِلَى ٱلسَّمَاءِ رَأَيْتُ نِسَاءً مِنْ أُمَّتِي يُعَذَّبْنَ بِأَنْوَاعِ ٱلْعَذَابِ ، فَبَكَيْتُ مِمَّا رَأَيْتُ مِنْ شِدَّةِ عَذَابِهِنَّ ؛ رَأَيْتُ ٱمْرَأَةً مُعَلَّقَةً بِشَعَرِهَا يَغْلِي دِمَاغُهَا ، وَرَأَيْتُ ٱمْرَأَةً مُعَلَّقَةً بِلِسَانِهَا وَٱلْحَمِيمُ يُصَبُّ فِي حَلْقِهَا .

وَرَأَيْتُ ٱمْرَأَةً قَدْ شُدَّتْ رِجْلَاهَا إِلَىٰ ثَدْيِهَا [1] ، وَيَدَاهَا إِلَىٰ نَاصِيَتِهَا ، وَقَدْ سُلِّطَتْ عَلَيْهَا ٱلْحَيَّاتُ وَٱلْعَقَارِبُ .

وَرَأَيْتُ ٱمْرَأَةً مُعَلَّقَةً بِثَدْيِهَا .

وَرَأَيْتُ ٱمْرَأَةً رَأْسُهَا رَأْسُ خِنْزِيرٍ وَبَدَنُهَا بَدَنُ حِمَارٍ ، عَلَيْهَا أَلْفُ أَلْفِ لَوْنٍ مِنَ ٱلْعَذَابِ .

وَرَأَيْتُ ٱمْرَأَةً عَلَىٰ صُورَةِ ٱلْكَلْبِ وَٱلنَّارُ تَدْخُلُ مِنْ فِيهَا وَتَخْرُجُ مِنْ دُبُرِهَا ، وَٱلْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ رَأْسَهَا بِمَقَامِعَ مِنْ نَارٍ » .

فقامَتْ فاطمةُ الزهراءُ وقالَتْ : يا حبيبي وقُرَّةَ عيني ؛ ما كانَ أعمالُ هٰؤلاءِ حتىٰ وقعَ عليهِنَّ العذابُ ؟!

فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَا بُنَيَّةُ ؛ أَمَّا ٱلْمُعَلَّقَةُ بِشَعَرِهَا . . فَإِنَّهَا كَانَتْ لَا تُغَطِّي شَعَرَهَا مِنَ ٱلرِّجَالِ .

---

(١) كذا في النسخ بالإفراد ، وفي « الزواجر » : (إلىٰ ثدييها) بالتثنية وكذا فيما بعده .

وَأَمَّا ٱلْمُعَلَّقَةُ بِلِسَانِهَا . . فَإِنَّهَا كَانَتْ تُؤْذِي زَوْجَهَا ، وَأَمَّا ٱلْمُعَلَّقَةُ بِثَدْيِهَا . . فَإِنَّهَا كَانَتْ تُؤْذِي فِرَاشَ زَوْجِهَا ـ وفي روايةٍ : إِنَّهَا كَانَتْ تُرْضِعُ أَوْلَادَ ٱلنَّاسِ بِغَيْرِ إِذْنِ زَوْجِهَا ـ(١) .

وَأَمَّا ٱلَّتِي شُدَّ رِجْلَاهَا إِلَىٰ ثَدْيِهَا ، وَيَدَاهَا إِلَىٰ نَاصِيَتِهَا وَقَدْ سُلِّطَ عَلَيْهَا ٱلْحَيَّاتُ وَٱلْعَقَارِبُ . . فَإِنَّهَا كَانَتْ لَا تَغْتَسِلُ مِنَ ٱلْجَنَابَةِ وَٱلْحَيْضِ ، وَتَسْتَهْزِئُ بِٱلصَّلَاةِ .

وَأَمَّا ٱلَّتِي رَأْسُهَا رَأْسُ خِنْزِيرٍ ، وَبَدَنُهَا بَدَنُ حِمَارٍ . . فَإِنَّهَا كَانَتْ نَمَّامَةً كَذَّابَةً .

وَأَمَّا ٱلَّتِي عَلَىٰ صُورَةِ ٱلْكَلْبِ وَٱلنَّارُ تَدْخُلُ مِنْ فِيهَا وَتَخْرُجُ مِنْ دُبُرِهَا . . فَإِنَّهَا كَانَتْ مَنَّانَةً حَسَّادَةً ، وَيَا بُنَيَّةُ ؛ ٱلْوَيْلُ لِٱمْرَأَةٍ تَعْصِي زَوْجَهَا »(٢) .

تَنْبِيهٌ

[في بيانِ صورٍ مِنَ النُّشوزِ المُحرَّمِ]

اعلمْ : أنَّ النُّشوزَ ـ الذي عدَّهُ جماعةٌ مِنَ الكبائرِ ـ يتحقَّقُ بمنعِها الاستمتاعَ وطئاً أو غيرَهُ ؛ كلمسٍ ولو بموضعٍ عيَّنَهُ ، وبخروجِها مِنَ المنزلِ بغيرِ إذنِهِ ولو لموتِ أحدِ أبوَيْها ، أو إلىٰ مجلسِ ذِكْرٍ وتعلُّمِ فضيلةٍ ، لا لتعلُّمِ أحكامِ الحيضِ والنِّفاسِ وسائرِ العلمِ العينيِّ ، بل يلزمُ عليها الخروجُ لتعلُّمِها ، ويَحرُمُ عليه منعُها عنهُ إن لم يكنْ عالماً ، وإلَّا . . علَّمَها وجوباً .

---

(١) هـٰذه الرواية زيادة من (ج) .

(٢) أورده الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ١٩٣) ، وابن حجر في « الزواجر » (٢/٩٧ ـ ٩٨) ، وقال : (انتهىٰ ما ذكره ذٰلك الإمام والعهدة عليه) .

وبامتناعِها مِنْ النُّقْلَةِ معَهُ ، وبإغلاقِها البابَ حينَ أرادَ الدخولَ إليها ، وبادِّعائِها الطلاقَ ؛ فمتىٰ صدرَ منها شيءٌ مِنَ المذكوراتِ ولو لحظةً . . لا تَستحقُّ نفقةَ ذٰلكَ اليومِ ، وكِسوةَ ذٰلكَ الفصلِ ، ولا قَسْماً منهُ ، بل تَستحقُّ أن يهجرَها الزوجُ في المضجعِ إلىٰ أن تصلحَ ولو بلغَ سنينَ ، وأن يضربَها ولو بسوطٍ وعصاً ، وأن تلعنَها الملائكةُ الأبرارُ الذينَ لا يعصونَ اللهُ طَرْفةَ عينٍ ، وأن يُعذِّبَها الجبَّارُ في دارِ الهوانِ [١] .

[رضا الزَّوجِ مفتاحُ الجنَّةِ]

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَيُّمَا ٱمْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ . . دَخَلَتِ ٱلْجَنَّةَ » رواهُ الترمذيُّ وابنُ ماجه [٢] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا صَلَّتِ ٱلْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا . . قِيلَ لَهَا : ٱدْخُلِي ٱلْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ ٱلْجَنَّةِ شِئْتِ » رواهُ أحمدُ [٣] .

وقالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ فِي ٱلْجَنَّةِ ؟ » قلنا : بلىٰ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : « كُلُّ وَدُودٍ وَلُودٍ ؛ إِذَا غَضِبَتْ أَوْ أُسِيءَ إِلَيْهَا ، أَوْ غَضِبَ زَوْجُهَا . .

---

(١) نقل العلامة ابن حجر في « الزواجر » (٩٩/٢) عن الجلال البلقيني رحمهما الله تعالىٰ قوله : (وكان شيخ الإسلام الوالد رحمه الله تعالىٰ يحتجُّ بحديث لعن الملائكة علىٰ جواز لعن العاصي المعيَّن ، وبحثتُ معه في ذٰلك باحتمال أن يكون لعنهم لها ليس بالخصوص ، بل بالعموم بأن يقال : لعن الله من باتت مهاجرة فراش زوجها) .

(٢) سنن الترمذي (١١٦١) ، وسنن ابن ماجه (١٨٥٤) عن سيدتنا أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها .

(٣) مسند أحمد (١٩١/١) عن سيدنا عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه ، وفي (أ) : (وأطاعت بعلها) وهي رواية ابن حبان (٤١٦٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

قَالَتْ : هَٰذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ ، لَا أَكْتَحِلُ بِغَمْضٍ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ » رواهُ الطبرانيُّ [(١)] .

قالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (يا معشرَ النِّساءِ ؛ لو تعلمْنَ بحقِّ أزواجِكُنَّ عليكُنَّ . . لجعلَتِ المرأةُ منكُنَّ تمسحُ الغبارَ عن قدمَيْ زوجِها بحُرِّ وجهِها) [(٢)] .

[ممَّا ينبغي للمرأةِ أن تعرفَهُ]

وينبغي لها : أن تَعرفَ أنَّها كالمملوكِ للزَّوجِ ؛ فلا تتصرَّفَ في شيءٍ مِنْ مالِهِ إلَّا بإذنِهِ ، بل قالَ جماعةٌ مِنَ العلماءِ : إنَّها لا تتصرَّفُ أيضاً في مالِها إلَّا بإذنِهِ ؛ لأنَّها كالمحجورةِ لهُ [(٣)] .

وقالَ بعضُهُم : (يجبُ على المرأةِ دوامُ الحياءِ مِنْ زوجِها ، وغضُّ طَرْفِها قُدَّامَهُ ، والطاعةُ لأمرِهِ ، والسكوتُ عندَ كلامِهِ ، والقيامُ عندَ قدومِهِ وعندَ خروجِهِ ، وعَرْضُ نفسِها عليهِ عندَ النَّومِ ، والتعطُّرُ لهُ ، وتعاهدُ الفمِ بالمسكِ والطِّيبِ ، ودوامُ الزِّينةِ بحضرتِهِ ، وتركُها في غَيبتِهِ ، وتركُ الخيانةِ عندَ غَيبتِهِ في فراشِهِ أو مالِهِ ، وإكرامُ أهلِهِ وأقاربِهِ ، ورؤيةُ القليلِ منهُ كثيراً .

قالَ : وينبغي للمرأةِ الخائفةِ مِنَ اللهِ تعالىٰ : أن تجتهدَ في طاعةِ اللهِ وطاعةِ زوجِها ، وتطلبَ رضاهُ بجُهدِها ؛ فهوَ جنَّتُها ونارُها) [(٤)] .

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٧٦٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٧١٢٩) لكن بلفظ : (تمسح الغبار عن وجه زوجها) والمؤلف تبع لفظ « الزواجر » .

(٣) نقل هٰذا الكلام العلامة ابن حجر في « الزواجر » (٢/٩٥) وعنه نقل المؤلف .

(٤) انظر « الزواجر » (٢/٩٥) .

فَصْلٌ

في القَسْمِ

أخرجَ مسلمٌ والنَّسائيُّ عنِ ابنِ [عمرٍو][1] رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلْمُقْسِطِينَ عِنْدَ ٱللهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَلَىٰ مَنَابرَ مِنْ نُورٍ ، عَنْ يَمِينِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ـ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ـ ٱلَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا »[2] .

والطبرانيُّ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ كَتَبَ ٱلْغَيْرَةَ عَلَى ٱلنِّسَاءِ ، وَٱلْجِهَادَ عَلَى ٱلرِّجَالِ ؛ فَمَنْ صَبَرَ مِنْهُنَّ إِيمَاناً وَٱحْتِسَاباً . . كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ ٱلشَّهِيدِ »[3] .

والترمذيُّ والحاكمُ : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ ٱمْرَأَتَانِ ، فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا . . جَاءَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ سَاقِطٌ »[4] .

والنَّسائيُّ : « مَنْ كَانَتْ لَهُ ٱمْرَأَتَانِ ، يَمِيلُ إِلَىٰ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ . . جَاءَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ مَائِلٌ »[5] .

والمرادُ بقولِهِ : (يميلُ) : الميلُ بظاهرِهِ ؛ بأن يُرجِّحَ إحداهُما في الأمورِ

---

(١) في النسخ (عن ابن عمر) ، والمثبت موافق لكتب التخريج .

(٢) صحيح مسلم (١٨٢٧) ، وسنن النسائي الكبرىٰ (٥٨٨٥) .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/٨٧) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٤) مستدرك الحاكم (٢/١٨٦) ، وسنن الترمذي (١١٤١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وقوله : (**شقه ساقط**) أي : نصفه مائل ، بحيث يراه أهل العَرَصات ؛ ليكون هـٰذا له زيادة في التعذيب ، وليس هـٰذا الحكم مقصوراً على امرأتين ؛ فإنه لو كان ثلاث أو أربع . . كان السقوط ثابتاً إن كان جائراً . انظر « تحفة الأحوذي » (٤/٢٩٥) .

(٥) سنن النسائي الكبرىٰ (٨٨٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

الظاهرةِ التي حرَّمَ الشارعُ الترجيحَ فيها ، لا الميلُ القلبيُّ ؛ لخبرِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يَقسمُ بينَ نسائِهِ ، فيعدلُ ويقولُ : « ٱللَّهُمَّ ؛ هَـٰذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ ، فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ » يعني : القلبَ [١] .

* * *

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/١٨٧) ، وأبو داوود (٢١٢٧) ، وانظر « الزواجر » (٢/٧٥) ضمن الكبيرة (٢٧٣) .

باب في التهاجر والتشاحن[1]

أخرجَ أحمدُ والطبرانيُّ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِماً فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ؛ فَإِنَّهُمَا نَاكِبَانِ عَنِ ٱلْحَقِّ - أي : مائلانِ عنهُ - مَا دَامَا عَلَىٰ صِرَامِهِمَا ، وَأَوَّلُهُمَا فَيْئاً - أي : رجوعاً إلى الصُّلحِ - يَكُونُ سَبْقُهُ بِٱلْفَيْءِ كَفَّارَةً لَهُ ، وَإِنْ سَلَّمَ فَلَمْ يَقْبَلْ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ سَلَامَهُ . . رَدَّتْ عَلَيْهِ ٱلْمَلَائِكَةُ ، وَرَدَّ عَلَى ٱلْآخَرِ ٱلشَّيْطَانُ ؛ فَإِنْ مَاتَا عَلَىٰ صِرَامِهِمَا . . لَمْ يَدْخُلَا ٱلْجَنَّةَ جَمِيعاً أَبَداً »[2] .

وأبو داوود والنَّسائيُّ : « لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِماً فَوْقَ ثَلَاثٍ ؛ فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ . . دَخَلَ ٱلنَّارَ »[3] .

والشيخانِ : « لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ؛ يَلْتَقِيَانِ : فَيُعْرِضُ هَـٰذَا ، وَيُعْرِضُ هَـٰذَا ، وَخَيْرُهُمَا ٱلَّذِي يَبْدَأُ بِٱلسَّلَامِ »[4] ، وأخذَ منهُ العلماءُ : أنَّ السلامَ يرفعُ إثمَ الهجرِ .

[أَنْظِرُوا هَـٰذَينِ حتىٰ يصطلحا]

ومسلمٌ : « تُعْرَضُ ٱلْأَعْمَالُ فِي كُلِّ ٱثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ ، فَيَغْفِرُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) في (أ ، ج ، هـ) : (فصل : في التهاجر والتشاحن) .

(٢) مسند أحمد (٢٠/٤) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٧٥/٢٢) عن سيدنا هشام بن عامر الأنصاري الصحابي رضي الله عنه .

(٣) سنن أبي داوود (٤٨٧٨) واللفظ له ، والنسائي في « الكبرىٰ » بنحوه (٩١١٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) صحيح البخاري (٦٠٧٧) ، وصحيح مسلم (٢٥٦٠) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

فِي ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ لِٱمْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِٱللهِ شَيْئاً ، إِلَّا ٱمْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ ، يَقُولُ : ٱتْرُكُوا هَـٰذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا »[1] .

وفي روايةٍ : « تُفْتَحُ أَبْوَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَ ٱلْاثْنَيْنِ وَٱلْخَمِيسِ ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِٱللهِ شَيْئاً ، إِلَّا رَجُلاً كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ ، فَيَقُولُ : أَنْظِرُوا هَـٰذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا ، أَنْظِرُوا هَـٰذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا ، أَنْظِرُوا هَـٰذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا »[2] .

[الذينَ لا يُعتقونَ مِنَ النيرانِ في ليلةِ النصفِ من شعبانَ]

والبيهقيُّ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : دخلَ عليَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فوضعَ عنهُ ثوبَيهِ ، ثمَّ لم يستتمَّ أن قامَ فلبسَهُما ، فأخذَتْني غَيرةٌ شديدةٌ ، فظننتُ أنَّهُ يأتي بعضَ صُويحباتي ، فخرجتُ أتبعُهُ ، فأدركتُهُ بالبقيعِ ـ بقيعِ الغَرْقَدِ ـ يستغفرُ للمؤمنينَ والمؤمناتِ والشهداءِ .

فقلتُ : بأبي أنتَ وأمِّي ؛ أنتَ في حاجةِ دينِكَ ، وأنا في حاجةِ الدُّنيا ، فانصرفتُ ، فدخلتُ حجرتي ولي نَفَسٌ عالٍ ، ولحقَني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « مَا هَـٰذَا ٱلنَّفَسُ يَا عَائِشَةُ ؟! » .

فقلتُ : بأبي أنتَ وأمِّي ؛ أتيتَني فوضعتَ عنكَ ثوبَيكَ ، ثمَّ لم تستتمَّ أن قُمتَ فلبستَهُما ، فأخذَتْني غَيرةٌ شديدةٌ ؛ ظننتُ أنَّكَ تأتي بعضَ صُويحباتي ، حتىٰ رأيتُكَ بالبقيعِ تصنعُ ما تصنعُ .

فقالَ : « يَا عَائِشَةُ ؛ أَكُنْتِ تَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ ٱللهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ ؟! أَتَانِي جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ فَقَالَ : هَـٰذِهِ لَيْلَةُ ٱلنِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، وَلِلهِ فِيهَا عُتَقَاءُ

---

(١) صحيح مسلم (٣٦/٢٥٦٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٥) ، وابن حبان (٥٦٦٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

مِنَ ٱلنَّارِ بِعَدَدِ شُعُورِ غَنَمِ كَلْبٍ ، لَا يَنْظُرُ ٱللهُ فِيهَا إِلَىٰ مُشْرِكٍ ، وَلَا إِلَىٰ مُشَاحِنٍ ، وَلَا إِلَىٰ قَاطِعِ رَحِمٍ ، وَلَا إِلَىٰ مُسْبِلٍ إِزَارَهُ ، وَلَا إِلَىٰ عَاقٍّ لِوَالِدَيْهِ ، وَلَا إِلَىٰ مُدْمِنِ خَمْرٍ » .

قالَتْ : ثمَّ وضعَ عنهُ ثوبَيهِ ، فقالَ : « هَـٰذِهِ لَيْلَةُ ٱلنِّصْفِ ، يَا عَائِشَةُ ؛ تَأْذَنِينَ لِي فِي قِيَامِ هَـٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ ؟ » .

قلتُ : نعم ، بأبي أنتَ وأمِّي ، فقامَ فسجدَ ليلاً طويلاً ؛ حتىٰ ظننتُ أنَّهُ قد قُبِضَ ، فقمتُ ألتمسُهُ ، ووضعتُ يدي علىٰ باطنِ قدمَيهِ ، فتحرَّكَ ففرحتُ ، وسمعتُهُ يقولُ في سجودِهِ : « أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ ، وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، جَلَّ وَجْهُكَ ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ » .

فلمَّا أصبحَ . . ذكرتُهُنَّ لهُ ، فقالَ : « يَا عَائِشَةُ ؛ تَعَلَّمِيهِنَّ وَعَلِّمِيهِنَّ ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ عَلَّمَنِيهِنَّ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُرَدِّدَهُنَّ فِي ٱلسُّجُودِ »(١) .

تَنْبِيهٌ

[في تحريمِ الهجرِ فوقَ ثلاثٍ إلَّا لعذرٍ شرعيٍّ]

إنَّ هجرَ أخيهِ المسلمِ فوقَ ثلاثةِ أيَّامٍ حرامٌ ، بل قالَ جماعةٌ مِنَ العلماءِ : إنَّهُ مِنَ الكبائرِ ، إلَّا لعذرٍ شرعيٍّ ؛ كبدعةٍ أو فسقٍ ولو خفيّاً .

وضابطُهُ : أنَّهُ متىٰ عادَ إلىٰ صلاحِ دينِ الهاجرِ أوِ المهجورِ . . جازَ ، وإلَّا . . فلا(٢) .

* * *

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٥٥٦) .

(٢) لقد فصَّل الإمام ابن حجر في « الزواجر » (٨٨/٢ ـ ٨٩) هٰذه المسائل .

بابُ عقوق الوالدين

قَالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾[1] .

قالَ ابنُ عباسٍ : (يُريدُ : البرَّ بهِما معَ اللُّطفِ ولينِ الجانبِ ؛ فلا يُغلِظُ لهُما في الجوابِ ، ولا يُحِدُّ النظرَ إليهِما ؛ ولا يرفعُ صوتَهُ عليهِما ، بل يكونُ بينَ يدَيهِما مثلَ العبدِ بينَ يدَيْ سيِّدِهِ ؛ تذلُّلاً لهُما)[2] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ۝ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾[3] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[4] .

فانظرْ ـ وَفَّقَني اللهُ وإيَّاكَ ـ كيفَ قرنَ شكرَهُما بشكرِهِ ؟!

[ثلاثُ آياتٍ مقرونةٌ بثلاثٍ]

قالَ ابنُ عباسٍ : (ثلاثُ آياتٍ نزلَتْ مقرونةً بثلاثٍ ، لا يقبلُ اللهُ منها واحدةً بغيرِ قرينتِها :

---

(١) سورة النساء : (٣٦) .

(٢) أورده الواحدي في « الوسيط في تفسير القرآن المجيد » (٢/٤٩) ، والذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٢١٩) ضمن الكبيرة (٥١) ، وابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢/١٣٠) ضمن الكبيرة (٣٠٢) .

(٣) سورة الإسراء : (٢٣ ـ ٢٤) .

(٤) سورة لقمان : (١٤) .

إحداها : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ (١) ؛ فَمَنْ أطاعَ اللهَ ولم يُطِعِ الرسولَ . . لم يُقبَلْ منهُ .

الثانيةُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (٢) ؛ فَمَنْ صلَّىٰ وَلَمْ يُزَكِّ . . لَمْ يُقبَلْ منهُ .

الثالثةُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ (٣) ؛ فَمَنْ شكرَ اللهَ ولم يشكرْ والدَيهِ . . لم يُقبَلْ منهُ) (٤) .

ولذا قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رِضَا ٱللهِ فِي رِضَا ٱلْوَالِدَيْنِ ، وَسَخَطُ ٱللهِ فِي سَخَطِ ٱلْوَالِدَيْنِ » (٥) .

وصحَّ : أنَّ رجلاً جاءَ يستأذنُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الجهادِ ، فقالَ : « أَحَيٌّ وَالِدَاكَ ؟ » قالَ : نعم ، قالَ : « فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ » (٦) .

فانظرْ كيفَ فضَّلَ برَّ الوالدَينِ وخدمتَهما على الجهادِ .



وأخرجَ أحمدُ والبخاريُّ عنِ ابنِ عمرٍو قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ

---

(١) سورة النساء : (٥٩) .

(٢) سورة البقرة : (٤٣) .

(٣) سورة لقمان : (١٤) .

(٤) أورده أبو الليث السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ١٢٤ ـ ١٢٥) بلفظ : (يقال) دون نسبته لأحد ، والذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٤٣) ضمن الكبيرة (٨) ، وابن حجر في « الزواجر » (١٣١/٢) ضمن الكبيرة (٣٠٢) واللفظ له .

(٥) أخرجه ابن حبان (٤٢٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٤٤٦) ، والبغوي في تفسيره « معالم التنزيل » (١١١/٣) بإسناده عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٦) أخرجه البخاري (٣٠٠٤) ، ومسلم (٢٥٤٨) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْكَبَائِرُ : ٱلْإِشْرَاكُ بِٱللهِ ، وَعُقُوقُ ٱلْوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلُ ٱلنَّفْسِ ، وَٱلْيَمِينُ ٱلْغَمُوسُ »[١] .

[ثلاثةٌ لا ينفعُ معَهُنَّ عملٌ ويَحرمْنَ الجنَّةَ]

والطبرانيُّ عن ثوبانَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْفَعُ مَعَهُنَّ عَمَلٌ : ٱلشِّرْكُ بِٱللهِ ، وَعُقُوقُ ٱلْوَالِدَيْنِ ، وَٱلفِرَارُ مِنَ ٱلزَّحْفِ »[٢] .

وأحمدُ والنَّسائيُّ والحاكمُ عنِ ابنِ عمرَ : « ثَلَاثَةٌ حَرَّمَ ٱللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِمُ ٱلْجَنَّةَ : مُدْمِنُ ٱلْخَمْرِ ، وَٱلْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَٱلدَّيُّوثُ ٱلَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ ٱلْخُبْثَ »[٣] أي : الزِّنا فيهِم معَ علمِهِ بهِ ، وقيلَ : هوَ الذي لا يمنعُ النَّاسَ مِنَ الدخولِ علىٰ زوجتِهِ ، وقيلَ : هوَ الذي يشتري جاريةً تُغنِّي للنَّاسِ[٤] .

والحاكمُ والأصبهانيُّ : « كُلُّ ٱلذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ ٱللهُ مِنْهَا مَا شَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ إِلَّا عُقُوقَ ٱلْوَالِدَيْنِ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ يُعجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي ٱلْحَيَاةِ قَبْلَ ٱلْمَمَاتِ »[٥] .

والخطيبُ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَنْ أَحْزَنَ وَالِدَيْهِ . . فَقَدْ عَقَّهُمَا »[٦] .



---

(١) صحيح البخاري (٦٦٧٥) ، ومسند أحمد (٢/٢٠١) .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢/٩٥) .

(٣) مستدرك الحاكم (١/٧٢) بنحوه ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٢٣٥٤) وعندهما : (الرجلة) بدل (مدمن الخمر) ، وأحمد (٢/٦٩) واللفظ له .

(٤) نقله النووي في « روضة الطالبين » (٥/٤٩٤) عن العبادي في كتاب « الرقم » ، ونسب في « الزواجر » (٢/١٠٢) هـٰذا القول له .

(٥) مستدرك الحاكم (٤/١٥٦) ، والأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (٤٥٥) عن سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه .

(٦) أخرجه الخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي » (١٧٦٢) .

وعن وهبِ بنِ مُنبّهٍ قالَ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ : « يَا مُوسَىٰ ؛ وَقِّرْ وَالِدَيْكَ : فَإِنَّ مَنْ وَقَّرَ وَالِدَيْهِ . . مَدَدْتُ لَهُ فِي عُمْرِهِ ، وَوَهَبْتُ لَهُ ولداً يَبَرُّهُ ، وَمَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ . . قَصَرْتُ لَهُ فِي عُمْرِهِ ، وَوَهَبْتُ لَهُ وَلَداً يَعُقُّهُ »[1] .

وقالَ أبو بكرِ بنُ [أبي] مريمَ : (قرأتُ في التَّوراةِ : أنَّ مَنْ يضربُ أباهُ . . يُقتَلُ) ، وقالَ وهبٌ : (في التَّوراةِ : علىٰ مَنْ صكَّ والديهِ الرَّجمُ)[2] .

[العقوقُ منعَهُ النطقَ بالشهادتَينِ]

ورُوِيَ : أنَّ علقمةَ كانَ كثيرَ الاجتهادِ في الطاعةِ مِنَ الصَّلاةِ والصَّومِ والصَّدقةِ ، فمرضَ واشتدَّ مرضُهُ ، فأرسلَتِ امرأتُهُ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنَّ زوجي علقمةَ في النَّزعِ ، فأردتُ أن أُعْلِمَكَ يا رسولَ اللهِ بحالِهِ .

فأرسلَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عمَّاراً وبلالاً وصُهيباً ، وقالَ : « ٱمْضُوا إِلَيْهِ ، فَلَقِّنُوهُ ٱلشَّهَادَةَ » فجاؤوا إليهِ ، فوجدوهُ في النَّزعِ ، فجعلوا يُلقِّنونَهُ : (لا إلٰهَ إلَّا اللهُ) ولسانُهُ لا ينطقُ بها ، فأرسلوا إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بذٰلكَ ، فقالَ : « هَلْ مِنْ أَبَوَيْهِ أَحَدٌ حَيٌّ ؟ » .

قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ لهُ أمٌّ كبيرةُ السِّنِّ ، فأرسلَ إليها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ لها : « إِنْ قَدَرْتِ عَلَى ٱلْمَسِيرِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٨٩٦٥) ، والأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (٤٤٥) .

(٢) أورد القولين الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٤٧) ضمن الكبيرة (٨) ، وابن حجر في « الزواجر » (١٤٠/٢) ضمن الكبيرة (٣٠٢) ، والمناوي في « فيض القدير » (٣٣/٤) .

ـ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ وَإِلَّا . . فَقَرِّي فِي ٱلْمَنْزِلِ حَتَّىٰ يَأْتِيَكِ » .

فجاءَ إليها الرسولُ وأخبرَها بذٰلكَ ، فقالَتْ : نفسي لنفسِهِ الفداءُ ، أنا أحقُّ بإتيانِهِ ، فتوكَّأَتْ وقامَتْ علىٰ عصاً ، وأتَتْ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وسلَّمَتْ ، فردَّ عليها السلامَ ، وقالَ لها : « يَا أُمَّ عَلْقَمَةَ ؛ ٱصْدُقِينِي ، وَإِنْ كَذَبْتِنِي . . جَاءَ ٱلْوَحْيُ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، كَيْفَ حَالُ وَلَدِكِ عَلْقَمَةَ ؟ » قالَتْ : يا رسولَ اللهِ ؛ كثيرُ الصَّلاةِ ، كثيرُ الصِّيامِ ، كثيرُ الصَّدقةِ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فَمَا حَالُكِ مَعَهُ ؟ » قالَتْ : يا رسولَ اللهِ ؛ أنا عليهِ ساخطةٌ ، قالَ : « وَلِمَ ؟ » قالَتْ : يا رسولَ اللهِ ؛ كانَ يُؤْثِرُ زوجتَهُ ويعصيني .

فقالَ : « إِنَّ سَخَطَ أُمِّ عَلْقَمَةَ حَجَبَ لِسَانَ عَلْقَمَةَ عَنِ ٱلشَّهَادَةِ » .

قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَا بِلَالُ ؛ ٱنْطَلِقْ وَٱجْمَعْ لِي حَطَباً كَثِيراً » قالَتْ : وما تصنعُ بهِ يا رسولَ اللهِ ؟

قالَ : « أُحْرِقُهُ بِٱلنَّارِ » قالَتْ : يا رسولَ اللهِ ؛ ولدي ، لا يحملُ قلبي أن تُحرِقَهُ بالنَّارِ بينَ يديَّ !!

قالَ : « يَا أُمَّ عَلْقَمَةَ ؛ فَعَذَابُ ٱللهِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ، فَإِنْ سَرَّكِ أَنْ يَغْفِرَ ٱللهُ لَهُ . . فَٱرْضَيْ عَنْهُ ، فَوَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَا يَنْتَفِعُ بِصَلَاتِهِ وَلَا بِصِيَامِهِ وَلَا بِصَدَقَتِهِ . . مَا دُمْتِ عَلَيْهِ سَاخِطَةً » .

فقالَتْ : يا رسولَ اللهِ ؛ فإنِّي أُشهِدُ اللهَ تعالىٰ وملائكتَهُ ومَنْ حضرَني مِنَ المسلمينَ : أنِّي قد رضيتُ علىٰ ولدي علقمةَ .

فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱنْطَلِقْ إِلَيْهِ يَا بِلَالُ ، فَٱنْظُرْ هَلْ

يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ) ؛ فَلَعَلَّ أُمَّ عَلْقَمَةَ تَكَلَّمَتْ بِمَا لَيْسَ فِي قَلْبِهَا حَيَاءً مِنِّي » .

فانطلقَ بلالٌ ، فسمعَ علقمةَ يقولُ مِنْ داخلِ الدَّارِ : (لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ) فدخلَ بلالٌ فقالَ : يا هٰؤلاءِ ؛ إنَّ سخطَ أمِّ علقمةَ حجبَ لسانَهُ عنِ الشهادةِ ، وإنَّ رضاها أطلقَ لسانَهُ .

ثمَّ ماتَ علقمةُ في يومِهِ ، فحضرَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأمرَ بغسلِهِ وتكفينِهِ ، ثمَّ صلَّىٰ عليهِ وحضرَ دفنَهُ ، ثمَّ قامَ علىٰ شَفيرِ قبرِهِ وقالَ : « يَا مَعْشَرَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ ؛ مَنْ فَضَّلَ زَوْجَتَهُ عَلَىٰ أُمِّهِ . . فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ ٱللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ ٱللهُ مِنْهُ صَرْفاً وَلَا عَدْلاً ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ إِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيُحْسِنَ إِلَيْهَا ، وَيَطْلُبَ رِضَاهَا ؛ فَرِضَا ٱللهِ فِي رِضَاهَا ، وَسَخَطُ ٱللهِ فِي سَخَطِهَا »(١) .

[الجزاءُ مِنْ جنسِ العملِ]

ورُوِيَ : أنَّ العوَّامَ بنَ حَوْشَبٍ قالَ : (نزلتُ مرةً حيّاً ، وإلىٰ جانبِ ذٰلكَ الحيِّ مقبرةٌ ، فلمَّا كانَ بعدَ العصرِ . . انشقَّ منها قبرٌ ، فخرجَ رجلٌ ؛ رأسُهُ رأسُ حمارٍ ، وجسدُهُ جسدُ إنسانٍ ، فنهقَ ثلاثَ نهقاتٍ ، ثمَّ انطبقَ عليهِ القبرُ ؛ فإذا عجوزٌ تغزلُ شَعراً أو صوفاً ، فقالَتِ امرأةٌ : ترىٰ تلكَ العجوزَ ؟

---

(١) أخرجه السمرقندي في « تنبيه الغافلين » بإسناده (١٤٨) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٥١٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٥٠٨) ، وابن الجوزي في « البر والصلة » (١٣٥) بإسناده ، وعزاه المنذري في « الترغيب والترهيب » (٣٦٩٢) لأحمد والطبراني مختصراً عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه دون تسمية الشاب بعلقمة ، وأوردها تامة الحافظ الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٤٩) ، والعلامة ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (١٣٨/٢ ـ ١٣٩) وكلها في إسنادها فائد بن عبد الرحمٰن .

قلتُ : ما لها ؟ قالَتْ : تلكَ أمُّ هـٰذا .

قلتُ : وما كانَ قصَّتُهُ ؟ قالَتْ : كانَ يشربُ الخمرَ ، فإذا راحَ . . تقولُ لهُ أمُّهُ : يا بُنَيَّ ؛ اتَّقِ اللهَ ، إلىٰ متىٰ تشربُ الخمرَ ؟! فيقولُ لها : إنَّما أنتِ تنهقينَ كما ينهقُ الحمارُ .

قالَتْ : فماتَ بعدَ العصرِ ، قالَتْ : فهوَ ينشقُّ عنهُ القبرُ بعدَ العصرِ كلَّ يومٍ ، فينهقُ ثلاثَ نهَقاتٍ ، ثمَّ ينطبقُ عليهِ القبرُ)(1) ، والعياذُ باللهِ مِنَ العقوقِ .

تَنْبِيهٌ

[عقوقُ الوالدَينِ مِنَ الكبائرِ المُهلِكةِ]

واعلمْ : أنَّ عقوقَ الوالدَينِ أو أحدِهِما وإن علا ولو معَ وجودِ أقربَ منهُ . . مِنَ الكبائرِ المُهلِكةِ اتفاقاً ، و[ضابطُهُ] : أن يَحصُلَ منهُ لهُما أو لأحدِهِما إيذاءٌ ليسَ بالهيِّنِ عرفاً ؛ كأنْ يلقاهُ فيغضبَ في وجهِهِ ، أو يَقدَمَ عليهِ في ملأٍ فلا يقومَ ولا يعبأَ بهِ ونحوِ ذٰلكَ ممَّا يقضي أهلُ العقلِ والمروءةِ مِنْ أهلِ العُرفِ(2) .

خَاتِمَةٌ

في برِّ الوالدَينِ

أخرجَ الشيخانِ عنِ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : سألتُ رسولَ اللهِ

---

(1) أخرجه الأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (٤٥٨) وقال : (حدث به أبو العباس الأصم إملاءً بنيسابور بمشهدٍ من الحفاظ وأهل العلم ، فلم ينكروه) ، واللالكائي في « اعتقاد أهل السنة والجماعة » (٢١٥٧) .

(2) أي : بأنه مؤذٍ تأذياً عظيماً ، ومن قوله : (وأن يحصل . . . إلخ) زيادة من (ب) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أيُّ العملِ أحبُّ إلى اللهِ ؟ قالَ : « ٱلصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا » قلتُ : ثمَّ أي ؟ قالَ : « بِرُّ ٱلْوَالِدَيْنِ » قلتُ : ثمَّ أي ؟ قالَ : « ٱلْجِهَادُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ »[١] .

وأبو يعلىٰ والطبرانيُّ : أتىٰ رجلٌ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالَ : إنِّي أشتهي الجهادَ ولا أقدرُ عليهِ ؟ قالَ : « هَلْ بَقِيَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ ؟ » قالَ : أمِّي ، قالَ : « قَابِلِ ٱللهَ فِي بِرِّهَا ؛ فَإِذَا فَعَلْتَ . . فَأَنْتَ حَاجٌّ وَمُعْتَمِرٌ وَمُجَاهِدٌ »[٢] .

والرافعيُّ عنِ ابنِ عباسٍ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَنْظُرُ إِلَىٰ وَجْهِ وَالِدَيْهِ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ . . إِلَّا كَتَبَ ٱللهُ لَهُ بِهَا حَجَّةً مَقْبُولَةً مَبْرُورَةً »[٣] .

[برُّ الوالدَينِ مُقدَّمٌ على الجهادِ]

وابنُ ماجه والنَّسائيُّ والحاكمُ : جاءَ رجلٌ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ أردتُ أن أغزوَ ، وقد جئتُ أستشيرُكَ .

فقالَ : « هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ ؟ » قالَ : نعم ، قالَ : « فَٱلْزَمْهَا ؛ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلَيْهَا »[٤] .

---

(١) صحيح البخاري (٥٢٧) ، وصحيح مسلم (٨٥/١٣٩) .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٩٣٦) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٢٧٦٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الإسماعيلي في « معجم شيوخه » (٧) ، وعزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٥٤٩٦) للرافعي .

(٤) مستدرك الحاكم (١٠٤/٢) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٤٢٩٧) ، وابن ماجه بنحوه (٢٩٠٨) عن سيدنا معاوية بن جاهمة السلمي الصحابي رضي الله عنه ، وهو السائل والمستشير .

وفي روايةٍ : « أَلَكَ وَالِدَانِ ؟ » قلتُ : نعم ، قالَ : « فَٱلْزَمْهُمَا ؛ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ تَحْتَ أَرْجُلِهِمَا »[1] .

والبيهقيُّ : « ثَلَاثٌ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ ٱلنَّاسِ فِيهِنَّ رُخْصَةٌ : بِرُّ ٱلْوَالِدَيْنِ مُسْلِماً كَانَ أَوْ كَافِراً ، وَٱلْوَفَاءُ بِٱلْعَهْدِ لِمُسْلِمٍ كَانَ أَوْ كَافِرٍ ، وَأَدَاءُ ٱلْأَمَانَةِ إِلَىٰ مُسْلِمٍ كَانَ أَوْ كَافِرٍ »[2] .

والشيخانِ : جاءَ رجلٌ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ مَنْ أحقُّ النَّاسِ بحسنِ صحابتي ؟ قالَ : « أُمُّكَ » قالَ : ثمَّ مَنْ ؟ قالَ : « ثُمَّ أُمُّكَ » قالَ : ثمَّ مَنْ ؟ قالَ : « ثُمَّ أُمُّكَ » قالَ : ثمَّ مَنْ ؟ قالَ : « ثُمَّ أَبُوكَ »[3] .

والترمذيُّ وابنُ حِبَّانَ والحاكمُ : أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رجلٌ فقالَ : إنِّي أذنبتُ ذنباً عظيماً ، فهل لي مِنْ توبةٍ ؟ فقالَ : « هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ ؟ » فقالَ : لا ، فقالَ : « هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ ؟ » قالَ : نعم ، قالَ : « فَبِرَّهَا »[4] .

والديلميُّ : « دُعَاءُ ٱلْوَالِدِ لِوَلَدِهِ كَدُعَاءِ ٱلنَّبِيِّ ـ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ لِأُمَّتِهِ »[5] .

[مِنْ برِّهِما بعدَ وفاتِهِما]

وأبو داوودَ وابنُ ماجه عن مالكِ بنِ ربيعةَ الساعديِّ قالَ : بينَما نحنُ

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢/٢٨٩) .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٠٥٤) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٣) صحيح البخاري (٥٩٧١) ، وصحيح مسلم (٢٥٤٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) صحيح ابن حبان (٤٣٥) ، ومستدرك الحاكم (٤/١٥٥) ، وسنن الترمذي (١٩٠٤) واللفظ له عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب (٣٠٣٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/٢٢٧) عن سيدنا أنسٍ رضي الله عنه .

جلوسٌ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . إذ جاءَهُ رجلٌ مِنْ بني سَلِمةَ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ هل بقيَ مِنْ برِّ أبوَيَّ شيءٌ أبرُّهُما بهِ بعدَ موتِهِما ؟ فقالَ : « نَعَم ؛ ٱلصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا ـ أي : الدُّعاءُ ـ وَٱلِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَصِلَةُ ٱلرَّحِمِ ٱلَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا »[1] .

[برُّ صاحبِ بقرةِ بني إسرائيلَ بأمِّهِ مفتاحُ سعادتِهِ]

وحكى البغويُّ في « معالمِهِ » : (أنَّهُ كانَ في بني إسرائيلَ رجلٌ صالحٌ لهُ ابنٌ طفلٌ ، ولهُ عِجْلةٌ أتىٰ بها إلىٰ غَيْضةٍ وقالَ : اللهمَّ ؛ إنِّي أستودعُكَ هٰذهِ العِجْلةَ لابني حتىٰ يكبرَ ، وماتَ الرَّجلُ ، فصارَتِ العِجْلةُ في الغَيْضةِ عَواناً[2] ، وكانَتْ تهربُ مِنْ كلِّ مَنْ رآها .

فلمَّا كبرَ الابنُ . . كانَ بارّاً بوالدتِهِ ، وكانَ يَقسمُ اللَّيلَ ثلاثةَ أثلاثٍ : يُصلِّي ثلثاً ، وينامُ ثلثاً ، ويجلسُ عندَ رأسِ أمِّهِ ثلثاً ، فإذا أصبحَ . . انطلقَ فاحتطبَ علىٰ ظهرِهِ ، فيأتي بهِ السوقَ ، فيبيعُهُ بما شاءَ اللهُ ، ثمَّ يتصدَّقُ بثلثِهِ ، ويأكلُ ثلثَهُ ، ويُعطي والدتَهُ ثلثَهُ .

فقالَتْ لهُ أمُّهُ يوماً : إنَّ أباكَ ورَّثَكَ عِجْلةً ، استودعَها اللهَ في غَيْضةِ كذا ، فانطلِقْ فادْعُ إلٰهَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ أن يردَّها عليكَ ، وعلامتُها : أنَّكَ إذا نظرتَ إليها . . يُخيَّلُ إليكَ أنَّ شعاعَ الشمسِ يخرجُ مِنْ جلدِها ، وكانَتْ تُسمَّىٰ تلكَ البقرةُ : المُذهَّبةَ ؛ لحسنِها وصُفرتِها .

---

(١) سنن أبي داوود (٥٠٩٩) ، وسنن ابن ماجه (٣٨١٧) .

(٢) أي : متوسطة السن بين الكبر والصغر ، ومنه قوله تعالىٰ في قصة هٰذه البقرة : ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ [البقرة : ٦٨] .

فأتى الفتى الغَيْضةَ ، فرآها تَرعىٰ ، فصاحَ بها وقالَ : أعزمُ عليكِ بإلـٰهِ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ ، فأقبلَتْ تسعىٰ حتىٰ قامَتْ بينَ يدَيهِ ، فقبضَ علىٰ عنقِها يقودُها ، فتكلَّمَتِ البقرةُ وقالَتْ : أيُّها الفتى البارُّ بوالدتِهِ ؛ اركبْني ، فإنَّ ذٰلكَ أهونُ عليكَ .

فقالَ الفتىٰ : إنَّ أمِّي لم تأمرْني بذٰلكَ ، ولـٰكن قالَتْ : خذْ بعُنُقِها .

فقالَتِ البقرةُ : بإلـٰهِ بني إسرائيلَ ؛ لو ركبتَني . . ما كنتَ تقدرُ عليَّ أبداً ، فانطلِقْ ؛ فإنَّكَ لو أمرتَ الجبلَ أن ينقلعَ مِنْ أصلِهِ وينطلقَ معَكَ . . لفعلَ ؛ لبرِّكَ بأمِّكَ .

فسارَ الفتىٰ بها إلىٰ أمِّهِ ، فقالَتْ لهُ : إنَّكَ فقيرٌ لا مالَ لكَ ، ويشقُّ عليكَ الاحتطابُ بالنَّهارِ والقيامُ باللَّيلِ ، فانطلقْ فبِعْ هـٰذهِ البقرةَ .

قالَ : بكم أبيعُها ؟ قالَتْ : بثلاثةِ دنانيرَ ، ولا تَبِعْ بغيرِ مشورتي ، وكانَ ثمنُ البقرةِ ثلاثةَ دنانيرَ .

فانطلَقَ بها إلى السوقِ ، فبعثَ اللهُ مَلَكاً ؛ ليُرِيَ خلقَهُ قدرتَهُ ، وليختبرَ الفتىٰ [كيفَ] برُّهُ بوالدتِهِ ، وكانَ اللهُ بهِ خبيراً .

فقالَ لهُ المَلَكُ : بكم تبيعُ هـٰذهِ البقرةَ ؟ قالَ : بثلاثةِ دنانيرَ ، وأشترطُ عليكَ رضا والدتي .

فقالَ المَلَكُ : خذْ ستَّةَ دنانيرَ ولا تستأمرْ والدتَكَ ؟ فقالَ الفتىٰ : لو أعطيتَني وزنَها ذهباً . . لم آخذْهُ إلَّا برضا أمِّي .

فردَّها إلىٰ أمِّهِ ، فأخبرَها بالثمنِ ، فقالَتْ : فأرجعْها ، فبِعْها بستَّةِ دنانيرَ علىٰ رضاً منِّي .

فانطلقَ بها إلى السوقِ ، وأتى المَلَكَ فقالَ : استأمرتَ أمَّك ؟ فقالَ الفتىٰ : إنَّها أمرَتْني ألَّا أنقصَ مِنْ ستَّةِ دنانيرَ علىٰ أن أستأمرَها .

فقالَ المَلَكُ : فإنِّي أُعطيكَ اثنَيْ عشرَ ديناراً علىٰ ألَّا تستأمرَها ، فأبى الفتىٰ ، ورجعَ إلىٰ أمِّهِ فأخبرَها .

فقالَتْ : إنَّ الذي يأتيكَ مَلَكٌ في صورةِ آدميٍّ ليختبرَكَ ؛ فإذا أتاكَ . . فقلْ لهُ : أتأمرُنا أن نبيعَ هٰذهِ البقرةَ أم لا ؟ ففعلَ .

فقالَ المَلَكُ : اذهبْ إلىٰ أمِّكَ فقلْ لها : أمسكي هٰذهِ البقرةَ ؛ فإنَّ موسى بنَ عمرانَ يشتريها منكُم لقتيلٍ يُقتَلُ مِنْ بني إسرائيلَ ، فلا تبيعوها إلَّا بملءِ مَسْكِها دنانيرَ [1] ، فأمسكَها .

وقدَّرَ اللهُ تعالىٰ علىٰ بني إسرائيلَ ذبحَ تلكَ البقرةِ بعينِها ، فما زالوا يَستوصِفون حتىٰ وصفَ لهُم تلكَ البقرةَ ؛ مكافأةً لهُ علىٰ برِّ والدتِهِ ؛ فضلاً منهُ ورحمةً) [2] .

[قصَّةٌ عجيبةٌ لبارٍّ بأبوَيهِ زمنَ سيِّدِنا سليمانَ عليهِ السلامُ]

وحكى اليافعيُّ : (أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ أوحىٰ إلىٰ سليمانَ بنِ داوودَ عليهِما الصَّلاةُ والسلامُ : أَنِ اخرجْ إلىٰ ساحلِ البحرِ . . تُبصِرْ عجباً .

فخرجَ سليمانُ عليهِ السلامُ ومَنْ معَهُ مِنَ الجِنِّ والإنسِ ، فلمَّا وصلَ الساحلَ . . التفتَ يميناً وشمالاً فلم يَرَ شيئاً ، فقالَ لعفريتٍ : غُصْ في هٰذا

---

(١) مسكها : جلدها .

(٢) انظر تفسير البغوي المسمىٰ « معالم التنزيل » (١/٨٢ ـ ٨٣) ، و« الكشف والبيان » للثعالبي (١/٢١٥ ـ ٢١٦) .

البحرِ ، ثمَّ ائتِني بعلمِ ما تجدُ فيهِ ، فغاصَ ، ثمَّ رجعَ بعدَ ساعةٍ ، وقالَ : يا نبيَّ اللهِ ؛ إنِّي ذهبتُ في البحرِ مسيرةَ كذا وكذا ، فلم أصلْ إلىٰ قعرِهِ ، ولا نظرتُ فيهِ شيئاً .

فقالَ لعفريتٍ آخَرَ : غُصْ في هـٰذا البحرِ ، وأْتِني بعلمِ ما تجدُ فيهِ ، فغاصَ ، ثمَّ رجعَ بعدَ ساعةٍ وقالَ مثلَ قولِ الأوَّلِ ، إلَّا أنَّهُ غاصَ مثلَ الأوَّلِ مرتَينِ .

فقالَ لآصِفَ بنِ بَرْخِيا ـ وهوَ وزيرُهُ الذي ذكرَهُ اللهُ تعالىٰ في القرآنِ : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [1] ـ قالَ لهُ : ائتِني بعلمِ ما في هـٰذا البحرِ ، فجاءَ بقبَّةٍ مِنَ الكافورِ الأبيضِ ، لها أربعةُ أبوابٍ : بابٌ مِنْ دُرٍّ ، وبابٌ مِنْ ياقوتٍ ، وبابٌ مِنْ جوهرٍ ، وبابٌ مِنْ زبرجدٍ أخضرَ ، والأبوابُ كلُّها مفتَّحةٌ ، ولا يدخلُ فيها قطرةٌ مِنَ الماءِ ، وهيَ في داخلِ البحرِ في مكانٍ عميقٍ ، مثلِ مسيرةِ ما غاصَ فيهِ العفريتُ الأوَّلُ ثلاثَ مراتٍ ، فوضعَها بينَ يدَيْ سليمانَ عليهِ السلامُ ؛ وإذا في وسطِها شابٌّ حسنُ الشبابِ ، نقيُّ الثيابِ ، وهوَ قائمٌ يُصلِّي .

فدخلَ سليمانُ ـ عليهِ السلامُ ـ القبَّةَ وسلَّم علىٰ ذٰلكَ الشابِّ ، وقالَ : ما أنزلَكَ في قعرِ هـٰذا البحرِ ؟ قالَ : يا نبيَّ اللهِ ؛ إنَّهُ كانَ أبي رجلاً مُقعداً ، وكانَتْ أمِّي عمياءَ ، فأقمتُ في خدمتِهِما سبعينَ سنةً ، فلمَّا حضرَتْ وفاةُ أمِّي . . قالَتِ : اللهمَّ ؛ أطِلْ حياةَ ابني في طاعتِكَ .

ولمَّا حضرَتْ وفاةُ أبي . . قالَ : اللهمَّ ؛ استخدمْ ولدي في مكانٍ لا يكونُ للشيطانِ عليهِ سبيلٌ ، فخرجتُ إلىٰ هـٰذا الساحلِ بعدَما دفنتُهُما ، فنظرتُ

(١) سورة النمل : (٤٠) .

هٰذهِ القبَّةَ موضوعةً ، فدخلتُها لأنظرَ حسنَها ، فجاءَ مَلَكٌ مِنَ الملائكةِ فاحتملَ القبَّةَ وأنا فيها ، وأنزلَني في قعرِ هٰذا البحرِ .

قالَ سليمانُ : في أيِّ زمانٍ كنتَ أتيتَ هٰذا الساحلَ ؟ قالَ : في زمانِ إبراهيمَ الخليلِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فنظرَ سليمانُ ـ عليهِ السلامُ ـ في التاريخِ ؛ فإذا لهُ ألفا سنةٍ وأربعُ مئةِ سنةٍ[1] ، وهوَ شابٌّ لا شيبةَ فيهِ .

قالَ : فما كانَ طعامُكَ وشرابُكَ داخلَ هٰذا البحرِ ؟ قالَ : يا نبيَّ اللهِ ؛ يأتيني كلَّ يومٍ طيرٌ أخضرُ في منقارِهِ شيءٌ أصفرُ مثلُ رأسِ الإنسانِ ، فآكلُهُ فأجدُ فيهِ طعمَ كلِّ نعيمٍ في دارِ الدُّنيا ، فيذهبُ عنِّي الجوعُ والعطشُ ، والحرُّ والبردُ ، والنَّومُ والنُّعاسُ ، والفترةُ والوحشةُ .

فقالَ سليمانُ عليهِ السلامُ : أتُحِبُّ أن تقفَ معنا أو نردَّكَ إلىٰ موضعِكَ ؟ فقالَ : ردُّوني يا نبيَّ اللهِ ، فقالَ : رُدَّهُ يا آصِفُ ، فردَّهُ ، ثمَّ التفتَ فقالَ : انظروا كيفَ استجابَ اللهُ تعالىٰ دعاءَ الوالدَينِ ، فأُحذِّرُكُم عقوقَ الوالدَينِ)[2] .

* * *

(١) في مطبوع « روض الرياحين » : (ألفا سنة) دون زيادة عليها .

(٢) روض الرياحين (ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧) رقم الحكاية (٢٦٤) .

باب قطع الرّحم

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ (١) ؛ أي : واتقوا الأرحامَ أن تقطعوها .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ (٢) .

أخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ ٱلْخَلْقَ ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ .. قَامَتِ ٱلرَّحِمُ ، فَقَالَ : مَهْ ، قَالَتْ : هَـٰذَا مَقَامُ ٱلْعَائِذِ بِكَ مِنَ ٱلْقَطِيعَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ : بَلَىٰ ، قَالَ : فَذَٰلِكِ لَكِ » ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ » (٣) .

وهُما : « لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ قَاطِعٌ » (٤) أي : قاطعُ رحمٍ .

[والترمذيُّ وابنُ ماجه عن أبي بَكرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ ـ أي : أحقُّ ـ مِنْ أَنْ يُعَجِّلَ ٱللهُ

---

(١) سورة النساء : (١) .

(٢) سورة الرعد : (٢٥) .

(٣) سورة محمد ﷺ : (٢٢) ، والحديث أخرجه البخاري (٥٩٨٧) ، ومسلم (٢٥٥٤) .

(٤) صحيح البخاري (٥٩٨٤) ، وصحيح مسلم (٢٥٥٦) عن سيدنا جبير بن مطعم رضي الله عنه .

لِصَاحِبِهِ ٱلْعُقُوبَةَ فِي ٱلدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ ٱللهُ لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ . . مِنَ ٱلْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ ٱلرَّحِمِ »] (١) .

❁ ❁ ❁

والطبرانيُّ عن جابرٍ قالَ : خرجَ علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ونحنُ مُجتمِعونَ ، فقالَ : « يَا مَعْشَرَ ٱلْمُسْلِمِينَ ؛ ٱتَّقُوا ٱللهَ ، وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ ثَوَابٍ أَسْرَعَ مِنْ صِلَةِ ٱلرَّحِمِ ، وَإِيَّاكُمْ وَٱلْبَغْيَ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عُقُوبَةٍ أَسْرَعَ مِنْ عُقُوبَةِ بَغْيٍ ، وَإِيَّاكُمْ وَعُقُوقَ ٱلْوَالِدَيْنِ ؛ فَإِنَّ رِيحَ ٱلْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ ، وَٱللهِ ؛ لَا يَجِدُهَا عَاقٌّ ، وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ ، وَلَا شَيْخٌ زَانٍ ، وَلَا جَارٌّ إِزَارَهُ خُيَلَاءَ ؛ إِنَّمَا ٱلْكِبْرِيَاءُ لِلهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ » (٢) .

وأحمدُ : « إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ جُمُعَةٍ ، فَلَا يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ » (٣) .

[قطعُ الرَّحمِ سببٌ لقطعِ الرَّحمةِ]

والأصبهانيُّ : كنَّا جلوساً عندَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « لَا يُجَالِسْنَا قَاطِعُ رَحِمٍ » فقامَ فتىً مِنَ الحلْقةِ ، فأتىٰ خالةً لهُ قد كانَ بينَهُما بعضُ الشيءِ ، واستغفرَتْ لهُ ، ثمَّ عادَ إلى المجلسِ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلرَّحْمَةَ لَا تَنْزِلُ عَلَىٰ قَوْمٍ وَفِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ » (٤) .

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من المطبوع ، والحديث أخرجه الترمذي (٢٥١١) ، وابن ماجه (٤٣٧٣) .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٦٦٠) .

(٣) مسند أحمد (٢/٤٨٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (٢٢٩٠) عن عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه .

ورُوِيَ عن [محمدٍ] الباقرِ : أنَّ أباهُ زينَ العابدينَ قالَ لهُ : (لا تُصاحِبْ قاطعَ رحمٍ ؛ فإنِّي وجدتُهُ ملعوناً في كتابِ اللهِ في ثلاثةِ مواضعَ . . .) وذكرَ الآياتِ الثلاثةَ السابقةَ [١] .

[قصَّةٌ عجيبةٌ في عقوبةِ قاطعِ الرَّحمِ]

وحكىٰ شيخُنا ابنُ حجرٍ رحمَهُ اللهُ : (أنَّ رجلاً غنيّاً حجَّ ، فأودعَ آخَرَ موسوماً بالأمانةِ والصلاحِ ألفَ دينارٍ حتىٰ يعودَ مِنْ عرفةَ ، فلمَّا عادَ . . وجدَهُ قد ماتَ ، فسألَ ورثتَهُ عنِ المالِ ، فلم يكنْ لهُم بهِ علمٌ ، فسألَ علماءَ مكَّةَ فقالوا : إذا كانَ نصفُ اللَّيلِ . . فأْتِ زمزمَ ، وانظرْ فيها ، ونادِ : يا فلانُ باسمِهِ ؛ فإن كانَ مِنْ أهلِ الخيرِ . . فسيُجيبُكَ مِنْ أوَّلِ مرةٍ ، فذهبَ ونادىٰ فيها ، فلم يُجِبْهُ أحدٌ .

فأخبرَهُم ، فقالوا : إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ ، نخشىٰ أن يكونَ صاحبُكَ مِنْ أهلِ النَّارِ ، اذهبْ إلىٰ أرضِ اليمنِ ؛ ففيها بئرٌ تُسمَّىٰ : بَرَهُوتَ ، يُقالُ : إنَّها علىٰ فمِ جهنَّمَ ، فانظرْ فيها باللَّيلِ ونادِ فيها : يا فلانُ ؛ فسيُجيبُكَ منها [٢] .

فمضىٰ إلى اليمنِ ، وسألَ عنِ البئرِ ، فدُلَّ عليها ، فذهبَ إليها ليلاً ، ونادىٰ فيها : يا فلانُ ، فأجابَهُ ، فقالَ : أينَ ذهبي ؟ فقالَ : دفنتُهُ في

---

(١) أورده ابن حجر في « الزواجر » (٢/١٥٥) ضمن الكبيرة (٣٠٣) وقال : (آية « القتال » ـ أي سورة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ـ واللعن فيها صريح ، و« الرعد » واللعن فيها بطريق العموم ؛ لأن ما أمر الله به أن يوصل يشمل الأرحام وغيرها ، و« البقرة » واللعن فيها بطريق الاستلزام ؛ إذ هو من لوازم الخسران) .

(٢) اختلف العلماء في مقر الأرواح بعد الموت انظر تفصيل ذٰلك في « شرح الصدور بشرح حال الموتىٰ وأهل القبور » للإمام السيوطي رحمه الله (ص ٤٥٣ ـ ٤٥٥) .

الموضعِ الفلانيِّ مِنْ داري ، ولم آتمنْ عليهِ ولدي ، فأْتِهم واحفرْ هناكَ . . تجدْهُ .

فقالَ : ما الذي أنزلَكَ ها هنا ؛ وقد كنتُ أظنُّ بكَ الخيرَ ؟! قالَ : كانَتْ لي أختٌ فقيرةٌ هجرتُها ، وكنتُ لا أحنو عليها ، فعاقبَني اللهُ بسببِها ، وأنزلَني هٰذا المنزلَ .

وتصديقُ ذٰلكَ : الحديثُ الصحيحُ : « لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ قَاطِعٌ » أي : قاطعُ رحمِهِ وأقاربِهِ)[1] .

تنبيه

[في تحريمِ قطعِ الرَّحمِ وبيانِ المرادِ منهُ]

وقد نقلَ القرطبيُّ في « تفسيرِهِ » اتفاقَ الأئمَّةِ علىٰ حُرمةِ قطعِ الرَّحمِ ، ووجوبِ صلتِها[2] .

والمرادُ بقطعِ الرَّحمِ : قطعُ ما أَلِفَ القريبُ منهُ مِنْ سابقِ الوُصْلةِ والإحسانِ لغيرِ عذرٍ شرعيٍّ ، فلو كانَ لم يصلْ منهُ إلىٰ قريبِهِ إحسانٌ ولا إساءةٌ قطُّ . . لم يفسقْ بذٰلكَ .

ولا فرقَ بينَ أن يكونَ الإحسانُ الذي أَلِفَهُ معَ قريبِهِ مالاً ، أو مُكاتبةً ، أو مُراسلةً ، أو زيارةً أو غيرَ ذٰلكَ ، فقطعُ ذٰلكَ كلِّهِ بعدَ فعلِهِ لغيرِ عذرٍ . . كبيرةٌ[3] .

---

(١) انظر « الزواجر » (١٥٩/٢) ، وقد ذكر هٰذه القصة ابن رجب في « أهوال القبور » (ص ١١٣) عن كتاب « الحكايات » لأبي عمرو النيسابوري ، وذكر إسناده ، والسيوطي في « شرح الصدور » (ص ٤٥٥ ـ ٤٥٦) .

(٢) تفسير القرطبي (٢٤٧/١٦ ـ ٢٤٨) .

(٣) انظر « الزواجر » (١٥٦/٢ ـ ١٥٧) .

خاتمة

في صلةِ الرَّحمِ

أخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ . . فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ . . فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ . . فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ »(١) .

[أحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ وأبغضُها]

وأبو يعلىٰ عن رجلٍ مِنْ خَثْعَمَ قالَ : أتيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ في نفرٍ مِنْ أصحابهِ ، قلتُ : أنتَ الذي تزعمُ أنَّكَ رسولُ اللهِ ؟ قالَ : « نَعَمْ » ، قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى اللهِ ؟ قالَ : « ٱلْإِيمَانُ بِٱللهِ » قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ثُمَّ مَهْ ؟ قالَ : « ثُمَّ صِلَةُ ٱلرَّحِمِ » .

قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ أيُّ الأعمالِ أبغضُ إلى اللهِ تعالىٰ ؟ قالَ : « ٱلْإِشْرَاكُ بِٱللهِ » قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ثمَّ مَهْ ؟ قالَ : « ثُمَّ قَطِيعَةُ ٱلرَّحِمِ » قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ثمَّ مَهْ ؟ قالَ : « ثُمَّ ٱلْأَمْرُ بِٱلْمُنْكَرِ وَٱلنَّهْيُ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ »(٢) .

[وابنُ ماجه : « أَسْرَعُ ٱلْخَيْرِ ثَوَاباً : ٱلْبِرُّ وَصِلَةُ ٱلرَّحِمِ ، وَأَسْرَعُ ٱلشَّرِّ عُقُوبَةً : ٱلْبَغْيُ وَقَطِيعَةُ ٱلرَّحِمِ »](٣) .

---

(١) صحيح البخاري (٦١٣٨) واللفظ له ، وصحيح مسلم (٤٧) .

(٢) مسند أبي يعلىٰ (٦٨٣٩) .

(٣) ما بين معقوفين زيادة من المطبوع ، والحديث في « سنن ابن ماجه » (٤٣٧٤) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

[مِنْ وصايا النبوَّةِ]

والطبرانيُّ وابنُ حِبَّانَ عن أبي ذَرٍّ قالَ : (أوصاني خليلي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بخصالٍ مِنَ الخيرِ ، وأوصاني ألَّا أنظرَ إلىٰ مَنْ هوَ فوقي ، وأن أنظرَ إلىٰ مَنْ هوَ دوني ، وأوصاني بحبِّ المساكينِ ، والدنوِّ منهُم ، وأوصاني أن أصِلَ رحمي وإن أدبرَتْ ، وأوصاني ألَّا أخافَ في اللهِ لومةَ لائمٍ ، وأوصاني أن أقولَ الحقَّ ولو علىٰ نفسي وإن كانَ مُرّاً ، وأوصاني أن أُكثِرَ مِنْ قولِ : « لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ » ؛ فإنَّها كنزٌ مِنْ كنوزِ الجنَّةِ)[١] .

[ممَّا وردَ في فضلِ صلةِ الرَّحمِ]

والشيخانِ عن ميمونةَ : أنَّها أعتقَتْ وليدةً لها ولم تستأذنِ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فلمَّا كانَ يومُها الذي يدورُ عليها فيهِ . . قالَتْ : أشعرتَ يا رسولَ اللهِ أنِّي أعتقتُ وليدتي ؟ قالَ : « أَوَ فَعَلْتِ ؟ » قالَتْ : نعم ، قالَ : « أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ . . كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكِ »[٢] .

والطبرانيُّ والحاكمُ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ . . حَاسَبَهُ ٱللهُ حِسَاباً يَسِيراً ، وَأَدْخَلَهُ ٱلْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ » قالوا : وما هيَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « تُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَٰلِكَ . . تَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ »[٣] .

---

(١) صحيح ابن حبان (٤٤٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢/١٥٦) .

(٢) صحيح البخاري (٢٥٩٢) ، وصحيح مسلم (٩٩٩) .

(٣) مستدرك الحاكم (٢/٥١٨) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٩١٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

والبخاريُّ : « لَيْسَ ٱلْوَاصِلُ بِٱلْمُكَافِئِ ، وَلَـٰكِنِ ٱلْوَاصِلُ : ٱلَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ . . وَصَلَهَا »[1] .

[صلةُ الرَّحمِ تزيدُ في العمرِ]

والشيخانِ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ ـ أي : يُؤَخَّرَ ـ [لَهُ] فِي أَثَرِهِ ـ أي : أجلِهِ ـ . . . فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ »[2] .

وأبو يعلىٰ : « إِنَّ ٱلصَّدَقَةَ وَصِلَةَ ٱلرَّحِمِ يَزِيدُ ٱللهُ بِهِمَا فِي ٱلْعُمْرِ ، وَيَدْفَعُ بِهِمَا مِيتَةَ ٱلسُّوءِ ، وَيَدْفَعُ بِهِمَا [ٱلْمَكْرُوهَ] وَٱلْمَحْذُورَ »[3] .

قالَ الضحَّاكُ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾[4] ، قالَ : (إنَّ الرَّجلَ ليصلُ رحمَهُ وما بقيَ مِنْ عمرِهِ إلَّا ثلاثةُ أيَّامٍ . . فيزيدُ اللهُ في عمرِهِ ثلاثينَ سنةً ، وإنَّ الرَّجلَ ليقطعُ رحمَهُ وقد بقيَ مِنْ عمرِهِ ثلاثونَ سنةً . . فيحطُّهُ اللهُ إلىٰ ثلاثةِ أيَّامٍ)[5] .

ورُوِيَ : أنَّ ملَكَ الموتِ أخبرَ داوودَ عليهِما السلامُ بقبضِ روحِ رجلٍ بعدَ ستَّةِ أيَّامٍ ، فلمَّا كانَ بعدَ مُدَّةٍ طويلةٍ . . وجدَ داوودُ ذٰلكَ الرَّجلَ حيّاً ، فسألَ ملَكَ الموتِ عنهُ ، فقالَ : « إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ . . وَصَلَ رَحِماً قَدْ كَانَ قَطَعَهَا ، فَمَدَّ ٱللهُ فِي عُمْرِهِ عِشْرِينَ سَنَةً أُخْرَىٰ » .

---

(١) صحيح البخاري (٥٩٩١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) صحيح البخاري (٥٩٨٦) ، وصحيح مسلم (٢٥٥٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) مسند أبي يعلىٰ (٤١٠٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وفي النسخ : (المنكر والمحذور) بدل : (المكروه والمحذور) .

(٤) سورة الرعد : (٣٩) .

(٥) انظر « تفسير البغوي » (٢٣/٣) ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٧٥٩) بنحوه عن سيدنا علي رضي الله عنه ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٦٩٢٠) وعزاه لأبي الشيخ عن سيدنا ابن عمرو رضي الله عنهما .

فَصْلٌ

في حقوقِ المماليكِ

أخرجَ أحمدُ وابنُ ماجه عن أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ سَيِّءُ ٱلْمَلَكَةِ » أي : الذي يُسيءُ الصنيعةَ إلىٰ مماليكِهِ ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ أليسَ أخبرتَنا أنَّ هٰذهِ الأمَّةَ أكثرُ الأممِ مملوكينَ ويتامىٰ ؟ قالَ : « نَعَمْ ، فَأَكْرِمُوهُمْ كَرَامَةَ أَوْلَادِكُمْ ، وَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ » .

قالوا : فما ينفعُنا مِنَ الدُّنيا ؟ قالَ : « فَرَسٌ تَرْبِطُهُ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ، مَمْلُوكُكَ يَكْفِيكَ ، فَإِذَا صَلَّىٰ . . فَهُوَ أَخُوكَ »[١] .

وأبو داوودَ : عن عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ قالَ : آخِرُ كلامِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلصَّلَاةَ ٱلصَّلَاةَ ، ٱتَّقُوا ٱللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ »[٢] .

[وفي روايةٍ : كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ في مرضِهِ الذي تُوفِّيَ فيهِ : « ٱلصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ »][٣] فما زالَ يُكرِّرُها حتىٰ يُقبَضَ لسانُهُ[٤] .

وأحمدُ والطبرانيُّ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ في حجَّةِ

(١) مسند أحمد (١/١٢ ـ ١٣) ، وسنن ابن ماجه (٣٨٤٤) واللفظ له .

(٢) سنن أبي داوود (٥١١٣) .

(٣) ما بين معقوفين زيادة من المطبوع .

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٧١١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٣/٣٧٩) عن سيدتنا أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، وفي (ج) : (حتىٰ قبض لسانه) ، وفي « ابن ماجه » (حتىٰ ما يفيص بها) بالصاد المهملة ؛ أي : ما يقدر على الإفصاح بها ، وفي غيره : (حتىٰ ما يفيض بها) .

الوداعِ : « أَرِقَّاءَكُمْ ؛ أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ ، فَإِنْ جَاؤُوا بِذَنْبٍ لَا تُرِيدُونَ أَنْ تَغْفِرُوهُ . . فَبِيعُوا عِبَادَ ٱللهِ [وَ] لَا تُعَذِّبُوهُمْ »[1] .

ومسلمٌ : « كَفَىٰ بِٱلْمَرْءِ إِثْماً : أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُمْ »[2] .

[أعتقَهُ خشيةَ القِصاصِ]

وهوَ عن أبي مسعودٍ البدريّ قالَ : كنتُ أضربُ غلاماً لي بالسَّوطِ ، فسمعتُ صوتاً مِنْ خَلْفِي : « ٱعْلَمْ يَا أَبَا مَسْعُودٍ » فلم أفهمِ الصوتَ مِنَ الغضبِ ، فلمَّا دنا منِّي . . إذ هوَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فإذا هوَ يقولُ : « ٱعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ : أَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَىٰ هَـٰذَا ٱلْغُلَامِ » فقلتُ : لا أضربُ مملوكاً بعدَهُ أبداً[3] .

وفي روايةٍ : فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ هوَ حُرٌّ لوجهِ اللهِ تعالىٰ ، فقالَ : « أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ . . لَلَفَحَتْكَ ٱلنَّارُ ، أَوْ لَمَسَّتْكَ ٱلنَّارُ »[4] .

والطبرانيُّ : « مَنْ ضَرَبَ مَمْلُوكَهُ ظُلْماً . . أُقِيدَ مِنْهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[5] .

---

(١) مسند أحمد (٣٦/٤) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٤٣/٢٢) عن سيدنا يزيد بن جارية رضي الله عنه ، وتكرر لفظ (أرقاءكم) في المصدرين علىٰ جهة التوكيد وهو منصوب على الإغراء .

(٢) صحيح مسلم (٩٩٦) ، وأخرجه ابن حبان (٤٢٤١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٣) صحيح مسلم (١٦٥٩) .

(٤) صحيح مسلم (١٦٥٩/٣٥) .

(٥) أخرج الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٥٤٨) نحوه عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ : « من ضرب مملوكه حداً لم يأته . . فكفارته عتقه » ، وأخرجه بلفظه البزار في « مسنده » (١٣٩٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٧٨/٤) عن سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما .

وأبو داوودَ والترمذيُّ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ كم أعفو عنِ الخادمِ ؟ قالَ : « كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً »[(١)] .

[غِشُّ العمّالِ لا يُبيحُ لكَ ظلمَهُم]

وأحمدُ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : أنَّ رجلاً قعدَ بينَ يدَيْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّ لي مملوكينَ ، يكذبونَني ويخونونَني ويعصونَني ، وأشتِمُهُم وأضربُهُم ، فكيفَ أنا منهُم ؟

فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ . . يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوكَ وَكَذَبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ ؛ فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ . . كَانَ كَفَافاً لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ . . كَانَ فَضْلاً لَكَ ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ . . ٱقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ ٱلْفَضْلُ » .

فتنحَّى الرَّجلُ ، وجعلَ يهتفُ ويبكي ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَ ٱللهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ »[(٢)] ، فقالَ الرَّجلُ : واللهِ يا رسولَ اللهِ ؛ ما أجدُ لي ولهـٰؤلاءِ شيئاً خيراً مِنْ مفارقتِهِم ، أُشهِدُكَ أنَّهُم أحرارٌ كلُّهُم[(٣)] .

---

(١) سنن أبي داوود (٥١٢١) ، وسنن الترمذي (١٩٤٩) .

(٢) سورة الأنبياء : (٤٧) .

(٣) مسند أحمد (٦/٢٨٠) ، وأخرجه الترمذي (٣١٦٥) .

وابنُ حبانَ والبيهقيُّ : « مَا خَفَّفْتَ عَنْ خَادِمِكَ مِنْ عَمَلِهِ . . فَهُوَ أَجْرٌ لَكَ فِي مَوَازِينِكَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[1] .

والشيخانِ : « مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً . . أَعْتَقَ ٱللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْواً مِنَ ٱلنَّارِ ؛ حَتَّىٰ فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ »[2] .

❀ ❀ ❀

وأبو داوودَ وابنُ ماجه : « ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ ٱللهُ مِنْهُمْ صَلَاةً : مَنْ تَقَدَّمَ قَوْماً وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ، وَرَجُلٌ أَتَى ٱلصَّلَاةَ دِبَاراً ، وَرَجُلٌ ٱعْتَبَدَ مُحَرَّراً »[3] يعني : أعتقَهُ ثُمَّ كتمَ عتقَهُ أو أنكرَهُ .

❀ ❀ ❀

ورُوِيَ : أنَّهُ جاءَتِ امرأةٌ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَتْ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنِّي قلتُ لأَمَتي : يا زانيةُ ، قالَ : « هَلْ رَأَيْتِ عَلَيْهَا ذَٰلِكَ ؟ » قالَتْ : لا ، قالَ : « أَمَا إِنَّهَا سَتُقِيدُكِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ » .

فرجعَتِ المرأةُ إلىٰ جاريتِها ، فأعطَتْها سَوطاً وقالَتِ : اجلديني ، فأبَتِ الجاريةُ ، فأعتقَتْها ، ثمَّ رجعَتْ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فأخبرَتْهُ بعتقِها ، فقالَ : « عَسَىٰ »[4] أي : عسىٰ أن يُكَفِّرَ عتقُكِ إيَّاها ما قذفْتِها بهِ .

---

(١) صحيح ابن حبان (٤٣١٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٢٢٦) عن سيدنا عمرو بن حُريث رضي الله عنه .

(٢) صحيح البخاري (٦٧١٥) ، وصحيح مسلم (٢٢/١٥٠٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) سنن أبي داوود (٥٩٤) ، وسنن ابن ماجه (١٠٣٩) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (٢٥١) ، وأورده الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٢٢٢) ضمن الكبيرة (٥١) ، وابن حجر في « الزواجر » (١٧٣/٢) ضمن الكبيرة (٣١٢) .

[أميرٌ يعجِنُ لئلَّا يجمعَ علىٰ جاريتِهِ عملَينِ]

وحُكِيَ : أنَّهُ دخلَ جماعةٌ علىٰ سلمانَ الفارسيِّ وهوَ أميرٌ على المدائنِ ، فوجدوهُ يعجِنُ عجينَ أهلِهِ ، فقالوا : ألا تتركُ الجاريةَ تعجِنُ ؟! فقالَ : (إنَّا أرسلناها في عملٍ ، فكرهنا أن نجمعَ عليها عملاً آخرَ)[١] .

[الخليفةُ يروِّحُ لجاريتِهِ لمَّا نامَتْ]

وحُكِيَ : أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ قالَ يوماً لجاريتِهِ : (روِّحيني حتىٰ أنامَ ، فروَّحَتْهُ ، فنامَ ، فغلبَها النَّومُ فنامَتْ ، فلمَّا انتبهَ . . أخذَ المِروحةَ وجعلَ يُروِّحُها ، فلمَّا انتبهَتْ . . رأَتْهُ يُروِّحُها فصاحَتْ ، فقالَ لها عمرُ : إنَّما أنتِ بشرٌ مثلي ؛ أصابَكِ مِنَ الحَرِّ ما أصابَني ، فأحببتُ أن أُروِّحَكِ كما روَّحتِني)[٢] .

فَصْلٌ

في حقوقِ الجيرانِ[٣]

[قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ

---

(١) أوردها الحافظ الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٢٢٣) ، والعلامة ابن حجر في « الزواجر » (١٧٣/٢) .

(٢) ذكرها ابن كثير في « البداية والنهاية » (٣٠/١٠) بأخصر مما ها هنا ، وابن الجوزي بتمامها في « سيرة عمر بن عبد العزيز » (ص ٢١٣) .

(٣) في (أ) : (باب . . .) ، وفي هامش (هـ) : (قال صاحب « روضة العلماء » رحمه الله تعالى : الجيران ثلاثة : جار مسلم من أهل القرابة ؛ فله ثلاثة حقوق : حق الإسلام ، وحق القرابة ، وحق الجوار ، وجار مسلم ليس بذي قرابة ، وله حقان : حق الإسلام وحق الجوار ، وجار كافر ، وله حق واحد ؛ وهو حق الجوار ، وإذا كان الكافر جاراً وقريباً . . فله حقان أيضاً : حق القرابة ، وحق الجوار) ، وستأتي (ص ٥٢٠) من زيادة المطبوع .

إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾] [١] .

وأخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ . . فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ » [٢] .

ومسلمٌ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ . . فَلْيُحْسِنْ إِلَىٰ جَارِهِ » [٣] .

والشيخانِ : « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِٱلْجَارِ . . حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ » [٤] .

[مِنْ عقوبةِ إيذاءِ الجارِ]

وأحمدُ والبخاريُّ : « وَٱللهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَٱللهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَٱللهِ لَا يُؤْمِنُ ؛ ٱلَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » [٥] .

ومسلمٌ : « لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » [٦] .

وأحمدُ والبزَّارُ وابنُ حِبَّانَ والحاكمُ : قالَ رجلٌ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّ فلانةَ

---

(١) سورة النساء : (٣٦) ، وما بين معقوفين زيادة من المطبوع .

(٢) صحيح البخاري (٦٠١٨) ، وصحيح مسلم (٧٥/٤٧) ، وزاد في المطبوع : « واستوصوا بالنساء خيراً » وهي في « الصحيحين » .

(٣) صحيح مسلم (٤٨) عن سيدنا أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه .

(٤) صحيح البخاري (٦٠١٤) ، وصحيح مسلم (٢٦٢٤) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وفي المطبوع تقديم وتأخير بين هٰذه الأحاديث .

(٥) صحيح البخاري (٦٠١٦) ، ومسند أحمد (٣٨٥/٦) عن سيدنا أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه ، وفيهما زيادة بعد قوله : « والله لا يؤمن » قيل : من يا رسول الله ؟ قال : « الذي لا يأمن . . . » .

(٦) صحيح مسلم (٤٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وبوائقه : غوائله وشروره .

تذكرُ مِنْ كثرةِ صلاتِها وصدقتِها وصيامِها ؛ غيرَ أنَّها تُؤذي جارَها بلسانِها ؟ قالَ : « هِيَ فِي ٱلنَّارِ » .

قالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّ فلانةَ تذكرُ مِنْ قلَّةِ صلاتِها وصيامِها [وصدقتِها] ، وإنَّها تَصدَّق بأَثْوارٍ ـ أي : القطعاتِ مِنَ الأقِطِ ـ ولا تُؤذي جيرانَها ؟ قالَ : « هِيَ فِي ٱلْجَنَّةِ »(١) .

والبزَّارُ والطبرانيُّ : « مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَاناً وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَىٰ جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ »(٢) .

والبخاريُّ : « كَمْ مِنْ جَارٍ مُتَعَلِّقٌ بِجَارِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، يَقُولُ : يَا رَبِّ ؛ هَـٰذَا أَغْلَقَ بَابَهُ دُونِي ، فَمَنَعَ مَعْرُوفَهُ عَنِّي »(٣) .

[والحاكمُ والبيهقيُّ : « لَيْسَ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَىٰ جَنْبِهِ »](٤) .

[ما حقُّ الجارِ على الجارِ ؟]

والطبرانيُّ عن معاويةَ بنِ [حَيْدَةَ](٥) قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما حقُّ

---

(١) صحيح ابن حبان (٥٧٦٤) ، ومستدرك الحاكم (٤/١٦٦) ، ومسند أحمد (٢/٤٤٠) ، ومسند البزار (٩٧١٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) مسند البزار (٧٤٢٩) بنحوه ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١/٢٥٩) واللفظ له عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وفي (أ ، ب ، هـ) : (من بات شَبِعاً) .

(٣) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (١١١) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) مستدرك الحاكم (٢/١٢) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣١١٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وما بين معقوفين زيادة من المطبوع .

(٥) في (أ ، ج ، هـ) : (معاوية بن جندب) ، وفي (ب) : (معاوية بن جندة) ، والمثبت من كتب التخريج .

الجارِ علىٰ جارِهِ ؟ قالَ : « إِنْ مَرِضَ . . عُدْتَهُ ، وَإِنْ مَاتَ . . شَيَّعْتَهُ ، وَإِنِ ٱسْتَقْرَضَ . . أَقْرَضْتَهُ ، وَإِنْ عَرِيَ . . سَتَرْتَهُ ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ . . هَنَّأْتَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ . . عَزَّيْتَهُ ، وَلَا تَرْفَعْ بِنَاءَكَ فَوْقَ بِنَائِهِ ؛ فَتَسُدَّ عَلَيْهِ ٱلرِّيحَ ، وَلَا تُؤْذِيهِ بِرِيحِ قِدْرِكَ ؛ إِلَّا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا »(١) .

[كيفَ أعلمُ أنِّي مُحسِنٌ ؟]

والبيهقيُّ : أنَّ رجلاً قالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ دُلَّني علىٰ عملٍ إذا عملتُ بهِ . . دخلتُ الجنَّةَ ، فقالَ : « كُنْ مُحْسِناً » فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ كيفَ أعلمُ أنِّي مُحسِنٌ ؟ قالَ : « سَلْ جِيرَانَكَ ؛ فَإِنْ قَالُوا : إِنَّكَ مُحْسِنٌ . . فَأَنْتَ مُحْسِنٌ ، وَإِنْ قَالُوا : إِنَّكَ مُسِيءٌ . . فَأَنْتَ مُسِيءٌ »(٢) .

[الجيرانُ ثلاثةٌ]

[والبزَّارُ وأبو نُعيمٍ : « ٱلْجِيرَانُ ثَلَاثَةٌ : فَجَارٌ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ ؛ وَهُوَ أَدْنَى ٱلْجِيرَانِ حَقّاً ، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ ، وَجَارٌ لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ ؛ فَأَمَّا ٱلَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ . . فَجَارٌ مُشْرِكٌ ، وَأَمَّا ٱلَّذِي لَهُ حَقَّانِ . . فَجَارٌ مُسْلِمٌ ؛ حَقٌّ لِلْإِسْلَامِ وَحَقٌّ لِلْجِوَارِ ، وَأَمَّا ٱلَّذِي لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ . . فَجَارٌ مُسْلِمٌ ذُو رَحِمٍ ؛ حَقٌّ لِلْإِسْلَامِ ، وَحَقٌّ لِلْجِوَارِ ، وَحَقٌّ لِلرَّحِمِ »(٣) .

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٤١٩/١٩) بنحوه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩١١٤) ، (ولا تؤذيه) : كذا في النسخ بإثبات الياء في موضع الجزم ، وهي لغة لبعض العرب . انظر « همع الهوامع » (٢٠٤/١ ـ ٢٠٥) .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٩٢٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البزار كما في « كشف الأستار » (١٨٩٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٠٧/٥) عن سيدنا جابر رضي الله عنه ، وهو زيادة من المطبوع وما بعده .

والترمذيُّ والنَّسائيُّ : « يَا أَبَا ذَرٍّ ؛ إِذَا طَبَخْتَ . . فَأَكْثِرِ ٱلْمَرَقَ ، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ »[1] .

والشيخانِ : « يَا نِسَاءَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ ؛ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ »[2] .

والبيهقيُّ][3] : « حَدُّ ٱلْجِوَارِ أَرْبَعُونَ دَاراً »[4] .

[ممَّا قيلَ في سببِ ابتلاءِ سيِّدِنا يعقوبَ عليهِ السلامُ]

ورُوِيَ : (أنَّ سببَ ابتلاءِ يعقوبَ بابنِهِ يوسفَ عليهِما السلامُ : أنَّهُ اجتمعَ هوَ وابنُهُ علىٰ أكلِ حَمَلٍ مشويٍّ وهُما يضحكانِ[5] ، وكانَ لهُم جارٌ يتيمٌ ، فشمَّ ريحَهُ واشتهاهُ وبكىٰ ، وبكَتْ جدَّةٌ لهُ عجوزٌ لبكائِهِ ، وبينَهُما جدارٌ ، ولا علمَ عندَ يعقوبَ وابنِهِ ، فعُوقِبَ يعقوبُ بالبكاءِ أسفاً علىٰ يوسفَ إلىٰ أن سالَتْ [حدقتاهُ] ، وابيضَّتْ عيناهُ مِنَ الحزنِ ، فلمَّا علمَ بذٰلكَ . . كانَ بقيَّةَ حياتِهِ يأمرُ مُنادياً يُنادي علىٰ سطحِهِ : ألا مَنْ كانَ مُفطِراً . . فليتغدَّ عندَ آلِ يعقوبَ)[6] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٥) ، وأحمد (١٤٩/٥) ، وأخرج الترمذي نحوه (١٨٣٣) ، ولفظه : « لا يحقرن أحدكم شيئاً من المعروف ، وإن لم يجد . . فليلق أخاه بوجهٍ طلق ، وإن اشتريت لحماً أو طبخت مرقاً . . فأكثر مرقته ، واغرف لجارك منه » .

(٢) صحيح البخاري (٢٥٦٦) ، وصحيح مسلم (١٠٣٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) ما بين معقوفين زيادة من المطبوع .

(٤) السنن الكبرىٰ (٢٧٦/٦) برقم (١٢٧٣٧) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، والحديث زيادة من (هـ) .

(٥) **الحمل** : هو الصغير من ولد الشاة .

(٦) أورد ذٰلك القاضي عياض في « الشفا » (١٧٢٤) بصيغة التمريض ، والدميري في « حياة الحيوان » (١٣٥/٢) وقال : (قلت : وهٰذا الكلام لا أعتقد له صحة ، وقد عجبت من القاضي عياض رحمه الله ←

اللهمَّ ؛ حسِّنْ أخلاقَنا ، ووسِّعْ أرزاقَنا ، وقِنا عذابَكَ يومَ تَبعثُ عبادَكَ .

[قصَّةُ مَنْ قُبِلَ الحجُّ بسببِهِ وهوَ في بيتِهِ]

ورُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ المباركِ أنَّهُ قالَ : (فرغتُ مِنْ حجٍّ عاماً ، فنمتُ في الحرمِ ، فرأيتُ مَلَكَينِ نازلَينِ مِنَ السماءِ ، فقالَ أحدُهُما : كم [حجَّ منَ الناسِ][1] في هٰذا العامِ ؟ فقالَ الآخَرُ : ستُّ مئةِ ألفٍ .

قالَ : فكم قُبِلَ حجُّهُم ؟ فقالَ : لم يُقبَلْ حجُّ أحدٍ منهُم ، ثمَّ قالَ : لٰكن رجلٌ في دمشقَ يخصِفُ النعلَ اسمُهُ موفَّقٌ ، لم يأتِ للحجِّ ، ولٰكن قُبِلَ حجُّهُ ، وببركةِ الحجِّ قُبِلَ حجُّ الكلِّ .

فانتبهتُ فقصدتُ دمشقَ ، ووصلتُ بابَهُ ، فخرجَ إليَّ رجلٌ ، فسألتُ عنِ اسمِهِ ، فقالَ : موفَّقٌ ، فقلتُ : أيُّ خيرٍ خرجَ منكَ حتىٰ وجدتَ هٰذهِ الدرجةَ ؟

فقالَ : كنتُ أرجو الحجَّ وما أمكنَني لضيقِ يدي ، فحصَّلتُ ثلاثَ مئةِ درهمٍ مِنْ خَصْفِ النعلِ ، وقصدتُ الحجَّ في هٰذا العامِ ، وكانتِ امرأتي حاملاً ، فشمَّتْ ريحَ الطعامِ مِنْ دارِ جاري ، فاشتهَتْ ذٰلكَ ، فقصدتُ بيتَ الجارِ ، فخرجَتِ امرأةٌ فأخبرتُها ، فقالَتْ : لقدِ اضطُررتُ إلىٰ شرحِ الحالِ ؛ فإنَّ أيتامي لم يطعموا شيئاً ثلاثةَ أيَّامٍ ، فخرجتُ فرأيتُ حماراً ميِّتاً ، فقطعتُ منهُ قطعةً وطبختُهُ ، فهوَ حلالٌ لنا ، وحرامٌ عليكُم !!

← كيف ذكره في كتابه ؟! والذي يجب تنزيههما عن هٰذه الرذيلة ، وإنما ذكرته ؛ لأنبه علىٰ أنه لا يعتقد صحته . . .) .

(١) في (ب) : (كم ناسٌ الحج) ، وفي (ج ، هـ) : (كم ناس حج) ، وهي ساقطة من (أ) ، والمثبت من (ط) .

فجئتُ داري ، وأخذتُ ثلاثَ مئةِ درهمٍ ، وجئتُ بها إلىٰ دارِ جاري ، وأعطيتُها وقلتُ لها : أنفقي علىٰ أيتامِكِ ، وقلتُ : إنَّ الحجَّ في بابِ داري فأينَ أذهبُ ؟!) [1] .

* * *

(١) ذكر ابن رجب الحنبلي في « لطائف المعارف » (ص ٤٢٣) قصة مختصرة قريبة من هٰذه .

بابُ القتلِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[1] .

[أخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ : « ٱجْتَنِبُوا ٱلسَّبْعَ ٱلْمُوبِقَاتِ » أي : المُهلِكاتِ ، قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما هُنَّ ؟ قالَ : « ٱلْإِشْرَاكُ بِٱللهِ ، وَقَتْلُ ٱلنَّفْسِ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ . . . » الحديثَ][2] .

[الترهيبُ مِنَ القتلِ]

وأخرجَ النَّسائيُّ والحاكمُ وصحَّحَهُ عن معاويةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى ٱللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا ٱلرَّجُلَ يَمُوتُ كَافِراً ، أَوِ ٱلرَّجُلَ يَقْتُلُ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً »[3] .

وأبو داوودَ وابنُ حِبَّانَ عن أبي الدَّرداءِ : « كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى ٱللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا ٱلرَّجُلَ يَمُوتُ مُشْرِكاً ، أَوْ يَقْتُلُ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً »[4] .

وأبو داوودَ والضياءُ عن عبادةَ : « مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً فَٱغْتَبَطَ بِقَتْلِهِ . . لَمْ يَقْبَلِ ٱللهُ مِنْهُ صَرْفاً وَلَا عَدْلاً »[5] أي : فرضاً ولا نفلاً .

---

(١) سورة النساء : (٩٣) .

(٢) صحيح البخاري (٢٧٦٦) ، وصحيح مسلم (٨٩) ، وهٰذا الحديث زيادة من المطبوع ، وتمامه : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » .

(٣) مستدرك الحاكم (٣٥١/٤) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٣٤٣٢) .

(٤) صحيح ابن حبان (٥٩٨٠) ، وسنن أبي داوود (٤٢٦٩) .

(٥) سنن أبي داوود (٤٢٦٩) ، والضياء في « المختارة » (٣٤٢/٨) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

والنَّسائيُّ والضياءُ عن بُريدةَ : « قَتْلُ ٱلْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ ٱللهِ مِنْ زَوَالِ ٱلدُّنْيَا »(١) .

والترمذيُّ عن أبي سعيدٍ وأبي هريرةَ : « لَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ ٱشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ . . [لَأَكَبَّهُمُ] ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ(٢) فِي ٱلنَّارِ »(٣) .

وابنُ ماجه عن أبي هريرةَ : « مَنْ أَعَانَ عَلَىٰ قَتْلِ مُسْلِمٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ . . لَقِيَ ٱللهَ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ »(٤) .

والنَّسائيُّ عنِ ابنِ مسعودٍ : « أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ ٱلْعَبْدُ ٱلصَّلَاةُ ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَىٰ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِي ٱلدِّمَاءِ »(٥) .

وأحمدُ : « قُسِمَتِ ٱلنَّارُ سَبْعِينَ جُزْءاً ؛ فَلِلْآمِرِ تِسْعٌ وَسِتُّونَ ، وَلِلْقَاتِلِ جُزْءٌ حَسْبُهُ »(٦) .

[عُنُقٌ مِنَ النَّارِ مُوكَّلٌ بثلاثةٍ]

والبزَّارُ والطبرانيُّ : « يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ ٱلنَّارِ ، يَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ طَلْقٍ ذَلْقٍ ، لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا ، وَلَهُ لِسَانٌ يَتَكَلَّمُ بِهِ ، فَيَقُولُ : إِنِّي أُمِرْتُ بِمَنْ جَعَلَ مَعَ ٱللهِ إِلَـٰهاً آخَرَ ، وَبِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَبِمَنْ قَتَلَ نَفْساً

---

(١) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٣٤٣٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٩٥٧) ، وعزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٩٨٨٠) للضياء .

(٢) في النسخ : (لكبهم الله . . .) ، والمثبت من المطبوع و« سنن الترمذي » .

(٣) سنن الترمذي (١٣٩٨) .

(٤) سنن ابن ماجه (٢٧٤٠) .

(٥) سنن النسائي الكبرىٰ (٣٤٣٩) .

(٦) مسند أحمد (٥/٣٦٢) عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم .

بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ قَبْلَ سَائِرِ ٱلنَّاسِ بِخَمْسِ مِئَةِ عَامٍ »[1] .

❀ ❀ ❀

وابنُ حِبَّانَ في « صحيحِهِ » : « إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ . . بَثَّ جُنُودَهُ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَخْذَلَ ٱلْيَوْمَ مُسْلِماً . . أَلْبَسْتُهُ ٱلتَّاجَ ، قالَ : فَيَجِيءُ هَـٰذَا فَيَقُولُ : لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّىٰ طَلَّقَ ٱمْرَأَتَهُ ، فَيَقُولُ : يُوشِكُ أَنْ يَتَزَوَّجَ ، وَيَجِيءُ هَـٰذَا فَيَقُولُ : لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّىٰ أَشْرَكَ بِٱللهِ ، فَيَقُولُ : أَنْتَ أَنْتَ ، وَيَجِيءُ هَـٰذَا فَيَقُولُ : لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّىٰ قَتَلَ ، فَيَقُولُ : أَنْتَ أَنْتَ ، وَيُلْبِسُهُ ٱلتَّاجَ »[2] .

[قاتلُ نفسِهِ معذَّبٌ بآلةِ قتلِهِ]

والبخاريُّ : « ٱلَّذِي يَخْنُقُ نَفْسَهُ . . يَخْنُقُهَا فِي ٱلنَّارِ ، وَٱلَّذِي يَطْعَنُ نَفْسَهُ . . يَطْعَنُ نَفْسَهُ فِي ٱلنَّارِ ، وَٱلَّذِي يَقْتَحِمُ . . يَقْتَحِمُ فِي ٱلنَّارِ »[3] .

والشيخانِ : « مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ ٱلْإِسْلَامِ كَاذِباً مُتَعَمِّداً . . فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ . . عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَلَيْسَ عَلَىٰ رَجُلٍ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ ، وَلَعْنُ ٱلْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ ، وَمَنْ رَمَىٰ مُؤْمِناً بِكُفْرٍ . . فَهُوَ كَقَتْلِهِ ، وَمَنْ ذَبَحَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ . . عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[4] .

---

(١) أخرجه البزار كما في « كشف الأستار » (٣٥٠٠) واللفظ له ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٢٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) صحيح ابن حبان (٦١٨٩) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٣) أخرج البخاري (١٣٦٥) أوله ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٩٧٧) آخره عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) صحيح البخاري (٦٠٤٧) ، وصحيح مسلم (١١٠) عن سيدنا ثابت بن الضحاك رضي الله عنه ، وهو من أصحاب الشجرة يوم الحديبية .

وفي كتابِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ أهلِ اليمنِ : « إِنَّ أَكْبَرَ ٱلْكَبَائِرِ عِنْدَ ٱللهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ : ٱلْإِشْرَاكُ بِٱللهِ ، وَقَتْلُ ٱلنَّفْسِ ٱلْمُؤْمِنَةِ بِغَيْرِ حَقٍّ . . . » الحديثَ [١] .

[قتلَني بكلِّ قتيلٍ قَتلةً وبسعيدٍ سبعينَ قَتلةً]

ورُوِيَ عن أبي حازمٍ أنَّهُ قالَ : (شاهدتُ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ وقد رقدَ رقدةً علىٰ إثْرِ وَجْدٍ وجَدَهُ ، فبكىٰ ثمَّ ضحكَ ، فلمَّا انتبهَ . . قالَ أبو حازمٍ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ ما الذي عراكَ في منامِكَ حتىٰ ضحكتَ بعدَ البكاءِ ؟!

قالَ : رأيتَ ذٰلكَ ؟ قلتُ : نعم ؛ وجميعُ مَنْ حولَكَ .

قالَ : رأيتُ كأنَّ القيامةَ قد قامَتْ ، وقد حُشِرَ النَّاسُ مئةً وعشرينَ صفّاً ، أمَّةُ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ منهُم ثمانونَ صفّاً ؛ وإذا منادٍ يُنادي : أينَ عبدُ اللهِ بنُ أبي قحافةَ ؟ فأجابَ ، فأخذَتْهُ الملائكةُ ، فأوقفوهُ أمامَ ربِّهِ عزَّ وجلَّ ، فحُوسِبَ حساباً يسيراً ، ثمَّ نجا ، ثمَّ أُمِرَ بهِ وبصاحبَيهِ إلى الجنَّةِ ، ثمَّ نُودِيَ بعليِّ بنِ أبي طالبٍ ، فجيءَ بهِ ، فحُوسِبَ حساباً يسيراً ، ثمَّ أُمِرَ بهِ إلى الجنَّةِ .

قالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : فلمَّا قَرُبَ الأمرُ منِّي . . نُودِيَ : أينَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ؟ قالَ : فتصبَّبتُ عرقاً ، ثمَّ أخذَتْني الملائكةُ ، فأوقفوني أمامَ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ ، فسألَني عنِ النَّقيرِ والقِطْميرِ ، وعن كلِّ قضيَّةٍ قضيتُها ، ثمَّ غفَرَ لي ، فأمرَ بي ذاتَ اليمينِ ، فمررتُ بجيفةٍ مُلقاةٍ ، فقلتُ للملائكةِ : ما هٰذهِ الجيفةُ ؟

---

(١) أخرجه ابن حبان (٦٥٥٩) وهو حديث طويل ، والبيهقي (٨٩/٤) برقم (٧٣٣٦) عن سيدنا عمرو بن حزم رضي الله عنه .

فقالوا : سَلْهُ . . يُجِبْكَ ، فتقدمتُ إليهِ فسألتُهُ ، ووكزتُهُ برِجْلي ، فرفعَ رأسَهُ وفتحَ عينَيهِ ، فقلتُ : مَنْ أنتَ ؟ فقالَ : مَنْ أنتَ ؟

فقلتُ : أنا عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، فقالَ لي : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقلتُ : تفضَّلَ عليَّ ورحمَني ، وفعلَ بي ما فعلَ بمَنْ سلفَ مِنَ الأئمَّةِ .

فقالَ : ليَهْنِكَ ما صِرْتَ إليهِ ، فقلتُ لهُ : مَنْ أنتَ ؟ فقالَ : أنا الحجَّاجُ بنُ يوسفَ ، قدمتُ على اللهِ عزَّ وجلَّ ، فوجدتُهُ شديدَ العقابِ والغضبِ ، قتلَني بكلِّ قتيلٍ قتلتُهُ ، وقتلَني بسعيدِ بنِ جُبَيرٍ سبعينَ قَتلةً ، وهـٰأنا بينَ يدَيْ ربِّي أنتظرُ ما ينتظرُ الموحِّدونَ مِنْ ربِّهِم ؛ إمَّا إلى الجنَّةِ ، وإمَّا إلى النَّارِ)[1] .

تنبيه

[في أنَّ القتلَ أكبرُ الكبائرِ]

قد أجمع العلماءُ علىٰ أنَّ تعمُّدَ قتلِ المُكلَّفِ آدميّاً مُحترماً بلا حقٍّ . . أكبرُ الكبائرِ .

وقالَ ابنُ عباسٍ وأبو هريرةَ وابنُ عمرَ وحسنُ بنُ عليٍّ وزيدُ بنُ ثابتٍ رضيَ اللهُ عنهُم : (لا تُقبَلُ توبةُ قاتلِ المؤمنِ عمداً)[2] .

---

(١) أورد هـٰذه القصة بأطول مما ها هنا ابن الجوزي في « سيرة عمر بن عبد العزيز » (ص ٢٩٧ ـ ٣٠١) ، ونقل في آخرها عن أبي حازم قوله : (فأعطيت الله عهداً بعد رؤيا عمر بن عبد العزيز : ألا أوجب لأحدٍ من هـٰذه الأمة ناراً) .

(٢) أورده البغوي في « تفسيره » (١/٤٦٥) ، وابن عادل في « اللباب في علوم الكتاب » (٦/٥٧٢) ، وقال البغوي بعدها : (وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما . . فهو تشديد ومبالغة في الزجر عن القتل ؛ كما روي عن سفيان بن عيينة أنه قال : إن لم يقتل . . يقال له : لا توبة لك ، وإن قتل ثم جاء . . يقال : لك توبة ، ويروىٰ مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما) .

لـٰكنْ ذهبَ أهلُ السنَّةِ إلىٰ قَبولِ توبتِهِ كالكافرِ ، بل أولىٰ ، ولا يتحتَّمُ ، بل هوَ في خطرِ المشيئةِ ، ولا يُخلَّدُ وإن لم يتبْ ، وكلامُ « الرَّوضةِ » و« أصلِها » يدلُّ علىٰ بقاءِ العقوبةِ الأُخرويَّةِ وإن وُجِدَ قَوَدٌ أو كفَّارةٌ[1] .

* * *

(١) روضة الطالبين (٧/٤٠١) .

بابُ الجهاد

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

وأخرجَ الشيخانِ وأبو داوودَ عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ ٱلنَّاسَ ؛ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَأَنِّي رَسُولُ ٱللهِ ، فَإِذَا قَالُوهَا . . عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى ٱللهِ » (٢) .

وأبو داوودَ وأبو يعلىٰ عنهُ : « ٱلْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ » (٣) .

والشيخانِ وأبو داوودَ : عن أبي موسى الأشعريِّ : « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ ٱللهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا . . فَهُوَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ » (٤) .

[الجهادُ مِنْ أفضلِ الأعمالِ]

والشيخانِ عن أبي هريرةَ : سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أيُّ العملِ أفضلُ ؟ قالَ : « إِيمَانٌ بِٱللهِ وَرَسُولِهِ » قيلَ : ثمَّ ماذا ؟ قالَ :

---

(١) سورة الصف : (١٠ ـ ١٣) .

(٢) صحيح البخاري (٢٩٢٤) ، وصحيح مسلم (٢٢) واللفظ له ، وسنن أبي داوود (٢٦٣٣) .

(٣) سنن أبي داوود (٢٥٢٥) ، وأخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٠٥) ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٢٦٣٨) .

(٤) صحيح البخاري (١٢٣) ، وصحيح مسلم (١٩٠٤) ، وسنن أبي داوود (٢٥٠٩) .

« ٱلْجِهَادُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ » قيلَ : ثمَّ ماذا ؟ قالَ : « حَجٌّ مَبْرُورٌ »[1] .

وهُما عنهُ : « مَثَلُ ٱلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ـ وَٱللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ ـ كَمَثَلِ ٱلصَّائِمِ ٱلْقَائِمِ ، ٱلَّذِي لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّىٰ يَرْجِعَ ، وَتَوَكَّلَ ٱللهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَنْ يَتَوَفَّاهُ وَأَنْ يُدْخِلَهُ ٱلْجَنَّةَ ، أَوْ يُرْجِعَهُ سَالِماً مَعَ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ »[2] .

والطبرانيُّ : عن أبي أيوبَ : « مَنْ لَقِيَ ٱلْعَدُوَّ فَصَبَرَ حَتَّىٰ إِذَا تَوَفَّاهُ ٱللهُ أَوْ يَغْلِبَ . . [لَمْ] يُفْتَنْ فِي قَبْرِهِ »[3] .

والديلميُّ : « سَاعَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللهِ خَيْرٌ مِنْ خَمْسِينَ حَجَّةً »[4] .

والطبرانيُّ عن نُعيمِ بنِ [هَمَّارٍ][5] : « ٱلشُّهَدَاءُ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ فِي ٱلصَّفِّ ٱلْأَوَّلِ ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ بِوُجُوهِهِمْ حَتَّىٰ يُقْتَلُوا . . فَأُولَـٰئِكَ يَلْتَقُونَ فِي ٱلْغُرَفِ ٱلْعُلَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ ، يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ ، إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ إِذَا ضَحِكَ إِلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْمُؤْمِنِ . . فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ »[6] .

والحاكمُ عن أبي هريرةَ : « إِنَّ ٱلْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلِّ ٱلسُّيُوفِ »[7] .

---

(١) صحيح البخاري (٢٦) واللفظ له ، وصحيح مسلم (٨٥) بنحوه لكن عنده عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) صحيح البخاري (٢٧٨٧) ، وصحيح مسلم (١٨٧٨) بمعناه .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤١٣١) بنحوه ، وهو زيادة من (ب) .

(٤) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٣٥٠٤) ، وأخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٨٨/٥) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٥) في النسخ : (نعيم بن هبار) ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٦) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣١٩٣) .

(٧) مستدرك الحاكم (٧٠/٢) ، واللفظ فيه : (تحت ظلال) .

[ستُّ خصالٍ للشهيدِ عندَ اللهِ]

والترمذيُّ وابنُ ماجه عنِ المِقدامِ بنِ مَعدي كَرِبَ : « لِلشَّهِيدِ عِنْدَ ٱللهِ سِتُّ خِصَالٍ : يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ ، وَيَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ ٱلْفَزَعِ ٱلْأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجُ ٱلْوَقَارِ ؛ ٱلْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَيُزَوَّجُ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ ٱلْحُورِ ٱلْعِينِ ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ »[1] .

ومسلمٌ والترمذيُّ عنِ ابنِ مسعودٍ : « إِنَّ أَرْوَاحَ ٱلشُّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِٱلْعَرْشِ ، تَسْرَحُ فِي ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَىٰ تِلْكَ ٱلْقَنَادِيلِ ، فَٱطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ ٱطِّلَاعَةً ، فَقَالَ : هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئاً ؟ قَالُوا : أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي ؛ وَنَحْنُ نَسْرَحُ فِي ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ؟! يُفْعَلُ بِهِمْ ذَٰلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا . . قَالُوا : يَا رَبِّ ؛ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّىٰ نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ .

قَالَ : إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ أَنَّهُمْ [إِلَيْهَا] لَا يَرْجِعُونَ ، قَالُوا : فَأَبْلِغْ عَنَّا إِخْوَانَنَا » فأنزلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2] .

[ممَّا أعدَّهُ اللهُ للشهيدِ في الجنَّةِ]

[والطبرانيُّ بسندٍ رجالُهُ ثقاتٌ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو قالَ : « إِذَا قُتِلَ

(١) سنن الترمذي (١٦٦٣) ، وسنن ابن ماجه (٢٩٢٧) .

(٢) سورة آل عمران : (١٦٩ ـ ١٧٠) ، والحديث أخرجه مسلم (١٨٨٧) ، والترمذي (٣٠١١) ، وتتمة الآيات من النسخة (هـ) .

ٱلْعَبْدُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ . . فَأَوَّلُ قَطْرَةٍ تَقَعُ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنْ دَمِهِ يُكَفِّرُ ٱللهُ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا ، ثُمَّ يُرْسِلُ ٱللهُ بِرَيْطَةٍ مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَيَقْبِضُ فِيهَا نَفْسَهُ [١] ، وَبِجَسَدٍ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَتَّىٰ تَرْكَبَ فِيهِ رُوحُهُ ، ثُمَّ يَعْرُجُ مَعَ ٱلْمَلَائِكَةِ كَأَنَّهُ كَانَ مَعَهُمْ مُنْذُ خَلَقَهُ ٱللهُ ، حَتَّىٰ يُؤْتَىٰ بِهِ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَيَسْجُدَ قَبْلَ ٱلْمَلَائِكَةِ ، ثُمَّ تَسْجُدُ ٱلْمَلَائِكَةُ بَعْدَهُ ، ثُمَّ يُغْفَرُ لَهُ وَيُطَهَّرُ ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى ٱلشُّهَدَاءِ فَيَجِدُهُمْ فِي رِيَاضٍ خُضْرٍ وَقِبَابٍ مِنْ حَرِيرٍ ، وَعِنْدَهُمْ ثَوْرٌ وَحُوتٌ يُلْغِثَانِهِمْ كُلَّ يَوْمٍ بِشَيْءٍ لَمْ يُلْغِثَاهُ بِٱلْأَمْسِ [٢] ، يَظَلُّ ٱلْحُوتُ فِي أَنْهَارِ ٱلْجَنَّةِ ، فَيَأْكُلُ مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ مِنْ أَنْهَارِ ٱلْجَنَّةِ ، فَإِذَا أَمْسَىٰ . . وَكَزَهُ ٱلثَّوْرُ بِقَرْنِهِ فَذَكَّاهُ ، فَأَكَلُوا مِنْ لَحْمِهِ ، وَوَجَدُوا فِي طَعْمِ لَحْمِهِ رَائِحَةً مِنْ رِيحِ ٱلْجَنَّةِ .

وَيَبِيتُ ٱلثَّوْرُ نَافِشاً فِي ٱلْجَنَّةِ [٣] ، يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِ ٱلْجَنَّةِ ، فَإِذَا أَصْبَحَ . . غَدَا عَلَيْهِ ٱلْحُوتُ فَذَكَّاهُ بِذَنَبِهِ ، فَأَكَلُوا مِنْ لَحْمِهِ ، فَوَجَدُوا فِي طَعْمِ لَحْمِهِ كُلَّ ثَمَرَةٍ فِي ٱلْجَنَّةِ ، يَنْظُرُونَ إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ ، يَدْعُونَ ٱللهَ بِقِيَامِ ٱلسَّاعَةِ)] [٤] .

والعُقيليُّ عن أبي هريرةَ : « ٱلشُّهَدَاءُ عِنْدَ ٱللهِ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ يَاقُوتٍ ، فِي ظِلِّ عَرْشِ ٱللهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، عَلَىٰ كَثِيبٍ مِنْ مِسْكٍ ، فَيَقُولُ لَهُمُ ٱلرَّبُّ : أَلَمْ أُوفِ لَكُمْ وَأَصْدُقْكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : بَلَىٰ وَرَبِّنَا » [٥] .

---

(١) **الرَّيطَة** ـ بفتح الراء والطاء المهملة ـ : الملاءة إذا كانت قطعةً واحدة ولم تكن لفقين . انظر « شرح الصدور » (ص ١٦٠) .

(٢) **يلغثانهم** : يؤكلانهم ، وقد تصحفت في المطبوع وغيره إلىٰ : (يلعبانهم) ، والصواب كما ضبطه الحافظ السيوطي في « شرح الصدور » (ص ١٦٠) : أنه بالغين المعجمة والمثلثة .

(٣) **النفش** : الرعي ليلاً .

(٤) هـٰذا الحديث بتمامه زيادة من (هـ) ومن المطبوع ، وأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣٥٥/١٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/٦٠) .

(٥) أخرجه العقيلي في « الضعفاء » (١/١١٨) .

والأصبهانيُّ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ : « إِنَّ ٱللَّهَ لَيَدْعُو ٱلْجَنَّةَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، فَتَأْتِي بِزُخْرُفِهَا وَزِينَتِهَا ، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : أَيْنَ عِبَادِي ٱلَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي وَجَاهَدُوا ؟ ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ ، فَيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، فَتَأْتِي ٱلْمَلَائِكَةُ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ؛ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، مَنْ هَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ آثَرْتَهُمْ عَلَيْنَا ؟

فَيَقُولُ ٱلرَّبُّ : هَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي وَجَاهَدُوا ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ مِنْ كُلِّ بَابٍ : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ »[1] .

والطبرانيُّ عن أنسٍ : « إِذَا وَقَفَ ٱلْعَبْدُ لِلْحِسَابِ . . جَاءَ قَوْمٌ وَاضِعُو سُيُوفِهِمْ عَلَىٰ رِقَابِهِمْ تَقْطُرُ دَماً ، فَٱزْدَحَمُوا عَلَىٰ بَابِ ٱلْجَنَّةِ وَٱلنَّاسُ فِي ٱلْمَوْقِفِ ، فَيُقَالُ : مَنْ هَٰؤُلَاءِ ؟! قِيلَ : ٱلشُّهَدَاءُ ؛ كَانُوا أَحْيَاءً مَرْزُوقِينَ »[2] .

وابنُ ماجه عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « مَا مِنْ مَجْرُوحٍ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ـ وَٱللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِهِ ـ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ جُرِحَ ؛ ٱللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، وَٱلرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ »[3] .

ومسلمٌ وأبو داوودَ عنهُ : « لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي ٱلنَّارِ أَبَداً »[4] .

والطبرانيُّ : « ٱلشَّهِيدُ لَا يَجِدُ أَلَمَ ٱلْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مَسَّ ٱلْقَرْصَةِ »[5] .

---

(١) سورة الرعد : (٢٤) ، والحديث أخرجه الأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (٨١٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٩٥٤) .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٠١٩) .

(٣) سنن ابن ماجه (٢٩٢٣) .

(٤) صحيح مسلم (١٨٩١) ، وسنن أبي داوود (٢٤٨٧) .

(٥) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٨٢) عن سيدنا أبي قتادة رضي الله عنه .

وأبو الشيخ : « عَضَّةُ نَمْلَةٍ أَشَدُّ عَلَى ٱلشَّهِيدِ مِنْ مَسِّ ٱلسِّلَاحِ ، بَلْ هُوَ أَشْهَىٰ عِنْدَهُ مِنْ شُرْبِ مَاءٍ بَارِدٍ لَذِيذٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ »(١) .

[الترغيبُ في الغزوِ في البحرِ]

والطبرانيُّ : « مَنْ فَاتَهُ ٱلْغَزْوُ مَعِي . . فَلْيَغْزُ فِي ٱلْبَحْرِ »(٢) .

وابنُ ماجه : « غَزْوَةٌ فِي ٱلْبَحْرِ مِثْلُ عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي ٱلْبَرِّ ، وَٱلَّذِي يَسْدَرُ فِي ٱلبَحْرِ كَٱلْمُتَشَحِّطِ فِي دَمِهِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ »(٣) .

وهوَ : « يُغْفَرُ لِشَهِيدِ ٱلْبَرِّ ٱلذُّنُوبُ كُلُّهَا إِلَّا ٱلدَّيْنَ ، وَلِشَهِيدِ ٱلْبَحْرِ ٱلذُّنُوبُ وَٱلدَّيْنُ »(٤) .

[الحثُّ على الرَّمي وَالرِّباطِ في سبيلِ اللهِ]

والطبرانيُّ : « أَيُّمَا مُسْلِمٍ رَمَىٰ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ، فَبَلَغَ مُخْطِئاً أَوْ مُصِيباً . . فَلَهُ مِنَ ٱلْأَجْرِ كَرَقَبَةٍ أَعْتَقَهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ شَابَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ . . فَهُوَ لَهُ نُورٌ ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ مُسْلِماً . . فَكُلُّ عُضْوٍ مِنَ ٱلْمُعْتِقِ بِعُضْوٍ مِنَ ٱلْمُعْتَقِ ؛ فِدَاءً لَهُ مِنَ ٱلنَّارِ »(٥) .

والترمذيُّ : « مُقَامُ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ

---

(١) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٤١٥٦) ، وعزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (١١١٣١) لأبي الشيخ عن سيدنا ابن عباسٍ رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٣٤٨) عن سيدنا واثلة بن الأسقع رضي الله عنه .

(٣) سنن ابن ماجه (٢٩٠٤) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه . وقوله : (**يَسْدَرُ**) : يصيبه الدوار ، وهو يعرض لراكب البحر كثيراً ، وقوله : (**كالمتشحط**) أي : كالمذبوح المضطرب في دمه .

(٤) سنن ابن ماجه (٢٩٠٥) .

(٥) عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٣٤٣٤) للطبراني عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه .

سَبْعِينَ عَاماً ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ ٱللهُ لَكُمْ ، وَيُدْخِلَكُمُ ٱلْجَنَّةَ ؟! ٱغْزُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ . . وَجَبَتْ لَهُ ٱلْجَنَّةُ »(١) .

والطبرانيُّ والحاكمُ والبيهقيُّ : « حَرْسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ . . أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ ؛ يُقَامُ لَيْلُهَا ، وَيُصَامُ نَهَارُهَا »(٢) .

ومسلمٌ : « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . . خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَإِنْ مَاتَ مُرَابِطاً . . جَرَىٰ عَلَيْهِ عَمَلُهُ ٱلَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَأَمِنَ ٱلْفُتَّانَ »(٣) .

ومسلمٌ وأبو داوودَ : « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ . . مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةٍ مِنَ ٱلنِّفَاقِ »(٤) .

والترمذيُّ : « مَنْ لَقِيَ ٱللهَ بِغَيْرِ أَثَرٍ مِنْ جِهَادٍ . . لَقِيَ ٱللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَفِي إِيمَانِهِ ثُلْمَةٌ »(٥) .

ومسلمٌ وأبو داوودَ والترمذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجه : « مَنْ سَأَلَ ٱللهَ ٱلشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ . . بَلَّغَهُ ٱللهُ مَنَازِلَ ٱلشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ »(٦) .

---

(١) سنن الترمذي (١٦٥٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) مستدرك الحاكم (٨١/٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٩١/١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٩٢٩) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٣) صحيح مسلم (١٩١٣) عن سيدنا سلمان رضي الله عنه ، وقوله : (أمن) : قال الإمام النووي في « شرح مسلم » (٦١/١٣) : (ضبطوا « أمن » بوجهين ؛ **أحدهما** : « أَمِن » بفتح الهمزة وكسر الميم من غير واو ، **والثاني** : « أومن » بضم الهمزة وبواوٍ ، وأما « الفتان » . . فقال القاضي : رواية الأكثرين بضم الفاء ، جمع : فاتن ، ورواية الطبري بالفتح . . .) ، والمراد به : سؤال القبر .

(٤) صحيح مسلم (١٩١٠) ، وسنن أبي داوود (٢٤٩٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي (ج) : (ولم يحدث نفسه بالغزو) وهي رواية أبي داوود .

(٥) سنن الترمذي (١٦٦٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) صحيح مسلم (١٩٠٩) ، وسنن أبي داوود (١٥١٥) ، وسنن الترمذي (١٦٥٣) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٤٣٥٥) ، وسنن ابن ماجه (٢٩٢٥) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

والطبرانيُّ : « مَنْ أَسْلَمَ عَلَىٰ يَدَيْهِ رَجُلٌ . . وَجَبَتْ لَهُ ٱلْجَنَّةُ »[1] .

اللهمَّ ؛ ارزقْنا الشهادةَ بفضلِكَ ، وأدخلْنا الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ .

[لمثلِ هٰذا فليعملِ العاملونَ]

وروىٰ رافعُ بنُ عبدِ اللهِ عن هشامِ بنِ يحيى الكنانيِّ أنَّهُ قالَ لي : (أُحدِّثُكَ حديثاً رأيتُهُ بعيني ، وشهدتُهُ بنفسي ، ونفعَني اللهُ بهِ ، فعسىٰ أن ينفعَكَ بهِ ؟

فقلتُ : حدِّثْني يا أبا الوليدِ ، قالَ : غزَونا أرضَ الرُّومِ في سنةِ ثمانٍ وثمانينَ ، وكانَ معَنا رجلٌ يُقالُ لهُ : سعيدُ بنُ الحارثِ ، ذو حظٍّ مِنَ العبادةِ ؛ يصومُ النَّهارَ ويقومُ اللَّيلَ ، فإن سرنا . . درسَ القرآنَ ، وإن أقمنا . . ذكرَ اللهَ تعالىٰ .

فجاءَتْ ليلةٌ خِفْنا فيها ، فخرجتُ أنا وإيَّاهُ نحرسُ ، ونحنُ مُحاصِرُونَ عندَ حصنٍ مِنَ الحصونِ ، استصعبَ علينا أمرُهُ ، فرأيتُ مِنْ سعيدٍ مِنَ العبادةِ في تلكَ اللَّيلةِ ، وصبرِهِ على النَّصَبِ ما تعجبتُ منهُ ، فلمَّا طلعَ الفجرُ . . قلتُ لهُ : يرحمُكَ اللهُ ؛ إنَّ لنفسِكَ عليكَ حقّاً ، فلو أرحتَها ؟

فبكىٰ وقالَ : يا أخي ؛ إنَّما هيَ أنفاسٌ تُعَدُّ ، وعمرٌ يفنىٰ ، وأيَّامٌ تنقضي ، وأنا رجلٌ أرتقبُ الموتَ ، وأبادرُ خروجَ نفسي .

قالَ : فأبكاني ذٰلكَ ، فقلتُ لهُ : أقسمتُ عليكَ باللهِ ؛ إلَّا ما دخلتَ الخِباءَ واسترحتَ ، فدخلَ ، فنامَ ، وأنا جالسٌ ظاهرَ الخِباءِ ، فسمعتُ

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٥٧٠) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه .

كلاماً في الخِباءِ ، فقلتُ : ما فيهِ سواهُ !! فتقدَّمتُ قليلاً ؛ فإذا بهِ يضحكُ في نومِهِ ويتكلَّمُ ، فحفظتُ مِنْ كلامِهِ يقولُ : ما أُحِبُّ أن أرجعَ ، ثمَّ مدَّ يدَهُ اليمنىٰ كأنَّهُ يلتمسُ شيئاً ، ثمَّ ردَّها ردّاً رفيقاً وهوَ يضحكُ ، ثمَّ وثبَ مِنْ نومِهِ وهوَ ينتفضُ ، فاحتضنتُهُ إلىٰ صدري مليّاً وهوَ يلتفتُ يميناً وشمالاً حتىٰ سكنَ وعادَ إليهِ فهمُهُ ، وجعلَ يُهلِّلُ ويُكبِّرُ ، فقلتُ : ما الخبرُ ؟ قالَ : نعم .

قلتُ : حدِّثْني ؛ فقد سمعتُكَ تقولُ : ما أُحِبُّ أن أرجعَ ، ورأيتُكَ مددتَ يدَكَ ثمَّ رددتَها !! فقالَ : لا أُخبِرُكَ ، فأقسمتُ عليهِ ، قالَ : أَوَتكتمُ عنِّي ما حييتُ ؟ قلتُ : بلىٰ .

قالَ : رأيتُ كأنَّ القيامةَ قد قامَتْ ، وخرجَ الخلقُ مِنْ قبورِهِم شاخصينَ منتظرينَ أمرَ ربِّهِم ، فبينَما أنا كذٰلكَ . . إذ أتاني رجلانِ لم أَرَ أحسنَ منهُما ، فسلَّما عليَّ ، فرددتُ عليهِما السلامَ .

فقالا لي : يا سعيدُ ؛ أبشرْ فقد غُفِرَ ذنبُكَ ، وشُكِرَ سعيُكَ ، وقُبِلَ عملُكَ ، واستُجيبَ دعاؤُكَ ، وعُجِّلَ لكَ البشرىٰ ، فانطلقْ معَنا حتىٰ نُريَكَ ما أعدَّ اللهُ لكَ مِنَ النعيمِ .

قالَ : فانطلقتُ معَهُما حتىٰ أخرجاني مِنْ جملةِ الموقفِ ؛ وإذا بخَيلٍ لا تشبهُ خيلَ الدُّنيا ، وإنَّما هيَ كالبرقِ الخاطفِ أو كهبوبِ الرِّيحِ ، فركبنا وسِرْنا ، حتى انتهينا إلىٰ قصرٍ شاهقٍ ما يبلغُ الطَّرْفُ مُنتهاهُ ، كأنَّهُ صِيغَ مِنْ فضَّةٍ ، ولهُ نورٌ يتلألأُ ، فلمَّا وصلنا إليهِ . . فُتِحَ بابُهُ مِنْ قبلِ أن نستفتحَ ، فدخلنا ، فرأينا شيئاً لا يبلغُهُ وصفُ واصفٍ ، ولا يخطرُ علىٰ قلبِ بشرٍ ، وفيهِ مِنَ الحورِ العينِ والوصائفِ والوِلدانِ بعددِ النجومِ ، فلمَّا رأَونا . . أخذوا

في ألوانٍ مِنَ القولِ الحسنِ بأنغامٍ مختلفةٍ ، وقائلٍ يقولُ : هـٰذا وليُّ اللهِ قد جاءَ ، فمرحباً بهِ وأهلاً .

فسِرْنا حتى انتهينا إلىٰ مجالسَ ذاتِ أسرَّةٍ مِنْ ذهبٍ ، مُكلَّلةٍ بالجوهرِ ، محفوفةٍ بكراسيَّ مِنْ ذهبٍ ، وعلىٰ كلِّ سريرٍ منها جاريةٌ ، لا يستطيعُ أحدٌ مِنْ خلقِ اللهِ أن يصفَها ، وفي وَسْطِهِنَّ واحدةٌ عاليةٌ عليهِنَّ في طولِها وكمالِها وجمالِها ، فقالَ الرَّجلانِ : هـٰذا منزلُكَ ، وهـٰؤلاءِ أهلُكَ ، وهنا [مثواكَ](١) ، ثمَّ انصرفا عنِّي .

ووثبَتِ الجواري بالترحيبِ والاستبشارِ ؛ كما يكونُ مِنْ أهلِ الغائبِ عندَ قدومِهِ عليهِنَّ ، ثمَّ حملوني حتىٰ أجلسوني على السريرِ الأوسطِ إلىٰ جانبِ الجاريةِ ، فقلنَ : هـٰذهِ زوجتُكَ ، ولكَ أُخرىٰ مثلُها ، وقد طالَ انتظارُنا لكَ ، فكلَّمتُها وكلَّمَتْني ، فقلتُ : أينَ أنا ؟ قالَتْ : في جنَّةِ المأوىٰ ، فقلتُ : مَنْ أنتِ ؟ قالَتْ : أنا زوجتُكَ الخالدةُ ، قلتُ : فأينَ الأُخرىٰ ، قالَتْ : في قصرِكَ الآخَرِ .

فقلتُ : أُقيمُ اليومَ عندَكُم وأتحوَّلُ في غدٍ إلى الأُخرىٰ ، ثمَّ مددتُ يدي ، فردَّتْها ردّاً رفيقاً ، وقالَتْ : أمَّا اليومَ . . فأنتَ راجعٌ إلى الدُّنيا وستقيمُ ثلاثاً .

فقلتُ : ما أُحِبُّ أن أرجِعَ ، فقالَتْ : لا بدَّ مِنْ ذٰلكَ ، وستُفْطِرُ عندَنا بعدَ الثلاثِ ، ثمَّ نهضَتْ مِنْ مجلسِها ، ثمَّ نهضتُ لوداعِها فاستيقظتُ .

---

(١) في النسخ : (وهنا مثلك) ، وقال في هامش المطبوع : (قوله : « وهنا مثلك » كذا بالأصل ، ولعله محرف عن : « ولك مثل ذٰلك » انتهىٰ) .

قالَ هشامٌ : فغلبَني البكاءُ ، وقلت : هنيئاً لكَ يا سعيدُ ، جدِّد للهِ شكراً ؛ فقد كُشِفَ لكَ عن ثوابِ عملِكَ .

فقالَ : رأىٰ أحدٌ غيرُكَ ما رأيتَ ؟ قلتُ : لا ، فقالَ : باللهِ ؛ اكتمْ عنِّي ما دمتُ في الحياةِ ، ثمَّ قامَ فتطهَّرَ ومسَّ الطيبَ ، وأخذَ سلاحَهُ وسارَ إلىٰ موضعِ القتالِ وهوَ صائمٌ ، فقاتلَ إلى اللَّيلِ ، ثمَّ انصرفَ ، فتحدَّثَ النَّاسُ بقتالِهِ وقالوا : ما رأيناهُ فعلَ مثلَ اليومِ ؛ لقد كانَ يطرحُ نفسَهُ تحتَ سهامِ العدوِّ وحجارتِهِم ، وكلُّ ذٰلكَ ينأَونَ عنهُ ، فقلتُ في نفسي : لو يعلمونَ . . لتنافسوا في مثلِ عملِهِ !!

ثمَّ مكثَ قائماً إلىٰ آخرِ اللَّيلِ ، ثمَّ أصبحَ صائماً ، فقاتلَ أشدَّ مِنَ اليومِ الأوَّلِ ، ثمَّ مكثَ قائماً إلىٰ آخرِ اللَّيلِ ، ثمَّ أصبحَ صائماً ، فقاتلَ أبلغَ مِنْ كلِّ يومٍ .

قالَ أبو الوليدِ : فانطلقتُ لأنظرَ ماذا يكونُ منهُ ، فلم يزلْ يُلقي نفسَهُ في المهالكِ غالبَ النَّهارِ ، ولا يصلُ إليهِ شيءٌ . . حتّىٰ دنا غروبُ الشمسِ ، جاءَهُ سهمٌ في نحرِهِ ، فخرَّ صريعاً وأنا أنظرُ إليهِ ، فضجَّتِ النَّاسُ وبادروا إليهِ ، وأخذوهُ وجاؤوا بهِ يحملونَهُ ، فلمَّا رأيتُهُ . . قلتُ لهُ : هنيئاً ما تفطرُ عليهِ اللَّيلةَ ، يا ليتَني كنتُ معَكَ !!

قالَ : فعضَّ علىٰ شفتَيهِ وهوَ يضحكُ ، ثمَّ قالَ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾ [1] ، ثمَّ ماتَ .

قالَ هشامٌ : فصحتُ : يا عبادَ اللهِ : ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [2] ،

---

(١) سورة الزمر : (٧٤) .

(٢) سورة الصافات : (٦١) .

واسمعوا ما أُخبِرُكُم عن أخيكُم هٰذا ، فأقبلَ النَّاسُ ، فحدَّثتُهُم بالحديثِ علىٰ وجهِهِ وما كانَ منهُ ، فما رأيتُ باكياً كالساعةِ ، ثمَّ كبَّروا تكبيرةً اضطربَ لها العسكرُ ، وشاعَ الحديثُ ، وبلغَ الخبرُ إلىٰ مَسْلَمةَ ، فجاءَ وقد وضعناهُ لنُصلِّيَ عليهِ ، فقلتُ : صلِّ عليهِ أيُّها الأميرُ ، فقالَ : بل يُصلِّي عليهِ الذي عرفَ مِنْ أمرِهِ ما عرفَ في موضعِهِ .

وباتَ النَّاسُ يتحدَّثونَ بهِ ، فلمَّا طلعَ الصباحُ . . تذاكرنا حديثَهُ ، وصاحوا صيحةً ، وحملوا على العدوِّ ، ففتحَ اللهُ الحصنَ في ذٰلكَ النَّهارِ ببركتِهِ ، رحمةُ اللهِ عليهِ) .

[قصَّةُ الغلامِ معَ العَيناءِ المَرضيَّةِ]

وحكى اليافعيُّ عنِ الشيخِ عبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ قالَ : (بينَما نحنُ ذاتَ يومٍ في مجلسِنا هٰذا ، قد تهيَّأنا للخروجِ إلى الغزوِ ، وقد أمرتُ أصحابي أن يتهيَّؤوا لقراءةِ آيةٍ ، فقرأ رجلٌ في مجلسِنا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾[1] ، فقامَ غلامٌ في مقدارِ خمسَ عشرةَ سنةً أو نحوِ ذٰلكَ ، وقد ماتَ أبوهُ وورَّثَهُ مالاً كثيراً ، فقالَ : يا عبدَ الواحدِ بنَ زيدٍ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ ؟ فقلتُ : نعم يا حبيبي .

فقالَ : إنِّي أُشهِدُكَ أنِّي قد بعتُ نفسي ومالي بأنَّ لي الجنَّةَ ، فقلتُ لهُ : إنَّ حدَّ السيفِ أشدُّ مِنْ ذٰلكَ ، وأنتَ صبيٌّ ، وإنِّي أخافُ ألَّا تصبرَ ، وتعجِزَ عن ذٰلكَ ؟!

---

(١) سورة التوبة : (١١١) .

فقالَ : يا عبدَ الواحدِ ؛ أُبايِعُ اللهَ بالجنَّةِ ثمَّ أعجِزُ ؟! أنا أُشهِدُ اللهَ أنِّي قد بايعتُهُ ، أو كما قالَ رضيَ اللهُ عنهُ .

قالَ عبدُ الواحدِ : فتقاصرَتْ إلينا أنفسُنا ، وقلنا : صبيٌّ يعقلُ ونحنُ لا نعقلُ ؟! فخرجَ مِنْ مالِهِ كلِّهِ ، فتصدَّقَ بهِ إلَّا فرسَهُ وسلاحَهُ ونفقتَهُ ، فلمَّا كانَ يومُ الخروجِ . . كانَ أوَّلَ مَنْ طلعَ علينا ، فقالَ : السَّلامُ عليكَ يا عبدَ الواحدِ ، فقلتُ : وعليكَ السلامُ ، ربحَ البيعُ .

ثمَّ سِرنا وهوَ معَنا ؛ يصومُ النَّهارَ ويقومُ اللَّيلَ ، ويخدُمُنا ويخدُمُ دوابَّنا ، ويحرسُنا إذا نمنا ، حتىٰ إذا انتهينا إلىٰ بلادِ الرُّومِ ، فبينَما نحنُ كذٰلكَ . . إذا بهِ قد أقبلَ وهوَ يُنادي : وا شوقاهُ إلى العَيناءِ المَرضيَّةِ !

فقالَ أصحابي : لعلَّهُ وسوسَ هٰذا الغلامُ ، واختلطَ عقلُهُ !! فقلت : حبيبي ؛ وما هٰذهِ العَيناءُ المَرضيَّةُ ؟!

فقالَ : إنِّي غفوتُ غفوةً ، فرأيتُ كأنَّهُ أتاني آتٍ ، فقالَ لي : اذهبْ إلى العَيناءِ المَرضيَّةِ ، فهجمَ بي علىٰ روضةٍ ، فيها نهرٌ مِنْ ماءٍ غيرِ آسنٍ ؛ وإذا علىٰ شطِّ النهرِ جَوارٍ عليهِنَّ مِنَ الحُليِّ والحُلَلِ ما لا أقدرُ أن أصفَهُ ، فلمَّا رأينَني . . استبشرْنَ وقُلْنَ : هٰذا زوجُ العَيناءِ المَرضيَّةِ .

فقلتُ : السلامُ عليكُنَّ ، أفيكُنَّ العَيناءُ المَرضيَّةُ ؟ فقُلْنَ : نحنُ خدمُها وإماؤُها ، امضِ أمامَكَ .

فمضَيتُ أمامي ؛ فإذا بنهرٍ مِنْ لبنٍ لم يتغيَّرْ طعمُهُ ، في روضةٍ فيها مِنْ كلِّ زينةٍ ، فيها جَوارٍ لمَّا رأيتُهُنَّ . . افتتنتُ بحسنِهِنَّ وجمالِهِنَّ ، فلمَّا رأينَني . . استبشرْنَ بي وقُلْنَ : واللهِ ؛ هٰذا زوجُ العَيناءِ المَرضيَّةِ !!

فقلتُ : السلامُ عليكُنَّ ؛ أفيكُنَّ العَيناءُ المَرضيَّةُ ؟ فقُلْنَ : وعليكَ السلامُ يا وليَّ اللهِ ، نحنُ خدمُها وإماؤُها ، فتقدَّمْ أمامَكَ .

فتقدمتُ ، فإذا أنا بنهرٍ مِنْ خمرٍ ، وعلىٰ شطِّ الوادي جَوارٍ أنسينَني مَنْ خلَّفتُ ، فقلتُ : السلامُ عليكُنَّ ؛ أفيكُنَّ العَيناءُ المَرضيَّةُ ؟ قُلْنَ : لا ، نحنُ خدمُها وإماؤُها ، امضِ أمامَكَ ، فمضَيتُ أمامي ، فإذا أنا بنهرٍ آخَرَ مِنْ عسلٍ مُصفىً وجَوارٍ عليهِنَّ مِنَ النُّورِ والجمالِ ما أنساني ما خلَّفتُ ، فقلتُ : السلامُ عليكُنَّ ؛ أفيكُنَّ العَيناءُ المَرضيَّةُ ؟

فقُلْنَ : يا وليَّ اللهِ ؛ نحنُ إماؤُها وخدمُها ، فامضِ أمامَكَ .

فمضَيتُ أمامي ، فوصلتُ إلىٰ خيمةٍ مِنْ دُرَّةٍ بيضاءَ ، وعلىٰ بابِ الخيمةِ جاريةٌ ، عليها مِنَ الحُليِّ والحُلَلِ ما لا أقدرُ أن أصفَهُ ، فلمَّا رأَتْني . . استبشرَتْ ونادَتْ مَنْ في الخيمةِ : أيَّتُها العَيناءُ المَرضيَّةُ ؛ هٰذا بعلُكِ قد قدمَ .

قالَ : فدنوتُ مِنَ الخيمةِ ودخلتُ ؛ فإذا هيَ قاعدةٌ علىٰ سريرٍ مِنْ ذهبٍ ، مُكلَّلٍ بالدُّرِّ والياقوتِ ، فلمَّا رأيتُها . . افتتنتُ بها وهي تقولُ : مرحباً بكَ يا وليَّ الرَّحمٰنِ ، قد دنا لكَ القدومُ علينا ، فذهبتُ لأعتنقَها ، فقالَتْ : مهلاً ؛ فإنَّهُ لم يَأْنِ لكَ أن تُعانِقَني ؛ لأنَّ فيكَ روحَ الحياةِ وأنتَ تُفطِرُ اللَّيلةَ عندَنا .

قالَ : فانتبهتُ يا عبدَ الواحدِ ، ولا صبرَ لي عنها .

قالَ عبدُ الواحدِ : فما انقطعَ كلامُنا حتى ارتفعَتْ لنا سريَّةٌ مِنَ العدوِّ ، فحملَ الغلامُ ، فعددتُ تسعةً مِنَ العدوِّ قتلَهُم وكانَ هوَ العاشرَ ، فمررتُ بهِ وهو يتشحَّطُ في دمِهِ وهوَ يضحكُ ملءَ فيهِ حتَّىٰ فارقَ الدُّنيا ، رضيَ اللهُ عنهُ ، ونفعَنا بهِ ، آمينَ)[1] .

---

(١) روض الرياحين (ص ٥٠ ـ ٥١) ورقم الحكاية (١١) ، وختمها اليافعي بقوله : ولله در القائل : [من البسيط] ←

فَصْلٌ

في الإنفاقِ في سبيلِ اللهِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

وأخرجَ ابنُ ماجه عن ثمانيةٍ مِنَ الصَّحابةِ قالوا : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَرْسَلَ بِنَفَقَةٍ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَأَقَامَ فِي بَيْتِهِ . . فَلَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ سَبْعُ مِئَةِ دِرْهَمٍ ، وَمَنْ غَزَا بِنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَأَنْفَقَ فِي وَجْهِ ذَٰلِكَ . . فَلَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ سَبْعُ مِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ » ثمَّ تلا هٰذهِ الآيةَ : ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (٢) .

وعن زيدِ بنِ خالدٍ الجُهَنيِّ : « مَنْ جَهَّزَ غَازِياً فِي سَبِيلِ ٱللهِ . . فَقَدْ غَزَا ، وَمَنْ خَلَفَ غَازِياً فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ . . فَقَدْ غَزَا » (٣) .

وأبو داوودَ عن أبي أُمامةَ : « مَنْ لَمْ يَغْزُ ، أَوْ يُجَهِّزْ غَازِياً ، أَوْ يَخْلُفْ غَازِياً فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ . . أَصَابَهُ ٱللهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ » (٤) .

ومسلمٌ عن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ قالَ : جاء رجلٌ بناقةٍ مَخْطومةٍ ، فقالَ :

← يا من يعانق دنيا لا بقاء لها … يمسي ويصبح مغروراً وغرّارا

هلّا تركت من الدنيا معانقةً … حتىٰ تعانق في الفردوس أبكارا

إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنُها … فينبغي لك ألا تأمنَ النارا

(١) سورة البقرة : (٢٦١) .

(٢) سورة البقرة : (٢٦١) ، والحديث أخرجه ابن ماجه (٢٨٨٨) عن سيدنا علي وأبي الدرداء ، وأبي هريرة وأبي أمامة ، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو ، وجابر وعمران بن حصين رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين .

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٤٣) ، ومسلم (١٨٩٥) .

(٤) سنن أبي داوود (٢٤٩٥) .

هـٰذهِ في سبيلِ اللهِ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَكَ بِهَا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ سَبْعُ مِئَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ »[1] .

[ما ضرَّ عثمانَ ما عملَ بعدَ اليومِ]

والترمذيُّ عن عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ خَبَّابٍ قالَ : شهدتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ يحثُّ علىٰ جيشِ العُسْرةِ ، فقامَ عثمانُ بنُ عفَّانَ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ عليَّ مئةُ بعيرٍ بأحلاسِها وأقتابِها في سبيلِ اللهِ ، ثمَّ حضَّ على الجيشِ ، فقامَ عثمانُ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ عليَّ مئتا بعيرٍ بأحلاسِها وأقتابِها في سبيلِ اللهِ ، ثمَّ حضَّ على الجيشِ ، فقامَ عثمانُ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ عليَّ ثلاثُ مئةِ بعيرٍ بأحلاسِها وأقتابِها في سبيلِ اللهِ ، فأنا رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ينزلُ عنِ المِنبرِ وهوَ يقولُ : « مَا عَلَىٰ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَـٰذِهِ ، مَا عَلَىٰ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَـٰذِهِ »[2] .

وأحمدُ عن عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ سَمُرَةَ قالَ : جاءَ عثمانُ بنُ عفَّانَ بألفِ دينارٍ في كُمِّهِ حينَ جهَّزَ جيشَ العُسْرةِ ، فنثرَها في حجرِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فرأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُقلِّبُها في حجرِهِ ، وهوَ يقولُ : « مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ » يُردِّدُها مراراً[3] .

وعن قتادةَ أنَّهُ قالَ : (حملَ عثمانُ في جيشِ العَسْرةِ علىٰ ألفِ بعيرٍ وسبعينَ فرساً)[4] .

---

(١) صحيح مسلم (١٨٩٢) .

(٢) سنن الترمذي (٣٧٠٠) .

(٣) مسند أحمد (٥/٦٣) .

(٤) أخرجه الآجري بنحوه في « الشريعة » (١٤١٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٩/٧٠) .

وعن حذيفةَ : بعثَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ عثمانَ في جيشِ العُسْرةِ ، فبعثَ إليهِ عثمانُ بعشرةِ آلافِ دينارٍ ، فصُبَّتْ بينَ يدَيهِ ، فجعلَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ بيدِهِ ويُقلِّبُها ظهراً لبطنٍ ، ويقولُ : « غَفَرَ ٱللهُ لَكَ يَا عُثْمَانُ مَا أَسْرَرْتَ وَمَا أَعْلَنْتَ ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ، مَا يُبَالِي مَا عَمِلَ بَعْدَهَا »[1] .

[مِنْ كرمِ سيِّدِنا عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ عوفٍ]

وعن أنسٍ قالَ : بينَما عائشةُ في بيتِها ؛ إذ سمعَتْ رجَّةً ، فقالَتْ : ما هـٰذا ؟! قالوا : عيرٌ لعبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ عوفٍ ، قدمَتْ مِنَ الشامِ ، تحملُ مِنْ كلِّ شيءٍ ، وكانَتْ سبعَ مئةِ بعيرٍ ، فارتجَّتِ المدينةُ مِنَ الصوتِ ، فقالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « قَدْ رَأَيْتُ عَبْدَ ٱلرَّحْمَـٰنِ يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ حَبْواً » فبلغَ ذٰلكَ عبدَ الرَّحمـٰنِ ، فقالَ : إنِ استطعتُ . . لأدخلنَّها قائماً ، فجعلَها بأحمالِها وأقتابِها في سبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ[2] .

وعنِ ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : « مَنْ فَدَىٰ أَسِيراً مِنْ أَيْدِي ٱلْعَدُوِّ . . فَأَنَا ذَٰلِكَ ٱلْأَسِيرُ »[3] .

فَصْلٌ

في الفِرارِ مِنَ الزَّحفِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٥/٣٩) .

(٢) أخرجه أحمد (١١٥/٦) ، والبزار في « مسنده » (٦٨٩٩) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٤٨٦) .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الصغير » (١٥١/١) .

فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [١] .

وأخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱجْتَنِبُوا ٱلسَّبْعَ ٱلْمُوبِقَاتِ » أي : المُهلِكاتِ ، قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ وما هُنَّ ؟ قالَ : « ٱلشِّرْكُ بِٱللهِ ، وَٱلسِّحْرُ ، وَقَتْلُ ٱلنَّفْسِ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ، وَأَكْلُ ٱلرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ ٱلْيَتِيمِ ، وَٱلتَّوَلِّي يَوْمَ ٱلزَّحْفِ ، وَقَذْفُ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْغَافِلَاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ » [٢] .

وأحمدُ : « مَنْ لَقِيَ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَأَدَّىٰ زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ مُحْتَسِباً ، وَسَمِعَ وَأَطَاعَ . . فَلَهُ ٱلْجَنَّةُ ـ أَوْ دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ ـ وَخَمْسٌ لَيْسَ لَهُنَّ كَفَّارَةٌ : ٱلشِّرْكُ بِٱللهِ ، وَقَتْلُ ٱلنَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَبَهْتُ مُؤْمِنٍ ، وَٱلْفِرَارُ مِنَ ٱلزَّحْفِ ، وَيَمِينٌ صَابِرَةٌ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالاً بِغَيْرِ حَقٍّ » [٣] .

والطبرانيُّ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْفَعُ مَعَهُنَّ عَمَلٌ : ٱلشِّرْكُ بِٱللهِ ، وَعُقُوقُ ٱلْوَالِدَيْنِ ، وَٱلْفِرَارُ مِنَ ٱلزَّحْفِ » [٤] .

❁ ❁ ❁

وأخرجَ أحمدُ والبزَّارُ : « ٱلْفَارُّ مِنَ ٱلطَّاعُونِ كَٱلْفَارِّ مِنَ ٱلزَّحْفِ ، وَمَنْ صَبَرَ فِيهِ . . كَانَ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ » [٥] .

والشيخانِ عن عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ عوفٍ أنَّهُ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِذَا سَمِعْتُمْ بِٱلطَّاعُونِ بِأَرْضٍ . . فَلَا تَدْخُلُوهَا

(١) سورة الأنفال : (١٦) .

(٢) صحيح البخاري (٢٧٦٦) ، وصحيح مسلم (٨٩) .

(٣) مسند أحمد (٣٦٢/٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٩٥/٢) عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه .

(٥) مسند أحمد (٣٦٠/٣) ، والبزار كما في « كشف الأستار » (٣٠٣٨) عن جابر رضي الله عنه .

عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ فِيهَا . . فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَاراً مِنْهُ »[1] .

تنبيه

[حكمُ الفِرارِ مِنَ الزَّحفِ]

إنَّ الفِرارَ مِنَ الزَّحفِ ـ أي : مِنْ كَافرٍ أو كفَّارٍ لم يزيدوا على الضعفِ ـ لغيرِ تحرُّفٍ لقتالٍ أو تحيُّزٍ إلىٰ فئةٍ يَستنجدُ بها . . مِنَ الكبائرِ المُهلِكةِ .

فصل

في الغُلولِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[2] .

وأخرجَ الطبرانيُّ عنِ المُسْتوردِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رُدُّوا الْمِخْيَطَ وَالْخِيَاطَ ؛ مَنْ غَلَّ مِخْيَطاً أَوْ خِيَاطاً . . كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَجِيءَ بِهِ ، وَلَيْسَ بِجَاءٍ »[3] .

وأبو داوودَ والحاكمُ : « إِذَا وَجَدْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ غَلَّ . . فَأَحْرِقُوا مَتَاعَهُ ، وَاضْرِبُوهُ »[4] .

---

(١) صحيح البخاري (٥٧٢٩) ، وصحيح مسلم (٢٢١٩) بنحوه وفيه قصة .

(٢) سورة آل عمران : (١٦١) .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣٠٣/٢٠) عن سيدنا المستورد بن شداد الفهري رضي الله عنه . وقوله : (**المخيط**) بكسر الميم : الإبرة ، (**والخياط**) أي : الخيط ، وهـٰذا قاله صلى الله عليه وسلم لما قفل من حنين ، فجاء رجل يستحلُّه خِياطاً أو مِخْيطاً ، وقوله : (وليس بجاءٍ) كناية عن دوام تعذيبه ؛ لأنه ليس بقادر علىٰ ردِّه .

(٤) مستدرك الحاكم (١٢٨/٢) ، وسنن أبي داوود (٢٧٠٦) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال ملا علي القاري في « مرقاة المفاتيح » (٢٠٥/٧) : (قال التوربشتي : إحراق المتاع كان في ←

والطبرانيُّ : « لَا يَغُلُّ مُؤْمِنٌ » (١) .

[الغُلولُ يمنعُ دخولَ الجنَّةِ]

ومسلمٌ عن عمرَ : لمَّا كانَ يومُ خيبرَ . . قُتِلَ نفرٌ مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالوا : فلانٌ شهيدٌ ، وفلانٌ شهيدٌ ، حتىٰ مرُّوا علىٰ رجلٍ فقالوا : فلانٌ شهيدٌ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كَلَّا ؛ إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي ٱلنَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ غَلَّهَا » ثمَّ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَا بْنَ ٱلْخَطَّابِ ؛ ٱذْهَبْ فَنَادِ فِي ٱلنَّاسِ : أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا ٱلْمُؤْمِنُونَ ثَلَاثاً » قالَ : فخرجتُ فنادَيتُ : ألا إنَّهُ لا يدخلُ الجنَّةَ إلَّا المؤمنونَ (ثلاثاً) (٢) .

وأبو داوودَ والطبرانيُّ : أُتِيَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بنَطْعٍ مِنَ الغنيمةِ ، فقيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ هٰذا لكَ تستظلُّ بهِ مِنَ الشمسِ ، قالَ :

← أول الأمر بالمدينة ثم نُسخ ، قال الخطابي : أما تأديبه في نفسه علىٰ سوء فعله . . فلا أعلم من أهل العلم فيه خلافاً ، وأما عقوبته في ماله . . فقال الحسن البصري : يحرق ماله إلا أن يكون مصحفاً أو حيواناً ، وبه قال جماعة من العلماء ، إلا أنه لا يحرق ما قد غلَّ ؛ لأنه حق الغانمين يردُّ عليهم ، وقال الشافعي : يعاقب الرجل في بدنه دون متاعه) .

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٧٧) عن سيدنا ابن عباسٍ رضي الله عنهما .

(٢) صحيح مسلم (١١٤) دون ذكر التثليث ، وذكر ذٰلك ابن الأثير في « جامع الأصول » (١٢١٩) وعزاه لمسلم والترمذي .

وزاد في هامش (هـ) : (ويحكىٰ : أن رجلين تخاصما في دارٍ ، وادعىٰ كل منهما أنها له ، فأنطق الله لبنة من ذٰلك الجدار ، فقالت : يا هٰذان ؛ إلىٰ كم تتخاصما ؟! وعزةِ ربي المعبود ؛ إني كنت ملكاً ، قد ملكت الدنيا ألف سنة ، ثم مت وصرت تراباً ألف سنة ، ثم أخذني خزاف للتراب ، فجُعلت فاستعملت ألف سنة ، ثم صرت بعد ذٰلك تراباً ألف سنة ، ثم أخذني خزاف وصيَّرني لبنة ، وجعلت في هٰذا الجدار منذ أربع مئة سنة ، فانصرف الرجلان ولم يتخاصما أبداً) .

« أَتُحِبُّونَ أَنْ يَسْتَظِلَّ نَبِيُّكُمْ بِظِلٍّ مِنْ نَارٍ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ؟! »[1] .

وأبو داوودَ : « مَنْ كَتَمَ عَلَىٰ غَالٍّ . . فَهُوَ مِثْلُهُ »[2] .

والطبرانيُّ : « إِنْ لَمْ تَغُلَّ أُمَّتِي . . لَمْ يَقُمْ لَهُمْ عَدُوٌّ أَبَداً » قالَ أبو ذرٍّ لحبيبِ بنِ مَسلَمةَ : هل يثبتُ لكُمُ العدوُّ حلبَ شاةٍ ؟ قالَ : نعم ، وثلاثِ شياهٍ عُزُزٍ[3] ، قالَ أبو ذرٍّ : غللتُم وربِّ الكعبةِ[4] .

وأحمدُ والنَّسائيُّ : « مَنْ غَزَا فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَلَمْ يَنْوِ إِلَّا عِقَالاً . . فَلَهُ مَا نَوَىٰ »[5] .

وأبو داوودَ : أنَّ رجلاً قالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ رجلٌ يُريدُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ وهوَ يبتغي [عرضاً مِنْ أعراضِ] الدُّنيا ؟[6] فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا أَجْرَ لَهُ » .

فأعظمَ ذٰلكَ النَّاسُ ، وقالوا للرَّجلِ : عُدْ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ لعلَّكَ [لم] تُفْهِمْهُ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ رجلٌ يُريدُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ وهوَ يبتغي غرضاً مِنْ أغراضِ الدُّنيا ؟ قالَ : « لَا أَجْرَ لَهُ » فقالوا

---

(١) أخرجه أبو داوود في « المراسيل » (٢٨٦) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧١٢٧) عن أبي حازم الأنصاري رحمه الله تعالىٰ . وقوله : (بنطع) أي : جلد .

(٢) سنن أبي داوود (٢٧١٠) عن سيدنا سَمُرة بن جندب رضي الله عنه .

(٣) قال ابن الأثير في « النهاية » (٣٠٢٠/٧) : (شياه غُزُر : جمع غزيرة ؛ أي : كثيرة اللبن ، هٰكذا جاء في رواية ، والمشهور المعروف : بالعين المهملة والزايين : جمع عَزُوز) أي : قليلة اللبن ، واضطربت النسخ في هٰذه الكلمة .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨١٠٤) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه .

(٥) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٣١٣٨) ، وأحمد (٣١٥/٥) عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

(٦) في النسخ كلها : (غرضاً من أغراض الدنيا) بالغين المعجمة ، والمثبت من المصادر .

للرَّجلِ : عُدْ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ لهُ الثالثةَ ، فقالَ : « لَا أَجْرَ لَهُ »[1] .

تنبيهٌ

[في بيانِ الغُلولِ]

إنَّ الغُلولَ : هوَ اختصاصُ أحدِ الغُزاةِ ـ سواءٌ الأميرُ وغيرُهُ ـ بشيءٍ مِنْ مالِ الغنيمةِ قبلَ القسمةِ ، مِنْ غيرِ أن يُحضِرَهُ إلىٰ أميرِ الجيشِ ؛ ليُخمِّسَهُ ويقسمَهُ قسمةً شرعيَّةً وإن قَلَّ المأخوذُ ، فهوَ حرامٌ ، بل هوَ كبيرةٌ كما صرَّحوا بهِ[2] .

فائدتان

إحداهُما

[في حكمِ ما حصلَ منَ الغنيمةِ قبلَ القسمةِ]

إنَّهُ إذا حصلَ شيءٌ مِنَ الغنيمةِ بيدِ أحدٍ مِنَ الجندِ ؛ فإن لم يُخمَّسْ أو لم يُقسَمِ الباقي قسمةً شرعيَّةً . . وجبَ الخمسُ في الذي صارَ إليهِ .

ولا يحِلُّ لهُ الانتفاعُ بالباقي ؛ حتىٰ يعلمَ أنَّهُ حصلَ لكلٍّ مِنَ الغانمينَ بقدرِ حصَّتِهِ مِنْ هٰذا .

فإن تعذَّرَ صرفُ ما صارَ إليهِ إلىٰ مُستحِقِّهِ . . دفعَهُ إلى القاضي العدلِ

---

(١) سنن أبي داوود (٢٥٠٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) انظر « الزواجر » (٢/٣٥٤) آخر الكبيرة (٤٠١) وزاد ابن حجر رحمه الله تعالىٰ : (نعم ؛ يجوز عندنا التبسط بأخذ بعض المأكول ؛ له أو لدابته من مال الغنيمة قبل القسمة بشروطٍ مذكورةٍ في محلها) .

كسائرِ الأموالِ الضائعةِ ، وإلَّا . . فإلىٰ عالِمٍ موثوقٍ بهِ وأعلمَهُ الحالَ ؛ ليصرفَهُ إلىٰ مصارفِهِ .

وثانيهما

[تحريمُ الغُلولِ مِنَ الأموالِ العامَّةِ]

إنَّهَ قالَ بعضُهُم : (كما يَحرُمُ الغُلولُ مِنَ الغنيمةِ . . يَحرُمُ الغُلولُ مِنَ الأموالِ المُشترَكةِ بينَ المسلمينَ ، ومِنْ بيتِ المالِ والزَّكاةِ ، ولا فرقَ في غالِّ الزَّكاةِ : بينَ أن يكونَ مِنْ مُستحِقِّيها وغيرِهِم ؛ لأنَّ الظَّفَرَ ممنوعٌ فيها ، إذ لا بدَّ فيها مِنَ النيَّةِ ، بل لو أفرزَ المالكُ قدرَها ونوىٰ . . لم يَجُزِ الظَّفَرُ أيضاً ؛ لتوقُّفِ ذٰلكَ علىٰ إعطاءِ المالكِ ، فعندَ عدمِ إعطائِهِ يتعذَّرُ المِلْكُ ، فكانَ باقياً علىٰ مِلْكِ مالكِهِ حتىٰ يُعطيَهُ ، فاتضحَ امتناعُ الظَّفَرِ في مالِ الزَّكاةِ مطلقاً)[1] .

* * *

(١) انظر « الزواجر » (٢/٣٥٤) .

بابٌ في الكهانة والعرافة والطِّيرة والتَّنجيم والسِّحر وإتيان أصحابها

أخرجَ البزّارُ عن عمرانَ بنِ حُصَينٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ ، وَمَنْ أَتَىٰ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ . . فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[1] .

وأبو داوودَ والترمذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجه والحاكمُ : « مَنْ أَتَىٰ عَرَّافاً أَوْ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ . . فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[2] .

والطبرانيُّ : « مَنْ أَتَىٰ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ . . فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ـ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ وَمَنْ أَتَاهُ غَيْرَ مُصَدِّقٍ لَهُ . . لَمْ يُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْماً »[3] .

وهوَ : « مَنْ أَتَىٰ كَاهِناً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ . . حُجِبَتْ [عَنْهُ] ٱلتَّوْبَةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ؛ فَإِنْ صَدَّقَهُ بِمَا قَالَ . . فَقَدْ كَفَرَ »[4] .

وهوَ أيضاً : « مَنْ أَتَىٰ عَرَّافاً أَوْ سَاحِراً أَوْ كَاهِناً يُؤْمِنُ بِمَا يَقُولُ . .

---

(١) مسند البزار (٣٥٧٨) .

(٢) مستدرك الحاكم (٨/١) واللفظ له ، وسنن أبي داوود (٣٨٩٩) ، وسنن الترمذي (١٣٥) ، وسنن النسائي الكبرىٰ (٨٩٦٨) ، وسنن ابن ماجه (٦٩٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٦٧٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٦٩/٢٢) عن سيدنا واثلة بن الأسقع رضي الله عنه .

فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[1] .

و[مسلمٌ][2] : « مَنْ أَتَىٰ عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، فَصَدَّقَهُ . . لَمْ يَقْبَلِ ٱللهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ يَوْماً »[3] .

وأبو داوودَ وابنُ ماجه : « مَنِ ٱقْتَبَسَ عِلْماً مِنَ ٱلنُّجُومِ . . ٱقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ ٱلسِّحْرِ ، زَادَ مَا زَادَ »[4] .

والشيخانِ عن أبي هريرةَ : « ٱجْتَنِبُوا ٱلسَّبعَ ٱلْمُوبِقَاتِ » قالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ وما هُنَّ ؟ قالَ : « ٱلشِّرْكُ بِٱللهِ ، وَٱلسِّحْرُ ، وَقَتْلُ ٱلنَّفْسِ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ، وَأَكْلُ ٱلرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ ٱلْيَتِيمِ ، وَٱلتَّوَلِّي يَوْمَ ٱلزَّحْفِ ، وَقَذْفُ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْغَافِلَاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ »[5] .

والنَّسائيُّ عنهُ : « مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا . . فَقَدْ سَحَرَ ، وَمَنْ سَحَرَ . . فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ بِشَيْءٍ . . وُكِلَ إِلَيْهِ »[6] أي : مَنْ يُعلِّقُ علىٰ نفسِهِ الحُروزَ والعُوَذَ . . وُكِلَ إليهِ .

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٧٦/١٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) ما بين معقوفين زيادة من المطبوع .

(٣) صحيح مسلم (٢٢٣٠) عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن ، وقال ابن الأثير في « جامع الأصول » (٣٠٧٦) : (وذكره الحميدي في مسند حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر أن أبا مسعود الثقفي أخرجه في « مسندها » ، قال : ولعله عرف أنه من حديث حفصة ، أو أن بعض الرواة قد نسبه إليها) .

(٤) سنن أبي داوود (٣٩٠٠) ، وسنن ابن ماجه (٣٨٨٠) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ومعنىٰ قوله : (زاد ما زاد) أي : كلما زاد من علم النجوم . . زاد له من الإثم مثل إثم الساحر ، أو زاد اقتباس شعب السحر ما زاده اقتباس علم النجوم ، وهـٰذا العلم منهي عنه . انظر « فيض القدير » (٨٠/٦) .

(٥) صحيح البخاري (٢٧٦٦) ، وصحيح مسلم (٨٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد تقدم (ص ٥٢٤) .

(٦) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٣٥٢٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وأحمدُ عن عثمانَ بنِ العاصِ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « كَانَ لِدَاوُودَ نَبِيِّ ٱللهِ سَاعَةٌ يُوقِظُ فِيهَا أَهْلَهُ ، يَقُولُ : يَا آلَ دَاوُودَ ؛ قُومُوا فَصَلُّوا ، فَإِنَّ هَـٰذِهِ ٱلسَّاعَةَ يَسْتَجِيبُ ٱللهُ فِيهَا ٱلدُّعَاءَ إِلَّا لِسَاحِرٍ أَوْ عَاشِرٍ »(١) .

تَنْبِيهٌ

[في تعريفِ الكَهانةِ والعِرافةِ وما تبعَهُما]

الكَهانةُ : هيَ الإخبارُ عنِ المُغيَّباتِ في مستقبلِ الزمانِ ، وادِّعاءُ علمِ الغيبِ ، وزعمُ أنَّ الجِنَّ تُخبِرُهُ بذٰلكَ .

والعِرافةُ : هيَ ادِّعاءُ معرفةِ السارقِ ومكانِ الضالَّةِ .

والطِّيَرةُ : هيَ التشاؤمُ بالشيءِ .

والتنجيمُ : هوَ ادِّعاءُ المُنجِّمِ معرفةَ الحوادثِ الآتيةِ في مستقبلِ الزمانِ ؛ كمجيءِ المطرِ والسيلِ وهبوبِ الرِّيحِ ، وتغيُّرِ الأسعارِ ونحوِ ذٰلكَ ، وهوَ يزعمُ أنَّهُ يُدرِكُ ذٰلكَ بسيرِ الكواكبِ لاقترانِها وافتراقِها وظهورِها في بعضِ الأزمانِ .

وهٰذا علمٌ استأثرَ اللهُ تعالىٰ بهِ ، لا يعلمُهُ أحدٌ غيرُهُ ؛ فَمَنِ ادَّعىٰ علمَهُ بذٰلكَ . . فهوَ فاسقٌ ، بل ربَّما يُؤدِّي ذٰلكَ إلى الكفرِ .

والسحرُ : تَخييلٌ يُؤثِّرُ في الأبدانِ بالأمراضِ والجنونِ والموتِ .

فكلُّ ما ذُكِرَ حرامٌ إجماعاً ، بل هيَ مِنَ الكبائرِ اتفاقاً ، يُكْفَرُ في بعضِ الأحوالِ .

---

(١) مسند أحمد (٤/٢٢) .

[عقوبةُ الساحِرِ وهل لهُ توبةٌ ؟]

وقالَ الشافعيُّ : (إنَّ القتلَ بالسِّحرِ يُوجِبُ القِصاصَ علىٰ مَنْ قَتَلَ بهِ)[1] .

وقالَ أبو حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ : (إنَّ الساحرَ يُقتَلُ مطلقاً إذا عُلِمَ أنَّهُ ساحرٌ ؛ بإقرارِهِ أو ببيّنةٍ تشهدُ أنَّهُ ساحرٌ ، ويصفونَهُ بصفةٍ يُعلَمُ أنَّهُ ساحرٌ ، ولا يُقبَلُ قولُهُ : أتركُ السِّحرَ وأتوبُ عنهُ) .

وسُئِل أبو حنيفةَ : لِمَ لم يكنِ الساحرُ بمنزلةِ المُرتدِّ حتىٰ تُقبَلَ توبتُهُ ؟!

فقالَ : (لأنَّهُ جمعَ معَ كفرِهِ السَّعيَ في الأرضِ بالفسادِ ، ومَنْ كانَ كذٰلكَ . . يُقتَلُ مطلقاً)[2] .

[ساحرةٌ تستفتي سيّدتَنا عائشةَ]

ورُوِيَ : أنَّ امرأةً أتَتْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها ، فقالَتْ : أنا ساحرةٌ ؛ هل لي مِنْ توبةٍ ؟

قالَتْ : (وما سحرُكِ ؟) فقالَتْ : سرتُ إلى الموضعِ الذي فيهِ هاروتُ وماروتُ أطلبُ علمَ السِّحرِ ، فقالا : يا أمَةَ اللهِ ؛ لا تختاري عذابَ الآخرةِ بأمرِ الدُّنيا ، فأبيتُ .

فقالا لي : اذهبي فبولي علىٰ ذٰلكَ الرَّمادِ ، فذهبتُ لأبولَ ، ففكَّرتُ في نفسي ، فقلتُ : لا فعلتُ ، وجئتُ إليهما ، فقلتُ : قد فعلتُ .

---

(١) انظر تفصيل الإمام الماوردي في « الحاوي الكبير » (١٦/٣٥٣) ، ويثبت القتل بالسحر بإقرار لا ببينة ، والقصاص منه يكون بالسيف ؛ لتعذُّر المماثلة .

(٢) انظر « الدر المختار » (ص ٣٤٧) .

فقالا لي : ما رأيتِ لمَّا فعلتِ ؟ فقلتُ : ما رأيتُ شيئاً ، فقالا لي : فاتَّقي اللهَ ولا تفعلي ، فأبيتُ .

فقالا لي : اذهبي فافعلي ، فذهبتُ وفعلتُ ، فرأيتُ كأنَّ فارساً مُقنَّعاً بالحديدِ قد خرجَ مِنْ فرجي ، فصعِدَ إلى السماءِ ، فجئتُهُما فأخبرتُهُما ، فقالا : ذاكَ إيمانُكِ خرجَ منكِ ، وقد أحسنتِ السِّحرَ .

قلتُ : وما هوَ ؟ قالا : لا تُريدينَ من شيءٍ فتُصوِّرينَهُ في وهمِكِ إلَّا كانَ ، فتصوَّرتُ في نفسي حبّاً مِنْ حنطةٍ ؛ فإذا أنا بحَبٍّ ، فقلتُ : انزرعْ فانزرعَ ، فخرجَ مِنْ ساعتِهِ سنبلاً ، فقلتُ : انطحنْ ، فانطحنَ مِنْ ساعتِهِ وانخبزَ ، فأنا لا أُريدُ شيئاً أُصوِّرُهُ في نفسي . . إلَّا حصلَ ، فقالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (ليسَ لكِ توبةٌ)(١) .

[قصَّةُ جندبٍ وقتلِهِ الساحرَ]

وروىٰ سفيانُ عن عامرٍ الذهبيِّ : أنَّ ساحراً كانَ عندَ الوليدِ بنِ عُقبةَ يمشي على الحبلِ ، ويدخلُ في اَستِ الحمارِ ويخرجُ مِنْ فيهِ ، فاستلَّ جندبٌ سيفَهُ وقتلَهُ بهِ ، وهوَ جندبُ بنُ كعبٍ الأزديُّ ، وهوَ الذي قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في حقِّهِ : « يَكُونُ مِنْ أُمَّتِي رَجُلٌ ، يُقَالُ لَهُ : جُنْدُبٌ ، يَضْرِبُ ضَرْبَةً بِٱلسَّيْفِ يُفَرِّقُ بِهَا بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ » فكانوا يرونَهُ جندباً هـٰذا قاتلَ الساحرِ(٢) .

* * *

(١) ذكر هـٰذه القصة ابن عادل في « اللباب في علوم الكتاب » (٣٣٤/٢) دون عزو لأحد ، وابن حجر في « الزواجر » (٢٠٤/٢) ضمن الكبيرة (٣٢٠) .

(٢) أورده القرطبي في « تفسيره » (٤٧/٢) ، وابن عادل في « اللباب في علوم الكتاب » (٣٠٢/٢) ، وابن حجر في « الزواجر » (٢٠٢/٢) .

بابُ الزِّنا

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [1] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [2] ؛ أي : عقوبةً ، قالَ مجاهدٌ : (هوَ اسمُ وادٍ في جهنَّمَ) [3] ، وقيلَ : بئرٌ فيها ، ﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۞ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ [4] .

وقالَ : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ ﴾ أي : في حُكْمِهِ ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [5] هٰذا في غيرِ المُحصَنِ ، أمَّا المُحصَنُ . . فيُرجَمُ إلىٰ أن يموتَ ؛ لِما ثبتَ في الخبرِ الصحيحِ [6] .

وأخرجَ الشيخانِ وأحمدُ والترمذيُّ والنَّسائيُّ عنِ ابنِ مسعودٍ قالَ : سألتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أيُّ الذَّنبِ أعظمُ عندَ اللهِ ؟ قالَ : « أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ » قلتُ : إنَّ ذٰلكَ لعظيمٌ ، قلتُ : ثمَّ أيّ ؟ قالَ :

(١) سورة الإسراء : (٣٢) .

(٢) سورة الفرقان : (٦٨) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٥٤١٠) ، والبيهقي في « البعث والنشور » (١٠٥٣) .

(٤) سورة الفرقان : (٦٩) .

(٥) سورة النور : (٢) .

(٦) أخرج البخاري (٦٨٢٠) ، ومسلم (١٦٩١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قصة الذي أقر علىٰ نفسه بالزنا أربع مرات ، ثم قال له : « فهل أحصنت ؟ » قال : نعم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « اذهبوا به فارجموه » وفي آخر الحديث : فرُجم حتىٰ مات ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خيراً ، وصلىٰ عليه .

« أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ » قلتُ : ثمَّ أيّ ؟ قالَ : « أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ »(١) .

[الزِّنا والإيمانُ لا يجتمعانِ]

والشيخانِ وأبو داوودَ والترمذيُّ : « لَا يَزْنِي ٱلزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ ٱلسَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ ٱلْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ »(٢) .

زادَ النَّسائيُّ : « فَإِذَا فَعَلَ ذَٰلِكَ . . فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ ٱلْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ ، فَإِنْ تَابَ . . تَابَ ٱللهُ عَلَيْهِ »(٣) .

وأبو داوودَ والبيهقيُّ والترمذيُّ : « إِذَا زَنَى ٱلرَّجُلُ . . خَرَجَ مِنْهُ ٱلْإِيمَانُ وَكَانَ عَلَيْهِ كَٱلظُّلَّةِ ، فَإِذَا أَقْلَعَ . . رَجَعَ إِلَيْهِ ٱلْإِيمَانُ »(٤) .

والحاكمُ : « مَنْ زَنَىٰ أَوْ شَرِبَ ٱلْخَمْرَ . . نُزِعَ مِنْهُ ٱلْإِيمَانُ كَمَا يَخْلَعُ ٱلْإِنْسَانُ ٱلْقَمِيصَ مِنْ رَأْسِهِ »(٥) .

وأبو داوودَ والنَّسائيُّ : « لَا يَحِلُّ دَمُ ٱمْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللهِ إِلَّا فِي إِحْدَىٰ ثَلَاثٍ : زِناً بَعْدَ إِحْصَانٍ ؛ فَإِنَّهُ يُرْجَمُ ، وَرَجُلٌ خَرَجَ مُحَارِباً لِلهِ وَرَسُولِهِ . . فَإِنَّهُ يُقْتَلُ ، أَوْ يُصْلَبُ ،

---

(١) صحيح البخاري (٤٤٧٧) ، وصحيح مسلم (٨٦) وسنن الترمذي (٣١٨٢) ، وسنن النسائي الكبرىٰ (٣٤٦٢) ، ومسند أحمد (١/٣٨٠) .

(٢) صحيح البخاري (٢٤٧٥) ، وصحيح مسلم (٥٧) ، وسنن أبي داوود (٤٦٥٦) ، وسنن الترمذي (٢٦٢٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٧٣١٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) سنن أبي داوود (٤٦٥٧) ، وسنن الترمذي (٢٦٢٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٩٧٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) مستدرك الحاكم (١/٢٢) .

أَوْ يُنْفَىٰ مِنَ ٱلْأَرْضِ ، وَرَجُلٌ قَتَلَ نَفْساً . . فَيُقْتَلُ بِهَا »[1] .

وابنُ أبي الدُّنيا : « مَا مِنْ ذَنْبٍ بَعْدَ ٱلشِّرْكِ أَعْظَمُ عِنْدَ ٱللهِ مِنْ نُطْفَةٍ وَضَعَهَا رَجُلٌ فِي رَحِمٍ لَا يَحِلُّ لَهُ »[2] .

[زنيةٌ واحدةٌ أذهبَتْ عبادةَ ستِّينَ سنةً]

وابنُ حِبَّانَ في « صحيحِهِ » : أَنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « تَعَبَّدَ عَابِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَعَبَدَ ٱللهَ فِي صَوْمَعَتِهِ سِتِّينَ عَاماً ، فَأَمْطَرَتِ ٱلْأَرْضُ ، فَٱخْضَرَّتْ ، فَأَشْرَفَ ٱلرَّاهِبُ مِنْ صَوْمَعَتِهِ ، فَقَالَ : لَوْ نَزَلْتُ فَذَكَرْتُ ٱللهَ تَعَالَىٰ . . فَٱزْدَدْتُ خَيْراً ، فَنَزَلَ وَمَعَهُ رَغِيفٌ أَوْ رَغِيفَانِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي ٱلْأَرْضِ . . لَقِيَتْهُ ٱمْرَأَةٌ ، فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُهَا وَتُكَلِّمُهُ حَتَّىٰ غَشِيَهَا ، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ[3] ، ثُمَّ مَاتَ ، فَوُزِنَتْ عِبَادَةُ سِتِّينَ سَنَةً بِتِلْكَ ٱلزَّنْيَةِ . . فَرَجَحَتِ ٱلزَّنْيَةُ بِحَسَنَاتِهِ »[4] .

والبزَّارُ : « إِنَّ ٱلسَّمَاوَاتِ ٱلسَّبْعَ وَٱلْأَرَضِينَ ٱلسَّبْعَ لَيَلْعَنَّ ٱلشَّيْخَ ٱلزَّانِيَ ، وَإِنَّ فُرُوجَ أَهْلِ ٱلزِّنَا لَيُؤْذِي أَهْلَ ٱلنَّارِ نَتْنُ رِيحِهَا »[5] .

والخرائطيُّ وغيرُهُ : « ٱلْمُقِيمُ عَلَى ٱلزِّنَا كَعَابِدِ وَثَنٍ »[6] ، أعاذَنا اللهُ منهُ .

---

(١) سنن أبي داوود (٤٣٥٣) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وسنن النسائي الكبرىٰ (٣٤٦٨) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الورع » (١٣٦) عن الهيثم بن مالك الطائي رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

(٣) زاد في « صحيح ابن حبان » : (ثم أغمي عليه ، فنزل الغدير يستحم ، فجاءه سائل ، فأومأ إليه أن يأخذ الرغيفين أو الرغيف ، ثم مات) .

(٤) صحيح ابن حبان (٣٧٨) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه .

(٥) مسند البزار (٤٤٣١) عن سيدنا بريدة رضي الله عنه .

(٦) أخرجه الخرائطي في « مساوئ الأخلاق » (٤٧٥) ، وعزاه في « كنز العمال » (١٢٩٩٦) لابن عساكر ، وقد أخرج نحوه في « تاريخ دمشق » (٢١/٢٤٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

وأبو داوودَ : « مَنْ جَامَعَ ٱلْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ . . فَإِنَّهُ مِثْلُهُ »[1] .

[صورٌ مِنْ عقوباتِ الزُّناةِ]

والبخاريُّ : « رَأَيْتُ ٱللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ ، فَأَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْمُقَدَّسَةِ . . . » فذكرَ الحديثَ إلىٰ أن قالَ : « فَٱنْطَلَقَا بِي إِلَىٰ ثَقْبٍ مِثْلِ ٱلتَّنُّورِ ؛ أَعْلَاهُ ضَيِّقٌ ، وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ ، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَاراً ؛ فَإِذَا ٱرْتَفَعَتِ . . ٱرْتَفَعُوا حَتَّىٰ كَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا ، فَإِذَا خَمَدَتْ . . رَجَعُوا فِيهَا ، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ . . . » الحديثَ ، وفي آخِرِهِ : « فَأَمَّا ٱلرِّجَالُ وَٱلنِّسَاءُ ٱلْعُرَاةُ ، ٱلَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ ٱلتَّنُّورِ . . فَإِنَّهُمُ ٱلزُّنَاةُ وَٱلزَّوَانِي »[2] .

وابنُ أبي الدُّنيا والخرائطيُّ عن عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ قالَ : « إِنَّ ٱلنَّاسَ يُرْسَلُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ رِيحٌ مُنْتِنَةٌ ؛ حَتَّىٰ يَتَأَذَّىٰ مِنْهَا كُلُّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتْ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ . . نَادَاهُمْ مُنَادٍ يُبْلِغُهُمُ ٱلصَّوْتَ ، فَيَقُولُ لَهُمْ : هَلْ تَدْرُونَ هَـٰذِهِ ٱلرِّيحَ ٱلَّتِي قَدْ آذَتْكُمْ ؟ يَقُولُونَ : لَا نَدْرِي وَٱللهِ ؛ إِلَّا أَنَّهَا قَدْ بَلَغَتْ مِنَّا كُلَّ مَبْلَغٍ !! فَيُقَالُ : أَلَا إِنَّهَا رِيحُ فُرُوجِ ٱلزُّنَاةِ ٱلَّذِينَ لَقُوا ٱللهَ بِزِنَاهُمْ ، وَلَمْ يَتُوبُوا مِنْهُ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ عَنْهُمْ »[3] .

ورُوِيَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ إِبْلِيسَ يَبُثُّ جُنُودَهُ فِي

---

(١) سنن أبي داوود (٢٧٨٠) عن سيدنا سمرة بن جندب رضي الله عنه ، ومعناه : أن الإقبال على عدو الله وموالاته توجب الإعراض عن الله ، ومن أعرض عن الله سبحانه . . تولاه الشيطان ونقله إلى الكفران ، وقيل غير ذلك . انظر « فيض القدير » (٦/١١١ ـ ١١٢) .

(٢) صحيح البخاري (١٣٨٦ ، ٧٠٤٧) عن سيدنا سمرة بن جندب رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الخرائطي في « اعتلال القلوب » (١٦٢) ، وفي « مساوئ الأخلاق » (٤٧٣) ، وعزاه في « الزواجر » (٢/٢٧٠) لابن أبي الدنيا للخرائطي .

ٱلْأَرْضِ وَيَقُولُ : أَيُّكُمْ أَضَلَّ مُسْلِماً . . أُلْبِسُهُ ٱلتَّاجَ عَلَىٰ رَأْسِهِ ، فَأَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً . . أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ مَنْزِلَةً ؛ فَيَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : لَمْ أَزَلْ بِفُلَانٍ حَتَّىٰ طَلَّقَ ٱمْرَأَتَهُ ، فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئاً ؛ سَوْفَ يَتَزَوَّجُ غَيْرَهَا .

ثُمَّ يَجِيءُ ٱلْآخَرُ فَيَقُولُ : لَمْ أَزَلْ بِفُلَانٍ حَتَّىٰ أَلْقَيْتُ بينَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ ٱلْعَدَاوَةَ ، فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئاً ؛ سَوْفَ يُصَالِحُهُ .

ثُمَّ يَجِيءُ ٱلْآخَرُ فَيَقُولُ : لَمْ أَزَلْ بِفُلَانٍ حَتَّىٰ زَنَىٰ ، فَيَقُولُ إِبْلِيسُ : نِعْمَ مَا فَعَلْتَ ، فَيُدْنِيهِ مِنْهُ ، وَيَضَعُ ٱلتَّاجَ عَلَىٰ رَأْسِهِ »(١) ، نعوذُ باللهِ مِنْ شرِّ الشيطانِ وجنودِهِ .

❁ ❁ ❁

وعنهُ أيضاً : « إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وَادِياً ، يُقَالُ لَهُ : جُبُّ ٱلْحُزْنِ ، فِيهِ حَيَّاتٌ وَعَقَارِبُ ، كُلُّ عَقْرَبٍ تَعْدِلُ ٱلْبَغْلَ ، لَهَا سَبْعُونَ شَوْكَةً ، فِي كُلِّ شَوْكَةٍ زَاوِيَةُ سُمٍّ ، تَضْرِبُ ٱلزَّانِيَ وَتُفْرِغُ سُمَّهَا فِي جِسْمِهِ ، يَجِدُ مَرَارَةَ وَجَعِهَا أَلْفَ سَنَةٍ ، ثُمَّ يَتَهَرَّىٰ لَحْمُهُ ، وَيَسِيلُ مِنْ فَرْجِهِ ٱلْقَيْحُ وَٱلصَّدِيدُ »(٢) .

❁ ❁ ❁

وورِدَ أنَّ في الزَّبورِ مكتوباً : « إِنَّ ٱلزُّنَاةَ يُعَلَّقُونَ بِفُرُوجِهِمْ فِي ٱلنَّارِ ، وَيُضْرَبُونَ عَلَيْهَا بِسِيَاطٍ مِنْ حَدِيدٍ ، فَإِذَا ٱسْتَغَاثَ أَحَدُهُمْ مِنَ ٱلضَّرْبِ . .

---

(١) أخرجه الأصبهاني بنحوه في « الترغيب والترهيب » (١٢١٣) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وأورده الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٥٧) ضمن الكبيرة (١٠) بلفظه دون عزو لأحد .

(٢) أورده الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٥٨) ضمن الكبيرة (١٠) ، وابن حجر في « الزواجر » (٢/٢٧٤) ضمن الكبيرة (٣٥٨) دون عزوٍ لأحد .

نَادَتْهُ ٱلزَّبَانِيَةُ : أَيْنَ كَانَ هَـٰذَا ٱلصَّوْتُ وَأَنْتَ تَضْحَكُ وَتَفْرَحُ وَتَمْرَحُ ، وَلَا تُرَاقِبُ ٱللهَ وَلَا تَسْتَحْيِي [مِنْهُ] ؟! »[١] .

❁ ❁ ❁

وورد أيضاً : « إِنَّ مَنْ زَنَىٰ بِٱمْرَأَةٍ مُزَوَّجَةٍ . . كَانَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهَا فِي ٱلْقَبْرِ نِصْفُ عَذَابِ هَـٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ . . يُحَكِّمُ ٱللهُ تَعَالَىٰ زَوْجَهَا فِي حَسَنَاتِهِ ، هَـٰذَا إِذَا كَانَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ ، فَإِنْ عَلِمَ وَسَكَتَ . . حَرَّمَ ٱللهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ؛ لِأَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ كَتَبَ عَلَىٰ بَابِهَا : أَنْتِ حَرَامٌ عَلَى ٱلدَّيُّوثِ »[٢] ؛ وهوَ الذي يعلمُ الفاحشةَ في أهلِهِ ويسكتُ ولا يغارُ .

[شهادةُ الأعضاءِ واللِّسانِ على الزاني عندَ الملكِ الدَّيَّانِ]

وورد أيضاً : « إِنَّ مَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى ٱمْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ بِشَهْوَةٍ . . جَاءَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مَغْلُولَةً يَدَاهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ ؛ فَإِنْ قَبَّلَهَا . . قُرِضَتْ شَفَتَاهُ فِي ٱلنَّارِ ، فَإِنْ زَنَىٰ بِهَا . . نَطَقَتْ فَخِذُهُ وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَقَالَتْ : أَنَا لِلْحَرَامِ رَكِبْتُ ، فَيَنْظُرُ ٱللهُ إِلَيْهِ بِعَيْنِ ٱلْغَضَبِ ، فَيَقَعُ لَحْمُ وَجْهِهِ ، فَيُكَابِرُ وَيَقُولُ : مَا فَعَلْتُ ، فَيَشْهَدُ عَلَيْهِ لِسَانُهُ وَيَقُولُ : أَنَا بِمَا لَا يَحِلُّ لِي نَطَقْتُ ، وَتَقُولُ يَدَاهُ : أَنَا لِلْحَرَامِ تَنَاوَلْتُ ، وَتَقُولُ عَيْنُهُ : أَنَا لِلْحَرَامِ نَظَرْتُ ، وَتَقُولُ رِجْلُهُ : أَنَا لِمَا لَا يَحِلُّ لِي مَشَيْتُ ، وَيَقُولُ فَرْجُهُ : أَنَا فَعَلْتُ ، وَيَقُولُ ٱلْحَافِظُ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ : أَنَا سَمِعْتُ ، وَيَقُولُ ٱلْمَلَكُ ٱلْآخَرُ : أَنَا كَتَبْتُ ، وَيَقُولُ ٱللهُ تَعَالَىٰ : وَأَنَا ٱطَّلَعْتُ وَسَتَرْتُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا مَلَائِكَتِي ؛ خُذُوهُ ،

---

(١) أورده ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢/٢٦٥) ضمن الكبيرة (٣٥٨) دون عزوٍ لأحد .

(٢) أورده الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٥٨) ، وابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢/٢٧٤) دون عزو لأحد .

وَمِنْ عَذَابِي فَأَذِيقُوهُ ، فَقَدِ ٱشْتَدَّ غَضَبِي عَلَىٰ مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ مِنِّي »[1] .

تَنْبِيهٌ

[الزّنا مِنْ أكبرِ الكبائرِ]

الزِّنا أكبرُ الكبائرِ بعدَ القتلِ إجماعاً ، ومِنْ ثَمَّ قرنَهُ اللهُ تعالىٰ بالشِّركِ والقتلِ في الآيةِ السابقةِ ، وقيلَ : هوَ أكبرُ مِنَ القتلِ ، فهوَ الذي يلي الشِّركَ .

وأفحشُ أنواعِهِ : الزِّنا بحليلةِ الجارِ ، ويَكفرُ مُستحِلُّهُ ، ومَنْ تمنَّىٰ ألَّا يُحرَّمَ .

[تفصيلُ حدِّ الزَّاني]

واعلمْ : أنَّ حدَّ الزَّاني المُحصَنِ : الرَّجمُ فقطْ إلىٰ أن يموتَ ، والمُحصَنُ هنا : الواطئُ والموطوءةُ في القُبُلِ في نكاحٍ صحيحٍ [ولو مرةً في عمرِهِ][2] .

ويجوزُ للمُضطرِّ قتلُهُ وأكلُهُ ؛ كتاركِ الصَّلاةِ بلا عذرٍ ، ولا قِصاصَ علىٰ مَنْ قتلَهُما .

وحدُّ غيرِهِ : جلدُ مئةٍ ، وتغريبُ عامٍ وِلاءً إن كانَ حُرّاً ، ومَنْ زنىٰ بِكراً ثمَّ مُحصَناً . . يُجلَدُ ثمَّ يُرجَمُ[3] .

---

(١) أورده الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٥٨) ، وابن حجر في « الزواجر » (٢/٢٧٤) دون عزو لأحد .

(٢) ما بين معقوفين زيادة من المطبوع .

(٣) قال العلامة القليوبي في « حاشيته علىٰ شرح المحلي » (٤/١٨٠) : (كما دخل فيه ـ أي : الحد ـ الجلد لو سبقه ؛ كأن زنىٰ بكراً ثم محصناً . . فيُرجم فقط ، ولا يُجلد ولا يُغرَّب ، علىٰ قاعدة : ما أوجب أعظم الأمرين بخصوصه . . لا يوجب أدونهما بعمومه ؛ كما في الحدث الأصغر مع الأكبر ، كذا قالوا هنا ، وفيه تأمل) .

وحدُّ مَنْ فيهِ رِقٌّ وتغريبُهُ : نصفُ الحُرِّ .

[قصَّةُ رجمِ القرودِ]

ورُوِيَ عن [عمرو] بنِ ميمونٍ[1] قالَ : (كنتُ في حَرْثٍ ، فرأيتُ قروداً كثيرةً قدِ اجتمعْنَ ، فرأيتُ قِرْدةً وقرداً اضطجعا ، ثمَّ أدخلَتِ القِردةُ يدَها تحتَ عنقِ القردِ واعتنقَها وناما ، فجاءَ قردٌ فغمزَها ، فنظرَتْ إليهِ واستلَّتْ يدَها مِنْ تحتِ رأسِ القردِ ، ثمَّ انطلقَتْ معَهُ غيرَ بعيدٍ ، فنكحَها وأنا أنظرُ ، ثمَّ رجعَتْ إلىٰ موضعِها ، فذهبَتْ تُدخِلُ يدَها تحتَ عنقِ القردِ فانتبهَ ، فشمَّ دُبُرَها ، قال : فاجتمعَتِ القردةُ ، فجعلَ يشيرُ إليها ، فتفرقَتِ القردةُ ، فلم ألبثْ أن جيءَ بذٰلكَ القردِ بعينِهِ أعرفُهُ ، فانطلقوا بها وبهِ إلىٰ موضعٍ كثيرِ الرملِ ، فحفروا لهُما حفرةً ، فجعلوهُما فيها ، ثمَّ رجموهُما حتىٰ ماتا)[2] .

[قصَّةُ العابدِ والمرأةِ]

وعنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما أنَّهُ قالَ : (كانَ في بني إسرائيلَ راهبٌ مُتفرّدٌ في صومعتِهِ دهراً طويلاً ، وكان مَلِكٌ يأتيهِ كلَّ يومٍ غدوّاً وعشيّاً[3] ، ويقولُ لهُ : ألكَ حاجةٌ ؟ وأنبتَ اللهُ لهُ في الحجرِ فوقَ صومعتِهِ كرماً ، يحملُ لهُ في كلِّ يومٍ قِطْفاً مِنَ العنبِ ، وكانَ إذا عطشَ . . مدَّ يدَهُ فيُسكَبُ فيها الماءُ .

---

(١) في النسخ : (عمر بن ميمون) ، والمثبت من كتب التخريج والتراجم .

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٤٩) مختصراً ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٦/٤٦) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٥١٤١) بهٰذا التفصيل ، ثم قال : (فوالله ؛ لقد رأيت الرجم قبل أن يبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم) .

(٣) أي : ملك ذٰلك الزمان .

فبينَما هوَ كذٰلكَ . . إذا هوَ بامرأةٍ ذاتِ حسنٍ وجمالٍ معَ العِشاءِ ، فنادتْهُ : يا راهبُ ؛ بحقِّ المعبودِ . . إلَّا ما بيَّتَّني عندَكَ اللَّيلةَ ؛ فإنَّ مكاني بعيدٌ ، فقالَ : اصعدي .

فلمَّا صارَتْ عندَهُ . . رمَتْ ثوبَها وقامَتْ عُريانةً تجلو نفسَها ، فغطَّىٰ وجهَهُ ، ثمَّ قالَ لها : ويلَكِ استتري !! فقالَتْ : واللهِ ؛ لا بدَّ لي منكَ أن تتمتعَ اللَّيلةَ بي ، فقالَ [الراهبُ] لنفسِهِ : ما تقولينَ ؟ فقالَتِ : اتَّقِ اللهَ .

فقالَ لها : ويحَكِ ؛ تُريدينَ أن تذهبي بعبادتي ، وتُذيقيني سرابيلَ القَطِرانِ ، ومُفظِعاتِ النِّيرانِ ؟! وأخافُ عليكِ مِنْ نارٍ لا تُطفَأُ ، وعذابٍ لا يفنىٰ ، وأخافُ أن يغضبَ ربُّنا فلا يرضىٰ .

فراودَتْهُ نفسُهُ ، فقالَ لها : أعرضُ عليكِ ناراً صغيرةً ، فإن صبرتِ عليها . . متَّعتُكِ اللَّيلةَ ، فقامَ وملأَ السِّراجَ زيتاً ، وغلَّظَ فتيلةً والمرأةُ تسمعُ وتُبصِرُ ، ثمَّ أخذَ إصبَعهُ فأدخلَهُ في السِّراجِ ، فلم تحرقْهُ ، فصاحَ بها مَلَكٌ مِنَ السماءِ : احرقي إبهامَهُ ، فأكلَتْ إبهامَهُ ، ثمَّ رجعَتْ إلى السبَّابةِ فأكلَتْها ، ثمَّ كذٰلكَ حتىٰ أكلَتْ يدَهُ ، فصاحَتِ المرأةُ صيحةً فماتَتْ ، فسترَها بثوبِها وقامَ إلى الصَّلاةِ .

فلمَّا أصبحَ . . وقفَ إبليسُ عندَ صومعتِهِ وصرخَ في المدينةِ : إنَّ الرَّاهبَ قد زنىٰ بفلانةَ وقتلَها ، فركبَ مَلِكُ المدينةِ في مملكتِهِ ، وصاحَ بِهِ فأجابَهُ ، فقالَ : أينَ فلانةُ ؟ قالَ : عندي .

فقالَ : قُلْ لها : تنزلُ ، قالَ : إنَّها ماتَتْ ، قالَ : فما رضيتَ بالزِّنا حتىٰ قتلتَها ؟!

فخرَّبوا الدَّيرَ ، وهدموا الصومعةَ ، وجعلوا في رقبتِهِ حبلاً ، وحُمِلَتِ

المرأةُ ، وجيءَ بالرَّجلِ إلىٰ موقفِ العذابِ ، وكانَ القومُ ينشرونَ الزَّانيَ والزَّانيةَ بالمناشيرِ ، ويدُهُ ملفوفةٌ في كُمِّهِ ، لا يُعلِمُهُم ولا يُحدِّثُهُم بقصَّتِهِ .

فوُضِعَ المنشارُ علىٰ رأسِهِ ، وقالَ لأصحابِ العذابِ : جُرُّوا ، فجرُّوا وبلغَ إلىٰ عنقِهِ ، فتأوَّهَ ، فأوحى اللهُ إلىٰ جبريلَ عليهِ السلامُ : أن قُلْ لهُ : لا تنطقْ بها ، أنا أنظرُ إليكَ ؛ فقد أبكيتَ حملةَ العرشِ وسكَّانَ سماواتي ، وعزَّتي وجلالي ؛ لئن تأوَّهتَ ثانيةً . . لأهدمَنَّ السماواتِ ، ولأخسفَنَّ بِمَنْ في الأرضِ) .

قالَ ابنُ عباسٍ : (فردَّ الرُّوحَ في المرأةِ ، فقامَتْ وقالَتْ : واللهِ ؛ هوَ مظلومٌ ، وما زنىٰ بي وما قتلَني ، وأنا بخاتَمِ ربِّي .

ثمَّ قصَّتْ عليهِمُ القصَّةَ ، فأخرجوا يدَهُ ؛ فإذا هيَ مُحرَقةٌ ، فقالوا : لو علمنا . . ما نشرناكَ .

فخرَّ ميّتاً ، وخرَّتِ المرأةُ ميّتةً ، فحفروا لهُما قبراً . . فوجدوا فيهِ مسكاً وكافوراً ، ثمَّ غسَّلوهُما وكفَّنوهُما ، وصلَّوا عليهِما ودفنوهُما .

فنادىٰ منادٍ مِنَ السماءِ : إنَّ اللهَ تعالىٰ قد نصبَ الميزانَ تحتَ العرشِ ، وأشهدَ ملائكتَهُ : أنِّي زوَّجتُهُ خمسينَ ألفَ عروسٍ مِنَ الفردوسِ ، وهٰكذا أفعلُ بأهلِ المراقبةِ)[1] ، نفعَنا اللهُ بهِ .

[قصَّةُ العابدِ والتائبةِ]

وعنِ الحسنِ قالَ : (كانتِ امرأةٌ بغيَّةٌ في زمنِ بني إسرائيلَ ، لها

---

(١) أوردها ابن الجزري في « الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح » (ص ٤٨ ـ ٤٩) بنحوها .

ثلثُ الحسنِ ، لا تُمكِّنُ مِنْ نفسِها إلَّا بمئةِ دينارٍ ، وإنَّهُ أبصرَها عابدٌ فأعجبَتْهُ ، فذهبَ وعملَ بيدِهِ وعالجَ ، فجمعَ مئةَ دينارٍ ، ثمَّ جاءَ إليها وقالَ : إنَّكِ أعجبتِني ، فانطلقتُ فعملتُ بيدي ، وعالجتُ حتىٰ جمعتُ مئةَ دينارٍ .

فقالَتِ : ادخلْ ، فدخلَ ، وكانَ لها سريرٌ مِنْ ذهبٍ ، فجلسَتْ علىٰ سريرِها ، ثمَّ قالَتْ لهُ : هَلُمَّ .

فلمَّا جلسَ منها مَجلِسَ الرَّجلِ مِنَ المرأةِ . . ذكرَ مقامَهُ بينَ يدي اللهِ تعالى ؛ الرَّقيبِ لأعمالِ العبادِ ، فأخذَتْهُ رِعدةٌ ، فقالَ لها : اتركيني أخرجُ ولكِ المئةُ دينارٍ .

قالَتْ : ما بدا لكَ ؛ وقد زعمتَ أنِّي أعجبتُكَ ، فلمَّا قدرتَ عليَّ . . فعلتَ الذي فعلتَ ؟!

قالَ : فَزَعاً مِنَ ٱللهِ وَمِنْ مقامي بينَ يدَيهِ ، وقد تبغَّضتِ إليَّ ، فأنتِ أبغضُ النَّاسِ إليَّ .

فقالَتْ : إن كنتَ صادقاً . . فما لي زوجٌ غيرُكَ .

فقالَ : دعيني أخرجُ ، فقالَتْ : لا ، إلَّا أن تجعلَ لي أنَّكَ تتزوجُ بي ، قالَ : فلعلَّ .

فتقنَّعَ بثوبِهِ ، ثمَّ خرجَ إلىٰ بلدِهِ ، فارتحلَتْ نادمةً علىٰ ما كانَ منها ، حتىٰ قدمَتْ بلدَهُ ، فسألَتْ عنِ اسمِهِ ومنزلِهِ ، فدُلَّتْ عليهِ .

وكانَتْ تُعرَفُ بالملكةِ ، فقيلَ لهُ : إنَّ الملكةَ قد جاءَتْ ، فلمَّا رآها . . شهقَ شهقةً ، فماتَ رحمَهُ اللهُ ، قالَ : فسُقِطَ في يدِها ، وقالَتْ : أمَّا هـٰذا . . فقد فاتَني ؛ هل لهُ مِنْ قريبٍ ؟ قالوا : أخوهُ رجلٌ فقيرٌ ، قالَتْ : فأنا أتزوَّجُ

بهِ حبّاً لأخيهِ ، فتزوَّجَتْهُ ، فيسَّرَ اللهُ تعالىٰ منهُ سبعةَ أولياءَ)[١] .

[قصَّةُ بائعِ القِفافِ]

وحكى اليافعيُّ : (أنَّهُ كانَ شابٌّ في بني إسرائيلَ ، لم يُرَ في زمانِهِ أحسنُ منهُ ، وكانَ يبيعُ القِفافَ[٢] ، فبينَما هوَ ذاتَ يومٍ يطوفُ بقِفافِهِ . . إذ خرجَتِ امرأةٌ مِنْ دارِ ملِكٍ مِنْ ملوكِ بني إسرائيلَ ، فلمَّا رأَتْهُ . . رجعَتْ مُبادِرةً ، فقالَتْ لابنةِ الملِكِ : إنِّي رأيتُ شابّاً بالبابِ ، يبيعُ القِفافَ ، لم أَرَ شابّاً أحسنَ منهُ !!

فقالَتْ لها : أدخليهِ ، فخرجَتْ إليهِ وقالَتْ : يا فتى ؛ ادخلْ نشترِ منكَ ، فدخلَ ، فأغلقَتِ البابَ دونَهُ ، ثمَّ دخلَ باباً آخَرَ فكذٰلكَ ؛ حتىٰ أغلقَتْ ثلاثةَ أبوابٍ .

ثمَّ استقبلَتْهُ بنتُ الملِكِ كاشفةً عن وجهِها ونحرِها ، فقالَ : اشتروا حاجتَكُم ، فقالَتْ : إنَّا لم ندعُكَ لهٰذا ، إنَّما دعوناكَ لكذا وكذا ؛ يعني تُراوِدُهُ عن نفسِهِ .

فقالَ لها : اتقي اللهَ ، قالَتْ : إن لم تُطاوِعني علىٰ ما أُريدُ . . أخبرتُ الملِكَ [أنَّكَ] إنَّما دخلتَ عليَّ تكابرُني عن نفسي .

فوعظَها فأبَتْ ، فقالَ : ضعوا لي وَضوءاً ، فقالَتْ : أعليَّ تتعلَّلُ ؟! يا جاريةُ ؛ ضعي لهُ وَضوءاً فوقَ الجَوْشَقِ[٣] ، مكاناً لا يستطيعُ أن يفرَّ منهُ .

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ٣٤٠ ـ ٣٤١) رقم الحكاية (٣٥٤) ، وفي (ب ، هـ) : (سبعة أنبياء) ، وفي (ج) : (أولياء أنبياء) ، وفي « روض الرياحين » : (سبعة أبناء كلهم صالحون) .

(٢) **القفاف** : السِّلال التي تصنع من القش وغيره .

(٣) **الجوشق** : كذا في النسخ بالشين المعجمة ، وفي معاجم اللغة بالسين المهملة ، ومعناه : القصر ، وهو فارسي معرب .

قالَ : وكانَ مِنْ فوقِ الجَوْشَقِ إلى الأرضِ أربعونَ ذراعاً ، فلمَّا صارَ في أعلى الجَوْشَقِ . . قالَ : اللهمَّ ؛ إنّي دُعِيتُ إلىٰ معصيتِكَ ، وإنّي أختارُ أن أرميَ بنفسي مِنَ الجَوْشَقِ ولا أرتكبَ المعصيةَ .

ثمَّ قالَ : باسمِ اللهِ ، وألقىٰ نفسَهُ مِنْ أعلى الجَوْشَقِ ، فأهبطَ اللهُ إليهِ مَلَكاً مِنَ الملائكةِ ، فأخذَ بضَبْعَيهِ ، فوقعَ قائماً علىٰ رِجلَيهِ ، فلمَّا صارَ في الأرضِ . . قالَ : اللهمَّ ؛ إن شئتَ . . رزقتَني رزقاً تُغنيني بهِ عن بيعِ هٰذهِ القِفافِ ، فأرسلَ اللهُ إليهِ جراداً مِنْ ذهبٍ ، فأخذَ منهُ حتىٰ ملأَ ثوبَهُ ، فلمَّا صارَ في ثوبِهِ . . قالَ : اللهمَّ ؛ إن كان هٰذا رزقاً رزقتَنيهِ في الدُّنيا . . فبارِكْ لي فيهِ .

قالَ : فنُوديَ : إنَّ هٰذا الذي أعطيتُكَ جزءٌ مِنْ خمسةٍ وعشرينَ جزءاً مِنْ أجرِ صبرِكَ علىٰ إلقائِكَ نفسَكَ مِنْ هٰذا الجَوْشَقِ .

فقالَ : اللهمَّ ؛ لا حاجةَ لي فيما يَنقُصُني ممَّا لي عندَكَ في الآخِرةِ ، فرُفِعَ ذٰلكَ منهُ .

وقيلَ للشيطانِ : هلَّا أغويتَهُ ؟! يعني بارتكابِ الفاحشةِ ، فقالَ : كيفَ أقدرُ [أن] أُغوِيَ مَنْ بذلَ نفسَهُ للهِ ؟!) ، رضيَ اللهُ عنهُ ونفعَنا بهِ[1] .

[لطفُ الإلٰهِ بِمَنْ أطاعَ مولاهُ وانتقامُهُ مِمَّنْ عصاهُ]

وحكىٰ أيضاً عن بعضِ الصالحينَ أنَّهُ قالَ : (بينَما أنا أطوفُ بالكعبةِ . .

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨) رقم الحكاية (٣٠٠) ، ثم قال : ولله درُّ القائل : [من البسيط]

وسائلٍ عنهمُ ماذا يُقدِّمهم ؟ فقلت : فضلٌ به عن غيرهم بانوا
صانوا النفوس عن الفحشاء وابتذلوا منهنَّ في طرف العلياء ما صانوا

إذا بجاريةٍ على عنقِها طفلٌ صغيرٌ ، وهيَ تُنادي : يا كريمُ يا كريمُ ؛ عهدَكَ القديمَ ، قالَ : فقلتُ لها : ما هـٰذا العهدُ الذي بينَكِ وبينَهُ ؟!

قالَتْ : ركبتُ في سفينةٍ ومعَنا قومٌ مِنَ التجَّارِ ، فعصفَتْ بنا ريحٌ ، فغرقَتِ السفينةُ وجميعُ مَنْ فيها ، ولم ينجُ منهُم أحدٌ غيري وهـٰذا الطفلُ في حِجْري على لوحٍ ، ورجلٌ أسودُ على لوحٍ آخَرَ .

فلمَّا أضاءَ الصبحُ . . نظرَ الأسودُ إليَّ ، وجعلَ يدفعُ الماءَ بيدَيهِ حتى لصِقَ بي ، واستوى معَنا على اللوحِ ، وجعلَ يُراوِدُني عن نفسي .

فقلتُ : يا عبدَ اللهِ ؛ أما تخافُ اللهَ ونحنُ في بليَّةٍ ؛ لا نرجو الخلاصَ منها بطاعتِهِ . . فكيفَ بمعصيتِهِ ؟!

فقالَ : دعيني عن هـٰذا ، فواللهِ ؛ لا بدَّ لي مِنْ هـٰذا الأمرِ .

قالَتْ : وكانَ هـٰذا الطفلُ نائماً في حِجْري ، فقرصتُهُ ، فاستيقظَ وبكى ، فقلتُ : يا عبدَ اللهِ ؛ دعني أُنوِّمُ هـٰذا الطفلَ ويكونُ مِنْ أمرِنا ما قدَّرَ اللهُ ، فمدَّ الأسودُ يدَهُ إلى الطفلِ ورمى بهِ في البحرِ .

فرمقتُ السماءَ بطَرْفي ، وقلتُ : يا مَن يحولُ بينَ المرءِ وقلبِهِ . . حُلْ بيني وبينَ هـٰذا الأسودِ بحولِكَ وقوَّتِكَ ؛ إنَّكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

فواللهِ ؛ ما استوعبتُ الكلماتِ حتى ظهرَتْ دابَّةٌ مِنْ دوابِّ البحرِ ، ففتحَتْ فاها ، والتقمَتِ الأسودَ ، وغاصَتْ بهِ في البحرِ !! وعصمَني اللهُ منهُ بحولِهِ وقدرتِهِ ؛ وهوَ القادرُ على ما يشاءُ سبحانَهُ وتعالى .

قالَتْ : وما زالَتِ الأمواجُ تُدافعُني حتى رمَتْني إلى جزيرةٍ مِنْ جزائرِ

البحرِ ، فقلتُ في نفسي : آكلُ مِنْ بقلِها ، وأشربُ مِنْ مائِها حتىٰ يأتيَ اللهُ بأمرِهِ ، فلا فرجَ لي إلَّا منهُ .

فمكثتُ أربعةَ أيَّامٍ ، فلمَّا كانَ في اليومِ الخامسِ . . لاحَتْ لي سفينةٌ في البحرِ علىٰ بُعدٍ ، فعلوتُ علىٰ تلٍّ ، وأشرتُ إليهِم بثوبٍ كانَ عليَّ ، فخرجَ إليَّ منهُم ثلاثةُ أنفسٍ في زورقٍ ، فركبتُ معَهُم ، فلمَّا دخلتُ السفينةَ الكبرىٰ . . إذا بالطفلِ الذي رمىٰ بهِ الأسودُ في البحرِ عندَ رجلٍ منهُم ، فلم أتمالَكْ أن تراميَتُ عليهِ ، وقبَّلتُ بينَ عينَيهِ ، وقلتُ : واللهِ ؛ ولدي وقطعةٌ مِنْ كبدي !!

فقالَ لي أهلُ السفينةِ : مجنونةٌ أنتِ أم خَبِلَ عقْلُكِ ؟! فقلتُ : واللهِ ؛ ما أنا بمجنونةٍ ولا خَبِلَ عقلي ؛ ولـٰكنْ خبري كيتَ وكيتَ ، وذكرتُ لهمُ القصَّةَ إلىٰ آخِرِها .

فلمَّا سمعوا ذٰلك منِّي . . أطرقوا رؤوسَهُم وقالوا : يا جاريةُ ؛ قد أخبرتينا بأمرٍ تعجَّبنا منهُ ، ونحنُ أيضاً نخبرُكِ بأمرٍ تتعجَّبينَ منهُ : بينَما نحنُ نَجري بريحٍ طيِّبةٍ ؛ إذا بدابَّةٍ قدِ اعترضَتْنا ، ووقفَتْ أمامَنا ، وهـٰذا الطفلُ علىٰ ظهرِها ، وإذا منادٍ يُنادي : إن لم تأخذوا هـٰذا الطفلَ مِنْ ظهرِها ؛ وإلَّا . . هلكتُم ، فصعِدَ واحدٌ منَّا علىٰ ظهرِها وأخذَ الطفلَ ، فلمَّا دخلَ بهِ في السفينةِ . . غاصَتِ الدابَّةُ في البحرِ ، وقد تعجبنا مِنْ هـٰذا وممَّا أخبرتينا بهِ ، وقد عاهدنا اللهَ تعالىٰ : ألَّا يرانا علىٰ معصيتِهِ بعدَ هـٰذا اليومِ .

قالَتْ : فتابوا عن آخِرِهِم .

قلتُ [1] : فسبحانَ اللهِ اللَّطيفِ جميلِ العوائدِ ، سبحانَ مُدرِكِ الملهوفِ

---

(١) القائل هو الإمام اليافعي رحمه الله تعالىٰ ؛ كما في مطبوعة أخرىٰ من « روض الرياحين » .

عندَ الشدائدِ) [1] ، حمانا مِنَ الزِّنا الرَّبُّ الودودُ ، وجعلَنا مِنْ أحبِّ العبادِ ؛ آمينَ .

خاتمة

في زنا العينِ واليدِ وفي الخلوةِ بالأجنبيَّةِ

أخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « كُتِبَ عَلَى ٱبْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ ٱلزِّنَا ، مُدْرِكٌ ذَٰلِكَ لَا مَحَالَةَ ؛ فَٱلْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا ٱلنَّظَرُ ، وَٱلْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا ٱلِاسْتِمَاعُ ، وَٱللِّسَانُ زِنَاهُ ٱلْكَلَامُ ، وَٱلْيَدُ زِنَاهَا ٱلْبَطْشُ ، وَٱلرِّجْلُ زِنَاهَا ٱلْخُطَا ، وَٱلْقَلْبُ يَهْوَىٰ وَيَتَمَنَّىٰ ، وَيُصَدِّقُ ذَٰلِكَ ٱلْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ » [2] .

وفي روايةٍ لمسلمٍ : « وَٱلْيَدَانِ تَزْنِيَانِ ؛ فَزِنَاهُمَا ٱلْبَطْشُ ، وَٱلرِّجْلَانِ تَزْنِيَانِ ؛ فَزِنَاهُمَا ٱلْمَشْيُ ، وَٱلْفَمُ يَزْنِي فَزِنَاهُ ٱلتَّقْبِيلُ » [3] .

---

(١) روض الرياحين (ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤) رقم الحكاية (٢٩٧) ، وأتبع القصة بقوله : وفي هٰذا المعنىٰ أقول : [من البسيط]

يا مُدْركاً بسريعِ اللطفِ والفرجِ ... عند الشدائدِ للملهوفِ ذي الحرجِ
كلمحةِ الطَّرْفِ بل أدنىٰ تُغيثُ ولو ... في قعرِ بحرٍ وجوفِ الحوتِ في اللججِ
عوائدٌ منك يا رحمٰنُ جاريةٌ ... علىٰ جميلٍ بذي معروفكَ البهجِ
عوَّدتناها وكم عوَّدتَ من نعمٍ ... وكم بغوثك بعدَ البؤسِ مبتهجِ
فالخيرُ منك نراه غيرَ منقطعٍ ... والشرُّ لسنا نراه غيرَ مُنفرجِ
لكَ المحامدُ يا محمودُ أجمعها ... هديتنا دينَ حقٍّ غيرَ ذي عوجِ
بأحمدَ المجتبىٰ صلَّى الإلٰهُ علىٰ ... بدرِ الدُّجىٰ مع نجومٍ بعده سُرُجِ

(٢) صحيح البخاري (٦٢٤٣) ، وصحيح مسلم (٢١/٢٦٥٧) واللفظ له عن سيدنا ابن عباس عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنهم .

(٣) صحيح مسلم (٢٦٥٧) بنحوه ، وأخرجه أبو داوود (٢١٤٦) واللفظ له عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وأحمدُ والطبرانيُّ : « ٱلْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ ، وَٱلْيَدَانِ تَزْنِيَانِ ، وَٱلرِّجْلَانِ تَزْنِيَانِ ، وَٱلْفَرْجُ يَزْنِي »[١] .

وهُما : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى ٱمْرَأَةٍ أَوَّلَ رَمْقَةٍ ، ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ . . إِلَّا أَحْدَثَ ٱللهُ تَعَالَىٰ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلَاوَتَهَا فِي قَلْبِهِ »[٢] .

قالَ البيهقيُّ : (إنَّما أرادَ : أن يقعَ بصرُهُ عليها مِنْ غيرِ قصدٍ ؛ فيصرف بصرَهُ عنها تورُّعاً)[٣] .

[النظرُ بريدُ الزِّنا]

والطبرانيُّ والحاكمُ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ ـ يعني عن ربِّهِ عزَّ وجلَّ ـ : « ٱلنَّظْرَةُ : سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ ، مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي . . أَبْدَلْتُهُ إِيمَاناً يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ »[٤] .

والأصبهانيُّ : « كُلُّ عَيْنٍ بَاكِيَةٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْناً غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ ٱللهِ ، وَعَيْناً سَهِرَتْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ، وَعَيْناً خَرَجَ مِنْهَا مِثْلُ رَأْسِ ٱلذُّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ »[٥] .

وهوَ أيضاً : « ثَلَاثَةٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي ظِلِّ ٱلْعَرْشِ ، آمِنِينَ وَٱلنَّاسُ فِي

---

(١) مسند أحمد (٤١٢/١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٣٤/٩) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) مسند أحمد (٢٦٤/٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠٨/٨) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٣) أخرج البيهقي الحديث في « شعب الإيمان » (٥٠٤٨) وذكر الكلام بعده .

(٤) مستدرك الحاكم (٣١٤/٤) عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٧٣/١٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٥) أخرجه الأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (٤٧٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

ٱلْحِسَابِ : رَجُلٌ لَمْ يَأْخُذْهُ فِي ٱللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ ، وَرَجُلٌ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَىٰ مَا لَا يَحِلُّ لَهُ ، وَرَجُلٌ لَمْ يَنْظُرْ إِلَىٰ مَا حَرَّمَ ٱللهُ عَلَيْهِ »[1] .

والبيهقيُّ عنِ الحسنِ قالَ : بلغَني أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لَعَنَ ٱللهُ ٱلنَّاظِرَ وَٱلْمَنْظُورَ إِلَيْهِ »[2] .

ومسلمٌ عن جريرٍ : سألتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن نظرِ الفُجاءَةِ ؟ فقالَ : « ٱصْرِفْ بَصَرَكَ »[3] .

وصحَّ : « مَا مِنْ صَبَاحٍ . . إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ : وَيْلٌ لِلرِّجَالِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ ، وَوَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنَ ٱلرِّجَالِ »[4] .

والطبرانيُّ عن مَعقلِ بنِ يسارٍ : « لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ . . خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ ٱمْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ »[5] .

[إيَّاكُم والخلوةَ بالنِّساءِ]

وهوَ : « إِيَّاكُمْ وَٱلْخَلْوَةَ بِٱلنِّسَاءِ ، وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ مَا خَلَا رَجُلٌ بِٱمْرَأَةٍ . . إِلَّا دَخَلَ ٱلشَّيْطَانُ بينَهُمَا ، وَلَأَنْ يَزْحَمَ رَجُلٌ خِنْزِيراً مُتَلَطِّخاً بِطِينٍ أَوْ حَمْأَةٍ ـ أي : أسودَ مُنتنٍ ـ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَزْحَمَ مَنْكِبُهُ مَنْكِبَ ٱمْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ »[6] .

---

(١) أخرجه الأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (٢٢٢٩) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٣٩٩) مرسلاً .
(٣) صحيح مسلم (٢١٥٩) .
(٤) أخرجه الحاكم (٢/١٥٩) ، وابن ماجه (٤١٥٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
(٥) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/٢١١) .
(٦) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨/٢٠٥) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

وهوَ أيضاً : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ . . فَلَا يَخْلُوَنَّ بِٱمْرَأَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مَحْرَمٌ »[1] .

والحكيمُ : « إِيَّاكُمْ وَمُحَادَثَةَ ٱلنِّسَاءِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو رَجُلٌ بِٱمْرَأَةٍ لَيْسَ لَهَا مَحْرَمٌ . . إِلَّا هَمَّ بِهَا »[2] .

وأحمدُ والبيهقيُّ عنِ ابنِ سيرينَ قالَ : (خرجنا ؛ [فإذا] بدابَّةٍ ، فَمَنْ دنا منها . . قتلَتْهُ ، قالَ : فجاءَ رجلٌ أعورُ ، قالَ : دعوني وإيَّاها ، فدنا منها ، فوضعَتْ رأسَهَا لهُ حتىٰ قتلَها ، فقالوا : حدِّثنا مِنْ أمرِكَ ، فقالَ : ما أصبتُ ذنباً قطُّ إلَّا ذنباً واحداً بعيني هٰذهِ ، فأخذتُ سهماً ففقأتُها بهِ)[3] .

[الذُّنوبُ تمنعُ الاستسقاءَ والطاعةُ تجلبُ قطرَ السماءِ]

ورُوِيَ عن كعبِ الأحبارِ قالَ : (قُحِطَ بنو إسرائيلَ علىٰ عهدِ موسىٰ عليهِ السلامُ ، فسألوهُ أن يستسقيَ ، فقالَ : « ٱخْرُجُوا مَعِي إِلَى ٱلْجَبَلِ » ، فخرجوا ، فلمَّا صعدوا الجبلَ . . قالَ موسىٰ : « لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ أَصَابَ ذَنْباً » فانصرفوا جميعاً إلَّا رجلاً أعورَ ، يُقالُ لهُ : برخُ العابدُ ، فقالَ لهُ موسىٰ : « أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قُلْتُ ؟ » قالَ : بلىٰ ، قالَ : « فَلَمْ تُصِبْ ذَنْباً ؟ » قالَ : ما أعلمُهُ إلَّا شيئاً أذكرُهُ ؛ فإن كانَ ذنباً . . رجعتُ ؟

قالَ : « مَا هُوَ ؟ » قالَ : مررتُ في طريقٍ ؛ فإذا بابُ حجرةٍ مفتوحٌ ،

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٩١/١١) عن سيدنا ابن عباسٍ رضي الله عنهما .

(٢) عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٣٠٦١) للحكيم الترمذي في كتاب « أسرار الحج » عن سعد بن مسعود الكندي رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧٦٤) ، وقال في آخره : (قال الإمام أحمد : لعل هٰذا كان في بني إسرائيل وفي شريعة من كان قبلنا ، فأما في شريعتنا . . فلا يجوز فقء العين التي ينظر بها إلىٰ ما لا يحل ، ولٰكن يستغفر الله تعالىٰ من ذٰلك ، وبالله التوفيق) .

فلمحتُ بعيني هـٰذهِ الذَّاهبةِ شخصاً ، لا أعلمُ ما هوَ : رجلٌ أمِ امرأةٌ ، فقلتُ لعيني : أنتِ مِنْ بدني سارعْتِ إلى الخطيئةِ ؟! لا تصحبيني بعدَها ، فأدخلتُ إصبَعي فقلعتُها ، فإن كانَ هـٰذا ذنباً . . رجعتُ .

فقالَ موسىٰ : « لَيْسَ هَـٰذَا ذَنْباً » ، ثمَّ قالَ لهُ : « ٱسْتَسْقِ يَا بَرْخُ » ، فقالَ : قدُّوسٌ قدُّوسٌ ، ما عندَكَ لا ينفدُ ، وخزائنُكَ لا تفنىٰ ، وأنتَ بالبخلِ لا تُرمىٰ ، فما هـٰذا الذي لا تُعرَفُ بهِ ، اسقنا الغيثَ الساعةَ الساعةَ .

قالَ : فانصرفا يخوضانِ الوحَلَ) برحمةِ اللهِ عزَّ وجل[1] .

[مَنْ أطاعَ اللهَ أطاعَهُ كلُّ شيءٍ]

وحكى الأصمعيُّ قالَ : (خرجتُ حاجّاً إلىٰ بيتِ اللهِ الحرامِ مِنْ طريقِ الشامِ ، فبينَما نحنُ سائرونَ . . إذ خرجَ علينا أسدٌ عظيمُ الخِلْقةِ ، هائلُ المنظرِ ، فقطعَ على الرَّكبِ الطريقَ ، فقلتُ لرجلٍ إلىٰ جانبي : أَمَا في هـٰذا الرَّكبِ رجلٌ يأخذُ سيفاً ويردُّ عنَّا هـٰذا الأسدَ ؟

فقالَ : أمَّا رجلٌ . . فلا أدري ؛ ولـٰكنَّني أعرفُ امرأةً تردُّهُ بغيرِ سيفٍ .

فقلتُ : وأينَ هيَ ؟! فقامَ وقمتُ معَهُ إلىٰ هَوْدجٍ قريبٍ منَّا ، فنادىٰ : يا بنيَّةُ ؛ انزلي فرُدِّي عنَّا هـٰذا الأسدَ .

فقالَتْ : يا أبتِ ؛ أيطيبُ قلبُكَ أن ينظرَ إليَّ الأسدُ وهوَ ذكرٌ وأنا أنثىٰ ؟! ولـٰكن يا أبتِ ؛ قُلْ للأسدِ : ابنتي فاطمةُ تُقرِئُكَ السلامَ ، وتُقسِمُ عليكَ بالذي لا تأخذُهُ سِنةٌ ولا نومٌ . . إلَّا ما عدلتَ عن طريقِ القومِ) .

---

(١) أخرجه ابن قدامة المقدسي في « التوابين » (ص ٧٩ ـ ٨٠) بإسناده إلىٰ كعب ، ونقله عن ابن البراء في كتاب « الروضة » .

[لفحةٌ بنظرةٍ ولو زدتَ لزدناكَ]

وحكى اليافعيُّ عن بعضِ الصالحينَ قالَ : (كانَ بالبصرةِ رجلٌ يُقالُ لهُ : ذكوانُ ، كان سيِّداً في زمانِهِ ، فلمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ . . لم يبقَ أحدٌ بالبصرةِ إلَّا شهدَ جنازتَهُ .

قالَ : فلمَّا انصرفَ النَّاسُ مِنْ دفنِهِ . . نمتُ عندَ بعضِ القبورِ ؛ وإذا مَلَكٌ قد نزلَ مِنَ السماءِ وهوَ يقولُ : يا أهلَ القبورِ ؛ قُوموا لأخذِ أُجورِكُم .

فانشقَّتِ القبورُ عن أهلِها ، وخرجَ كلُّ مَنْ فيها ، فغابوا ساعةً ، ثُمَّ جاؤوا وذكوانُ في جملتِهِم وعليهِ حُلَّتانِ مِنَ الذَّهبِ الأحمرِ ، مُرصَّعٌ بالدُّرِّ والجوهرِ ، وبينَ يدَيهِ غلمانٌ يسبقونَهُ إلىٰ قبرِهِ ؛ وإذا مَلَكٌ يُنادي : هٰذا عبدٌ كانَ مِنْ أهلِ التقوىٰ ، فبنظرةٍ واحدةٍ وصلَتْ إليهِ المحنُ والبلوىٰ ، فامتثِلوا فيهِ أمرَ المولىٰ ، فقُرِّبَ مِنْ جهنَّمَ ، فخرجَ إليهِ منها لسانٌ ـ أو قالَ : ثعبانٌ ـ فلدغَ بعضَ وجهِهِ ، فاسودَّ ذٰلكَ الموضعُ ، ونادىٰ : يا ذكوانُ ؛ لم يَخْفَ عنِ المولىٰ مِنْ أمرِكَ شيءٌ ، هٰذهِ اللَّفحةُ بتلكَ النظرةِ ، ولو زدتَ . . لزدناكَ .

فبينَما هوَ كذٰلكَ ؛ وإذا رجلٌ قد أطلعَ رأسَهُ مِنْ قبرِهِ ، فقالَ : يا هٰؤلاءِ ؛ ما أردتُم ؟ فواللهِ ؛ لقد مُتُّ منذُ تسعينَ سنةً ، فما ذهبَتْ مرارةُ الموتِ منِّي حتى الآنَ ، فادعوا اللهَ أن يُعيدَني كما كنتُ ، قالَ : وبينَ عينَيهِ أثرُ السجودِ !!)[1] .

---

(١) انظر « روض الرياحين » (ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠) رقم الحكاية (٣٨٣) وأتبعها الإمام اليافعي رحمه الله تعالىٰ بقوله : [من الكامل]

أفلستَ تدري أن يومَك قد دنا ... أوَلستَ تدري أن عمرَك ينفدُ
فعلامَ تضحكُ والمنيةُ قد دنَتْ ... وعلامَ ترقدُ والثرىٰ لك مرقدُ

تَنْبِيهٌ

[في بيانِ بعضِ أحكامِ النظرِ]

اعلمْ : أنَّ زنا العينِ : هوَ تعمُّدُ نظرِ شيءٍ مِنَ الأجنبيَّةِ المُشتهاةِ ولو مُنفصِلاً منها ؛ كشعرٍ وقُلامةِ ظُفُرٍ ، وإن كانَتْ أَمَةً أو عجوزاً ، فهوَ حرامٌ علىٰ رجلٍ ولو معَ أمنِ فتنةٍ أو فَقْدِ شهوةٍ(١) .

ويَحرُمُ نظرُ فرجِ صغيرةٍ إلَّا على الأمِّ زمنَ الرَّضاعِ والتربيةِ .

ونظرُ المرأةِ إلى الرَّجلِ ولو عبداً . . كعكسِهِ ، ويَحِلُّ نظرُ فرجِ صغيرٍ ما لم يُميِّزْ(٢) .

❁ ❁ ❁

ويجبُ على المسلمةِ أن تَحتجبَ عنِ الكافرةِ والفاسقةِ بزناً أو سحاقٍ أو قيادةٍ(٣) ، وعن عبدِها إن كانَ فاسقاً ولو بغيرِ الزِّنا .

وأنَّ زنا اليدِ هوَ البطشُ ؛ فحيثُ حَرُمَ نظرٌ . . حَرُمَ مسٌّ .

---

(١) النظرة بريدُ الشهوة ، ورائدُ الفجور ، ولقد أحسن من قال : (من البسيط)

كـلُّ الـحـوادثِ مـبـداهـا مـن الـنـظرِ ... ومـعـظـم الـنـار مـن مُـسـتـصـغَـرِ الـشـررِ

والـمـرءُ مـا دام ذا عـيـنٍ يـقـلِّـبـهـا ... فـي أعـين الغِـيد مـوقـوفٌ علـى الخطرِ

يـسـرُّ مـقـلـتَـه مـا ضـرَّ مـهـجـتَـه ... لا مـرحـبـاً بـسـرورٍ جـاء بـالـضـررِ

كـم نـظـرةٍ فـتـكَـتْ فـي قـلـبِ صـاحـبِـهـا ... فَـتْـكَ الـسـهـامِ بـلا قـوسٍ ولا وتـرِ

(٢) قال ابن حجر في « التحفة » (٧/١٩٥) : (وما في « الروضة » عن القاضي من حلِّه ـ أي : النظر لفرج الصغيرة ـ عملاً بالعرف . . ضعيف) ، ثم قال : (أما الصبي . . فيحلُّ نظر فرجه ما لم يميز ، والفرق : أن فرجها أفحش ، وقيل : يحرم) ، واعتمد الخطيب الشربيني في « مغني المحتاج » (٣/١٧٥) ، والرملي في « نهاية المحتاج » (٦/١٩٠) : أن فرج الصغير كالصغيرة .

(٣) فيجب أن تحتجب منها ؛ لئلا تجرها إلىٰ مثل قبائحها ، **والقيادة** : هي الجمع بين النساء والرجال في الحرام ، والرجل : قواد ، والمرأة : قوادة ، نسأل الله حفظ أعراضنا أجمعين .

ويَحرُمُ غمزُ الرَّجلِ ساقَ مَحْرمِهِ أو رِجْلَها وعكسِهِ بلا حاجةٍ ، ويَحرُمُ تضاجعُ رجلَينِ ـ أوِ امرأتَينِ ـ عاريَينِ في ثوبٍ واحدٍ وإن كانَ كلٌّ منهُما في جانبٍ مِنَ الفراشِ .

❁ ❁ ❁

ويجبُ التفريقُ بينَ ولدِ عشرِ سنينَ وأبوَيهِ وإخوتِهِ في المضجعِ [1] ، وكما يَحرُمُ نظرٌ ومسٌّ شيءٍ مِنْ أجنبيَّةٍ . . يَحرُمُ إصغاءٌ لصوتِها تلذُّذاً بهِ .

وأنَّ الخلوةَ بالأجنبيَّةِ حرامٌ ؛ حيثُ لم يكنْ معَهُما مَحرَمٌ لأحدِهِما يَحتشِمُهُ ، ولا امرأةٌ كذٰلكَ ، ولا زوجٌ لتلكَ الأجنبيَّةِ ، ويَحرُمُ فعلُ هٰذهِ الثلاثةِ معَ الأمْرَدِ الجميلِ [2] .

فَصْلٌ

في اللِّواطِ

أخرجَ ابنُ ماجه والترمذيُّ عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ » [3] .

---

(١) أخرج الحاكم (١/١٩٧) ، وأبو داوود (٤٩٦) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرّقوا بينهم في المضاجع » .

(٢) فالفتنة بالمرد أعظم ؛ لأنه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق المرأة ، فهو بالتحريم أولىٰ ، وأقاويل السلف في التنفير منهم ، والتحذير من رؤيتهم . . أكثر من أن تحصر ، دخل صبي حسن الوجه علىٰ سفيان الثوري وهو في الحمام ، فقال : (أخرجوه عني ؛ فإني أرىٰ مع كل امرأةٍ شيطاناً ، ومع كل أمرد سبعة عشر شيطاناً) ، ونصح الإمام أحمد رجلاً معه قريب له أمرد ، فقال : (لا تجئ به إلينا مرة أخرىٰ ، ولا تمش معه بطريق ؛ لئلا يظن بك من لا يعرفك ويعرفه سوءاً) انظر « الزواجر » (٢/١٠) .

(٣) سنن الترمذي (١٤٥٧) ، وسنن ابن ماجه (٢٦٨٣) .

والنَّسائيُّ : « لَعَنَ ٱللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ ، لَعَنَ ٱللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ ، لَعَنَ ٱللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ »(١) .

والطبرانيُّ والحاكمُ : « لَعَنَ ٱللهُ سَبْعَةً مِنْ خَلْقِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ ، وَرَدَّ ٱللَّعْنَةَ عَلَىٰ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثَلَاثاً ، وَلَعَنَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَعْنَةً تَكْفِيهِ : مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ ، مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ ، مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ ، مَلْعُونٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ ٱللهِ ، مَلْعُونٌ مَنْ أَتَىٰ شَيْئاً مِنَ ٱلْبَهَائِمِ ، مَلْعُونٌ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ ، مَلْعُونٌ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ ٱمْرَأَةٍ وَٱبْنَتِهَا ، مَلْعُونٌ مَن غَيَّرَ حُدُودَ ٱلْأَرْضِ ، مَلْعُونٌ مَنِ ٱدَّعَىٰ إِلَىٰ غَيْرِ مَوَالِيهِ »(٢) .

وأحمدُ : « مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أَبَاهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أُمَّهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ ٱللهِ ، مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ ٱلْأَرْضِ ، مَلْعُونٌ مَنْ كَمَّهَ أَعْمَىٰ ، مَلْعُونٌ مَنْ وَقَعَ عَلَىٰ بَهِيمَةٍ ، مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ »(٣) .

[أربعةٌ مِنَ المغضوبِ عليهم]

والبيهقيُّ : « أَرْبَعَةٌ يُصْبِحُونَ فِي غَضَبِ ٱللهِ ، وَيُمْسُونَ فِي سَخَطِ ٱللهِ » قلتُ : مَنْ هُم يا رسولَ اللهِ ؟

قالَ : « ٱلْمُتَشَبِّهُونَ مِنَ ٱلرِّجَالِ بِٱلنِّسَاءِ ، وَٱلْمُتَشَبِّهَاتُ مِنَ ٱلنِّسَاءِ بِٱلرِّجَالِ ، وَٱلَّذِي يَأْتِي ٱلْبَهِيمَةَ ، وَٱلَّذِي يَأْتِي ٱلرِّجَالَ »(٤) .

---

(١) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٧٢٩٧) عن سيدنا عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما .

(٢) مستدرك الحاكم (٣٥٦/٤) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٤٩٢) واللفظ له عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) مسند أحمد (٢١٧/١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي النسخ تقديم وتأخير والمثبت من (ب) وهو موافق لما في « مسند أحمد » .

(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٥٠٠١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

والترمذيُّ والنَّسائيُّ : « لَا يَنْظُرُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ رَجُلٍ أَتَىٰ رَجُلاً أَوِ ٱمْرَأَةً فِي دُبُرِهَا »[1] .

[ثلاثةٌ لا يُقبلُ إيمانُهُم]

والطبرانيُّ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ ٱللهُ لَهُمْ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللهُ : ٱلرَّاكِبُ وَٱلْمَرْكُوبُ ، وَٱلرَّاكِبَةُ وَٱلْمَرْكُوبَةُ ، وَٱلْإِمَامُ ٱلْجَائِرُ »[2] .

وأبو داوودَ والترمذيُّ وابنُ ماجه والبيهقيُّ : « مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ . . فَٱقْتُلُوا ٱلْفَاعِلَ وَٱلْمَفْعُولَ بِهِ »[3] .

وقالَ ابنُ عباسٍ : (إنَّ اللُّوطيَّ إذا ماتَ مِنْ غيرِ توبةٍ . . مُسِخَ في قبرِهِ خنزيراً)[4] .

[إجماعُ الصَّحابةِ علىٰ حرقِ اللُّوطيِّ]

ورُوِيَ : أنَّ خالدَ بنَ الوليدِ كتبَ إلىٰ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ : (أنَّهُ وجدَ رجلاً في بعضِ نواحي العربِ يُنكَحُ كما تُنكَحُ المرأةُ) ، فجمعَ أبو بكرٍ أصحابَ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيهم عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، فقالَ : (إنَّ هـٰذا ذنبٌ لم تَعملْ بهِ إلَّا أمَّةٌ واحدةٌ ، وقد علمتُم ما صنعَ اللهُ

---

(١) سنن الترمذي (١١٦٥) ، وسنن النسائي الكبرىٰ (٨٩٥٢) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣١٢٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) سنن أبي داوود (٤٤٥٧) ، وسنن الترمذي (١٤٥٦) ، وسنن ابن ماجه (٢٦٧٩) ، والبيهقي (٨/٢٣١ ـ ٢٣٢) برقم (١٧١٠١) ، وفي « شعب الإيمان » (٥٠٠٢) عن سيدنا عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما .

(٤) عزاه الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » (١٢٧٣) للأزدي ، والسيوطي في « الحاوي للفتاوي » (٢/٤٩) للأزدي في كتاب « الضعفاء » ولابن الجوزي ووهَّاه .

بها ، وأرىٰ أن تُحرِقوهُ بالنَّارِ) ، فاجتمعَ رأيُ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أن يُحرَقَ بالنَّارِ ، فحرقَهُ خالدٌ [1] .

[ممَّا كُشِفَ لسيِّدِنا عيسىٰ مِنْ تعذيبِ اللُّوطيِّ]

ورُوِيَ أيضاً : (أنَّ عيسىٰ عليهِ السلامُ مرَّ في سياحتِهِ علىٰ نارٍ تَتوقَّدُ علىٰ رجلٍ ، فأخذَ ماءً ليُطفِئَها عنهُ ، فانقلبَتِ النَّارُ صبيّاً ، وانقلبَ الرَّجلُ ناراً ، فتعجَّبَ عيسىٰ مِنْ ذٰلكَ !! فقالَ : « يَا رَبِّ ؛ رُدَّهُمَا إِلَىٰ حَالِهِمَا فِي ٱلدُّنْيَا لِأَسْأَلَهُمَا عَنْ خَبَرِهِمَا » فأحياهُما اللهُ تعالىٰ ؛ فإذا هُما رجلٌ وصبيٌّ ، فقالَ لهُما عيسىٰ عليه السلامُ : « مَا خَبَرُكُمَا ، وَمَا أَمْرُكُمَا ؟ » .

فقالَ الرَّجلُ : يا روحَ اللهِ ؛ إنِّي كنتُ في الدُّنيا مُبتلىً بحبِّ هٰذا الصبيِّ ، فحملَتْني الشهوةُ أن فعلتُ بهِ الفاحشةَ ، فلمَّا مُتُّ وماتَ الصبيُّ . . صيَّرَ اللهُ الصبيَّ ناراً تُحرِقُني مرةً ، وصيَّرَني ناراً أُحرِقُهُ أُخرىٰ ، فهٰذا عذابُنا إلىٰ يومِ القيامةِ) [2] .

نعوذُ باللهِ مِنْ عذابِهِ ، وحمانا مِنْ مُوجِباتِ سخَطِهِ وأليمِ عقابِهِ .

تنبيه

[في بيانِ حدِّ اللِّواطِ]

قالَ البغويُّ : (اختلفَ أهلُ العلمِ في حدِّ اللِّواطِ : فذهبَ قومٌ إلىٰ أن يُحَدَّ الفاعلُ حدَّ الزِّنا ؛ فإن كانَ مُحصَناً . . يُرجَمُ ، وإن لم يكنْ مُحصَناً . . يُجلَدُ مئةً ، وهو أظهرُ قولَيِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ) .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (١٤٠) ، والآجري في « ذم اللواط » (٢٩) .

(٢) أورده الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٦٤ ـ ٦٥) ضمن الكبيرة (١١) ، وابن حجر في « الزواجر » (٢/٢٨٤) ضمن الكبيرة (٣٥٩) .

وعلى المفعولِ بهِ عندَهُ على هٰذا القولِ : جلدُ مئةٍ وتغريبُ عامٍ ؛ رجلاً كانَ أوِ امرأةً ، مُحصَناً أو غيرَ مُحصَنٍ .

وذهبَ قومٌ إلىٰ أنَّ اللُّوطيَّ يُرجَمُ ولو غيرَ مُحصَنٍ ؛ وهوَ قولُ مالكٍ وأحمدَ ابنِ حنبلٍ ، والقولُ الآخَرُ للشافعيِّ : أنَّهُ يُقتَلُ الفاعلُ والمفعولُ بهِ ؛ كما جاءَ في الحديثِ [1] .

فائدة

[في تحريمِ مُصافحةِ الأمْرَدِ]

تَحرُمُ مُصافحةُ الأمْرَدِ بشرطِهِ [2] ولو قدمَ مِنْ سفرٍ ، وقيلَ : « فِي هَٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمْ : ٱللُّوطِيَّةُ [3] ؛ وَهُمْ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ : صِنْفٌ يَنْظُرُونَ ، وَصِنْفٌ يُصَافِحُونَ ، وَصِنْفٌ يَعْمَلُونَ ذَٰلِكَ ٱلْعَمَلَ ٱلْخَبِيثَ » [4] .

وقالَ بعضُهُم : (والنظرُ إلى المرأةِ والأمْرَدِ زناً ؛ لخبرٍ صحيحٍ فيهِ) [5] .

---

(١) انظر « التهذيب » (٧/٣٢٢ ـ ٣٢٥) فقد لخص المؤلف منه جملة الأقوال ، ومن أراد الاستزادة .. فعليه به ، وقوله : (**كما جاء في الحديث**) وهو الذي أخرجه الحاكم (٤/٣٥٥) ، والترمذي (١٤٥٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال : « اقتلوا الفاعل والمفعول به » .

(٢) في (ب) : (يحرم مصافحة الأمرد بشهوة) .

(٣) أورده في « كنز العمال » بلفظ : « سيكون في آخر الزمان أقوام يقال لهم : اللوطية » .

(٤) عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٣١٣٣) للديلمي عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وختمه بقوله : « فلعنة الله عليهم إلا أن يتوبوا ، فمن تاب .. تاب الله عليه » أي : تبقى اللعنة عليه تترىٰ لا تنقطع حتىٰ يتوب ، نسأل الله العفو والعافية .

(٥) نقل ذٰلك ابن حجر في « الزواجر » (٢/١٠) ضمن الكبيرة (٢٤٥) عن بعض المتأخرين و(٢/٢٨٢) أيضاً ، ولعله أراد الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٦٢) ضمن الكبيرة (١١) ، وقوله : (لخبر صحيح فيه) وهو ما تقدم (ص ٥٧٣) : « زنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، وزنا اليد البطش ، وزنا الرجل الخُطا ، والقلب يهوىٰ ويتمنىٰ ، ويصدق ذٰلك الفرج ويكذبه » .

خاتمة

في السّحاق

أخرجَ الطبرانيُّ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ ٱللَّهُ لَهُمْ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ : ٱلرَّاكِبُ وَٱلْمَرْكُوبُ ، وَٱلرَّاكِبَةُ وَٱلْمَرْكُوبَةُ ، وَٱلْإِمَامُ ٱلْجَائِرُ »[1] .

ورُوِيَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا أَتَتِ ٱلْمَرْأَةُ ٱلْمَرْأَةَ . . فَهُمَا زَانِيَتَانِ »[2] .

واعلمْ : أنَّ تَساحُقَ النِّساءِ حرامٌ ، ويُعزَّرنَ بذٰلكَ ، قالَ القاضي أبو الطَّيِّبِ : (وإثمُ ذٰلكَ كإثمِ الزِّنا)[3] .

قالَ القاضي حسينٌ : (يُكرَهُ للمرأةِ التي تميلُ إلى النِّساءِ النظرُ إلىٰ وجوهِهِنَّ وأبدانِهِنَّ ، وأن تُضاجِعَهُنَّ بلا حائلٍ كما في الرِّجالِ) .

قالَ في « العجالةِ » : (وتشبيهُهُ يقتضي تحريمَ النظرِ بشهوةٍ ، والمضاجعةِ بلا حائلٍ ؛ كما هُما مُحرَّمانِ مِنَ الرِّجالِ) .

فصل

في قذفِ المُحصَنِ أوِ المُحصَنةِ بزناً أو لِواطٍ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾ إن كانَ حُرّاً ، فغيرُهُ يُجلَدُ أربعينَ ، ﴿ وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ﴾

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣١٢٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (١٤٧١) والبيهقي (٢٣٣/٨) برقم (١٧١١٦) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٣) ذكر ذٰلك العلامة تقي الدين الحصني في « كفاية الأخيار » (ص ٦٢٠) .

أي : ما دامَ مُصِرّاً علىٰ قذفِهِ ، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ﴾ أي : عنِ الفاحشةِ ﴿ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

وأخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ٱجْتَنِبُوا ٱلسَّبْعَ ٱلْمُوبِقَاتِ » قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ وما هُنَّ ؟ قالَ : « ٱلشِّرْكُ بِٱللهِ ، وَٱلسِّحْرُ ، وَقَتْلُ ٱلنَّفْسِ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ، وَأَكْلُ مَالِ ٱلْيَتِيمِ ، وَأَكْلُ ٱلرِّبَا ، وَٱلتَّوَلِّي يَوْمَ ٱلزَّحْفِ ، وَقَذْفُ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْغَافِلَاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ » (٣) .

والحاكمُ : « أَيُّمَا عَبْدٍ أَوِ ٱمْرَأَةٍ قَالَ ، أَوْ قَالَتْ لِوَلِيدَتِهَا : يَا زَانِيَةُ ، وَلَمْ تَطَّلِعْ مِنْهَا عَلَىٰ زِناً . . جَلَدَتْهَا وَلِيدَتُهَا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ؛ لِأَنَّهُ لَا حَدَّ لَهُنَّ فِي ٱلدُّنْيَا » (٤) .

وهُما : « مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِٱلزِّنَا . . يُقَامُ عَلَيْهِ ٱلْحَدُّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ » (٥) .

وقالَ بعضُهُم : (وممَّا عمَّتْ بهِ البلوىٰ : قولُ الإنسانِ لقِنِّهِ : يا مُخنَّثُ ، أو يا قَحْبَةُ ، وللصغيرِ : يا بنَ القَحْبَةِ ، يا ولدَ الزِّنا ، وكلُّ ذٰلكَ مِنَ الكبائرِ المُوجِبةِ للعقوبةِ في الدُّنيا والآخِرَةِ) (٦) .

---

(١) سورة النور : (٤ ـ ٥) .

(٢) سورة النور : (٢٣ ـ ٢٤) .

(٣) صحيح البخاري (٢٧٦٦) ، وصحيح مسلم (٨٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) مستدرك الحاكم (٣٧٠/٤) عن سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه ، والحديث فيه قصة .

(٥) صحيح البخاري (٦٨٥٨) ، وصحيح مسلم (١٦٦٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) نقله ابن حجر في « الزواجر » (١٠٨/٢) عن بعضهم ضمن الكبيرة (٢٨٧) .

تَنْبِيهٌ

[في تحريمِ قذفِ المُحصَناتِ]

إنَّ القذفَ حرامٌ إجماعاً ، بل هوَ مِنَ الكبائرِ المُهلِكةِ اتفاقاً ، وقد أجمعَ العلماءُ علىٰ أنَّ المرادَ مِنَ الرَّميِ في الآيةِ[١] : الرَّميُ بالزِّنا ، وهوَ يشملُ الرَّميَ باللِّواطِ ؛ كما يقولُ للمرأةِ : يا زانيةُ ، أو بغيَّةُ ، أو قَحْبَةُ ، أو لزوجِها : يا زوجَ القَحْبَةِ ، أو لبنتِها : يا بنتَ الزِّنا ؛ فهٰذا قذفٌ للأمِّ ، أو للرَّجلِ : يا زاني ، أو يا منكوحُ ، أو مُخنَّثُ .

فَمَنْ قذفَ مُحصَناً غيرَ فرعٍ وقِنٍّ لهُ . . حُدَّ ، أو غيرَهُ . . عُزِّرَ .

والمُحصَنُ هنا : مُكلَّفٌ حُرٌّ مسلمٌ عفيفٌ عن زناً ، وعن وطءِ زوجةٍ أو مملوكةٍ في دُبُرِها ؛ فَمَنْ فعلَ وطئاً يُحَدُّ بهِ ، أو وطأَ حليلةً في دُبُرِها . . لم يجبْ علىٰ راميهِ بالزِّنا حدُّ القذفِ وإن تابَ وصلحَ حالُهُ[٢] .

فَائِدَةٌ

[في حكمِ مَنْ قذفَ آخَرَ بينَ يدَيِ الحاكمِ]

منَ قذفَ آخَرَ بينَ يدَيْ حاكمٍ . . لزمَهُ أن يبعثَ إليهِ ويُخبِرَهُ ؛ ليُطالِبَ بهِ إن شاءَ ، كما لو ثبتَ عندَهُ حقٌّ ماليٌّ علىٰ آخَرَ وهوَ لا يعلمُ . . يلزمُهُ إعلامُهُ بهِ[٣] .

❋ ❋ ❋

---

(١) المراد بها قوله تعالىٰ : من سورة (النور) : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً . . . ﴾ الآية (٤) .

(٢) علَّل ذٰلك في « الزواجر » (٢/١٠٤ ـ ١٠٥) بقوله : (لأن العِرْض إذا انخرم . . لا يلتئم أبداً ، نعم ؛ قذفه بالزنا أو نحوه كبيرة كما هو ظاهر . . .) .

(٣) انظر « الزواجر » (٢/١٠٧) .

باب في شرب الخمر

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » رواهُ الشيخانِ وأبو داوودَ والترمذيُّ والنَّسائيُّ (٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَلَا فَكُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ » رواهُ أحمدُ وأبو يعلىٰ (٣) .

ونهىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن كلِّ مُسكِرٍ ومُفتِّرٍ ، رواهُ أبو داوودَ (٤) .

قالَ الخطَّابيُّ : (المُفتِّرُ : كلُّ شرابٍ يُورِثُ الفُتورَ والخُدورَ في الأعضاءِ) (٥) .

أخرجَ الشيخانِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لَا يَزْنِي ٱلزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ ٱلْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ ٱلسَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ » (٦) .

---

(١) سورة المائدة : (٩٠) .

(٢) صحيح البخاري (٤٣٤٣) عن سيدنا أبي موسى الأشعري ، ولفظه : « كل مسكر حرام » وهو موافق للنسخة (هـ) ، وصحيح مسلم (٧٤/٢٠٠٣) واللفظ له ، وأبو داوود (٣٦٧١) ، وسنن الترمذي (١٨٦١) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٥٠٧٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) مسند أحمد (١٦/٢) ، ومسند أبي يعلىٰ (٥٤٦٧) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) سنن أبي داوود (٣٦٧٩) .

(٥) انظر « معالم السنن » (٢٦٧/٤) ، وفيه : (والخدر في الأعضاء) .

(٦) صحيح البخاري (٢٤٧٥) ، وصحيح مسلم (٥٧) .

والطبرانيُّ : « مَنْ شَرِبَ ٱلْخَمْرَ . . خَرَجَ نُورُ ٱلْإِيمَانِ مِنْ جَوْفِهِ »(١) .

[إدمانُ الخمرِ يَعدِلُ الشِّركَ]

وأحمدُ بسندٍ صحيحٍ : « مُدْمِنُ ٱلْخَمْرِ إِنْ مَاتَ ـ أي : مِنْ غيرِ توبةٍ ـ لَقِيَ ٱللهَ كَعَابِدِ وَثَنٍ »(٢) .

وابنُ حِبَّانَ في « صحيحِهِ » : « مَنْ لَقِيَ ٱللهَ مُدْمِنَ خَمْرٍ . . لَقِيَ ٱللهَ كَعَابِدِ وَثَنٍ »(٣) .

والطبرانيُّ بسندٍ صحيحٍ عنِ ابنِ عباسٍ قالَ : (لمَّا حُرِّمَتِ الخمرُ . . مشىٰ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعضُهُم إلىٰ بعضٍ وقالوا : حُرِّمَتِ الخمرُ ، وجُعِلَتْ عدْلاً للشِّركِ)(٤) .

والنَّسائيُّ عن أبي موسىٰ أنَّهُ كانَ يقولُ : (ما أُبالي أَشربتُ الخمرَ أو عبدتُ هٰذهِ الساريةَ مِنْ دونِ اللهِ !!)(٥) أي : أنَّهُما في الإثمِ مُتقارِبانِ .

والطبرانيُّ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ . . فَلَا يَشْرَبِ ٱلْخَمْرَ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ . . فَلَا يَجْلِسْ عَلَىٰ مَائِدَةٍ يُشْرَبُ عَلَيْهَا ٱلْخَمْرُ »(٦) .

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٤٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) مسند أحمد (٢٧٢/١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) صحيح ابن حبان (٥٣٤٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه الحاكم (١٤٤/٤) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٣٧/١٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٣١٣٣) .

(٦) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٩١/١١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

[ذِكْرُ شيءٍ مِنْ عقوبةِ شاربِ الخمرِ]

وهوَ : « مَنْ شَرِبَ حَسْوَةً مِنْ خَمْرٍ . . لَمْ يَقْبَلِ ٱللهُ مِنْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ صَرْفاً وَلَا عَدْلاً ، وَمَنْ شَرِبَ كَأْساً . . لَمْ يَقْبَلِ ٱللهُ مِنْهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ، وَٱلْمُدْمِنُ ٱلْخَمْرِ حَقٌّ عَلَى ٱللهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ نَهْرِ ٱلْخَبَالِ » قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ وما نهرُ الخَبالِ ؟ قالَ : « صَدِيدُ أَهْلِ ٱلنَّارِ »[1] .

والترمذيُّ وحسَّنَهُ ، والحاكمُ وصحَّحَهُ عنِ ابنِ عمرَ : « مَنْ شَرِبَ ٱلْخَمْرَ . . لَمْ يَقْبَلِ ٱللهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ، فَإِنْ تَابَ . . تَابَ ٱللهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَادَ . . لَمْ يَقْبَلِ ٱللهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ، فَإِنْ تَابَ . . تَابَ ٱللهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَادَ . . لَمْ يَقْبَلِ ٱللهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ، [فَإِنْ تَابَ . . تَابَ ٱللهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَادَ ٱلرَّابِعَةَ . . لَمْ يَقْبَلِ ٱللهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحاً][2] فَإِنْ تَابَ . . لَمْ يَتُبِ ٱللهُ عَلَيْهِ ، وَسَقَاهُ مِنْ نَهْرِ ٱلْخَبَالِ » ، قيلَ لابنِ عمرَ راويهِ : وما نهرُ الخَبالِ ؟ قالَ : نهرٌ مِنْ صديدِ أهلِ النَّارِ[3] .

[أكبرُ الكبائرِ وقصَّةُ هاروتَ وماروتَ]

والطبرانيُّ بسندٍ صحيحٍ ، والحاكمُ ـ وقالَ : صحيحٌ علىٰ شرطِ مسلمٍ ـ عنِ ابنِ عمرَ قالَ : إنَّ أبا بكرٍ وعمرَ رضيَ اللهُ عنهُما وناساً جلسوا بعدَ وفاةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فذكروا أعظمَ الكبائرِ ، فلم يكنْ عندَهُم فيها علمٌ ، فأرسلوني إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو أسألُهُ ، فأخبرَني : أنَّ أعظمَ الكبائرِ : شربُ الخمرِ ، فأتيتُهُم فأخبرتُهُم ، فأنكروا ذٰلكَ ، ووثبوا إليهِ

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١/١٩٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) ما بين معقوفين زيادة من المصادر .

(٣) مستدرك الحاكم (١/٣٠) ، وسنن الترمذي (١٨٦٢) واللفظ له .

جميعاً حتىٰ أتَوهُ في دارِه ، فأخبرَهُم أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّ مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخَذَ رَجُلاً ، فَخَيَّرَهُ بَيْنَ أَنْ يَشْرَبَ ٱلْخَمْرَ أَوْ يَقْتُلَ نَفساً أَوْ يَزْنِيَ أَوْ يَأْكُلَ لَحْمَ ٱلْخِنْزِيرِ أَوْ يَقْتُلُوهُ ، فَٱخْتَارَ ٱلْخَمْرَ ، وَإِنَّهُ لَمَّا شَرِبَ . . لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ شَيْءٍ أَرَادُوهُ مِنْهُ » وإنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْرَبُهَا فَتُقْبَلَ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، وَلَا يَمُوتُ وَفِي مَثَانَتِهِ شَيْءٌ مِنْهُ . . إِلَّا حُرِّمَتْ بِهَا عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةُ ؛ فَإِنْ مَاتَ فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً . . مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً »[1] .

وأحمدُ وابنُ حِبَّانَ في « صحيحِهِ » : « إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَمَّا أُهْبِطَ إِلَى ٱلْأَرْضِ . . قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ : يَا رَبِّ ؛ ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] ، قَالُوا : رَبَّنَا ؛ نَحْنُ أَطْوَعُ لَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ، قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ لِمَلَائِكَتِهِ : هَلُمُّوا مَلَكَيْنِ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ [فَنَنْظُرَ] كَيْفَ يَعْمَلَانِ ؟ قَالُوا : رَبَّنَا ؛ هَارُوتَ وَمَارُوتَ .

قَالَ : فَأُهْبِطَا إِلَى ٱلْأَرْضِ ، فَتَمَثَّلَتْ لَهُمَا ٱلزُّهَرَةُ ٱمْرَأَةً مِنْ أَحْسَنِ ٱلْبَشَرِ[3] ، فَجَاءَاهَا فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا ، فَقَالَتْ : لَا وَٱللهِ ؛ حَتَّىٰ تَكَلَّمَا بِهَٰذِهِ ٱلْكَلِمَةِ مِنَ ٱلْإِشْرَاكِ ، قَالَا : وَٱللهِ ؛ لَا نُشْرِكُ بِٱللهِ شَيْئاً أَبَداً .

فَذَهَبَتْ عَنْهُمَا ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَيْهِمَا وَمَعَهَا صَبِيٌّ تَحْمِلُهُ ، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا ، فَقَالَتْ : لَا وَٱللهِ ؛ حَتَّىٰ تَقْتُلَا هَٰذَا ٱلصَّبِيَّ ، فَقَالَا : وَٱللهِ ؛ لَا نَقْتُلُهُ أَبَداً .

---

(١) مستدرك الحاكم (٤/١٤٧) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٦٥) .

(٢) سورة البقرة : (٣٠) .

(٣) الزهرة : ضبطها الشهاب الخفاجي رحمه الله تعالىٰ في « نسيم الرياض » (٦/٧) : أنها بضم الزاي وفتح الهاء ، وتسكينها لحن ولا مانع منه تخفيفاً .

فَذَهَبَتْ ، ثُمَّ رَجَعَتْ بِقَدَحِ خَمْرٍ تَحْمِلُهُ ، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا ، فَقَالَتْ : لَا وَٱللهِ ؛ حَتَّىٰ تَشْرَبَا هَـٰذَا ٱلْخَمْرَ ، فَشَرِبَا وَسَكِرَا ، فَوَقَعَا عَلَيْهَا ، وَقَتَلَا ٱلصَّبِيَّ .

فَلَمَّا أَفَاقَا . . قَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ : وَٱللهِ ؛ مَا تَرَكْتُمَا مِنْ شَيْءٍ أَبَيْتُمَاهُ عَلَيَّ إِلَّا فَعَلْتُمَاهُ حِينَ سَكِرْتُمَا ، فَخُيِّرَا عِنْدَ ذَٰلِكَ بَيْنَ عَذَابِ ٱلدُّنْيَا وَعَذَابِ ٱلْآخِرَةِ ، فَٱخْتَارَا عَذَابَ ٱلدُّنْيَا »[(١)] .

❀ ❀ ❀

وأبو داوودَ وابنُ حِبَّانَ في « صحيحِهِ » : « إِذَا شَرِبُوا ٱلْخَمْرَ . . فَٱجْلِدُوهُمْ ، ثُمَّ إِنْ شَرِبُوا . . فَٱجْلِدُوهُمْ ، ثُمَّ إِنْ شَرِبُوا . . فَٱجْلِدُوهُمْ ، ثُمَّ إِنْ شَرِبُوا . . فَٱقْتُلُوهُمْ »[(٢)] .

والترمذيُّ : « مَنْ شَرِبَ ٱلْخَمْرَ . . فَٱجْلِدُوهُ ، فَإِنْ عَادَ فِي ٱلرَّابِعَةِ . . فَٱقْتُلُوهُ »[(٣)] .

وأبو داوودَ : « إِنَّ ٱللهَ حَرَّمَ ٱلْخَمْرَ وَثَمَنَهَا ، وَحَرَّمَ ٱلْمَيْتَةَ وَثَمَنَهَا ، وَحَرَّمَ ٱلْخِنْزِيرَ وَثَمَنَهُ »[(٤)] .

[الملعونونَ بسببِ الخمرِ عشرةٌ]

وابنُ ماجه والترمذيُّ : (لعنَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في

---

(١) صحيح ابن حبان (٦١٨٦) ، ومسند أحمد (٢/١٣٤) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) صحيح ابن حبان (٤٤٤٦) ، وسنن أبي داوود (٤٤٧٧) واللفظ له عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

(٣) سنن الترمذي (١٤٤٤) عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

(٤) سنن أبي داوود (٣٤٧٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

الخمرِ عشرةً : عاصرَها ومُعتصِرَها ، وشاربَها وحاملَها ، والمحمولةَ إليهِ ، وساقيَها ، وبائعَها وآكلَ ثمنِها ، والمشتريَ لها والمشتراةَ لهُ)[1] .

وجاءَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنْ شَرِبَ ٱلْخَمْرَ فِي ٱلدُّنْيَا . . سَقَاهُ ٱللهُ مِنْ سُمِّ ٱلْأَسَاوِدِ شَرْبَةً يَتَسَاقَطُ لَحْمُ وَجْهِهِ فِي ٱلْإِنَاءِ قَبْلَ أَنْ يَشْرَبَهَا ؛ فَإِذَا شَرِبَهَا . . تَسَاقَطَ لَحْمُهُ وَجِلْدُهُ ، يَتَأَذَّىٰ بِهِ أَهْلُ ٱلنَّارِ ، أَلَا وَشَارِبُهَا وَعَاصِرُهَا وَمُعْتَصِرُهَا ، وَحَامِلُهَا وَٱلْمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ ، وَآكِلُ ثَمَنِهَا . . شُرَكَاءُ فِي إِثْمِهَا ، لَا يَقْبَلُ ٱللهُ مِنْهُمْ صَلَاةً وَلَا صِيَاماً وَلَا حَجّاً حَتَّىٰ يَتُوبُوا ، فَإِنْ مَاتَ قَبْلَ ٱلتَّوْبَةِ . . كَانَ حَقّاً عَلَى ٱللهِ أَنْ يَسْقِيَهُ بِكُلِّ جُرْعَةٍ شَرِبَهَا فِي ٱلدُّنْيَا مِنْ صَدِيدِ جَهَنَّمَ ، أَلَا وَكُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ »[2] .

ورُوِيَ : « أَنَّ شَرَبَةَ ٱلْخَمْرِ إِذَا أَتَوْا عَلَى ٱلصِّرَاطِ . . تَخْطَفُهُمُ ٱلزَّبَانِيَةُ إِلَىٰ نَهْرِ ٱلْخَبَالِ ، فَيُسْقَوْنَ بِكُلِّ كَأْسٍ شَرِبُوهُ مِنَ ٱلْخَمْرِ شَرْبَةً مِنْ نَهْرِ ٱلْخَبَالِ ؛ فَلَوْ أَنَّ تِلْكَ ٱلشَّرْبَةَ تُصَبُّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ . . لَٱحْتَرَقَتِ ٱلسَّمَاوَاتُ مِنْ حَرِّهَا »[3] نعوذُ باللهِ منها .

وجاءَ عنِ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (إذا ماتَ شاربُ الخمرِ . . فادفنوهُ ، ثمَّ اصلبوني علىٰ خشبةٍ ، ثمَّ انبشوا عنهُ قبرَهُ ؛ فإن لم تروا وجهَهُ مصروفاً عنِ القِبلةِ . . فاتركوني مصلوباً)[4] .

---

(١) سنن الترمذي (١٢٩٥) ، وسنن ابن ماجه (٣٥٢٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) أورده البوصيري في « إتحاف الخيرة المهرة » (١٥٤٣) من حديث طويل عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ونسبه لداوود المحبر في خطبة كذبها .

(٣) أورده الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٩٣) ضمن الكبيرة (١٩) ، وابن حجر في « الزواجر » (٣١٦/٢ ـ ٣١٧) ضمن الكبيرة (٣٨٢) دون عزوٍ لأحد .

(٤) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ١٥٣) ، والذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٩٣) ، وابن حجر في « الزواجر » (٣١٦/٢) .

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : (لو وقعَتْ قطرةٌ مِنْ خمرٍ في بئرٍ ، فبُنِيَتْ مكانَها منارةٌ . . لم أُؤذِّنْ عليها ، ولو وقعَتْ في بحرٍ ، ثمَّ جفَّتْ ونبتَ فيهِ الكَلأُ . . لم أرعَهُ)[1] .

وعنِ ابنِ عمرَ : (لو أدخلتُ إصبَعي فيهِ . . لم [أُحبَّ أن تَتبعَني])[2] أي : لقطعتُها .

[شُربُ الخمرِ منعَهُ النطقَ بالشهادتَينِ عندَ موتِهِ]

وحُكِيَ عنِ الفُضيلِ بنِ عياضٍ رحمَهُ اللهُ : (أنَّهُ حَضَرَ عندَ تلميذٍ لهُ حضرَهُ الموتُ ، فجعلَ يُلقِّنُهُ الشهادةَ ولسانُهُ لا ينطقُ بها ، فكرَّرَها ، فقالَ : لا أقولُها وأنا بريءٌ منها ، ثمَّ ماتَ ، فخرج الفُضيلُ مِنْ عندِهِ وهوَ يبكي .

ثمَّ رآهُ بعدَ مُدَّةٍ في منامِهِ وهوَ يُسحَبُ بهِ إلى النَّارِ ، فقالَ : يا مسكينُ ؛ بِمَ نُزِعَتْ منكَ المعرفةُ ؟! فقالَ : يا أستاذُ ؛ كان بي علَّةٌ ، فأتيتُ بعضَ الأطباءِ ، فقالَ : تَشربُ في كلِّ سنةٍ قدحاً مِنَ الخمرِ ، وإن لم تفعلْ . . تبقَ بكَ علَّتُكَ ، فكنتُ أشربُها في كلِّ سنةٍ لأجلِ التداوي) ؛ فهٰذا حالُ مَنْ شربَها للتداوي ؛ فكيفَ حالُ مَنْ يشربُها لغيرِ ذٰلكَ ؟! نسألُ اللهَ العافيةَ مِنْ كلِّ بلاءٍ ومحنةٍ[3] .

[سببُ توبةِ نبَّاشٍ للقبورِ]

وحُكِيَ : (أنَّهُ سُئِلَ بعضُ التائبينَ عن سببِ توبتِهِ ، فقالَ : كنتُ

---

(١) نقله الزمخشري في « الكشاف » (١/٢٨٨) ، والنسفي في « تفسيره » (١/٨٥) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٤٠٦٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/٧٤) .

(٣) أوردها الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٩٣ ـ ٩٤) ضمن الكبيرة (١٩) ، وابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢/٣١٧) ضمن الكبيرة (٣٨٢) .

أنبشُ القبورَ ، فرأيتُ فيها أمواتاً مصروفينَ عنِ القِبلةِ ، فسألتُ أهاليهِم عنهُم ، فقالوا : كانوا يشربونَ الخمرَ في الدُّنيا ، وماتوا مِنْ غيرِ توبةٍ)[1] .

❁ ❁ ❁

وحُكِيَ عن نبَّاشٍ أنَّهُ قالَ : (نبشتُ قبراً ، فرأيتُ صاحبَهُ قد حُوِّلَ خنزيراً ، وقد شُدَّ بالسلاسلِ والأغلالِ في عنقِهِ ، فخِفْتُ منهُ ، وأردتُ الخروجَ ؛ فإذا بقائلٍ يقولُ : ألا تسألُ عن عملِهِ ولِمَ يُعذَّبُ ؟! فقلتُ : لماذا ؟ قالَ : كانَ يشربُ الخمرَ في الدُّنيا ، وماتَ مِنْ غيرِ توبةٍ)[2] .

[مِنْ أهوالِ القبورِ]

وحُكِيَ عن بعضِ الصالحينَ أنَّهُ قالَ : (مات لي ولدٌ ، فلمَّا دفنتُهُ . . رأيتُهُ بعدَ مُدَّةٍ في المنامِ وقد شابَ رأسُهُ !!

فقلتُ : يا ولدي ؛ دفنتُكَ صغيراً ، فما الذي شيَّبَكَ ؟! فقالَ : يا أبي ؛ لمَّا دفنتَني . . دُفِنَ إلىٰ جانبي رجلٌ ، كانَ يشربُ الخمرَ في الدُّنيا ، فزفرَتِ النَّارُ لقدومِهِ إلىٰ قبرِهِ زفرةً لم يبقَ منَّا طفلٌ إلَّا شابَ رأسُهُ مِنْ شِدَّةِ زفرتِها)[3] ، نسألُ اللهَ العصمةَ منها .

---

(١) أوردها الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٩٤) ، وابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (٢/٣١٧) ، وذكر اليافعي في « روض الرياحين » (ص ١٩٢) في الحكاية (١٥٣) قصة قريبة منها : أن نباشاً سأل الإمام الأوزاعي عمن حُول وجهه عن القبلة ، فأجابه عن ذٰلك ، فراجعها إن شئت .

(٢) أوردها الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٩٦) ، وابن حجر في « الزواجر » (ص ٣١٨ ـ ٣١٩) وأن النباش شاب جاء باكياً إلىٰ عبد الملك بن مروان يقص عليه ما رأىٰ .

(٣) أوردها الذهبي في كتاب « الكبائر » (ص ٩٤) ، وابن حجر في « الزواجر » (٣١٧) .

تَنْبِيهٌ

[في حُرمةِ شربِها وكُفرِ مُستحِلِّها وحدِّ شاربِها]

إنَّ شربَ الخمرِ ولو قطرةً منها حرامٌ ، بل هوَ كبيرةٌ إجماعاً ، ويَكفرُ مُستحِلُّها .

وحدُّ شاربِها : أربعونَ جلدةً إن كانَ حُرّاً ، وعشرونَ إن كان قِنّاً ، والنبيذُ كالخمرِ ، فيُحَدُّ شاربُهُ ولو حنفيّاً وإن لم يُنكَرْ عليهِ .

خَاتِمَةٌ

في أكلِ الحشيشةِ والبنجِ

رویٰ أحمدُ وأبو داوودَ : (نهیٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن كلِّ مُسكِرٍ ومُفتِّرٍ)(١) .

قالَ الخطَّابيُّ : (**المُفتِّرُ** : كلُّ ما يُورِثُ الفُتورَ والخَدَرَ في الأعضاءِ)(٢) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ »(٣) .

وقالَ : « مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ . . فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ »(٤) .

واعلمْ : أنَّ الحشيشةَ حرامٌ كالخمرِ ، ويُحَدُّ آكلُها ؛ أي : علىٰ قولٍ قالَ بهِ جماعةٌ مِنَ العلماءِ كما يُحَدُّ شاربُ الخمرِ ، وقالَ ابنُ تيميةَ

---

(١) سنن أبي داوود (٣٦٧٩) ، ومسند أحمد (٣٠٩/٦) عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها .

(٢) انظر « معالم السنن » (٢٦٧/٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٤٣) ، ومسلم (١٩٩٩) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٤) أخرجه ابن حبان (٥٣٨٢) ، وأبو داوود (٣٦٧٣) ، والترمذي (١٨٦٥) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

ـ وأقرَّهُ أهلُ مذهبِهِ ـ : (مَنْ زعمَ حِلَّ الحشيشةِ . . كفرَ)[1] .

وقيلَ : إنَّها نجسةٌ ـ كما في بعضِ شروحِ « الحاوي » ـ كالخمرِ ، وهوَ الصحيحُ ؛ أي : عند الحنابلةِ وبعضِ الشافعيَّةِ ، وقيل : المائعة : نجسةٌ ، والجامدة : طاهرةٌ .

وإنَّما لم يذكرْها العلماءُ ؛ لأنَّها لم تكنْ في عهدِ السلفِ الماضينَ الصالحينَ ، وإنَّما حدثَتْ في مجيءِ التتارِ إلىٰ بلادِ الإسلامِ[2] ، وذكرَ الماورديُّ قولاً : (أنَّ [النباتاتِ][3] التي فيها شِدَّةٌ مُطرِبةٌ يجبُ الحدُّ علىٰ آكلِها)[4] ، ورأىٰ آخرونَ مِنَ العلماءِ تعزيرَ آكلِها كالبنجِ .

نسألُ اللهَ أن يُجنِّبَنا عنِ المُسكِراتِ ، ويحميَنا عنِ المُخدِّراتِ .

* * *

(١) نقل ذٰلك وفصله ابن حجر الهيتمي في « الزواجر » (١/٤٦٨) ضمن الكبيرة (١٧٠) .

(٢) أي : في آخر المئة السادسة وأول المئة السابعة .

(٣) في النسخ : (النبات) ، والمثبت من (ط) .

(٤) انظر « الحاوي الكبير » (١٩/٢٠٨) ، وزاد : (ولا يجوز أن يستعمل في دواء ولا غيره كالخمر وبيعه حرام) .

باب في اليمين الفاجرة

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ ﴾ أي : يستبدلونَ ويأخذونَ ﴿ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ أي : بما عَهِدَ إليهِم ﴿ وَأَيْمَٰنِهِمْ ﴾ أي : الكاذبةِ ﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ أي : عَرَضاً يسيراً مِنَ الدُّنيا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي : لا نصيبَ لهُم مِنْ نعيمِها وثوابِها ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي : بكلامٍ يَسرُّهُم [١] ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ أي : نظرَ رحمةٍ ﴿ [يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ] وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ أي : لا يُريدُ لهُم خيراً ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٢] أي : مؤلمٌ شديدُ الإيلامِ .

أخرجَ الشيخانِ عنِ ابنِ مسعودٍ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ مَالِ ٱمْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ . . لَقِيَ ٱللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ » ثمَّ قرأَ علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِصداقَهُ مِنْ كتابِ اللهِ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ . . . ﴾ إلىٰ آخِرِ الآيةِ [٣] .

والطبرانيُّ والحاكمُ وصحَّحَهُ : « مَنِ ٱقْتَطَعَ مَالَ ٱمْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ . . حَرَّمَ ٱللهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ، وَأَوْجَبَ لَهُ ٱلنَّارَ » قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ وإن كانَ شيئاً يسيراً ؟ قالَ : « وَإِنْ كَانَ مِسْوَاكاً » [٤] .

---

(١) في (هـ) : (بكلام يسير) .

(٢) سورة آل عمران : (٧٧) .

(٣) صحيح البخاري (٧٥٤٥) بنحوه ، وصحيح مسلم (١٣٨/٢٢٢) واللفظ له .

(٤) مستدرك الحاكم (٢٩٥/٤) عن سيدنا جابر بن عتيك رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (١١٦٨) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه ، وفي (أ ، ب ، ج) : (وإن كان شراكاً) .

وابنا ماجه وحِبَّانَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ آثِمَةٍ عِنْدَ مِنْبَرِي هَـٰذَا . . فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَوْ عَلَىٰ سِوَاكٍ أَخْضَرَ »[١] .

[اليمينُ الغَموسُ]

وأخرجَ الحاكمُ عنِ ابنِ مسعودٍ قالَ : (كنَّا نعدُّ مِنَ الذَّنبِ الذي ليسَ لهُ كفَّارةٌ : اليمينَ الغَموسَ) قيلَ : وما اليمينُ الغَموسُ ؟ قالَ : (الرَّجلُ يَقتطِعُ بيمينِهِ مالَ الرَّجلِ)[٢] .

وهوَ والطبرانيُّ : « إِنَّ ٱللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ ٱلْأَرْضَ ، وَعُنُقُهُ مُنْثَنٍ تَحْتَ ٱلْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ : سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا !! فَيَرُدُّ عَلَيْهِ : مَا عَلِمَ بِي مَنْ حَلَفَ كَاذِباً »[٣] .

والطبرانيُّ عن جُبيرِ بنِ مُطعِمٍ : أنَّهُ افتدىٰ يمينَهُ بعشرةِ آلافِ درهمٍ ، ثمَّ قالَ : (وربِّ الكعبةِ ؛ لو حلفتُ . . حلفتُ صادقاً ، وإنَّما هوَ شيءٌ افتديتُ بهِ يميني)[٤] .

ورُوِيَ عنِ الأشعثِ بنِ قيسٍ : أنَّهُ اشترىٰ يمينَهُ مرةً بسبعينَ ألفاً[٥] .

---

(١) صحيح ابن حبان (٤٣٦٨) ، وسنن ابن ماجه (٢٤٣٥) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٢) المستدرك على الصحيحين (٢٩٦/٤) ، وسميت اليمين غموساً ؛ لأنها تغمس صاحبها في النار ، وهي التي يحلف بها كاذباً ، فيحق بها باطلاً ، أو يبطل بها حقاً .

(٣) المستدرك على الصحيحين (٢٩٧/٤) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٣٢٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وقوله : (قد مرقت رجلاه الأرض) أي : وصلتا إليها وخرقتاها من جانبها الآخر ، يقال : (مرق السهم) إذا خرج من الجانب الآخر .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٨٥) .

(٥) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٥٨٢) ، ولفظه : اشتريت يميني مرة بسبعين ألفاً ؛ وذٰلك لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من اقتطع حق مسلمٍ بيمين . . لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان » .

وحُكِيَ عنِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (ما حلفتُ باللهِ في عمري ؛ لا كاذباً ولا صادقاً) [1] .

تَنْبِيهٌ

[في تحريمِ اليمينِ الفاجِرةِ]

إنَّ اليمينَ الفاجِرةَ حرامٌ ، بل هيَ كبيرةٌ اتفاقاً .

* * *

(١) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/١٦٤) .

باب في شهادة الزّور

أخرجَ الشيخانِ عن أبي بَكرةَ قالَ : كنَّا جلوساً عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ ٱلْكَبَائِرِ ؟ » ثلاثاً ، قلنا : بلىٰ [يا رسولَ اللهِ] ، قال : « ٱلْإِشْرَاكُ بِٱللهِ ، وَعُقُوقُ ٱلْوَالِدَيْنِ ، أَلَا وَشَهَادَةُ ٱلزُّورِ ، أَلَا وَشَهَادَةُ ٱلزُّورِ ، أَلَا وَشَهَادَةُ ٱلزُّورِ » وكانَ مُتَّكِئاً فجلسَ ، فما زال يُكرِّرُها حتىٰ قلنا : ليتَهُ سكتَ !![1] .

وأبو داوودَ والترمذيُّ : صلَّىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ صلاةَ الصبحِ ، فلمَّا انصرفَ . . قامَ قائماً فقالَ : « عُدِلَتْ شَهَادَةُ ٱلزُّورِ ٱلْإِشْرَاكَ بِٱللهِ » ثلاثَ مراتٍ ، ثمَّ قرأَ : ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾[2] .

وأحمدُ : « مَنْ شَهِدَ عَلَىٰ مُسْلِمٍ شَهَادَةً لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ . . فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ »[3] .

والطبرانيُّ : « مَنْ كَتَمَ شَهَادَةً إِذَا دُعِيَ إِلَيْهَا . . كَانَ كَمَنْ شَهِدَ بِٱلزُّورِ »[4] .

---

(١) صحيح البخاري (٢٦٥٤) ، وصحيح مسلم (٨٧) ، وقولهم : (ليته سكت) أي : شفقةً عليه وكراهيةً لما يزعجه صلى الله عليه وسلم ، واهتمامه بشهادة الزور ؛ لأنها أسهل وقوعاً على الناس ، والتهاون بها أكثر .

(٢) سورة الحج : (٣٠ ـ ٣١) ، والحديث أخرجه أبو داوود (٣٥٩٤) ، والترمذي (٢٣٠٠) عن سيدنا خُرَيم بن فاتك الصحابي رضي الله عنه ، وقد عُدِلت شهادة الزور بالإشراك بالله ؛ لأنه قد يكون بها القتل بغير حق ، ويكون بها الفساد في الأرض ، وهو عديل للشرك .

(٣) مسند أحمد (٢/٥٠٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٤١٧٩) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

تَنْبِيهٌ

[شهادةُ الزُّورِ مِنَ الكبائرِ]

إنَّ شهادةَ الزُّورِ ـ وهيَ : أن يشهدَ بما لا يتحقَّقُهُ ـ حرامٌ ، بل صرَّحوا بأنَّها كبيرةٌ[1] .

قالَ الشيخُ عِزُّ الدِّينِ بنُ عبدِ السلامِ : (وإذا كانَ الشاهدُ بها كاذباً . . أثمَ ثلاثةَ آثامٍ : إثمَ المعصيةِ ، وإثمَ إعانةِ الظالمِ ، وإثمَ خِذلانِ المظلومِ ، وإذا كانَ صادقاً . . أَثِمَ إِثْمَ المعصيةِ لا غيرُ ؛ لتسبُّبِهِ إلىٰ إبراءِ ذمَّةِ الظالمِ وإيصالِ المظلومِ إلىٰ حقِّهِ) .

* * *

(١) انظر « الزواجر » (٢/٣٨٨ ـ ٣٨٩) ضمن الكبيرة (٤٣٧) .

باب التوبة

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي : التي كتبَ علىٰ نفسِهِ قَبولَها بفضلِهِ ﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ أي : جاهلينَ إذا عصَوا ربَّهُم ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن ﴾ زمنٍ ﴿ قَرِيبٍ ﴾ قبلَ أن يُغرغِرَ ، وقبلَ أن يُحيطَ السوءُ بحسناتِهِ فيُحبطَها ، أو في صحَّتِهِ قبلَ مرضِ موتِهِ ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾ فلا تنفعُهُ ولا تُقبلُ منهُ ﴿ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ [1] .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [2] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [3] .

[رضا الحقِّ في توبةِ الخلقِ]

أخرجَ الشيخانِ والترمذيُّ عنِ الحارثِ بنِ سُويدٍ قالَ : قالَ ابنُ مسعودٍ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ ٱلْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ [4] ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ ، عَلَيْهَا

---

(١) سورة النساء : (١٧ ـ ١٨) .

(٢) سورة التحريم : (٨) .

(٣) سورة النساء : (١١٠) .

(٤) **دَوِّيَّة مهلَكة** : الأرض القفر والفلاة الخالية التي لا نبات فيها ، ويكثر فيها الهلاك .

طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً ، فَٱسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ ، فَطَلَبَهَا ، حَتَّىٰ إِذَا ٱشْتَدَّ عَلَيْهِ ٱلْحَرُّ وَٱلْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ ٱللهُ . . قَالَ : أَرْجِعُ إِلَىٰ مَكَانِيَ ٱلَّذِي كُنْتُ فِيهِ ، فَأَنَامُ حَتَّىٰ أَمُوتَ ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَىٰ سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ ، فَٱسْتَيْقَظَ ؛ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ عَلَيْهَا زَادُهُ وَشَرَابُهُ ، فَٱللهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ ٱلْعَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ مِنْ هَـٰذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ »(١) .

ومسلمٌ : « يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ تُوبُوا إِلَى ٱللهِ . . فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي ٱلْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ »(٢) .

وابنُ ماجه : « لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّىٰ تَبْلُغَ خَطَايَاكُمُ ٱلسَّمَاءَ ثُمَّ تُبْتُمْ . . لَتَابَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ »(٣) .

[إمارةُ كاتبِ الحسناتِ علىٰ كاتبِ السيّئاتِ]

والطبرانيُّ والبيهقيُّ : « صَاحِبُ ٱلْيَمِينِ أَمِيرٌ(٤) عَلَىٰ صَاحِبِ ٱلشِّمَالِ ، فَإِذَا عَمِلَ ٱلْعَبْدُ حَسَنَةً . . كَتَبَهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً فَأَرَادَ صَاحِبُ ٱلشِّمَالِ أَنْ يَكْتُبَهَا . . قَالَ لَهُ صَاحِبُ ٱلْيَمِينِ : أَمْسِكْ ، فَيُمْسِكُ سِتَّ سَاعَاتٍ ، فَإِنِ ٱسْتَغْفَرَ ٱللهَ مِنْهَا . . لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ شَيْئاً ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرِ ٱللهَ . . كَتَبَ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً »(٥) .

---

(١) صحيح البخاري (٦٣٠٨) ، وصحيح مسلم (٢٧٤٤) ، وسنن الترمذي (٢٤٩٨) بألفاظ متقاربة .

(٢) صحيح مسلم (٤٢/٢٧٠٢) عن سيدنا الأغر المزني رضي الله عنه .

(٣) سنن ابن ماجه (٤٢١٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) في (ب) : (صاحب اليمين أمير أمين) ، وفي « الطبراني » و« الشعب » : (أمين) .

(٥) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٩١/٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٦٤٨) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

وابنُ أبي حاتمٍ وابنُ مَرْدُويَهْ : « ٱلتَّوْبَةُ النَّصُوحُ : ٱلنَّدَمُ عَلَى ٱلذَّنْبِ حِينَ يَفْرُطُ مِنْكَ ، فَتَسْتَغْفِرُ ٱللهَ ثُمَّ لَا تَعُودُ إِلَيْهِ أَبَداً »[1] .

والطبرانيُّ وأبو نُعيمٍ : « ٱلنَّدَمُ تَوْبَةٌ ، وَٱلتَّائِبُ مِنَ ٱلذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ، وَٱلْمُسْتَغْفِرُ مِنَ ٱلذَّنْبِ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ كَٱلْمُسْتَهْزِئِ بِرَبِّهِ »[2] .

والترمذيُّ : « إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ ٱلْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ »[3] .

ومسلمٌ : « مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ ٱلشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا . . تَابَ ٱللهُ عَلَيْهِ »[4] .

[قَبولُ توبةِ قاتلِ المئةِ]

والشيخانِ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قالَ : إنَّ نبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ ، فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً ؛ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : لَا ، فَقَتَلَهُ ، فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً .

ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ ، فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٨٩٢٦) ، وأورده السيوطي في « الدر المنثور » (٢٢٧/٨) وعزاه لابن أبي حاتم ولابن مردويه وللبيهقي في « شعب الإيمان » عن سيدنا أُبي بن كعب رضي الله عنه بسند ضعيف .

(٢) أخرج الطبراني في « المعجم الكبير » (٣٠٦/٢٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٩٨/١٠) أوله عن سيدنا أبي سعد الأنصاري رضي الله عنه ، وأخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧٨٠) دون قوله : « الندم توبة » عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) سنن الترمذي (٣٥٣٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) صحيح مسلم (٢٧٠٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

مِئَةَ نَفْسٍ ؛ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلتَّوْبَةِ ؟! ٱنْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا ؛ فَإِنَّ بِهَا أُنَاساً يَعْبُدُونَ ٱللهَ تَعَالَىٰ ، فَٱعْبُدِ ٱللهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ ؛ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ .

فَٱنْطَلَقَ ، حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ ٱلطَّرِيقَ . . أَتَاهُ ٱلْمَوْتُ ؛ فَٱخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ ٱلرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ ٱلْعَذَابِ ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ ٱلرَّحْمَةِ : جَاءَنَا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ ٱلْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ .

فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَ ٱلْأَرْضَيْنِ ؛ فَإِلَىٰ أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَىٰ . . فَهُوَ لَهُ ، فَقَاسُوا ، فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي أَرَادَ ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ ٱلرَّحْمَةِ »[1] .

❁ ❁ ❁

وفي الحديثِ الصحيحِ : أَنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّ ٱلْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ . . نُكِتَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ ؛ فَإِنْ تَابَ وَٱسْتَغْفَرَ . . صُقِلَ قَلْبُهُ ، وَإِنْ لَمْ يَتُبْ . . زَادَتْ حَتَّىٰ تَعْلُوَ قَلْبَهُ ـ أي : تغشاهُ وتُغطِّيَهُ تلكَ النُّكتةُ السوداءُ ـ فَذَٰلِكَ ٱلرَّانُ ٱلَّذِي ذَكَرَ ٱللهُ فِي كِتَابِهِ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ »[2] .

اللهمَّ ؛ إنَّا نستغفرُكَ ونتوبُ إليكَ ، ونستعينُكَ علىٰ ألَّا نعودَ إلىٰ معاصيكَ .

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٧٠) ، وصحيح مسلم (٢٧٦٦) واللفظ له . وفي رواية البخاري : « فناء بصدره نحوها ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فأوحى الله إلىٰ هاذه : أن تقربي ، وأوحى الله إلىٰ هاذه : أن تباعدي ، وقال : قيسوا ما بينهما ، فوُجد إلىٰ هاذه أقرب بشبر ، فغُفر له » .

(٢) سورة المطففين : (١٤) ، والحديث أخرجه الحاكم (٢/٥١٧) ، وابن ماجه (٤٤٠٨) ، وأحمد (٢/٢٩٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

تَنْبِيهٌ

[في وجوبِ التَّوبةِ على الفورِ]

التَّوبةُ واجبةٌ فوراً مِنْ كلِّ ذنبٍ ولو صغيراً ، فَمَنْ أخَّرَها زمناً يسعُها . . كانَ عاصياً بتأخيرِها .

قالَ الشيخُ عِزُّ الدِّين بنُ عبدِ السلامِ : (وكذٰلكَ يتكرَّرُ عصيانُهُ بتكرُّرِ الأزمنةِ المُتَّسِعةِ [لها] ، فيحتاجُ إلىٰ توبةٍ عن تأخيرِها ، كما يحتاجُ إليها عنِ الذَّنبِ المُتقدِّمِ)[1] .

ويجبُ تجديدُ التَّوبةِ عنِ المعصيةِ كلَّما ذكرَها بعدَ التَّوبةِ ، علىٰ ما زعمَهُ القاضي أبو بكرٍ الباقِلانيُّ ، قالَ : (فإن لم يُجدِّدْها . . فقد عصىٰ معصيةً جديدةً تجبُ التَّوبةُ منها)[2] .

ثمَّ إن علمَ ذنوبَهُ على التفصيلِ . . لزمَهُ التَّوبةُ عن آحادِها على التفصيلِ ، ولا يكفيهِ توبةٌ واحدةٌ ، فالتَّوبةُ مِنْ جملةِ الذُّنوبِ مِنْ غيرِ ذكرِ تفاصيلِها . . غيرُ صحيحةٍ .

قال الزركشيُّ : (وهٰذا ظاهرٌ)[3] .

وقالَ ابنُ عبدِ السلامِ : (يَتذاكرُ الذُّنوبَ السَّالِفةَ ما أمكنَ تَذكُّرُهُ ، وما تعذَّرَ . . فلا يلزمُهُ ما لا يقدرُ عليهِ)[4] .

---

(١) انظر « القواعد الكبرىٰ » (١/٣٢٨) .

(٢) انظر « القواعد الكبرىٰ » (١/٣٢٨) ، و« الزواجر » (٢/٤٣٤) ضمن الكبيرة (٤٦٣) ، ونقل عن إمام الحرمين : أنه لا يجب ذٰلك بل يستحب .

(٣) انظر « المنثور في القواعد » (١/٤١٨) .

(٤) انظر « الزواجر » (٢/٤٣١) .

وقالَ القاضي أبو بكرٍ : (إن لم يَتذكَّرْ تفصيلَ الذُّنوبِ . . فليقلْ : إن كانَ لي ذنبٌ لم أعلمْهُ . . فإنِّي تائبٌ إلى اللهِ منهُ)[1] .

واعلمْ : أنَّ التَّوبةَ في نفسِها طاعةٌ وُعِدَ الثوابَ عليها ، وأمَّا زوالُ العقابِ الأليمِ . . فهوَ مُفوَّضٌ إلى الرَّبِّ الحليمِ ، التَّوابِ الرَّحيمِ .

فَصْلٌ

شروطُ التَّوبةِ المُسقِطةِ للإثمِ ظنّاً لا قطعاً[2]

أن يندمَ علىٰ فعلِ الذَّنبِ مِنْ حيثُ المعصيةُ .

وأن يعزمَ علىٰ ألَّا يعودَ إليهِ أو إلىٰ مثلِهِ خالصاً للهِ تعالىٰ .

وأن يُقلِعَ عنهُ حالاً إن كانَ مُتلبِّساً بهِ أو مُصِرّاً على المعاودةِ إليهِ .

وأن يَخرجَ مِنَ المَظالمِ والزَّكاةِ إن كانَتْ : بردِّها ، أو بدلِها إن تلفَتْ لمُستحِقِّها ما لم يُبرِئْهُ منها .

ومنْه : قضاءُ صلاةٍ وصومٍ وإن كثُرا .

فإنِ اختلَّ شرطٌ مِنَ الشروطِ المذكورةِ . . لم تصحَّ توبتُهُ .

وأن يستغفرَ اللهَ تعالىٰ مِنْ ذنبِهِ بلسانِهِ ظاهراً ، [وبقلبِهِ] باطناً ، علىٰ ما زعمَهُ القاضي حسينٌ والقاضي أبو الطَّيِّبِ والماورديُّ وغيرُهُم .

ويجبُ في التَّوبةِ عن قَوَدٍ أو قذفٍ : أن يُعْلِمَ المُستحِقَّ ، ويُمكِّنَهُ مِنَ الاستيفاءِ ، ومِنْ نحوِ غِيبةٍ : أن يَستحِلَّ المُغتابَ منها إن عَلِمَ ، وإلَّا . . استغفرَ لنفسِهِ ودعا لهُ كالحاسدِ .

---

(١) انظر « الزواجر » (٢/٤٣١) .

(٢) في هامش (ب) : (شروط التوبة أربعة ؛ الأول) .

ربَّنا ؛ تقبَّلْ توبتَنا ، واغسلْ حوبتَنا ، وتحمَّل تبعاتِنا ، بمنِّكَ وكرمِكَ ، آمينَ .

اللهمَّ ؛ إنَّا نستغفرُكَ مِنْ كلِّ ذنبٍ أذنبناهُ ؛ استعمدناهُ أو جهلناهُ ، ونستغفرُكَ مِنْ كلِّ ذنبٍ تبنا إليكَ منهُ ثمَّ عُدْنا فيهِ ، ونستغفرُكَ مِنَ الذُّنوبِ التي لا يعلمُها غيرُكَ ، ولا يسعُها إلَّا حلمُكَ ، ونستغفرُكَ مِنْ كلِّ ما دَعَتْ إليهِ نفوسُنا مِنْ قِبَلِ الرُّخَصِ ، فاشتبهَ ذٰلكَ علينا وهوَ عندَكَ حرامٌ ، ونستغفرُكَ مِنْ كلِّ عملٍ عملناهُ لوجهِكَ ، فخالطَهُ ما ليسَ لكَ فيهِ رضاً ، لا إلٰهَ إلَّا أنتَ ، يا أرحمَ الرَّاحمينَ .

خاتمة

في الخوفِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ (1) ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (2) فأمرَ بالخوفِ وأوجبَهُ ، وشرطَهُ في الإيمانِ ؛ فلذٰلكَ لا يُتصوَّرُ أن ينفكَّ مؤمنٌ عن خوفٍ وإن ضَعُفَ ، ويكونُ ضَعفُ خوفِهِ بحسبِ ضَعفِ معرفتِهِ وإيمانِهِ .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِٱللهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً » (3) .

---

(1) سورة البقرة : (٤٠) .

(2) سورة آل عمران : (١٧٥) .

(3) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (١٦٦) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وأخرج البخاري (٢٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم . . أمرهم من الأعمال ما يطيقون ، قالوا : إنَّا لسنا كهيئتك يا رسول الله ؛ إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فيغضب حتىٰ يعرف الغضب في وجهه ، ثم يقول : « إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا » .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رَأْسُ ٱلْحِكْمَةِ مَخَافَةُ ٱللهِ »[1] .

وقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ : « قَالَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَعِزَّتِي ؛ لَا أَجْمَعُ عَلَىٰ عَبْدِي خَوْفَيْنِ ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ ؛ فَإِنْ أَمِنَنِي فِي ٱلدُّنْيَا . . أَخَفْتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَإِنْ خَافَنِي فِي ٱلدُّنْيَا . . أَمَّنْتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[2] .

وقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ : « إِذَا ٱقْشَعَرَّ جِلْدُ ٱلْعَبْدِ مِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ . . تَحَاتَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ عَنِ ٱلشَّجَرَةِ ٱلْبَالِيَةِ وَرَقُهَا »[3] .

وقالَ الحسنُ رضيَ اللهُ عنهُ : (إنَّ الرَّجلَ ليذنبُ الذنبَ فما ينساهُ ، ولا يزالُ مُتخوِّفاً حتىٰ يدخلَ الجنَّةَ)[4] .

[خوفُهُ مِنَ اللهِ جعلَهُ صِدِّيقاً]

وقالَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ : (إنَّ رجلاً مِنْ بني إسرائيلَ أصابَ ذنباً فحزنَ ، فجعلَ يذهبُ ويجيءُ ويقولُ : بِمَ أُرضي ربِّي ؟! فكُتِبَ صِدِّيقاً)[5] .

وقالَ الفُضيلُ رحمةُ اللهِ عليهِ : (مَنْ خافَ اللهَ تعالىٰ . . دَلَّهُ الخوفُ علىٰ كلِّ خيرٍ)[6] .

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٢٩) موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه ، ثم قال : (هٰذا موقوف ، وقد رُوي من وجه آخر ضعيف مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم) وذكره برقم (٧٣٠) .

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٤٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن المبارك في « الزهد » (١٥٧) واللفظ له عن الحسن مرسلاً .

(٣) أخرجه البزار (١٣٢٢) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٨٠٢٢) عن العباس رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أحمد في « الزهد » (١٥٨١) .

(٥) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧٦١) ، وفي (أ ، هـ ، ط) كرر قوله : (بِمَ أرضي ربي) مرتين .

(٦) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٢٦) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/٥٣٠) .

وسُئِلَ ابنُ جُبيرٍ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ الخشيةِ ، فقالَ : (هيَ أن تخشى اللهَ تعالىٰ حتىٰ تحولَ خشيتُهُ بينَكَ وبينَ معاصيهِ)[1] .

وفي « صحيحِ البخاريِّ » : قالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (إنَّ المؤمنَ يرىٰ ذنوبَهُ كأنَّهُ قاعدٌ تحتَ جبلٍ ، يخافُ أن يقعَ عليهِ ، وإنَّ الفاجرَ يرىٰ ذنوبَهُ كذُبابٍ مرَّ علىٰ أنفِهِ ، فقالَ بهِ هٰكذا ـ أي : ذَبَّهُ بيدِهِ ـ فطارَ)[2] .

[سبيلُ النَّجاةِ]

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لعُقبةَ بنِ عامرٍ لمَّا سألَهُ : ما النَّجاةُ ؟ قالَ : « ٱمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَٱبْكِ عَلَىٰ خَطِيئَتِكَ »[3] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا يَلِجُ ـ أي : لا يدخلُ ـ ٱلنَّارَ رَجُلٌ بَكَىٰ مِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ تَعَالَىٰ حَتَّىٰ يَعُودَ ٱللَّبَنُ فِي ٱلضَّرْعِ ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ »[4] .

وفي « الصحيحَينِ » : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذكرَ مِنَ السبعةِ الذينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ تحتَ ظلِّ عرشِهِ يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّهُ : « إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ ٱللهِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ ٱمْرَأَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ ٱللهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِيَمِينِهِ فَأَخْفَاهَا عَنْ

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٨) من رواية نعيم بن حماد عنه .

(٢) صحيح البخاري (٦٣٠٨) .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٠٦) ، وأحمد (١٥٨/٤) عن سيدنا عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه ، وزادا : « وليسعك بيتك » .

(٤) أخرجه الترمذي (١٦٣٣) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٤٣٠١) ، وأحمد (٥٠٥/٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

شِمَالِهِ ، وَرَجُلٌ مُعَلَّقٌ قَلْبُهُ بِٱلْمَسْجِدِ [1] ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ ـ أي : وعيدَهُ وعذابَهُ ـ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » [2] ؛ أي : خوفاً ممَّا جناهُ واقترفَهُ مِنَ المُخالفاتِ والذُّنوبِ .

[فضلُ البكاءِ مِنْ خشيةِ اللهِ]

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ رضيَ اللهُ عنهُما : (لأن أدمعَ دمعةً مِنْ خشيةِ اللهِ . . أحبُّ إليَّ مِنْ أن أتصدَّقَ بألفِ دينارٍ) [3] .

وقالَ كعبُ الأحبارِ : (والذي نفسي بيدِهِ ؛ لأن أبكيَ مِنْ خشيةِ اللهِ حتىٰ تسيلَ دموعي علىٰ وجنتي . . أحبُّ إليَّ مِنْ أن أتصدَّقَ بجبلِ ذهبٍ) [4] .

[تحريمُ موضعِ الدموعِ على النَّارِ]

وقالَ عونُ بنُ عبدِ اللهِ : (بلغَني : أنَّهُ لا يُصيبُ دموعُ الإنسانِ مِنْ خشيةِ اللهِ مكاناً مِنْ جسدِهِ . . إلَّا حرَّمَ اللهُ تعالىٰ ذٰلكَ المكانَ على النَّارِ) [5] .

وكانَ محمدُ بنُ المُنكدِرِ إذا بكىٰ . . مسحَ وجهَهُ ولحيتَهُ مِنْ دموعِهِ ،

---

(١) من قوله : (إمام عادل) إلىٰ هنا زيادة من (ب ، ط) .

(٢) صحيح البخاري (٦٦٠) ، وصحيح مسلم (١٠٣١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨١٦) ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٧٨٦٩) .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٦٦٩٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٦٦/٥) .

(٥) أورده ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٥٠/٣) ، وأوله : عن أبي معشر قال : (رأيت عون بن عبد الله في مجلس أبي حازم يبكي ويمسح وجهه بدموعه ، فقيل : لِمَ تمسح وجهك بدموعك ؟ قال : بلغني . . .) .

ويقولُ : (بلغَني : أنَّ النَّارَ لا تأكلُ موضعاً مسَّتْهُ الدموعُ)[١] .

[وصفُ بكاءِ النبيِّ ﷺ]

وفي « صحيحِ ابنِ حِبَّانَ » عن عطاءٍ قالَ : دخلتُ أنا وعُبيدُ بنُ عُمَيرٍ علىٰ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها ، فقالَتْ لعُبيدِ بنِ عُمَيرٍ : قد آنَ لكَ أن تزورَنا !! فقالَ : أقولُ يا أمَّهْ كما قالَ الأوَّلُ : زُرْ غِبّاً . . تزددْ حُبّاً ، فقالَتْ : دعونا من مطالبِكُم[٢] هـٰذهِ .

فقالَ ابنُ [عُمَيرٍ] : أخبرينا بأعجبِ شيءٍ رأيتِهِ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

قالَ : فسكتَتْ ثمَّ قالَتْ : لمَّا كانَتْ ليلةٌ مِنَ اللَّيالي . . قالَ : « يَا عَائِشَةُ ؛ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ ٱللَّيْلَةَ لِرَبِّي » قلتُ : واللهِ ؛ إنِّي لأُحِبُّ قُرْبَكَ وأُحِبُّ ما يسرُّكَ .

قالَتْ : فقامَ فتطهَّرَ ، ثمَّ قامَ يُصلِّي ، فلم يزلْ يبكي حتىٰ بلَّ حِجرَهُ ـ وكانَ جالساً ـ فلم يزلْ يبكي حتىٰ بلَّ لحيتَهُ ، قالَتْ : ثمَّ بكىٰ ، فلم يزلْ يبكي حتىٰ بلَّ الأرضَ ، فجاءَ بلالٌ يُؤْذِنُهُ بالصَّلاةِ ، فلمَّا رآهُ يبكي . . قالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ لِمَ تبكي ؛ وقد غفرَ اللهُ لكَ ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِكَ وما تأخَّرَ ؟! قالَ : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً ؟! »[٣] .

---

(١) أخرجه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٤١٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٠/٥٦) .

(٢) كذا في النسخ ، وفي مصادر التخريج : (رَطانتكم) ، ومعناها : الكلام بغير العربية .

(٣) صحيح ابن حبان (٦٢٠) ، وتتمته : « لقد نزلت عليَّ الليلة آية ، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . . ﴾ [آل عمران : ١٩٠] » الآية كلها .

[مِنْ بكاءِ سيِّدِنا آدمَ عليهِ السلامُ]

وفي « منهاجِ الغزاليِّ » : إنَّ آدمَ ـ صفيَّ اللهِ ونبيَّهُ الذي خلقَهُ بيدِهِ ، وأسجدَ لهُ ملائكتَهُ ، وحملَهُ علىٰ أعناقِهِم إلىٰ جِوارِهِ ـ لمَّا أكلَ أكلةً واحدةً لم يُؤْذَنْ لهُ فيها . . فنُودِيَ : « أَنْ لَا يُجَاوِرَنِي مَنْ عَصَانِي » ، وأمرَ الملائكةَ الذينَ يحملونَ سريرَهُ يَجرُّونَهُ مِنْ سماءٍ إلىٰ سماءٍ [1] ، حتىٰ أوقعوهُ بالأرضِ ، ولم يقبلْ توبتَهُ ـ فيما رُوِيَ ـ حتىٰ بكىٰ علىٰ ذٰلكَ مئتَيْ سنةٍ [2] ، ولحقَهُ مِنَ الهوانِ والبلاءِ ما لحقَهُ ، وبقيَتْ ذُرِّيَّتُهُ في تبِعاتِ ذٰلكَ على الأبدِ [3] .

ثمَّ إنَّ نوحاً شيخَ المُرسَلينَ عليهِ السلامُ الذي احتملَ في أمرِ دينِهِ ما احتملَ ، لم يقُلْ إلَّا كلمةً واحدةً علىٰ غيرِ وجهِها . . إذ نُودِيَ : ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [4] ؛ حتىٰ رُوِيَ في بعضِ الأخبارِ : أنَّهُ لم يَرفعْ رأسَهُ إلى السماءِ ؛ حياءً مِنَ اللهِ تعالىٰ أربعينَ سنةً [5] .

وقالَ الحسنُ : (إنَّ آدمَ عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ بكىٰ حينَ أُهبطَ مِنَ الجنَّةِ ثلاثَ مئةِ عامٍ ، حتىٰ جرَتْ أوديةُ سَرَنْدِيبَ مِنْ دموعِهِ) [6] .

---

(١) في (هـ) : (يزجرونه) بدل (يجرونه) .

(٢) إلىٰ هنا انتهت النسخة (هـ) .

(٣) انظر « منهاج العابدين » (ص ٦١ ـ ٦٢) فقد ذكره بنحوه ، وزاد : (هٰذا حاله مع نبيه وصفيه في ذنبٍ واحدٍ ؛ فكيف حال الغير في ذنوبٍ لا تُحصىٰ ؟! وهٰذا تضرع التائب وابتهاله ؛ فكيف بالمصر المتعسف ؟!) .

(٤) سورة هود : (٤٦) .

(٥) أورده الخادمي في « شرح الطريقة المحمدية » (٣/١٠٤) .

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٣١٠) .

[مِنْ بكاءِ سيِّدِنا نوحٍ وداوودَ ويحيىٰ عليهِمُ السلامُ]

وقالَ وُهَيبُ بنُ الوردِ : (إنَّ نوحاً عليهِ السلامُ لمَّا عاتبَهُ اللهُ في ابنِهِ . . بكىٰ ثلاثَ مئةِ عامٍ ، حتىٰ صارَ في خَدَّيهِ أمثالُ الجداولِ)[1] ؛ أي : الأنهارِ الصغارِ مِنَ البكاءِ .

وقالَ مجاهدٌ : (بكىٰ داوودُ عليهِ السلامُ أربعينَ يوماً ساجداً لا يرفعُ رأسَهُ ، حتىٰ نبتَ المرعىٰ مِنْ دموعِهِ حتىٰ غطَّىٰ رأسَهُ ، فنُودِيَ : « يَا دَاوُودُ ؛ أَجَائِعٌ أَنْتَ فَتُطْعَمَ ؟ أَمْ ظَمْآنُ فَتُسْقَىٰ ؟ أَمْ عَارٍ فَتُكْسَىٰ ؟ » فنحبَ نحبةً هاجَ [منها] العودُ ، فاحترقَ مِنْ حرِّ جوفِهِ ، ثمَّ أنزلَ اللهُ عليهِ التَّوبةَ والمغفرةَ ، فقالَ : يا ربِّي ؛ اجعلْ خطيئتي في كفِّي ، فصارَتْ خطيئتُهُ في كفِّهِ مكتوبةً ، فكانَ لا يبسطُ كفَّهُ لطعامٍ ولا لشرابٍ ولا لغيرِهِ . . إلَّا رآها فأبكَتْهُ .

قالَ : وكان يُؤتىٰ بالقدحِ ثُلُثاهُ ماءٌ ، فإذا تناولَهُ . . أبصرَ خطيئتَهُ ، فما يضعُهُ علىٰ شفتَيهِ حتىٰ يفيضَ القدحُ مِنْ دموعِهِ)[2] .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو : (كانَ يحيى بنُ زكريّا عليهِما السلامُ يبكي حتىٰ تَقطَّعَ خدَّاهُ وبدَتْ أضراسُهُ ، فقالَتْ لهُ أمُّهُ : لو أذِنتَ لي ـ يا بُنيَّ ـ حتىٰ أتخذَ لكَ قطعتَينِ مِنْ لُبودٍ ؛ تواري بهِما أضراسَكَ عنِ الناظرين ، فأذِنَ ، فألصقَتْهُما بخدَّيهِ ، وكانَ يبكي ، فكانتا تسيلانِ بالدموعِ ، فتجيءُ أمُّهُ فتعصرُهُما ، فتسيلُ دموعُهُ علىٰ ذراعِها)[3] .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٣٣٢) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٤٧٤) بلفظه ، وابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٣٤١) عن يونس بن خباب بنحوه مختصراً .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٤٠١) .

[مِنْ بكاءِ الصَّحابةِ الكرامِ]

وفي « صحيحِ البخاريِّ » عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : (وكانَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ رَجُلاً بكَّاءً ، لا يملِكُ عينَيهِ إذا قرأَ القرآنَ)[1] .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ عيسىٰ : (كانَ في وجهِ عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ خَطَّانِ أسودانِ مِنَ البكاءِ)[2] .

وقالَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ : (ليتَني كنتُ شعرةً في صدرِ مؤمنٍ)[3] .

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ عندَ موتِهِ : (الويلُ لعمرَ إن لم يغفرِ اللهُ لهُ !!)[4] .

وبكى ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما حتىٰ صارَ كأنَّهُ الشَّنُّ البالي[5] ، وبكىٰ تلميذُهُ سعيدُ بنُ جُبيرٍ حتىٰ عمِشَتْ عيناهُ[6] .

[قصَّةُ بكاءِ يزيدَ بنِ مَرْثَدٍ]

وعن عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ يزيدَ بنِ جابرٍ قالَ : قلتُ ليزيدَ بنِ مَرْثَدٍ :

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٦) .

(٢) أخرجه أحمد في « الزهد » (٦٣٨) ، وابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٢١٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥١/١) .

(٣) أخرجه أحمد في « الزهد » (٥٦٠) ، وأورده الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٦٩١/١) في الأصل (٥٣) .

(٤) أورده ابن الجوزي في « المدهش » (٥٢٩/٢) .

(٥) انظر « الزواجر عن اقتراف الكبائر » (٣٩/١) فقد نقل الخبر كاملاً ، وأورد الإمام الشعراني في « الطبقات الكبرىٰ » (٢٥/١) في ترجمة سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما : (وكان مجرى الدموع في وجهه كأنه الشراك البالي) .

(٦) انظر « الطبقات الكبرىٰ » للشعراني (٤٢/١) .

(ما لي أرىٰ عينَكَ لا تجفُّ ؟ قالَ : وما مسألتُكَ عنهُ ؟ قلتُ : عسى اللهُ أن ينفعَني بهِ .

قالَ : يا أخي ؛ إنَّ اللهَ قد توعَّدَني إن أنا عصيتُهُ . . أن يسجنَني في النَّارِ ، واللهِ ؛ لو لم يتوعَّدْني أن يسجنَني إلَّا في الحمَّامِ . . لكنتُ حريّاً ألَّا تجفَّ لي عينٌ .

قالَ : فقلتُ لهُ : فهٰكذا أنتَ في خلواتِكَ ، قالَ : وما مسألتُكَ عنهُ ؟ قلتُ : عسى اللهُ أن ينفعَني بذٰلكَ .

فقالَ : واللهِ ؛ إنَّ ذٰلكَ ليعرضُ لي حينَ أسكنُ إلىٰ أهلي ـ أي : لإرادةِ وطئِها ـ فيحولُ ذٰلكَ بيني وبينَ ما أريدُ ، وإنَّهُ ليوضعُ الطعامُ بينَ يدَيَّ فيعرضُ لي ، فيحولُ بيني وبينَ أكلِهِ ، حتىٰ تبكيَ امرأتي وتبكيَ صبيانُنا ما يدرونَ ما أبكانا !!)[١] .

[كَهْمَسٌ يبكي أربعينَ سنةً علىٰ ذنبٍ واحدٍ]

وعن عُمارةَ بنِ زاذانَ قالَ : قالَ لي كهمسٌ : (يا أبا سلمةَ ؛ أذنبتُ ذنباً ، فأنا أبكي عليهِ منذُ أربعينَ سنةً ، فقلتُ : ما هوَ ؟ قالَ : زارني أخٌ لي ، فاشتريتُ لهُ سمكاً بدانقٍ ، فلمَّا أكلَ . . قمتُ إلىٰ حائطِ جارٍ لي ، فأخذتُ منهُ قطعةَ طينٍ ، فغسلَ بها يدَهُ ، فأنا أبكي علىٰ ذٰلكَ منذُ أربعينَ سنةً)[٢] .

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٤٨١) ، وأحمد ابن حنبل في « الزهد » (٢٢٥١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥/١٦٤) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الورع » (١٥٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦/٢١١) .

[بكاءُ فتحٍ الموصليِّ وثمرتُهُ]

ودخلَ بعضُ أصحابِ فتحٍ الموصليِّ عليهِ فرآهُ يبكي ودموعُهُ خالطَها صفرةٌ ، فقالَ لهُ : (بكَيتَ الدَّمَ ؟! قالَ : نعم ، قالَ : علىٰ ماذا ؟ قالَ : علىٰ تخلُّفي عن واجبِ حقِّ اللهِ .

ثمَّ رآهُ في المنامِ بعدَ موتِهِ ، فقالَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ قالَ : غفرَ لي ، قالَ : ما صنعَ في دموعِكَ ؟ قالَ : قرَّبَني ، فقالَ لي : يا فتحُ ؛ علىٰ ماذا بكَيتَ ؟ قلتُ : يا ربِّ ؛ علىٰ تخلُّفي عن واجبِ حقِّكَ ، قالَ : فالدَّمَ ؟ قالَ : خوفاً ألَّا يصحَّ لي ، قالَ : يا فتحُ ؛ ما أردتَ بهٰذا كلِّهِ ؟ وعِزَّتي وجلالي ؛ لقد صعِدَ حافظاكَ أربعينَ سنةً بصحيفتِكَ ما فيها خطيئةٌ !!)[1] .

[البكاءُ مِنْ خوفِ سلبِ الإيمانِ]

وكانَ أبو الدَّرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ صاحبُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يَحلِفُ باللهِ : (إنَّ مَنْ أمنَ السلبَ عندَ موتِهِ . . سُلِبَ عندَ موتِهِ)[2] ؛ أي : جزاءً لأمنِهِ مكرَ اللهِ .

وقالَ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ مهديّ : (ماتَ سفيانُ الثوريُّ ، فلمَّا اشتدَّ بهِ النزعُ . . جعلَ يبكي ، فقالَ لهُ رجلٌ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ أتراكَ كثيرَ الذُّنوبِ ؟ فرفعَ رأسَهُ وأخذَ شيئاً مِنَ الأرضِ فقالَ : واللهِ ؛ لذنوبي أهونُ عندي مِنْ هٰذا ، إنِّي أخافُ أن أُسلَبَ الإيمانَ قبلَ أن أموتَ)[3] .

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (١٢٧/٤) ، وأورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١٨٠/٩ ـ ١٨١) .

(٢) انظر « الزواجر عن اقتراف الكبائر » (٤٥/١) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٢/٧) .

[البكاءُ مِنْ سوءِ الخاتمةِ]

وفي « الرَّوضِ الفائقِ » عن سفيانَ الثوريّ : (أنَّهُ خرجَ إلىٰ مكَّةَ حاجّاً ، فكانَ يبكي مِنْ أوَّلِ اللَّيلِ إلىٰ آخِرِهِ في المَحْمِلِ ، فقالَ [لهُ] شيبانُ الرَّاعي : يا سفيانُ ؛ بكاؤُكَ : إن كانَ لأجلِ المعصيةِ . . فلا تعصِهِ .

فقالَ سفيانُ : أمَّا الذُّنوبُ . . فما خطرَتْ ببالي قطُّ ؛ صغيرُها ولا كبيرُها ، وليسَ بكائي يا شيبانُ مِنْ أجلِ المعصيةِ ؛ ولٰكن خوفَ الخاتمةِ ؛ لأنِّي رأيتُ شيخاً كبيراً كتبنا عنهُ العلمَ ، وعلَّمَ النَّاسَ أربعينَ سنةً ، وجاورَ بيتَ اللهِ الحرامَ سنتَينِ ، وكانَ يُلتمَسُ بركتُهُ ، ويُستسقَىٰ بِه الغيثُ ، فلمَّا ماتَ . . تحوَّلَ وجهُهُ عنِ القِبلةِ ، وماتَ على الشِّركِ كافراً ، فأنا أخافُ مِنْ سوءِ الخاتمةِ)[١] .

❁ ❁ ❁

وقالَ سهلٌ : (رأيتُ في المنامِ كأنِّي أُدخِلتُ الجنَّةَ ، فرأيتُ ثلاثَ مئةِ نبيٍّ ، فسألتُهُم : ما أخوفُ ما كنتُم تخافونَ في الدُّنيا ؟ فقالوا : سوءُ الخاتمةِ)[٢] .

اللهمَّ ؛ إنَّا نسألُكَ حسنَ الخاتمةِ ، ونعوذُ بكَ مِنْ سوئِها ، وأن [تتوفَّانا] على الإيمانِ والتَّوبةِ .

❁ ❁ ❁

وفي « الصحيحَينِ » : قامَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حينَ أُنزلَ

---

(١) أورده السفيري في « المجالس الوعظية » (١/٣٠٠) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/٢٢٩) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٧/٥٨٨) .

عليهِ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1] ، فقالَ : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ؛ ٱشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ ٱللهِ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ ٱللهِ شَيْئاً ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ؛ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ ٱللهِ شَيْئاً ، يَا عَبَّاسُ عَمَّ رَسُولِ ٱللهِ ؛ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ ٱللهِ شَيْئاً ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ ٱللهِ ؛ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ ٱللهِ شَيْئاً ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ؛ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ ٱللهِ شَيْئاً »[2] .

[مِنْ صفةِ نارِ جهنَّمَ]

وقالَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ : (إذا كانَ يومُ القيامةِ . . جمَعَ اللهُ الأوَّلينَ والآخِرينَ في صعيدٍ واحدٍ ، ونزلَتِ الملائكةُ فصارَتْ صفوفاً ، فيقولُ : يا جبريلُ ؛ ائتِني بجهنَّمَ ، فيأتي بها جبريلُ تُقادُ بسبعينَ ألفَ زِمامٍ ، معَ كلِّ زِمامٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يجرُّونَها ، حتىٰ إذا كانَتْ مِنَ الخلائقِ علىٰ قدرِ مئةِ عامٍ . . زفرَتْ زفرةً طارَتْ لها أفئدةُ الخلائقِ .

ثمَّ زفرَتْ ثانيةً ، فلا يبقىٰ مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسَلٌ إلَّا جثا علىٰ ركبتَيهِ .

ثمَّ تزفِرُ ثالثةً فتبلغُ القلوبُ الحناجرَ ، وتفزعُ العقولُ ، فيفزعُ كلُّ امرئٍ إلىٰ عملِهِ .

حتىٰ إنَّ إبراهيمَ الخليلَ يقولُ : بخُلَّتي ؛ لا أسألُكَ إلَّا نفسي ، ويقولُ موسىٰ : بمناجاتي ؛ لا أسألُكَ إلَّا نفسي ، وإنَّ عيسىٰ يقولُ : بما أكرمتَني ؛ لا أسألُكَ إلَّا نفسي ، لا أسألُكَ مريمَ التي ولدَتْني)[3] .

---

(١) سورة الشعراء : (٢١٤) .

(٢) صحيح البخاري (٢٧٥٣) ، وصحيح مسلم (٢٠٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥/٣٧٢) من حديث طويل .

وقالَ أيضاً : (لو فُتِحَ مِنْ جهنَّمَ قدرُ مَنْخِرِ ثورٍ بالمشرقِ ورجلٌ بالمغربِ . . لغلىٰ دماغُهُ حتىٰ يسيلَ مِنْ حرِّها)[1] ، أعاذَنا اللهُ منها .

ورُوِيَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « يَا جِبْرِيلُ ؛ مَا أَرَىٰ مِيكَائِيلَ يَضْحَكُ ؟! قَالَ : مَا ضَحِكَ مِيكَائِيلُ مُنْذُ خُلِقَتِ ٱلنَّارُ »[2] ، و« مَا جَفَّتْ لِي عَيْنٌ مُنْذُ خُلِقَتْ جَهَنَّمُ ؛ مَخَافَةَ أَنْ أَعْصِيَ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ [فَيَجْعَلَنِي] فِيهَا »[3] .

فإذا كانَتْ هٰذهِ حالةَ الأنبياءِ والملائكةِ المُطهَّرينَ مِنَ الأدناسِ . . فكيفَ حالي وحالُ أمثالي مِنْ عُصاةِ النَّاسِ ؟! وأينَ بكائي لإصراري على المعاصي ؟!

اللهمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ مخافةً تحجُزُني عن معاصيكَ ، حتىٰ أعملَ بطاعتِكَ عملاً أستحقُّ بهِ رضاكَ ، وحتىٰ أُناصِحَكَ في التَّوبةِ خوفاً منكَ ، يا مُقلِّبَ القلوبِ ؛ ثبِّتْ قلبي علىٰ دينِكَ .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٦٨/٥) عن موعظة طويلة يعظ فيها كعب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٤/٣) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٥) عن سيدنا المطلب رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٧) ، وقوام السنة الأصبهاني في « الترغيب والترهيب » (٩٩٧) عن أبي عمران الجوني مرسلاً ، وأوله : (بلغني أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي ، فقال : « ما يبكيك ؟ » قال : ما جفت لي عين . . .) .

ختام الخاتمة في الرّجاء (1)

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ وفي قراءةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : (ولا يُبالي) ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (2) .

وكانَ أبو جعفرٍ محمدُ بنُ عليٍّ يقولُ : (أنتُم أهلَ العراقِ تقولونَ : أرجىٰ آيةٍ في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ (3) ، ونحنُ أهلَ البيتِ نقولُ : أرجىٰ آيةٍ في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (4) ، فلا يرضىٰ محمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأحدٌ مِنْ أُمَّتِهِ في النَّارِ) (5) .

وأخرج الشَّيخانِ وابنُ ماجه : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَمَّا قَضَى ٱللهُ ٱلْخَلْقَ . . كَتَبَ كِتَاباً فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ

---

(1) في (أ) : (اختتام الخاتمة) ، وفي (ج) : (خاتمة الخاتمة) .

(2) الآية (٥٣) من سورة الزمر ، والحديث أخرجه الحاكم (٢/٢٤٩) ، والترمذي (٣٢٣٧) عن سيدتنا أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ، وذكر أبو جعفر النحاس هٰذه الرواية في « إعراب القرآن » (ص ٧٦٨) مع قراءة سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه : (إن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء) وقال : (وهاتان القراءتان على التفسير) .

(3) سورة الزمر : (٥٣) .

(4) سورة الضحىٰ : (٥) .

(5) أخرجه ابن خزيمة في « التوحيد » (٢/٦٧٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣/١٧٩) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٣٠١٠) .

غَضَبِي »[1] ، وفي روايةٍ : « كَتَبَ كِتَاباً فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي »[2] .

وأحمدُ وابنُ حِبَّانَ والبيهقيُّ : « قَالَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ؛ إِنْ ظَنَّ خَيْراً . . فَلَهُ ، وَإِنْ ظَنَّ شَرّاً . . فَلَهُ »[3] .

والبيهقيُّ : « أَمَرَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ إِلَى ٱلنَّارِ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَىٰ شَفِيرِهَا . . ٱلْتَفَتَ فَقَالَ : أَمَا وَٱللهِ يَا رَبِّ ؛ إِنْ كَانَ ظَنِّي بِكَ لَحَسَنٌ ، فَقَالَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : رُدُّوهُ ، أَنَا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِي بِي »[4] .

[مِنْ رحمتِهِ بالعبادِ ادَّخرَ لهُم تسعةً وتسعينَ رحمةً ليومِ المعادِ]

والشَّيخانِ والتِّرمذيُّ : « إِنَّ لِلهِ مِئَةَ رَحْمَةٍ ؛ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ وَٱلْبَهَائِمِ وَٱلْهَوَامِّ ؛ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ ، وَبِهَا يَعْطِفُ ٱلطَّيْرُ وَٱلْوَحْشُ عَلَىٰ أَوْلَادِهَا ، وَأَخَّرَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[5] .

والشَّيخانِ : قدمَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سبيٌ ؛ فإذا امرأةٌ مِنَ السبيِ ـ قد تحلَّبَ ثديُها ـ تسعىٰ ، إذا وجدَتْ صبيّاً في السبيِ . . أخذَتْهُ وألصقَتْهُ ببطنِها وأرضعَتْهُ .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥٤) ، ومسلم (٢٧٥١) ، وابن ماجه (٢٠٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٤) ، وأحمد (٢/٣١٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٣) صحيح ابن حبان (٦٣٩) ، ومسند أحمد (٢/٣٩١) ، وسنن ابن ماجه (٣٩٧٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٤) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٧٩٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٥) صحيح البخاري (٦٤٦٩) ، وصحيح مسلم (٢٧٥٢) واللفظ له ، وسنن الترمذي (٣٥٤١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

فقالَ لنا النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَتَرَوْنَ هَـٰذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي ٱلنَّارِ ؟! » قُلنا : لا ، وهيَ تقدِرُ علىٰ ألَّا تطرحَهُ ، قالَ : « ٱللهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَـٰذِهِ بِوَلَدِهَا »[1] .

والنَّسائيُّ عن عامرٍ الرَّامِ قالَ[2] : بينَما نحنُ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . إذ أقبلَ رجلٌ عليهِ كِساءٌ ، وفي يدِهِ شيءٌ قدِ ٱلتفَّ عليهِ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ مررتُ بغيضةِ شجرٍ ، فسمعتُ فيها أصواتَ فراخِ طائرٍ ، فأخذتُهُنَّ [فوضعتُهُنَّ] في كِسائي ، فجاءَتْ أُمُّهُنَّ فاستدارَتْ علىٰ رأسي ، فكشفْتُ لها عنهُنَّ فوقعَتْ عليهِنَّ ، فلففتُهُنَّ بكِسائي ، فهُنَّ أُولاءِ معي .

قالَ : « ضَعْهُنَّ » فوضعتُهُنَّ ، وأبَتْ أُمُّهُنَّ إلَّا لزومَهُنَّ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَتَعْجَبُونَ لِرُحْمِ أُمِّ ٱلْفِرَاخِ فِرَاخَهَا ؟! فَوَٱلَّذِي بَعَثَنِي بِٱلْحَقِّ ؛ لَلهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ أُمِّ ٱلْفِرَاخِ بِفِرَاخِهَا ، ٱرْجِعْ بِهِنَّ حَتَّىٰ تَضَعَهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُنَّ وَأُمُّهُنَّ مَعَهُنَّ » فرجعَ بهِنَّ[3] .

والترمذيُّ وحسَّنَهُ عن أنسٍ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : يَا بْنَ آدَمَ ؛ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي . . غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي .

---

(١) صحيح البخاري (٥٩٩٩) ، وصحيح مسلم (٢٧٥٤) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
(٢) الرام : الرامي ، حذفت ياؤه تخفيفاً كما في (المتعالِ) ، ولقب بذٰلك لأنه كان أرمى العرب ، وله صحبة رضي الله عنه .
(٣) أخرجه أبو داوود (٣٠٨٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧٢٨) ، ولم يعزه ابن الأثير في « جامع الأصول » (٢٦٣٤) إلا لأبي داوود ، فلعل عزو المؤلف للنسائي سبق قلم .

يَا بْنَ آدَمَ ؛ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ ٱلسَّمَاءِ ثُمَّ ٱسْتَغْفَرْتَنِي . . غَفَرْتُ لَكَ .

يَا بْنَ آدَمَ ؛ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ ٱلْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً . . لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً »[(١)] .

[أوَّلُ ما يقولُهُ سبحانَهُ للمؤمنينَ وما يردُّونَ]

وأحمدُ والطبرانيُّ عن معاذِ بنِ جبلٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنْ شِئْتُمْ . . أَنْبَأْتُكُمْ [مَا] أَوَّلُ مَا يَقُولُ ٱللهُ تَعَالَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَمَا أَوَّلُ مَا يَقُولُونَ لَهُ ؟

فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ : هَلْ أَحْبَبْتُمْ لِقَائِي ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ يَا رَبَّنَا .

فَيَقُولُ : لِمَ ؟ فَيَقُولُونَ : رَجَوْنَا عَفْوَكَ وَمَغْفِرَتَكَ ، فَيَقُولُ : قَدْ أَوْجَبْتُ لَكُمْ عَفْوِي وَمَغْفِرَتِي »[(٢)] .

❁ ❁ ❁

اللهمَّ ؛ إنَّا نرجو عفوَكَ ومغفرتَكَ ولقاءَكَ ، ونعوذُ برضاكَ مِنْ سخطِكَ ، وبمعافاتِكَ مِنْ عقوبتِكَ .

اللهمَّ ؛ إنَّا نسألُكَ الرَّاحةَ في الدَّارينِ ، وألَّا تنزِعَ منَّا ما وهبتَهُ لنا مِنَ الإيمانِ والعلمِ ، وألَّا تُزيغَ قلوبَنا بعدَ إذ هديتَنا ، وأن تُوفِّقَنا للعملِ بما تُحبُّهُ وترضاهُ .

---

(١) سنن الترمذي (٣٥٤٠) .

(٢) مسند أحمد (٥/٢٣٨) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/١٢٥) .

وألَّا تجعلَ علمَنا حجَّةً علينا ، وأن تجعلَنا معَ الذينَ أنعمتَ عليهِم مِنَ النبيّينَ والصِّدّيقينَ والشهداءِ والصالحينَ .

وأَنْ تُؤمّنَنا مِنَ الفزعِ الأكبرِ ، وأن تُظِلَّنا في ظلِّ عرشِكَ يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّكَ ، وأَنْ ترزقَنا الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ ، والنَّظرَ إلىٰ وجهِكَ بكرةً وعشيّاً ، آمينَ ، آمينَ ، آمينَ ؛ برحمتِكَ يا أرحمَ الرَّاحمينَ .

وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدِنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً .

والحمد لله رب العالمين [1]

(١) تم بحمد الله تعالىٰ وتوفيقه الانتهاء من تحقيق هٰذا السفر النافع وخدمته : صباح السبت الرابع من شهر جمادى الأولىٰ لسنة (١٤٣٩ هـ) الموافق للعشرين من شهر كانون الأول ، سنة (٢٠١٨ م) . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، ونسأل المولىٰ سبحانه الإخلاص والقبول ، والنفع بهٰذه الأعمال إنه هو المأمول ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

خواتيم النسخ المعتمدة

خاتمة النسخة (أ)

قد وقعَ الفراغُ مِنْ كتابتِهِ بوقتِ العصرِ ، مِنْ شهرِ [جُمادى] الأولىٰ (٢١) مِنَ الشهرِ ، سنةَ (١٢٥٧) عامَ ألفٍ ومئتَينِ وسبعٍ وخمسينَ ، علىٰ صاحبِها أفضلُ الصَّلاةِ والتسليمِ ، بخطِّ أضعفِ عبادِ اللهِ أجمعينَ : محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ حسينِ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ شهابِ الدِّينِ ، العلويّ نسباً ، والشافعيّ مذهباً ، والتريميّ وطناً .

غفرَ اللهُ لمؤجرِ هٰذا الكتابِ وكاتبِهِ ، آمينَ ، آمينَ .

خاتمة النسخة (ب)

قد وقعَ الفراغُ مِنْ كتابةِ هٰذا الكتابِ ، بكرمِ الملِكِ الوهَّابِ ، المُسمَّىٰ : بـ « إرشادِ العبادِ » بوقتِ العشاءِ ، مِنْ ليلةِ الاثنَينِ ، مِنْ شهرِ مُحرَّمٍ الحرامِ .

مُحرَّرُهُ خمسةَ عشرَ ، بسنةِ ألفٍ [ومئتَينِ] وثمانٍ وخمسينَ [للهجرةِ] النبويَّةِ ، [عليهِ] أفضلُ الصَّلاةِ وأزكى التَّحيَّاتِ .

خاتمة النسخة (ج)

تمَّ الكتابُ بعونِ الملِكِ الوهَّابِ ، يومَ الأحدِ (٨) شهرِ شعبانَ سنةَ (١٢٧٢) مِنْ هجرةِ المصطفىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

خاتمة النسخة (ط)

يقولُ المذنبُ الخاطي ، طٰهَ قطريةُ الدمياطيُّ : بحولِ اللهِ وقوَّتِهِ طُبِعَ الكتابُ المُستجادُ ، المُسمَّىٰ بـ « إرشادِ العبادِ إلىٰ سبيلِ الرشادِ » ، الجامعُ لمُهمَّاتِ الدِّينِ ، الموضِّحُ لمسالكِ المهتدينَ .

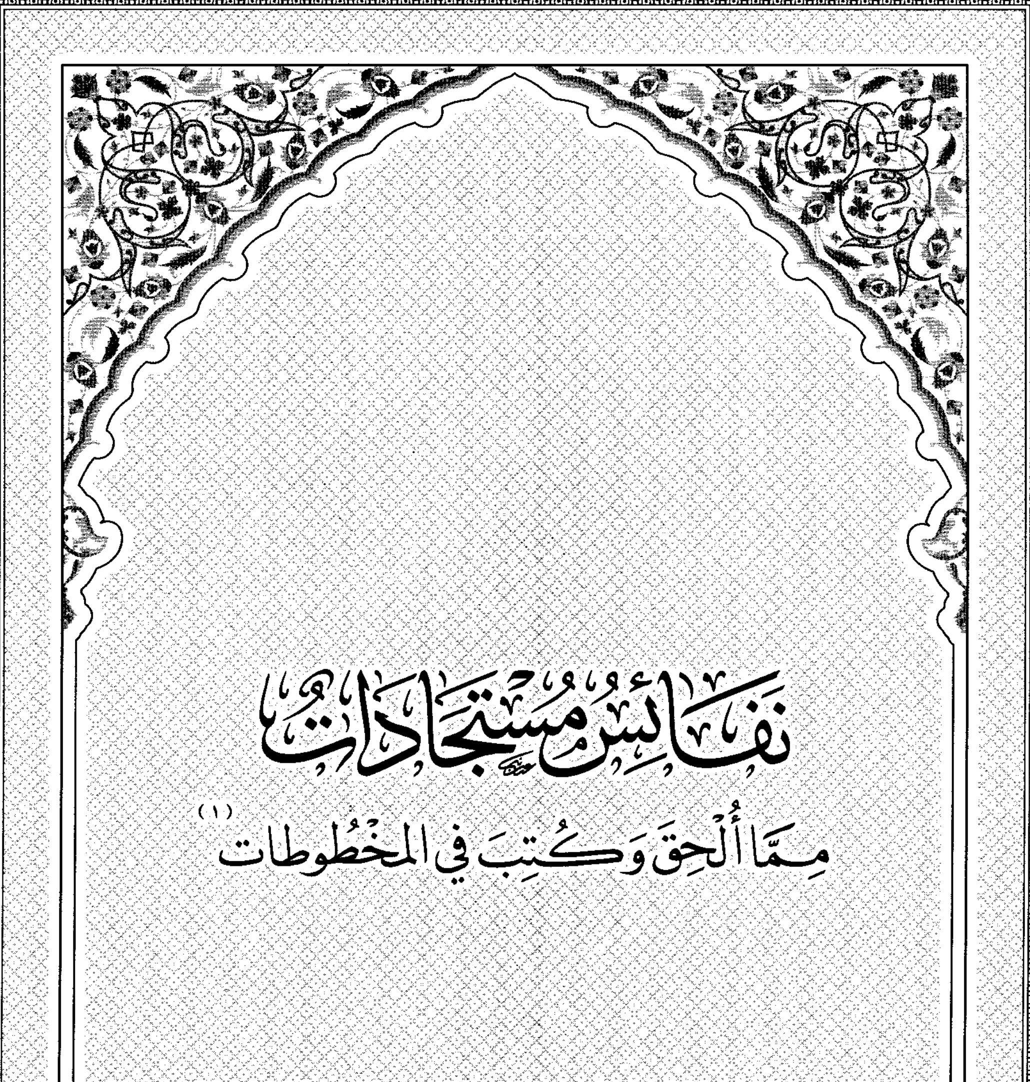
فللهِ دَرُّ مُؤلِّفِهِ المُؤلِّفِ لشملِ السنَّةِ الغراءِ ، الناسجِ في حسنِ صنيعِهِ علىٰ منوالِ « الإحياءِ » ، فتراهُ قد بيَّنَ الرُّشدَ مِنَ الغيِّ ، وأُوتِيَ في هٰذا الصنيعِ مِنْ كلِّ شيّ ، واقتطفَ مِنْ أزهارِ حكاياتِ السلفِ ، وكرعَ مِنْ أنهارِ مَنِ اقتفىٰ آثارَهُم ممَّنْ خلفَ .

وبالجملةِ : فهوَ كتابٌ نافعٌ في الدِّينِ والدُّنيا ، حافلٌ بمحاسنِ الآدابِ ، التي مَنِ استمسكَ بها . . تناولَ الثُّريَّا ، وقد سَهُلَ إليهِ الوصولُ ، ولاحَتْ عليهِ بطبعِهِ مخايلُ القَبولِ .

وقدِ التزمَ طبعَهُ بالمطبعةِ الوهبيَّةِ حضرةُ ذَوَي الشِّيَمِ ، مَنْ إليهما المجدُ يُسنَدُ ، الحاجُّ أبو طالبٍ الميمنيُّ ، والحاجُّ فداءُ محمدٍ .

وقد صحَّحْتُهُ مشاركاً لجليسي ، الشيخِ محمدٍ البَلبيسيِّ ، وكانَ الفراغُ مِنْ طبعِهِ الحسنِ النظامِ ، في مُستهلِّ ذي القعدةِ سنةَ (١٢٩٦) مِنْ هجرتِهِ عليهِ أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ ، آمينَ .

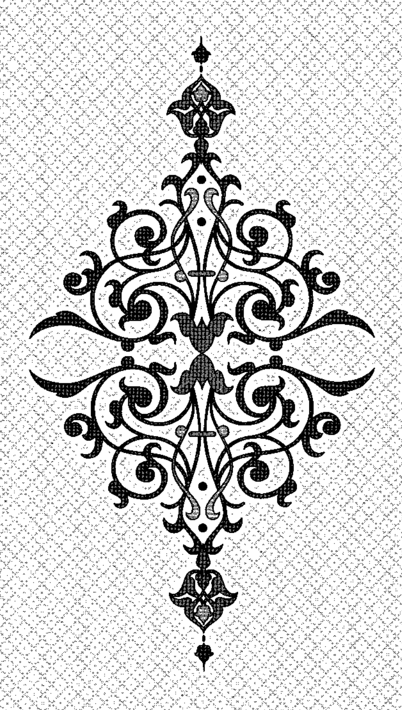
* * *



نفائس مستجادات

مِمَّا أُلحِقَ وكُتِبَ في المخطوطات [1]

(١) ارتأى القائمون على المركز العلمي لدار المنهاج : أن يزاد هـٰذا الفصل الجديد ؛ لكون بعض مخطوطات الكتاب تحتوي علىٰ فوائد ونفائس وضنائن مكتوبة في طرة المخطوطة وخاتمتها ؛ ولذا فقد اعتمدنا أن يكتب ما وُجد من ذٰلك في هـٰذا الموضع ؛ ليعم النفع بذٰلك ، والله الموفق .



فِي ٱرْشَادِ ٱلْعِبَادِ لِذِي ٱلسِّعَايَهْ   كِفَايَةُ لَا لِطُلَّابِ ٱلنِّهَايَهْ
فَيَا نَاظِرْهُ فَٱقْرَهُ وَٱلْتَزِمْهُ   فَإِنْ فِيهِ لِذِي ٱلسُّقْمِ شِفَايَهْ
وَلَا تَتْرُكْهُ فِي سَفَرٍ وَحَضْرٍ   وَإِعْمَلْ كَيْ تُلَاحِظَكَ ٱلْعِنَايَهْ
وَإِقْرَأْ فِيهِ فِي بَيْتِكْ لِأَهْلِكْ   وَأَوْلَادِكْ وَمَنْ لَكَ بِهْ وِلَايَهْ
فَكَمْ فِيهِ حِكَايَاتٌ وَوَعْظٌ   وَأَحَادِيثٌ صَحِيحَاتُ ٱلرِّوَايَهْ

❁ ❁ ❁

خَرَجْتُ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِغَيْرِ ذَنْبٍ   وَرَجَعْتُ مَعَ ٱلذُّنُوبِ إِلَى ٱلتُّرَابِ (١)

❁ ❁ ❁

ٱلْخَطُّ يَبْقَىٰ زَمَاناً بَعْدَ كَاتِبِهِ   وَكَاتِبُ ٱلْخَطِّ تَحْتَ ٱلْأَرْضِ مَدْفُونُ

❁ ❁ ❁

لِكَاتِبِهِ سَعَادَاتٌ تَدُومُ   مَعَ ٱلْإِقْبَالِ مَا طَلَعَتْ نُجُومُ

مسألةٌ : [مَنْ] يسجدُ للتلاوةِ . . لم يُسَنَّ لهُ التَّعوُّذُ للقراءةِ بعدَهُ . قالَهُ زكريَّا .

مسألةٌ : الأشبهُ إذا خرجَ وقتُ الفرضِ جوازُ قضاءِ راتبتِهِ البعديَّةِ قبلَهُ . قالَهُ محمدٌ البكريُّ ، وقالَ ابنُ حجرٍ : الأوجهُ عدمُ الجوازِ ، وفي « إيضاحِ الناشريِّ » ، و« شرحِ الإرشادِ » للجوجريّ وأقرَّهُ : أميلُ إلى الأوَّلِ .

❁ ❁ ❁

---

(١) كذا في النسخة الخطية ، وهو غير مستقيم الوزن .

مسألةٌ : شَكَّ مأمومٌ وإمامُهُ راكعٌ : هل أدركَ مِنْ قيامِ الإمامِ زمناً يسعُ (الفاتحةَ) أم لا . . لزمَهُ إتمامُها مطلقاً وإن فاتَتِ الرَّكعةُ . قالَهُ ابنُ حجرٍ والإمامُ زكريَّا .

وقالَ أيضاً : وإن أفتيتُ مرتَينِ بأنَّهُ [إن] أحرمَ عقبَ إحرامِ الإمامِ وعقبَ قيامِهِ مِنْ ركعتِهِ . . لم يُؤثِّرْ شكُّهُ ، بل يلزمُهُ إتمامُ (الفاتحةِ) وإن تأخَّرَ إحرامُهُ عن ذٰلكَ . . فالأصلُ : عدمُ الإدراكِ . انتهىٰ ، وبهِ أفتى ابنُ الحاجِّ .

❀ ❀ ❀

مسألةٌ : صلَّىٰ شخصٌ ، فلمَّا أرادَ أن يسجدَ . . رأىٰ ثوباً مُتنجِّساً فنحَّاهُ بيدِهِ .

أجابَ ابنُ كَبِّن : إن كانَتِ التنحيةُ علىٰ صورةِ الحملِ . . بطلَتْ صلاتُهُ ، سواءٌ كانَ الثوبُ كلُّهُ أو بعضُهُ مُتنجِّساً ، وإن كانَ علىٰ غيرِ صورةِ الحملِ ؛ فإن كانَ الثوبُ كلُّهُ مُتنجِّساً : فحيثُ لاقىٰ يدَهُ موضعُ النجاسةِ . . بطلَتْ صلاتُهُ ، وإن كانَ بعضُ الثوبِ مُتنجِّساً وخفيَ موضعُ النجاسةِ منهُ . . فالصَّلاةُ صحيحةٌ . انتهىٰ مختصراً واللهُ أعلمُ .

❀ ❀ ❀

عن بعضِ الصالحينَ قالَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ لمَّا أظهرَ الخلقَ في القِدَمِ . . أظهرَ لهُمُ الصنائعَ كلَّها ، ثمَّ خيَّرَهُم فيها ، فاختارَ كلُّ إنسانٍ صنعةً ، فلمَّا أبداهُم إلى الوجودِ . . أجرىٰ علىٰ لسانِ كلِّ واحدٍ ما اختارَ لنفسِهِ .

قالَ : وانفردَتْ طائفةٌ فلم تختَرْ شيئاً ، فقالَ لها : اختاري ، فقالَتْ : قدِ اخترنا خدمتَكَ .

فقالَ : وعِزَّتي وجلالي ؛ لأُسخِّرَنَّهُم لكُم ، ولأجعلَنَّهُم خدَّاماً لكُم ، وعِزَّتي وجلالي ؛ لأُشفِّعَنَّكُم غداً [فيمن] عرفَكُم وخدمَكُم . انتهىٰ « روضُ الرَّياحينِ » .

❁ ❁ ❁

وحدَّثَنا بعضُ العارفينَ قالَ : أُريدَ [منِّي] تركُ التكسُّبِ ، وكنتُ ذا صنعةٍ جليلةٍ ، فجالَ في نفسي : مِنْ أينَ المعاشُ ؟ فهتفَ بي هاتفٌ لا أراهُ : تنقطعُ إلينا وتتَّهمُنا ؟! فلكَ علينا أن نُخدِمَكَ وليّاً مِنْ أوليائِنا ، أو نُسخِّرَ لكَ منافقاً مِنْ أعدائِنا . « قوتُ القلوبِ » .

❁ ❁ ❁

هٰذا دعاءُ الوضوءِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الماءَ طَهوراً ، والإسلامَ نوراً ، ربِّ أعوذُ بكَ [مِنْ] همزاتِ الشياطينِ ، وأعوذُ بكَ ربِّ أن يحضرونِ .

❁ ❁ ❁

بتاريخِ يومِ الثلوثِ ، في (٢٣) شهرِ رجبٍ ، عامَ (١٣٠٣ هـ) تُوفِّيَ الحبيبُ العلَّامةُ : طاهرُ بنُ عبدِ القادرِ بنِ محمدٍ الحبشيُّ ، إلىٰ رحمةِ اللهِ تعالىٰ ، رحمَهُ اللهُ رحمةَ الأبرارِ ، وأسكنَهُ جنَّاتٍ تجري مِنْ تحتِها الأنهارُ ، أخلفَ اللهُ على النَّاسِ مِنْ بعدِهِ خلفاً صالحاً .

تُوفِّيَ المُحبُّ الصالحُ سالمُ بنُ هادي بنِ أحمدَ باسلامةَ إلىٰ رحمةِ اللهِ تعالىٰ ، تاريخُ وفاتِهِ : يومَ الأحدِ في (٢٢) شهرِ رجبٍ ، عامَ (١٣٠٣ هـ) .

❁ ❁ ❁

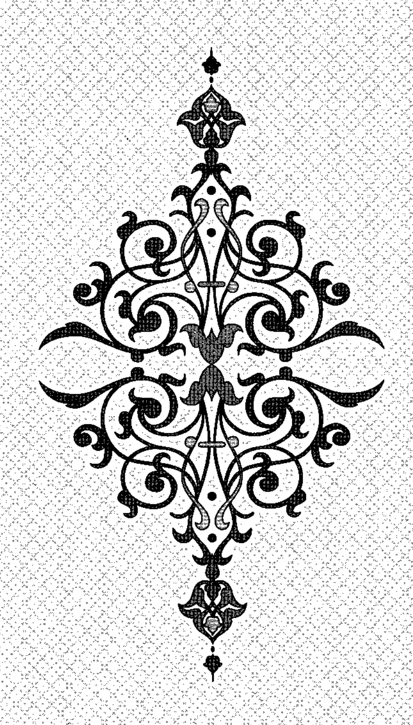
ومَنِ انتقضَ وضوءُهُ . . حَرُمَ عليهِ أربعةُ أشياءَ : الصَّلاةُ ، والطوافُ ، ومسُّ المصحفِ ، وحملُهُ .

ويَحرُمُ على الجنبِ ستَّةُ أشياءَ : الصلاةُ ، والطوافُ ، ومسُّ المصحفِ ، وحملُهُ ، واللُّبثُ في المسجدِ ، وقراءةُ القرآنِ بقصدِ القراءةِ .

ويَحرُمُ بالحيضِ عشرةُ أشياءَ : الصلاةُ ، والطوافُ ، ومسُّ المصحفِ ،

وحملُهُ ، واللُّبثُ فِي المسجدِ ، وقراءةُ القرآنِ بقصدِ القراءةِ ، والصَّومُ ، والطلاقُ ، والاستمتاعُ بما بينَ السُّرَّةِ والرُّكبةِ ، والمرورُ في المسجدِ إن خافَتْ تلويثَهُ .

* * *



أهمّ مصادر ومراجع التّحقيق (1)

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ، **للبوصيري** ؛ الإمام الحافظ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري الكناني الشافعي (ت ٨٤٠ هـ) ، تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار الوطن ، الرياض ، السعودية .

- إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، **لابن عساكر** ؛ للإمام الحافظ الزاهد المشارك أمين الدين أبي اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن ابن عساكر الدمشقي المكي الشافعي (ت ٦٨٦ هـ) ، تحقيق حسين محمد علي شكري ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار المدينة المنورة ، السعودية .

- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، **للزبيدي** ؛ الإمام الكبير الحافظ الفقيه اللغوي الشريف أبي الفيض وأبي الوقت محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- الآحاد والمثاني ، **لابن أبي عاصم** ؛ الإمام الحافظ الأثري الفقيه أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني الظاهري (ت ٢٨٧ هـ) ، تحقيق الدكتور باسم الجوابرة ، ط ١ ، (١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م) ، دار الراية ، الرياض ، السعودية .

- الأحاديث المختارة (المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما) ، **للضياء المقدسي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الصالحي الحنبلي (ت ٦٤٣ هـ) ، تحقيق

---

(١) اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي : اسم الكتاب ، واسم المؤلف وسنة وفاته ، واسم المحقق ، ورقم الطبعة ، وتاريخ طبعه ، والدار الناشرة ومقرها .

الدكتور عبد الملك دهيش (ت ١٤٣٤ هـ) ، ط ٤ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار خضر ، بيروت ، لبنان .

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها) ، **لابن حبان** ؛ الإمام الحافظ المجود الرحلة أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي الشافعي (ت ٣٥٤ هـ) ، بترتيب الإمام الحافظ الأمير علاء الدين أبي الحسن علي بن بلبان بن عبد الله الفارسي المصري الحنفي (ت ٧٣٩ هـ) ، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط (ت ١٤٣٨ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- إحياء علوم الدين ، **للغزالي** ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- أخبار القضاة وتواريخهم (طبقات القضاة) ، **لوكيع القاضي** ؛ الإمام المحدث المؤرخ أبي بكر محمد بن خلف بن حيان الضبي البغدادي (ت ٣٠٦ هـ) ، عني به عبد العزيز مصطفى المراغي ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، طبعة مصورة لدىٰ عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .
- الإخوان ، **لابن أبي الدنيا** ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- الأدب المفرد ، **للبخاري** ؛ إمام الدنيا حبر الإسلام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، تحقيق العلامة محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ) ، ط ٤ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، نسخة مصورة لدىٰ دار البشائر الإسلامية عن طبعة المكتبة السلفية ، بيروت ، لبنان .
- الأذكار من كلام سيد الأبرار (حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات

والأذكار المستحبة في الليل والنهار) ، **للنووي** ؛ شيخ الإسلام الحافظ المجتهد الحجة محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مُرِّي النووي الحزامي الدمشقي الشافعي (ت ٦٧٦ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ٧ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

ـ الأربعين في إرشاد السائرين إلىٰ منازل المتقين ، **للطائي** ؛ الإمام الحافظ المفتي مجد الدين أبي الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي الهمذاني (ت ٥٥٥ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور عبد الستار أبو غدة ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان .

ـ الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله تعالىٰ وتلاوة كتابه العزيز وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين ، **لليافعي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني المكي الشافعي (ت ٧٦٨ هـ) ، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي ، ط ١ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

ـ الاستذكار الجامع لمذهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه « الموطأ » من معاني الرأي والآثار وشرح ذٰلك كله بالإيجاز والاختصار ، **لابن عبد البر** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م) ، دار قتيبة ودار الوعي ، دمشق ، حلب ، سورية ـ بيروت ، لبنان .

ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، **لابن عبد البر** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق عادل مرشد ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار الأعلام ، عمان ، الأردن .

ـ أسنى المطالب شرح روض الطالب ، **لزكريا الأنصاري** ؛ شيخ الإسلام الأصولي الفقيه

القاضي زين الدين أبي يحيىٰ زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري السنيكي الشافعي (ت ٩٢٦ هـ) ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، مصر .

- إصلاح المال ، **لابن أبي الدنيا** ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق مصطفىٰ مفلح القضاة ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، دار الوفاء ، القاهرة ، مصر .

- إعانة الطالبين علىٰ حل ألفاظ فتح المعين ، **لبكري شطا** ؛ الإمام الفقيه الشريف أبي بكر (بكري) بن محمد شطا البكري الحسيني الدمياطي المكي الشافعي (ت ١٣١٠ هـ) ، ط ٤ ، (١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- اعتلال القلوب ، **للخرائطي** ؛ الإمام الحافظ الحجة الأديب أبي بكر محمد بن جعفر بن محمد السامري الخرائطي الشافعي (ت ٣٢٧ هـ) ، تحقيق حمدي الدمرداش ، ط ٢ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، السعودية .

- إعراب القرآن ، **لأبي جعفر النحاس** ؛ إمام العربية النحوي المفسر الأديب أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس المرادي المصري (ت ٣٨٨ هـ) ، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد ، ط ٢ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .

- الإعلام بفضل الصلاة على النبي والسلام ، **للنميري** ؛ الإمام الحافظ المحدث أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمـٰن بن علي النميري الإلبيري الأندلسي المالكي (ت ٥٤٤ هـ) ، اعتنىٰ به حسين محمد علي شكري ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- الإعلام بقواطع الإسلام ، **لابن حجر الهيتمي** ؛ الإمام المجتهد الفقيه شيخ الإسلام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن حجر السلمنتي الهيتمي

السعدي المكي الشافعي (ت ٩٧٤ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٣ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

ـ الأعلام ، **للزركلي** ؛ الأديب الكبير المؤرخ خير الدين بن محمود بن محمد الزِّرِكلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) ، ط ١٢ ، (١٤١٦ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .

ـ الأم ، **للشافعي** ؛ إمام الدنيا وفخر الزمان أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس المطلبي القرشي الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) ، تحقيق الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر .

ـ الأمالي ، **لابن بشران** ؛ الإمام المحدث شيخ الحرم أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران البغدادي (ت ٤٣٠ هـ) ، ضبطه عادل بن يوسف العزازي ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار الوطن ، الرياض ، السعودية .

ـ الأمالي ، **لابن سمعون** ؛ الإمام المحدث الواعظ أبي الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل ابن سمعون البغدادي الحنبلي (ت ٣٨٧ هـ) ، تحقيق الدكتور عامر حسن صبري ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان .

ـ الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع ، **لابن حجر العسقلاني** ؛ الإمام الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ـ أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور ، **لابن رجب** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الواعظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمـٰن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) ، عني به خالد عبد اللطيف السبع العلمي ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

- الأهوال ، **لابن أبي الدنيا** ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق مجدي فتحي السيد ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م) ، مكتبة آل ياسر ، القاهرة ، مصر .

- البحر المحيط (التفسير الكبير) ، **لأبي حيان** ؛ الإمام الحافظ المقرئ الفقيه النحوي أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الجياني الأندلسي الشافعي (ت ٧٤٥ هـ) ، ط ٢ ، (١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- بحر المذهب في فروع مذهب الإمام الشافعي ، **للروياني** ؛ الإمام الفقيه القاضي شيخ الشافعية أبي المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد الروياني الطبري الشافعي (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق أحمد عزو عناية ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- البخلاء ، **للخطيب البغدادي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الشافعي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي (ت ١٤٣٨ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .

- بداية الهداية ، **للغزالي** ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به محمد غسان نصوح عزقول وفريقه ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- البداية والنهاية ، **لابن كثير** ؛ الإمام الحافظ الفقيه المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي الدمشقي الشافعي (ت ٧٧٤ هـ) ، عني به مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ عبد القادر الأرناؤوط (ت ١٤٢٥ هـ) والدكتور بشار عواد معروف ، ط ١ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .

- البر والصلة ، **لابن الجوزي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج

عبد الرحمـٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، ط ٢ ، (١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .

- بستان الواعظين ورياض السامعين ، **لابن الجوزي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمـٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، مراجعة الدكتور السيد الجميلي ، ط ١ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، مصر .

- بشرى الكريم بشرح مسائل التعليم (شرح المقدمة الحضرمية) ، **لباعشن** ؛ الإمام الفقيه المحقق المشارك سعيد بن محمد باعلي باعشن الدوعني الحضرمي الشافعي (ت ١٢٧٠ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- البعث والنشور ، **للبيهقي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق أبو عاصم الشوامي ، ط ١ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، مكتبة دار الحجاز ، الرياض ، السعودية .

- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، **للهيثمي** ؛ الإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي القاهري الشافعي (ت ٨٠٧ هـ) ، تحقيق الدكتور حسين أحمد صالح الباكري ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م) ، مركز خدمة السنة النبوية بالتعاون مع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، السعودية .

- بغية الطلب في تاريخ حلب ، **لابن العديم** ؛ الإمام المؤرخ المحدث كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم العقيلي (ت ٦٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور سهيل زكار ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، دار الفكر ، دمشق ، سورية .

- تاريخ أصبهان (ذكر أخبار أصبهان) ، **لأبي نعيم الأصبهاني** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني الأصبهاني الشافعي

(ت ٤٣٠ هـ) ، تحقيق سيد كسروي حسن ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ـ تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام) ، **للخطيب البغدادي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الشافعي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ـ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، **لابن عساكر** ؛ الإمام الحافظ الكبير المجود ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي الشافعي (ت ٥٧١ هـ) ، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمروي ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

ـ التبيان في آداب حملة القرآن ، **للنووي** ؛ شيخ الإسلام الحافظ المجتهد الحجة محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مُرِّي النووي الحزامي الدمشقي الشافعي (ت ٦٧٦ هـ) ، تحقيق محمد شادي مصطفىٰ عربش ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

ـ تحفة المحتاج بشرح المنهاج ، **لابن حجر الهيتمي** ؛ الإمام المجتهد الفقيه شيخ الإسلام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن حجر السلمنتي الهيتمي السعدي المكي الشافعي (ت ٩٧٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣١٥ هـ ، ١٨٩٥ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار صادر ، بيروت ، لبنان .

ـ التحقيق ، **للنووي** ؛ شيخ الإسلام الحافظ المجتهد الحجة محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مُرِّي النووي الحزامي الدمشقي الشافعي (ت ٦٧٦ هـ) ، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م) ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

ـ التدوين في أخبار قزوين ، **للرافعي** ؛ الإمام الفقيه عالم العرب والعجم وشيخ

الشافعية إمام الدين أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني (ت ٦٢٣ هـ) ، تحقيق عزيز الله العطاردي الحوشاني ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٧ م) ، دار الباز ، مكة المكرمة ، السعودية .

- التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة ، **للقرطبي** ؛ الإمام الفقيه المفسر اللغوي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي المالكي (ت ٦٧١ هـ) ، تحقيق الدكتور الصادق بن محمد بن إبراهيم ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ، السعودية .

- تراجم علماء الشافعية في الديار الهندية ، **للمليباري** ؛ للأستاذ البحاثة عبد النصير أحمد المليباري الشافعي ، ط ١ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، دار الفتح ، عمان ، الأردن .

- الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذٰلك ، **لابن شاهين** ؛ الإمام الحافظ الثقة الواعظ أبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان ابن شاهين البغدادي (ت ٣٨٥ هـ) ، تحقيق صالح أحمد مصلح الوعيل ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، السعودية .

- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، **للمنذري** ؛ الإمام الحافظ الفقيه المؤرخ زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري المصري الشافعي (ت ٦٥٦ هـ) ، تحقيق الدكتور محيي الدين مستو وسمير العطار ويوسف بديوي ، ط ٣ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .

- الترغيب والترهيب ، **للأصبهاني** ؛ الإمام الحافظ قوام السنة الفقيه أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي الأصبهاني الشافعي (ت ٥٣٥ هـ) ، خرج أحاديثه محمد السعيد زغلول ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، السعودية .

- تسلية أهل المصائب ، **للمنبجي** ؛ إمام أهل الدنيا الحجة الفقيه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت ٧٨٥ هـ) ، تحقيق الشيخ بشير

محمد عيون (ت ١٤٣١ هـ) ، ط ٤ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤ م) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية .

- تعظيم قدر الصلاة ، **للمروزي** ؛ الإمام الحافظ الرحلة أبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت ٢٩٤ هـ) ، تحقيق أحمد أبو المجد ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م) ، دار العقيدة ، القاهرة ، مصر .

- تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين) ، **لابن أبي حاتم** ؛ الإمام الحافظ الكبير أبي محمد عبد الرحمٰن بن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي الشافعي (ت ٣٢٧ هـ) ، تحقيق أسعد محمد الطيب ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة ، السعودية .

- تفسير ابن عادل (اللباب في علوم الكتاب) ، **لابن عادل** ؛ الإمام المفسر سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن عادل النعماني الدمشقي الحلبي الحنبلي (ت ٨٨٠ هـ) ، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- تفسير البغوي (معالم التنزيل) ، **للبغوي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه المجتهد ركن الدين أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦ هـ) ، تحقيق الشيخ خالد عبد الرحمٰن العك (١٤٢٠ هـ) ومروان سوار ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) ، **للثعالبي** ؛ الإمام الفقيه المحدث المفسر أبي زيد عبد الرحمٰن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المغربي المالكي (ت ٨٧٥ هـ) ، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار إحياء التراث ، بيروت ، لبنان .

- تفسير الثعلبي (الكشف والبيان) ، **للثعلبي** ؛ الإمام الحافظ المفسر أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري الشافعي (ت ٤٢٧ هـ) ، تحقيق

علي عاشور ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، **للطبري** ؛ الإمام المحدث المفسر المؤرخ أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، عني به مكتب التحقيق والإعداد العلمي في دار الأعلام ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار ابن حزم ودار الأعلام ، بيروت ، لبنان . عمان ، الأردن .

- تفسير القرآن العظيم ، **لابن كثير** ؛ الإمام الحافظ الفقيه المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي الدمشقي الشافعي (ت ٧٧٤ هـ) ، تصحيح مجموعة من العلماء ، ط ١ ، (١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٩ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، **للقرطبي** ؛ الإمام الفقيه المفسر اللغوي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي المالكي (ت ٦٧١ هـ) ، تصحيح أحمد عبد العليم البردوني ، ط ٢ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- تفسير الكشاف (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ، **للزمخشري** ؛ الإمام البارع المفسر المتكلم النظار جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي الحنفي (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، ط ٢ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، **للنسفي** ؛ الإمام الأصولي الفقيه المفسر المتكلم حافظ الدين أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الإيدجي الأوزبكي الحنفي (ت ٧١٠ هـ) ، ط ١ ، (١٣٤٤ هـ ، ١٩٢٤ م) ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر .

- تنبيه الغافلين ، **للسمرقندي** ؛ الإمام المحدث الفقيه المفسر إمام الهدىٰ أبي الليث

نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي الحنفي (ت ٣٧٣ هـ) ، تحقيق يوسف علي بديوي ، ط ٣ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .

- تهذيب الأسرار ، **للخركوشي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه العارف بالله عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي (ت ٤٠٧ هـ) ، تحقيق بسام محمد بارود ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، إصدارات الساحة الخزرجية ، أبو ظبي ، الإمارات .

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، **للمزي** ؛ الإمام الحافظ المتقن الناقد جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمـٰن بن يوسف القضاعي المزي الشافعي (ت ٧٤٢ هـ) ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، ط ١ ، (١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- التهذيب في فقه الإمام الشافعي ، **للبغوي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه المجتهد ركن الدين أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦ هـ) ، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، **لابن خزيمة** ؛ الإمام الحافظ الحجة الفقيه أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري الشافعي (ت ٣١١ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان ، ط ١ ، (١٩٨٨ م) ، دار الرشد ، السعودية .

- جامع الأصول في أحاديث الرسول ، **لابن الأثير** ؛ الإمام الحافظ اللغوي مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري الموصلي الشيباني الشافعي (ت ٦٠٦ هـ) ، تحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط (ت ١٤٢٥ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩ م) ، مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية .

- الجامع الصغير من حديث البشير النذير صلى الله عليه وسلم ، **للسيوطي** ؛ الإمام الحافظ البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمـٰن بن أبي بكر بن محمد السيوطي

الخضيري الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، نشره محققه ، دمشق ، سورية .

- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، **لابن رجب** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الواعظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي (ت ٧٥٩ هـ) ، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط (ت ١٤٣٨ هـ) وإبراهيم باجس عبد المجيد ، ط ١٠ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- جامع بيان العلم وفضله ، **لابن عبد البر** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق أبو الأشبال الزهيري ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، السعودية .

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، **للخطيب البغدادي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الشافعي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد عجاج الخطيب ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- الجامع لشعب الإيمان ، **للبيهقي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط ٢ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية .

- جزء من أحاديث الإمام أبي نعيم عن شيخه أبي علي الصواف ، **لأبي نعيم الأصفهاني** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني الأصبهاني الشافعي (ت ٤٣٠ هـ) ، تحقيق سليمان بن عبد العزيز العريني ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار الرشد ، الرياض ، السعودية .

- جمع الجوامع ، **للتاج السبكي** ؛ الإمام الحافظ المجتهد النظار قاضي القضاة تاج الدين

أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي (ت ٧٧١ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .

- حاشية البجيرمي على الخطيب (تحفة الحبيب على شرح الخطيب « الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ») ، **للبجيرمي** ؛ الإمام الفقيه المحقق سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي المصري الشافعي (ت ١٢٢١ هـ) ، الطبعة الأخيرة ، (١٣٧٠ هـ ، ١٩٥١ م) ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .

- حاشية الجمل (فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب) ، **للجمل** ؛ العلامة الفقيه النابغة سليمان بن عمر بن منصور الجمل العجيلي المصري الشافعي (ت ١٢٠٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٠٥ هـ ، ١٨٨٥ م) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- حاشية الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج ، **للشرواني** ؛ الإمام الفقيه النحرير عبد الحميد بن حسين الشرواني الداغستاني المكي الشافعي (ت ١٣٠١ هـ) ، ط ١ ، (١٣١٥ هـ ، ١٨٩٥ م) ، طبعة مصورة لدى دار صادر ، بيروت ، لبنان .

- الحاوي الكبير ، **للماوردي** ؛ الإمام الفقيه الأصولي المفسر أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البغدادي الشافعي (ت ٤٥٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود مطرجي ، ط ١ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- الحاوي للفتاوي ، **للسيوطي** ؛ الإمام الحافظ البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضيري الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، نسخة مصورة لدى دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، **لأبي نعيم الأصبهاني** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني الأصبهاني الشافعي (ت ٤٣٠ هـ) ، ط ٥ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧ هـ) لدى دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر . بيروت ، لبنان .

- حياة الحيوان الكبرىٰ ، **للدميري** ؛ الإمام العلامة الفقيه الأديب كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميري القاهري الشافعي (ت ٨٠٨ هـ) ، تحقيق إبراهيم صالح ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار البشائر ، دمشق ، سورية .

- الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة ، **لابن حجر العسقلاني** ؛ الإمام الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق عبد الجليل عطا البكري ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مكتبة دار الفجر ، دمشق ، سورية .

- خلاصة البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ، **لابن الملقن (ابن النحوي)** ؛ الإمام الحافظ الفقيه أعجوبة الزمان سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد ابن الملقن الأندلسي المصري الشافعي (ت ٨٠٤ هـ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية .

- خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر رضي الله عنه ، **لليافعي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني المكي الشافعي (ت ٧٦٨ هـ) ، تحقيق أحمد فريد المزيدي ، ط ١ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، دار الآثار الإسلامية ، القاهرة ، مصر .

- الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار ، **للحصكفي** ؛ الإمام الأصولي الفقيه علاء الدين محمد بن علي بن محمد الحصني الحصكفي الدمشقي الحنفي (ت ١٠٨٨ هـ) ، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، **للسيوطي** ؛ الإمام الحافظ البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضيري الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- الدر المنضود في الصلاة والسلام علىٰ صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم ،

لابن حجر الهيتمي ؛ الإمام المجتهد الفقيه شيخ الإسلام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن حجر السلمنتي الهيتمي السعدي المكي الشافعي (ت ٩٧٤ هـ) ، عني به بوجمعة مكري ومحمد شادي عربش ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- الدعاء ، **للطبراني** ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد سعيد بن محمد حسن البخاري ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية .

- الدعوات الكبير ، **للبيهقي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق بدر بن عبد الله البدر ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، دار غراس ، الخالدية ، الكويت .

- دلائل النبوة ، **لأبي نعيم الأصبهاني** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني الأصبهاني الشافعي (ت ٤٣٠ هـ) ، عني به عبد البر عباس ومحمد رواس قلعه جي ، ط ١ ، (١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م) ، المكتبة العربية ، حلب ، سورية .

- ذم الغيبة والنميمة ، **لابن أبي الدنيا** ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق الشيخ بشير محمد عيون (ت ١٤٣١ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية .

- ذم اللواط ، **للآجري** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الحجة أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق مجدي فتحي السيد إبراهيم ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، مصر .

- الرسالة القشيرية ، **للقشيري** ؛ الإمام الأصولي المحدث المفسر الأستاذ زين الإسلام

أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري الأستوائي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٥ هـ) ، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي ، ط ١ ، (١٤٣٨ هـ ، ٢٠١٧ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

ـ الرسالة في علم أصول الفقه ، **للشافعي** ؛ إمام الدنيا وفخر الزمان أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس المطلبي القرشي الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٤ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

ـ الرقة والبكاء ، **لابن أبي الدنيا** ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط ١ ، (١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .

ـ روح البيان في تفسير القرآن ، **لإسماعيل حقي** ؛ الإمام العالم المفسر الأصولي إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي البروسوي الحنفي (ت ١١٢٧ هـ) ، بعناية أحمد عزو عناية ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

ـ الروح ، **لابن قيم الجوزية** ؛ الإمام الحافظ الفقيه المشارك شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية الزرعي الدمشقي الحنبلي (ت ٧٥١ هـ) ، تحقيق يوسف علي بديوي ، ط ٦ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .

ـ روض الرياحين في حكايات الصالحين (نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر في حكايات الصالحين والأولياء والأكابر) ، **لليافعي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني المكي الشافعي (ت ٧٦٨ هـ) ، بعناية الشيخ أحمد سعد علي ، ط ١ ، (١٣٠٧ هـ ، ١٨٨٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الميمنية لدىٰ مؤسسة عماد الدين ، قبرص .

ـ روضة الطالبين وعمدة المفتين ، **للنووي** ؛ شيخ الإسلام الحافظ المجتهد الحجة محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مُرِّي النووي الحزامي الدمشقي الشافعي

(ت ٦٧٦ هـ) ، تحقيق عبده علي كوشك (ت ١٤٣٦ هـ) ، ط ١ ، (١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢ م) ، دار الفيحاء ودار المنهل ، دمشق ، سورية .

- الرياض النضرة في مناقب العشرة ، **للمحب الطبري** ؛ الإمام الحافظ الفقيه المحدث محب الدين أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد الحسيني الشافعي (ت ٦٩٤ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- الزهد والرقائق برواية المروزي مع زيادات رواية نعيم بن حماد عليه ، **لابن المبارك** ؛ الإمام الحافظ الرحلة أبي عبد الرحمٰن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي (ت ١٨١ هـ) ، تحقيق العلامة المحدث حبيب الرحمٰن الأعظمي (ت ١٤١٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٦ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة الهند لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- الزهد ، **لابن أبي الدنيا** ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق ياسين السواس ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .

- الزهد ، **لابن حنبل** ؛ إمام أهل الدنيا الحجة الفقيه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت ٢٤١ هـ) ، عني به محمد عبد السلام شاهين ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- الزهد ، **لأبي داوود** ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق ياسر إبراهيم وغنيم عباس ، ط ٢ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، مؤسسة أبي عبيدة ، القاهرة ، مصر .

- الزهد ، **لهناد الدارمي** ؛ الإمام الحافظ الثقة الزاهد أبي السري هناد بن السري بن مصعب التميمي الدارمي الكوفي (ت ٢٤٣ هـ) ، تحقيق عبد الرحمٰن بن عبد الجبار الفريوائي ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٥ م) ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت .

- الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ، **لابن الجزري** ؛ الإمام الحجة المحقق شيخ الإقراء شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري

الدمشقي العمري الشافعي (ت ٨٣٣ هـ) ، ط ١ ، (١٣٣٢ هـ ، ١٩١٢ م) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .

- الزواجر عن اقتراف الكبائر ، **لابن حجر الهيتمي** ؛ الإمام المجتهد الفقيه شيخ الإسلام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن حجر السلمنتي الهيتمي السعدي المكي الشافعي (ت ٩٧٤ هـ) ، عني به محمد خير طعمة حلبي وخليل مأمون شيحا ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- السراج المنير في الإعانة علىٰ معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، **للخطيب الشربيني** ؛ الإمام الفقيه المفسر المتكلم شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني القاهري الشافعي (ت ٩٧٧ هـ) ، عني به أحمد عزو عناية ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- سنن ابن ماجه ، **لابن ماجه** ؛ الإمام الحافظ الثبت المفسر أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه الربعي القزويني (ت ٢٧٣ هـ) ، تحقيق جمعية المكنز الإسلامي بإشراف الدكتور العلامة أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، طبعة خاصة عن نشرة جمعية المكنز الإسلامي لدىٰ دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- سنن أبي داوود ، **لأبي داوود** ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق العلامة الشيخ محمد عوامة ، ط ٣ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، **للترمذي** ؛ الإمام الحافظ العلم الفقيه أبي عيسىٰ محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر (ت ١٣٧٧ هـ) والعلامة محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ) والشيخ إبراهيم عطوة عوض (ت ١٤١٧ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- سنن الدارقطني ، **للدارقطني** ؛ الإمام الحافظ الحجة أبي الحسن علي بن عمر بن

أحمد الدارقطني البغدادي الشافعي (ت ٣٨٥ هـ) ، عني به عبد الله هاشم يماني ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٦ م) ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- السنن الكبرىٰ ، **للنسائي** ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي عبد الرحمـٰن أحمد بن شعيب بن علي النسائي الخراساني (ت ٣٠٣ هـ) ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- السنن الكبير ، **للبيهقي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، القاهرة ، مصر .

- سير أعلام النبلاء (مع السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين) ، **للذهبي** ؛ الإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط (ت ١٤٣٨ هـ) ، ط ١١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- سيرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، **لابن الجوزي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمـٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق أحمد شوحان (ت ١٤٢٧ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، مكتبة التراث ، دمشق ، سورية .

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، **للالكائي** ؛ الإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي الرازي الطبري الشافعي (ت ٤١٨ هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ، ط ٩ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار طيبة ، الرياض ، السعودية .

- شرح السنة ، **للبغوي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه المجتهد ركن الدين أبي محمد

الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦ هـ) ، تحقيق سعيد اللحام ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- شرح الصدور بشرح حال الموتىٰ والقبور ، **للسيوطي** ؛ الإمام الحافظ البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضيري الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، عني به قصي محمد نورس الحلاق ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- شرح مشكل الآثار ، **للطحاوي** ؛ الإمام الحافظ المحدث الفقيه أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الحنفي (ت ٣٢١ هـ) ، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط (ت ١٤٣٨ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- شرف المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، **للخركوشي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه العارف بالله عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي (ت ٤٠٦ هـ) برواية الإمام زين الإسلام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥ هـ) ، تحقيق الشريف نبيل بن هاشم الغمري آل باعلوي ، ط ١ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان .

- الشريعة ، **للآجري** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الحجة أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي (ت ٣٨٧ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي ، ط ٣ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار الفضيلة ، الرياض ، السعودية .

- الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، **للقاضي عياض** ؛ الإمام الحافظ الأوحد القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي المالكي (ت ٥٤٤ هـ) ، تحقيق عبده علي كوشك (ت ١٤٣٦ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، مكتبة الغزالي ودار الفيحاء ، دمشق ، سورية .

- صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشا ، **للقلقشندي** ؛ الأديب المؤرخ البحاثة شهاب

الدين أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي القاهري الشافعي (ت ٨٢١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٣ م) ، طبعة مصورة لدى المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، مصر .

- صحيح ابن خزيمة (مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم) ، **لابن خزيمة** ؛ الإمام الحافظ الحجة الفقيه أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري الشافعي (ت ٣١١ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، ط ٣ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) « الطبعة السلطانية اليونينية » ، **للبخاري** ؛ إمام الدنيا حبر الإسلام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ٣ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، دار طوق النجاة ودار المنهاج ، بيروت ، لبنان . جدة ، السعودية .
- صحيح مسلم (الجامع الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، **لمسلم** ؛ حافظ الدنيا المجود الحجة أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ١ ، (١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٣ م) ، دار المنهاج ودار طوق النجاة ، جدة ، السعودية . بيروت ، لبنان .
- صفة الصفوة ، **لابن الجوزي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، صنع فهرسه العلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ) ، ط ٢ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .
- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، **لابن أبي عاصم** ؛ الإمام الحافظ الأثري الفقيه أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني الظاهري (ت ٢٨٧ هـ) ،

تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، سورية .

- الصِّلَات والبُشَر في الصلاة على خير البَشَر صلى الله عليه وسلم ، **للفيروزاباذي** ؛ الإمام الكبير بحر اللغة وشيخ الإسلام مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزاباذي الشيرازي الشافعي (ت ٨١٧ هـ) ، تحقيق محمد نور الدين الجزائري وعبد القادر الخياري والدكتور محمد مطيع الحافظ ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، دار القرآن ، دمشق ، سورية .

- الصمت وآداب اللسان ، **لابن أبي الدنيا** ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

- الضعفاء ومن نسب إلى الكذب ووضع الحديث ومن غلب على حديثه الوهم ومن يتهم في بعض حديثه ومجهول روى ما لا يتابع عليه وصاحب بدعة يغلو فيها ويدعو إليها وإن كانت حاله في الحديث مستقيمة ، **للعقيلي** ؛ الإمام الحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي (ت ٣٢٢ هـ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار الصميعي ، الرياض ، السعودية .

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، **للسخاوي** ؛ الإمام الحافظ الناقد شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد السخاوي القاهري الشافعي (ت ٩٠٢ هـ) ، عني به محمد جمال القاسمي ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩٢ م) ، طبعة مصورة عن نشرة القاسمي لدى دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

- طبقات الأولياء ، لابن **الملقن (ابن النحوي)** ؛ الإمام الحافظ الفقيه أعجوبة الزمان سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد ابن الملقن الأندلسي المصري الشافعي (ت ٨٠٤ هـ) ، تحقيق الدكتور نور الدين شريبه ، ط ١ ، (١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

- طبقات الشافعية الكبرىٰ ، **للتاج السبكي** ؛ الإمام الحافظ المجتهد النظار قاضي القضاة تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الأنصاري السبكي الشافعي (ت ٧٧١ هـ) ، تحقيق العلامة محمود محمد الطناحي (ت ١٤١٩ هـ) والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو (ت ١٤١٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر .
- العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب ، **للمزجد** ؛ الإمام الفقيه المحقق القاضي صفي الدين أبي السرور أحمد بن عمر بن محمد المزجد المذحجي الزبيدي الشافعي (ت ٩٣٠ هـ) ، عني به مهند تيسير خذها ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- العزيز شرح الوجيز (الشرح الكبير) ، **للرافعي** ؛ الإمام الفقيه عالم العرب والعجم وشيخ الشافعية إمام الدين أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني (ت ٦٢٣ هـ) ، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- عمل اليوم والليلة ، **لابن السني** ؛ الإمام الحافظ الرحلة أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق ابن السني الدينوري (ت ٣٦٤ هـ) ، تحقيق الشيخ بشير محمد عيون (ت ١٤٣١ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية .
- عمل اليوم والليلة ، **للنسائي** ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي عبد الرحمـٰن أحمد بن شعيب بن علي النسائي الخراساني (ت ٣٠٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .
- عيون الحكايات من قصص الصالحين ونوادر الزاهدين ، **لابن الجوزي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمـٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق الشحات الطحان ، ط ١ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، مكتبة فياض ، المنصورة ، مصر .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، **لابن حجر العسقلاني** ؛ الإمام الحافظ الحجة

شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، بعناية العلامة محب الدين الخطيب (ت ١٣٨٩ هـ) وترقيم العلامة محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة السلفية لدىٰ مكتبة الغزالي ، دمشق ، سورية .

- فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، **لابن رجب** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الواعظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمـٰن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ، ط ٣ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، السعودية .
- فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين ، **للمليباري** ؛ الإمام الفقيه المفتي المحقق زين الدين أحمد بن محمد الغزالي ابن زين الدين المخدوم الكبير الفناني المليباري الهندي الشافعي (ت ١٠٢٨ هـ) ، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي (ت ١٤٣٨ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .
- الفردوس بمأثور الخطاب ، **للديلمي** ؛ الإمام الحافظ أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه إلكيا الديلمي الهمذاني (ت ٥٠٩ هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة ، **لابن الضريس** ؛ الإمام الحافظ المحدث الثقة أبي عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن **الضريس** البجلي الرازي (ت ٢٩٤ هـ) ، تحقيق غزوة بدير ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، دار الفكر ، دمشق ، سورية .
- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه ، **لابن سلام** ؛ الإمام المحدث الفقيه الأديب أبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي الخراساني (ت ٢٢٤ هـ) ، تحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، المغرب .
- فضائل مكة ، **للبصري** ؛ للإمام الحبر أبي سعيد الحسن بن يسار البصري

(ت ١١٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد زينهم محمد عزب ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر .

- فوائد ابن ماسي ، **لابن ماسي** ؛ أبي محمد عبد الله بن إبراهيم بن أيوب بن ماسي البزار البغدادي (ت ٣٦٩ هـ) ، تحقيق مسعد عبد الحميد محمد السعدني ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) ، أضواء السلف ، الرياض ، السعودية .

- الفوائد في الصِّلات والعوائد ، **للزبيدي** ؛ الإمام المحدث الأديب المؤرخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي الشرجي اليمني الحنفي (ت ٨٩٣ هـ) ، تحقيق عبد الجليل العطا البكري ، ط ١ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، دار النعمان للعلوم ، دمشق ، سورية .

- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، **للمناوي** ؛ الإمام الحجة الفقيه الثبت زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي القاهري الشافعي (ت ١٠٣١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٨ م) ، طبعة مصورة عن المكتبة التجارية الكبرىٰ لدىٰ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- القربة إلىٰ رب العالمين بالصلاة علىٰ محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، **لابن بشكوال** ؛ الإمام المؤرخ الناقد محدث الأندلس أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود ابن بشكوال الأنصاري القرطبي المالكي (ت ٥٧٨ هـ) ، تحقيق سيد محمد سيد وخلاف محمود عبد السميع ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- قضاء الحوائج ، **لابن أبي الدنيا** ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .

- القواعد الكبرىٰ (قواعد الأحكام في إصلاح الأنام) ، **للعز بن عبد السلام** ؛ الإمام شيخ الإسلام وسلطان العلماء عز الدين أبي محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الشافعي (ت ٦٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور نزيه كمال حماد

والدكتور عثمان جمعة ضميرية ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار القلم ، دمشق ، سورية .

ـ قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلىٰ مقام التوحيد ، **لأبي طالب المكي** ؛ الإمام الفقيه شيخ الصوفية أبي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي الشافعي (ت ٣٨٦ هـ) ، بعناية العلامة محمد الزهري الغمراوي (ت بعد ١٣٦٧ هـ) ، ط ١ ، (١٣١٠ هـ ، ١٨٩٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الميمنية لدىٰ دار صادر ، بيروت ، لبنان .

ـ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم ، **للسخاوي** ؛ الإمام الحافظ الناقد شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمـٰن بن محمد السخاوي القاهري الشافعي (ت ٩٠٢ هـ) ، تحقيق العلامة الشيخ محمد عوامة ، ط ٢ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار اليسر ودار المنهاج ، جدة ، السعودية .

ـ الكامل في ضعفاء الرجال ، **لابن عدي** ؛ الإمام الحافظ الناقد الجوال أبي أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله ابن القطان الجرجاني الشافعي (ت ٣٦٥ هـ) ، الطبعة الأولىٰ بتحقيق الدكتور سهيل زكار ، والثالثة بقراءة وتدقيق يحيىٰ مختار غزاوي ، ط ٣ ، (١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

ـ الكبائر ، **للذهبي** ؛ الإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ـ كتاب التوابين ، **لابن قدامة** ؛ الإمام الفقيه الحجة المجتهد موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي (ت ٦٢٠ هـ) ، تحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط (ت ١٤٢٥ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩ م) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية .

ـ كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة ، **للهيثمي** ؛ الإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي القاهري الشافعي (ت ٨٠٧ هـ) ،

تحقيق العلامة حبيب الله الأعظمي (ت ١٤١٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علىٰ ألسنة الناس ، **للعجلوني** ؛ محدث الشام العلامة المفسر أبي الفداء إسماعيل بن محمد جراح بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي الشافعي (ت ١١٦٢ هـ) ، ط ٣ ، (١٣٥١ هـ ، ١٩٣٢ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- الكشكول ، **للعاملي** ؛ العلامة الأديب بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الاثني عشري (ت ١٠٣١ هـ) ، تحقيق العلامة الطاهر أحمد الزاوي (ت ١٤٠٦ هـ) ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، طبعة مصورة ، بيروت ، لبنان .
- كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار ، **للحصني** ؛ الإمام الفقيه المحدث الشريف تقي الدين أبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز الحصني الدمشقي الحسيني الشافعي (ت ٨٢٩ هـ) ، تحقيق عبد الله ابن سميط ومحمد شادي عربش ، ط ٤ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، **للمتقي الهندي** ؛ العلامة المحدث الفقيه علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين ابن قاضي خان البرهانفوري الهندي المدني الحنفي (ت ٩٧٥ هـ) ، عني به الشيخ بكري حياني الحلبي والشيخ صفوت السقا الحلبي ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- كنز النجاح والسرور في الأدعية المأثورة التي تشرح الصدور ، **لقدس** ؛ العلامة الفقيه الأصولي الأديب عبد الحميد بن محمد علي قدس بن عبد القادر الخطيب الحضرمي الأندونيسي المكي الشافعي (ت ١٣٣٥ هـ) ، تحقيق قصي محمد نورس الحلاق ، ط ١ ، (١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٣ م) ، دار السنابل ودار الحاوي ، بيروت ، لبنان .
- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، **للكرماني** ؛ الإمام المحدث الأصولي الفقيه شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرماني البغدادي (ت ٧٨٦ هـ) ، بإشراف محمد محمد عبد اللطيف ، ط ٢ ، (١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م) ، طبعة مصورة

عن نشرة المطبعة البهية المصرية لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، **للسيوطي** ؛ الإمام الحافظ البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمـٰن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضيري الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- لسان الميزان ، **لابن حجر العسقلاني** ؛ الإمام الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق العلامة عبد الفتاح أبو غدة (ت ١٤١٧ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان .

- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، **لابن رجب** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الواعظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمـٰن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) ، تحقيق ياسين محمد السواس ، ط ٦ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .

- لواقح الأنوار في طبقات الأخيار (الطبقات الكبرىٰ) ، **للشعراني** ؛ الإمام المجدد المحقق القدوة أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشعراني الشافعي (ت ٩٧٣ هـ) ، بعناية الشيخ أحمد سعد علي ، ط ١ ، (١٣٧٤ هـ ، ١٩٥٤ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مصطفى البابي الحلبي لدىٰ دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- المجالسة وجواهر العلم ، **للدينوري** ؛ الإمام الفقيه المحدث أبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري المالكي (ت ٣٣٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، **للهيثمي** ؛ الإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي القاهري الشافعي (ت ٨٠٧ هـ) ، تحقيق الشيخ حسين سليم أسد الداراني ، ط ١ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- المجموع شرح المهذب ، **للنووي** ؛ شيخ الإسلام الحافظ المجتهد الحجة محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مُرِّي النووي الحزامي الدمشقي الشافعي (ت ٦٧٦ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود مطرجي ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- المحتضرين ، **لابن أبي الدنيا** ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .
- مختصر قيام الليل ، **للمروزي** ؛ الإمام الحافظ الرحلة أبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت ٢٩٤ هـ) ، اختصره مؤرخ الديار المصرية أحمد بن علي بن عبد القادر ، المعروف بـ تقي الدين المقريزي (٨٤٥ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، دار حديث أكاديمي ، فيصل آباد ، باكستان .
- المدخل إلىٰ تنمية الأعمال بتحسين النيات ، **لابن الحاج** ؛ الإمام الفقيه العارف بالله أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن الحاج العبدري الفاسي المصري المالكي (ت ٧٣٧ هـ) ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- المدهش ، **لابن الجوزي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، عني به عبد الكريم محمد منير تتان وخلدون عبد العزيز مخلوطة ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار القلم ، دمشق ، سورية .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، **لليافعي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني المكي الشافعي (ت ٧٦٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٣٧ هـ ، ١٩١٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دائرة المعارف بحيدر آباد الدَّكِّن لدىٰ دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، مصر .
- المراسيل ، **لأبي داوود** ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي داوود سليمان بن الأشعث بن

إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله مساعد الزهراني ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار الصميعي ، الرياض ، السعودية .

- المرض والكفارات ، **لابن أبي الدنيا** ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق عبد الوكيل الندوي ، ط ١ ، (١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م) ، الدار السلفية ، بومباي ، الهند .

- مرقاة المفاتيح شرح « مشكاة المصابيح » ، **لملا علي القاري** ؛ الإمام المحدث الفقيه نور الدين أبي الحسن ملا علي بن سلطان محمد القاري الهروي المكي الحنفي (ت ١٠١٤ هـ) ، تحقيق جمال عيتاني ، ط ٢ ، (١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- مساوئ الأخلاق وطرائق مكروهها ، **للخرائطي** ؛ الإمام الحافظ الحجة الأديب أبي بكر محمد بن جعفر بن محمد السامري الخرائطي الشافعي (ت ٣٢٧ هـ) ، تحقيق مصطفىٰ عطا ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .

- المستدرك على الصحيحين ، **للحاكم** ؛ الإمام الحافظ الناقد شيخ المحدثين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم الطهماني النيسابوري الشافعي (ت ٤٠٥ هـ) ، وبهامشه تعليقات الأئمة : البيهقي والذهبي وابن الملقن وابن حجر العسقلاني ، ط ١ ، (١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٤ م) ، دار الميمان ، الرياض ، السعودية .

- مسند أبي داوود الطيالسي ، **للطيالسي** ؛ الإمام الحافظ الحجة أبي داوود سليمان بن داوود بن الجارود الطيالسي الفارسي البصري (ت ٢٠٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٢١ هـ ، ١٩٠٣ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- مسند الإمام أحمد ابن حنبل ، **لابن حنبل** ؛ إمام أهل الدنيا الحجة الفقيه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت ٢٤١ هـ) ، تحقيق جمعية المكنز

الإسلامي بإشراف الدكتور أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- مسند الإمام الشافعي ، **للشافعي** ؛ إمام الدنيا وفخر الزمان أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس المطلبي القرشي الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) ، تحقيق أيوب أبو خشريف ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار الثقافة العربية ، دمشق ، سورية .
- مسند البزار (البحر الزخار) ، **للبزار** ؛ الإمام الحافظ الكبير أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار (ت ٢٩٢ هـ) ، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمٰن زين الله (ت ١٤١٨ هـ) وعادل سعد وصبري عبد الخالق ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، السعودية .
- مسند الدارمي (سنن الدارمي) ، **للدارمي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمٰن بن الفضل التميمي السمرقندي الدارمي (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق الشيخ حسين سليم أسد الداراني ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار المغني ، الرياض ، السعودية .
- مسند الشاميين ، **للطبراني** ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- مسند الشهاب (شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب) ، **للقضاعي** ؛ الإمام المحدث المفسر المؤرخ القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي الشافعي (ت ٤٥٤ هـ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله علىٰ أبواب العلم ، **لابن كثير** ؛ الإمام الحافظ الفقيه المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي الدمشقي الشافعي (ت ٧٧٤ هـ) ،

تحقيق عبد المعطي قلعجي ، ط ١ ، (١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م) ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر .

- المسند ، **لأبي يعلى الموصلي** ؛ الإمام الحافظ محدث الموصل أبي يعلىٰ أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) ، تحقيق الشيخ حسين سليم أسد الداراني ، ط ٢ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م) ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، سورية .
- المصنف ، **لابن أبي شيبة** ؛ الإمام العلم سيد الحفاظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ) ، تحقيق العلامة الشيخ محمد عوامة ، ط ٢ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- المصنف ، **لعبد الرزاق** ؛ الإمام الحافظ الثقة عالم اليمن أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني (ت ٢١١ هـ) ، تحقيق العلامة المحدث حبيب الرحمٰن الأعظمي (ت ١٤١٢ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، المجلس العلمي بالتعاون مع المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .
- معالم السنن ، **للخطابي** ؛ الإمام الحافظ اللغوي الرحلة أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطابي الشافعي (ت ٣٨٨ هـ) ، صححه محمد راغب الطباخ (ت ١٣٧٠ هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٢ هـ ، ١٩٣٣ م) ، المطبعة العلمية ، حلب ، سورية .
- المعجم الأوسط ، **للطبراني** ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود الطحان ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، مكتبة المعارف ، الرياض ، السعودية .
- معجم الصحابة ، **للبغوي** ؛ الإمام الحافظ المتقن أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ابن بنت منيع البغوي البغدادي (ت ٣١٧ هـ) ، تحقيق محمد الأمين الجكني ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، مكتبة دار البيان ، حولي ، الكويت .
- المعجم الصغير ، **للطبراني** ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- المعجم الكبير ، **للطبراني** ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- معجم المؤلفين ، **لكحالة** ؛ المؤرخ البحاثة الموسوعي عمر بن رضا بن محمد راغب كحالة الدمشقي (ت ١٤٠٨ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- معجم شيوخ الإسماعيلي ، **للإسماعيلي** ؛ الإمام الفقيه الحجة الحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي الجرجاني الشافعي (ت ٣٧١ هـ) ، تحقيق عبد الله عمر البارودي ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- معرفة السنن والآثار ، **للبيهقي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، دار قتيبة ودار الوعي ودار الوفاء ، سورية ومصر .

- معرفة الصحابة ، **لأبي نعيم الأصبهاني** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني الأصبهاني الشافعي (ت ٤٣٠ هـ) ، تحقيق عادل يوسف العزازي ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار الوطن ، الرياض ، السعودية .

- مغني المحتاج إلىٰ معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، **للخطيب الشربيني** ؛ الإمام الفقيه المفسر المتكلم شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني القاهري الشافعي (ت ٩٧٧ هـ) ، اعتنىٰ به محمد خليل عيتاني ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- مكارم الأخلاق ، **لابن أبي الدنيا** ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق الشيخ بشير محمد

عيون (ت ١٤٣١ هـ) ، ط ١ ، (٢٠٠٢ م) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية .

- من عاش بعد الموت ، **لابن أبي الدنيا** ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق محمد حسام بيضون ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١١٩٣ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .
- مناقب الشافعي ، **للبيهقي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق العلامة السيد أحمد صقر (ت ١٤١٠ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م) ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، مصر .
- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ، **للسيوطي** ؛ الإمام الحافظ البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضيري الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق الشيخ سمير القاضي ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .
- المنتظم في تواريخ الملوك والأمم ، **لابن الجوزي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق الدكتور سهيل زكار ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- المنثور في القواعد ، **للزركشي** ؛ الإمام المحدث الأصولي الفقيه بدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت ٧٩٤ هـ) ، تحقيق الدكتور تيسير فائق أحمد محمود ، ط ٢ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الصفاة ، الكويت .
- منظومة ابن العماد في المعفوات ، **لابن العماد الأقفهسي** ؛ الإمام الفقيه الأصولي المحقق شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عماد بن محمد ابن العماد الأقفهسي القاهري الشافعي (ت ٨٠٨ هـ) ، تحقيق قصي محمد نورس الحلاق ، ط ١ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- منهاج العابدين إلىٰ جنة رب العالمين ، **للغزالي** ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به بوجمعة عبد القادر مكري ، ط ١ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- منهاج القاصدين ومفيد الصادقين ، **لابن الجوزي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمـٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق كامل محمد الخراط ، ط ١ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، دار التوفيق ، دمشق ، سورية .

- المهمات في شرح الروضة والرافعي ، **للإسنوي** ؛ للإمام الفقيه جمال الدين أبي محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي القرشي الإسنوي المصري الشافعي (ت ٧٧٢ هـ) ، عني به أحمد علي الدمياطي ، ط ١ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .

- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، **للقسطلاني** ؛ الإمام الحجة المحدث الفقيه شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المصري الشافعي (ت ٩٢٣ هـ) ، تحقيق صالح أحمد الشامي ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

- موجبات الجنة ، **لابن الفاخر** ؛ الحافظ الواعظ أبي أحمد معمر بن عبد الواحد بن رجاء ابن فاخر القرشي العبشمي السمرقندي الأصبهاني (ت ٥٦٤ هـ) ، تحقيق ناصر بن أحمد بن النجار الدمياطي ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، مكتبة عباد الرحمـٰن ، القاهرة ، مصر .

- موضح أوهام الجمع والتفريق ، **للخطيب البغدادي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الشافعي (ت ٤٦٣ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧٨ هـ ، ١٩٥٩ م) ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ، الهند .

- الموطأ ، **لمالك بن أنس** ؛ عالم المدينة وإمام دار الهجرة أبي عبد الله **مالك** بن

أنس بن مالك بن نافع الأصبحي (ت ١٧٩ هـ) ، تحقيق العلامة محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧١ هـ ، ١٩٥١ م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .

- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار ، **لابن حجر العسقلاني** ؛ الإمام الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .
- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام) ، **للحسني** ؛ العلامة المؤرخ الأديب الشريف عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي الندوي (ت ١٣٤١ هـ) ، بعناية عبد العلي بن عبد الحي الحسني ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .
- نهاية المحتاج إلىٰ شرح المنهاج ، **للشمس الرملي** ؛ الإمام المجتهد الفقيه المجدد شمس الدين محمد بن أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي الأنصاري المصري الشافعي (ت ١٠٠٤ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، **لابن الأثير** ؛ الإمام الحافظ اللغوي مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري الموصلي الشيباني الشافعي (ت ٦٠٦ هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد بن محمد الخراط ، ط ١ ، (١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٣ م) ، المكتبة المكية ، جدة ، السعودية .
- نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، **للحكيم الترمذي** ؛ الإمام الولي المحدث المفسر الحكيم أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن المؤذن الترمذي الصوفي الشافعي (ت ٣١٨ هـ) ، تحقيق الدكتور نور الدين جيلار البوردري ، ط ١ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- الورع ، **لابن أبي الدنيا** ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن

عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي (ت ١٤٣٨ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار الجفان والجابي ودار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .

- الورع ، **لابن حنبل** ؛ إمام أهل الدنيا الحجة الفقيه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت ٢٤١ هـ) ، تحقيق الدكتورة زينب إبراهيم القاروط ، ط ١ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، **للواحدي** ؛ الإمام المفسر النحوي الفقيه أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨ هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد صيرة والدكتور أحمد الجمل ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- وفاء الوفا بأخبار المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، **للسمهودي** ؛ الإمام الفقيه المؤرخ الحجة الشريف نور الدين أبي الحسن علي بن عبد الله بن أحمد السمهودي الحسني الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، دار الزمان ، المدينة المنورة ، السعودية .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، **لابن خلكان** ؛ الإمام المؤرخ قاضي القضاة شمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان البرمكي الإربلي الدمشقي الشافعي (ت ٦٨١ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

❋ ❋ ❋

مُحتوى الكتاب

❀ ❀ ❀

❀ ❀ ❀

❁ ❁ ❁

❁ ❁ ❁

❁ ❁ ❁

❀ ❀ ❀

❀ ❀ ❀

❀ ❀ ❀

❁ ❁ ❁

❁ ❁ ❁

❁ ❁ ❁